اللسان العربي

اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل الأعمال

* مجامع اللغة العربية
* المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
* الجامعات والمعاهد العلمية
* الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب.
* رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية.

المجلد الحادي عشر

الجزء الأول

يصدرها

مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي
بالرباط (المملكة المغربية)

دراسات وأبحاث

اللغة الأم

منبر

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

. ان الجزيرة العربية هى منبثق الحضارات السامية التى كيفت اقاليم الهلال الخصيب وما وراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الارامية التى ترجع الى ارم بن سام بن نوح ومنهم قبائل ابراهيم الخليل هم العرب الاصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الام وقد نزحوا حوالى اوائل الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقروا فى مناطق بابل وارتباط الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز (اى بيت الله العتيق) لم يرد فى القرآن وحده بل ابرزته الكشوف الاثرية واللسنيات المقارنة حول الهجرات السامية .

ويرى المؤرخون العرب ان الارامين من اصل واحد مع العرب البائدة او العرب العاربة ويؤكد ذلك ما ورد من ان الملك الاشورى اسرحدون (668 — 625 ق ٠ م ٠) يشير فى كتاباته الى ان حزائيل ملك العريبى اى العرب جاء خاضعا الى نينوى (1) وحزائيل اسم ارامى كما ذكر الدكتور هوميل ان الارامين والعرب من عنصر واحد (2)

وقد تغلغلت اللغة الارامية فيما بين النهرين وفارس ووادى النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت اللغة الرسمية

1) Rogers, Cuneiform Parallels etc... p. 353

2) F. Hommel, «The Ancient Hebrew Tradition p. 202

كتاب التقاليد العبرية القديمة

ولاحظ كروهمان ايضا فى بحثه عن تاريخ العرب ان الارامين هم اسلاف العرب .

Encyclopedia of Islam N.E. p. 524

(دائرة المعارف الاسلامية — الطبعة الجديدة ص 524)

طوال قرون قبل الميلاد فى بابل وآشور وفارس ومصر والشام وبها كتب الانجيل على الارجح وقد قامت الارامية محل الكنعانية وظلت اللغة السائدة فى القرن السابع ق . م . حيث اخذت العربية تحل محلها وعزز الاستاذ دايرنجر (3) هذه النظرية مؤكدا سيادة اللغة الارامية من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند وقد ابرز كروهمان علاقة الاراميين وقبائل « العبيرو » بالعرب قائلا :

« ومن المؤكد ان العنصر البدوى فى شبه جزيرة العرب وهو على الارجح مصطلح مرادف مع تسمية آرام وعبيرو وخبيرو وجد فى الاصل فى المنطقة التى تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتى تعد اقدم مركز للساميين (4)

وكانت القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية تتكلم كلها لغة واحدة هى العربية الاصلية التى تفرعت الى لهجات احتفظت بخصائصها وسميت باللهجات او اللغات السامية تمييزا لها عن اللغات الآرية والطورانية ومن مميزات اللغة السامية اصولها الثلاثية الاحرف واشتقاقها الناتج عن مجرد تغيير الحركات .

ولم يعد هنالك ريب بعد الحفريات والكشوف الاثرية ان عصر ابراهيم الخليل وهو بداية الالف الرابعة قبل العصر الحاضر (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) هو عصر عربى لغته هى السامية العربية الام فقد انبثق الجفاف الشديد الذى اكتسح شبه جزيرة العرب عن سلسلة من الهجراتنقلت الكنعانيين والفينيقيين والعموريين العمالقة منذ ازيد من الف عام قبل عصر الخليل وقد لخص الدكتور احمد سوسة (5) فى هذه المعطيات مبرزا تفرعات اللغة السامية العربية الام الى لهجات قسمها اللسنيون الى مجموعات هى السامية الغربية بعناصرها الكنعانية والفينيقية والمؤابية والعبرانية والسامية الغربية الشمالية (العمورية والارامية) والسامية الشرقية (الاكدية البابلية والاشورية) واخيرا لهجات جنوبى الجزيرة العربية وهى المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية والذى يدل دلالة واضحة فى نظر الكثير من خبراء اللغة واللسنيات على ان العربية هى اللغة الاصلية اى لغة بدو الجزيرة العربية ما زالت الى الآن اقرب كل اللهجات المذكورة الى اللغة السامية الام .

وتعتبر هجرة الاكديين نحو الفرات فى العراق اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات وقد نزحت — كما قلنا — جماعات اخرى من جزيرة العرب الى وادى النيل فى حدود الالف الرابعة قبل الميلاد ويقال بأنها حملت معها حضارة أرقى من حضارة مصر وهى التى جاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية (6) التى يكون اصلها ايضا عربيا مثل الكتابة الكنعانية وعموما لغتهم مطبوعة بالطابع العربى كما يتجلى ذلك من النقوش المصرية القديمة (7) منها صورة ملونة لاسرة عربية مهاجرة من جزيرة العرب والعموريون العمالقة هم الذين اسسوا الانبراطورية البابلية القديمة (وهى ثانى امبراطورية سامية وقبلها الاكدية) بعد ان نزحوا من جزيره العرب منتشرين فى الشام ومن بينهم ملوكهم وفى طليعتهم حمورابى وهو الملك السادس الذى حكم 42 سنة بين 1792 و 1750 ق . م . وهو صاحب التشريع المشهور الذى يقال بأنه وضع اصالة باللغة العربية .

وشكل الاشوريون ثانى امبراطورية سامية وبينما اتجه الكنعانيون والعموريون والاراميون والاكديون والهكسوس نحو الشام والعراق ومصر مستهدفا بعضهم الفرات — اتجهت الى دجلة قبائل اخرى حوالى اواخر الالف الرابعة او أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد شمالى العراق على يمين دجلة فاسست مدينة اشور وهى عاصمة امارة صغيرة على نسق دويلات المدن الاكدية جنوبى العراق وقد تكلم الاشوريون بلغة سامية قريبة من لغة الاكديين جنوبا وكتبوا بالخط

3) D. Diringer the Alphabet 1948 p. 253
وقد اشار الدكتور احمد سوسة الذى ننقل عنه الىعشرات المصادر الاخرى
4) A. Grohmann, «The Arabs», the encyclopedia of Islam, New Ed. p. 525
(5) فى كتابه «العرب واليهود فى التاريخ» طبعة وزارة الاعلام العراقية 1972 .
(6) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنسالعربى » ج 1 ص 26 .
(7) تاريخ مصر لبريستد والحضارة المصرية لغوستاف لوبون وتاريخ المدنية المصرية لغوستاف بيكى الخ .

المسمارى لغتهم الاشورية وينتهى حكم اشور القديمة فى نهاية مملكة بابل القديمة عام 1595 ق . م . وامتد العهد الاشورى الوسيط من 1595 الى 911 ق . م . والعهد الحديث من 911 الى 612 ق . م . (تكونت خلال هذه الفترة انبراطورية سامية ضمت مجموع الشرق الاوسط ومن ضمنه آسيا الصغرى وسواحل ايجة ومصر والخليج العربى وعيلام وقد سقطت نينوى عام 612 ق . م . وقد اهتم الاشوريون بالفنون الجميلة والادب وتركوا فى خزانة الكتب الواح الطين التى انشاها الملك اشور بانيبال (669 — 626 ق . م .) الذى اخضع مصر كلها لحكمه ، وقد عثر على نحو 25 الف رقيم حضارى فى الحفائر حفظت فى المتحف البريطانى .

اما الكلدانيون (الاراميون) فيرجع اصلهم التى شواطىء الخليج العربى جنوبى العراق وقد اسسوا رابع انبراطورية سامية دامت 73 سنة بعد سقوط نينوى وسميت سلالة بابل الحادية عشرة وكان لهم ضلع فى تقوية علم الفلك وهم اول من جزأ الواحد الصحيح الى ستين وقسموا اليوم الى 24 ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية ووضعوا اول التقاويم الفلكية العالمية وعنهم اخذ فيثاغورس كما برعوا فى فن التطريز ورسم الصور عليه

واعظم ملوكهم بنو ختنصر (605 — 562 ق . الذى قضى على مملكة يهوذا وسبى اليهود الى بابل وفى هذا العصر بالذات بدا التأثير العربى على بابل وما وراءها (8)

والكنعانيون العرب هم مخترعو الحروف الهجائية الالفبائية وعنهم نقلها الفينيقيون ثم اقتبسها من هؤلاء منذ منتصف القرن التاسع الميلادى الاغريقيون واللاتين وكتابات اللهجة الكنعانية القديمة هى حلقة الوصل بين الهيروغليفية (المكونة من خمسمائة صورة تكتب من الجهات الاربع) وبين المسمارية والابجدية السينائية وهذه الابجدية هى التى تفرعت عنها ابجديات منها الفينيقية والقرطاجية والبونية والليبية والارامية والنبطية والعبرية ويندرج الشمال الافريقى فى هذه المجموعة العربية لان اللغة البونية Langue punique هى اللهجة الدارجة الى اليوم فى المغرب العربى وقد عثر على رخامة فى البرازيل تحمل تاريخ 125 ق . م . اشار اليها الدكتور البرازيلى اديلونيتو وضمنها كتابه الانطروبولوجية (9) وهى مكتوبة باللغة البونية التى تورنت مع ترجمتها العربية فلوحظ انها لا تختلف عن لهجة تونس خاصة ودارجة افريقيا الشمالية عامة وعند ما دخل الموسويون ارض كنعان وجدوا قبيلة كنعانية يتزعمها نبى كنعانى يدعى بلعام ينشر فكرة التوحيد ويتمتع بمكانة روحية سامية (10) .

وقد الف مارينوس الصورى Marinus of Tyre كتابا فى الجغرافيا ووضع خارطة للعالم عام 120 للميلاد كانت تستند الى معلومات جغرافية فينيقية ويرى رولنسون (11) انه كان اول كاتب فى الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية فى صنع الخرائط المستندة الى خطوط الطول والعرض وعليه ارتكز بطليموس :

وكان القرطاجيون مثل الفينيقيين يتسمون بالكنعانيين (12) .

وآخر من هاجر من الجزيرة العربية الانباط وهم قبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد شرقى مملكة الاردن الحالية واقتبسوا من الاراميين ثقافتهم وتاثروا بلغتهم حتى غلبت الارامية عليهم ولهجتهم هى التى تطورت منها لغة القرآن كما ان خطهم هو خط كتبة الوحى وهو القلم النبطى المقتبس من القلم الارامى القديم .

وهكذا يمكن القول بأن الساميين عرب ولغتهم التى هى اللغة الام هى اللغة العربية والنصوص كلها

---

(8) راجع بحثنا « الفكر الصوفى واصوله » فى العدد الثالث من « اللسان العربى » (1385 هـ 1965 م)

(9) اشار اليها الاخ الاستاذ توفيق المدنى فى مجلة « تقويم المنصور » (العدد الثالث عام 1348 هـ) (راجع بحثنا فى مجلة اللسان العربى عدد 3 — 1384 ص — 1965 م

(10) الاصحاح 22

(11) Rawlinson - Phoenicia p. 404, 548

(12) Univ. Jewish Encyclopedia - vol. II p. 651

مجمعة على هذه الحقيقة ، اما العبرية فهى لهجة سامية متأخرة .

وقد تأكد من جهة اخرى ان اليهود هم بقايا يهوذا الذين نقلهم نبوختنصر الى بابل قبل الميلاد بستة قرون وقد تكلم الموسويون فى الاصل الهيروغليفية التى دونت بها شريعة موسى ووصاياه العشر لانها كانت لغة بلاط فرعون حيث تربى موسى ولم يعثر لحد الآن على اى اثر لهذه الشريعة الموسوية الاصلية لان التوراة المتداولة اليوم ليست سوى ترجمة عبرية مشوهة مقتبسة من الارامية يرجع تاريخ هذه التوراة اليهودية التى لا علاقة لها بتوراة موسى الى عهد الاسر البابلى بعد ظهور موسى بثمانمائة سنة على ان يونس ارسل الى مائة الف او يزيدون من اهل نينوى فى القرن التاسع قبل الميلاد فكان ذلك انطلاقة اولى للموسوية فى ارض الاشوريين .

ويرى العالم اليهودى سيلفر (13) فى كتابه « موسى والتوراة الاصلية» ان التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى وحتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء انها الشىء الوحيد المتبقى من التوراة الاصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى اتى بها موسى

وظاهرة التشويه فى هذه التوراة المزيفة اشتمالها على شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية وخاصة شريعة حمورابى كما ابرز ذلك البروفسور ووتر استنادا الى تحقيقات اركيولوجية على ان مزامير داود نفسها مشوهة وكذلك كل ما ورد فى العهد القديم لغلبة الطابع الكنعانى العربى عليه حتى من حيث اللغة اذ لم تترجم الى العبرية مدرجة فى التوراة الا فى عصور لاحقة فاللغة العبرية لم تكن اذن من اصول اللهجات السامية بل ليست هى نفسها سوى اقتباس من الارامية حفظت لنا كثيرا من مظاهر الحضارة الكنعانية العربية .

وقد اكد الكاتب الفرنسي جان لوى برنار J. L. Bernard ان الاحبار عبرنوا كل ما اقتبسوه من تواريخ الاقطار التى جاسوا خلالها ومنها سليمان الذى لم يكن يهوديا وانما كان اشوريا وهو شلما نصر ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت — كما يؤكد برنار — الصداقة مع ملكة سبأ العربية بل اكد بروكلمن ان هؤلاء اليهود قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام اي من السلالة السامية .

ويرى بعضهم ان اسم يهوة اله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين فى جزيرة العرب وكان الكاهن الكنعانى ملك اورشليم يدين بالتوحيد كما كانت لغة داود وسليمان هى الكنعانية العربية التى اقتبسها الموسويون من بنى كنعان بعد دخولهم ارض فلسطين فكانت هذه المعطيات الكنعانية لغة وحضارة هى قوام التراث العربى وفى ضمنه التوراة الجديدة وقد سمى النبى اشعيا فى القرن الثامن قبل الميلاد اللغة كلها وفى ضمنها العبرية شفة كنعان اى لسان كنعان كما يقول مندنهول استاذ جامعة ميسيسفان الامريكية بنقل الدكتور سوسة على ان كلمة « عبرى » نفسها ومثلها « عبيرو » او « خبيرو » قد وردت فى الكتابات القديمة وكان يراد بالعبريين القبائل البدوية العربية وبذلك يوجه وصف ابراهيم الخليل فى التوراة بالعبرانى ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية (14) من ان استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى يرجع الى الحاخامين بفلسطين فى عهد متأخر على انه تم العثور على كتابة من عهد رعمسيس الثانى وهو فرعون الذى وقع الخروج Exode فى عهده سميت فيها بقايا الهكسوس بـ « العبريو » والمقصود هنا القبائل العربية البدوية وهى التسمية التى عرف بها الهكسوس عند المصريين واسرائيل نفسها كلمة كنعانية عربية اطلقت على موضع فى فلسطين واشارت اليها فى هذا السياق كتابات مصرية قبل بعثة سيدنا ارض فلسطين الكنعانية العربية هى مهجر لحفدة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اغتربوا اليها نازحين من حاران او حران الحالية .

وكثير من التعابير والاسماء التى يظن انها عبرية الاصل هى فى الحقيقة عربية نذكر منها على سبيل

---

(13) A. H. Silver «Moses and the original Torath N.V, 1961
وقد اشار الدكتور احمد سوسة ايضا الى مرجع آخر هو « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » 1969 ص 8 .

(14) طبعة 1965 ج 11 ص 279

المثال فقط تسمية اورشليم (اى القدس) التى وردت فى الكتابات الكنعانية اى رسائل العمارنة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (اى قبل عصر موسى بنحو مائتى سنة) وقبل ظهور العبرية ومدوناتها ومنها توراة اليهود (لا توراة موسى) بأزيد من الف عام وقد ورد ذكرها عبر الشعر الجاهلى فى شكل اوريشلم كما اعترفت التوراة نفسها فى نص صريح بعدم وجود اية صلة بين اليهود وهذه المدينة (15)

و « موسى » اسم مصرى قديم لا صلة له بالعبرية ولا بالعبريين وقد ورد ذلك احد فراعنة مصر باسم « آح — موسى » وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (1580 — 1546 ق . م) كما ان الكاهن الاعلى لمدينة ممفيس عاصمة مصر المشهورة فى عهد تحوطمس الثالث (1479 — 1447 ق . م) كان يدعى « بتاج موسى » (16)

وننشر فيما يلى بعض النصوص التى تشهد بعروبة الساميين :

فقد اكد سبرنجر Sprenger ان جميع الساميين عرب (17) :

وقال الاستاذ اولمستيد فى كتابه « تاريخ فلسطين» (ص 36) : « ان البدو العرب كانوا اول من تكلم باللغة السامية واذا اردنا ان نتفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا ان نتجه الى العربى ابن البادية السورية الذى يجوب شمال جزيرة العرب لان هؤلاء وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطرأ عليها اى تغيير » وقد ايده المستشرق عبد الله فلبى فى كتابة «تاريخ العرب قبل الاسلام» حيث قال : « ان اللغة العربية التى يعترف الخبراء فى كونها اقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الام الاصلية التى اشتقت منها جميع هذه اللغات هى على اغلب الاحتمالات اقدم لغة فى العالم ما زالت حية حتى يومنا هذا » .

وقد لاحظ الدكتور جواد على فى كتابه « المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج 1 ص 255) ان جماعة من المستشرقين ترى ان اللغة العربية على حداثة عهدها بالنسبة الى اللغات السامية الاخرى هى انسب اللغات السامية الباقية للدراسة لانها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الاخرى فبقيت فى مواطنها المعزولة اصفى من غيرها محافظة على خواص السامية القديمة

وقال فيلبى فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » (الاسكندرية 1947 ص 9) : « اننى اعتبر بلاد العرب الجنوبية (ومن ضمنها اليمن) هى الوطن الاصلي لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية » ثم لاحظ انهم هاجروا بسبب الجفاف الذى ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليثى وهو العصر الحجرى القديم الذى يبدأ قبل 35 الف سنة نحو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب .

وايد الاستاذ فيلبى خبير انثروبولوجى آخر هو الدكتور هنرى فيلد ملاحظا « ان اليمن وعدن كانتا مأهولين بالسكان فى العصر النيولوثى (وهو العصر الحجرى الحديث المحدد بين 7000 و 5000 ق م) . هاجر منهم الى عمان والخليج وآخر الى الصومال وكينيا وتنجانيقا وفريق ثالث الى نجران وسيناء وفلسطين .

وقد لاحظ الرحالة الالمانى شوينفرت ان القمح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماشية وجدت فى حالتها لابدة فى اليمن وبلاد العرب القديمة قبل ان تستانس فى مصر والعراق (18) .

---

(15) الدكتور احمد سوسة (مقدمة كتابه المذكور)

(16) ادولف ارمان « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية ص 29 — 314 (نقلا عن كتاب العرب واليهود فى التاريخ) « المقدمة »

(17) الدكتور على حسنى الخربوطى «العرب والحضارة » ص 13 .

(18) العقاد — « اثر العرب فى الحضارة الاوربية » القاهرة 1960 ص 11 .

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 5 -

ســاعــور :

« من اسماء السيد المسيح فى الطقس المارونى ، من يزور القرى ويطلع على احوالها من قبل الاسقف» ار (= ارمى) : (سوعورو — So'oûro) : زائر .

الذى يبدو أن اثل المادة اللغوية لكلمة (الساعور) هو (زائر) كما يشهد المعنى الارمى . والواضح ان اطلاق الكلمة بهذا المعنى الدينى ، او بالاحرى بهذين المعنيين الدينيين فى النصرانية قد كان من فعل الآرمية ، لكننا نلاحظ ان « القاموس » يعرف الساعور بأنه : النار ، والتنور ، ومقدم النصارى فى معرفة الطب » مما يدل على اختلاف العرب فى فهم معناها ، ولئن كان القاموس مخطئا وهو ما هو فجهله بالكلمة ادل على انها قاصرة على الاستعمال الكنيسى وانها لم تدخل العربية او لم تكد تدخلها ، ولا سيمـا ان المعجـم المسيحى (المنجد) لا يعطى اى معنى دينى للكلمة بل يكتفى فى تعريف (الساعور) بالقول انـه : النـار والتنور ، على الرغم من اهتمام هذا المعجم بالمفردات والتعابير النصرانية .

واية كانت الحال فان اثلها بتلك المعانى الدينيـة المختلفة هو (الزائر) الذى ينطبق فى الارمية **(سوعورو)** كالـذى تقـدم .

اما (الساعور) بمعنى النار والتنور فمـن مـادة « سعر » التى منها (السعير) .

السعفــة :

« جريدة النخلة ، اى غصنها المجرد عن الورق » .
أر : (سرعفتو — Sar'efto) غصن .

اثل الكلمة (عصف) الريح اى شدة هبوبها ، ومنها (العصوف) — كالعجوز — و « العصيفة » : الريح الشديدة . ومنها كذلك (العاصفة) . ومن ثم انتقل معنى (العصيفة) الى ما عصفت به الريح ، ثم الى الورق الذى ينفتح عن الثمر ، والورق المجتمع الذى يكون فيه السنبل ، كالتبن ، وعصف التبن : حطامه. ويتلب الكلمة ظهر (العفص) : الحب المعروف المستعمل فى الدباغة ، جاء اسمه من سقوطه عن شجرته حين تعصف الريح بها .

ويقلب وابدال وتغيير حركة ظهر (السعف) — زنة الخزف — الذى اطلق على جريد النخل ، اى اغصان النخل التى انجرد ورقها ، وعلى خوصها اى ورقها المنجرد ، والظاهر ان الكلمة اطلقت اولا على الغصن كله وهو على النخلة من معنى (عصف) الريح به وتحريكه ، بدليل ان الكلمة ما زالت تعنى ذلك فى العراق ومنه قولهم « يرجف مثل السعفة » لدوام اهتزاز السعف فى ادنى هبة ريح . اما السنعفة المجرود ورقها فيسمونها الجريدة وجمعها الجريد .

على ان مادة (سرعف) الارمية قد ظهرت فى العربية اولا ، ومنها (السرع) و (والسرف) ، ولناخذ (السرع — بالفتح او الكسر — لانه ما زال فيه معنى الغصن ، فهو تضيب الكرم ، او كل تضيب رطب ، ثم (سرفت) — كنصرت — (السرفة) الشجرة : اكلت ورقها ، اى جعلتها مجرودة كجريدة النخل . و (السرفة) — بالضم — دويبة تعيش على ورق الشجر كما هو واضح . ثم ناتى الى السرعوف — كالعصفور — وهو من اسماء الجرادة لانها تجرد اعواد النبات كذلك ، ثم اطلقت الكلمة استعارة على « دابة تاكل الثياب » . ومن الاكل انتقل المعنى الى الغذاء فقالوا سرعفت الصبى : احسنت غذاءه ، فتسرعف !

هذه التشعبات تدل على ان مهد الكلمة هو العربية، ومنها انتقلت بالوراثة الى بنتها الارمية .

السعـــوة :

الشمعـــة ، ار : (شعوتـــو — Ch'oûto) مـــادة الشمـــع .

ساب وساج (= جاء وذهب) وســاح وســار (ومنها : سرى) وسال وسام وساع (ومنها : سعى).. كلها من اسرة لغوية واحدة . وتهمنا منها (ســاع) فقد قالوا ساعت الابل : سرحت وتخلت بلا راع ، ومن ثم ساع الشىء : ضاع وزال . ومن اخواتها : ضاع وشاع وذاع . ومن معنى الضياع والــزوال صـار السوع والسواع يعنيان : الطائفة من الليل . وكذلك السعو (زنة الصحو) والسعو (كالصنو) والسعوة (كالنـدوه) والسعـوة (كالنسـوة) والسعـواء (كالانشاء) والشعواء (كالقربان) كلها تعنى الساعة من الليل . ومنها (السعوة) ايضا تعنى الساعة من الليل ومن ثم الشمعة كذلك لانها توقد فى ساعات الليل ولم يكتفوا بتوليد معنى الشمعة من هذه المادة بل ولدوا معنى السهر ايضا حين استعملوا (السماوى) — زنة الفلانى — بمعنى الصبور على السهر . ومن ثم ظهرت فى الارمية حيث دخلت طورا آخر فصارت تعنى مادة الشمع ، لا الشمعة التى يستضاء بها فى ساعات الليل عند السهر . كلمة حضارية اخرى .

السفـوف (زنـة الصبـور) :

(دواء يؤخذ غير ملتوت اى غير مبلول بالماء) . ار : (ســوفـوف — Soûfoûf) .

هذه الكلمة من المفارقات التطورية ، فاصل المعنى مائى ، ذلك ان اثل الكلمة هو اشتف مـا فى الانـاء واستشفه : شرب كل ما فيه . والمعنى ناشىء من صوت الارتشـاف ، ثم ظهـر منـه الاشتفـاف والشفـة والشفـر

ثم هم نطقوا الكلمة بالسين فقالوا سف الرجل الماء اكثر من شربه ولم يرو . ومن عدم الارتـواء انعكس المعنى فصار يدل على الجفاف حيـث قالـوا اسـف (بتشديد الفاء) الرجل البعير : علفه اليبيس ! ومعنى هذا العلف اليبيس انتقل الى ما يتناوله الانسان من انواع الدقيق منذ قالوا سففت الدواء او السويق او نحوهما : اخذته غير ملتوت . وسمى الشىء المسفوف (السفـوف) .

السفود (زنـة البلـوط) :

« حديدة يشوى عليها اللحم » . والاصح ما ذكـره القاموس : يشوى (بها) . ار : (شفودو Chofoûdo)

هذه الكلمة العربية تقلبت فى اطوار شتى . ولا حاجة بنا الى الرجوع بها الى رسمها الاول بل نكتفى بأن نمسكها فى مرحلة (**التسوية**) . ومنها نشأت صيغ مختلفة ندرج منها لاعطاء فكرة عنها هذا المقدار :

سوى (تسوية) . صفى « تصفية » . سفى (سفيا) ، سف ، صف ، سفن ، سفط ، سمط ، سبط ، سبد ، سفد ...

فالمكان (السوى) — زنة القوى — هو (المستوى) ، ومنه (تسوية) الارض . ومن ثم صارت (**السبسب**): الارض المستوية البعيدة ، على قول المعجم . ثم (**الصفصف**) : المستوى من الارض ، ومنها الآية : « قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا » . ثم ظهرت — او لعلها ظهرت قبل ذلك — صيغة (**صف**) الطائر : بسط جناحيه فى طيرانه فلا يحركهما . ثم (صف) المرء الشىء : نظمه طولا مستويا ، وصففت القوم : اقمتهم صفوفا فى الحرب او الصلاة او نحو ذلك .. و (**صففت**) **اللحم** : شرحته طولا ، و (الصفيف) : ما صف فى الشمس ليجف او على النار ليشوى . ثم قيل **سفد** اللحم تسفيدا : نظمه فى (**السفود**) للاشتواء . اى ان (السفود) سمى بذلك من معنى تسفيد اللحم فيه. وقد ظهرت صيغ كثيرة اخرى اختلفت معانيها ، نذكر اشبهها بالسفود وارقاها وهو سمط اللؤلؤ . و (السمط) — بالكسر : الخيط ما دام الخرز او اللؤلؤ منتظما فيه .

السفر (زنة الفكر) :

الكتاب الكبير . الجزء الكامل من التوراة . ار : (سفرو — Sefro) : كتاب .

قبل الكلام عليها ندرج هذه الاخوات من الكلمات :

ربع ، ربث ، ربد ، ربز ، ربس ، ربض ، ربط .. الخ واصل معناها الاقامة بالمكان . ومن ثم ظهر فى بعضها معنى القيد مثل ربط وربد وربق وربك .

ومن القيد ظهر معنى الحبس والمنع ثم النهى كقولهم ربثه وربده : منعه وحبسه . ويبقى من معنى المنع فى (ربس) قولهم اربسه ارباسا : راغمه . وكل من (ربس) وبنتها « **زبر** » تعنى الشدة والضخامة والضرب ، بسبب تطور المعنى . لكن (زبر) تحتفظ بمعنى المنع ومنه معنى العقل ، كشأن (النهية) — بالضم — التى نشأت من النهى باعتبار العقل ينهى عن الخطأ وسوء التصرف ، وشبيه بهذا معنى الوازع والرادع . فمن هذا قالوا ان (**الزبر**) — زنة الصبر — هو العقل الذى (يزبر) وينهى . ثم صار الزبر يعنى الكتاب تطورا ، ثم الكلام كذلك . ثم نشأ (الزبر) — زنة البئر — بمعنى الكتاب ، ومن ثم قيل (زبرت) الكتاب : كتبته ، و (التزبرة) : الخط والكتابة ، ثم صيغ (**الزبور**) بمعنى ذلك الزبر اى الكتاب ، واستعير لمزامير داود فغلب استعماله عليها . وقد كان (الزبور) اول الامر فيما نظن مرادفا (**للزبير**) — كالصغير : الشىء المكتوب . ومعلوم ان صيغتى الفعول والفعيل جاءتا فى العربية كلتاهما بمعنى المفعول (كما جاءتا بمعنى الفاعل) .

ومن (الزبر) نشأ « **السفر** » — وكلاهما بالكسر — بمعنى الكتاب الكبير . ومنه بالارمية (**سفرو**) . والظاهر ان دور الارمية هنا هو اطلاقه علاوة على ذلك على الجزء الكامل من التوراة .

ويبدو كذلك ان الزبر هو اثل الفسر والتفسير والسبورة التى يكتب عليها ويمحى .

السافر :

الكاتب . ار : (سوفرو — Sofro)

بعد كل هذا العناء الذى اثبت لنا ان كلمة (السفر) عربية النجار ، واضح ان (**السافر**) ما هو الا صيغة الفاعل التى اثلها الزابر اى الكاتب ايضا .

السفسير :

السمسار . ار : (سفسيرو — Safsiro)

من (سفسر — Safsar) : ساوم .

السفير والسفسار اثلهما **السفير** ، وهذا من **السفر** . فقد كانوا ينتدبون شخصا يطلبون اليه ان يسفر اى يسافر ليقنع خصوما لهم فى حل مشكلة ، ومن هنا قيل سفر فلان بين القوم : اصلح — وسمى الشخص المنتدب **السفير** بمعنى الرسول المصلح بين

طائفتين من القوم . ومن الطبيعى ان يختاروا لمثل هذه المهمات والملمات سفيرهم من ذوى الكياسة والحذاقة. ومن السفير صيغ (**السفسير**) الذى يقول المجد الفيروز ابادى انه : القيم بالامر المصلح له ، والرجل الظريف، والعبترى الحاذق بصناعته ، الخ ... بالاضافة الى الخادم والتابع والسمسار الذى يسفر بين البائع والمشترى ، اى يتوسط .

ومن السفسير اشتقت صيغة السفسار (بمعنى الجهبذ على راى صاحب القاموس) .

واذا غفرنا لمجد الدين عدم تفطنه الى ان السفسير والسفسار متطورتان من السفير ومن ثم توهمه كغيره من اللغويين انهما دخيلتان ، فليس من السهل ان نعذره اذ لم ينتبه الى انهما كلمة واحدة فقال عن السفسير انها من الفارسية وعند ما جاء دور الكلام عن السفسار قال انها رومية ! .. مع انه يدرجهما كلتيهما تحت مادة لغوية واحده .

وقد ظن آخرون ان اللفظتين من الارمية ومنهم اللغوى الفاضل مؤلف الكتاب الذى نناقشه : « غرائب اللغة العربية » . ويلاحظ ان معنى السفارة بين البائع والمشترى اى السفسرة والسمسرة : قد نشأ منه فى الارمية فعل (سفسر) بمعنى المساومة . اى ان اسم (**سفسيرو**) لم ينشأ من فعل « **سفسر** » كالذى يذهبون اليه ، بل العكس الصحيح .

السفط (زنة الشفق) :

وعاء كالقفة . ار : (سفوطو ــ Sfoto)

راينا كيف نشأ (**الصف**) ثم « **السفود** » من معنى صف اللحم فيه و (**السمط**) من معنى نظم الخرز واللؤلؤ . وقد نشأ (**الساف**) ــ زنة الساق ــ بمعنى الصف من اللبن او الطين فى بناء الجدار . ومن ثم نشأت (**السفة**) ــ زنة السرة : ما ينسج من الخوص ، وحزام الرجل ، والهودج . نظنهم قالوا ذلك لان الحوض ينسج سافات كالحزام تدور حول نفسها مثل القوقعة لتكون وعاء كالجوالق او القفة . وكما نشأ (سفد) من « سف » ، نشأ منها « **سفط** ». ومن هنا جاءت تسمية (**السفط**) : الوعاء الذى ما يزال موجودا فى العراق يوضع فيه التمر ويسمى (الحلانة) او « الحصانة » ــ كلتاهما بالتشديد . وقديما اطلقوا السفط كذلك على وعاء يعبأ فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء .

اما فى الموصل فان (**السبت**) ــ بفتحتين ــ يطلق على وعاء صغير بيضى الشكل مصنوع من اعواد السنابل وله غطاء من جنسه ، توضع فيه بعض اللوازم كادوات الخياطة من مثبر وخيوط وازرار وما اليها من صغار ادوات النساء .

وتظهر الكلمة فى الفارسية بصورة (**سبد**) ــ بفتحتين : سلة . وبينما يذهب بعض اللغويين الى ان (السفط) العربى اثله « **سفوطو** » الارمى يتوهم آخرون انه من (سبد) الفارسى .. على حين ان كلتا اللفظتين منحدرة من (السفط) العربى على زعم التاثيل اللغوى .

سفلة الناس :

ار : (شفل ــ Chfel) : سافل ، حقير .

اثل الكلمة (**السف**) . قالوا سف او اسف (كلاهما بالتشديد) الطائر او السحاب : مر على وجه الارض. ومن هذا نشأ قولهم **سففت** الريح (زنة ذهبت) : هبت على وجه الارض . ومن الاسفاف قالوا **اسف** الرجل : تتبع الامور الدنيئة . ثم نجمت صيغة (**سفل**) وتنطق بمختلف الحركات بكلا المعنيين الآنفين ، المادى والمعنوى ، فقيل سفل الشىء سفولا وسفالا : نقيض علا علوا ، وسفل الرجل : كان نذلا فهو (**سافل**) و (**سفيل**) . وجمع السافل : **سافلون** ، **وسفلة** (زنة قتلة) ، **وسفل** « بضم فشدة مفتوحة » ، **وسفال** (زنة عذال) ، **وسفلان** « زنة ركبان » .

اما **سفلة** القوم (بكسر ففتح) **وسفلتهم** (بكسر فسكون) : فغوغاؤهم وسقاطهم . ولا نعرف لماذا اختاروا هذه الصيغة الاخيرة من كل الصيغ فى المعجم العربى مما ذكرنا آنفا ، وما لم نذكر ، ليقولوا انها مقتبسة من الارمية (**شفل**) مع ان هذه تعنى الفرد والكلمة العربية تعنى الجماعة ، وكان اجدر بهم ان ينتقوا صيغة (السفيل) لمطابقتها لفظا ومعنى . والذى

يبدو لنا ان الصيغة الارمية من صيغة (السفيل) هذه بالــذات .

السفينــة :

ار : (سفيتو ــ Sfito) من (سفن ــ Sfan) بنــى بالــواح .

نحسب ان هاتين الصيغتين الارميتين ليستا كلمــة واحدة بل كلمتين لكل منهما اثله فى العربيـــة . اى ان (سفيتو) ليست من «سفن» بل من « السفط » ، كما ان « سفن » من « السفينة » .

والسفط الذى قلنا انه ينطق بالدارجــة الموصليــة (سبت) وانه وعاء بيضى الشكل يذكرنا بشكل السفينة نقاعدته مثل قاعدتها اى ضيقة طويلة ، ولا يستبعد ان يكون العرب قد سموا السفينة (سفطا) او « سبتا » (سفتا) او شيئا من هذا القبيل تشبيها لها بالسبت الزورقى الشكل . وبعض الدارجات العربية كالسورية تسمــى السفينــة (مــاعــون) اى انــاء ، مثــلا . ويشجعنا على مثــل هــذا الاستنتــاج ان السفط فى المعجم : وعاء كالقفة ــ زنة القوة ــ او الجوالق ، وان القفة : وعاء من الخوص كالزنبيل ونحوه ، وان الدارجة العراقية تطلق (القفة) ايضا على نوع من القوارب مستدير منسوج من الخوص ومطلى بالقار .

اما السفينة فاثل لفظها هو (**السف**) من قولهم سف الطائر : دنا من الارض فى طيرانه ، ثم (**المسفسفــة**) : الريح التى تثير ما دق من التراب وتجرى فويق الارض. دليلنا على ذلك قولهم **سففت** الريح : هبت على وجــه الارض . ثم قيل سفنت الشىء : قشرته ، استعارة من تلك الريح التى تقشر ما دق من التراب عن وجه الارض. ويرى الفيروز ابادى ان (**السفينة**) سميت بذلك لقشرها وجه المــاء ، لكننــا نرجح انهــا انمــا سميت بــذا تشبيها لها بالريح الهابة على وجه الارض التى تسمى (السافنة) و « السفون » كذلك . ومثل هذا تسميتهم السفينة (جارية) ايضا لانها تجرى على سطح الماء . ويبــدو لنــا ان (**السفــين**) كانت مرادفــة لهــذه (**السفون**) كترادف فطين وفطــون ، ثــم فلسطــين وفلسطــون .

ولما كانت السفينة تبنى بالواح من الخشب ظهرت فى الارمية صيغة (سفن ــ Sfan) بمعنى : بنى بالواح .

ولنتطرق بالمناسبة الى هذا (**السفين**) الذى صار المحدثون يسمونه (**الاسفين**) والذى يظنه اللغويــون دخيلا ايضا . فقولهم سفنت الشىء (بالتشديد) يعنى قشرته ، ثم صار يعنى كذلك : نحته ولينته ، ومــن ثم صار « المسفن » و (السفن) ــ زنة الوثن : ما ينحت به ، اى المنحت والازميل . ثم صار (السفين) حديدة او خشبة ــ على شكل راس الازميــل او نحــوه ــ تستعمل لفلق الحطب او غيره . ولا ندرى لماذا يظــن اللغويون ان هذا (السفين) وتلك « السفينة » من دون جميع الصيغ الاخرى من مادة (س ف ن) دخيلان ، وقد ذكر الاب نخلة (السفين) ضمــن المقتبســات مــن الاغريقية (Sfin) لكن هذا التاثيل الطويل يــدل على العكس .

سقــر (بفتحتين) :

(ممنوعة من الصرف) : جهنم . ار : (شكورو ــ Chgoro) احــراق ، مــن (شكــر Chgar) : احرق بالنــار .

شعت الشمس (بتشديد العين) : نشرت اشعتها، **وشعشعت** : انتشر ضوؤها . ومن هذا نجــم قولهــم **شيعت** الشىء بالنار : احرقته ، ثــم **شعلــت** النــار واشعلتها : الهبتها . ومن ثم **سعرت** النار (بالتخفيف او التشديد) :اشعلتها ، و « **السعير** » : لهيب النار ، وهو ايضا من اسماء جهنم . ثم قيل **سجرت** التنــور : ملأته وقودا واحميته . ثم **سقرته** الشمس : لوحتــه ، والسقرة (زنة الصخــرة) : شدة وقــع الشمس . والساقور : الحر ، وحديدة تحمى وتكون بها البهيمة .

وواضح ان (السقر) من نفس مــادة : السعــر والسجر والشعل .. فلا غرابة ان تعنى (**سقــر**) ــ بفتحتين ــ نفس ما تعنيه (السعير) اى جهنم .

اما الصيغتان الارميتان الآنفتان فاثلهمــا العربــى المباشر فيما يظهر (سجر) .

الســاقيــة :

نهر صغير . ار : (شوقيتو ــ Choqito) : نهــر صغير جدا ، ترعة لرى الارض .

(**السقى**) فى العربية يعنى اعطاء الماء للشرب . وسقيت الارض : رويتها . لها مشتقات كثيرة كالسقاية والسقيا والسقى (زنة الشقى) والاستسقاء والسقاء (كالنجار) والمسقاة .. الخ ، ومن جملة هذه المشتقات (**الساقية**) بمعنى النهر الصغير ، وتعنى فى العراق الجدول الصغير فى الحديقة او المزرعة يساق فيه الماء للرى ، وهى صيغة اسم فاعل ومن امثلتها : الدالية والجارية (السفينة والطفلة لانهما تجريان) . وهى فى العربية قياسية جدا واشتقاقها طبيعى لانها تسقى الزرع فعلا . ولا ندرى لماذا يظنونها من دون الصيغ الاخرى مقتبسة من الارمية ، الا على اعتقادهم بأن المصطلحات الزراعية دخيلة فى العربية ، كالذى تقدم التحدث عنه وتفنيده فى عدد من الالفاظ الحضارية من صناعية وزراعية وطبية ثبت لنا على نحو قاطع لا يتسرب اليه شك انها اثيلة فى العربية وان الارمية لا بد من ثم ان تكون هى التى اقتبستها .

السك :

المسمار . أر : (سيكو — Seko) : وتد . (سكك — Sakek : سمر (بالتشديد) .

السك فى العربية اثله **الشق** ، ومن هنا سميت حديدة المحراث (**سكة**) لانها الجزء الذى يشق الارض من مجموعة جسم المحراث وتطلق السكة بالدارجة الموصلية كذلك على وتد من حديد يدمق فى الارض وله فى راسه حلقة يربط بها رسن الدابة ، ومن هنا تطور المعنى فاطلق (السك) على المسمار . وله فى العربية مرادف من لفظه ومعناه وهو (**السكى**) — بفتحة فكسرة مشددة . اما (**سيكو**) الارمية فتعنى الوتد كالسكة فى الموصلية وقد جاءها معنى المسمار من (السك) الذى صيغ منه فى الارمية فعل (**سكك**) بمعنى التسمير

ومما يؤيد عروبة الكلمة وتأثلها من (الشق) هو ان (Seco) باللاتينية : يقطع ، و (Sica) سكين او خنجر ، وواضح ان هذه الصيغة من (السكة) التى تشق الارض .

سكة المحراث :

وكذلك : سكة النقد وهى حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم . أر : (سكتو — Sekto)

سكة المحراث تحدثنا عنها كافيا ضمن تأثيل (السك : المسمار) توا . اما سكة النقد فيبدو لنا انها من اثل آخر وهو (**الصك**) . فقد قالوا صك الرّجل : ضربه شديدا او لطمه ، واصطكت ركبتاه : اضطربتا فضربت احداهما الاخرى . ونظن ان سك النقد قد تأتى من معنى الضرب .

لهذا كانوا يكتبون على الدرهم والدينار « ضرب فى بغداد » مثلا بمعنى (سك) — بضم السين واستمر ذلك فى العهد العثمانى حيث ظلوا يطبعون بالعربية على النقود « ضرب فى القسطنطينية » .

السكر (زنة السهر) :

الخمرة كل ما يسكر . أر : (شكرو — Chakrro) كل مسكر غير الخمر .

اثل الكلمة من (**السك**) بمعنى السد والاغلاق . فذلك حيث قالوا سك الباب او سكره (بفتحتين) : سده . ومجازا قيل سكر البصر : حبس عن النظر وتحير . وسكره (بالتشديد) : حبسه .. ومن ذلك الآية « سكرت ابصارنا : حبست نص القاموس . ولما كانت غطيت وغشيت » حسب نص القاموس . ولما كانت الخمر تصنع بالبصيره — العقل — مثل هذا الصنيع بالبصر ، صار **(السكر)** — وينطق على اربعة اوجه — و (السكران) — زنة الخفقان — تعنيان ما تحدثه الخمر فى شاربها من ذهول العقل وما يصيبه من حيرة وغشيان . ثم اطلقت كلمة (السكر) — بفتحتين — على الخمر وكل ما يسكر ، كما اطلقت على الخل استعارة ، وعلى الغضب والغيظ لانهما يذهبان بالصواب ، وعلى الامتلاء والطعام ربما لان الاكثار منه يسبب كلال الذهن ــا تغطيته !

فبعد ان عرفنا كيف نبتت الكلمة وتطور معناها من الاغلاق الى ذهوب العقل لا داعى الى الظن بأنها مستعارة من لغة اخرى .

السكر (زنة الفكر) :

ما سد به النهر . أر : (سكورو — Skoro)

هذه الكلمة من معنى السد والاغلاق ايضا ، فقد قالوا سكرت النهر : جعلت له سدا ، مثل قولهم سكرت

الباب : سددته . وتدليلا على اثالة الكلمة نعيد القول انها من (**السك**) وهذه من « **الصك** » وكلها تعني السد ، وكانت فيما نرى تعني صفق الباب اى سده بشدة تحدث صوتا ، و (الصك) من « **الصبح** » اى صوت وقع الحديد على الحديد .

سكر الباب :

اغلقه . أر : (سكر — Skar) : اغلق

فعل (سكر) يجوز هنا نطقه بالتخفيف والتشديد. وكفانا تحدثنا عن الصك والسك والسكر ومنه التسكير

وهذه مادة لغوية واحده (سكر) استخرجوا منها اربع صيغ اعتبروها دخيلة فى العربية .

تسكن :

صار مسكينا.. أر : (اتمسكن — Etmasken)

لماذا ياترى لم يلاحظوا ان فعل (تمسكن) فى العربية اقرب الى الصيغة الارمية من (تسكن) — بتشديد الكاف — فذكروا البعيد واهملوا القريب ؟ مهما يكن فان المعنى جاء من **السكون** والهدوء فعلا . واقتران معنى السكون بمعنى الفقر يتضح طريقنا من لهجتين عراقيتين . فبالموصلية يقولون ان الولد (مسكين) بمعنى هادىء مسالم ، وكذلك يطلقون الكلمة على القط الهادىء وكل حيوان مسالم ، واما بالدارجة البغدادية فيستعملون كلمة (فقير) بنفس هذا المعنى وبمعنى المعوز ايضا ، فالكلمة عندهم مشتركة المعنى. على ان المعجم قد كفانا مؤونة الاستقراء والاستنباط فأوضح لنا كيف انتقل معنى السكون الى المسكنة والفقر حيث قال اسكن الفقر فلانا : قلل من حركته ! وقد فطن المعجميون الى اثل نشوء الكلمة فأدرجوا التمسكن والمسكنة والمسكين فى مادة (سكن) .

وان كان القائلون باقتباس الكلمة من الارمية قد اختاروا من العربية صيغة واحدة تعنى (صار مسكينا) فقد ورد فيها بهذا المعنى خمس صيغ هى : سكن (بفتح الكاف) سكونا ، وسكن « بضمه » سكونة ، وتسكن (بالتشديد) تسكنا ، وتمسكن تمسكنا ، واسكن اسكانا .

ومما يدل على سوء حال المعلم منذ الازل انهم كانوا يسمونه بالبابلية : **مسكينو !**

استكان :

خضع ، ذل . أر : (سكن — Saken) : افتقر .

الواقع ان كلا الفعلين (**استكان** استكانة) و (**استكن** استكنانا) يعنى الذل والخضوع . واستعمال (**سكن**) فى الارمية بمعنى الافتقار ناجم من تشابك المعنيين على النحو الذى رأينا .

سكان السفينة :

أر : (سوكونو — Sawkono)

الذى يبدو لنا ان الاثل هو (**السكين**) — بتشديد كسرة الكاف — اى المدية ، وهذه من (**السكة**) لان دفة السكان تتصل بالعمود الذى يديرها على نحو اتصال سكة المحراث بعموده .

السكين (زنة السكير) :

أر : (سكينو — Sakîno)

انها كالذى قلنا من (**السك**) الذى اثله (**الشق**) ، وتسمى باللاتينية Sica) كما قلنا مما يدل على ان السكين والسكة كانتا مترادفتين فى العربية ثم اختلف معناهما . وكنا ذكرنا كذلك فى بحث سابق — وفى كتابنا « مغامرات لغوية » — ان (السكين) تسمى بالسكونية (Seaxa) و (Seaxan) ومن هذه الثانية انبثق اسم السكسون — Saxon)

فلا جرم ان تظهر فى الارمية اقرب الى الصورة العربية (**سكينو**) .

السل (زنة التل) :

يحيلنا المؤلف على (النسلة) فيما يلى . فلنرجىء الكلام عنها الى حينئذ .

السلاء (زنة التفاح) :

شوك النخل . أر : (سلوو — Salwo) : شوك

(**الاس**) — بفتح الهمزة او كسرها او ضمها : الاساس ومبتدأ الشيء . ومنه نشأ (**الاسل**) — بفتحتين — الذى اطلق على نبات دقيق الاغصان طويلها وعلى الرماح . وواحدة الاسل (الاسلة) تعنى كذلك راس اللسان على قول المعجم ، الا انها فى الواقع راس كل شيء حاد من رمح وغيره . ومهما يكن فقد نشأ منها (**السلاء**) موضوع كلامنا الذى اطلق على الشوك عامة اول الامر ، وقد دخل الارمية بهذا المعنى ، ثم تخصصت بشوك النخل فى العربية ، وواحداته (السلاءة) — كالرمانة — التى تعنى كذلك « اى نصل كشوك النخل » .

السلة :

ار : (سلتو — Salto)

السل (كالتل) **والسلة** « كالجبة » مترادفتان، شاء المؤلف ان يعتبرهما كلمتين فذكرهما منفصلتين ، بينما هما كلمة واحدة تذكر وتؤنث مثل النجم والنجمة والضفدع والضفدعة . ومهما يكن فان هاتين الصيغتين يبدو انهما قد نجمتا من (**الاسل**) — زنة العسل — وهو عيدان تنبت بلا ورق تنسج منه الحصر — بضمتين — جمع الحصير . ومعلوم ان السلة ليست الا حصيرا متعرا على شكل وعاء .

المسلة (زنة المظلة) :

هى الابرة الضخمة تخاط بها الجوالق ونحوها . سميت بهذا لانها (تسل) من النسيج بعد ادخالها فيه عند الخياطة ، أو لعل الكلمة مشتقة من (سلاء) النخل آنفا .

سلخ :

الخروف ونحوه : نزع جلده . ار : (شلح Chlah نزع ثوبه .

هذه اثلها من قولك **سل** الشيء واستله : انتزعه برفق . وقد نشأ منها : سلب وسلت وسلح وسلخ وسلغ وسلف وسلك .. ومنها كذلك شلحه تشليحا (عراه) ومما يؤيد ان « السلخ » من « السل » قول المعجم « سلخ الله الليل من النهار : استله » .

السلخ :

جلد الحية . وينطق بفتح السين او كسره . ار : (شلوحو — Chloho)

هو من نفس المادة اللغوية ، بمعنى نزع الثوب او الجلد . فقد قالوا سلخت المراة درعها : نزعته، **وسلخت** الحية : نزعت سلخها . والاثل (**السل**) كما رأينا .

السلسلة :

ار : (شيشلتو — Chichalto)

نظن التسمية قد تأتت من **الشلشلة** — بالفتح — وهى نزول الماء قطرات . والماء الشلشل (زنة المرمر) والمتشلشل : المتتابع التقطر ، والشليل : مجرى الماء فى الوادى ، او وسطه . ومنها انشل (بتشديد اللام) السيل : ابتدا فى الاندفاع قبل ان يشتد . والشلال (بالتشديد ايضا) معروف .

ثم ظهر من ذلك قولهم **تسلسل** الماء : جرى فى حدور (بضمتين) ، ثم صار السلسل والسلسال والسلاسل (زنة تماضر) : الماء العذب ، ثم **السلسبيل** : الماء العذب السهل المستساغ .

ومن تسلسل امواج الماء الجارى نشأ اسم (**السلسلة**) فيما نرجح ، تشبيها لحلقاتها بالامواج . ومن امثلة اقتران الموج بالتسلسل قول شوقى :

حلو التسلسل موجه ، وخريره
كأنامل مرت على اوتار

ومن بقايا تطورات السلسلة نجد فى الدارجة السورية (**سنسفيل** : الاجداد) : سلسلة نسب الاجداد وتقابلها بالدارجة الموصلية (**سنسلة** النسب) . وفيها ايضا (**السنسول**) : فقرات العجز .

ومن هذه الصيغة الاخيرة او نحوها نشأت فى الدارجة العراقية صيغة (**الزنجيل**) بمعنى السلسلة.

وهى على كل حال تظهر فى الفارسية بصورة **(زنجير)** وهى مستعملة فى بعض الدارجات العربية ايضا مما يجعلنا نتساءل هل هى الاثل ام الفارسية ؟! وينطقها بعض العرب (جنزير) .

السلطـة (زنـة السلعـة) :

سهم طويل دقيق . ار : (شولتـو ــ Cholto) سهم يرمى باليد او بآلة .

يبدو من استقراء افـراد اسرة الكلمـة ــ وكثير عديدها ــ انها من **التزلج والتزلق والتزلـم** .. التـى تعددت وتباينت معانيها . ونشأت علاقتها بالسهام من مثل قولهم **تزلج** السهم عن القوس : تزلق ، وسهـم زلوج : يتزلج عن القوس . ثم **الزلَم** (كالقلم) : السهم لا ريش عليه ، والمزلم (كالمظفر) والزليم من السهام: الذى اجيدت صنعته .

واذا انتقلنا الى مادة (**سلط**) نجد ان « السلط » ــ بفتح فكسر : النصل لا نتوء فى وسطه . ولعل هـذا منشأ تسميتهم السهم الطويل الدقيق (سلطة) .

السلطــان :

السلطة،حاكم دولة . ار : (شولطونو Choltono)

السلطان والسلطة من (**السيطرة**) وهـذه مـن (**السطر**) اى القطع ، فقد قالوا سطرة بالسيف : قطعه ثم سطرت الرجل : صرعته ، ومن ثم صارت المسطار (بضم الميم او فتحه ، وكلاهمـا يـؤنث) : الخمرة الصارعة لشاربها . ومن اخواتها سلقت الرجل: صرعته وبسطته على ظهره . ومن هذا او ما يشبهـه قالوا **سيطر** عليهم **وسوطر** وتسيطر بمعنـى تسلط . وقد اتفق للفيروز ابادى ان يجمع (السطر والسيطرة والتسلط) فى عبارة واحدة حيث قـال (**المسيطـر : المتسلط ، كالمسطر**) ــ بتشديد الطار . ويفهم مـن هذا ضمنا ان قولك سطرته تسطيرا يعنـى سيطرت عليه سيطرة وتسلطت تسلطا ، ولو انه لـم يصرح بذلك فى الكلام عن (سطـر) . ومـن نفـس الاسرة (السطو) : الهجوم والقهر .

وسطرك الشىء بمعنى قطعك اياه قـد جـاء من شطرته فعلى هذا يبدو ان (**شولطونو**) الارمية هـى المقتبسة من (**السلطان**) العربية .

سلـق المـرؤ :

صعد على حائط . ار : (سلق ــ Sleq)

اما هذا المعنى فقد جاء فيما يخيل لنا من الزلـج والزلق . ولا يسعنا تعقيب تطور المعنى فى كلمة واحدة او كلمتين لضياع الكثير من معانى الالفاظ فى اطـواء الماضى كما هو معلوم ، وبقاء اشارة منها فى بعضها . ونجد بزوغ معنى الصعود وتكامله فى اسرة الكلمـة مجتمعـة : زلــج ، زلـخ ، زلـــع ، زلــغ ، زلـق ، سلــع ، ثم سلــق .

فالزلج (زنة اليسر) : الصخور الملس ، ثم المكان **الزلــج** (بالفتـح) والزلخ « بفتح فكسر » : املس يتزحلق منه ، والزلخة (بضم ففتح مشددة) : المكان الذى يتزحلق منه الصبيان . ثم **الـزلـق** (بالفتـح) والزلاقة (بتشديد اللام) : موضع الزلق لا تثبت عليه قدم . ثم **زلعت** الشمس : طلعت ، **وزلـغ** النجـم او الشمس : طلع ، والنـار : ارتفعـت . **والسلطـوع** (كالعصفور) : الجبل الاملس .

فها هنا نرى كيف ينشأ معنى الطلـوع والارتفـاع تدريجيا من مختلف الالفاظ الناجم بعضها من بعض .

ومن مادة (**الزلف**) نجد المزالف : المراقى . وطبيعى ان المرقاة اى الدرجة انما تستعمل للصعود . ومـن معانى الارتفاع كذلك **سلع** : جبل بالمدينـة ، وجبـل لهذيل ، وسليع (بالتصغير) : جبيل بالمدينة يقال لـه عثعث ، والسلق (كالطلب) جبل عال بالموصل والسلع (كالصقع) فى الجبل : الشق .

فمن مجموع هذه المعانى يتضح كيف تكون معنـى الارتفاع والصعود اى تسلق الحائط ونحوه .

تسلـق الحـائط :

صعـد عليـه . ار : (اتسلـق ــ Etsalaq) صعــد .

هذه نفس الكلمة السابقة (سلق) بصيغة التفعيل مثلها صعد وتصعد ، حدر وتحدر ، نزل وتنزل ..

السـلاق (زنـة السمـاق) :

« عيد صعود السيد المسيح » . ار : (سولوقو ــ Soûloqo) : صعـود .

وهذه ايضا نفس الكلمة . لكن بما ان المعنى هنا ديني نصراني فالصيغة سريانية ، من مادة عربية .

السلوقية :

« مقعد الربان في السفينة » . أر : (سولقتو — Soûloqto) : « ارتفاع . السلوقية مرتفعة ».

هذه ايضا من نفس المادة والمعنى . وتوجد معان اخرى في هذه المادة العربية لم يذكروها لانهم لم يجدوا لها مقابلا في الارمية .

السم :

« ماده تسبب الموت بدخولها الجسم » . أر : (سم Sam) تدخل تحت مادة (س م) في المعجم العربي معان كثيرة عجيبة متباينة ترجع الى اصول لغوية مختلفة . ولعل اثل (السم) بالمعنى الطبي هو (الشم) لانهم كانوا وما زال بعض العامة ولا سيما القرويين يعتقدون ان شم بعض الروائح يسبب المرض او الموت للوليد الرضيع انسانا كان او حيوانا . بل انهم يظنون ان بعض الروائح تضير المريض حتى من الكبار . لهذا لا نستبعد ان يكون الشم هو اثل السم، مع تغيير طفيف في المعنى . ومن امثلة تسرب الشم الى مادة (السم) اللغوية قولهم فلان « اسم الانف » — بالسين المهمل — بمعنى ضيق المنخرين ، من قولهم (اشم الانف) : المرتفع اعلى انفه ، مع هذا التحريف غير الطفيف في المعنى .

اسمال (زنة اشماز) :

هزل . أر : (سمعلو — Sam'elo) : اهزله بتقشف حياة نسكية .

يبدو ان اثلها **السل** ، فقد قالوا (سل) — بالفتح : هزل وابتلى بداء السل . و (السل) يعني الهزال بدون داء ، كما يعني الداء الرئوي المعروف . ومنه (**سمل**) الثوب : اخلق وبلى . وكما صاغوا «ازبار» من « زبر » مثلا صاغوا (**اسمال**) من « سمل » وقد صاغوا منها كذلك (**صمل**) الشيء : يبس ، و (**الصمير**) : الرجل اليابس اللحم على العظام . و (**المسمور**) القليل اللحم الشديد العصب . وربما كان من هذا القبيل (**ضمر**) : هزل ودق وقل لحمه .

وتبدو الكلمة عربية مبنى ومعنى بالرغم من استعمالها في الارمية بمعنى ديني .

السامور :

الماس . أر : (شومورو — Chomoûro)

ويسمى بالعربية كذلك (**الشمور**) — كالتنور — ولعله الاثل ، وكان اولى بهم ان يظنوها الصيغة المقتبسة ، بدلا من (السامور) - وربما كان الاثل البعيد لكليهما (**الجمر**) وواحدته الجمرة : النار المتقدة او الحصاة . والجمرة بالعراقية تعني القطعة من الحطب المشتعل التي اذا اطفئت صارت فحمة . ويظهر ان هذا سبب اطلاقها على الحصاة .

ومن (الجمر) اشتق (**الجرم**) : الجسم ، وزنا ومعنى . وجرم لون الشيء : صفا . وربما سمي الماس (جرما) اول الامر لصفاء لونه . وربما نشأت كلمة (ماس) ايضا من نطق (سامور) مقلوبة ومحرفة .

واية كانت الحال لا نجد ما يدل على ان العربية هي المقتبسة .

السمور (زنة التنور) :

« حيوان يشبه ابن عرس » . أر : (سمورو — Samoûro

اذا لحظنا ان لون هذه الدابة احمر مائل الى السواد سهل علينا ان نبصر ان اسمها جاء من لونها اي (**السمرة**) وهي معجميا : بياض مائل الى السواد ، وتأثيليا : (**الحمرة**) . وقد كانت الحمرة اصلا تعني الحرارة اولا ثم لما كانت الحرارة تسبب احمرار الحطب اي الجمر ، ثم اسوداد الفحم ، نشأت منها السمرة : وكما اجتمعت الحمره بالسواد هنا وفي لون السمور يحق لنا ان نندهش قليلا اذ نجد الدارجة المغربية تحتفظ بالعلاقة بين هذين اللونين لانها ما زالت تسمى الانسان الشديد السمرة (أحمر) ! .. وهي من عهد ما قبل الفصحى ..

ومن اسم (السمور) نشأ اسم (السنور) فيما نعتقد وهو من اسماء القط ... الشبيه حجما وشكلا بالسمور .

السمسار :

ار : (سمسورو — Semsoûro)

الاثل هو (**السفسار**) و (**السفير**) اللذين سبق الكلام عنهما ، بدليل ان السمسار الذى هو المتوسط بين البائع والمشترى يطلق كذلك على « السفير بين المحبين » — على تعبير مجد الدين .

السمسرة :

اجرة السمسار . ار : (سومسورو — Soûmsoro)

السمسرة فى العربية حرفة السمسار او اجرته . يقال فى تأثيلها ما قلنا فى السمسار .

السماق (زنة التفاح) :

شجر . ار : (سوموقو — Sawmoqo)

الكلمة عربية يبدو انها لا ريب فيها . **سمق** — زنة سبق — النبات : علا وطال فهو (سامق) و (سمق) — بفتح فكسر .

ويسمى (**السماق**) بالعربية كذلك (**السموق**) — زنة الرسول — وهذه الصيغة تعنى الفاعل اى السامق ، ما يشير بوضوح الى علة التسمية . ويجوز ان تكون الكلمة اطلقت اولا على شجر باسق ما ثم انتقلت الى شجر السماق ذى الثمر الدقيق الحامض .

ومن اخوات سمق : **سمك** فهو سامك : ارتفع ، والسميك والمسموك : الطويل ، وكلتا اللفظتين اثلهما **سما** يسمو ، من **شما** يشمو ، من **شم** ... وكلها يعنى : ارتفع .

المسماك :

« خشبة تدعم خيمة » . ار : (سمك — Smak) دعم .

سمك الشىء : ارتفع ، وسمكته : رفعته ، والسماك — بالكسر : ما يسمك به الشىء اى يرفع . ومن ذلك سميت السماوات : المسموكات . ولو سألنا القارىء بعد هذا عن معنى (**المسماك**) لقال انه صيغة قياسية لاسم آلة السمك اى الرفع . فلا جرم ان يكون الاعربون قد اطلقوها على العود الذى يسمكون به الخباء او نحوه . ومن هذا وامثاله صارت (سمك) تعنى الدعم بالارمية .

السنان :

نصل الرمح . ار : (شنونو — Shnono)

اصل الحكاية من (**اللسع**) ! ولنتناول اولا علاقته (**باللسان**) للوصول الى (**السن**) . قالوا لسنته العقرب : لسعته ، ولسع فلانا بلسانه : عابه وآذاه بالكلام . واذا استصعب القارىء ادعاءنا بابدال العين نونا بين (لسع) و (لسن) قلنا ان الاقدمين قالوا ايضا لسبته الحية ، ولسب فلانا بلسانه ..

وقد نبطت من اللسع الفاظ اخرى لا حاجة الى التوسع فى عرضها . فمما تقدم نشأ (**اللسان**) ، ومنه نشأت (**السن**) حيث قالوا سن فلانا : عضه بأسنانه ، او طعنه بالرمح . واسن الصبى : نبتت اسنانه . ويبدو ان اول عضة يمارسها الانسان الناكر الجميل هى عض الثدى الذى ارضعه حالما تنبت اسنانه .. وكأنما سموها (السن) رجوعا بالمعنى الى لدغ العقرب والحية . وما زالوا بالدارجة البغدادية يقولون عن الصبى العضاض : يلدغ ! ومن السن نشأ (**السنان**) فقد قيل سن فلان الرمح : ركب فيه السنان .

حتى لو لم يكن هذا تأثيل الكلمة فعلا لا نجد مبررا لاعتبارها سريانية المنبت لمجرد وجودها فى السريانية

سنبل الحنطة ونحوها :

ار : (سبلو — Seblo) **من (سبل** — Sbal) حمل .

قالوا (زب) المرء يزب زبا (من باب صب) بمعنى كثر شعر وجهه واذنيه . و (الازب) — زنة الاصح : الاشعر ، ومؤنثه : الزباء .

وانتقل معنى الشعر الى مادة (س ب) حيث تكونت (السبيبة) و (السبيب) بمعنى الخصلة من الشعر ، وهما من الفرس : شعر الناصية والعرف والذنب . ثم ظهرت مادة (س ب ل) التى نجد الشعر من صيغها فى (**السبلة**) ــ بفتحتين : شعر الشارب وهى تنطق فى الفارسية (**سبيل**) و (**سبل**) ــ بفتحتين ــ بنفس المعنى .

وبسبب الشعر فى سنابل القمح شبهوها بالشارب فأطلقوا (**السبلة**) على سنبلة القمح ايضا ، ومنها ظهرت فى الارمية . ومن الغريب ان اللغويين الارميين قالوا (**السنبلة**) **هى المقتبسة** من (سبلو) الارمية بدلا من ان يظنوا ان المقتبسة هى (السبلة) لانها اشبه بها مبنى .

والسبلة نطقها العرب كذلك : (**السبولة**) ــ بالفتح ــ و (**السبولة**) ــ بضمتين وربما من هذه الاخيرة نجمت صيغة (**السنبلة**) ــ زنة لؤلؤة .

وبعد هذا ظهرت صيغة زبل بمعنى الحمل عن طريق النمل فيما يخيل لنا منذ قالوا (**الزبال**) ــ بالكسر او الضم : ما تحمله النملة بفمها . ولعل هذا قد نشأ مما يسرقه النمل من قمح الحصاد ، وعجيب ان هذا المعنى البدائى الاقدم قد عاش حتى التقطته المعاجم قبل ان يضيع . ومن ثم قالوا زبلت الشىء ــ بالفتح : احتملته ، اى حملته وذهبت به كما تفعل النملة اللصة . وكثيرا ما تكون القمحة حين تزبلها ــ زنة تحملها ــ او تزدبلها النملة عند الحصاد ما تزال داخل غلافها ، قبل التذرية ، بل قد تزدبل النملة كسرة من السنبلة . نرجح هذا لان الهنة المزبولة تكون عندئذ كبيرة الحجم بيضاء اللون يراها المرء من مسافة بعيدة نسبيا وهى تسير مترنحة على الارض المضرسة، فيعلم ان ثمة غلة لا يراها هى التى تحمل هذا الحمل الثقيل الذى يفوقها حجما ووزنا . ومن هذا اطلق (الزبل) اول الامر على ما يشبه هذا الزبال من نفايات القش والتبن ونحو ذلك حتى يشمل كل النفايات التى تظهر فى المعجم فى صيغة (المزبلة) التى تلقى فيها اصناف النفايات . اما معنى الحمل فنجده فى صيغة (الزنبيل) ــ بالفتح او الكسر ــ التى نطقت اولا (الزبيل) ــ زنة السعيد او الكسير ــ وكلتاهما تعنى القفة او الوعاء او الجراب . والزنبيل بمعنى بالعراقية وبعض الدارجات الاخرى السلة ذات العروتين تحمل بهما .

وكانت صيغة (زبل) بمعنى الحمل تنطق بالسين (سبل) فى اكبر الظن ثم انقرض هذا النطق بهذا انها ظلت تنطق بالسين فى الارمية بمعنى الحمل المعنى وتخصصت به صيغة (زبل) . يؤيد هذا ايضا والسنبلة معا ، كما رأينا .

لكن لا بد لنا ان نلفت نظرهم الى ان هذا التأثيل ينبىء ان صيغة **سبلتو** (السنبلة) بالارمية ليس اثلها **سبل** (حمل) لاختلاف معناهما . وانما جرى التأثل وتطور المعنى فى العربية على النحو الذى رأينا ثم دخلت الصيغتان جاهزتين الى الارمية كل منهما بمعناها النهائى .

السنبل :

نبات طيب الرائحة . ار : (سنبول ــ Sanboûl) بعض الازهار تكون عنقودية متجمعة على عودها، ومتدرجة مثل حبات سنبل القمح ، ونخمن ان الاسم اطلق من اجل ذلك على نبات من هذه الطائفة . واختلاف صيغتها الارمية (**سنبول**) عن (**سبلو**) اى السنبلة التى تقدم ذكرها يدل على اقتباسها جاهزة من (السنبل) بعد تطورها فى العربية .

السنة :

ار : (شاتو ــ Chato) من (شنو ــ Chno) تحرك .

اثلها (**السن**) . ولما كانت اعمار بعض الدواب تمكن معرفتها من فحص اسنانها صارت (السن) تعنى العمر ايضا . ثم لما كانت الاعمار تقدر بالسنين نشأت صيغة (**السنة**) بمعنى الحول الذى سمى بذلك من دوران السنة (حول) نفسها ، والحجة من عودة موسم (الحج) كل سنة .

السندان :

المؤلف يحيل القارىء على (السدان) آنفا ــ الذى سلف الكلام عن تأثيله فى العدد الماضى ــ ونحن نؤيد هذه الاحالة .

ــ يتبع ــ

عبد الحق فاضل

القرائن النحوية

واطراح العامل والاعرابين التقديري والمحلي

الدكتور تمام حسان

اجرى المكتب الدائم مسابقة بين العلماء العرب فى موضوع لغوى فحاز الدرجة الاولى الدكتور تمام حسان استاذ النحو بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وهذه المسابقة هى الثانية من نوعها مما يتقدم به المكتب عادة كل عام تقريبا ، وقد مولتها هذا العام دولة الكويت وصرف للفائزين الاول والثانى والثالث المكافآت المنصوص عنها فى الاعلان الذى دعا العلماء الى خوض غمارها وقد اشرنا اليها فى الاعداد السابقة ، ونحن ننشر فيما يلى الرسالة الفائزة بالدرجة الاولى وسنلخص الرسالات التالية بعدها ان شاء الله ويهنئ الاستاذ الفاضل الدكتور تمام بهذا الفوز الذى لم يكن غريبا عنه كما نهنئ الاساتذة الذين نجحوا بعده فى الدرجتين الثانية والثالثة [illegible] متابعة خدمة لغتنا متابعة مستمرة لنرى اجيالنا الصاعدة تحدى تراثها وتوثيقه [illegible] على السير مع سائر اللغات فى حلبة التقدم الحضارى والانسانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الذى يرتضيه طلاب الدراسات اللغوية المعاصرة ان اللغة منظمة عرفية رمزية ترمز الى نشاط المجتمع وتوجد لتجاربه الكلمات الدالة على هذه التجارب كما توجد الانظمة التى تنسق العلاقات بين الكلمات حين تنتظمها الجمل . واذا كانت اللغة منظمة تشتمل على انظمة فما اشبهها اذن بالجسم الانسانى الذى نعرف انه جهاز اكبر مكون من اجهزة فرعية . والمعروف ان الجسم الانسانى جهاز حيوى واحد ذو وظيفة معينة هى تحقيق الوجود البيولوجى للانسان ولكن هذا الجهاز الحيوى الواحد مركب من اجهزة فرعية كالجهاز الهضمى والجهاز العصبى والجهاز الافرازى والدورة الدموية والجهاز التنفسى وهلم جرا . ولكل واحد من هذه

الاجهزة وظيفة معينة يمكن لطلاب وظائف الاعضاء ان يوضحوها ويحللوها كما لو كانت مستقلة عن بقية الوظائف التى تؤديها الاجهزة الاخرى فى الجسم وذلك أمر تسمح به طبيعة الرغبة فى تنظيم المعلومات وتنسيقها فى ابواب وفصول وعلى الرغم من ان هذه الاجهزة الفرعية فى جسم الانسان يتوقف عمل كل واحد منها على عمل الاجهزة الاخرى فلا يعقل ان يؤدى اى جهاز مفرد منها عملهوهو مستقل عن بقيتها . ومعنى هذا ان هناك تنسيقا فى العمل يتم بين هذه الاجهزة التى يتكون منها الجهاز الحيوى الاكبر وهو جسم الانسان ويمكن ان نسمى هذا التنسيق فى العملتنسيقا فى اداء الوظيفة .

وكما راينا جسم الانسان جهازا مركبا من اجهزة متعددة نرى اللغة منظمة مركبة من انظمة اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى . والفارق الاساسى بين جسم الانسان واللغة ان هذا جهاز حيوى وهذه جهاز رمزى عرفى وان الاول يتم به تحقيق الوجود البيولوجى للانسان والثانى يتحقق به وجوده الاجتماعى وكما ان الضرورات العملية تفرض على طلاب وظائف الاعضاء ان يتناولوا اجهزة الجسم الانسانى بالدراسة مستقلا بعضها عن بعض يتعين على طلاب اللغة ان يفترضوا استقلالا فى الذهن لا فى الحقيقة لكل نظام من انظمة اللغة يسهل به تناوله . ذلك بأن التقسيم والتبويب هما ملاك النشاط العلمى فى كل المجالات وليس مجال اللغة بدعا فى ذلك . ولولا التقسيم والتبويب لظلت الحقائق المفردة مستعصية على الدرس لكثرتها وتشعبها ، ولاستحالة الاستقراء التام فى مجال العلم حتى لقد عدل العلماء عنه الى الاستقراء الناقص وجعلوه اساس المناهج الحديثة .

النظام الصوتى :

قلت ان الانظمة اللغوية اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى واضيف هنا ان لكل واحد من هذه الانظمةابعاده ومكوناته التى لا بد للباحث ان يذكرها دائما عند تناوله لنظام منها بعينه . فأما النظام الصوتى فقوامه ما دلت عليه الدراسة الصوتية الحسية Phonetics من تحديد مخارج الاصوات وصفاتها بواسطة الملاحظة والتجربة ثم ما يقوم من اوجه المخالفة المتعلقة بتحديد المعنى وهى القيم الخلافية Differencial Values بين كل مخرج ومخرج وكذلك بين كل صفة وصفة حتى يستطيع ان يتصدى لتحديد النظام الصوتى Phonological System للغة او يقيم هذا النظام على القيم الخلافية بين الاصوات وفهم كل صوت منها باعتباره جزءا من نظام كلى يمكن تقسيمه الى وحدات يضم كل منها عددا من الاصوات المترابطة من حيث اتحادها فى المخرج او الصفة وكونها متخالفة من ناحية اخرى على احد هذين الاساسين . ويحسن هنا ان نضرب مثلا بالاصوات النونية فى الكلمات الآتية :

ينفع — ينظر — انت — انا — ينشأ — من كان — ينتذ — من وجد . فهذه الاصوات وان اتفقت جميعا فى صفة النونية التى تتمثل فى الغنة الانفية تختلف من حيث مخارجها فصوت النون فى « ينفع » اسنانى شفوى وفى « ينظر » اسنانى فقط يخرج فى نطقه اللسان كما يخرج فى نطق الظاء تماما وفى « انت » اسنانى لا يخرج اللسان فى نطقه اذ مخرجه داخل الثنايا وفى « انا » لثوى ينطق فى مغارز الاسنان وفى « ينشأ » غارى ينطق فى نطع الغار وفى « من كان » طبقى ينطق فى مخرج الطبق وهو الحنك الرخو الذى فى مؤخر سقف الفم وفى « ينتذ » لهوى ينطق فى اللهاة وهى مخرج القاف وفى « من وجد » لا ينطق فى واحد من هذه المخارج وانما يصير كالواو مع خروج الهواء فى النطق من الانف والفم جميعا . ولكن هذه الاصوات النونية جميعا تنتظمها وحدة بعينها من وحدات النظام الصوتى للغة هى « حرف النون » وبذلك نفهم الفرق بين الصوت والحرف فالصوت عملية نطقية والحرف وحدة ذهنية من وحدات النظام الصوتى اى ان الحرف يفهم ولا ينطق على حين ينطق الصوت الذى هو فرع الحرف .

بقى ان ننظر كيف يستطيع طالب اللغة ان ينشىء النظام الصوتى من مجموع الاصوات التى عرفها بالملاحظة والتجربة . هنا يأتى دور القيم الخلافية او الفروق بين الحروف من حيث المخارج والصفات . فالقاعدة الذهبية هنا هى انه لا بد ان يكون هناك فارق فى المخرج او فى الصفة او فيهما جميعا بين كل صوت وصوت آخر فلو اتفقا فى كل شىء لصارا صوتا

واحدا ولم يعد هناك وجه لاعتبارهما صوتين مختلفين. فاذا استقر ذلك فى ذهن الطالب فعليه بعد ذلك ان يربط هذا التفريق بالمعنى ربطا محكما . فاذا فعل فسيجد ان من الحالات التى تصادفه ما يتعذر فيه على صوت ما ان يحل فى الكلام محل صوت آخر وان من الحالات ما يمكن معها لصوت معين ان يحل محل صوت آخر فى كلمة بعينها فيتغير معنى الكلمة تبعا لهذا « الاستبدال » . والقاعدة الاساسية فى ذلك ان الصوتين اذا لم يحل احدهما محل الآخر يعتبران اخوين فى نطاق وحدة من وحدات النظام الصوتى . اما اذا حل احدهما محل الآخر مع تغير فى معنى الكلمة فهما من حرفين مختلفين والمثال الذى نضربه لايضاح ذلك يعود بنا مرة اخرى الى الاصوات النونية التى اشرنا اليها من قبل حيث نلاحظ ان اى صوت من هذه الاصوات النونية التى وردت فى غير كلمة « انا » من الكلمات السابقة لا يمكن ان يتم نقطه فى كلمة « انا » بمعنى ان صوت النون فى «انا» لا ينطق بالشفة مع الاسنان مثلا ولا يخرج فيه اللسان ولا ينطق فى اللهاة الخ . ومعنى ذلك ان بين صوت النون فى « انا » وبين بقية اصوات النون الاخرى تخارجا من حيث الموقع الواحد فلا يحل احد اصوات النون فى كلمة محل واحد آخر من اصوتها وبذلك نفهم من هذا « التخارج » ان جميع هذه الاصوات النونية تندرج تحت عنوان واحد هو « حرف النون » . اما اذا حاولنا ان نضع فى موضع صوت النون فى « انا » صوتا آخر كأحد اصوات اللام او الميم مثلا فاننا سنجد هذا الامر ممكنا مع تغير فى المعنى بحيث تصير الكلمة « الا » او « اما » وبذلك « الاستبدال » يصير صوت النون « مقابلا استبداليا » لصوتى اللام والميم ويمكن باختيار امثلة اخرى ان نفهم انه « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من « الحروف ».

وباستخدام طريقة الاستبدال التى تعتمد على الاختلاف فى المعنى كما تعتمد على القيم الخلافية بين المخارج بعضها وبعض وبين الصفات كذلك يستطيع الطالب ان يحدد الوحدات التى يتكون منها النظام الصوتى فى اللغة وهذه الوحدات هى الحروف فكل حرف فى النظام الصوتى للغة « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من الحروف وشرط كونه وحدة بعينها فى هذا النظام ان يكون كذلك .

النظام الصرفى :

اما النظام الصرفى للغة فانه ينبنى على ثلاث دعائم هى : المعانى الصرفية والمبانى الصرفية والفروق (القيم الخلافية) التى تكون بين المعنى والمعنى كما تكون بين المبنى والمبنى — وتنقسم المعانى الصرفية الى قسمين هما : معانى التقسيم ومعانى التصريف ولكل منهما مبانيه التى يعرف بها . فأما معانى التقسيم فهى معانى اقسام الكلم التى يتألف منها الكلام وهذه المعانى (كالاسمية والفعلية الخ) تعتبر حجر الزاوية فى النظام الصرفى للغة لان المبانى التى تدل عليها (كالاسم والفعل الخ) هى كبرى الاجزاء التحليلية فى هذا النظام وهى الاجزاء التى يمكن لامثلتها ان تحمل معنى مستقلا عند افرادها وعزلها عن سياق الكلام . اما ما اسميه معانى التصريف فهى المعانى التى يجرى بحسبها التفريق بين الصور المختلفة التى يتشكل بها قسم معين من اقسام الكلم كالتكلم الخ . والافراد الخ . والتذكير الخ والتعريف الخ . ولكل من هذه المعانى مبنى واحد او اكثر تدل عليه كالمتكلم الخ والمفرد الخ . والمذكر الخ والمعرف الخ . ومن الواضح ان هذه المبانى التصريفية لا يمكن افراد امثلتها عن الكلام على نحو تستقل معه بمعانيها كما يستقل الاسم او الفعل او الحرف بمعناه اى ان امثلة هذه المبانى التصريفية لا تحسب فى عداد المفردات كما تحسب امثلة الاسم والفعل والحرف .

وعند النظر فى الاسس التى يتم بها تقسيم الكلم نلاحظ ان هذا التقسيم لا ينبنى على اساس واحد وانما تتعدد جهات التفريق بين قسم وقسم وتتفرع الى فروق تتعلق بالمعنى واخرى تتعلق بالمبنى . وحين قسم النحاة العرب الكلم الى ثلاثة اقسام حاولوا راشدين ان يبنوا هذا التقسيم على الاعتبارين السابقين (المعنى والمبنى) فأما محاولة البناء على المعنى فتبدو فى قولهم : « الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما دل على معنى فى غيره) . واما محاولة بناء التقسيم على المبنى فتبدو مثلا فى قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال
ومسند للاسم تمييز حصل
بتا فعلت واتت ويا افعلى
ونون اقبلن فعل ينجلى

سواهما الحرف كهل وفى ولم ....

فاذا اردنا ان نحدد المعانى والمبانى التى يتم تقسيم الكلام بها وجدناها كما يلى:

ا — المعانى :	ب — المبانى :
المسمى	البنية
الحدث	الصورة الاعرابية
الزمن	التضام
التعليق	الرتبة
معنى الجملة	الالصاق
	الجدول
	الرسم الاملائى

وفى رأيى ان التقسيم الذى ورثناه عن النحاة العرب بحاجة الى اعادة نظر بل الى محاولة جديدة لتقسيم جديد مبنى على الاسس المذكورة . ولقداعدت النظر فى هذا التقسيم فعلا فوصلت الى ان الكلم العربى ينقسم الى سبعة اقسام هى :

الاسم — الصفة — الفعل — الخالفة — الضمير — الظرف — الاداة . وسأحاول فيما يلى ان افرق بين كل واحد من هذه الاقسام وبين ما سواه مشيرا الى حقيقة هامة جدا هى ان المبنى الدال على معنى اى على قسم من هذه الاقسام ربما نقل من الدلالة على معناه الذى يدل عليه بحسب التقسيم الى معنى آخر بحسب العرف الاستعمالى للغة كأن ينقل الفعل من الفعلية الى الاسمية كما فى « يزيد » و « يشكر » وكما ينقل الاسم المبهم الى الظرفية كما فى « يوم الجمعة » و « ثلاث ساعات » وكما ينقل حرف الجر الى الظرفية كما فى « مذ » و « منذ » والموصول الى معنى اداة الشرط او الاستفهام كما فى « من » و « ما » و « اى » الخ .

الاسم : يمكن فهم المقصود بالاسم من التخطيط التالى :

الاسم
- اسم الذات
- اسم المعنى
  - مصدر
  - اسم مصدر
  - اسم مرة
  - اسم هيئة
- اسم الجنس
- الاسم المبهم
  - ما احتاج الى تخصيص بوصف او اضافة الخ كأسماء الاوقات والمقادير والعدد الخ
- الميميات
  - اسم الزمان
  - اسم المكان
  - اسم الآلة

ويمتاز الاسم بما يلى :

1 — قبول الجر لفظا وهذا القيد ان ادخل معه الصفات فانه يخرج الضمائر والظروف لانها لا تجر ولو كان الجر محلا هو الدليل على الاسمية لاصبحت الجملة التى فى محل جر فى عداد الاسماء (علامة اعرابية) .

2 — الدلالة على مسمى وهذا يخرج الفعل اولا لانه يدخل على حدث وزمن كما يخرج الصفة لانها تدل على موصوف بالحدث ويخرج الضمير لانه يدل على مطلق الحاضر والغائب الخ (تسمية) .

3 — الاسم يكون مضافا ومضافا اليه وموصوفا وهذا يخرج الضمائر لانها تقع موقع المضاف اليه ولا تقع موقع المضاف ولا موقع الموصوف ابدا (تضام) .

4 — الاسم يكون مسندا اليه ولا يكون مسندا وهذا يخرج الصفة لانها تكون مسندا كما تكون مسندا اليه وربما تم لها ذلك فى موقع واحد من مواقعها كما فى قولك : جاء الباسم وجهه . اذ وقع « الباسم » مسندا اليه باعتبار « جاء » ومسندا باعتبار « وجهه » (تعليق) .

وهكذا نجد الاسم يتميز بخصائص معينة توضح لنا ان النحاة العرب حين اعتبروا الصفات والضمائر من الاسماء وقعوا فى مزلق التعميم وقد جرهم هذا فى كثير من الاحيان الى التورط فى مطالب التبرير والتخريج والتاويل وسنرى هذا واضحا فى الكلام عن ذكر خصائص الاقسام الاخرى للكلم العربى وبخاصة عند الكلام عن الصفات والضمائر والظروف .

الصفـــة : والمقصود بالصفات يتضح بما ياتى :

الصفـــة

- صفة الفاعل
- صفة المفعول
- صفة المبالغة
- الصفة المشبهة
- صفـــة التفضيـــل

وتمتاز الصفات بما ياتى :

1 — تقع مسندا ومسندا اليه كما سبق فتمتاز بذلك عن الافعال التى لا تقع الا موقع المسند والاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه . وهذه الخاصة من خواص الصفات تبرر القول بوجود جملة وصفية فى اللغة العربية تقف جنبا الى جنب مع الجملتين الاسمية والفعلية ويتضح ذلك فى اعراب « اقائم زيد » فالنحاة يرون ان كلمة « قائم » مبتدأ وان كلمة « زيد » فاعل ويلاحظ على ذلك امور :

الاول : ان المبتدأ والفاعل كليهما من قبيل المسند اليه وفى قول النحاة انكار لبناء الجملة لان الاسناد لا يتم بين مسند اليهما بل يتم بين مسند اليه ومسند .

الثانى : ان فى قولهم ان زيدا فاعل اعترافا بأن الصفات ليست اسماءلان الاسم عندهم لا يرفع فاعلا ولا ينصب مفعولا .

الثالث : ان فى اشتراطم اعتماد الوصف مع الفاعل والمفعول على نفى او استفهام او مخبر عنه او موصوف اعترافا بان الوصـــ [illegible] يؤديان دور جملة النفى او جملة الاستفهام وهما اصليتان او جملة الخبر او جملة الصفة وهما فرعيتان ومعنى ذلك ان الجملة الوصفية تصلح جملة اصلية وفرعية . والوجه فى رأيى ان اعراب الوصف لا ينبغى ان يكون بدعوى انه مبتدأ وانما يكون بانه صفة فاعل او مفعول الخ كما نصف الفعل فى الاعراب بانه فعل ماض او مضارع الخ (تضام — وكذلك معنى الجملة) .

2 تمتاز الصفات بأنها محددة الصيغ اكثر مما تتحدد صيغ الاسماء ويتضح ذلك عند ارادة التعريب ووضع اللفظ المعرب فى صورة يتقبلها الذوق والعرف العربيان اذ يلاحظ طلاب اللغة ان حرية صياغة الاسماء عند تعربها اكبر من حرية صياغة الصفات من الناحية الصرفية . اضف الى ذلك ان بعض الصيغ تستعمل للاسماء ولا تستعمل للصفات ولعل الاشمونى قد فطن للفرق بين الاسم والصفة حين تعرض لشرح باب التصريف من الفية ابن مالك اذ اشار الى هذه الحقيقة السابقة (بنيـــة) .

3 — وتمتاز الصفات عن بقية الاقسام السبعة ايضا من حيث الجداول الصرفية . والجداول الصرفية ثلاثة انواع اولها الجدول الالصاقى الذى نحاول به ان نرى ما تتقبله الكلمة من اللواصق الدالـــة على المعانـــى الصرفية كأداة التعريف تلحق الاسماء والصفات وكنون التوكيد تلحق الافعال وكنون الوقاية تلحق الافعـــال وبعض الادوات . وثانيها الجدول التصريفى الذى يبدو حين ننظر فى احد الافعال لنرى ما اذا كان مستكملا صوره الثلاث او ان الماضى او المضارع مثلا لا يأتيان منه وحين ننظر فى اسم فاعل مثلا لنرى هل تأتى مـــن مادته بقية الصفات اولا وثالثها الجـــدول الاسنـــادى الذى يسند فيه الفعل بصوره المختلفة الى الضمائر ليرى وجه التغير فيه [illegible]

فالاسماء تدخل جداول الالصاق فقط والصفات تدخل جداول الالصاق والتصريف والافعـــال تدخـــل هذيـــن النوعين كما تدخل جداول الاسناد . وانمـــا قلت ان الصفات لا تدخل جداول الاسناد لان هذا النوع مـــن الجداول لا تتغير فيه بنية الصفات باعلال او ابـــدال الخ . كما تتغير بنية الافعال ومن ثم لا يفيدنا وضـــع الصفة فى جدول اسنادى اية فائدة لاغراض التحليل اللغوى . (جـــدول) .

4 ــ سبق ان اشرت الى ان الصفات تـدل على موصوف بالحدث . اى انها لا تدل على مسمى كما تدل الاسماء ولا على مطلق الحدث كما تدل المصادر من بين الاسماء ولا على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا على مطلق الغائب والحاضر كما تدل الضمائر ولا على ظرفية كما تدل الظروف ولا على علاقة كما تدل الادوات وبذلك تمتاز الصفات عن بقية الاقسام (مسمى ، حدث ، زمـن) .

الفعل : والفعل ثلاثة انواع : ماض ومضارع وامر ولكل من هذه الثلاثة صيغته الخاصة التى تتعدد بين التجرد والزيادة كما ان له معناه الزمنى الصرفى الخاص الذى يتمثل فى الشكل الآتى :

الـزمـن

المـاضى	المضـارع	الامـر
المضى	الحال او الاستقبال	الحال او الاستقبال

هذا هو النظام الزمنى الصرفى فى اللغة العربيـة ومنه يبدو ان المضى خالص لصيغة الفعل الماضى وان الحال والاستقبال هما المعنيان اللذان يفهمان من المضارع والامر فلا يعين النظام الصرفى احدهما لاحدهما اذ لا يكون هذا التعيين فى الزمن الصرفى الذى هو معنـى الصيغة المفردة وانما يكون تعيين الزمـن للفعـل بواسطة عدد من القرائن فى السياق النحوى ولا مجال لذكرها الآن . ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الزمن الصرفى والزمن النحوى على الوجه التالى :

الـزمـن

فى النظـام	فى السياق
زمـن صرفى للصيغـة المفردة وهـو بسيـط ومطلق كما يتضح مـن الشكل المبين فوق هذا الكـلام .	زمن نحـوى تحـدده القرائن فى السياق وهو مركب ومقيد بالقرائـن المـذكـورة .

ويمتاز الفعل عما عداه من انواع الكلم بما يأتى :

1 ــ يختص الفعل بتقبول الجزم (وهذا فى المضارع من الافعال) فلا يشاركه فى ذلك قسم آخر من اقسام الكلم (علامة اعرابية) .

2 ــ للافعال صيغ خاصة بها تختلف عن صيـغ الاسماء والصفات وهى قياسية ومحفوظـة فى كتب الصرف (بنيـة) .

3 ــ تقبل الافعال الدخول فى كل انواع الجداول بخلاف الاسماء التى لا تدخل الا الجداول الالصاقية وبخلاف الصفات التى تدخـل الجـداول الالصاقيـة والتصريفية دون الاسنادية (جدول) .

4 ــ تمتاز الافعال عن بقية الاقسام بقبول عـدد من اللواصق لا تلصق بغيرها كضمائر الرفع المتصلة وضمائر النصب المتصلة والسين ولام الامر وحروف المضارعة ونون التوكيد وتاء التأنيث المفتوحة (جدول ــ شكل املائى ــ الصاق) .

5 ــ تمتاز الافعال بدخول بعض الضمائم عليهـا مثل قد وسوف ولم ولن ولا الناهية مما لا يدخل على غير الافعال من الاقسام الاخرى للكلم (تضام) .

6 ــ تدل الافعال على حدث وزمن على النحو الآتى:

الفـعـل

الحـدث	الـزمـن
وهـو معنـى المصـدر ويؤخذ من خصوص اصل المادة الاشتقاقية . (معجـم)	وهـو معنـى الصيغـة الخاصة ويؤخـذ مـن الجدول التصريفى للمادة (صـرف) .

اما الاسماء فتدل على مسميات حتـى ان المصدر حين يدل على الحدث المطلق انما يتخذ هذا الحـدث المطلق مسمى له ومن هنا اطلق طلاب اللغـة على المصدر « اسم الحدث » وقال فيه ابن مالك :

المصدر اسم ما سوى الزمان من
مدلولى الفعل كأمـن مـن امن

واما الصفات فتدل على موصوف بالحدث عن طريق الفاعلية او المفعولية او المبالغة او مطلق ثبوت الوصف او التفضيل (مسمى ــ حدث ــ زمن) .

7 ـ لا تقع الافعال من الجمل الا موقع المسند ومن ثم تختلف عن الاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه وعن الصفات التى تقع الموقعين جميعا كما سلف .

وبهذه الخصائص تتفرد الافعال بقسم خاص من اقسام الكلم العربى من حيث المعنى ومن حيث المبنى.

الخالفة : والخوالف عبارات افصاحية اى تستعمل فى الافصاح عن موقف للمتكلم من امر ما ومن ثم كانت الجملة التى تبنى على هذه الخوالف جملا انشائية فى معناها ولكن ما تدل عليه من معنى الانشاء يبدى طابعا خاصا شبيها بما يسمونه فى الانجليزية Exclamation . وهذه الخوالف اربعة انواع :

1 ـ خالفة التعجب نحو ما احسنه واحسن به .

2 ـ خالفة المدح او الذم نحو نعم زيد رجلا وبئس هند امراة .

3 ـ خالفة الاخالة نحو هيهات ما تريد واوه وصه .

4 ـ خالفة الصوت نحو كخ للصبى .

والاستعمالات التى ترد فيها هذه الخوالف جزء لا يتجزأ من اللغة الانفعالية او العاطفية التى يطلق عليها طلاب اللغة فى الغرب Affective Language وربما شاركها فى ذلك الندبة والاستغاثة والعبارات الاخرى الدالة على الاستحسان والاستهجان .

واذا نظرنا الى صيغتى التعجب وجدنا ان دعوى فعليتهما تحتاج الى كثير من النظر لانهما لا تقبلان علامات الافعال ولا تدخلان فى الجداول المختلفة كما تدخل الافعال فلا ترفعان الفاعل ولا تدلان على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا توصفان بالتعدى واللزوم كما توصف الافعال . وعندى ان هاتين الصيغتين ذواتا رحم وقربى تصل بينهما وبين صفة التفضيل سواء من حيث المعنى ومن حيث المبنى . فأما من حيث المعنى ففى التعجب دلالة على تفضيل المتعجب منه على ما كان من قبيله ولم يبلغ مبلغه واما من حيث المبنى فيكفى للاشارة اليه ان نذكر قول ابن مالك :

صغ من مصوغ منه للتعجب
افعل للتفضيل وأب اللذ أبى

ولا تخطىء النظرة الفاحصة ان ترى وجه الشبه فى الصيغة بين « افعل » للتعجب و « افعل » للتفضيل وان افترقت الصيغتان اعرابا وبناء . والذى نرمى اليه بهذه المناقشة ان نزعم أن صيغتى التعجب لا تتعان فى عداد الافعال . ولا شك انهما ليستا من الصفات ايضا لعدم قبولهما علامات الصفات ومن هنا لا يبقى لهما الا ان تنتميا الى قسم آخر من اقسام الكلام .

وخالفتا المدح والذم ايضا ابعد ما تكونان عن الفعلية لعدم ورودهما على صيغ الافعال واوزانها ولعدم دلالتهما على الزمن والحدث ولعدم قبولهما الدخول فى جدول يسندان فيه الى ضمائر الرفع المتصلة كما تسند الافعال ولعدم قبولهما ان تدخل عليهما قد والسين وسوف ولم ولن وبقية ما يدخل على الافعال ولورودهما فى النصوص العربية مع حروف الجر ولان الأسم الدائم الرفع بعدهما لا يعرب فاعلا وان مرفوعهما الذى تدعى له الفاعلية قد ينصب على التمييز فلا يكون لهما فاعل . ومن هنا يصبح فى القول بفعليتهما بعض التعسف ويصبح من الافضل فيهما ان يعتبرا من قسم آخر من اقسام الكلم غير الافعال .

والذى قلته من وجوب اخراج خوالف التعجب والمدح والذم من عداد الافعال يصبح اكثر وضوحا فى محاولة اخراج خوالف الاخالة (اسماء الافعال) من عداد الاسماء لعدة اسباب منها ان النحاة دائما يفسرونها بالافعال فيقولون ان شتان بمعنى افترق وهيهات بمعنى بعد واوه بمعنى اتوجع وصه بمعنى اسكت ومنها ان هذه الخوالف لا تقبل علامات الاسماء ولا علامات الصفات ولا الافعال ولا غيرها وانها عبارات جارية مجرى الامثال Idioms فلا تتغير فى معناها ولا فى مبناها ومن ثم يصبح من الضرورى لطالب اللغة ان يخرجها من عداد الاسماء والافعال وان يلتمس لها شبيها من الكلم يضمها اليه فى قسم واحد .

وأوضح من ذلك امر خوالف الاصوات (اسماء الاصوات) اذ لا تشارك الاسماء فى علاماتها كما لا تشارك الافعال ولا الصفات الخ وانما هى عبارات ينظر اليها من حيث الاشتقاق باعتبارها « عقيما » ان صح هذا التعبير الذى اقدم دونه الاعتذار .

والقسط المشترك بين هذه الخوالف جميعا كما

ذكرنا ان لها طبيعة الافصاح الذاتى فكلها من الاساليب الانشائية ويحسن فى جميعها فى الكتابة ان تعقبه علامة الترقيم الدالة على التأثر (!) . وما كان ابعد النحاة من الصواب حين فسروا هذه الخوالف بعبارات من قبيل الاسلوب الخبرى لان الفرق بين شتان زيد وعمرو وافترق زيد وعمرو لا يمكن ان يكون قد خفى على اصحاب الادب ان صح انه خفى على ارباب اللغة وقد كنت التمس لهم المعاذير لو كانوا قد فسروا هذه العبارة بعبارة تعجب مثل « ما اكبر الفرق بين زيد وعمرو لان التعجب افصاحى ومن ثم يصبح تريب المعنى من التعبير بخالفة الاخالة . ومثل ذلك ما نلاحظه من فارق بين « اوه » وبين « اتوجع » فلو انك احسست بلسعة النار فى يدك فقلت : « اتوجع » لكان للسامع عذر الا يخف الى نجدك وان يسالك فى هدوء : « مم تتوجع » ولو قلت : « اوه » لاختلف امر استجابته لك باختلاف المعنى لان عبارة « اوه » تدل على الافصاح والانشاء على حين تدل عبارة « اتوجع » على الاخبار المجرد .

ويجمع بين هذه الخوالف ايضا انها ثابتة الصياغة جارية مجرى الامثال وانها اما محرومة من الروابط الاشتقاقية تماما كما تبدو الحال فى خوالف الاخالة والاصوات او ان روابطها الاشتقاقية واهية ببقية صيغ مادتها كنعم وبئس او انها يغلب فيها تناسى هذه الروابط كخالفة التعجب .

وتمتاز هذه الخوالف من بقية اقسام الكلم بما يأتى:

1 — انها لا تدل على مسمى ولا حدث ولا زمن ولا موصوف بحدث وانما تدل على مجرد الافصاح عن موقف للمتكلم من امر معين وبذلك تختلف عن بقية اقسام الكلم .

2 — انها جميعا ذوات رتب محفوظة بالنسبة لضمائمها وقد جاءها حفظ الرتبة هنا من كونها عبارات محفوظة ثابتة التركيب جارية مجرى الامثال التى لا تغير وهذا يفرق بينها وبين اقسام الكلم الاخرى التى لا ينتظم حفظ الرتبة فيها الجملة جميعها على هذه الصورة .

3 — انها عديمة الحاجة الى اللواصق كما فى خوالف الاخالة والاصوات او قليلة الاحتمالات لها كما فى اقتصار التعجب على ان تلصق به نون الوقاية واقتصار المدح والذم على تاء التأنيث المفتوحة وهذا مبرر آخر لافرادها فى قسم خاص .

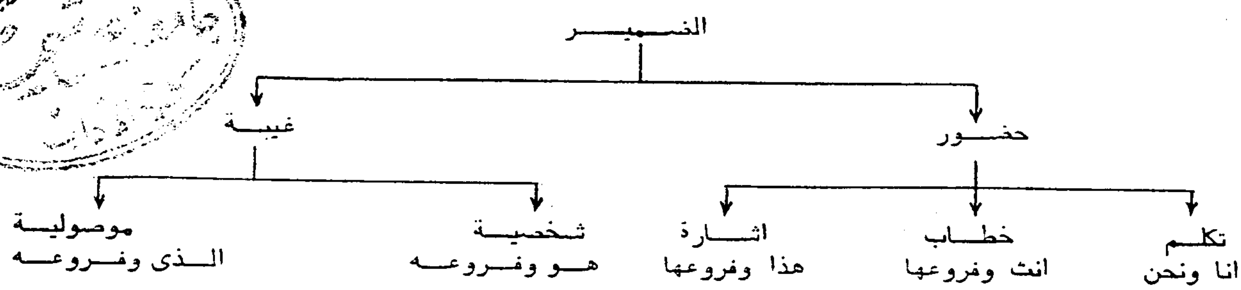
4 — ان لها طابع الافتقار الى الضمائم المعينة كافتقار التعجب الى ما والمنصوب وافتقار المدح والذم الى اسم الجنس وافتقار بعض خوالف الاخالة الى المرفوع .

5 — لا يصدق وصفها بالتعدى واللزوم ولم يدر بخاطر النحاة ان يعربوا المنصوب بعد اى منها مفعولا . وبهذا يتضح الفرق بين الخوالف وبقية اقسام الكلم وبخاصة الاسماء والافعال .

الضمير : الضمير ما دل على مطلق ذى حضور او غيبة دون دلالة على خصوص الغائب او الحاضر وهذا هو ما يقصده ابن مالك بقوله :

وما لذى غيبة او حضور
كانت وهو سم بالضمير

وفى رأيى ان تعريف ابن مالك صالح لان يحمل على ما لم يرده ابن مالك بالضمير بل ما اريد انا هنا ان اجعله مشمولا بهذا الاصطلاح ويتضح توسيعى لدلالة هذا الاصطلاح بحيث يشمل ما هو اكثر من ضمائر الاشخاص على النحو التالى :



ومعنى ذلك ان الضمائر فى نظام الصرف العربى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

1 — ضمائر شخصية

2 — ضمائر اشارة .

3 — ضمائر موصولة :

ولا شك ان الغيبة والحضور من المعانى الصرفية العامة التى لا تتطلب الاسماء للتعبير عنها بل هى معان « حقها ان تؤدى بالحرف » كما يقول النحاة ولقد رأى النحاة هذا « الشبه المعنوى » بين الضمائر بأنواعها وبين الحروف اساسا من اسس بنائها . يضاف الى ذلك ما يتسم به استعمالها من الافتقار المتأصل الذى لهذه الضمائر لان ضمائر الاشخاص تفتقر الى مرجع وتفتقر الموصولات الى صلة كما تفتقر الاشارات الى مثول مادى او ذهنى وهذه الامور التى تفتقر اليها الضمائر هى التى تعين على تحديد العموم الذى فى دلالتها على مطلق الغيبة او الحضور .

وتمتاز هذه الضمائر عن بقية أقسام الكلم على النحو التالى :

1 — الضمائر ذات رتب محفوظة فالرتبة محفوظة بين الضمير الشخصى ومرجعه كما انها محفوظة بين الموصول وصلته وبين ضمير الاشارة وبيانه .

2 — لكل نوع من الضمائر طريقتان للاستعمال احدهما الاشباع والاخر الاضعاف ففى ضمائر الاشخاص يكون الاشباع بالضمير المنفصل والاضعاف بالمتصل وفى الاشارة يكون الاشباع بحروف التنبيه والبعد والخطاب ويكون الاضعاف بحذفها وفى الموصول يكون بذلك فى « اولاء » وبغيره فى غيرها « كالذى » و « اللذ » و « منو » و « من » وكذلك « ما » و «م». وبهذا تقرب الضمائر من الحروف وتبعد عن الاسماء.

3 — كل الضمائر يقع موقع المضاف اليه ولا يكون مضافا كما لا يكون موصوفا ابدا وهذا فرق بين الضمائر والاسماء ايضا :

4 — تبدو الضمائر المتصلة فى الكتابة اجزاء كلمات مثلها مثل الحروف المتصلة تماما وهذا يفرق بينها وبين الاسماء .

5 — تلعب الضمائر ذات العائد دور الربط فى السياق ويساعد الافتقار على اداء مثل هذا الدور .

كل ذلك يبعد بالضمائر المختلفة عن ان تكون اسماء ويدعو الى افرادها بقسم خاص من اقسام الكلم فى اللغة العربية .

الظرف : سبق ان ذكرت ان بعض اقسام الكلم يستعمل منقولا للدلالة على معانى الاقسام الاخرى ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى اكثر الالفاظ المستعملة استعمالات الظروف . فالملاحظ ان الكثير من الاسماء المبهمة يستعمل استعمال الظرف وكذلك المصادر وبعض الاشارات والادوات . فمن ذلك مثلا :

أ — اسماء الجهات نحو رايته يسير غرب الحائط وجنوب الحديقة وامام المسجد .

ب — اسماء الاوقات نحو رايته ساعة الشروق يوم الجمعة وصباح السبت وظهر الاحد — وحين البأس

جـ — اسماء الاعداد نحو : خرجت خامس رمضان وجلست ثلاث خطوات من المعلم .

د — اسماء المقادير نحو : سرت فرسخا او بريدا .

هـ — اسم الزمان نحو رايته مطلع الشمس .

و — اسم المكان نحو قعدت مقعد فلان .

ز — المصدر نحو اتيك طلوع الشمس وقدوم الحاج ومنه فى رأيى قط وعوض مقطوعين عن الاضافة .

ح — اسماء مبهمة اخرى نحو عند ولدى وقبل وبعد ولدن ونصف وبعض وكل .

ط — الصفات والمنسوبات نحو جلست طويلا وجميع اليوم وشرقى المنزل .

ى — بعض الاشارات نحو اجلس هنا ولا تجلس هناك وهما من اشارات المكان ومن اشارات الزمان فى رأيى كلمة « الآن » .

ك — بعض الحروف نحو ما رايته مذ امس ومنذ يوم الجمعة .

ولقد رأينا مما تقدم ان اكثر ما اطلق النحاة عليه اصطلاح « الظرف » لم يكن فى الحقيقة ظرفا بالمعنى الصرفى ولا صلة بينه وبين الظرف الا ان كليهما يقع

فى مجال السياق النحوى موقع المفعول فيه . ومعنى ذلك ان المفعول فيه وهو باب من ابواب النحو يمكن ان يعبر عنه بأكثر من قسم واحد من اقسام الكلم كالاسم المبهم والصفة وضمير الاشارة وكل ما نقل الى معنى الظرفية من غير ذلك كالاشارات والحروف كما يعبر عنه ايضا بالظروف التى تستحق اسم الظرف من وجهة النظر الصرفية اى من حيث تقسيم الكلم. وقبل ان احدد المقصود بهذه الظروف التى هى قسم من اقسام الكلم ينبغى ان اشير الى ان « النقل » مما اعترف به النحاة وجعلوه قسيما للارتجال فى باب العلم ومن ادلة ذلك قول ابن مالك :

ومنــه منقــول كفضــل واســد
وذو ارتجــال كسعــاد وادد

فلا غرابــة اذن فى « نقــل » الاسمــاء والصفات والاشارات والحروف الى معنى الظرفية . وهذا النقل كما يبدو اهم الاسس لتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد على نحو ما يفصله « مغنى اللبيب » لابن هشــام .

عند هذه النقطة يصبح من الضرورى ان نحــدد الظروف التى ينتظمها قسم خاص من اقسام الكلم فلا تعد فى الاسماء . وهذه الظروف محدودة العدد وهى كمــا يلــى :

للزمــان : اذ — اذا — اذن — متى — ايان .

للمكــان : حيث — اين — انى .

وهذه الظروف لا تقبل علامات الاسماء فهى لا تجر لفظا ولا تنون تمكينا ولا تنادى ولا تتصل بها ال ولا تكون مسندا اليه ولا مضافا اليه ومن ثــم لا يمكــن اعتبارها فى عداد الاسمــاء .

ولا يعترض معترض بأن هذه الظروف محدودة العدد ولا يستقيم لقسم من اقسام الكلام ان يكــون محدود العدد كذلك فالرد على ذلك ان الضمائر محدودة العدد والحروف محدودة العدد ايضا والخوالف اقل عــددا من كل اولئك . ويجمع بين هذه الظروف جميعا امور :

1 — انها جميعا مبنية لما بينها وبين الحرف مــن مشابهة وهذا يبعد بها عن الاسماء .

2 — انها جميعا ذوات رتبة محفوظة عبر النحاة عنها بعبارة « الاضافة الى الجملة » .

3 — ان قوة الشبه بينها وبين الحــروف شجعت الاستعمال اللغوى على « نقلها » من الظرفيــة الى معنــى الاداة فاستخــدمت فى الشرط والاستفهــام واحتفظت برتبة لها فى صدر الجملة .

4 — ان معنى الظرفية المفهوم من هذه الظروف هو « الظرفية الاقترانية » لا « الظرفية الاشتمالية » والمقصود بالظرفية الاقترانية ان يعبر الظــرف عــن اقتران حدثين فحين تقول :

يخرج زيد اذا حضر عمرو يكثر المطر متى جاء الشتاء يسقط الطير حيث يلتقط الحب رايت البشر فى وجهه اذ جاء	فالظــرف فى كل ذلك يقترن الحــدث الاول بالثــانــى .

واما ما عدا هذه الظروف مما نقل الى الظرفيــة وكذلك ما يدل على معنى الظرفية من حروف الجــر فظرفيته ظرفية اشتمال نحو : جاء زيد يوم الجمعــة ورايته فى المسجد الخ . ولعل هذا الفارق فى المعنــى بين الظروف الاصلية والمنقولة واضح الدلالــة على صواب ما اذهب اليه من افرادها بقسم خــاص . والملاحظ ان معنى « الظرفية الاقترانية » يبقى لهــذه الظروف عند نقلها الى الشرط وتحل محله « الظرفيــة الاشتمالية » عند نقلها الى الاستفهام . والذى اراه انها عند نقلها الى احد هذين المعنيين تصير ادوات لا ظــروفــا .

الاداة : تنقسم الاداة الى قسمين : اصلية ومنقولة. وهذه المنقولة قد تكون منقولة من الاسمية او الفعلية او الظرفية كما اشرنا منذ قليل . وتشتــرك الادوات بقسميها فى امر هام هو انه لا يقصد بها فى الاساس معنى معجمى اى انها كما يقول النحاة لا تــدل على معنى فى نفسها كما يدل الاسم والفعل ولكنها تدل على معنى وظيفى هو معنى « الربط السياقــى » الــذى سنتكلم عنه فى معرض شرح القرائن ولما كان هــذا الربط من المعانى التى تؤدى بالحرف راينــا الادوات الاصلية من الحروف . وللادوات مميزات مــن حيث المعنى والمبنى تميزها عن بقية اقسام الكلم كما يأتى :

1 — الاداة ذات رتبة محددة فحرف الجر قبل المجرور وحرف العطف قبل المعطوف وحرف القسم قبل المقسم به ولادوات الشرط والاستفهام الصدارة والصدارة رتبة النواسخ ايضا وهى ادوات منقولة فى بعض الحالات .

2 — الاداة ذات افتقار الى ضميمة لان معناها لا يستقل فى الفهم الا بما يضامها وهذا طابع من طوابعها لا يتخلف .

3 — من الاداة ما ينفصل فى الكتابة وما يتصل شأنها فى ذلك شأن ضمائر الاشخاص ولعل الفيصل فى ذلك هو عدد حروفها فى الكتابة . والفرق بين الاداة المتصلة وبين لواصق الصرفية ان الكلمة اذا استبعدت منها اللاصقة الصرفية ذهب معناها اما اذا استبعد منها الحرف (الاداة) الذى اتصل بها فان معناها يظل لها ويتضح ذلك حين نفصل الحرف الاول عن بقية الرسم الاملائى من كلمتى :

تقوم و بمحمد

4 — الادوات فى حقل النحو روابط اما بين كلمة واخرى كالمعطوف والمعطوف عليه واما بين كافة اجزاء الجملة كما فى الشرط وبهذا تكون الاداة احدى قرائن التعليق النحوى .

لقد اشرت منذ قليل الى ان النواسخ ادوات ولقد قصدت بذلك ان واخواتها باعتبارها ادوات اصيلة كما قصدت كان واخواتها نواسخ المقاربة والشروع الخ باعتبارها ادوات منقولة عن الفعلية وهذه النواسخ المنقولة ربما كانت بحاجة الى فضل ايضاح نسوقه فيما يلى :

1 — لقد ذكرنا من قبل ان الظروف حين تنقل الى الاستفهام تفقد معنى « الظرفية الاقترانية » لتدل على « الظرفية الاشتمالية » ويشبه ذلك ان النواسخ المنقولة عن الفعلية حين تنقل الى معنى النسخ تفقد الدلالة على الحدث ولا يبقى لها من معنى الفعل الا الدلالة على الزمن وهذا هو المقصود بأنها ناقصة . بل ان «ليس» من بين هذه الادوات تتمحض للنفى ولا يتضح فيها حتى معنى الزمن .

2 — لا يوجد معنى الاسناد بين هذه الادوات ومرفوعاتها ولكن هذا المعنى واضح بين المرفوع والمنصوب بعدها ولو كانت افعالا لوقعت موقع المسند.

3 — لا توصف هذه الادوات بتعد او لزوم ولو كانت افعالا لوصفت علاقتها بالخبر المنصوب بعدها بأحد هذين الوصفين .

4 — بعض هذه الادوات كليس وعسى واخلولق وافعال الشروع اما غير متصرفة تماما واما ناقصة التصرف مما يباعد بينها وبين الافعال التامة فينفى عنها صفة الفعلية .

5 — تختص هذه النواسخ بالدخول على الافعال فتعتبر قرائن وتدل على خصوص زمن الفعل الذى دخلت عليه وبهذا تكون تعبيرات عن الجهة (aspect)

هذه الفروق بين النواسخ المنقولة عن الفعلية وبين الافعال التامة تكشف عن وجه الصواب فى اعتبار هذه النواسخ ادوات .

تلك كانت مبانى التقسيم وقد رأينا ان الكلم سبعة اقسام هى :

الاسم — الصفة — الفعل — الخالفة — الضمير — الظرف — الاداة .

ونحب ان نلاحظ هنا ان الاقسام الثلاثة الاولى ذات طابع اشتقاقى يسمح لكل مبنى منها ان تتعدد تحته الصيغ الصرفية وتتنوع بين القياس والسماع وان مبانى الاقسام الاربعة الاخرى لا تخضع لهذا الطابع الاشتقاقى ولا تتعدد الصيغ تحت اى منها وانما يقع تحت كل منها وحدات معينة يمكن عدها واحصاؤها وتعتبر كل وحدة منها صالحة للاستعمال بحسب الاصالة وللاستعمال بحسب النقل . والمثال الذى اسوقه لذلك هو « ما » باعتبارها وحدة من هذه الوحدات او بعبارة اخرى باعتبارها فى صورتها العامة « مبنى » صرفيا تتعدد معانيه بحسب الاستعمالات التى يصلح لها كما يلى :

الموصولية — النفى — الاستفهام — الشرط — المصدرية الظرفية — النكرة التامة وغير التامة — الزيادة الخ .

فكلمة « ما » هنا مبنى صرفى عام تتعدد معانيه

وتظل احتمالية طالما بقى هذا المبنى على صورته المفردة العامة غير واقع فى جملة . فاذا وقعت « ما » فى جملة فهى « مثال » للصورة العامة التى ذكرناها ومن شأن المثال على عكس المبنى العام ان يتمحض لمعنى محدد غير متعدد ولا محتمل . وهذا شبيه بالفرق بين المبنى « فاعل » والمثال « هذا قاتل » فان معنى « فاعل » صالح لصفة الفاعل والصفة المشبَهة ومع سكون اللام لفعل الامر الخ واما المثال فهو محدد المعنى كما ترى . والصورة العامة (الصيغ والوحدات) التى سبقت فى الذكر هى التى سوف نعنيها عند الكلام عن قرينة المبنى او البنية .

واما معانى التصريف وما يدل عليها من مبان فيمكن ايجاز القول فيها كما يلى :

الملاحظ ان المعانى الصرفية ليست مقصورة على معانى التقسيم فقط (وهى الاسمية والوصفية والفعلية والانفصاح والاضمار والظرفية والتأدية) وانما تشتمل على معان اخرى وظيفتها تنويع دلالة هذه الاقسام عند ورودها فى السياق النحوى فالاسم مثلا يتصور فيه ان يكون فى السياق اما معرفة واما نكرة كما يكون مذكرا او مؤنثا وينسب اليه دائما انه بمعنى الغائب (او كما يقول النحاة انه فى قوة ضمير الغائب) ويتصرف الفعل بحسب التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

وترد هذه المعانى كذلك على الضمائر التى تتصرف الافعال بحسبها فتتحقق بها الفروق او القيم الخلافية بين الاستنادات المختلفة للفعل كما تتحقق المطابقة بين الكلمات فى السياق ويتحقق الربط بعود الضمير على مرجعه المطابق له كذلك .

لقد عرفنا بهذا ان معانى التصريف فى اللغة العربية تشتمل على ما يلى :

المعنى	المبنى	
1 ــ التكلم	المتكلم	الشخص
2 ــ الخطاب	المخاطب	الشخص
3 ــ الغيبة	الغائب	الشخص
4 ــ الافراد	المفرد	العدد
5 ــ التثنية	المثنى	العدد
6 ــ الجمع	المجموع	العدد
7 ــ التذكير	المذكر	النوع
8 ــ التأنيث	المؤنث	النوع
9 ــ التعريف	المعرف	التعيين
10 ــ التنكير	المنكر	التعيين

هذه هى المعانى الكبرى للتصريف وهى التى يحسن لها ان توضع هى ومعانى التقسيم تحت عنوان : « المقولات اللغوية » . وهناك معان تصريفية اخرى تتصل بتفريع الاشتقاق من معانى التقسيم وتلك هى التى تسمى معانى الصيغ كالطلب والمطاوعة والصيرورة والاتخاذ والتبادل والمشاركة والتجنب والتكلف وهلم جرا . كما توجد معان اخرى لا تتصل بتعديل الاقسام ولا بتفريع اشتقاقها وانما تتصل بمعان تلحق بكل قسم على حدة كالنسب والتصغير فى الاسماء . وكالتوكيد بالنون والوقاية فى الافعال وهلم جرا وبذلك تكون معانى التصريف فى صلتها بمعانى التقسيم على النحو التالى :

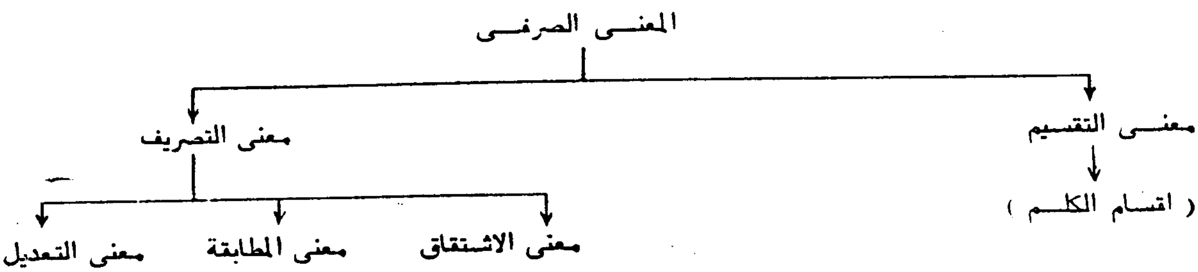
ما يطرا على معانى التقسيم

- لتفريع صيغ اشتقاق الاقسام تأتى المعانى الاشتقاقية المختلفة كالطلب والصيرورة الخ
- لتعديل صيغة بعينيها تأتى معانى المطابقة العشرة التى ذكرتها من قبل والتى تعود الى الشخص والعدد والنوع والتعيين .
- لتعديل معنى كل قسم
  - تعديل فى الاسماء كالنسب والتصغير
  - تعديل فى الافعال كالتوكيد والوقاية

ويأتى تفريع الصيغ فى داخل المادة الاشتقاقية المعينة بواسطة الزوائد كالسين والتاء للطلب والتاء للافتعال والنون للمطاوعة وهلم جرا . اما تعديل صيغة بعينها من هذه الصيغ المذكورة بحيث تتم لها المطابقة فتكون بواسطة اللواصق بمعنى ان كل ما عبر عن تكلم او خطاب او تثنية الخ . فهو عنصر لاصق بالكلمة فى اولها او آخرها . يصدق ذلك على حروف المضارعة كما يصدق على ضمائر الرفع المتصلة وعلى اداتى التعريف والتأنيث .

وسنرى الفائدة الكبرى لهذا النوع من التعديل عند الكلام فى قرينتى المطابقة والربط . واما النوع الثالث من معانى التصريف وهو الذى يتم به تعديل معنى كل قسم من اقسام الكلم كالنسب والتصغير والتأكيد والوقاية الخ فقد يكون التعبير عنه بواسطة الالصاق او بواسطة الزيادة وليس له قيمة بذاته فى تحديد القرائن وانما يعين على تحديد معنى السياق وهو كبرى القرائن النحوية على ما سنرى فيما بعد .

تلك هى المعانى الصرفية فى عمومها :



وسنرى ان معنى الاشتقاق مسئول عن تفريع معنى التقسيم لانه بسببه تتعدد صيغ كل قسم بحسب المعنى الاشتقاقى فتكون هناك صيغ متعددة للاسماء واخرى للصفات وثالثة للافعال وتعتبر كل صيغة من هذه بنية فرعية على المبنى العام للاسم او الصفة او الفعل تعتبر عند الاعراب قرينة لفظية تسمى «قرينة البنية» كما ان معنى المطابقة يعبر عنه بلواصق تدل عليه وتترابط بها اجزاء السياق وسنرى بعد قليل ان هذه اللواصق هى القرينة اللفظية على المطابقة وتسمى « قرينة المطابقة » كما تدل على ترابط الاجزاء فتعين على فهم « قرينة الربط » .

عند هذه النقطة يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنفكر فى مدلول اصطلاح جرى استعماله فيما سبق وهو اصطلاح « المبنى » . وقد ييسر فهمنا لهذا الاصطلاح ان نتأمل العبارات الآتية :

1 — ان اقسام الكلم كالاسم والصفة والفعل الخ. مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى الاسمية والوصفية والفعلية الخ .

2 — ان المتكلم والمخاطب والمثنى والمؤنث والمعرف الخ . مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى التكلم والخطاب والتثنية والتأنيث والتعريف الخ .

3 — ان ياء النسبة مبنى يعبر عن معنى النسب ونون التوكيد مبنى يدل على معنى التوكيد الخ .

وهكذا تقف المبانى بازاء ما يتضح بها من المعانى ولكنها هى نفسها تحتاج الى ان تتحقق بالمثال او العلامة . اى ان المبنى عنوان عام لا ينطق وانما يتحقق فى النطق بواسطة امثلته المتعددة فالذى ننطقه مثلا ليس هو الاسم باعتباره عنوانا شاملا وانما ننطق محمدا وقياما ويوما وخمسة وكل من هذه الامثلة تحقيق نطقى لمبنى صرفى عام هو الاسم . وهكذا نجد المعنى والمبنى والمثال فى علاقة متينة على النحو التالى :

المعنى	المبنى	المثال
الاسمية	الاسم	محمد
الطلب	استفعل	استخرج
المطاوعة	انفعل	انكسر

وحين قال ابن مالك :

وتاء تأنيث تلى الماضى اذا
كان لانثى كأبت هند الاذى

وضع هذه العلاقة على النحو التالى :

التأنيث التاء أ ب (ت)

وحين قال :

فعل قياس مصدر المعدى
من ذى ثلاثة كرد ردا

وضع هذه العلاقة كما يلى :

مصدر الثلاثى المتعدى فعل رد

فوضوح فكرة المبنى يتوقف هنا على ادراك الفرق بين عموم المبنى وخصوص المثال اذ المثال فرد من نوع هو المبنى . وحين يعبر عن المعنى بلاصقة او حرف زائد تجرى تسمية المبنى على طريق الاضافة فيكون المبنى مضافا والمعنى مضافا اليه فيقال مثلا نون التوكيد وتاء التأنيث والف الاثنين ونون الوقاية وهلم جرا . حيث نرى النون والتاء والالف وهى المباني ويكون التوكيد والتأنيث والاثنين والوقاية هى المعاني. اما فى الحالات الاخرى فالمبنى فى المتصرف هو الصيغة الصرفية وفى الجامد هو الصورة العامة كما سبق شرحه ويجتمعان معا تحت اصطلاح « البنية » ولقد جرى العرف عند تعريف الباب النحوى كالفاعل والمبتدأ الخ . ان يبدأ التعريف باللفظ الدال على المبنى اتكالا على أن عنوان الباب النحوى هو المعنى فيقال مثلا فى تعريف الفاعل : « الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » . فقد بدأ التعريف بمبنى وتم تقييد هذا المبنى بمبان اخرى حتى وصلنا فى النهاية الى تحديد امر من امور المعنى فرأينا التعريف يقول : « ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » ولعل هذا يوضح ان البنية قرينة هامة للدلالة على الباب النحوى ما دام الباب النحوى قد اصبح محددا بواسطتها .

اعتقد اننا بعد ان رأينا كلاما مفصلا فى عنصرين من الثلاثة العناصر التى يتكون منها النظام الصرفى هما : المعنى الصرفى والمبنى الصرفى ينبغى لنا ان نلقى نظرة على ثالث هذه العناصر وهو القيمة الخلافية . وما دامت المبانى الصرفية تعبر عن معان هى فى عمومها ابواب صرفية او نحوية فلا بد ان يكون امن اللبس من الغايات الكبرى التى تحرص عليها اللغة فى صياغتها للمبانى الصرفية . ولا بد لضمان امن اللبس على المستوى الصرفى ان تقوم القيم الخلافية بدور التفريق بين المبنى والمبنى ليكون هناك فارق بين المعنى والمعنى . فالفرق بين « فعل » و « فاعل » مثلا ياتى عن قيمة خلافية (او فرق) هى المقابلة بين امرين هما قصر الحركة وطول الالف وما دامت هذه المقابلة قد اعانت على اختلاف معنى احدى الكلمتين عن الاخرى فان هذا الارتباط بالمعنى يخرج المقابلة عن مجرد ان تكون فارقا ثانويا الى ان تصبح « قيمة خلافية » . ومثل ذلك يقال عن الافراد والتشديد الذى يفرق بين المعنى المفهوم من « فعل » والمعنى المفهوم من « فعل » وعن التجرد والزيادة فى التفريق بين معنى « فعل » و « استفعل » وهلم جرا .

فنحن نرى ان القيم الخلافية كما كانت عصب النظام الصوتى تبدو كذلك بالنسبة للنظام الصرفى وستبدو كذلك ايضا بالنسبة للنظام النحوى لان فهم النص اللغوى وتحليل مكوناته وتقسيمها وتبويبها انما يقوم على ادراك جهات الاختلاف بين المعنى والمعنى وكذلك بين المبنى والمبنى ولا يمكن للمعنى ان يختلف عن المعنى الا اذا اختلف المبنى الدال عليه عن المبنى الدال على الآخر . ولو انتفت القيم الخلافية فى المعانى والمبانى ما استطعنا التقسيم ولا التبويب ولا وصلنا الى امن اللبس .

ولكن قد يحدث احيانا ان تتشابه صيغتان فى النظام مع اختلاف معناهما فلا نجد فارقا بينهما فى حال عزلهما عن تحليل السياق كما فى صيغة « فاعل » فعل امر من « فاعل » وصيغة « فاعل » صفة فاعل من « فعل » او صفة مشبهة من « فعل » وكالذى نراه ايضا فى تشابه صيغة « فعل » مصدرا للثلاثى المتعدى وصيغة « فعل » صفة مشبهة . هنا نجد ان القيم الخلافية ليست واضحة فى التفريق بين المعنى والمعنى فى الصيغتين المعزولتين . ومن ثم يمدنا نظام الصرف بالوسائل التى نستطيع بها الكشف عن هذه القيم الخلافية التى اختبأت وراء مظهر الصيغتين وتتمثل هذه الوسائل فى مقارنة الصيغتين فى البيئة الجدولية لكل منهما وهو ما يطلق عليه المحدثون Morphological scatter . فمما يعين على التفرقة فى حدود نظام الصرف بين «فاعل» فعل امر من «فاعل» و «فاعل» اسم فاعل من «فعل» ان الصيغة الاولى لا تقبل التعريف على حين يقبله مثال الصيغة الثانية. ومما يعين على التفريق بين « فعل » مصدرا و «فعل» صفة مشبهة ان الصيغة الاولى لا تقبل التثنية والجمع

وتقبلهما الثانية . ومثل هذا التشابه قد يتخطى الصيغة الى مثالها فلا يكون الصرف هو الفيصل حينئذ وانما يكون السياق فمثال صيغة « فعل » هو كلمة « عدل » ولو نظرنا الى هذه الكلمة مفردة ما استطعنا القطع بمصدريتها أو وصفيتها فحينئذ لا نملك الا ان نتوقف فى دعوى اى منهما للكلمة حتى نراها فى السياق على احدى الصورتين الآتيتين مثلا :

1 — العدل اساس الملك .

2 — هو الحكم العدل اللطيف الخبير .

عندئذ يتضح لنا ان « العدل » فى المثال الاول مصدر وفى الثانى صفة مشبهة وهذا مثل من الامثلة التى يتجلى فيها السياق فى صورة كبرى القرائن .

* *

النظام النحوى والقرائن النحوية :

ان النظام النحوى للغة العربية ينبنى على الاسس الآتيـة :

1 — المعانى النحوية سواء ما تعلق منها بالجمل كالاثبات والنفى والتأكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والشرط والقسم والنداء الخ . وما يتعلق بالمفردات كالمبتدا والخبر والفاعل ونائب الفعل والمفعولات والحال والتمييز الخ .

2 — القرائن الدالة على هذه المعانى سواء ما كان من هذه القرائن معنويا كالاسناد والتعدية والغائية والظرفية الخ . وما كان لفظيا كالبنية الصرفية والعلامة الاعرابية والمطابقة الخ . وهى امور مستمدة من النظامين الصوتى والصرفى .

3 — القيم الخلافية التى تفرق بين بعض هذه المعانى وبعضها والتى تجعل ادراك القرائن المعنوية امرا ممكنا والتى تفرق كذلك بين قرينة لفظية واخرى فيؤمن اللبس .

4 — دلالات السياق النحوى على اعتبار هذا السياق اكبر القرائن النحوية من حيث انه يشتمل على جميع القرائن المعنوية واللفظية وكذلك قرينة المقام .

ويستفيد النحو من نتائج نظامى الاصوات والصرف فيأخذ الحركات والمد والاعلال والابدال والادغام والنقل والقلب والحذف الخ من نتائج دراسة النظام الصوتى كما يأخذ معانى التقسيم ومعانى التصريف وما يعبر عن ذلك من المبانى من نتائج دراسة النظام الصرفى فنرى الكلام فى شرح الباب النحوى يشتمل على ذكر الاسم والصفة والفعل والضمير الخ كما يشتمل على ذكر التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير وغير ذلك مما سبق شرحه فى نظام الصرف . ومعنى ذلك انه لا يمكن لدراسة النحو ان تتم بدون معونة النظامين الصوتى والصرفى لان معطيات هذين النظامين هى التى تقدم للنحو ما يعرف باسم القرائن اللفظية ولا قرائن لفظية للنحو الا ما يمده به الاصوات والصرف . ولعل هذا هو السبب فى تشابك هذه الدراسات فى كتب التراث فلو امسكنا بألفية ابن مالك او غيرها من كتب القواعد وحاولنا ان نعزل منها ما كان نحويا مما كان صرفيا او صوتيا لتعذر علينا ذلك اذ ان كل باب من ابوابها يتعرض لمعلومات مختلطة من هذه الفروع الثلاثـة :

والغاية التى تسعى اليها دراسة النحو هى ان تنظر فى العلاقات لتفهم بها النص ولا يمكن النظر اليها الا من خلال القرائن بنوعيها المعنوى واللفظى ولقد تعودنا عند التصدى للاعراب ان نجد من السهل نسبيا على المعرب ان يكشف عن دلالة القرائن اللفظية فهو لا يمكن مثلا ان يخطىء فهم قرينة البنية الصرفية فيعرب الفعل المضارع مفعولا به لان المفعول به لا يكونُ الا اسما ولا قرينة العلامة الاعرابية فيعرب الاسم المنصوب فاعلا لان الفاعل مرفوع ولا يتجاهل قرينة المطابقة فيعرب البدل نعتا وليس بينه وبين متبوعه مطابقة وهلم جرا . ولكن الذى يجده المعرب صعبا (نسبيا ايضا) هو ادراك القرائن المعنوية حين يتوقف المعنى على ادراكها فى وقت لا يجد فيه المعرب من القرائن اللفظية ما يعينه على تحديد المعنى ومن امثلة ذلك ان يتردد المعرب فى فهم قرينة المعية او قرينة التبعية (وهما من القرائن المعنوية) فى نحو قولك « رأيت زيدا وطلوع الشمس) وقد تعود المعربون فى مثل هذا الوضع ان يعودوا الى القرينة الكبرى وهى السياق ليستعينوا بها على تحديد المعنى وسبيلهم الى ذلك ان يتكلموا عن « قصد المتكلم » وكان الاجدر بهم ان يتكلموا عن

« مقام النص » وهو الظروف المركبة التى تم فيها التكلم لان « المقام » يمكن استعادته بالذاكرة ولكن قصد المتكلم قد لا يكون الوصول اليه ممكنا .

والمعانى الصوتية والصرفية والنحوية جميعا تقع تحت عنوان « المعنى الوظيفى » لان هذه المعانى جميعا وظائف لما ذكرنا من المبانى التحليلية . ومعنى ذلك ان كل معنى تحليلى لا يمكن ان يكون الا معنى وظيفيا اى لا يمكن ان يكون معجميا يلتمس فى القاموس المحيط مثلا ولا دلاليا يتطلب فى دراسات الدلالة Semantics والاعراب هو التصدى للمعانى الوظيفية المذكورة حيث يكشف المعربون عنها بواسطة القرائن الدالة على هذه المعانى الوظيفية ولا يدخل المعنى المعجمى ولا الدلالى فى الاعراب الا فى حالات نادرة تكون القرائن فيها محتملة اكثر من وجه ، ويسمى هذا اللجوء الى المعنى المعجمى او الدلالى فى هذه الحالة استعمالا لقرينة السياق (كبرى القرائن) . وليس معنى هذا ان قرينة السياق مقصورة على المعنيين المعجمى والدلالى فقط وانما تشمل المعنى الوظيفى كذلك فيكون السياق بأصواته وصرفه ونحوه ومعجمه ودلالته هو القرينة الكبرى .

والذى يفهم بالضرورة من هذا الكلام اننا لو ابحنا لانفسنا ان نتلاعب قليلا بالسياق فنجرده من المعانى المعجمية للمفردات والمعانى الدلالية للجمل بأن نسوق نصا هرائيا لا تدل كلماته على معنى ولا يدل النص فى جملته على معنى كذلك ثم نحافظ على الرغم من ذلك على القرائن النحوية فى هذا النص الهرائى الذى لا معنى له فاننا سنستطيع بمنتهى السهولة ان نعرب هذا النص بسبب وضوح القرائن . وهاك مثالا لذلك :

شقا الكلد صاقفة الرحيس بمشقاته

شقا فعل ماض :

لانه جاء على بنية الماضى الثلاثى المجرد (بنية) .

ولان جميع حروفه من الحروف العربية فمثلا ليس بـه p ولا V ولانه مبنى على الفتح حسب ما يطلبه الاستعمال (بنية) .

ولان له فاعلا (تضام) .

ولان هذا الفاعل مذكر جاء الفعل مسندا الى المذكر (مطابقة) .

ولان هذا الفاعل جاء بعده فى الرتبة (رتبة)

الكلد :

فاعل : لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)
ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه تقدمه فعل (رتبة)
ولان هذا الفعل مبنى للمعلوم (بنية)
ولان علاقة الاسناد واضحة بين الكلمتين (اسناد)
ولان الفعل مسند للمذكر (مطابقة)

صاقفة مفعول بـه :

لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)
ولانه منصوب (علامة اعرابية)
ولان علاقة التعدية واضحة بينه وبين الفعل لعدم احتمال علاقة اخرى (تعدية)

الرحيس مضاف اليه :

لانه اسم (بنية)
ولانه مجرور (علامة اعرابية)
ولانهتقدمه اسم غيرمقترن بأل (تضام ورتبة)
ولان علاقة النسبة واضحة بين الاسمين (نسبة)

بمشقاته :

جار ومجرور : الباء حرف جر ومشقاة مجرور (بنية)
لانه اسم مؤنث مضاف (والتأنيث والاضافة من علامات الاسماء) (بنية)
سبقه حرف جر (وهو من علامات الاسماء ايضا) (تضام)
لان معنى الباء الواسطة (نسبة)
ولان الاسم الذى بعدها اسم آلة تم الحدث بواسطتها (بنية)
ولان الاسم آخره كسرة (علامة اعرابية)

وهكذا يتضح مما سبق ان الاعراب تحليل للوظائف فى السياق وليس تحليلا لمعانى المفردات ولا لدلالة الجملة . ولعل هذا يلقى ضوءا جديدا على العبارة الشهيرة المنقولة عن النحاة والتى تقول : «الاعراب فرع المعنى » . فأى معنى يريدونه ؟ اهو المعنى الوظيفى ؟ ام المعجمى ؟ ام الدلالى ؟ ولماذا لم يوضحوا ؟ وهذا الذى قلته بالنسبة لتحليل العلائق فى السياق يبين الى اى حد يتوقف نظام النحو كما اشرتمن قبلعلى مفاهيم نظامىالاصوات والصرفكما يبين الى اى حد تتشابك النظم الثلاثة وتتضافر بحيث لا يمكن من الناحية العملية ان نفصل احدها عن الآخر فى النص ولا نفصل بينها الا لاغراض التحليل النظرى فقط . وهذا هو المعنى الذى قصدت اليه حين عقدت شبها بين تكوين اللغة وتكوين الجسم الانسانى .

واذا كان النحو هو تحليل العلاقات فما اجدر النحو باسم «التعليق» وان اذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى هى ما ذهب اليه العلامة عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز تحت عنوان : « النظم » اذ جاء بمصطلحات اربعة هى :

النظم — البناء — الترتيب — التعليق

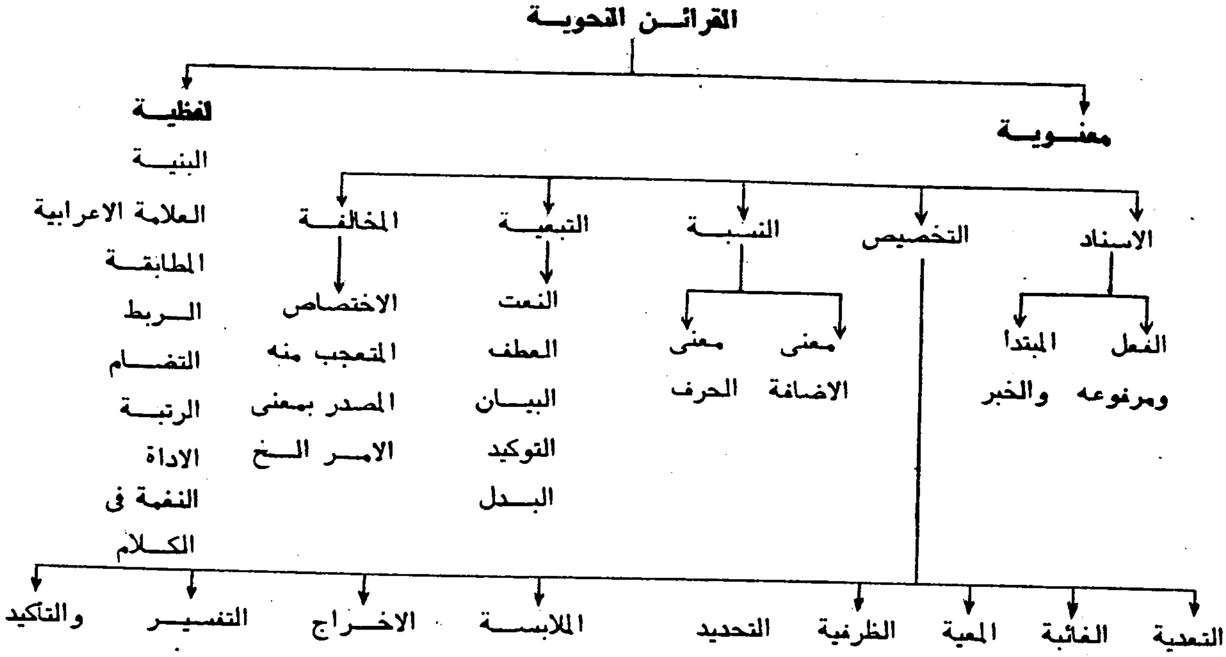
فأما النظم فقد جعله للمعانى اى ان النظم هو تصور العلاقات بين الابواب فى الذهن كتصور علاقة الاسناد التى بين المسند والمسند اليه فى الجملة عند الكلام وتصور علاقة التعدية بين الفعل المتعدى والمفعول به وتصور علاقة المعية بين الحدث والمفعول معه الخ . واما البناء فقد فهمت من كلام عبد القاهر انه يجعله للمبانى بحسب المعانى كأن يتطلب معنى الفاعلية اسما مرفوعا فى بعض المواقع وضميرا متصلا فى البعض الآخر . فالبناء كما افهمه عنه هو تحديد المبانى التى يستمدها النحو من نظام الصرف ليبنى بها جملة بعينها . وهذا التحديد ذهنى ايضا . واما الترتيب فهو تحقيق هذه المبانى الذهنية فى صورة كلمات مرتبة فى الكلام بحسب العرف الاستعمالى .

ولكن اخطر ما ورد على فكر عبد القاهر فى هذا الباب هو الاصطلاح الرابع : « التعليق » وقد قصد بهذا الاصطلاح — فى زعمى — ما يقوم به المتكلم من انشاء العلاقات بين اجزاء الجملة لكن بحسب الطرق العرفية للاستعمال تقديما او تأخيرا وذكرا او حذفا واظهارا او اضمارا وفصلا او وصلا واخبارا او انشاءاً وعطفا او معية واختيارا لجملة اسمية او فعلية وهلم جرا هذا فهمى لما يقصده عبد القاهر بالتعليق ولكن عبد القاهر لم يفصل القول فيه بأكثر من عبارات عامة كقوله فى الكلمات التى فى السياق انها «يأخذ بعضها بحجز بعض » وكقوله فى صفحة 65 من كتابه دلائل الاعجاز : « هذا هو السبيل . فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا او خطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو من معانى النحو قد اصيب به موضعه ووضع فى حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة واستعمل فى غير ما ينبغى له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية او فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معانى النحو واحكامه ووجدته يدخل فى اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه » .

وفى رأيى — كما كان فى رأىعبد القاهر على احتمال — ان التعليق هو الفكرة المركزية فى النحو العربى وان ادراك العلاقات وما يدل عليها من القرائن مغن تمام الإغناء عن القولبالعامل النحوىوهو قول يتعرض للنقد من جميع الجهات لان التعليق يفسر العلاقات بين الابواب على صورة اوفى وافضل واكثر نفعا فى التحليل اللغوى لهذه المعانى النحوية الوظيفية . وهكذا نرى التعليق هو النحو فى جملته لان النحو هو مجموعة العلاقات السياقية .

والتحليل النحوى هو الكشف بالقرائن عن هذه العلاقات .

وفيما يلى تخطيط للقرائن النحوية بأنواعها :



اولا : القرائن المعنوية :

سنتناول هذه القرائن النحوية بنوعيها بالدراسة فى الصفحات التالية محاولين ان نرى بوضوح تام كيف ينبغى لهذه القرائن ان تغنى عن القول بالعامل فى التحليل النحوى كما نرى ان معظم ما سبب الخلاف بين النحاة العرب وتضخمت به كتب النحو من جدل يمكن الاستغناء عنه بايضاح غاية فى البساطة .

1 ـ قرينة الاسناد :

ان العلاقة التى تقوم بين المسند اليه والمسند فى لغتنا العربية علاقة معنوية يسهل ادراكها دون الاستعانة بلفظ مساعد Copula فاذا ادركها السامع فهم ما يسمع بواسطتها واذا فهمها المعرب كان فهمه لها قرينة على تحليل الجملة . ولقد حاول بعض الباحثين ان يصور عدم حاجة الاسناد فى اللغة العربية الى لفظ مساعد فى صورة ميزة للغة العربية على اللغات الاخرى من حيث ياتى الاسناد ملموحا فى العربية مفتقرا الى لفظ خاص فى غيرها من اللغات وزعم ان ذلك من عبقرية اللغة ولماحية اصحابها ولكننا سنرى بعد قليل ان المعنى فى السياق لا يمكن ان يتكل على قرينة واحدة بل لا بد من ان تتضافر القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى (معنى كل كلمة فى السياق على حدة) وقد مر بنا عند اعراب الجملة الهرائية مما يتضح به ان الفعل الماضى قد اتضح معناه بست من القرائن وان الفاعل قد استبان بست منها كذلك كما انكشف معنى المفعولية بثلاث ومعنى المضاف اليه بأربع الخ وكان من الواضح ان قرينة الاسناد لم تنكشف بذاتها غير معانة وانما اعانت قرائن لفظية اخرى على الكشف عنها لا تقل خطرا فى ايضاح المعنى عن اللفظ المساعد . ومثل ذلك يقال فى الجملة الاسمية نحو « زيد قائم » ، اذ يستطيع السامع والمعرب على السواء ان يزعم بأن علاقة الاسناد هنا تربط بين الكلمتين مما يدل على ان احداهما مبتدا والثانية خبر ولكن كيف يصل المرء الى هذا الفهم لعلاقة الاسناد دون ان تعينه على ذلك قرائن اخرى ؟ ان هذا شديد التعذر . واذن ما هى القرائن الاخرى التى تتضافر مع قرينة الاسناد وتعين على فهمها ؟ نستطيع ان نرى الجواب فيما يلى:

الكلمة : زيد قائم

اعرابها

القرائن الدالة على الاعراب

زيد ـ مبتدا : لانه اسم (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه اول الاسمين
(رتبة وان لم تكن محفوظة) .
تكن محفوظة) .
ولانه مخبر عنه (اسناد)

قائم — خبر :

لانه وصف مطابق (بنية ومطابقة)
ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه يصف المبتدا فى المعنى
فيخبر عنه (اسناد)
ولانه بعد المبتدا (رتبة غير محفوظة)

ومعنى ذلك ان البنية والعلامة الاعرابية والرتبة والمطابقة قامت فى هذه الجملة العربية بالنسبة لبيان الاسناد مقام ما يسمى Copula فى اللغات الاجنبية وبنفس الكفاءة والوضوح حتى ساغ لنا ان نعتبر الاسناد نفسه احدى القرائن المعنوية وهذا التعاون بين القرائن المعنوية واللفظية هو الذى سيكون فيما بعد محور المناقشة فى اغناء القرائن عن القول بالعامل وسنعرض لذلك ايضا تحت عنوان « تضافر القرائن ».

قرائن التخصيص :

التخصيص علاقة نحوية عامة تربط بين المعنى الاسنادى المستفاد من المسند وبين طائفة من المنصوبات تشتمل على المفعولات الخمسة والحال والمستثنى والتمييز . ذلك بأن كل واحد من هذه المنصوبات هو فى المعنى تخصيص لعموم معنى الاسناد الذى فى الجملة وتضييق له. مثال ذلك اننا اذا قلنا : « يصلى الناس » فقد اسندنا الصلاة الى الناس على اعم وجه واوسعه حتى ليصلح المعنى لجميع الصلوات وجميع اعداد الركعات ولجميع الغايات التى منها اداء الفرض والتطوع بالفعل وأداء العيدين والجنازة وجميع الظروف والملابسات الخ . ولكننا اذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين » فقد أخرجنا من الاحتمالات الممكنة من جميع الصلوات ما لم يكن من هذه الصلوات على ركعتين كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والوتر . وهكذا نرى المفعول به يصبح قيدا فى عموم دلالة اسناد الصلاة الى الناس وتخصيصا لهذه الدلالة . فاذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين تحية للمسجد » فقد اخرجنا من عموم دلالة الاسناد كل غاية محتملة الا ان تكون هاتان الركعتان لتحية المسجد وبهذا يكون المفعول لاجله قيدا فى عموم دلالة الاسناد وتخصيصا له كذلك . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين ودخول المسجد » فان المفعول معه هنا قيد كذلك فى عموم دلالة الاسناد اذ ان الناس يمكن ان يصلوا الركعتين مع عدد لا يحصى من الامور المصاحبة كالخروج من المسجد وركوب البحر وطلوع الفجر وانتهاء صلاة العشاء الخ . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين صبيحة كل يوم » فقد اخرجنا من دلالة الاسناد كل وقت غير الصبح ومن ثم يصبح معنى الاسناد مخصصا بالمفعول فيه . واذا قلنا يصلى الناس ركعتين صلاة خاشعة او قلنا : يصلى الناس ركعتين خاشعين او قلنا : « يصلى الناس ركعتين الا العاصين » او قلنا « يصلى الناس ركعتين فرضا » فان من الواضح ان المفعول المطلق والحال والمستثنى والتمييز لم يكن كلها الا لتخصيص اسناد الصلاة الى الناس . وبهذا المعنى تصبح هذه الابواب النحوية جهات فى فهم الاسناد أو بالاحرى فى فهم معنى « الحدث » المفهوم من الاسناد يمكن ان توضح تحت العنوان العام « الجهة » .

وتقف جنبا الى جنب مع الجهات الاخرى المخصصة لمعنى الزمن كالاتصال والانقطاع والدوام والثبوت والتجدد الخ . كما يتضح من الشكل التالى :

الاسناد

حدث الاسناد — زمن اسناده

تخصصه المنصوبات — تخصصه اعتبارات اخرى كالتى ذكرتها منذ قليل .

وقد رأينا منذ قليل ان مخصصات الحدث ومخصصات الزمن هما على حد سواء من قبيل « الجهة » ولكن مجال تطبيق ما تعلق بالحدث من المخصصات هو القرائن المعنوية الدالة على المنصوبات المذكورة على حين نجد مجال تطبيق مخصصات الزمن هو دراسة « الزمن النحوى » الذى يتشعب بحسب هذه الجهات، ودراسة الفرق بينه وبين الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة وقد سبق ان شرحناه .

وفيما يلى بيان قرائن التخصيص كل على حدة :

أ ـ **التعدية** : وهى قرينة معنوية اذا اتضحت كان فى استطاعة السامع والمعرب ان يدركا معنى المفعول به . ذلك بأن التعدية فى حقيقتها علاقة قائمة بين معنى الحدث الذى فى جملة الاسناد وبين المنصوب المعين الذى نسميه المفعول به ولقد حرص النحاة على ان يلخصوا هذه العلاقة بواسطة وصف هذا المنصوب بأنه « وقع عليه الفعل » ولكن التعدية علاقة نحوية وليست وصفا لعمل وقع . بل ان النحاة انفسهم ربما جرهم الى وصف علاقة التعدية على هذه الصورة عامل النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا انيكون عاملا النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا ان يكون الحدث الذى فى الفعل واقعا على المفعول به . ويشهد بعدم دقة النحاة فى هذا الوصف ان النائب عن الفاعل يمكن أن يوصف به كذلك والفارق النحوى بينه وبين المفعول به واضح فى الاسناد وعدمه وفى الرفع والنصب وفى المطابقة وعدمها وفى حفظ الرتبة وعدمه الخ .

وربما جادل البعض فى اعتبار التعدية علاقة نحوية ومن ثم قرينة معنوية بأن ارتباط التعدى بصيغ بعينها واللزوم بصيغ بعينها كذلك ربما دعا الى التفكير بأن التعدىواللزوم من المعانىالصرفية التى تفهم منالصيغة لا من المعانى النحوية التى تفهم من الجملة اى ان صيغة « فاعل » الدالة على المشاركة مثلامتعدية ولكن صيغة «فاعل» الدلالة على المشاركة مثلا متعدية ولكن توقف أمر التعدى واللزوم على التركيب النحوى ما اتضح الامر فى الصيغة بله المثال المفرد كتاتل وتقاتل. وهذا القول يحمل جرثومة من الحقيقة دون شك ويتوقف الامر فى النهاية على وجهة النظر التى تنظر بها الى التعدى واللزوم فاذا اردت ان تعالج ذلك على بساط الصرف فالتعدى واللزوم من معانى الصيغة واذا اردت أن تعالج المسألة على مستوى النحو فالتعدى او التعدية قرينة على المفعول به .

هذا والدليل على ان التعدية قرينة معنوية على المفعول بهـان المنصوب بعد الفعلاللازم لا يعرب مفعولا به لعدم القرينة وانما درج النحاة على اعرابه منصوبا بنزع الخافض نحو وقف القوم عامة وجلس خيارهم خاصة . ومن الافعال ما تقوم به هذه القرينة حينا وتتخلف عنه حينا آخر نحو شكرته وشكرت له وعرفته وعرفت به وبكيته وبكيت عليه ورثيته ورثيت له الخ. والفرق بين التعدى واللزوم فى هذه الامثلة ليس أمرا ذهنيا منطقيا ولكنه علاقة عرفية لغوية جذورها فى الصرف وتطبيقها فى النحو وما يصطنعه من انماط الاستعمال .

على ان قرينة التعدية تجد معونة من قرينة العلامة الاعرابية (النصب) وقرينة الرتبة غير المحفوظة حينا والمحفوظة حينا آخر اذ قد يتقدم المفعول او يتأخر سواء عن الفعل او عن الفاعل بل قد تكون الرتبة بين المفعولين اذا تعددوا ويقول النحاة هنا ان التقديم انما يكون لما هو فاعل فى المعنى وهذا تعبير غامض عن احتمال قرينة الاسناد فيه على وجه ما .

ب ـ **الغائية** : لقد عدلت عن تسمية هذه القرينة قرينة السببية الى تسميتا « الغائية » لان هذه القرينة كما يبدو من تطبيقها فى النحو اعم من أن تكون سببية فقط . ذلك بأن هناك من اقسامها ما يأتى :

غائية السبب : (المفعول لاجله والمضارع بعد اللام وكى والفاء وحتى) .

غائية الزمان : (المضارع بعد لن واذن وحتى وأو)

غائية المكان : (المضارع بعد حتى) .

فاما غائية السبب فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمفعول لاجله والسببية هنا واضحة فى « لاجله » وكذلك يعبر عن هذا المعنى بنصب المضارع بعد اللام « وكى والفاء وحتى نحو جئت لاتحدث اليك وكى اتحدث اليك وحتى اتحدث ، ولكن هل لقيتك فأتحدث اليك . فالسببية (وهى احد معانى الغائية) واضحة فى كل ذلك تتضافر معها قرائن كالعلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (اشتراط المصدر المخالف فى مادة الاشتقاق) فى المفعول لاجله كما تتضافر معها العلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (فى المضارع) والاداة (اللام وكى وحتى والفاء) فى بقية الامثلة . والغائية فى كل ما تقدم غائية السبب (اذ تكون الغاية بمعنى السبب) .

واما غائية الزمان فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمضارع بعد لن واذن وحتى واذن لان « لن » تفيد نفى الغاية الزمانية فاذا قلت « لن تطلع الشمس من المغرب » فالمعنى ان طلوعها منفى الى آخر الزمان ولذلك تصاحبها « ابدا » و « اذن » تحدد غاية زمانية يترتب عندها حدث على حدث آخر . تقول : « ازورك »

فاجيبك « اذن فاكرمك » اى عند هذه الغاية الزمانية ، وليس المقصود هنا « بسبب زيارتك » وانما المقصود « عند زيارتك » .

و « حتى » تفيد استمرار حدث الى غاية زمانية هى وجود حدث آخر تقول « نم حتى يؤذن للفجر » فيكون المعنى طلب استمرار النوم الى غاية زمانية هى حدوث الاذان ومثل حتى « أو » كقولك : لألزمنك او تقضينى حقى . ويتضافر مع الغائية هنا قرائن كالعلامةالاعرابية (فتحة المضارع) والبنية (المضارع) والاداة (لن واذن وحتى) والتضام (افتقار الاداة الى المضارع)الخ

واما غائية المكان فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمضارع بعد حتى خاصة اذ تقول : « سر حتى تصل الى المدينة » فالغائية هنا تتمثل فى الوصول الى النقطة المكانية التى يبدأ عندها وجود المدينة . وتتضافر مع الغائية هنا قرائن العلامة الاعرابية والصيغة والاداة والتضام كما سبق .

لقد رأينا هنا وفيما سبق كيف تتضافر القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى النحوى كما رأينا هنا أن العلاقة النحوية قد يعبر عنها بأكثر من صورة واحدة وأن صور التعبير عنها تتعدد بتعدد ظلال المعنى ومطالب التعبير عن كل ظل من هذه الظلال .

جـ — المعية : وهى علاقة مصاحبة بين ما قبل الواو والمنصوب بعدها وتكون فى اللغة العربية على الصور الآتية :

اولا : مصاحبة معنى الحدث الذى فى الاسناد للمفعول معه نحو سرت ويمين الطريق وفى هذه الحالة تتضافر مع المعية قرائن اخرى للكشف عن المعنى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو) والتضام (افتقار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المنصوب وتأخرهما معا عن الدال على الحدث) . ويختلف معنى المصاحبة هنا عن معنى المشاركة المستفاد من واو عطف المنصوب على مثله لان واو العطف تربط بين المتعاطفين على سبيل التشريك والمعية تفيد مجرد المصاحبة . ولكن المنصوب بعد الواو قد يصلح لكلا الامرين فلا يكون تحديد احدهما الا بقرينة السياق كما فى نحو « احببت الجو وحلول الربيع » .

ثانيا : عدم مصاحبة ما قبل الواو لمعنى المضارع المنصوب بعدها نحو « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » والقرائن التى تتضافر مع المعية هنا كالعلامة الاعرابية (نصب المضارع) والبنية (المضارع ذاته) والرتبة (تقدم الواو على المضارع وتأخرهما عما عداهما فى الجملة) ويتمثل عدم المصاحبة فى الامر والنهى والاستفهام والتمنى والنفى وقد يفسر عدم المصاحبة هنا فى نطاق قرينة المخالفة إذ ان ما بعد الواو هنا منصوب على مخالفته لمعنى آخر يمكن ان يرد عليه يغلب فيه أن يكون المشاركة .

وثالثا : مصاحبة مبتدأ لمدخول واو المعية المذكورة بعده نحو : « كل عامل وعمله » وتغنى الواو وما بعدها فى هذه الحالة عن الخبر على نحو ما تغنى عنه الحال فى « ضربى العبد مسيئا » وتتضافر مع المعية هنا قرائن أخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو نفسها) والتضام (افتقار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المصحوب) ويمكن فى النصب هنا ايضا ان يكون على معنى المخالفة للعطف (أى بقرينة المخالفة) .

د — الظرفية : وهى معنى المفعول فيه ويعبر عن معنى الظرفية بالظروف الاصيلة التى هى قسم بعينه من اقسام الكلم كما يعبر عنه بالظروف المنقولة كالاسماء المبهمة والمصادر والصفات والاشارات والحروف . وقد فصلت القول فى ذلك فى حينه . غير ان معنى الظروف الاصيلة هى ظرفية الاقتران (اى على معنى حين وحيث) ومعنى الظروف المنقولة ظرفية الاشتمال (اى على معنى فى) ومن هنا افتقرت الظروف الاصيلة الى حدثين فى جملتها ولم تفتقر المنقولة الى ذلك (قرينة التضام) فاذا حل الظرف الاصيل فى موقع المفعول فيه فان القرينة التى تتضافر مع الظرفية فى بيان معنى المفعول فيه هى (البنية) وليس المقصود بالبنية هنا معنى اشتقاقيا وانما المقصود الصورة العامة) اما بالنسبة لما ينقل الى معنى الظرفية من المعربات فالقرينة الاخرى هى العلامة الاعرابية (الفتحة التى يستحقها المفعول فيه) . والذى ارمى اليه مما تقدم أن الظرفية قرينة معنوية تدل على باب نحوى هو المفعول فيه وتتضافر معها فى ذلك قرائن اخرى .

هـ — التأكيد والتحديد : التأكيد والتحديد شقا قرينة

معنوية داله على معنى المفعول المطلق فى النحو فاذا قلت : « قمت قياما » فهذا هـو التأكيـد واذا قلت : « قمت قيام العجلان » فذلك تحديد النوع واذا قلت : « قمت ثلاث قومات » مثال تحديد العدد والملاحظ ان اسم الهيئة حين يستخدم فى معنى المفعول المطلق يراد به تحديد النوع وان اسم المرة يراد به تحديد العدد .

و ــ **الملابسة** : هذه هى القرينة المعنوية الدالة على باب الحال فاذا فهم المرء من الوصف المنصوب وما فى معناه من جملة ذات قرائن معينة الخ . معنى الملابسة فقد ادرك ان ذلك تعبير عن باب الحال وتتضافر مـع الملابسة فى بيان الحال قرائن اخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى ينصب بها الوصف) والبنية (وصفيـة الوصف وتنكيره وتعريف صاحب الحال) اما بالنسبة للجملة فقرينة الاداة (الواو قبل المضارع وقد) والبنية (تعريف صاحب الحال وما فى الجملة مـن شروط) والرتبة (تأخر الحال على صاحبها) .

ز ــ **الاخـراج** : الاخراج قرينة المستثنى فاذا فهم السامع او المعرب من الكلام معنى الاخراج ادرك ان ما قصد اخراجه فقد قصد استثناؤه ومن ثم فهو مستثنى من فهم ما سبقه من اسناد . وتتضافر مـع قرينـة الاخراج فى كل الحالات قرينـة اخـرى هـى الاداة (الا الاستثنائية) كما تتضافر معها العلامة الاعرابية فى حال التمام (الفتحة على المستثنى) فكلما ذكر المستثنى منه فالعلامة الاعرابية واحدة من القرائن الدالـة على معنى المستثنى ولا يجوز لها أن تتخلف الا مع النفى . اما مع النفى والنقصان فلا تتضافر مع معنى الاخراج الا الاداة فقط فلا تكون العلامة الاعرابيـة حينئـذ بين القرائن الدالة على المستثنى .

ح ــ **التفسير** : ومعنى التفسير هو القرينة الدالة على التمييز وتتضافر معه قرائن اخرى كالبنية (كـون التمييز اسما نكرة جامدا مفسرا لمبهـم) والعلامـة الاعرابية (الفتحة فى مواضعها والكسرة فى مواضعها) والرتبة (تأخر التمييز عن المميز) والاداة (مـن فى مـواضعهـا) .

واما القرينة العامة فى المجرورات جميعا فهـى قرينة النسبة وقد يستفاد هذا المعنى من الاضافة او معنى حرف الجر وواضح ان الاضافـة نسبة بين المضاف والمضاف اليه وان المعانى التى رصدها النحاة للحروف هى فى كل حالة نسبة بين الحـدث وبين المجرور لقد احصى النحاة لحروف الجر عددا مـن المعانى يناهز الثلاثين فى العـدد كابتـداء الغايـة وانتهائها والبعضية والظرفية والتعليـل والمجـاوزة والاستعانة والاستعلاء والمصاحبة والالصاق والقسـم والتشبيه وبيان الجنس والتوكيد والملك والاستحقاق والنسب والعاقبة والمقايسـة والتعـويض والتعجب والاستدراك والتبليغ والتبييـن والبعديـة والبدليـة والعندية والتعدية والزيادة وكل ذلك مشروح فى كتب المتون . والملاحظ ان كل هذه المعانى نسبية رابطـة بين امرين احدهما الحدث الذى فى الاسناد وثانيهمـا المجرور الذى بعد الحرف .

فاذا قلت « جلست على الكـرسى » فان معنـى الاستعلاء الذى تفيده « على » انما يعبر عن نسبـة بين مستعـل هو صاحب الضمير المتصل وبين مستعلى عليه هو المجرور وهذا هو الذى يقصده النحاة بقولهم ان الجار والمجرور متعلق بكذا فهم يقصدون أن معنى النسبة قائم بين المجرور وبين كذا بقرينة الحرف . واذا قلت « صلى زيد فى المسجد » فان معنى الظرفية الذى تفيده « فى » يربط بين الصلاة (الحدث) وبين المسجد (المجرور) فيكون نسبة بين الظرف والمظروف كما كان الاستعلاء من قبـل نسبـة بين المستعلى والمستعلى عليه . ولما كانت الظروف المنقولـة على معنى الظرفية الاشتمالية التى تفيدها (فى) لم يكن من العجيب أن يجعل النحاة الظرف متعلقا تعلق الجار والمجرور . والقرائن التى تتضافر مع قرينة النسبـة متعددة كالعلامة الاعرابية (الكسرة التى يعرب بها المضاف والمجرور الذى بعد الحرف) والتضام (تلازم المضاف والمضاف اليه وتلازم الحـرف والمجـرور) والاداة (حروف الجـر) .

اما التبعية فهى القرينة التى يفهم بها ارتباط التابع بالمتبوع وهى قائمة بين ما يلى :

المتبـوع :	**التـابـع :**
ا ــ المعطوف عليه بالحرف	المعطوف بالحرف
ب ــ المنعـوت	النعـت
جـ ــ المـؤكـد	التـوكيـد
د ــ المبدل منه	البـدل
هـ ــ المبيـن	البيـان .

والقرائن التى تتضافر مع معنى التبعية فى بيـان المتبوع والتابع منها مطابقة العلامة الاعربيـة (اذ هى متشابهة فيهما) ومنها فى عطف النسـق الاداة

(حرف العطف) وفى النعت المطابقة وفى التوكيد البنية (ألفاظ بعينها أو تكرار السابق) وفى البدل التضام (جواز التضام فى البدل على وجه ما يعبر عنه النحاة بنية تكرار العامل) وفى البيان المطابقة .

واما المخالفة فهى القرينة المعنوية الدالة على طائفة من المنصوبات منها ما يأتى :

ا — المختص نحو : « نحن العرب نكرم الضيف » لمخالفته للخبر فى « نحن العرب » .

ب — الفعل بعد أن المصدرية : لمخالفته لما بعد المخففة من الثقيلة .

جـ — منصوب التعجب : لمخالفته للفاعل المرفوع فى « ما احسن زيد » .

د — المنصوب بعد كم الاستفهامية : لمخالفته المجرور بعد كم الخبرية .

هـ — المصادر المنصوبة نحو سقيا لك ورعيا : لمخالفتها للمبتدآت من نوعها .

و — المنصوب بعد المبتدأ على المعية : لمخالفته للمعطوف على المبتدأ .

ز — بعض الاسماء فى اساليب الانشاء نحو :

راسك والسيف ، احشفا وسوء كيلة ، لمخالفة ذلك لرفعه فى الاسناد الخبرى .

والملاحظ أن قرينة العلامة الاعرابية (الفتحة التى على المنصوب على المخالفة) هى التى تتضافر دائما مع قرينة المخالفة .

ثانيا : القرائن اللفظية :

سبق أن بينت أن الذى اقصده بالقرائن اللفظية هو :

البنية — العلامة الاعرابية — المطابقة — الربط — التضام — الرتبة — الاداة — النغمة .

وتلعب هذه القرائن دورا هاما فى التعرف على الابواب النحوية حتى انها تعتبر من قرائن فهم القرائن المعنوية لانها أيسر وصولا الى الفهم من تلك القرائن المعنوية ومن ثم نرى المعربين اقل خطأ فى الاهتداء بها الى الاعراب الصحيح . وسنحاول ان نعرض هذه القرائن واحدة بعد الاخرى كما يلى :

ا — **البنية** : البنية او صورة الكلمة قرينة هامة فى الدلالة على استعمالها النحوى وقد سبق لنا عند التفريق بين اقسام الكلم ان كان من بين ما فرقنا به بين الاقسام أمورا منها :

اولا : ان الفعل لا يكون الا مسندا فاذا تبدت لنا بنية الفعل فى الكلام كانت قرينة على السند .

ثانيا : أن الاسم لا يكون فى الاسناد الا مسندا اليه فاذا رأينا بنية فى السياق دلت على معنى المسند اليه.

ثالثا : ان الصفة صالحة للمسند والمسند اليه فاذا وردت فى الكلام بنية الصفة امكن تعليقها على هذين الاحتمالين .

رابعا : ان الادوات تعبر عن معان صرفية عامة (حقها ان تؤدى بالحرف) فاذا راينا بنية الاداة اتخذناها قرينة على المعنى الصرفى العام .

خامسا : أن الضمائرتستعمل فى الربط فاذا رأينا الضمير تطلعنا الى العائد واتخذنا ذلك قرينة على ترابط أجزاء الجملة .

سادسا : ان الظرف يأتى بمعنى اقتران الجديثين فى الزمان او المكان فاذا رأينا بنية الظرف فى الجملة كانت قرينة على هذا المعنى .

ولايضاح هذا الكلام نعرض الجملة الآتية : « جلس المعلم بين تلاميذه» فأول قرينة على ان الكلمة الأولى فى الجملة فعل ماض هى بنية الفعل ومن القرائن الدالة على أن الكلمة الثانية فاعل أنها اسم (منقول عن الصفة) ولو لم يكن كذلك ما اعرب فاعلا والقرينة الدالة على ان الكلمة الثالثة مفعول فيه ما نعرفه فيها من بنية الظرف اذ هى معدودة بين المبهمات المنقولة الى الظرفية والقرينة الدالة على ان الكلمة الرابعة مضاف اليه أن بنيتها بنية الاسماء بل أن بعض المعربين يعرف فوق ذلك انها اسم طارىء على اللغة بالتعريب والقرينة الدالة على أن الهاء مضاف اليه ان لها بنية ضمير الجر المتصل .

وهكذا نجد بنية الكلمة فى كل ما تقدم قرينة على معناها النحوى ودليلا على الاعراب وهذا هو الذى يوجب الاعتداد بالبنية الصرفية ان تكــون قرينـــة نحـــوية .

ب ـــ العلامة الاعرابية : والمقصود بالعـــلامـــة الاعرابية هنا اعم من ان يكون حركة او حرفا او تقديرا او حذفا الخ وان كان النحاة قد منحوا الحركة الاعرابية من الاهتمام ما جعل النحو يبدو وكأنه علم اواخر الكلم فى السياق . علق النحاة المعنى بالحركات وبنوا على ذلك منهجهم فى النحو فقالوا ان الحركات اثر العامل وقسموا العوامل الى لفظية ومعنوية واكثروا من عددها حتى وصلت الى المائة عدا . ولست انكر دلالة علامات الاعراب على المعانى النحوية ولكننى لا بـــد ان اشير كذلك الى ان العلامة الاعرابية لا يمكن ان تستقل بالدلالة على هذه المعانى ويكفى للاقتناع بذلك ان اشير الى ان الضمة هى الحركة التى تظهر فى المبتدا والخبـــر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر ان والتابـــع المرفوع فهل يمكن لها فى هذه الحالة أن تكون بمفردها قرينة على واحد فقط من هذه الابواب؟ والفتحة كذلك ترى فى نهاية المفعولين والحال والمستثنى والتمييـــز والمختص ومنصوب التعجب والمصادر النائبة عن فعلها والمنادى المضاف والمغرى به والمحذر منه الخ فهـــل يمكـــن لهـــا بمفـــردهـــا أن تكـــون قـــرينـــة على واحـــد فقـــط مـــن هـــذه الابـــــواب ؟ والكســـرة حركـــة المضاف اليـــه والمجـــرور بالحـــرف والتـــابع المجرور فكيف يمكن الزعم انها قرينة على احد هذه الابواب بمفردها؟ ان اية واحدة من هذه الحركات لو استقلت بالدلالة على المعنى النحوى لادى ذلك الى اللبس اذ يكون من نتيجة ذلك التباس المبتدا بالخبر والفاعـــل الخ واختلاط المفعولين بالحال والتمييز الخ وتشـابـــه المضاف اليه وبقية المجرورات من حيث القرينة الدالة على المعنى فى الاسماء المبنية والجمل ذوات المحل لا يمكن اعرابها بقرينة العلامة الاعرابيـــة فلو كـــانت العلامة الاعرابية قرينة مستقلة ما وصلنا الى فهم اعراب هذه العناصر ابدا . يضاف الى ذلك أن النحاة اضطروا فى بعض المواضع الى الاعراب بالحروف وصادفوا فى ذلك متاعب مشهورة فى حسم المشكلة التى مثلت لهم نتيجة لذلك : هل تقدر الحركات على هذه الحروف او لا تقدر كما ناقشوا مسألة اخرى هى هل يكون الاعراب فى موضع واحد او فى موضعين . ان العلامة الاعرابية لو قصد بها ان تستقل بالدلالة على الباب النحوى لكان على اللغة ان تجعل لكل باب نحوى علامته الاعرابية المستقلة ولكانت الحركات والحروف بعدد ما فى النحو مـــن ابـــــواب .

ولكن العلامة الاعرابية احدى القرائـــن فيتـــوقف المعنى عليها حينا كما فى نحن العـــرب نكـــرم الضيف بنصب العرب وعلى غيرها من القرائـــن حينا آخـــر كتوقف المعنى على البنية فى غير المعربات وعلى الرتبة فى نحـــو ضرب موسى عيسى وعليهمـــا فى جاء هـــذا القـــاضى الخ .

جـ ـــ المطابقة : عند ما تكلمت عن معانى التصريف ومبانيه فى معرض شرح النظام الصرفى قلت ان هذه المبانى الصرفية هى التى تكون فيها المطابقة . وازيد هنا ان المطابقة تكون فيما يلى :

1 ـــ التكلم والخطاب والغيبة : وهى المقصود بعبارة الشخص .

2 ـــ الافراد والتثنية والجمع : وهى المقصود بعبارة العـــدد .

3 ـــ التذكير والتأنيث : وهى المقصود بعبارة النوع .

4 ـــ التعريف والتنكير : وهى المقصود بعبارة التعيين .

5 ـــ الحركة الاعرابية : وهى المقصود بعبارة الاعراب.

ويتضح ذلك فى اسناد الفعل الى الفاعـــل ونائب الفاعل وفى المبتدأ والخبر وفى الحال وصاحب الحـــال وفى المنعوت والنعت الحقيقى وغيرها من الابواب التى تكون فيها مطابقة من نوع ما .

والمطابقة قرينة على الباب النحوى كما أنها وسيلة من وسائل ترابط الجملة ويتضح ذلك فى المطابقة اذا نظرنا فى الجملة الآتيـــة :

الرجلان الفاضلان يقه ـ ان .

وواضح ان هذه الجملة تشتمـــل على مطابقـــة فى الامـــور التـــاليـــة :

1 ــ **الشخص** : الاسم والصفة التى بعده فيهما غيبــة والفعل مسند الى ضمير الغائب ومبدوء بالياء .

2 ــ **العــدد** : فى الاسم والصفة الف التثنية وفى الفعل الف الاثنيــن .

3 ــ **النــوع** : فى الاسم والصفة تذكير والفعل مسند للمذكر كما تدل ياء المضارعة .

4 ــ **التعييــن** : المطابقة هنا بين المبتدا ونعته فكلاهما معــرف باللام .

5 ــ **الاعراب** : وهنا ايضا تبدو المطابقة بين المبتــدا ونعته لكن فى الرفع .

هذه المطابقة تجعل للجملة ترابطا يذكرنــى بقــول عبد القاهــر: «ياخذ بعضها بحجز بعض» ولو اهدرنا هذه المطابقات جميعا فى الجملة لم تعد كلاما بل انها اذن تتحول الى مفردات مبعثرة كالذى يبدو بعد افساد المطابقة كما يلى :

الرجلان فاضلة نقوم

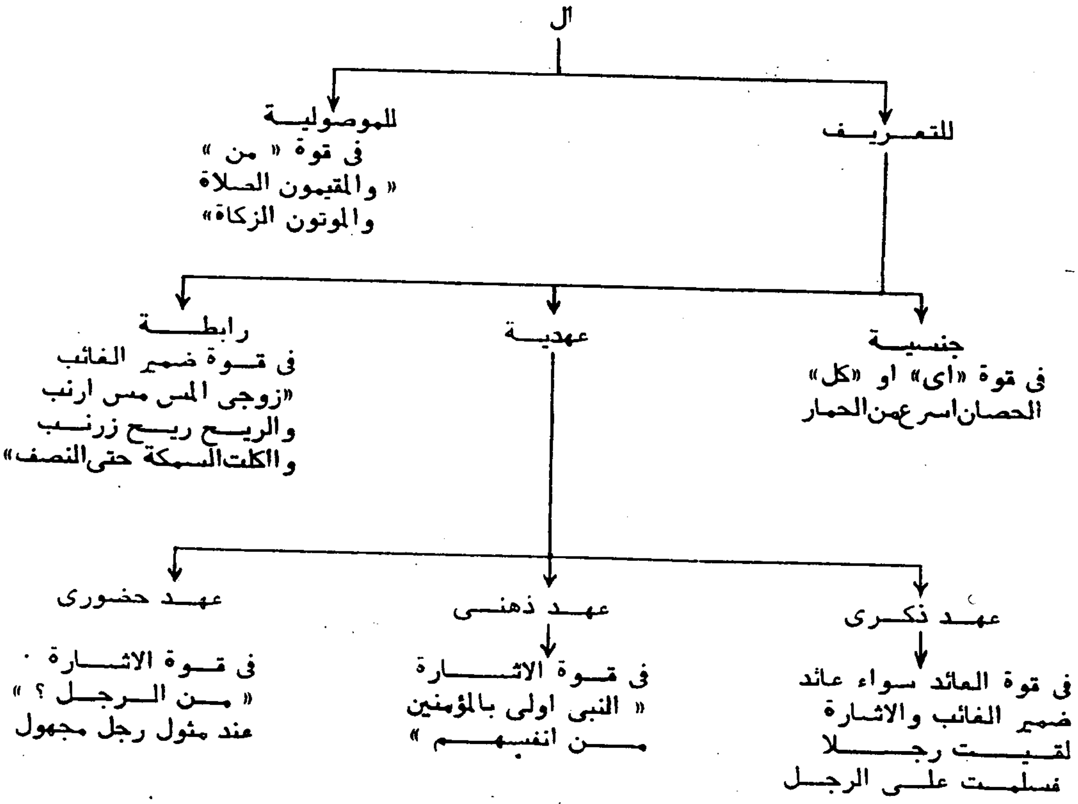
فليس بين اية كلمة وصاحبتها مطابقة فى شخص ولا عدد ولا نوع ولا تعيينولا اعرابومن تم لا ترتبط واحدة منها بالاخرى والنتيجة ان لا جملة .

د ــ الــربط : هذه الاهمية القصوى لترابط السياق النحوى كما راينا فى أمر المطابقة حتمت كذلك ان يشتمل السياق على عناصر لفظية اخرى تعين على فهم الجملة لانها تربط بين اجزائها فمن ذلك مثلا عود الضمير على مرجع معين فى الجملة فالضمير العائد بما بينه وبين مرجعه من مطابقة فى الشخص والنوع والعدد يغنى عن تكرار ما يعود اليه وييسر فهمه فيكون قرينة رابطة فى نطاق السياق ومن ذلك تكرار اللفظ وهــو اقــل استعمالا من عود الضمير واكثر ما يجرى استعماله ان يكون لسبب بلاغى ويتضح ذلك من الموازنة بيــن عبــارتــى :

قابلت صديقى فأنست اليه .

قابلت صديقى فأنست الى صديقى .

ومثلــه : « سعــاد التــى اضنــاك حــب سعــاد » وقــد يكــون الــربــط بضميــر الاشارة لمــا يحملــه فى بنيته من المطابقــة ايضا ولانه ضمير من الضمائر على اى حال وقد عرفنا ذلك فى تقسيم الكلم ومما يدل على ما بين الاشارة وضمير الشخص مــن آصرة قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بمــا آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ... » اذ لو وضعنــا الاشارة موضع « هو » فى الكلام العادى ما تغير من المعنى شىء . ومن استعمال الاشارة فى الربط قولــه تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » وقوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم » . ومن العناصر الرابطة فى الجملة « ال » لكن لا على اطلاقها فهى تكون رابطة فى بعض صورها دون بعض كما يبدو فيما يلى :



بهذا نرى ان الرابطة قسم من اقسام « ال » اما ذات العهد الذكرى فاقرب الى الربط بتكرار اللفظ .

وقد يحدث الربط بالاداة كالذى تفيده الفاء الواقعة فى جواب الشرط واللام الواقعة فى جواب ان واللام الواقعة فى جواب لولا والقسم وكالذى تفيده حروف العطف وواو المعية وواو الحال واذا المفاجأة وكالذى تفيده الادوات ذوات الصدارة فى الجمل كأداة الشرط والاستفهام الخ حيث تربط الاداة بين اجزاء الجملة وتعطى الجملة اسلوبها المخصوص لانها تلخص معناها حتى أن الجملة لو حذفت بدليل وبقيت الاداة لافادت المعنى كاملا .

وقد يحدث الربط بقرائن اخرى كقرينة المعرفة او النكرة قبل الجملة الواقعة حالا او نعتا فان ارتباط الجملة الفرعية باحداهما على احدى الصورتين منوط بتعريف الاول او تنكيره الى جانب الضمير العائد فى الحالتين .

هـ ــ التضام : والمقصود بالتضام ان تستدعى احدى الكلمتين الكلمة الاخرى او تنفيها ويكون استدعاء احدى الكلمتين للاخرى اما على سبيل الافتقار كحرف العطف حين يستدعى المعطوف واما على سبيل التطلب كالفعل حين يتطلب الفاعل او نائبه والتابع حين يتطلب المتبوع والمضاف يتطلب المضاف اليه والمبتدأ يتطلب الخبر باعتبار ذلك حاجة من حاجات المعنى . فاذا جاء اللفظ الذى يتطلب الآخر كان قرينة من القرائن تقع تحت عنوان التضام . ويعتبر التضام بهذا المعنى هو الاساس الوحيد الذى يقبل معه القول « بالحذف » و « الزيادة » فى النحو العربى ولولاه ما قبل ذلك .

واما تنافى اللفظين فمثاله انتفاء ان يكون ما بعد الضمير نعتا للضمير او مضافا اليه وأن يكون ما بعد « قد » فعل امر وأن يكون ما بعد حرف الجر فعلا كما فى « بيزيد » (اى على نهج العامية) . فهذا التنافى بين المعانى النحوية يدخل ايضا تحت قرينة التضام لان تنافى المعنيين هو « سلب التضام » .

هكذا يكون التضام احدى القرائن النحوية وقد اكثر النحاة الكلام فى دخول الحروف والادوات لكل اداة مدخولها الذى يضامها بالايجاب وما يمتنع دخولها عليه على طريق سلب التضام ولعل ما يلحظ فى بعض الابواب

من تطلب للابواب الاخرى هو المسئول عن ظاهرة « التقدير للمحذوف » فى النحو العربى لان المطلوب اذا لم يكن مذكورا فان كونه مطلوبا قد حتم فى نظرهم تقديره فى الكلام .

و — الرتبة : وهى اما محفوظة او غير محفوظة فالرتبة محفوظة بين الفعل والفاعل وبينه وبين نائب الفاعل وهى كذلك بين حرف الجر والمجرور وحرف العطف والمعطوف والموصول وصلته واداة الاستثناء والمستثنى وكذلك الواو والحال الجملة والواو والمفعول معه ومن الادوات ما يحفظ رتبة الصدارة فلا يتقدم عليه جزء من الجملة كأدوات الشرط والاستفهام والتمنى والترجى والعرض والتخصيص الخ ولا يتقدم النعت على المنعوت ولا المضاف اليه على المضاف وهلم جرا . ومعنى ان الرتبة قرينة هنا انها معلم من معالم الطريق فى السياق تتعين بها مواقع الكلام ويعرف الباب النحوى حينئذ بموقع الكلمة من السياق .

واما غير المحفوظة فهى الرتبة التى قد تهدر اذا امن اللبس او اقتضى السياق تخلفها ولكنها تحفظ اذا توقف المعنى عليها أو اقتضى السياق الاحتفاظ بها وتلك هى الرتبة بين المبتدأ والخبر وبين الفاعل والمفعول به وبين المفعول الاول والثانى وبين اسم ان وخبرها واسم كان وخبرها وبين نعم والمخصوص وهلم جرا فمثال اهدارها عند أمن اللبس تقدم الخبر على المبتدأ ومثاله حين يقتضى السياق تقدم المفعول على الفاعل فى زيد ضربه عمرو ومثال ضرورة حفظها لتوقف المعنى عليها ضرب موسى عيسى ومثال حفظها حين يقضى السياق ضربت زيدا .

ومعنى ذلك أن الرتبة المحفوظة تصبح محفوظة اذا اقتضى ذلك المعنى او المبنى كما مر . ولكن اذا لم يقتض احدهما حفظ الرتبة التى من هذا النوع كانت هناك حرية التقديم والتأخير فى الاستعمال .

ز — الاداة : كان من الممكن أن تقع الاداة باعتبارها قرينة ضمن البنية ولكن الذى دعانى الى افرادها امران:

1 — ان الادوات المنقولة من الفعلية (كالنواسخ) ومن الظرفية (كأدوات الشرط) تحتفظ غالبا ببنيتها التى كانت عليها قبل النقل ومن ثم لا تكون بنيتها قرينة على المعنى الذى أريد بها بعد النقل .

2 — ان بعض الادوات غير ثابت البنية ولا سيما من حيث الاشباع والاضعاف فى النطق ومن حيث الانفصال والاتصال فى الكتابة بما بعدها كما تتصل باء الجر بالمجرور .

وقد يعترض بأن الاشباع والاضعاف ليسا خاصين بالادوات اذ يكونان فى الضمائر كذلك فالجواب على ذلك ان الضمائر المتصلة تلصق بأواخر الكلمات فيعرف المتكلم كمية الضمير بحسابها من نقطة انتهاء الكلمة التى اتصل بها الضمير ولكن الادوات تلصق بأوائل الكلمات فيرد عليها اللبس .

وما دامت الادوات قد وضعت اساسا للدلالة على المعانى الصرفية العامة التى حقها ان تؤدى بالحرف فلا بد أن تكون كل اداة بالضرورة قرينة لفظية على المعنى الذى سيقت له . فنحن نفهم معنى الشرط من «ان» والاستثناء من «الا» والاستفهام من «هل» والتحضيض من «هلا» والقسم من «الواو» وهلم جرا وما دمنا نفهم هذه المعانى مباشرة من الادوات فالادوات قرائن لفظية على هذه المعانى .

ح — النغمة : قرينة لفظية لانها لا يكون تصورها الا فى الكلام الملفوظ وهى فى معظم الحالات تصاحب القرائن الاخرى لكل أسلوب من اساليب الجمل العربية كالاثبات والنفى والتوكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجي والعرض والتحضيض والقسم والشرط والافصاح الخ يقترن بهيكل تنغيمى عرفى مخصوص يعرف به الاسلوب المعين فتكون النغمات مشتركة فى الدلالة مع البنية والعلامة الاعرابية والمطابقة والربط والتضام والادوات .

ولكن هناك حالات فى الاستعمال العربى تستقل فيها النغمة بالدلالة فتكون القرينة الوحيدة فى الكلام واكثر ما يكون ذلك عند حذف الاداة من الكلام ولا سيما ادوات الصدارة . ومن أمثلة ذلك ان تخرج علبة السجائر من جيبك وتقدمها مفتوحة الى صديقك وتقول بنغمة العرض : «سيجارة ؟» والمعنى : «الا تاخذ سيجارة ؟» فهنا أهدرت الاداة وهى قرينة اتكالا على النغمة وهى قرينة اخرى فاستقلت النغمة بالدلالة على المعنى المراد. ولولاها لكانت كلمة « سيجارة » « كلمة مفردة لا جملة مفيدة » .

ولقد وقع مثل ذلك فى التراث حين قال عمر بن ابى ربيعة :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

فجملة « تحبها ؟ » جملة استفهامية بقرينة رواية البيت بنغمة الاستفهام خلال العصور . وهناك دليل آخر على معنى الاستفهام هو « قالوا » و « قلت » مما يفهم منه السؤال والجواب وهذا الدليل هو الذى ساعد على تواتر رواية البيت بهذه النغمة وعدم العدول عنها الى نغمة اخرى . وواضح ان النغمة حفظت معنى الاستفهام هنا على رغم حذف الهمزة لضرورة الشعر .

تضافر القرائن :

ليس من شأن النحو العربى ان يدع لاحدى القرائن مهما كانت اهميتها فى المعنى ان تستقل بمفردها بالدلالة على باب نحوى من ابواب السياق . يصدق ذلك على جميع القرائن دون استثناء . فاذا نظرنا مثلا فى القرائن المفرقة بين المنصوبين فى «ضرب زيد عمرا» و « ضرب زيد ضربا » وجدنا ان الفارق الاول يكمن فى ان عمرا اسم علم وان ضربا مصدر من مادة الفعل فهذا الفرق راجع الى قرينة البنية ثم وجدنا ثانيا ن العلاقة بين الفعل وبين عمرو هى علاقة التعدية ولكن العلاقة بين الفعل والمصدر هى علاقة تاكيد الحدث وهكذا نرى ان القرائن الدالة على المفعول به فى الجملة الاولى كما يأتى :

1 — البنية : فلو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما صحت له المفعولية .

2 — التعدية : وتفهم هذه العلاقة ما كان مفعولا به .

3 — العلاقة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما كان مفعولا به .

وكذلك نرى القرائن الدالة على المفعول المطلق فى الجملة الثانية كما يلى :

1 — البنية : وقد تحقق له منها امران :

أ) المصدرية .

ب) مشاركة الفعل فى مادة اشتقاقه .

2 — التاكيد وهذا المعنى مفهوم من البنية ومن ترك تحديده بوصف او اضافة او عدد .

على ان المصدر فى هذا الموقع اذا حدد باضافة او وصف او عدد كان محددا لا مؤكدا واذا لم يشارك الفعل فى مادة اشتقاقه فان افاد غايته فهو مفعول لاجله وان افاد ملابسة اعرب حالا وان افاد تاكيدا اعرب نائبا عن المفعول المطلق.

3 — العلامة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما اعرب مفعولا مطلقا .

وهكذا نرى ان كلا من المفعول به والمفعول المطلق لم ينكشف الا بعدد من القرائن وان القرينة الواحدة لا يمكن ان تدل على المعنى الاعرابى .

ويمكن ان نرى مثل ذلك حين نعرض للفاعل فى «ضرب زيد» ونائبه فى « ضرب زيد » فالقرائن الدالة على الفاعل فى الجملة الاولى كما يلى :

1 — البنية :

فهو اسم ولو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما كان فاعلا وقد ضمن النحاة اعترافهم بهذه القرينة فى تعريف الفاعل حين قالوا : « الفاعل اسم .. الخ » ومن قبيل هذه القرينة ايضا بنية الفعل الذى قبله فلا يكون الفاعل فاعلا الا اذا كان هذا الفعل مبنيا للمعلوم .

2 — العلامة الاعرابية :

فهو مرفوع وعلامة الرفع قرينة من قرائن الفاعل ولو كان منصوبا مثلا لما كان فاعلا .

3 — المطابقة :

لان الفعل معه اسند الى المذكر الغائب فكان ذلك قرينة على ان احدهما للاخر اما من حيث الافراد والتثنية والجمع فالمطابقة هنا خارج نطاق القرائن المطلوبة .

4 ـ التضـــام :

لان الفعل يتطلب هذا الفاعل فلو لم يكن مذكورا لجرى تقديره فى الجملة وللنحاة عبارة مشهورة تقول : « كل فعل فلا بد له من فاعل » .

5 ـ الـرتـبـــة :

فهذا الاسم المرفوع جاء بعد الفعل فأعرب فاعلا ولو سبق الفعل لكان شيئا آخر غير الفاعـل. فرتبة الفاعل من الفعل رتبة التأخير وهى مـن الرتب المحفوظة التى لا تتخلف .

6 ـ الاسـنـــاد :

وهذه هى القرينة المعنوية التى تدل مع ما سبق على ان هذا فاعل اذ لو لم يكن مسندا اليه فى جملة فعلية ذات بنية خاصة ما كان فاعلا .

واما نائب الفاعل « زيد » فى الجملـة الثانيـة فقرائنـه مـا يأتـى :

1 ـ البنيـة : لانه اسم والفعل مبنى للمجهول .

2 ـ العلامـة الاعرابية : لانه مرفوع .

3 ـ المطـابقـة : الفعل مسند الى المذكر الغائب .

4 ـ التضـام : الفعل يتطلبه وقيدر عند عدم الذكر .

5 ـ الـرتبـة : مكانه دائما بعد الفعل .

6 ـ الاسـنـــاد :

هو مسند اليه فى جملة ذات بنية محددة ولا يلزمنا هنا فى فهم الاسناد ان نعتذر لانه مفعول فى المعنى لاننا لا نقدم مثل هذا الاعتذار مع فاعل الفعـل

المطاوع وله نفس الوضع والافكـار النحويـة وصفيـة لا منطقية .

وحين قال ابن مالك :

الحـال وصف فضلـة منتصب
مفهم « فى حال » كفـردا اذهب

كان يحاول ان يحدد القرائن التى يعرف بها باب الحـال وهـى :

1 ـ البـنـيـــة :

لان الحال المفردة تفهم من كونها احدى الصفات الخمس التى افردناها فى قسم من اقسام الكلـم فاذا جاءت على غير هذه البينة كالمصدر وغيره فذلك من باب النقل واهدار قرينة البنية الوصفية عند أمن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

2 ـ العلامة الاعرابية :

فالحال المفردة منصوبة ولا تكون غير ذلك .

3 ـ المطـابقـة :

يصر النحاة على ان الخبر والحال وصفـان فى المعنى ففيهما من المطابقـة بعض مـا فى النعت الحقيقى فيطابقان افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتـأنيثـا .

4 ـ الـربـط :

هذه المطابـقة تربط بين الحـال المفـردة وبين صاحبها ولكن النحاة فضلوا ان يحملوا الوصف ضميرا مستترا مطابقا وهكذا عززوا الربط بعود الضمير . اما الحال الجملة فأمر الضمير فيهـا أوضـح مـن ذلك .

5 ـ الـرتـبـــة :

رتبة الحال ان تكون بعد صاحبها واما ما ورد بخلاف ذلك فمداره جواز اهدار القرينة عند امن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

6 ـ الاداة :

وتتمثل هذه القرينة فى واو الحـال فى مواضـع ذكـرهـا .

وهكذا تضافرت القرائن المختلفة على بيـان بـاب الحال كما تضافرت على بيان الابواب الاخرى التـى ذكرتها من قبل . ولعلى بهذا اوضحت مبدا هاما مـن مبادىء النحو العربى لم يعطه النحاة من قبل ما يستحقه من اهتمام هذا ان كانوا قد فطنوا اليه فطنة تامة ،

لان كل ما جاء فى كلامهم عن شرح هذه القرائن كان ملاحظات متفرقة لا يسلكها نظام كهذا النظام الذى اعرضه .

جواز اهدار القرينة عند امن اللبس :

ان امن اللبس هو اغلى ما تحرص عليه اللغة استعمالا واثمن ما يتطلبه اللغويون تحليلا ومن ثم يصبح الوصول اليه غايةلا يدعو الامر بعدها الى البحث عن مزيد من القرائن . ومن هنا يكون اهدار القرينة عند امن اللبس امرا مقبولا لا يأباه الاستعمال اللغوى والدليل على ذلك اننا فى عرضنا اهدار كل قرينة على حدة فى الاستعمال سنحرص على ان تكون شواهد من القرآن ومن الشواهد التى استعملها النحاة ومن مسموعاتهم عن العرب ولكننى قبل ان ابدأ فى عرض اهدار القرائن واحدة بعد الاخرى احب ان اضرب مثلا يوضح سبب جواز اهدار القرينة . فالمعروف ان الحركة الاعرابية احدى القرائن وان النحاة بالغوا فى الحرص عليها وورث الناس عنهم هذه المبالغة فى الحرص وارتبطت نشأة النحو فى التاريخ بهذه الحركة الاعرابية فكان النحو لعلاج اللحن فى الاعراب . وكلنا يبدى تذمره عند الاستماع الى المحاضر او المذيع او المحامى حين يظهر اللحن فى كلامهم ولا تنضبط العلامات الاعرابية على السنتهم ولكننا على رغم ذلك كله نفهم ما يقولون بحيث لا يحتمل فى فهمنا معنى آخر اى ان امن اللبس قد توفر فى كلامهم على الرغم مما اصاب اواخر الكلمات من لحن . فلماذا ؟ لان المعنى النحوى — كما سبق ان اشرت — لا يرتبط بقرينة واحدة ولا يتوقف عليها . فحين اهدرت قيمة الحركة الاعرابية فى كلام المحاضر والمذيع والمحامى كانت هناك قرائن اخرى تحافظ على المعنى وهى القرائن التى عرضتها من قبل . وحين كانت هذه القرائن وافية فى الدلالة على المعنى اصبح اهدار قرينة العلامة الاعرابية فى الكلام امرا غير واضح الضرر لاننا وصلنا الى وضوح المعنى على اى حال .

وسنرى فيما بعد ان ذلك ونحوه وقع فى نصوص التراث لا عن خطأ اقترفه العربى الاول كما اقترفه المحاضر والمذيع والمحامى فى وقتنا هذا وانما وقع ذلك لاسباب خاصة بالاستعمال كضرورة الشعر او المجاورة او لاسباب بلاغية . ولا يدخل فى ذلك بالطبع اختلاف القرينة باختلاف اللهجة .

واول ما نعرض له من ذلك ان البنية باعتبارها قرينة نحوية ربما اهدرت اذا اتضح المعنى بدونها وهاك بعض الامثلة :

1 — تحافظ اللغة على ان تكون صلة ال صفة صريحة ولكن الضرورة الشعرية قضت وامن اللبس لم يمنع ان تكون صلة ال فعلا مضارعا فترانا فى التراث عبارة « الترضى حكومته » و « صوت الحمار اليجدع » وكذلك قول الشاعر : « من القوم الرسول الله منهم » .

2 — قد يستتر الضمير او يحذف المبتدأ والخبر او غيرهما فلا تقوم قرينة البنية شاهد على المعنى لعدم ذكرها فلا يؤدى اهدارها حينئذ الى اللبس.

3 — تحافظ اللغة على ان يكون خبر فعل المقاربة من قبيل الفعل المضارع ولكن ورد اهدار هذه القرينة فى قول الشاعر :

فعدت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

4 — تدخل لو على الفعل الماضى ومع ذلك ما نزال نستمتع بقول الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

5 — قد تهدر قرينة البنية فى المفعول المطلق فيسمى المنصوب حينئذ « النائب عن المفعول المطلق » .

6 — من شأن الحال ان يكون مشتقا وقد اهدرت البنية المشتقة فجاء الحال مصدرا كما جاء جامدا ولم يستطع النحاة حتى تأويله بالمشتق وذلك حين يكون موصوفا نحو قرآنا عربيا او معدودا نحو فتم ميقات ربه اربعين ليلة او تفضيليا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا او محددا نحو هذا مالك ذهبا او مفرغا نحو وتنحتون الجبال بيوتا او مؤصلا نحو اسجد لمن خلقت طينا .

7 — من شأن الحال ان تكون نكرة وقد اهدرت قرينة البنية فيها فجاءت معرفة نحو كلمته فاه الى فى وارسلها العراك وجاءوا الجماء الغفير .

8 — من شأن صاحب الحال ان يكون معرفة وقد ورد نكرة فلم يجد النحاة مسوغا لتنكيره وهذا من اهدار البنية عند أمن اللبس نحو مررت بماء قعدة رجل وعليه مائة بيضا « وصلى وراءه رجال قياما » .

9 — من شأن « اما » ان تتكرر ولكن قرينة بنيتها قد تهدر فلا يتم تكرارها نحو « اما ان تتكلم بخير والا فاسكت » وكقراءة ابى : « وانا او اياكم لاما على هدى او ضلال مبين » .

10 — من شأن الشرط والقسم اذا اجتمعا ان يكتفى بجواب ما تقدم منهما مع حذف جواب المتاخر ولكن ذلك تخلف فى بنية جواب القسم فى قول الشاعر :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم فى نهار القيظ للشمس باديا

11 — ورد فى النسب كثير مما اختلف مع القواعد المتصلة ببنية المنسوب نحو يمانى وسليقى وعميرى وقرشى وسلمى وهذلى وثقفى وعبدرى ومرقسى وعبقسى وعبشمى وبصرى ومروزى ورازى وبحرانى .

12 — قال الراجز : فى كلت رجليها سلامى واحدة .. فاطرح البنية الاصلية وهى كلتا للوزن .

13 — ولعل خير ما يمثل اعتراف النحاة بظاهرة اهدار قرينة البنية عند أمن اللبس قول ابن مالك :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة
ما لم تفد كعند زيد نمرة

اذ لو ترجمنا عبارته بعبارة هذا البحث لكان « ما لم تفد » فى صورة « ما لم يؤمن اللبس » فيجوز اهدار المعرفة واستعمال النكرة » .

واما اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند أمن اللبس فما اكثره فى التراث العربى حتى لقد وجد النحاة فيه مجالا خصبا للتخريج والتأويل والتقدير وسنحاول فيما يلى ان نورد امثلة على هذه الظاهرة التى كانت من اسباب تضخم كتب النحو لمخالفتها لفلسفة العامل النحوى كما كانت سببا فى الكثير مما اعان اشتهار النحو العربى بالصعوبة وعدم الاطراد ولا سيما ان النحاة بنوا منهجهم على اساس وحيد هو اختلاف المعانى باختلاف الاعراب .

1 — واول ما نبدا به من هذه الامثلة ما سمع من قولهم : « خرق الثوب المسمار » برفع الثوب ونصب المسمار . وواضح ان اللبس مأمون فى هذه الجملة لاتضاح قرينة الاسناد بين « خرق » و « المسمار » وان قرينة التعدية واضحة بين « خرق » و « الثوب » فلما اتضحت القرينتان المعنويتان دون حاجة الى القرينة اللفظية اهدرت القرينة اللفظية (وهى العلامة الاعرابية) فى الكلام .

2 — قال تعالى : « ان هذان لساحران » ومن الواضح ان الاشارة اسم ان وان الصفة خبرها بالقرائن الآتية :

أ) الاشارة معرفة وهذا موضع المعرفة والصفة نكرة مشتقة وذلك شأن الخبر المفرد وهذه قرينة البنية.

ب) دخلت ان على الاشارة ومن شأن « ان » ان تدخل على اسمها الا فى حالات محددة وهذه قرينة التضام .

جـ) اقترنت الصفة باللام ومن شأن ما اقترنت به اللام ان يكون خبرها الا اذا تقدم اللام ظرف او جار ومجرور فيكون الاقتران بين اللام واسم ان المؤخر نحو ان فى الدار لزيدا وان عندك لزيدا وهذه قرينة التضام ايضا .

د) تقدمت الاشارة على الصفة حسب قاعدة الاسم والخبر وهذه قرينة الرتبة .

فلما تضافرت هذه القرائن جميعا اصبح اللبس مأمونا فأهدرت العلامة الاعرابية لتكون هناك مناسبة صوتية بين الاسم والخبر . وكثيرا ما تكون المناسبة الصوتية مطلبا من مطالب الاسلوب الادبى ولا سيما اسلوب القرآن وما فيه من الفواصل واسلوب الشعر وما فيه من القوافى .

وشبيه بهذه الآية قوله :

اذا مت كان الناس صنفان شامت
وآخر مثن بالذى كنت اصنع

وقوله :

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن
خطاك خفافا ان حراسنا اسدا

3 — ومثل ذلك ما يقال فى « جحر ضب خرب » بالجر فى الكلمة الاخيرة اذ ان قرينة التبعية تبدى ان الخراب مما يوصف به الجحر ولا يوصف به الضب فلما اتضحت قرينة التبعية وما يتضافر معها من المطابقة والرتبة اهدرت الحركة الاعرابية ليتم بها نوع من المناسبة الصوتية التى عللها النحويون بالجوار .

4 — قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ... » برفع الصابئين ومن الواضح ان قرينة التبعية (عطف النسق) مفهومة بين هذه المتعاطفات جميعا ولا يتطرق الى ذهن القارىء معنى ايسر من معنى العطف وقد تضافر مع التبعية من القرائن قرينة الاداة التى تمثلها واو العطف فأمن اللبس فاهدرت العلامة الاعرابية وربما كان ذلك للتنبيه الى عزل الصابئين عن اصحاب الديانات السماوية الثلاث لانهم ليسوا منهم .

5 — قال الشاعر :

ان اباها وابا اباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

ففى نهاية الشطرة الاولى كما فى نهاية الشطرة الثانية اهدار للعلامة الاعرابية لان اللبس مأمون وذلك للمناسبة اللفظية . وقد يقول قائل فى هذا الموضع كما فى « ان هذان لساحران » ان هذه لغة قوم والرد على ذلك ان هؤلاء القوم قد اهدروا العلامة الاعرابية اتكالا على وضوح القرائن الاخرى ولو لم يؤمن اللبس ما استطاعوا ذلك . هذا الا اننى اتشكك فى ان هاتين اللغتين لغتا قوم واميل الى الرأى بأن النحاة هنا يحاولون الاعتذار عن النصوص وهى ليست فى حاجة الى ذلك . وقد انكر المبرد لغة من يلزم المثنى الالف .

6 — قال الشاعر :

وتضحك منى شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلى اسيرا يمانيا

لاحظ اهدار العلامة الاعرابية فى « ترى » لا من اللبس .

7 — قال الشاعر :

وحلت سواد القلب لا انا باغيا
سواها ولا عن حبها متراخيا

والمعنى واضح واللبس مأمون ولكن النحاة ترددوا وتأولوا وتخيلوا ما شاءوا .

8 — وقال :

كأن اذنيه اذا تشوفا
قادمة او قلما محرفا

وحكى قوم منهم ابن سيدة ان قوما من العرب تنصب بها (كأن) الجزئين معا . فمن هؤلاء واين بقية ما روى عنهم من النصوص ؟

9 — وقال :

ان تقرآن على اسماء ويحكما
منى السلام والا تخبرا احدا

والقرائن واضحة واللبس مأمون والعلامة الاعرابية مهدرة .

10 — وقال :

الم يأتيك والانباء تنمى
بما لاقت لبون بنى زياد

وقرينة الجزم فى يأتيك مهدرة والمعنى واضح واللبس مأمون ببقية القرائن .

11 — وقالت الزباء :

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا

فنصب الخبر ولكن الكوفيين رأوه من قبيل تقدم الفاعل واوله البصريون على حذف الخبر والخبر ماثل امامهم .

12 — وقـــال :

الا رب مولـــود وليـــس لـــه اب
وذى ولـــد لـــم يلـــده ابـــوان

فاهدر الجزم ولكن وضوح القرائن الاخـرى حفظ المعنـــى مـــن اللبـــس .

13 — وقـــال :

امـــا ترى حيث سهيـــل طـــالعا
نجمـــا يـــضىء .كالشهـــاب لامعـــا

فاهدار الحركة واقع فى « سهيل » لان خبره «يضىء» قـــد اوضـــح المعنـــى .

14 — كل ما سماه النحاة قطع النعت فهو من قبيل اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند امن اللبس . وذلك كالذى مثلوا من قولهم : « جاء الرجلان الكريمين » .

15 — وقـــال :

لعـــن الاله تعلة بـــن مسافـــر
لعنا يشـــن عليـــه مـــن قـــدام

فأهدر الحركة قربانا للقافية والمعنى واضح بلا لبس ما دامت القرائن الاخرى تدل عليه .

وكذلك كان اهدار قرينة المطابقة عند امن اللبس مجالا للتخريج والتأول والتقدير لدى النحاة واوضح ما كانت هذه الظاهرة فى باب الفاعل والخبر والحال والنعت والموصول وهى الابواب التى تتكل كثيرا على المطابقة ومن امثلة ذلك ما يلى :

1 — قال تعالى : «والملائكة بعد ذلك ظهير» .وقال النحاة والمعنى : ظهيرون . واقول : اتضح المعنى فأمن اللبس مع اهدار قرينة المطابقة فساغ اهدارها مع وجود غيرها من القرائن ومنها الرتبة والعلامـــة الاعرابيـــة والبنيـــة والتضـــام .

2 — وقـــال الشـــاعـــر :

فـــلا ودقـــة ودقـــت ودقهـــا
ولا ارض أبقـــل ابقـــالهـــا

فأهدرت قرينة المطابقة فى خبر « لا » التى فى الشطرة الثانية لوضوح المعنى وأمن اللبس .

3 — وقـــال :

فمن يك اضحى بالمدينـــة رحلـــه
فانـــى وقيـــاربهـــا لغـــريـــب

وقدر النحاة ذلك « لغريبان » . وسببه احد امرين :

ا) اهدار القرينة عند امن اللبس وذلك بعدم المطابقة بين المتعاطفين وغريب .

ب) ان تكون جملة «وقياربها» حالا من الياء فى «فانى» وغريب خبرا لان . ويكون المعنى : فانى لغريب بالمدينة على الرغم من وجود قيار وعليه رحلى بها .

4 — وقـــال :

اكـــل عـــام نعـــم تحـــوونـــه
يلحقـــه قـــوم وتنتجـــونـــه

قارن ذلك بقـــولـــه :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنـــه ذلك عـــدنـــان وقحطـــان

« فالقوم » و « النعم » من اسم الجمع فاما ان تكون المطابقة للفظ والقرينة مهدرة فى الثانى واما ان تكون للمعنى والقرينة مهدرة فى الاول .

5 — سمع عن العرب : «الغناء رقية الزنى» ولا مطابقة بين الاول والثانى فى التذكير والتأنيث ولكـــن المعنى واضح واللبس مأمون بغير المطابقة من القرائن .

6 — يقولون : امراة حائض وطالق ومرضع وناشز وفاقد . واللبس مأمون بقرائن ليس بينها المطابقة فى التذكير والتأنيث ، ومن ذلك :

«فلو انك فى يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم ابخل وانت صديق»

7 — قال الشـــاعر :

بتيهـــاء قفـــر والمطـــى كأنهـــا
قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

فوصف التيهاء بأنها قفر واهدر المطابقة .

8 ـ قـال الشاعـر :

كرب القلب من هـواه يـذوب
حين قال الوشاة هند غضوب

يريد شديدة الغضب وقد اغنت هنا قرينة الرتبة والعلامة الاعرابية والاسناد عن قرينة المطابقة فأهدرت المطابقة .

9 ـ قـال المتنبـى :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم

ولم يقل « ادبه » و « كلماته » فلم يطابق بين الصلة والموصول وطابق ضمير المتكلم اتكالا على ان الخبر واصف للمبتدأ .

10 ـ قـال الشاعـر :

واعلـم ان تسليمـا وتـركـا
للامتشـا بهـان ولا سـواء

فترك التثنية فى سواء من قبيل اهدار المطابقة واللبس مأمون بقرائن أخرى .

11 ـ ما يسميه النحاة «التغليب» نحو : فرح الصبية والبنات بملابسهم الجديدة يحمل فى طيه صورة من صور اهدار المطابقة عند امـن اللبس لان القرائن الاخرى تغنى عن المطابقة .

12 ـ وربما توسعنا فى تطبيق ذلك الى ان يشمل معاملة جمع التكسير معاملة المؤنث من حيث المطابقة وفى ذلك اهدار المطابقة فى الجمع والامـر كـذلك فى الالتفات من ضمير الى آخر فى السياق .

اما اطراح قرينة الربط عند امن اللبس فقد تسبب فى الكثير من التقديرات التى حاول بها النحاة ان يجبروا ما ظنوه نقصا فى عناصر الجملة وما كان اجـدرهم ان يدركوا ما للغة العربية من مزاج فى الاستعمال يحرص على امن اللبس ولا يتمسك بعد ذلك بالقرائن الزائدة عن الحاجة . ولو تمكن السامع او المعرب من فهم وجه الترابط بين الكلمات بدون القرينة اللفظية الخاصة فلا حاجة اذن لديهما الى هذه القرينة ويصبح ابقاؤها نوعا من الاطناب يقبل ولا يتمسك به . وهاك امثلة توضح اهدار هذه القرينـة :

1 ـ قال تعالى : « اهذا الذى بعث الله رسولا » فالهاء العائدة من الصلة الى الموصول محذوفة ولكنها مفهومة واللبس مأمون لان القرائن الاخرى اغنـت عنها كمـا يلـى :

ا) فمن حيث البنية نجد بنية الموصول والصلة جارية على العرف الاستعمالى العربى فالموصول هـو « الذى » والصلة جملة فعلية .

ب) ومن حيث التضام استوفى الاسم الموصول صلته التى يفتقر اليها بايراد هذه الجملة معه .

ج) ومن حيث الرتبة جاء الموصول متقدما وجاءت الصلة متأخرة كما جرى عرف الاستعمال .

د) ان افراد الموصول وغيبته وتذكيره وما عهد من مطابقة الضمير العائد للموصول صير امر فهم الضمير ممكنا بالنسبة للسامع والمعرب .

فالقرائن الاربع (البنية والتضام والرتبة والمطابقة) يسرت امن اللبس فلم يعد من الضرورى ذكر لضمير الرابط فاهدرت المطابقة ولو ذكر الضمير ما اضاف الى الفهـم شيـئا .

2 ـ قـال الشاعـر :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنـه ذلـك عـدنـان وقحطـان

فقد اغنت البنية والرتبة والتضام والمطابقة بين الذرى وضميرها وعدم المطابقة بين الضمير والقوم عن ذكـر ما يعود على القوم من ضمير بارز .

3 ـ وقـال :

فأبـت الى فهم ومـا كدت آيبا
وكم مثلهـا فارقتهـا وهى تصفر

ففى « آيبا » اطراح البنية وفى خبر كاد اطـراح « الربط » لان « آيبا » تحتمل انا وانت وهو لان الصفة لا تتغير بحسب ضمائر الاشخاص ومع ذلك ظل اللبس مأمونا ببقية القرائن .

4 ــ وقــــال :

ويوما توافينــا بوجــه مقســم
كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

فتخفيف « كأن » اهدار لقرينة البنية وحذف الضمير بعدها اهدار لقرينة الربط بين جملة التشبيه وفاعل « توافى » والتشبيه فى البيت على معنى كأن واسمها وخبرها والمعنى واضح بغير الربط من القرائن وربمــا اهتم النحاة برواية الجر من قبل الاهتمام بما كــانوا يسمونه « الغريب » ورواية الرفع اوضح ويعززهــا تخفيف كأن فى قوله :

وصـــدر مشــرق النحـــر
كــأن ثــديــاه حـقــان

5 ــ مما جرى فى الاستعمال : « مر زيد يد تلوح وفم يبتسم » ولا يفهم السامع فى اليد الا انها يده ولا فى الفم الا انه فمه . ومن هنا ساغ اهدار قرينة الربط بحــذف الضميــر .

6 ــ قــال الشاعـــر :

جــزى الله عنا والجزاء بفضله
ربيعــة خيرا مــا اعف واكرمــا

وكل القرائن تدل على معنى : « ما اعفها واكرمها ». وهذا هو المقصود بقول ابن مالك : « ان كان بعد الحذف معناه يضح» اى ان قرينة الربط هنا مهدرة عند امن اللبــس فقــط .

7 ــ ان ما يسمى تعدد النعت وتعدد الخبر الخ هو فى الحقيقة اهدار للربط بحرف العطف مع امن اللبس .

8 ــ قــا الشــاعــر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها
لا يذهب العرف عند الله والناس

ولما كان المعنى واضحا مع اسقاط الفاء اهــدرت قرينة الربط عند امن اللبس .

9 ــ ومثل ذلك يلحظ فى قول الشاعر :

ومن لا يزل ينقاد للغــى والصبــا
سيلفى على طول السلامة نادما

حيث اهدرت قرينة الربط باسقاط الفاء عند امــن اللبــس .

10 ــ قــال الشاعر :

فأمــا القتــال لا قتــال لديكمــو
ولكــن سيرا فى عراض المواكب

فأسقط الفاء من جواب اما فكان ذلك اهدارا للربط عند امن اللبس .

لقد سبق ان شرحت المقصود باصطلاح « التضام » وبينت انه قرينة نحوية سواء فى معناه الايجابى حين تستدعى الكلمة كلمة اخرى او بمعناه السلبى حين تتنافى احدى الكلمتين مع الاخرى وفيما يلى من امثلة يتضح ان الاستعمال العربى يشتمل على الكثير مــن الصور التى اهدرت فيها قرينة التضام عند امن اللبس وذلك بواسطة الحذف او الزيادة او نحوهما . وهاك بعض هذه الامثلــة :

1 ــ من شأن الوصف الذى يرتفع معه فاعل (يغنى عن الخبر) ان يعتمد على نفى او استفهام الخ . ولكن اقترانه بذلك قد يتخلف عند امن اللبس كقول الشاعر :

خبير بنو لهب فــلا تــك ملغيــا
مقالــة لهبــى اذا الطيــر مرت

فحذف الاعتمــاد واهــدرت قرينــة التضــام فى احــد المواضــع لان القــرائــن الاخــرى اغنــت عن ذلك ومن هــذه القــرائــن :

ا) البنية فالذى معنا هنا جملة وصفية المسند فيها صفة مشبهة والفاعل من الاسماء الخمسة وذلك متسق مع العرف الاستعمالى للغة .

ب) قرينة العلامة الاعرابية فالصفة مبتــدأ مرفــوع بالضمة والفاعل من الاسماء الخمسة مرفــوع بالــواو .

ج) قرينة التضام وذلك ان الصفــة المشبهــة لم يتقدم ما يوصف بها فأهدر اعتمادها ثم تطلبت فاعلا فذكر الفاعل معها وهذا هو المثال الاخر من أمثلة التضام فى الجملة الوصفية .

د) قرينة الرتبة لان من شأن الفاعل ان يتأخر وقد تأخر هنا .

ولقد كان الكوفيون على صواب عند عدم اشتراط الاعتماد وكان عليهم أن يضيفوا : « عند أمن اللبس » .

2 ـ يقولّ النحاة انه يجوز حذف ما علم منْ مبتدا او خبر . ويقول ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما
تقول زيد بعد من عند كما

وفى جواب كيف زيد قل دنف
فزيد استغنى عنه اذ عرف

والذى يصدق على جميع صور الحذف فى اللغة العربية انه اهدار لقرينة التضام عند امن اللبس لان المحذوف فى كل الحالات ضميمة تطلبها ضميمة اخرى .

3 ـ لا يفصل بين الناسخ المنقول عن الفعلية وبين اسمه بتتمة خبره الا الظرف والمجرور حسبما يقول البصريون . ومع ذلك قال الشاعر :

فنائذ هذا جون حول بيوتهم
بما كان اياهم عطية عودا

فنصل بالضمير وهو مفعول فى جملة الخبر بين كان واسمها فاهدر قرينة التضام عند امن اللبس. وهذا موضع آخر اصاب فيه الكوفيون جادة الصواب اذا جازوا الفصل مطلقا .

4 ـ كل امثلة زيادة كان فى الحشو اهدار لقرينة التضام بالفصل بين متلازمين حقهما الا يفصل بينهما ، كالصفة والموصوف فى قوله :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور

وكالمتعاطفين فى قوله :

فى لجة غمرت اباك بحورها
فى الجاهلية كان والاسلام

وبين فعل المدح والمرفوع الذى بعده كقوله :

ولبست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبة المحتال

وبين الجار والمجرور كقوله :

سراة بنى ابى بكر تسامى
على كان المسومة العراب

واللبس فى كل اولئك مأمون بفضل القرائن الاخرى

5 ـ «لا يكون خبر افعال المقاربة مفردا الا شذوذا» . هكذا تقول القاعدة . واقول انما يكون ذلك اهدارا لقرينة التضام عند امن اللبس لان بين افعال المقارنة والخبر المفرد تنافيا اى تضاما سلبيا ومن امثلة وروده : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق» وقول الشاعر :

فأبت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

6 ـ قال ابن مالك :

وكونه بدون أن بعد عسى
نزر وكاد الامر فيه عكسا

فالقلة من امثلة خبر كل من هذين الفعلين المذكورين يشتمل على اهدار لقرينة التضام بين « أن » المصدرية والمضارع المخبر به فى الجملة المنسوخة .

7 ـ تدخل لا النافية للجنس على الاسماء ومع ذلك قال الشاعر :

فقام يذود الناس عنها بسيفه
وقال : الا لا من سبيل الى هند

فاهدر التضام عند أمن اللبس .

8 ـ قال ابن مالك فى باب « لا النافية للجنس » :

وشاع فى ذا الباب اسقاط الخبر
اذا المراد مع سقوطه ظهر

وكأنه فى هذا البيت يردد قولى : « يجوز اهدار القرينة عند امن اللبس » .

9 ـ قالت العرب : « لا عليك » وفهمت من ذلك : « لا بأس عليك » وفى ذلك اسقاط اسمْ لا النافية للجنس وهو اهدار للتضام عند أمن اللبس .

10 — قال ابن مالك فى باب ظن واخواتها :

ولا تجـز هنـا بـلا دليـل
سقـوط مفعـولين او مفعـول

والاصرار على الدليل هنا اصرار على التأكد من امن اللبس قبل اهدار التضام .

11 — من امثلة اهدار التضام عند امن اللبس ان يدخل حرف الجر الزائد على الفاعل كما فى قوله تعالى : « ما جاءنا من بشير ولا نذير » وقوله : « وكفى بالله شهيدا » بل ان الحكم بزيادة الحرف هنا يحمل بعض الاعتراف باهدار التضام .

12 — يحذف الفعل ويبقى الفاعل عند امن اللبس «كمثل زيد فى جواب من قرا » .

13 — ليس من شأن « حاشا » ان تضام « ما » ولكن ذلك التضام ورد مع امن اللبس نحو قوله :

رايت القـوم مـا حشا قـريشا
فانـا نحـن افضلهـم فعـالا

وقد حكم النحـاة بشذوذه .

14 — قال النحاة ان جملة الحال اذا كان فيها مضارع منفى بلا امتنع اقترانها بالواو . وقال الشاعر :

اقادوا مـن دمـى وتوعدونـى
وكنت ولا ينهـنهنـى الـوعيـد

وقـال ايضـا :

اكسبتـه الـورق البيض ابـا
ولقـد كـان ولا يـدعـى لاب

والمعنى واضح مع الواو بل انـه فى البيت الثانـى متعلق بها . فلو حذفت لكانت لا وما بعدها خبرا لكـان وهذا أولى من اعرابها حالا .

اما اهدار الرتبة عند امن اللبس فيكفى فى الاقناع به ان بعض الرتب غير محفوظ فيمكن اهدارها كما يمكن اعتبارها ولا بأس على من يستعمل اللغة مـن هـذه الطريقة ولا من تلك الا اذا وقـع اللبس مـن جـراء اهدار قرينة الرتبة فيتعين حينئذ الاحتفاظ بالرتبة التى كانت غير محفوظة والابقاء عليها لتعلق المعنى بهـا .

ومن امثلة الرتب غير المحفوظة الرتبة بين المبتدا والخبر والرتبة بين الفاعل والمفعول وبين اسم ان وخبرهـا واسم كان وخبرها وبين المفعولين بعضهم وبعض وبين الحال وصاحبها الخ . وفيما يلى امثلة على اللجوء الى حفظ الرتبة غير المحفوظة عند خوف اللبس :

1 — يجوز تقديم المبتدأ على الخبر وتقديم الخبـر على المبتدأ الا اذا خيف اللبس نحو اخى صديقى فان المعنى يتعلق بالرتبة حينئذ فتحفظ الرتبة . هذا ومـا تقدم من جواز تقديم الخبر عند امن اللبس فيه اهدار لقرينة الرتبة اتكالا على غيرها من القرائن .

2 — ومثل ذلك يقال فى اسم كان وخبرها نحو كان زيد قائما وكان قائما زيـد فاذا خيف اللبـس حفظت الرتبة نحو كان هذا اخى .

3 — ومثله اسم ان وخبرها الظرف والجار والمجرور فيمكن اهدار الرتبة بينهما ما دام المعنى واضحا فتقول ان زيدا فى الدار وان فى الدار لزيداً فاذا قلت كان موسى عيسى حفظت الرتبـة .

4 — ويجوز فى مفعولى اعطى ان يتقدم ايهما ويتأخر الآخر اتكالا على ان الاول منهما ما صلح فاعلا للمطاوع (وهذه من قبيل قرينة الاسناد) تقول اعطيت زيـدا هدية واعطيت هدية زيدا فيكون زيد هو المفعول الاول فى الحالتين لانه صلح فاعلا لما طاوع اعطى وهو اخـذ اما اذا خيف اللبس بأن قلت اعطيت هندا زيدا تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنى .

5 — والقاعدة ايضا يتقدم الفاعل على المفعول او يتأخر فيكون ذلك من قبيل اهدار الرتبة عند امن اللبس فاذا خيف اللبس كما فى ضرب هذا ذلك تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنـى .

6 — ومفعولا ظن واخواتها يتقدم اى منهما او يتأخر ما دام اللبس مأمونا . تقول حسبت زيدا قائما وحسبت قائما زيدا فاذا خيف اللبس حفظت الرتبة كما فى حسبت موسى عيسى .

7 — ومن امثلة اطراح الرتبة عند امن اللبس تقديم المعطوف على المعطوف عليه فى قول الشاعر : « عليك ورحمـة الله السـلام ».

8 — ومن امثلة ذلك عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كالحال فى ضمير الشأن فما دام اللبس مأمونا فلا بأس من ذلك كما فى نحو قوله تعالى : « قل هو الله احد » .

قد راينا من ذلك كيف تهدر قرينة الرتبة عند امن اللبس .

ولقد سبق ان ذكرنا ان الادوات تفيد الربط وان منها ما يربط بابا نحويا بباب آخر ومنها ما يكون امينا على معنى الجملة كلها فلو حذفت الجملة وعليها دليل لكانت الاداة بمفردها وافية بالمعنى . ومن العبارات الشهيرة فى الاستفهام الام وحتام وعلام ومتى واين الخ دون ذكر الجملة .

على ان الاداة ولها كل هذا الخطر باعتبارها احدى قرائن المعنى فى السياق يمكن ان تهدر عند امن اللبس . وقد سبق ان شرحت كيف امكن للقرائن الاخرى وبخاصة قرينة النغمة ان تغنى عن اداة الاستفهام فى قول ابن ابى ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

وكثيرا ما يجرى فى كلامنا الآن ان نؤدى معنى الاستفهام والعرض والنغمة دون الاداة وفى الكلام الفصيح ايضا يمكن ان نتصور رجلا يقص على سامعه قصة كفاحه للوصول الى غاية كان يأمل فى الوصول اليها فاذا فرغ سأله السامع : « ووصلت الى ما اردت ؟ » دون ان يستعمل اداة الاستفهام .

والنغمة نفسها يصعب اسقاطها من الكلام اتكالا على الاداة . دعنا نتصور رجلا جاء يقص علينا قصة جريمة حدثت فيدور فى الذهن معنى الاتهام له بالمشاركة فى الجريمة فنلقى عليه سؤالا فى صورة «هل كنت هناك» لكن لا بنغمة الاستفهام « بهل » بل بنغمة الاستفهام مع استعمال « ماذا ؟ » ويكون المنطوق حينئذ « هل كنت هناك » ولكن المفهوم يكون « ماذا كنت تفعل هناك ؟ » ومعنى هذا ان النغمة كما اغنت عن الاداة فى بيت ابن ابى ربيعة حورت معناها فى هذا المثال

على ان السحرة والكهان وخطباء المسجد يهملون تنغيم الكلام الى حد كبير فيبدو كأنهم يرتلون على نغمة واحدة ومع ذلك يظل كلامهم مفهوما فهل هذا من اطراح قرينة لنغمة عند امن اللبس . اظنه كذلك . ولكنى اقطع ان كل نص مكتوب لا يمكن الا ان نتصور عند فهمه اننا قد اهدرنا النغمة نهائيا عند امن اللبس لان الكتابة لا تبدو فيها النغمات ويكون ذلك اكثر صدقا عند الوصول الى الفهم بواسطة القراءة الصامتة .

اسقاط العامل والتقدير والمحل :

وبعد فقد وصلت فيما سبق الى ثلاثة من اهم الامور وهى :

1 — احصاء القرائن النحوية معنوية ولفظية وتقديم دراسة لكل واحدة منها على وحدة .

2 — انشاء مبدا هام جدا لم يفطن اليه النحاة هو مبدا تضافر القرائن .

3 — انشاء مبدا آخر اهم وهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

فاما الاحصاء الذى تمت به للقرائن فقد اوضح ان القرائن المعنوية هى العلاقات التى تقوم بين الابواب فى السياق من حيث المعنى الوظيفى الصرفى والنحوى وان اتضاح العلاقة بين باب وباب فى السياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من ادلة الفهم بالنسبة للسامع ومن ادلة التحليل بالنسبة للمعرب .

على ان هذه القرائن المعنوية قد لا تتسم بالوضوح فى بعض الحالات فلو توقف المعنى عليها والحالة هذه لتطرق اللبس الى الفهم وهذا شر ما يبتلى به الاتصال اللغوى لذلك عمد الاستعمال اللغوى الى الاستعانة بظواهر الاصوات والصرف لتسخيرها فى بيان معانى النحو فاستمد منها عددا من القرائن اللفظية التى تعين على الكشف عن المعنى جنبا الى جنب مع القرائن المعنوية . ولا شك ان هذه القرائن اسهل منالا فى الفهم من القرائن المعنوية لانها مدركات حسية تبدو كمعالم الطريق يهتدى بها سالكه عند ما تتشعب الطرق ويعز الرفيق . والذين جربوا الاسفار يعرفون قيمة العلامات التى توضع على الطرق مشيرة الى الاتجاهات واسماء الاماكن والمسافات وهلم جرا والذين سلكوا الصحراء يدركون قيمة الشمس والنجوم والكواكب والجبال

والدروب المطروقة والمياه فى تمكينهم من تحديد اتجاهاتهم وادراك مواقع وجودهم وتحديد غايات مسيرتهم . ذلك هو شأن القرائن اللفظية فى الكلام فاذا رأيت بنية ادركت معناها الوظيفى واذا رأيت علامة اعرابية خطر ببالك من الابواب ما يمكن ان تدل عليه واذا رأيت مطابقة من نوع ما فالابواب ذات المطابقات معروفة ومحصورة واذا رأيت رابطة ادركت اشارتها الى ما بين عنصرين او اكثر من عناصر الجملة من علاقة معينة واذا رأيت احد المتلازمين بحثت بمقتضى التضام عما يلازمه واتخذت الاول قرينة على الثانى واذا رأيت رتبة فهمت معناها او اداة ادركت وظيفتها او نغمة لمحت فحواها .

وأما المبدأ الثانى وهو تضافر القرائن على الكشف عن المعنى النحوى فقد كان الضربة القاضية فى حلبة الصراع مع العامل النحوى لانه اوضح ان العلامة الاعرابية وهى مناط القول فى العامل لا تعدو ان تكون واحدة من القرائن الدالة على المعنى لا اكثر من ذلك ولا اقل . فاذا بنينا المعنى النحوى عليها وبنينا النحو كله على اساسه فقد رجحنا دون مرجح واهتممنا بدور احد الممثلين على المسرح دون بقية الأدوار فضاع معنى القصة وغابت معالم الحوار واصبح فهم المسرحية مجالا خصبا للتخمين والتأويل والتخيل ومحاولة ملء الفجوات التى غفلنا عنها اثناء التفرج على المسرحية .

لقد قصر النحاة منهج النحو على تقسيم النحو الى حالات اعرابية اربع هى :

الرفع — النصب — الجر — الجزم

وقرروا ان العلامات الدالة على كل حالة قد تكون أصلية كالحركة وقد تكون فرعية كالحرف . وقد جعلوا الضمة من الحركات علم الرفع والفتحة علم النصب والكسرة علم الجر والسكون علم الجزم . وتنوب احدى الحركات عن اختها كما ينوب الحرف عن الحركة .

وقالوا ان الاعراب اثر يجلبه العامل فى آخر الكلمة وان هذا العامل نفسه اما ان يكون لفظيا واما ان يكون معنويا وراحوا يحددون العوامل اللفظية والمعنوية حتى بلغوا بعددها مائة كاملة . وانشأوا لها الفلسفات حتى اصبح فهم النحو عسيرا على المبتدئين واصبح استيعابه عسيرا على غيرهم . وطالت الكتب وضج الناس بالشكوى حتى تصدى المتأخرون للعامل بالنقد وكان سبب التصدى واضحا ولكن منهج النقد لم يكن سليما . ومن هنا تخبط النقاد كما تخبط النحاة . فقد رفض النقاد العامل النحوى واقاموا فى مكانه عاملا آخر هو المتكلم حيث انكروا بذلك الطابع الاجتماعى للغة او هو الله سبحانه وتعالى حيث لجأوا الى الاعتراف بالتوقيف ورفض المواضعة العرفية ايضا .

ان القول بان الفرد المتكلم هو العامل ينسى ان هذا المتكلم ليس له حرية التصرف فى اللغة وانه لو خالف الاستعمال لم يسلم له ذلك لان اللغة ليست ملك الفرد وانما هى ملك المجتمع . وان القول بأن العامل هو الله سبحانه وتعالى ليس الا عودا الى قضية حسمت تماما منذ ازمان وهى ما اذا كانت اللغة توقيفا او مواضعة وقد استقر الناس على ان اللغة مواضعة وتعارف وانها من صنع المجتمع .

على ان النحاة فى انشغالهم بالعامل لم يستطيعوا تجاهل القرائن الاخرى فراحوا يلمون بالاشارة اليها الماما خفيفا كلما دعا الأمر الى ذلك ولم يسلكوها ابدا فى نظام واحد كالذى حاولته فى هذا البحث كما لم يبينوا تضافرها للكشف عن المعنى النحوى كما شغلوا بالشذوذ والقلة والندرة ونحوها عن جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

مبدأ تضافر القرائن اذن يفسر التعليق النحوى كله على حين لا يفسر العامل النحوى منه الا قرينة واحدة هى العلامة الاعرابية وهذا المبدأ ييسر ادراك العلاقات النحوية بما يحدد من الامور المحسوسة على حين يفسح العامل النحوى الطريق أمام التخريج والتأويل والتقدير وهى امور فردية لا ضابط لها وكثيرا ما اختلف النحاة فيها فانفرد كل واحد منهم بتخريجه وتأويله وتقديره وليس هناك مجال للتقدير فى حدود مبدأ تضافر القرائن لأن كل شىء محدود او ملفوظ .

واما المبدأ الثالث الذى انشأته فهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس فيذهب تماما بالاعراب التقديرى والاعراب المحلى وينفى الخلافات النحوية حول المسائل كما يزيل فكرة الشذوذ والندرة والقلة الخ فالاعراب التقديرى الذى يقوم على تقدير الحركة لعدم ظهورها يضيف على المعرب من الاعباء أكثر مما يفسر من المعانى فالحركة الاعرابية تقدر على المبنيات وعلى المقصور والمنقوص والواضح الذى لا شك فيه ان المعنى النحوى لهذه الكلمات اسرع بلوغا الى الذهن

من الاعراب التقديرى ولو أن الاستعمال اللغوى راى أن القرائن التى تدل على كلمة مبنية فى موضع ما من الجملة لم تؤد المعنى المقصود كاملا لعدل عن استعمال هذا اللفظ المبنى الى استعمال المعرب ولكن القرائن الدالة على الباب النحوى لهذا المبنى فى الجملة لم تترك حاجة الى العلامة الاعرابية فاهدرت العلامة لان اللبس مأمون . ولكن النحاة لم يعترفوا باهدارها فراحوا يتمسكون بها فقدروا لها حركة واضافوا بهذا التقدير عبئا على المعربين وشجعهم على ذلك او الجأهم اليه انهم بنوا النحو على القول بالعامل فكيف يغفلون تقدير اثره فى آخر الكلمة اذا لم يظهر هذا الاثر ؟ والذى قيل فى المبنيات يقال مثله فى المقصور والمنقوص . وهكذا نرى ان العامل هو المسئول عن الاعراب التقديرى فاذا بطل العامل بتضافر القرائن بطل الاعراب التقديرى ببطلانه ثم بجواز اهدار القرينة عند أمن اللبس .

ولهذا السبب نفسه يبطل الاعراب المحلى ايضا . صحيح ان الجملة ذات المحل الاعرابى حلت محل المفرد. ولو ان المفرد كان فى الاستعمال لاستحق حركة اعرابية ما ولكن الامر يحتاج الى نظرة ادق من نظرة النحاة الى المشكلة كما يلى :

1 — ان العدول عن استعمال المفرد المعرب الى استعمال الجملة يقوم على أساس من النمطية النحوية والبلاغية التى تجعل مواضع للمفرد ومواضع اخرى للجملة كالذى يحدث فى الخبر والحال والنعت . والدليل على ذلك انك اذا حاولت ان تستبدل بالجمل ذوات المحل مفردات معربة ما استقام لك ذلك ولوجدت انك تحل محل الجمل الاسمية او الفعلية جملا اخرى وصفية دون المفردات .

2 — ان استعمال الجملة ذات المحل الاعرابى فى جميع الحالات يحصن المعنى النحوى للجملة بعدد من القرائن يجعل السياق فى غنى عن العلامة الاعرابية ومن ثم عن المحل الاعرابى ولو صح ان الامر يستدعى وجود الحركة على محل الجملة لضرورتها ما استعملت الجملة ولكانت اللغة قد لجأت الى حيلة أخرى تضمن الوفاء بمطالب الافهام وأمن اللبس .

3 — ما فائدة الاعراب المحلى اذا كان فهمه اعسر من فهم المعنى العام للجملة وما المانع من أن نقول أن الجملة خبر او حال او نعت الخ دون ان نقول انها فى محل كذا ؟

4 — من الواضح ان القول بالعامل هو السبب فى القول بالمحل وانه اذا ثبت بطلان العامل ثبت بطلان الاعراب المحلى تبعا لذلك .

اما ما قال عنه النحاة انه نادر او شاذ او قليل فقد سبق ان فسرنا طائفة من امثلته تحت عنوان جواز اهدار القرينة عند أمن اللبس فعد الى ذلك ان شئت.

وفى ختام هذا الباب احب ان اشير الى اقتناعى بأن من الممكن ان يقوم النحو العربى على أساس القرائن وتضافرها وجواز اهدار احداها وذلك فى تبويب جديد يناسب مطالب المنهج العلمى والطريقة التعليمية وينفى من النحو نظرية العامل والاعراب التقديرى والاعراب المحلى ويزيح عن كاهل المتعلمين جمهرة الشاذ والقليل والنادر والضرورة ويرد اعتبار القراءات القرآنية والحديث النبوى الشريف والله ولى التوفيق.

تطور الحرف العربي

الدكتور
ممدوح حقي

فى العالم العربى اليوم اهتمام جدى باصلاح الحروف المطبعية العربيــة وتطويرهــا تمشيا مــع التاريخ وكسب الوقت الذى يتسم به العصر الحديث ، ولقد فتحنا صدر المجلة لكل محاولة فى هذا الموضوع مهما كان شأنها ، ايمانا منا بوجــوب خدمة الفكــر العربى فى جميع صوره ومظاهره ، واذا كان الحرف العربى قد تطور منذ بدايته حتى اوائل هــذا العصر تطورا متماديا فانه كان يتمشى باستمرار مع النظرة الجمالية لفن الخط ، ولقد ذهب بذهــاب الخلافــة العثمانية عام 1924 ذخائر فنية ومخطوطات رائعــة ولوحات نادرة لا نملك اكثر من دمعة حرى نذرفهــا على ضياعها وفقدانها ، وما بقى منهــا فى مساجــد استانبول وبورصة وتونية لا يزيد على قطرة من بحر ، ولولا نهضة الخط الفنية فى مطلع هذا العصر فى سوريا على يد رثا التركى وممدوح الشريف وبدوى وحلمــى وفى لبنان على يد البابا وفى مصر على يد الهواوينــى وسيد ابرهيم ومدرسة الخط العليا .. لضاعت البقيــة الباقية من هذه الجمالية الرائعة ، ولقد بدات بعــد الحرب العالمية الاولى حركة رجعية ضد الخط العربى وتفاقمت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت انواع من الخطوط التافهة متأثرة بسرياليــة الــرسم والرقص والموسيقا وتجريداتها يدعم نشاطها عاملان قويان هما:

1 — الحرب المتسترة والمفضوحة مــن الاجانب والشعوبيين ضد العربية .

2 — تزايد استعمال الآلات الكاتبة بحروفها النقية الواضحة ، وانعدام البرامج التعليمية من مادة الخط، مما ادى بالطلاب والاجيال التى توالت بعضها وراء بعض الى اهمال خطوطها حتى اصبحت اشبه بخربشة الــدجــاج .

ولا شك ان عدد مربعات الحــروف المطبعيــة العربية اكثر من مربعات الحروف اللاتينية وان الحاجة الى الاقلال منها وتيسيرها امر ضرورى جدا لكن على شرط الا تخل بجمالية الخط العربى الاصيل ، وهذا ما ندعو اليه ونحث عليه وان كنا نفتح صدر مجلتنا — كما قدمنا — لكل محاولة ومنها المقالات التاليــة ،

ممدوح حقى

الحروف العربية والمطابع

الأستاذ خير الدين حقي
سورية

قرات فى المجلد التاسع من مجلة اللسان العربى نقد الاستاذ يحيى بلعباس للحروف العربية وانني اذ اقره على كثير مما جاء فى مقاله لكنني لا ارى فى الحل الذى اقترحه لحروف الطباعة ما يحل المشاكل التى طرحها للاسباب التالية :

1 — يلاحظ تأثر الاستاذ بلعباس بالخط اللاتيني من حيث ايجاد حروف صغيرة واخرى كبيرة ، فما اغنانا عن هذا التعقيد ؟ لعل الحروف الكبيرة تنفع للدلالة على اسماء الاعلام ، وعندها يكفى وضع اشارة فوق الحرف الاول من الاسم لتمييزه شبيها بما كان اقترح فى وقت ما فى مصر وسميت بحروف التاج ثم اهملت مع ذلك ، اذ ثبت عدم جدواها . فما فائدة اثقال مطابعنا بمجموعة كاملة من الحروف لا لزوم لها .

2 — ان القصد ، باعتقادى ، من اقتراح الاستاذ بلعباس بجعل الحروف منفصلة هو للتخلص من كثرة اشكال الحروف بين ان تكون فى اول الكلمة او فى وسطها او آخرها او كانت منفصلة . لكن الاستاذ احمد الاخضر قد وجد لهذا حلا موفقا جدا ، اذ اختصر الحروف الى عدد مقبول . والنماذج التى اوردها فى المجلد التاسع نفسه هى على غاية من الاهمية وقد يكون النموذج المشتق من الكوفى اجملها واوضحها .

ولقد عالجت قضية الحروف العربية طوال اعوام كثيرة ، والذى دعاني لذلك هو ان الامم التى تكتب بالحروف اللاتينية اعتمدت نموذجا موحدا للمخططات الهندسية والخرائط ، بينما نحن لم نعتمد نموذجا معينا . وطلابنا فى كلية الهندسة يتقنون مصوراتهم لكنهم يشوهونها بخطهم الرديء غالبا . فابتكرت لهم نموذجا مبسطا مشتقا من الخط الكوفى المشجر والشطرنجي تسهل كتابته بأدوات الهندسة ، وهم مجبرون على تعلمه مع تعلم الرسم ويمكنهم اتقانه مهما كانت موهبتهم ضعيفة فى كتابة الخطوط المألوفة، والتى تحتاج الى مهارة خاصة . ومع هذا المقال نموذج من هذه الكتابة .

وقد جرني هذا الى تبسيط الحروف المطبعية فأخذت بطريقة الاستاذ الاخضر من حيث فصل ذيل

الحرف عن صدره ، وكونت الحروف المبينة فى الشكل رقم (4) من الكراس وعددها اربعة واربعون حرفا، هى كل ما يلزم لكتابة اى نص كـان . وفى الشكـل رقم (5) نموذج من استخدام هذه الحـروف كأنمـا سبكت ورصفت .

وقد قرأت مؤخرا فى جريدة الاهرام القاهرية نقلا هى كل ما يلزم الكتابة اى نص كـان وفى الشكـل عدد اشكال الحروف الى واحد وعشرين شكلا .

وفى بيروت اقترح المهندس نصرى خطـار نمـاذج لحروف منفصلة اخـذت بعض المجـلات اللبنانيـة باستخدامها فى العناوين كمجلة الصياد ومجلة الشبكة مع تحريف بسيط لا يمس الجوهـر كثيرا . وهنـالك محاولات كثيرة كما ذكرتم فى تعليقكم على النماذج التى نشرتم صورا عنها .

حتى ان الاستاذ المستشرق فى جامعة امستردام الدكتور ادوار بلويج له محاولات لتطويـع الحـرف العربى لآلة الطباعة (اونسيت) مع تبسيطه . فيا حبذا لو ان مجلة اللسان العربى تأخذ المبادرة فى جميـع الجهود المبعثرة هنا وهناك وتنشرها فلعلها تجد مـن تستهويه هذه القضية فيبتكر شيئا ترضى عنه الناس.

3 — لقد جعل الاستاذ بلعباس حروفه بطول واحد (عدا الالف والراء والزين) وهذا الاقتـراح يتعب النظر فى القراءة لصعوبة تمييز الحروف بعضها عـن بعض . وقد دلت تجارب اجريت على قراءة نصوص طبعت بحروف لاتينية صغيرة مرة وكبيرة مرة اخرى ، فكان تمييز الحروف الصغيرة اسرع واسهل من تمييز الكبيرة ، ذلك لان حروفا تعلو واخرى تنخفض وبعضها يمتد واخرى تقصر يريح النظر والاعصاب ويساعد على سرعة ارتسام الكلمة فى الذاكرة بمجرد القاء نظرة خاطفة عليها .

4 — ينتقد الاستاذ بلعباس وجـود النقـاط على الحروف وفكر انه قد تخلص منها بلصقها بالحـرف تارة بنقطة وتارة بعقفة . ولعل انفصالهـا يكسبهـا وضوحا اكثر لا سيما عند ما يصغر حجم الحرف .

5 — ان الحرف العربى قد اكتسب على الزمـن طابعا جميلا لا يمكن اغفاله ، وفى الحـروف التـى اقترحها الاستاذ بلعباس قساوة بالغة . ولا ادعى ان الحروف التى اقترحتها قد حافظت على جمال الحرف العربى لكنها حافظت على الاقل على طابعـه . فاذا اردنا ان نطوع الحرف العربى للتكنيك الحديث والمطابع الحديثة فيجب ان لا يكون هذا على حساب تجريـد الحرف من صفاته الجمالية . ومن المؤكد اننا سنصل الى الحـل المناسب اذا اجتمعت جهـود المهندسين والخطاطين وعلماء اللغة . وفى يقينى ان ما توصـل اليه الاستاذ الاخضر هو خطوة مباركة وواسعة نحو الامـام .

6 — وفى مقال الاستاذ بلعباس نقطة هامة جـدا هى موضوع الحركات . وجدير بنا ان نقف عندهـا قليلا . فقد كنت انا نفسى فيما مضى متحمسا لاعطاء الحركات اشكالا تدخل بين الحروف ، او بتعبير آخر ايجاد اشكال للحركات بحجم الحروف كمـا جـاء فى اقتراح الاستاذ بلعباس لكننى عدلت عن هذه الفكرة لاسباب عديدة هى :

ان الحركات تمثل حروف علـة صغيرة لكنهـا فى الواقع هى علة كبيرة . فالحركات فى لغتنا عامل صرفى لبيان جذر الكلمة وعامل نحوى لوظيفة الكلمة . فالعامل الصرفى سماعى ويجب حفظه بالتلقين . فكلمة لعب مثلا مكسورة العين وكلمة ضرب مفتوحـة العين . وكذلك المضارع والامر وغيره . لكن العامل النحوى يتغير بحسب وظيفة الكلمة ان كانت فاعلا او مفعولا او مضافا او غير ذلك . ولا يمكن الا لذى ثقافة لغوية من وضع الحركة المناسبة ، كما لا يمكن الا لذى ثقافة لغوية الى حد ما من فهم الوظائف من خلال الحركات. ولاوضح هذا بمثال ، فلو قرانا على رجل عامى الاية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء » يفهـم منها ان الله سبحانه وتعالى يخشى العلماء من عباده وليس العكس كما هو واضح لذى ثقافة لغوية مـن الفتحة على اسم الجلالة .

وذو الثقافة العادية فى اللغة لا يحتاج على الغالب لجميع الحركات الا لما يوجب الالتباس فقط . فلمـاذا اذن حشر الكلمة بكل الحركات واطالة الكتابة بما لا طائل تحته ؟ لا سيما وان وضع الحركات على وجهها الصحيح يحتاج الى ثقافة عالية فى اللغة وقد يخطىء حتى المتخصصون فيها ، ويكون هذا الخطأ سببا فى تعميم الخطأ . فعدم وجود الحركات كلها احفظ فى نظرى للغة وايسر للكتابة الا لما يوجب الالتباس . فمثلا لو كتبنا كلمة « كسرت » لوحدها فيمكن ان تقرأ بثمانية اشكال لكلها معانيها وهى :

كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت
كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت

فقد يكون وجودها فى الجملة يدل على المقصود من هذه الحالات الثمان ولكن ليس ذلك دوما . فلو كتبنا « كسرت القلم » فقد ينطبق على كلمة كسرت الحالات الاربع الاولى من الثمانية الواردة اعلاه .

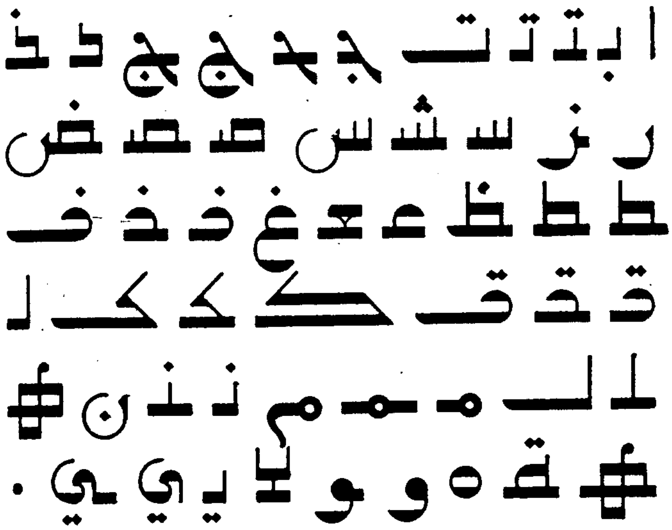
اما لو كتبنا « كسرت المحبرة » فينطبق عليها الحالات الاربع الاولى والحالة الثامنة ايضا .

ففى مثل هذه الحالات يكون لوضع الحركات جدوى بل يصبح ضرورة . على انه فى الجملة التالية مثلا « صنع النجار المقعد من خشب الجوز » فلا تحتاج الى حركات تثقل الكتابة . وعلى هذا فان اعطاء الحركات اشكالا كالحروف يصبح ادخالها فى الكلمة الزاميا مما سيشوش الكتابة بالاخطاء الفادحة التى سترتكب الا اذا كان الكاتب على درجة عالية من الثقافة وكذلك القارىء . وفى مثل هذه الحالة ولمثل هؤلاء لن تبقى هنالك ضرورة للحركات الا فى مجالات ضيقة . فلنتصور انسانا ذا ثقافة متوسطة فى اللغة وقواعدها فهل سيسلم من حشو ما يكتب بعشرات الاخطاء فى الصحيفة الواحدة ؟ فان كان القارىء عالما سيتشوش فيما يقصد الكاتب وان كان ذا ثقافة ضعيفة فانه سيفهم المعنى المقصود بصرف النظر كليا عن الحركات وبخاصة اذا راعى الكاتب ترتيب الجمل بحسب سليقة اللغة العربية بأن جعل الفعل اولا والفاعل يسبق المفعول به .

لعلنى تمكنت من شرح وجهة نظرى فى هذا الموضوع ، وما اقصده اصبح واضحا وهو انه يجب عدم اثقال الكلام بالحركات والاكتفاء بالضرورى منها فقط لذلك فدمجها بين الحروف لا يحقق الغرض والافضل ان تبقى اشارات اضافية كما هى وان نركز اهتمامنا على تطويع الحرف العربى للمطابع الحديثة واختصار مئات السبائك بأقل عدد منها مع المحافظة على جمال الخط العربى وصرف النظر كليا عن موضوع اعطاء الحركات اشكال حروف .

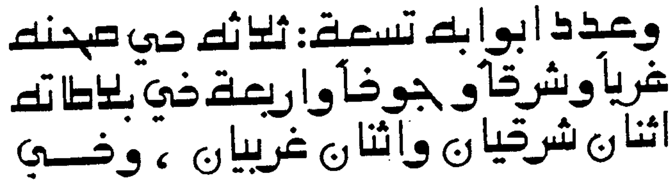
خيرالدين حقي
جامعة حلب
كلية الهندسة
الجمهورية
العربية السورية

نماذج مقترحة من الخطوط
للمصورات الهندسية والطباعة والآلة الكاتبة



الشكل رقم (١)

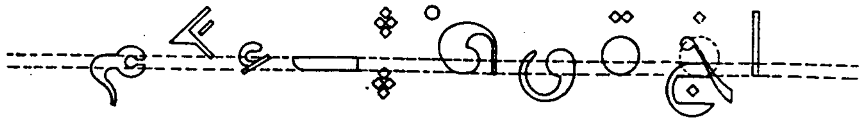
يمثل هذا الشكل حروف الابجدية المقترحة لمكاتب المهندسين للكتابة على المخططات . وهي لا تحتاج لغير المسطرة والمدور . وهذه الحروف التي نعلمها لطلاب كلية الهندسة مأخوذة من الخط الكوفي الشطرنجي والخط الكوفي المشجر .



الشكل رقم (٢)

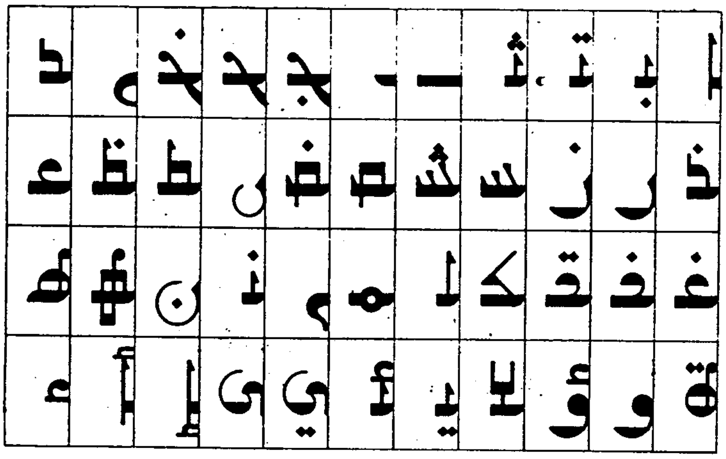
يمثل نموذجاً للكتابة بالحروف المبينة في الشكل السابق بمقاييسها ذاتها وضم بعضها لبعض .

وصورة الغلاف نموذج آخر لاستعمال الحروف المبينة في الشكل رقم (١) .



الشكل رقم (٣)

ان صفيحه من البلاستيك اذا جعل فيها خروق بحسب هذا الشكل يمكن ان تخدم لكتابة الحروف المبينة في الشكل رقم (١) على الطريقة ذاتها المستعملة في الحروف الاجنبية Normographe . وهـذه اللوحة تغني عن استعمال المدور وترسم الحروف بصورة اسرع وادق .



الشكل رقم (٤)

حروف مقترحة للطباعة تتميز عما جاء في الشكل رقم (١) بطريقة وصل بعضها ببعض وذلك بواسطة نبرة مدببة في بداية كل حرف . وميزة هذه الحروف هو امكان اختصار عدد السبائك في مطبعة كاملة الى ٤٤ حرفاً لا غير تنفع في اول الكلمة او في وسطها او آخرها او ان جاءت الحروف منفصلة ، بدلاً من مئآت السبائك كما هو الحال في المطابع الحالية. وبهذه الوسيلة يصبح رصف الحروف العربية أيسر بكثير من ذي قبل واسرع من رصف الحروف اللاتينية ، ويسهل ميكانيك آلات الطباعة الحديثة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
وسع كرسيه السموات والأرض ولا
يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

الشكل رقم (٥)

نموذج من الكتابة بالاحرف المقترحة للطباعة في الشكل (٤) كانما سبكت ورصفت.



الشكل رقم (٦)

صور مقترحة للحروف الضيقة لتأخذ عرضاً يساوي عرض بقية الحروف تماماً بغية تبسيط الآلة الكاتبة اليدوية ليكون للعربة حاملة الورقة ازاحات متساوية لجميع الحروف فيسهل ميكانيكها ويرخص ثمنها .

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا انّا قليل عديدنا فقلت لها
ان الكرام قليل

نموذج من الخط للآلة الكاتبة

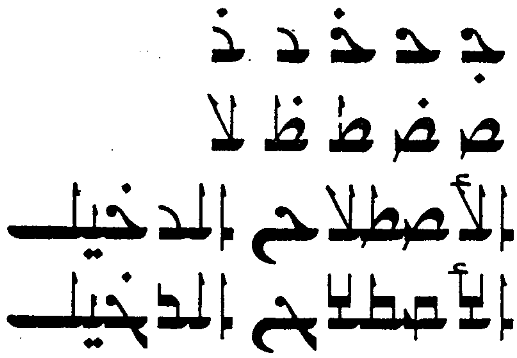
الشكل رقم (٧)

نموذج من الكتابة بهذه الحروف المعدلة والمبينة في الشكل (٦) كانما صنع آلة كاتبة بها . ولئن بدت النقفة في الألف واللام مستغربة ، انما اقتضت الحاجة اليها ، وهي مأخوذة من الخط الديواني .

ويتألف القصر من طابقين : اما الطابق
السفلي فهو القصر القديم ، وأما
العلوي فقد أمر ببنائه الملك فيليب

الشكل رقم (٨)

هو محاولة اخرى للطباعة بحروف دون نبرات . ويقارن هذا الشكل على الشكل رقم (٥) وله المزايا ذاتها .



الشكل رقم (٩)

اقتراح بديل لبعض الحروف الواردة في الشكل (٤) بغية تقريب شكلها من شكل الحروف المألوفة في الكتابة مع نموذج لكتابة بهذه الحروف .

بحث في تطوير الكتابة العربية

للأستاذ جودت نور الدين

هذا البحث انما هو محاولة لحل مشكلة الكتابة العربية ، وهى ليست المحاولة الاولى ولن تكون الاخيرة

وهو ليس بحثا فى علم اللغة ولا فى فن الخط ، وان اتى على جوانب مهمة منهما لها علاقة بالكتابة والحرف، وللكتابة والحرف علاقة بها .

وفيما خص الحرف بالذات ، انى اتناوله من ناحيته العلمية ، اى مجردا من قدسيته الدينية وقيمته السحرية ، وبعيدا عن الخلفيات والواجهات السياسية ولا يعنى هذا فى اى حال انى لن اعرض لجوانب وظروف دينية وسياسية كعوامل فاعلة فيه .

القسم الاول : مشاكل الكتابة العربية

اولا ــ مشاكل الكتابة :

ــ لا ينكر الا مكابر ان للكتابة العربية مشكلة واحدة على الاقل هى صعوبة قراءتها ورسمها على وجه صحيح تام ، ومع ظهور الطباعة برزت مشكلة جديدة لها تعقدت مع تقدم هذا الفن ، وكان من نتائج هاتين المشكلتين ثالثة هى الضعف فى اللغة ، ويزيد البعض مشكلة رابعة : مساهمة الكتابة العربية فى ازمة الخلق الادبى .

1 ــ المشكلة التربوية :

قال قاسم امين وردد من بعده طه حسين ، ان المرء يقرأ اللغات الاوروبية ليفهمها بينما ينبغى له ان يفهم العربية ليقرأها ، وان كل من تعلم او علم يواجه هذه الصعوبة : بالنسبة للطفل صعوبة فى تمييز الصور المتعدده للحرف الواحد (حسب موقعه من الكلمة) ، وكثرة الحروف المنقطة ، بالاضافة الى الحركات او العلامات الصوتية التى يبلغ عددها ثمانية على الاقل (مع الشدة والتنوين) ، اما فى غير المشكل فهى صعوبة بالنسبة للراشدين المتعلمين ونادرا ما تجد بينهم ــ وبين اساتذة الادب العربى ــ من يخرج اللفظ اخراجا صحيحا ــ حتى عند قراءته جريدة يومية ــ الا بمزيد من التأنى وارهاف الذاكرة واجهاد الاعصاب، حسب تعبير محمود تيمور (1) . اما المتمرن فانه «يعرض نفسه لحول عينيه اذ هو لا يقع بصره على الكلمة الا وهو يجيله فيما بعدها من الكلمات حتى يعرف معنى تلك الكلمة هل هى اسم او حرف او فعل ، وما وظيفتها فى الجملة وما تستحقه من البناء او حركات الاعراب» (2) ولهذا يعمد الكثيرون الى تسكين اواخر الكلمات كى يتفادى التحريك الخاطىء .

اما فى الكتابة فتواجه المتعلم ــ بالمعنى الحرفى ــ صعوبتان : اختلاف صورة الحرف الواحد بين مخطوط ومطبوع ، ثم صعوبة املائية ناتجة فى الدرجة الاولى عن طبيعة الهمزة ومنزلتها بين الحروف العربية ، والصعوبة الاولى قائمة فى اللغات الاخرى ، ولكن هذا لا ينفى انها صعوبة وينبغى تذليلها ، لا سيما واننا فى عصر متسارع ينبغى فسح الوقت فيه امام التفكير والانتاج وتخصيص اقل قدر منه لاتقان استعمال الوسائل .

اذن مشكلة الحرف التربوية مشكلة تهجئة وتحريك واملاء واقتصاد فى الوقت .

2 — مشكلـة الطبـاعـة :

— جاء فى مقال بتوقيع شعيب احمد الدربي ان عيون صندوق الحروف فى اول مطبعة عربية (مطبعة حلب التى اسسها الشماس عبد الله زاخر سنة 1706) كان عددها 222 — اما المطبعة الامريكية التى نقلت من مالطة الى بيروت فقد كان عدد العيون فيها بالحروف المشكولة 900 (ولنا ان نتصور العناء الذى يلاقيه العامل الفنى فى تنضيد النصوص المحركة) وبعدهـا جرت محاولات عديدة لاختصار عدد اشكال الحروف فى اتجاهين اثنين : اولهما يحافظ على طبيعة الابجدية العربية فى الاتصال والانفصال ومن رواده اللبنانى الشيخ ابرهيم اليازجى بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (المونوتيب) ومن لاحقيه اللبنانى كامل مروه بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى الحديثة (اللينـوتيب) . والاتجاه الآخر ينكك الكلمة كليا باستعمال صور الحروف المنفصلة ، واول من نادى به سفير ايران الاسبق فى لندن ناظم مالوكى خان 1882 ، وتبعه اسماعيل حقى الميلاسى فى اوائل القرن العشرين ، وروجت جريدة « المقطم » القاهرية لـ « حرف اديب » سنة 1936 وغير هؤلاء (3) .

والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (القديمة) اننا اذا اردنا طبع نص مشكول مع تعدد صور الحرف الواحد لزمنا جهد كبير ووقت طويل ، لان عيون الصندوق لن تقل عن 226 فى هذه الحالة . والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى السريعة ان مجساتها لا تعدو الـ 90 وعلى احسن تقدير الـ 96 ، واننا لا نستطيع وضع الحركة على الحرف لانه غير مجوف ولا يمكننا ذلك الا اذا اعتبرنا الحركة بمقام الحرف تسبقه او تتلوه مباشرة ، اما فى الآلة الكاتبة المستعملة حاليا — او الراقنة — فلا يمكننا كذلك طبع نص مشكول لان فيها 47 طارقة فى طرف كل منها شكلان فيكون المجموع 94 شكلا (فى الراقنة الفرنجية 44 طارقة) . وصنع راقنة جديدة تتسع لها كلها غير عملى فنيا وماديا .

3 — المشكلـة اللغـويـة :

— شهر عن العربية انها بصعوبة الالمانية والروسية والفرنسية ، وبعضهم يقول بأنها اصعب منها ، لاسباب ترجع الى قواعدها فى الدرجة الاولى (وجود مجرد ومزيد ، ومعلوم ومجهول ، وصحيح ومعتل ، ومعرب ومبنى ، ومصروف وممنوع من الصرف ، ومقصور وممدود ، وتعدد الاوزان للثلاثى وتعدد المصادر للفعل الواحد . وتعدد المفاعيل ، وتعدد الجموع ، وتعدد المفردات للاسم الواحد ...) وتجىء مشكلة الحرف التربوية والطباعية لتزيد فى تعقيد العربية والتخوف منها فيؤدى ذلك الى الصدوف عنها او تفضيل احدى اللغات الاجنبية عليها او الى التطرف والدعوة الى احلال العامية محلها ، اقتناعا او اصطناعا . ولا شك فى ان جزءا من حل مشكلة اللغة — وبالتالى تشجيع الاقبال عليها والعناية بها ودفع الاتهامات عنها — يكمن فى حل مشكلة الكتابة .

4 — المشكلـة الادبيـة :

— يرى التونسى البشير بن سلامة (4) ان العربية فى الجاهلية كانت مكتملة كلفة (ضبط فى الاعراب وتوازن فى النبرة الموسيقية) وبدائية ككتابة (خالية من الاعجام والتحريك ردئية التصوير لانها رموز) ، وما زال هذا النقص — ولو جزئيا — الى ايامنا . ويرد بدائيتها الى نزعة السماع والرواية التى سادت ما قبل نزول القرآن وحتى ما بعد نزوله ، على الرغم من اعتباره « حدثا لغويا » — على حد تعبير المستشرق الفرنسى بلاشير Blachere — من حيث كونه لا شعرا ولا نثرا ومن حيث دعوته الى القراءة والكتابة فى العديد من الآيات.

وان القراءة الكاملة المعتمدة على الكتابة الكاملة تحرر الانسان من « سلطان الذاكرة » الآسر الرتيب او « الذاكرة المنشدة » (والتعبيران للكاتب الفرنسى الان Alain وتسند الافكار المنطقة نحو المجهول والمغامرة الكبرى ، اى نحو الخلق .

ويرى السيد بن سلامة ان التفاوت بين بناء الثقافة وبناء اللغة الموروث المنقوص ادى الى عزلة العربية واقتصارها منذ القدم على نخبة معينة . ويتقلص ادب الرواية والسماع الذى كان يعوض النص المشكول وبقاء هذا على صورته اتسعت الشقة بين الفصحى والعامية وزادت الفصحى « برعاجية » فظهرت ككائن مصطنع بعيد عن الحياة الحق المتفتحة على جميع التيارات .

ويتبنى الكاتب مقولة محمود تيمور بأن « المسألة ليست فى القراءة الصحيحة وفى تجنب اللحن فقط بل هى تتعلق بتقدم العرب اذ خلو الحروف من الحركات يعد مظهرا من مظاهر التخلف » . ويتساءل هو بدوره عن « حظ اللغة العربية من التقدم الفكرى » فيقول : « هل سمعنا فى ايامنا هذه بعالم عربى قدم اختراعاته واكتشافاته باللغة العربية ؟ وهل سمعنا ان نظرية من النظريات الفلسفية اكتسحت عالمنا الحاضر وهى نابعة من فكر عربى وزاحمت الماركسية والوجودية وحتى الماوية وغيرها من الفلسفات ، وهل سمعنا ان قصة او ديوانا من الشعر باللغة العربية صار بالنسبة لمثقفى العالم الشغل الشاغل ؟ (5) .

ومن وجهة اخرى ، نرى ان انصراف الناس فى ايامنا الى المسموع المرئى ينعكس انعكاسا سلبيا على المطبوع المقروء ، ولا سيما على الانتاج الادبى وتسويقه وهذه المشكلة قائمة بالنسبة للغات الاجنبية ايضا ، فكيف تكون الحال اذا كان هذا المطبوع صعب القراءة وفى بلاد عدد اميها يفوق عدد المتعلمين او يساويه على احسن تقدير ؟

ثانيا — حلول سابقة :

— لن اتوقف هنا — ولا فى الحل الجديد — عند المشكلتين الفرعيتين الثالثة والرابعة الا بمقدار : قبل كل شيء — وهذا هو الاهم — لاعتبار ان ما يعود فيهما للكتابة نتيجة تزول بزوال السبب ، ثم لان المقام ليس مقاما لبحث مشكلة الخلق الادبى من حيث الجوهر . ولنبدأ بالثانوى بالنسبة للبحث :

1 — ان تساؤل السيد بن سلامة عن حظ العربية من التقدم الفكرى واعتباره اللغة مسؤولة عن عدم تقديم عالم عربى اختراعاته واكتشافاته بها فيه عكس لبعض الحقائق ، فاللغة هى التى تجد فى التقدم الفكرى قاعدة ترتكز عليها لان التقدم هو الذى يطور اللغة ايضا من حيث الكتابة والمفردات والتراكيب والاساليب والنفس . وكما يقول مواطنه التونسي الاديب محمود المسعدى فان الفكر النير يفرز بطبيعة الحال لغة مناسبة له . ان التخلف لا يتجزأ وكذلك التقدم . فمثلا لو لم يكن الاسلام ثورة اجتماعية جذرية فى جميع مناحى الحياة العربية (ولعله الثروة العربية الحقيقية الوحيدة حتى الآن) لما تمكن من فرز لغة جديدة — من حيث الاسلوب — ولا كتابة جديدة — من حيث الشكل .

ان النقص فى الكتابة هو فعلا مظهر من مظاهر التخلف ولكن بمعنى انه نتيجة لا سبب . ولو كان العرب اقوياء اقتصاديا وعسكريا وسياسيا لازدهر انتاجهم الفكرى ولكانت لهم اختراعات عربية يعطونها اسماء عربية ، ولنشروا بل لفرضوا لغتهم بحكم كل ذلك وبحكم اضطرار الآخرين الى التعامل بها — شأنهم فى العصر العباسى مثلا — وكما كان الشأن بالنسبة للاسبانية ؛ وكما هو الآن بالنسبة للفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ، وكما سيكون بالنسبة للصينية ، من يدرى!

ومن جهة اخرى ، من المستحيل ان يتعايش تخلف الكتابة مع تقدم الامة كما ان من النادر تعايش تقدم الكتابة مع تخلف الامة . وان مجرد استيراد اى مظهر من مظاهر التقدم — كاحدى الكتابات مثلا — لا يقدم امة متخلفة .

اما الدعوة الى العامية ، فهى من وجهة نظر ادبية خالصة مناهضة لحقائق الادب :

ا — سبب انتشار العامية هو عرقلة نمو الفصحى وانتشارها الناتج فى المقام الاول عن الامية ، وفى المقام الثانى عن عدم العناية بها ومزاحمة اللغة — واحيانا اللغات — الاجنبية لها فى كثير من البلدان العربية منذ المرحلة الابتدائية ، بل ومنذ مرحلة الروضة احيانا .

ب — اذا اخذنا بالعامية وجب علينا ان نضع القواعد لها كما توضع لاى لغة يراد لها ان تبقى بعيدة عن الفوضى ، وتعلم القواعد الجديدة قد يبلغ درجة الاستحالة بسبب وجود العديد من العاميات حتى داخل البلد الصغير الواحد . اما تسهيل قواعد اللغة الحالية فهو ايسر نظريا وممكن عمليا ، واعمال مجمع اللغة العربية فى القاهرة معروفة فى هذا الحقل (6) ، « واحرفية » اللبنانى يوسف السودا مثل تطبيقى قابل للتحسين (7) .

ج — من اهداف الفن الصحيح السمو بالذوق العام. والفن العامى نفسه — كالزجل فى لبنان مثلا — يلتزم بموازين موسيقية تقربه من الفصيح ، وتتقرب مفرداته ولغته من الفصحى كلما عمقت معانيه وغنيت صوره .

والشاعر اللبنانى سعيد عقل — احد دعاة العامية — يعلم جيدا انه لم يخلد من شعراء العامية فى فرنسا كلها وعلى مدى قرون الا واحد هو شاعر الاقاليم فريدريك ميسترال ؛ بل ان شاعرنا نفسه اذا كان الامر جدا لا ينظم الا بالفصيح واى فصيح . ومن يقرأ مطولاته الرائعة او قصيدته « الجاهلية » فى نهرو يخرج بهذا الانطباع والاقتناع ، حتى انه فى كتابه الغزلى النثرى الاخير « كتاب الورد » يتغزل متوحدا مع فصحاه ، لا مع محبوبه ، كما قال احد النقد .

د — اتجاه الادب هو نحو الانتشار والشمول الانسانى لا نحو التقوقع والتحجر على الذات . وان الكتابة بلغة يقراها عشرات الملايين انجح للادب رسالة وسوقا وحافزا فى الحوافز على الابداع — من كتابته بلهجة يحكى بها بضعة ملايين فى بضعة بلدان (وهذا ، بالاضافة الى مناخ الحرية ، ما يفسر ازدهار النشر والطباعة فى لبنان ، لا غير ذلك) .

هـ — ان القول بازدواجية لغة الحياة ولغة الكتابة ثم اعتبار الفصحى بمقام اللاتينية المتحفية فيه تضييق على المعنى . فقد سبق ان قلنا بأن العامية ظاهرة تخلف لانها تعكس واقع الامية الناتج عن التخلف العام . ولا اظن احدا يوافق على ان التخلف هو الحياة الصحيحة. ومن جهة اخرى لا يصح تشبيه العربية باللاتينية المنقرضة لان للعربية شعوبا تتكلم بها وتكتب وتقيم شعائرها الدينية اليومية ، بينما حلت محل اللاتينية لغات مختلفة ولم تعد تلك مستعملة الا لاقامة بعض الشعائر الدينية وفى نطاق محدود .

و — ان تيسير الفصحى وتطويرها كلفة مستطاع لمن يريد . ولنا فى لغة مارون عبود وكمال يوسف الحاج ومحمود المسعدى الجريئة الحية امثلة على ذلك . واما تسهيل كتابتها وقراءتها دون الخروج على عبقريتها واصولها — ولكل لغة عبقرية واصول — فآمل ان تساهم محاولتى هذه الى جانب المحاولات السابقة — ان فعلا اورد فعل — فى اكمال القاموس لا فى نقضه .

بقيت اذن المشكلة الرئيسية :

2 — صورة الحرف وقراءته :

أ — فى 6 — 2 — 1941 اصدر وزير المعارف المصرى الدكتور محمد حسين هيكل قرارا عهد بموجبه الى مجمع فؤاد الاول للغة العربية « بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية » وذلك بناء على اقتراح من عبد العزيز فهمى فى جلسة سابقة للمجمع « بوضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارىء اللحن والخطأ » (8) . ثم تقدم عبد العزيز فهمى نفسه اقتراحا عمليا **باعتماد الحروف اللاتينية** مع الابقاء على عشرة من الحروف العربية الحالية (انظر البيان رقم 1) ، كما تقدم على الجارم اقتراحا آخر يدعو الى ان تكمل حروف الكلمة بزوائد فى صلبها تدل على الحركة « بحيث يؤدى كل حرف صورته الصوتية صادقة » (انظر البيان رقم 2) (9) .

وابرز الدعاة الى الحروف اللاتينية فى ايامنا هو الشاعر اللبنانى سعيد عقل نفسه . وهو يدعو فى نفس الوقت الى اعتماد اللهجة المحكية كـ « لغة قومية » وتعلم « لغة حضارية » او لغتين من اللغات الحية (الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية ...) وابقاء « لغة الجيران » للجيران ، وسمى كل ذلك « ثورة اللغة والحرف » (10) . ويبلغ عدد حروفه 36 بما فيها الاحرف الصائتة او الحركات . وطريقته — كطريقة فهمى تدعو الى حرف موحد الشكل والى كتابة الصوتيات فى صلب الكلمة كما هو الحال فى العديد من اللغات الاجنبية .. واول ما طبع بها كتاب له بعنوان « يارا » فى مطلع الستينات .

ب — سبق ان ذكرنا ان اول من دعا الى **استعمال الحروف العربية المنفصلة** هو ناظم ما كوم خان سفير ايران الاسبق فى لندن سنة 1882 اذ « قام بعمل احرف طباعية منفصلة وطبع عليها بعض الكتب بالعربية ومنها اقوال الامام على ، وبالفارسية كتاب « كلستان » . ودعا الى هذا الاتجاه اصحاب مجلة « المقتطف » ويوسف غسطين مدير جريدة « الاهرام » الاسبق ويوسف صفير وغيرهم (11) .

ومنذ بضع سنوات وضع المهندس اللبنانى نصرى خطار صورا موحدة لاحرف عربية منفصلة سبكت للاستعمال التجارى وللعناوين على امل الاخذ بها فى الطباعة العادية ، واشكال بعضها تشبه اشكال بعض الاحرف العبرية (12) .

وظهرت فى جريدة « النهار » البيروتية مقالة بقلم عطا الله نبانة يؤكد فيها انه « ابتكر ابجدية جديدة وسهلة لاصلاح الحروف العربية وتثوير الرسم العربى ... انطلاقا من روح عصرنا الثورى واستلهاما لآخر المحاولات وارتقاها فى العالم كله » (13) والابجدية الجديدة تقوم على حروف منفصلة متساوية الارتفاع بعض هياكلها مستمد من صور الحروف الحالية وبعض صورها تذكر بصور الابجدية الارمنية. ومن خصائصها الغاء التنقيط منها جميعها والغاء الشدة واعتبار الهمزة حرفا قائما بذاته « واكتشاف حروف صوتية عربية تنوب عن الضمة والفتحة والكسرة وتدخل فى صلب بناء الكلمة » ، واخيرا ادخل ثلاثة احرف لاتينية اساسية (G, P, V) بقصد استعمالها عربيا عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة وذلك لعدم توافر حروف عربية بمثل مخارجها » (14) .

واطلعت مؤخرا على اقتراحين لمغربيين هما مصطفى النعمان ويحيى بلعباس فى مجلة « اللسان العربى » يكرر اولهما اقتراح على الجارم ويكرر ثانيهما اقتراح نصرى خطار (15) .

هذا مع الاشارة الى ان اقتراح خطار نفسه (وكذلك اقتراح نبانة) يعيد الى الذهن اقتراح محمود تيمور الذى قدمه للمجمع اللغوى بالقاهرة وطبع سنة 1951 بعنوان « ضبط الكتابة العربية » ، وهو يرى « ان نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة .. الصورة التى لا تقبل الاتصال من بدء الكلمات » باستثناء بعض الاحرف « الالف ، الدال ، الواو ، التاء المربوطة ...) مع وضع الضوابط على الحروف : « حروف مألوفة وضوابط معروفة » (16) .

ج — تقدم المغربى احمد الاخضر غزال الى مجمع اللغة العربية فى القاهرة مشروعا يقضى **باختصار اشكال الحروف الحالية** الى « تسعين شكلا بما فى ذلك حروف الضبط والشكل وعلاماته والارقام والوقف » وبوضع الحركة بعد الحرف مباشرة . وتبنت الحكومة المغربية هذه الطريقة سنة 1956 ورحب بها المؤتمر الاول للجان العربية الوطنية للاونيسكو سنة 1958 واوصى المؤتمر العربى الاول للتعريب سنة 1961 بالانتفاع بها . كما ان هذه « الطريقة المعيارية » اعجبت الاب كورون مدير المطبعة اليسوعية سابقا فى بيروت ومدير دار المنشورات العربية حاليا فى باريس وليون بفرنسا ، لان الحركات المستقلة تمكن من اختصار امهات الحروف وتقلل كثيرا من عدد الحروف المطبعية التى يزيد عدد صناديقها حاليا عن 250 صندوقا . واننا

نجد الحركات موضوعة بعد الحروف مباشرة فى كثير من الكتب المطبوعة فى لبنان منذ اوائل الخمسينات ومنها « لسان العرب » (17) .

واختصر اللبنانى كامل مروة اشكال الحروف المطبعية من 104 الى 56 فقط فأصبح من الممكن استعمالها فى المطبعة الحديثة التى تتسع لـ 90 قناة . وقد وازنت طريقته بين مقتضيات الاقتصاد والمحافظة على الشكل المعتاد للحرف العربى .

واستوحى التونسى البشير بن سلامة طريقة احمد الاخضر المعيارية فى وضع طريقة سماها « الكتابة النومنجية » ، ولاحظ ان « الحركة اذا كانت مصحوبة برابط (بين الاحرف) يكون مدروسا شكله بحيث يمكن ان يربط بين جميع الحروف من دون ان يخل بجمال الخط امكن لنا استنباط حروف يضبط الخطاط نوعيتها ويختصر العدد الكبير منها . وقد توصلنا الى ذلك فأصبح عدد الحروف 58 حرفا بعد ان كان يزيد عن المائة . واذا اضفنا الحركات مع الروابط وادوات الوقف والشدة والتعريقة تحصلنا على آلة ذات 91 حرفا » (18) . ويلاحظ صاحب هذه الطريقة ان حروفه الـ 58 تظهر (وهى مستقلة) « مبتورة لان جزءا منها سواء كان الايسر او الايمن او الاثنين معا موجود فى الرابط الذى يحمل الحركة ، ولكنها كلما اقترنت به اصبحت كاملة لا يميزها عن الكتابة العادية شىء — وانه بالنسبة للحروف الهجائية النهائية تظهر الحركة بدون رابط وتفصل هكذا عما بعدها » (19) فلا تختلط الكلمات فى السطر الواحد (البيان رقم 3)

د — بقيت محاولة اخرى ، « تلك التى حددها وروج لها الدكتور اديب ابو غزالة ودعاها « الكيان المجرد للحرف العربى » . وهى فكرة تدعو لحذف الكاسمات والذيول والتطاريق من الاحرف العربية لتكون ذات شكل واحد موحد اينما وقعت من الكلمة على ان تبقى متصلة » (20) . وبكل اسف لم يتوصل الى علمى تفاصيل عنها غير هذه ، ولا ادرى اذا كانت تدعو الى الغاء التنقيط ووجوب التحريك .

3 — الاملاء العربى :

اقر باديء ذى بدء بأن ليس للحرف العربى مشكلة املائية صعبة جدا . فالعربية — بخلاف الفرنسية او الانكليزية مثلا — لغة صوتية تكتب اجمالا كما تلفظ. وليس من صعوبة حقيقية فى املائها الا الهمزه ، ويليها الالف ، فهذه تلفظ احيانا دون ان تكتب (مثل هذا ولكن واولئك) او تكتب دون ان تلفظ (كواو الجماعة) كما تكون تارة ممدودة وطورا مقصورة . وقد جرت عدة محاولات لتسهيل الاملاء العربى اذكر بعضها .

— فى مصر دعا على الجارم الى **تسهيل كتابة الهمزة** باتباع قواعد اربع اهمها الثانية وهى تقضى بأن « تكتب الهمزه المتحركة فى وسط الكلمة وفى طرفها على حرف مناسب لحركتها وبذلك يستغنى عن الحركة هكذا : سأل ، سئل ، ضؤل ، النبؤ ، فى جزئى الكتاب .. (21)

وفى لبنان دعا الشاعر جوزف نجيم الى تسهيل كتابة الهمزة فتكون اطلاقا فى اول الكلمة على الالف (اخذ) وفى وسطها على ياء مهملة (سئل) وفى آخرها مستقلة (جاء) ، وذلك بصرف النظر عن حركتها او حركة ما قبلها .

— وبشأن **كتابة الالف** سبق لنادى دار العلوم بمصر فى منتصف الثلاثينات (وكان وقتها سعد زغلول وزيرا للمعارف) ان ناقش « رسم الالف المتطرفة الفا ممدودة سواء اكانت واوية ام يائية» (22) وجدد العراقى منير القاضى الاقتراح وقدمه الى المجمع العلمى العراقى ببغداد فنشرة المجمع فى كراس مستقل (23) . ومؤخرا بعث اللبنانى احمد اللواسانى نفس المشروع على صفحات ملحق جريدة « النهار » البيروتية .

— واقتراحات **الكتابة الصوتية** ليست جديدة . ومعروف ان طه حسين دعا اليها وانه كان الى سنة 1960 يوقع مقالاته فى جريدة « الجمهورية » القاهرة باسمه كما يلفظ .

القسم الثانى : الطريقة الطبيعية

اولا — فى الامـلاء :

1 — يبدو اقتراح **كتابة الالف** المتطرفة الفا ممدودة على الاطلاق معقولا ووجيها لان اختلاف صورتى الالف مع وجود صوت واحد لهما لا مبرر له فى الواقع الا الدلالة على مصدر واوى او يائى وعلى ما ينجز عنه فى التصريف مثلا بالنسبة للافعال (ما ينتهى ماضيه بألف ممدودة ينتهى مضارعه بواو مثل دعوا — يدعو، وما ينتهى ماضيه بألف مقصورة ينتهى مضارعه بياء مثل رمى — يرمى) . وفى الالف المقصورة دلالة على التأنيث فى كثير من الكلمات (كبرى ، سلوى ..) ولكن النحاة انقسموا فى هذا الشأن ، وذهب فريق منهم الى ان ما كان اصله ياء اجازوا كتابته الفا ممدودة وما كان اصله واوا لا يجوز كتابته الفا مقصورة (24) . وذكر على الجارم انه جاء فى كتاب الشيخ نصر الهورينى ما معناه « ان جماعة من النحاة جروا على كتابة الباب كله بالالف (الممدودة) حملا للخط على اللفظ كما فى الشافية ووجهه شيخ الاسلام بأنه القياس ، وقال البطليوسى فى شرح ادب الكاتب : ان ابا على الفارسى اختار هذا الرأى » (25) . وهكذا فالافضل والاسهل

ان تكتب الفا ممدودة كل الف مقصوره فى حرف او اسم او فعل فى اعراب او بناء .

اما الكلمات التى تلفظ فيها الالف ولا تكتب كاسم الاشارة المسبوق بهاء التنبيه (هذا ، هـذان ..) او لكن والرحمن .. فينبغى ان تكتب — على قلتها — كما تلفظ ما دامت كتابتها بهذا الشكل لا تمس جوهر اللغة ، بعكس الالف فى واو الجماعة اذ يجب اثباتها كى لا يختلط المفرد بالجمع على الاقل (ويمكن ان يحافظ على صورة اسم الجلالة « الله » كما هى ، دون ان يكون فى هذا الاستثناء الوحيد خروج ينكر على الواعد التى وضعناها) .

ويذكر الشيخ احمد رضا العاملى فى معرض تفسيره لاقدم نص عربى وصل الينا — وهو نقش النمارة كما سيأتى ذكره — ان نزع الالف من الكتابة يرجع الى تأثير الخط النبطى على الخط العربى « اذ ليس فى الاول لحرف اللين ولا للهمزة صوره » (26) .

وما دام الشكل واجبا على الحروف — كما نقترح — فان الاسماء الموصولة تكتب هى ايضا كما تلفظ (الذى ، اللذين ..) ، وقس على ذلك ،

2 — اما بشأن **كتابة الهمزة** فارى ان على الجارم خطا خطوه بسيطة على طريق الحل بدليل انه اضطر الى وضع اربع قواعد على الاقل لضبطها ، وان جوزف نجيم قام بخطوة عملية فقط عند ما اقترح الاقتصار على صور ثلاث لها حسب موقعها فى الكلمة لانه انطلق من الموجود على علاته واستخرج قاعدة على مبدأ الشيوع والاغلبية دون الذهاب الى أبعد من ذلك . وارى أن الحل ينبغى ان يكون جذريا وكاملا من حيث منزلة الهمزة فى الهجاء العربى ووظيفة احرف العلة الثلاثة التى تجلس عليها سعيدة فى اكثر الاحيان .

« يقول لسان العرب » كبير امهات المراجع المتأخرة التى وعت ما قبلها ما يلى : « قال الازهرى : اعلم ان الهمزة لا هجاء لها انما تكتب مرة الفا ومرة ياء ومرة واوا ، والالف اللينة لا حرف لها ، انما هى جزء من مدة بعد فتحة . والحروف ثمانية وعشرون حرفا مع الواو والالف والياء ، وتتم بالهمزة تسعة وعشرين حرفا . والهمزة كالحرف الصحيح غير ان لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق تعتل ، فألحقت بالاحرف المعتلة الجوف وليست من الجوف ، انما هى حلقية فى اقصى الفم » (27) .

ويقول « معجم متن اللغة » : « ان الالف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لان الحرف التام يتعين له صورة فى النطق وفى الكتابة معا . ولكن الهمزة ذات صورة فى النطق دون الكتابة والالف ذات صورة فى الكتابة دون النطق . لكنهم لم يتحرجوا من اطلاق اسم الالف على الهمزة فى كثير من الموارد ،،، والظاهر فى ترتيب سيبويه لحروف الهجاء ان الالف اول حروف الحلق ، وعلى ذلك جلة الائمة . لكن الخليل بن احمد فى « العين » وابن سيدة فى « المحكم » عدها بين حروف الجوف التى لا تندرج فى مدارج الحروف بل تخرج من الجوف . واراد سيبويه بها الالف المتحركة واراد بها الخليل الالف اللينة . ولم يهمل سيبويه الالف اللينة فعد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا » (28) .

ومن جهة اخرى ، يقول « لسان العرب » : « قال (ابو العباس) واختلف العلماء بأى صوره تكتب الهمزة ، فقالت طائفة : نكتبها بحركة ما قبلها وهم الجماعة ، وقال اصحاب القياس : نكتبها بحركة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان قال وانما يلزمنا ان نترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال ابو العباس وهذا هو الكلام » (29) .

وعند اجتماع الهمزتين بمعنيين نجد من يحقق الاثنتين كعاصم والكسائى ، ومن يحقق الاولى ويخفف الثانية كالخليل ومن يخفف الاولى ويحقق الثانية كابى عمرو بن العلاء . ومنهم من يخفف الاثنتين كأهل الحجاز ،،، » (30)

وفى « اللسان » نجد ان الهمز على ثلاثة انواع ،، التحقيق (وهو اعطاء الهمزة حقها من الاشباع فى اللفظ) والتخفيف (قليل من الاشباع والاعراب) والتحويل (الى ياء مثل خبأت — خبيت او الى واو مثل رفأت — رفوت) ، « وتميم اصحاب النبر واهل الحجاز اذا اضطروا نبروا (31) .

من هذه النصوص يبرز اختلاف علماء اللغة فى ثلاثة امور : فى منزلة الهمزة وفى املائها وفى اخراجها .

ووضع الامر فى نصابه يقتضينا اعتبار الهمزة حرفا مستقلا قائما بذاته لعدة اسباب :

— لان لها صوتا مستقلا مميزا (ء) ، واذا كان لصوت اساسى صورة فى النطق دون الكتابة فينبغى ايجاد صورة مكتوبة مستقلة لهذا الصوت .

— لانه فى حالة تعادل الآراء ترجع القاعدة الاكثر بساطة .

— لان علاقة الهمزة بالالف من حيث اللفظ كعلاقة بعض الاحرف الاخرى فيما بينها (التاء والطاء ، السين والصاد ، السين والزاى ، والقاف والكاف .،،)

يقول ابن جنى مخالفا راى ابى العباس ثعلب : « ان جميع هذه الحروف انما وجب اثباتها واعتدادها لما كانت موجودة فى اللفظ الذى هو قبل الخط . والهمزة ايضا موجوده فى اللفظ « كالهاء » و « القاف » وغيرهما ، فسبيلها ان تعتد حرفا كغيرها . فأما انقلابها فى بعض احوالها لعارض يعرض عليها من تخفيف او بدل فلا يخرجها من كونها حرفا . وانقلابها اول دليل على كونها حرفا . الا ترى ان « الواو » والياء ، والتاء ، والهاء ، والنون ، وغيرهن قد يقلبن فى بعض الاحوال ولا يخرجهن ذلك من ان يعتددن حروفا ؟ » (32) .

لننظر بعد هذا فى املائها ولنورد مجموعات الامثلة التالية : جرؤ ، تجرأ ، يجترىء — تأمل ، يؤمل — سأل ، سئل ، مسؤول — أخذ ، اخذ — امر ، امر.

بفضل من التأمل نستنتج ان ما دعا الى كتابة الهمزة على كرسى . فى المجموعات الثلاث الاوليات هو تسهيل قراءتها او قراءة احرف غيرها بالضم او الفتح او الكسر . وبعبارة اخرى ان كراسيها الثلاثة هى مجرد حركات مكتوبة فى صلب الكلمة . ولو وضعنا الحركات العادية على الاحرف فى كل كلمة واستغنينا عن الكراسى لما تغير اللفظ اطلاقا . ان الواو تلفظ مخففة كضمة والياء ككسره والالف كفتحة (اليست الالف « جزءا من مدة بعد فتحة » ؟) ولنا دليل آخر هو انه عند ما تكون اصلية فى اول الكلمة كما فى المجموعتين الاخيرتين تبقى على صورتها برغم تغير حركتها ، اما عند ما يشبع لفظ ما قبلها من احرف العلة فانها تكتب مستقلة (مجزؤ ، مقرؤ ، اسماء ، مسىء ..) ، وفى هذه الحالة الاخيرة لا تكتب على كرسى الا لمجرد التحريك عند الاضافة (اسماؤهم ، من مجزوئه ......) ...... وكل هذه التعقيدات لان الهمزة مهضومة الحقوق لا تعامل كحرف كامل ، بينما صوتها ليس اخفت الاصوات فى الابجدية العربية ، وهذه تتم بها فعلا تسعة وعشرين حرفا كما يقول « اللسان » (33) .

لذلك ارى بالنسبة للهمزة ما يلى :

— معاملتها معاملة الحروف الاخرى .

— وضع الحركة عليها كما توضع على الحروف الاخرى ،

— كتابتها على صورة واحدة اينما وقعت من الكلمة .

— اختيار شكل لها قابل للاتصال والانفصال قدر الامكان . والشكل الانسب هو صورتها الموحده مع الالف «ا» « وكان فى الامكان اختيار شكل آخر لها مثل «ء» الهمزة الفارسية المألوفة مع زيادة سن عليها للسماح بوصلها من الجهتين لولا الحرص على قواعد اللغة والبيان بوجود همزة قطع وهمزة وصل.

ثانيا — صورة الحرف العربى :

تتميز الكتابة العربية اولا باتصال معظم الحروف فى الكلمة الواحدة وثانيا بأن ضبط لفظها يتم بحركات صوتية توضع فوق الحروف او تحتها وثالثا باتجاهها من اليمين الى اليسار .

هذه الخصائص الثلاث هى الاساسية فى نظرى ، اما المميزات الاخرى كالاعجام (التنقيط) وتعدد صور الحرف الواحد حسب موقعه من الكلمة ، وغيره ، فهى فروع :

1 — لدعاة الحرف اللاتينى : فضل فى وضع الاصبع على بعض ادواء الكتابة العربية وفى طليعة هذه اهمال اثبات الصوتيات فى الكلمة ثم تعدد اشكال الحرف الواحد وكثرة الحروف المنقطة حتى ان الكتابة المنقوطة والمشكولة تبدو كغابة يتعب فيها النظر ولا سيما اذا كان النص مخطوطا .

واما « الامراض » الاخرى التى اشار اليها هؤلاء الدعاة فلا وجود حقيقيا لها :

ا — **اختلاف الحجم** بين الاحرف العربية لا يقتصر على العربية بل هو قائم فى الحروف اللاتينية ولا سيما فى الشكل العادى (قارن بين n، m و g - h, i - w ...)

ب — عدم استعمال **حرف التاج** فى العربية (وهو قائم فى اللغات الاوربية ويدل على بداية الكلام او اسماء الاعلام) يمكن تعويضه — اذا كان لا بد من ذلك — اما بكتابة اول كلمة بحروف بارزة كما هو الحال الآن واما بكتابة اول حرف من الكلمة بشكل بارز او اكبر من الاحرف الاخرى .

ج — ان **استعمال احرف لاتينية** ليس لمخارجها مقابل فى العربية عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة يقودنا الى زيادة كبيره فى عدد هذه الاحرف لان فى كل لغة من اللغات الحية اصوات لا مقابل لها فى العربية، ففى الفرنسية وحدها اكثر من عشرة اصوات (هى عدا اللفظ الخاص لبعض المقاطع . فكيف بنا اذا اضفنا الاصوات الاخرى فى الانكليزية والاسبانية والالمانية والروسية وغيرها ؟ ام ان علينا ان نكتفى بأسماء الاعلام من جميع الجنسيات مكتوبة بلغة اجنبية واحدة ، اى مترجمة ؟ لماذا لا نترجم اذن الى لغتنا مباشرة ؟

د — ان استعمال الحرف اللاتينـي امـر ليس سهلا من ناحية نفسية حظرية ، ذلك ان اللغة الام — اى لغة ام — هى بمعطياتها الاساسية فيض من ذات الامة وجزء من شخصيتهـا ، وليست كاللغـة الاجنبية بالنسبة لها : مجرد اداة للتخـاطب ونقـل الافكار والثقافة . اللغة الام هى الجلد مـن الجسد وليست الثـوب منـه .

هـ — بقى سؤال هام : ما هو مصير تراث ضخم يمتد على مدى الف عام مكتوب بالحرف العربى ؟ هل انه كله غير ذى قيمة وينبغى اهماله ؟ ام ان علينـا ان نختار الجيد الصالح منه ونعيد طباعته بالحـرف اللاتينى ، وفى هذه الحال نسأل : بأى معيار وبأى ذوق نفعل ما نفعل ، مع العلم بأن للاجيال القـادمة حقها هى ايضا فى الاختيار والانتقاء وقد تـرى غير رأينا كما قد تجد فى التراث ينابيع لقيمها الخـاصـة بهـا ومـوارد ؟

يتوجب اذن طباعة التراث كله بالحرف اللاتينى ، وهذا عمليا مستحيل وخيالى النفقات .

2 — ان استعمال **الاحرف المنفصلة كليا ، لاتينية كانت ام عربية ،** لا يتماشى مع وجه الكتابة العربية وروحها . ولو افترضنا افتراضا ان الاخذ به ممكن لاعترضتنا صعوبات كثيرة ابرزها البطء فى الكتابـة وامكان اختلاط حروف الكلمات وصعوبة التشكيل ..

3 — ان اقتراح احمد الاخضر **اختصار اشكـال الحروف ووضع الحركة مباشرة بعد الحرف** اقتـراح عملى ملائم . ولا يغير الكلمة العربية ان تطول قليلا بالحركات لان الكتابة الحالية ليست « مختزلة مـن تلقاء نفسها » كما يقول محمود تيمور ، واختزاليتها ليست من المثالية بالقدر الذى يصوره خطاط لبنـان كامل البابا (34) ، لان هذه الاختزاليـة قائمـة على حساب القراءة واللفظ الصحيح . وان مـد الكلمـة بالحركة عود بها الى حجمها الطبيعى المناسب للفظها

ولكن عيبى هذا الاقتراح الاساسيين انه لم يتخلص من الاعجام ولم يوحد شكل الحرف .

وادى كامل مروة خدمة جليلة للطباعة العربيـة باختصاره اشكال الحروف الحالية ، الا انه لم يمكن الى الغاية فيوحد اشكال الحرف ويلغى التنقيط ويثبت الحركات . وعذره فى ذلك ان هاجسه كان اقتصاديا فقـط .

واما البشير بن سلامة فبوصولـه فقط الى 58 شكلا للحروف الابجدية اضطر الى اهمال عدد مـن العلامات كى يبقى فى نطاق استيعاب المطبعة الحديثة:

علامات العمليات الحسابية ، **مدة الالف ، علامـة الاستفهام ، القاطعة ... ثم انه كأحمد الاخضر — وهنا الاهم — لم يوحد شكل الحرف ولم يتخلص من الاحجام** وبقيت صورة الكتابة هكذا مثقلة .

مـا الحـل اذن ؟

ثـالثا — الطريقـة الطبيعيـة :

تعتبر الاغلبية ان الخط العربى انبثق مـن الخط النبطى . وان نقش النمارة الذى اكتشفه العـالـم الفرنسى ديسو والذى يرجع الى سنة 328 ب م ، ونقش حران بحوران وكتابة ام الجمال تظهر العلاقة الحميمة بين الكتابة النبطية والكتابة العربية التـى حلت محلها (راجع البيانات 4 و 5 و 6) . كمـا ان تفحص النقوش الاثرية التى وصلت الينا تدل على ان الكتابة النبطية تاثرت كثيرا بالكتابة الاراميـة وانهـا حملت تضاعيف من الكتابـات الحميريـة والسبأيـة والسريانية والنسطورية والعبرانية قبل ان تفـرز فى النهاية الخط العربى القديم : الكوفى المكـى والكوفى الحيرى وغيرهما (35) .

والخط الكـوفى خط هندسى بمربعاتـه وزوايـاه وخطوطه المستقيمة الخالية من التنقيط (انظرالبيانين 7 و 8) . وبحكم التوسع ومتطلبات الادارة والتجارة تخلص على يد « قطبة المحرر » فى العصر الامـوى من زواياه الدقيقة (انظر البيان رقم 8 — 2) . وجاء ابن مقلة فى اواخر القرن الثالث الهجـرى (اوائـل القرن العاشر الميلادى) فأكمل ما بداه قطبة وطور الكوفى الى النسخى المدور غير المزوى ووضـع مبادىء الخط : اعتماد الهندسة فى رسم الحروف (استعمال الدوائر كاطار) وتحديد التناسب بينها (ولا سيمـا بجعل الالف وحدة للخط) .

اما ضبط الكتابة وبالتالى اللغة فقد بدا منـذ بدء اللحن بدخول شعوب غير عربية فى الاسلام . ومعروف ان ابا الاسود الدؤلى هو الذى وضع اصول النحو عن على ابن ابى طالب بدعم من زياد بن سمية امير البصرة ليعرف به العرب كلامهم — على حـد تعبير ابى الاسود — وللحفاظ على القرآن بطبيعة الحـال. وابو الاسود هو اول من **وضع الحركات على الاحرف بشكل نقط** : النقطة فوق الحرف فتحة ، وتحته كسرة وفوقه مع تأخرها عنه قليلا ضمة (انظر البيانين رقم 8 — 1 و 9 — 1) . وصارت بعد ذلك على التوالى: نقطة مدورة ونقطـة نصف مدورة ونقطـة كالمعـين (الشكل الهندسى) . واعتقادى انه لم يكن يتيسر لابى الاسود وضع حركاته بتلك الاشكال لـو كـانت الحروف معجمة ، وان هذه الصعوبة نفسها هى التى دفعت الخليل بن احمد واضع النقط على الحـروف

للتمييز بين اشكالها الى تطوير اشكال الحركات كي لا تختلط بنقط الحروف فصارت الحركات كما نعرفها الآن (راجع البيان رقم 9 — 2) .

هذه العودة الى الينابيع ، مضافة الى كل ما تقدم مكنتني من استخراج اشكال للحروف العربية تذلل الصعوبات التي تشكو منها القراءة والطباعة ، وتصلح لان تسمى « الطريقة الطبيعية » : طبيعية لانها تعود الى الينابيع كما قلت ، وطبيعية لانها تبسط شكل الحروف وتخلصها من الزوائد والمثقلات ، وطبيعية لانها تعامل الحرف كحرف ، وطبيعية اخيرا لان القراءة بها تصبح سهلة تامة والطباعة سريعة واضحة والتماثل بين الحرف المخطوط والحرف المطبوع ادق واكمل . والمبادىء التي تقوم عليها هي :

1 — **المحافظة على الصلة الوثيقة بالتراث واستخراج صور الحروف الجديدة منصورها الحالية** دون التقيد بنوع واحد من انواع الخطوط المعروفة (النسخي ، الثلث ، الفارسي ، الرقعة ، الديواني ، الكوفي ...) ، والصور المعتمدة هي اجمالا الصورة الاساسية الوسطى للحروف القابلة قدر الامكان للاتصال والانفصال عن اليمين وعن الشمال (البيان قسم 10) . هذا مع امكان قسمة احرف الكلمة الواحدة بين آخر السطر والسطر الذي يليه والاشارة الى ذلك بواسطة واصلة (Trait-d'union) مثلما تدعو الحاجة احيانا في اللغات الاوروبية ومثلما كان الشأن بالنسبة للقرآن نفسه عند كتابته بالحرف الكوفي (راجع البيانات 7 و 8 — 1 و 9 — 1) .

2 — **وجود شكل واحد للحرف الواحد اينما وقع من الكلمة** : ولم يخرج على هذا المبدأ الا حرفان ولاعتبارات لغوية او بيانية : التاء بشكلين قصيرة وطويلة (للدلالة على المؤنث او على الضمير او على الجمع ...) والهمزة بثلاثة اشكال : عادية وعند ما تكون همزه وصل وعند ادغامها في الالف (مثل آدم).

3 — **الغاء التنقيط** من الصور الجديدة جميعها (كما كان في الماضي : انظر البيانات رقم 6 و 7 و 8 و 9 و 1) . ولا يتناقض هذا مع المبدأ الاول لاننا ابقينا على العلاقة بين الاحرف المتشابهة ولكن بشكل آخر: بشكل سن اجمالا في صلب الحرف بدلا من النقطة التي تميزه عن شبيهه (36) .

4 — المحافظة قدر الامكان على **الاحجام المعتادة للحروف** ومراعاة حركة اليد عند كتابة الكلمة الواحدة بحيث نختصر الوقت الى ادنى حد ممكن .

5 — **التوافق بين صور الحروف والكلمات في حالي الكتابة والطباعة** (وهذا غير موجود في الابجديات الاوروبية الا في حال الكتابة بالحرف المنفصل « السكريبت ») .

6 — **وجوب تشكيل الكلمة في حالي الكتابة والطباعة بالحركات الثلاث المعروفة** ، بالاضافة الى الجزمة منعا للتحريف (اذ ان تركها للدلالة على السكون كما يرى سيبويه لا يكفي في كثير من المواطن) ، على ان توضع الحركات مباشرة بعد الاحرف في الطباعة وفوقها او تحتها عند الكتابة باليد.

1 — ان من خصائص العربية ان عددا من صوتياتها حروف صغيرة تسمى حركات وتكتب فوق الحروف الاخرى او تحتها . وليس ثمة فرق بين ان تكتب الصوتيات في صلب الكلمة امتدادا افقيا او ان تكون ملازمة لها بشكل آخر في صلب حيزها المكاني .

وكمثل تطبيقي على الطريقة اقدم فاتحة القرآن اذ فيها ايضا جواب على اكثر من سؤال (البيان 11).

— فوائد الطريقة :

يمكن ترتيب الفوائد العديدة لهذه الطريقة الطبيعية كما يلي :

أ — في القراءة :

— سهولة تعليم القراءة للصغار والكبار بوجود الحروف .

— سهولة تعلم القراءة للصغار والكبار بوجود حرف موحد الشكل .

— تشجيع الاقبال على قراءة الكتاب العربي .

ب — في الكتابة :

— بوجه عام ، رفع المستوى العام في اللغة العربية بحكم التشكيل عند الكتابة والنطق الصحيح عند القراءة .

— بوجه خاص — تحل مشكلة كتابة الهمزه من الاساس باعتبارنا اياها حرفا عاديا وبوضع الحركة عليها كغيرها .

— تصبح الكتابة صورة طبق الاصل عن الطباعة والعكس بالعكس .

— لا بطء ولا ثقل في رسم الكلمات بحلول الحركات الثابتة محل النقط من حيث الوقت والحيز .

ج ــ فى الطباعــة :

1 ــ اختصار عيون المطبعة بحيث لا تعود تتجاوز الثمانين عينا كما هو مثبت فى البيان رقم 12 :

ــ اشكال الحروف 32 (بينما عددها لا يقل عــن 60 فى مطبعة اللينوتيب السبعينية الحديثة جدا) .

ــ الحركات 22 (ويمكن تخفيفهـــا الى 13 لــو وضعت الحركة بعد الشدة مباشرة لا عليها ولكــن صورة الكلمة تصبح مشوشة) .

ــ علامات الوقف 12

ــ الارقام وعلامات الحساب 14

فيكون المجموع 80 عينا فى صنــدوق الطباعــة بالنسبة لجميع النصوص .

2 ــ اختصار الوقت فى عملية الطبع وسهولــة اقتناء اليد العاملة وانخفاض تكاليف الطباعة .

3 ــ التمكن من طباعة نص مشكول بالراقنة فيتم التطابق بينها وبين المطبعة .

ــ الصعــوبــات :

انا موقن بأن دون الاخــذ بهذا المشروع مصاعب عدة منها الفنى ومنها النفسى ومنها السياسى ومنها المــادى :

أ ــ الصعوبات الفنيـــة : معظمها طباعى واهمها ضرورة وجود مصحح مثقف فى المطابع ثــم ضرورة سبك الحروف بشكل لا تختلط فيه عنــد الطباعــة ويمكن من وضع الحركات او الشــدة دون الاخــلال بجمال الخط ، ثم ضبط المسافة بين السطر والسطر. وكل هذا من شأن الخطاط والفنى وسهل تنفيذه ولا يشكل صعوبات جوهرية .

ب ــ العادة القديمة : والعادة طبيعة ثانيــة ــ فالصور الحالية تأصلت فينا واتخذت مسحــة مــن التقديس لا لمجرد كتابة القرآن بها (اذ انه كتب اول ما انزل بالخط الكوفى) بل « لشدة الالفة بها وطول العهد معها » على حد تعبير محمود تيمور . وغذى هذا الشعور تحول الخط العربى عن وظيفته الموضوعية الى مادة فنية وطاقة جماليـــة (تعويضا عــن فــن التصوير والنحت فى البلاد الاسلامية) .

ولكن العادة ، كما هو ثابت فى علم النفس ، يمكن تعويضها بعادة جديدة . والواقع ان الاخــذ بصور الحروف المقترحة (او بأى صور اخرى تقوم على نفس المبادىء وتكون اكثر ملائمة) لن يكون عــادة جديدة بكل معناها بل مجرد تحويل بسيط للعــادة القديمة لان معظم الصور باقية كما هى والباقى شديد الشبه او وثيق العلاقة بسلفه . وستحدث لا محالــة اخطاء فى البداية ، ولكنها ستقل بالتدريج تبعا للتعود وجهود النقاد ، وسيكون شأن القارىء او الكاتب فى ذلك « شأن الشاعر المطبوع حين ينظم مــا ينظم صحيحا لا خلل فيه طوعا لما ادمن من قراءة الشعر ولو لم يعرف من علم العروض شيئا » (37) .

ج ــ السياسة التربوية : وهى ذات شقين :

ــ الاول تبنى المشروع من قبل السلطات التــى بيدها مقاليد التربية والتعليم فى كــل بلد عربــى ، وفرضه فى جميع المدارس الرسمية والحرة . واذا لم يحظ بسلطة تنفيذية تتبناه يبــق حبــرا على ورق ويلق على احسن تقدير مصير الكثير من توصيــات اللجان والمؤتمرات والمجامع اللغوية .

والآخر اعطاء اللغة العربية حقها الكامل كلغة ام فى البرامج التربوية ولا سيما فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، مرحلتى التأسيس ، كما تفعل جميــع البلدان المتقدمة ــ كفرنسا وانكلترا مثلا ــ بالنسبة للغاتها ، هذا مع التاكيد على ضرورة اتقان لغة اجنبية حية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مثقف ثقافة حقيقية.

ان الانتقاص من حق اللغة الوطنية فى التعليم هو السبب الاساسى فى تدنى مستوى الطلاب (والمعلمين الذين كانوا من قبل طلابا) فى اللغة العربية . وبدلا من الجهر بالعلة الحقيقية وتلافيها يردهــا البعض جهلا او تجاهلا الى صعوبة اللغة بحد ذاتها ، كأن اللغات الصعبة الاخرى لا يتعلمها اهلها لهذه العلة، والا فما معنى ان تكون المدارس فى الماضى ــ ومنها مدرسة الحكمة فى بيروت مثلا ــ قد خرجت طلابا واساتذة اسلست اللغة لهم قيادها وملكوا ناصيتها؟

د ــ قد يلاقى المشروع تحفظا لدى فريــق مــن الخطاطين العرب ممن يتعلقون بالجماليــة الحاليــة للخط او ممن يتكسبون منه . ولكنى اعتقد بأنه سيجد لدى الخطاط الفنان كل ترحيب لانه سيتيح له الفرصة ليرسم صورا وتراكيب جديدة ــ وربما خطوطا جديدة، على ما فعل ارباب هذا الفن مثل ابن مقلــة وابــن البواب وياقوت والحافظ عثمان ــ فيوفر له متعــة الخلق والابتكار ، ولا سيما ان الصور الجديدة مستمدة من صور الخطوط المعروفة المألوفة على تنوعها ، وانها ما زالت سهلة المد قابلة للانثناء والاستطالة . فالخط بها ما زال منسوبا وما زال على معيار الجودة عند الصولى فى « اعتدال اجسامه واستطالة الفــه

ولامه واستقامة سطوره وعدم اشتباه رائه ونونه وتناسق دقيقه وجليله » . والفه ما زالت على اعجاب كامل البابا بها عند مصطفى راقم « كالقامة الفرعاء ». واذا لم تعد العين عندنا كحاجب الحسناء والنون كثدى الناهد فان الهمزة عندنا كصولجان الملوك ونوننا الرقعية جناحا طائر والعين كقلب العميد .

* *

.. وبعد ، آمل ان ينال هذا المشروع الاهتمام الذى يستحقه من قبل ذوى الشأن الغيورين على اللغة العربية لانى اعتقد بأن التطور هو فى هذا الاتجاه ، اتجاه التبسيط لا محالة . و لاحاجة بى لتكرار ما نوهت به اكثر من مرة من ان محاولتى هذه لا تدعى الكمال بل هى قابلة للتهذيب والتحسين . وحسبى انى لم اكتف بموقف المتفرج على حال اللغة، بل قمت بخطوة عملية ايجابية فى سبيل النهوض بها، فاذا اصبت فلى اجران ، وان لم اصب فلى اجر واحد على الاقل !

جودت نور الدين

اهم مراجع البحث

1 — محمود تيمور — ضبط الكتابة العربية ص 7 — الطبعة الاولى — مطبعة الاستقامة القاهرة 1951 .

2 — مجمع اللغة العربية (عبد العزيز فهمى) محاضر جلسات الدورة العاشرة — ص 285 — القاهرة 970 .

3 — جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ 28 — 11 — 1971 .

4 — البشير بن سلامة — اللغة العربية مشاكل الكتابة — الطبعة الاولى — الدار التونسية للنشر تونس — 1971 .

5 — المصدر السابق — ص 107 .

6 — مجمع اللغة العربية — محاضر جلسات الدورة العاشرة ص 266 — 274 (مذكرة احمد امين بـ « اقتراح ببعض الاصلاح فى متن اللغة »).

7 — يوسف السودا — الاحرفية — دار الريحانى للطباعة والنشر — بيروت 1970 .

8 — مجمع اللغة العربية — محاضر الجلسات 7 و 8 و 9 — ص 50 و 53 — 54 — القاهرة 1970.

9 — راجع التفاصيل والمناقشات فى محاضر جلسات الدورة العاشرة من 18 / 10 / 43 الى 29 / 5 / 44 .

10 — جريدة «النهار» تاريخ 27 / 6 / 1972 .

11 — شعيب احمد الدربى — قضية الحرف العربى ملحق جريدة « النهار » بتاريخ 28 — 11 — 71 .

12 — مجلة التجارة — الابجدية الموحدة — عدد شباط — آذار 1968 — بيروت .

13 — جريدة « النهار » بتاريخ 27 — 2 — 1972 .

14 — المصدر السابق ..

15 — ضبط الكتابة العربية ... ص 35 و 36

16 — لسان العرب — ابن منظور — دار صادر دار بيروت — بيروت 1955 .

17 — مجلة اللسان العربى — المجلدالتاسع — الجزء الاول ص 219 — 221 يناير (كانون الثانى) 1972 — المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

18 — اللغة العربية ومشاكل الكتابة ... ص 83 — 84 .

19 — المصدر السابق ص 86 .

20 — قضية الحرف العربى — المصدر 11 .

21 — المصدر 6 — ص 320 — 321 .

22 — المصدر 8 — ص 55 .

23 — منير القاضى — تسهيل الخط العربى — ص 6 — مطبعة المجمع العلمى العراقى — بغداد 1958 .

24 — المصدر 2 — ص 341 .

25 — المصدر السابق — ص 330

26 — الشيخ احمد رضا العاملى — مولد اللغة — ص 48 — دار مكتبة الحياة — بيروت 1956

27 — لسان العرب — الجزء الاول ص 17 — دار صادر ودار بيروت — بيروت 1955 .

28 — الشيخ احمد رضا العاملي — معجم متن اللغة — المجلد الاول — ص 131 — دار مكتبة الحياة بيروت 1958 .

29 — المصدر 26 — ص 18

30 — المصدر السابق ص 18 — 19

31 — المصدر السابق ص 22

32 — دار المعارف للبستاني — المجلد الاول — ص 17 — الطبعة الاولى — بيروت 1956

33 — اما اللام الف فليست حرفا مستقلا وانما هي اجتماع حرفين : اللام والالف كما يدل عليها اسمها . « وانما ارادوا بها الالف اللينة الهوائية فقرنوها باللام دون غيرها ليمكن النطق بها . ولعله روعي في هذا التخصيص اقترانها به في اداة التعريف » ال « فجرت هنا كذلك » (معجم متن اللغة — 12 — ص 131).

34 — مجلة « الحسناء » البيروتية — العدد 536 — تاريخ 3 — 12 — 1971 .

Mohammad Aziza - La calligraphie arabe - STD - Tunis - 1971 — (35)
مع الملاحظة ان الوثائق التاريخية المصورة مأخوذة عنه .

وراجع ايضا في نفس المعنى مصور الخط العربي — ناجي زين الدين — مطبعة المجمع العلمي العراقي — بغدد 1970 .

36 — نشير على سبيل التفكهة الى ما ذكره «اللسان» في باب «القابالحروف وطبائعها وخواصها» عن الشيخ ابى العباس احمد البوني — رحمه الله — من ان ما كان من الحروف مهملا غير منقوط فهو اشبه بمنازل السعود ، وما كان معجما منقوطا فهو في منازل النحوس يندرج فيها تبعا لعدد النقط فيه » . ان كان الامر كذلك فان حروفنا الخالية كليا من التنقيط هي في سعد السعود !

37 — ضبط الكتابة العربية — ص 28 .

جدول بالبيانات

الرقم :

1 — ابجدية عبد العزيز فهمي — مجمع اللغة العربية — الدورة 10 — ص 313

2 — علامات على الجازم — مجمع اللغة العربية — الدورة — ص 323 .

3 — حروف البشير بن سلامة — اللغة العربية ومشاكل الكتابة — ص 84

4 — 1) كتاب النبي محمد الى المنذر السماوى امير البحرين (متحف الآثار العراقية رقم 100 — 115 ص 14) .
2) جدول مقارن بين الكتابة النبطية والكتابة العربية القديمة — فن الخط العربي .

5 — 1) نقش النمارة « 328 ب . م . » — فن الخط ص 16
2) نقش حران بحوران — فن الخط ص 16

6 — 1) كتابة الجمال — القرن السادس ق . م — فن الخط ص 17
2) كتابة منقوشة في المدينة على ايام الخلفاء الراشدين — فن الخط ص 17
3) خط كوفي منقوش على ضريح ثابت بن يزيد — السنة 64 للهجرة — فن الخط ص 17

7 — صفحة من قرآن حروفه غير منقوطة (متحف الفن الاسلامي — القاهره) — فن الخط ص 21

8 — 1) صفحة من قرآن منسوب الى الخليفة عثمان — فن الخط — ص 19
2) كتاب منسوب الى عكرمة (سنة 143 هجرية) — فن الخط — ص 19

9 — 1) الضبط في النقط صفحة من قرآن يرجع الى القرن الثالث الهجري — فن الخط — ص 22
2) حروف منقطة ومشكلة (مخطوطة عربية من معهد المخطوطات في ميلان بايطاليا رقم 56 × ص 22

10 — كيفية استخراج صور الحروف الجديدة

11 — نموذج من الكتابة بالطريقة الجديدة — فاتحة القرآن .

12 — صندوق الطباعة الجديدة .

البيان 10 : كيفية استخراج الصور الجديـــدة

الالف : لم تتغيـــر . أ ←

الهمزة : ـــ ادمغت صورتها العادية فى الالف . ء ← ا ←

ـــ ابقيت صورتها الممدوده كما هى . آ ←

ـــ همزة الوصل جعلت صادها فى رأسـها . ا ←

الباء : على صورتها فى اول الكلمة مع الغاء النقطة . بـ ←

التاء : ـــ التاء المربوطة فى آخر الكلمة بصورة كوفية مع الغاء النقطتين . ة ← ه ←

ـــ والتاء الطويلة هى القصيرة مطولة ومعرقة .

الثاء : هى الصورة الوسطية العادية مكبرة سنها لتماثل نقطها السابقـــة بالرقعى او الـــديـــوانـــى . ثـ ← ـ ←

الجيم : جعلت نقطتها سنا فى وسط قاعدتها . جـ ← حـ ←

الحاء : هى هى مع تطويل قاعدتها ليمكن وصلها فى الطباعة (كالجيم) . حـ ←

الخاء : جعلت نقطتيها فى وسط جزئها الاعلى . خـ ← خـ ←

الدال : هى هى مع وجوب ابقائها زاوية حاده كى لا تختلط بالباء اذا قصرت . د ←

الذال : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها لا فى راسـها كـــى يسهل رسمها فى الكتابة باليد . ذ ← د ←

الراء : لم تتغيـــر . ر ←

الزاى : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها . ز ← ر ←

السين : لم تتغيـــر . سـ ←

الشين : صورة الشين الكوفية القديمة . شـ ← سـ ←

الصاد : حذفت سنها الزائدة . صـ ←

الضاد : حذفت سنها الزائدة وجعلت فى قاعدتها بدلا من نقطتها . ضـ ← صـ ←

الطاء : لم تتغيـــر . ط ←

الظاء : جعلت نقطتها سنا فى قاعدتها فقط . ظ ← ط ←

العين : الصورة الوسطية للعين النسخية العادية . ـعـ ←

الغين : الصورة الوسطية للغين النسخية العاديـــة مع جعل نقطتهـــا سنا فى وسطهـــا العلـــوى . ـغـ ← ـعـ ←

الفاء : حذفت نقطتها فقط . ← ف

القاف : جعلت نقطتاها سنا من جهة اليمين . ← ق ← ڧ ←

الكاف : الصوره النسخية العادية مع تطويل قاعدتها قليلا ليمكن وصلها بدون رابط . ← ک

اللام : لم تتغيــر . ← ل

الميم : لم تتغير وانما يقتصر على ربطها من اسفل كى لا تختلط بصور بعض الاحرف عند الاخرى عند سرعة الكتابة باليد . ← م

النون : لم تتغير وانما يستعمل لها الشكل الرقعى . ← ن

الهاء : لم تتغير وانما تبتدىء برابط ليسهل وصلها مــن اليمين . ← ه

الواو : هى هى . ← و

الياء : يمال شكلها الحالى وتخفف تعريتها ليسهل وصلها مــن الجهتين . ← ى ← ى ←

ملاحظــة : لا لزوم للام الالف ما دام الالف والــلام موجودين ولا لصورة الهاء فى ضمير المذكر الغــائب ما دامت الهاء العادية تفى بالمطلوب دون اخلال لقواعد اللغــة .

ملحق رقم ١

بيان أحرف الهجاء العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية [illegible] مع أسمائها

قاف	ق	[illegible]	زاي	ز	[illegible]	ألف	ا	[illegible]
كاف	ك	[illegible]	سين	س	[illegible]	باء	ب	[illegible]
لام	ل	[illegible]	شين	ش	[illegible]	تاء	ت	[illegible]
نون	ن	[illegible]	صاد	ص	[illegible]	جيم	ج	[illegible]
هاء	هـ	[illegible]	طاء	ط	[illegible]	حاء	ح	[illegible]
واو	و	[illegible]	ظاء	ظ	[illegible]	خاء	خ	[illegible]
همزة	ء	[illegible]	عين	ع	[illegible]	دال	د	[illegible]
ياء	ي	[illegible]	غين	غ	[illegible]	ذال	ذ	[illegible]
			فاء	ف	[illegible]	راء	ر	[illegible]

أما أحرف الحركة فهي: ([illegible]) للفتحة و ([illegible]) للضمة و ([illegible]) للكسرة.

وأما الأحرف التي لا تشبه نظائرها العربية فهي: [illegible]

ويلاحظ أن الحروف المرسومة هنا هي حروف [illegible] أما الكبيرة اللاتينية [illegible] المعروفة وتكتب الحروف [illegible] العربية [illegible] [illegible] [illegible]

رسم العلامات

الفتحة : ⊏ - مثل : هبكم هبَم

الضمة : [illegible] - مثل : كتب (كُتِبَ)

الكسرة : [illegible] - مثل : كتب (كُتِبَ)

السكون : [illegible] - مثل : فتل (فَتْل)

تنوين المفتوح : [illegible] - مثل : شرابا (شرابًا)

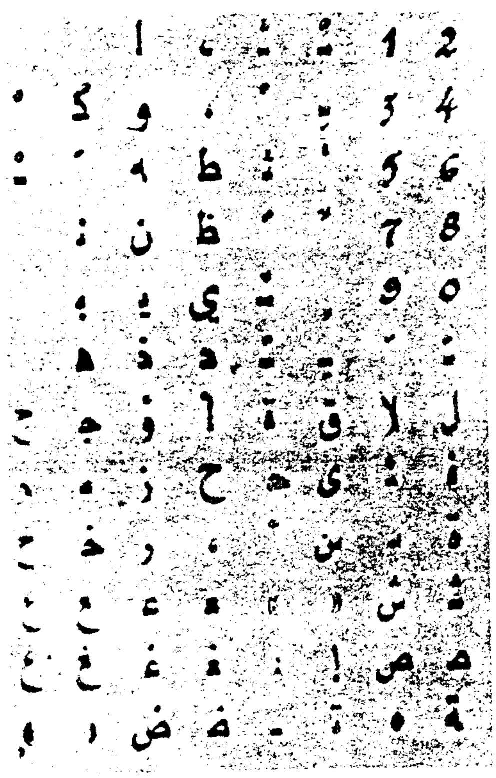
تنوين المضموم : [illegible] - مثل : شراب (شرابٌ)

تنوين المكسور : [illegible] - مثل : شراب (شرابٍ)

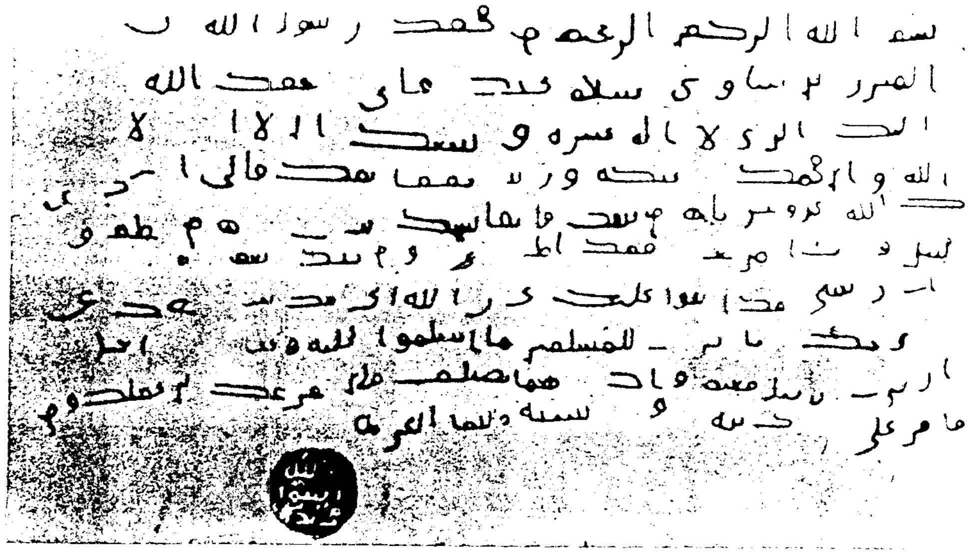
الهمزة الممدودة : عـ - مثل : آن (آن)

②

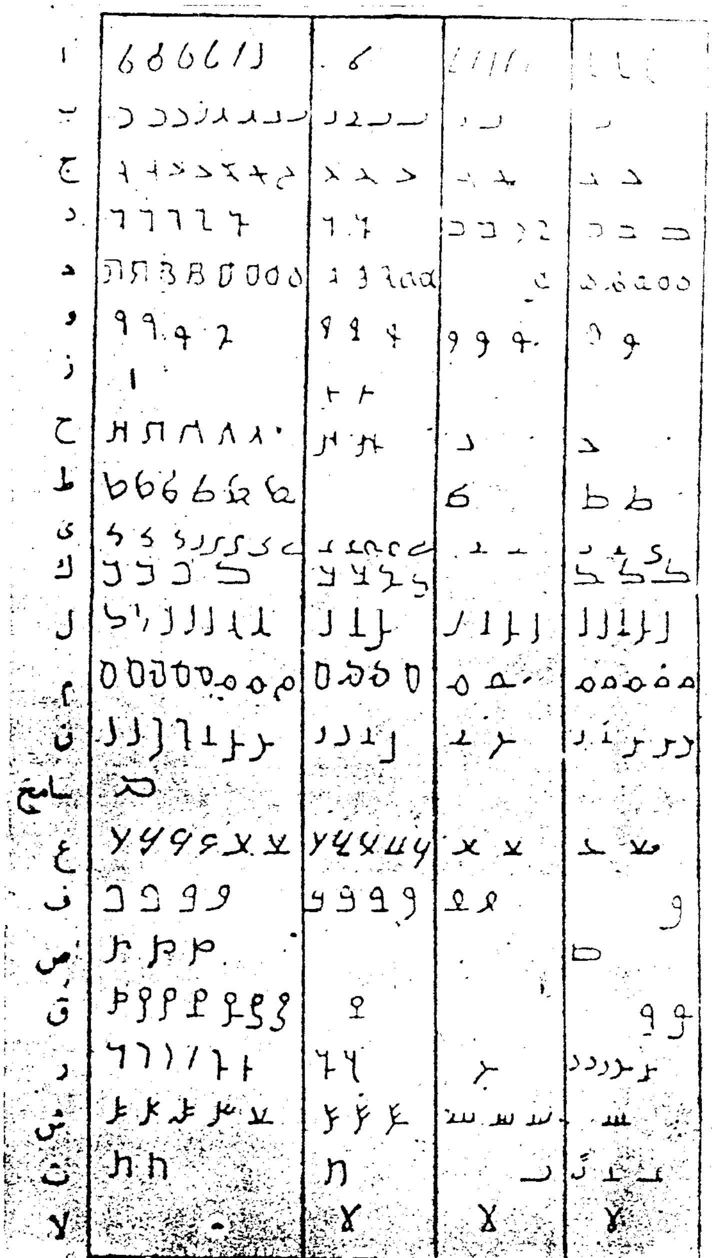
③



1



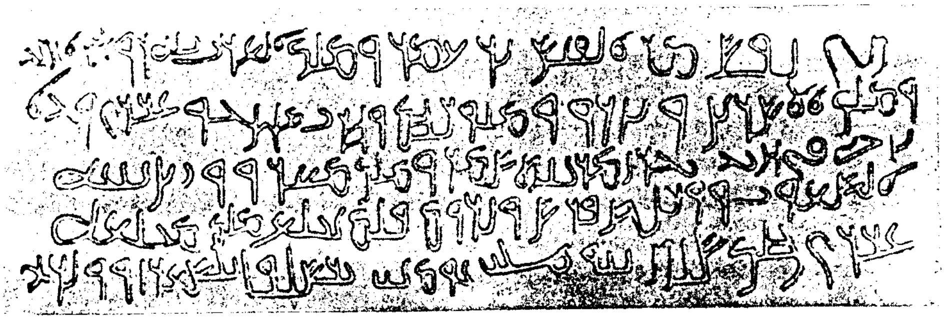
٤



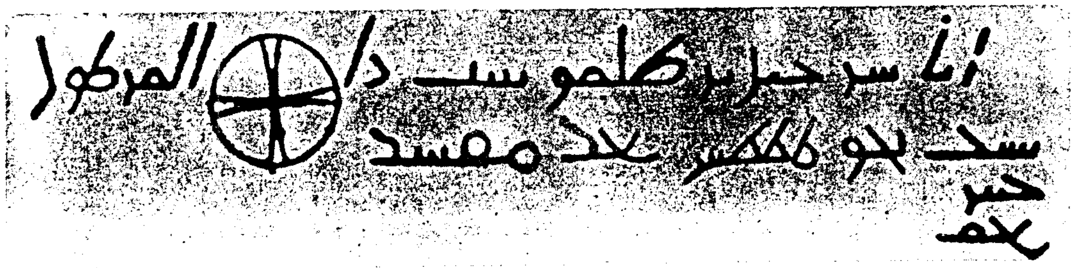
البيان رقم (4)

البيان رقم (5)

1

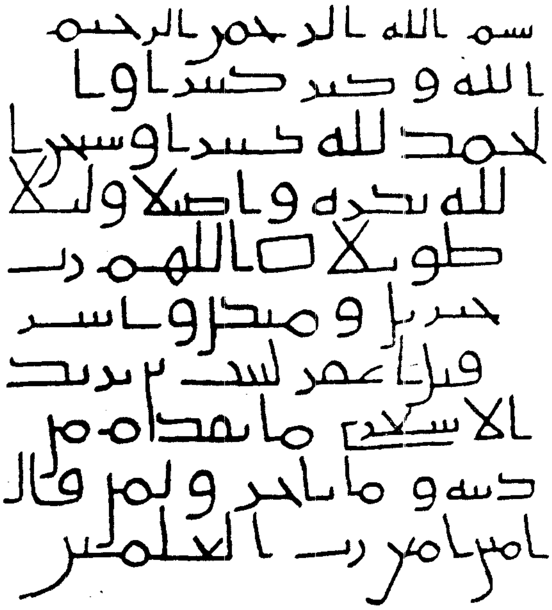


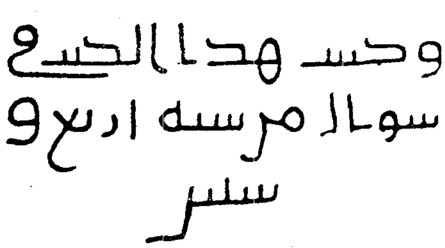
٢



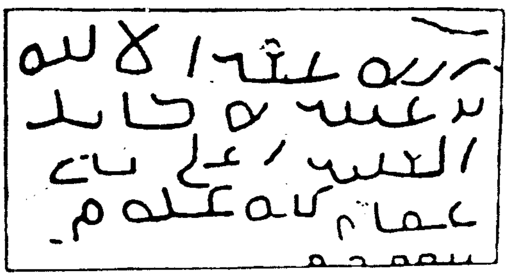
البيان رقم (6)

3

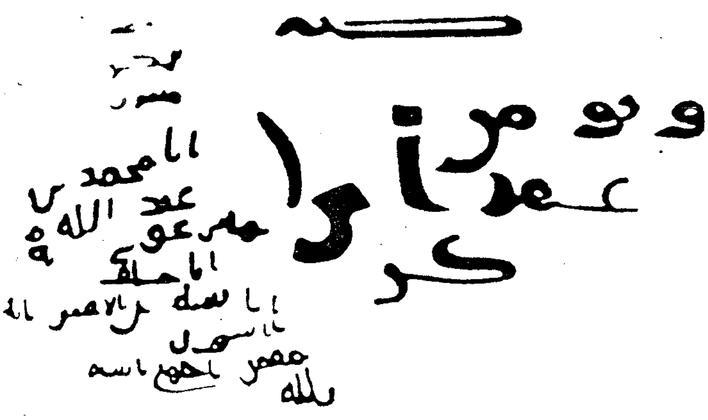


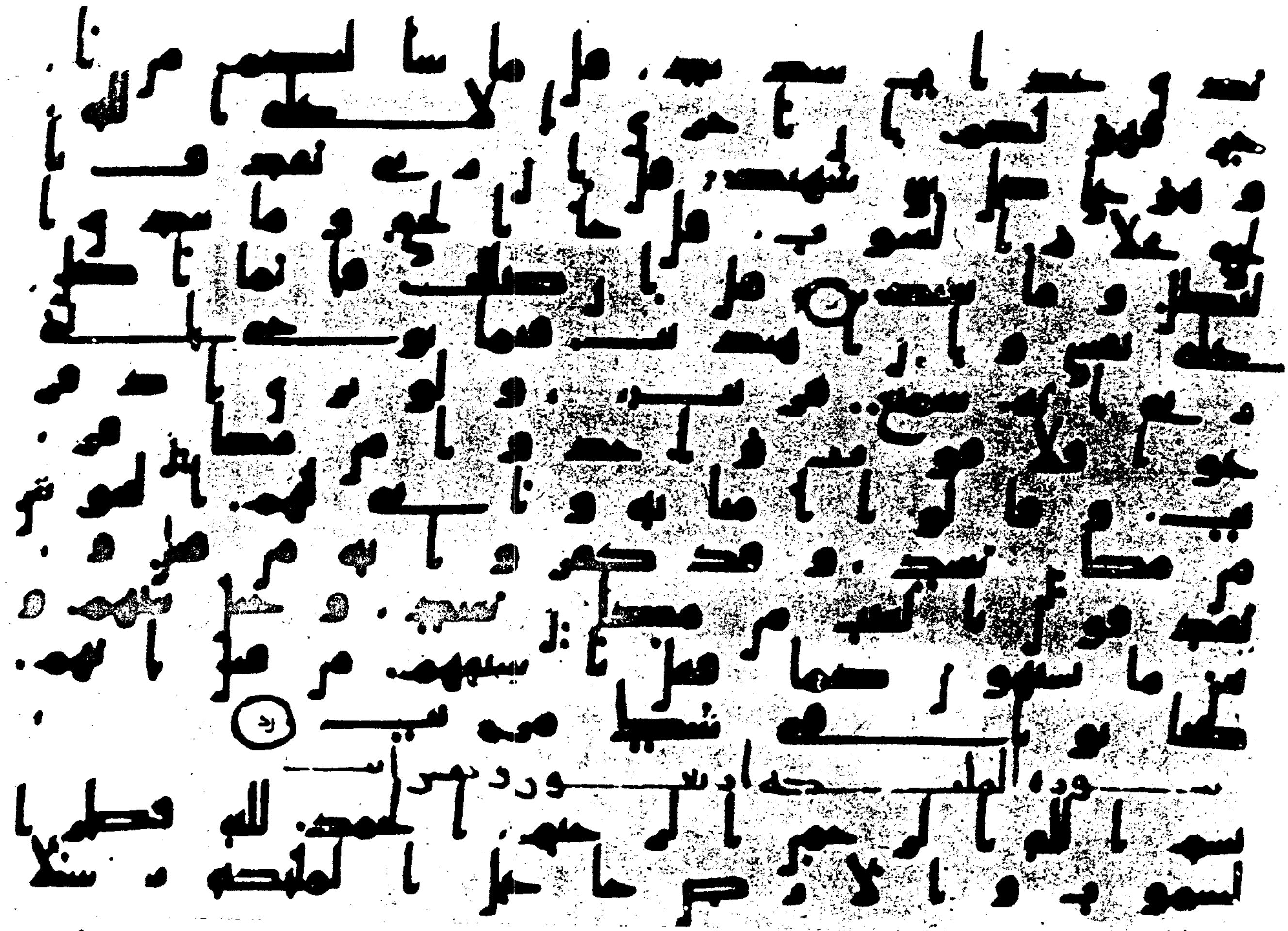


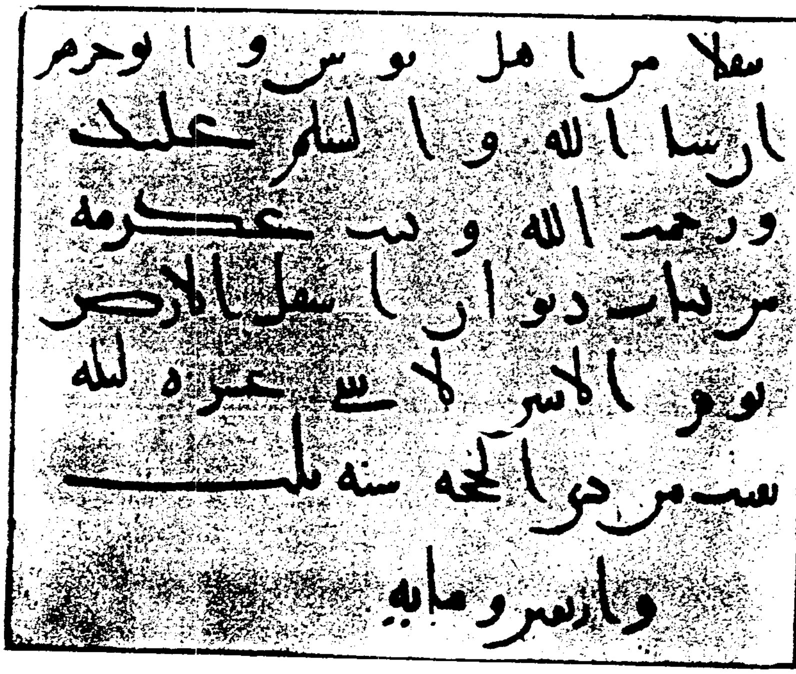
1



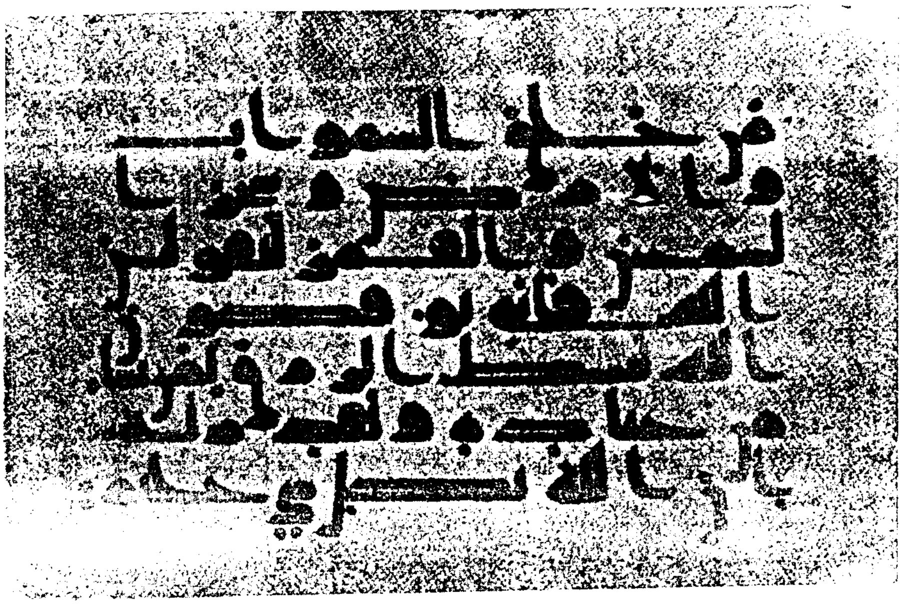
٢





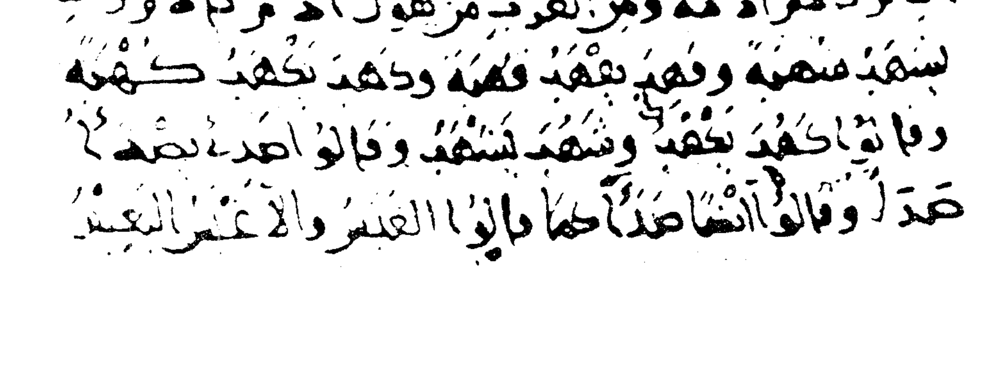


البيان رقم (8)

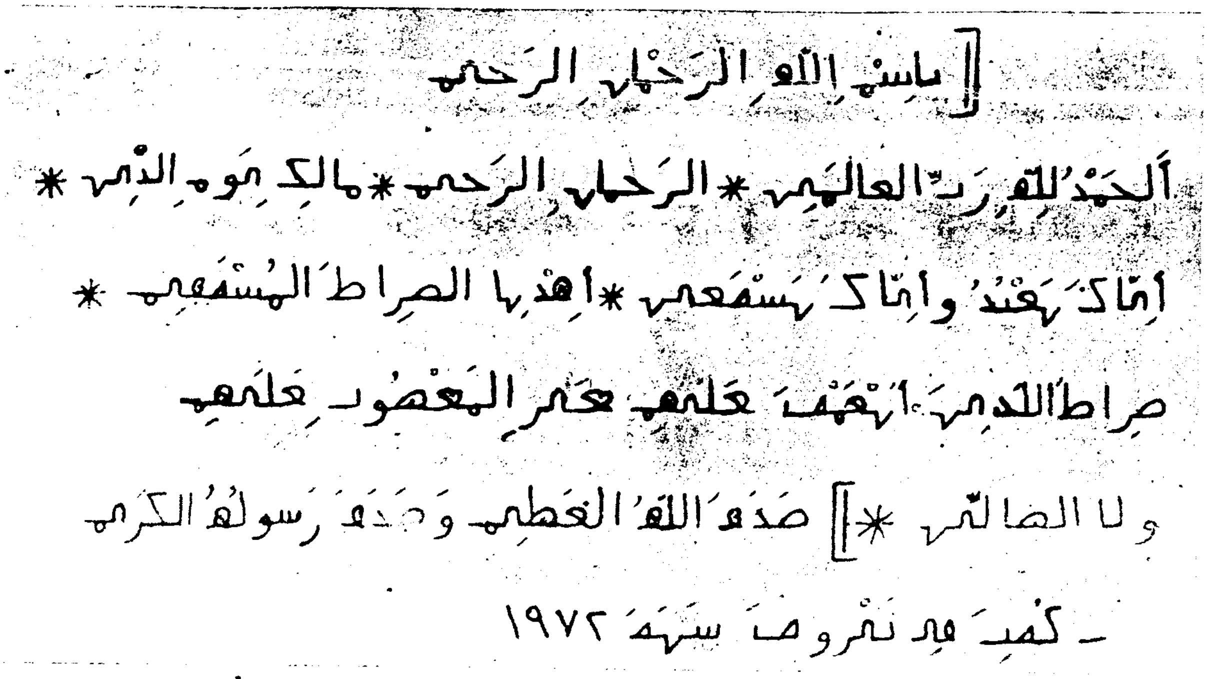


1

البيان رقم (9)


هذا باب ما بنينا على أفعل

2


[بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *

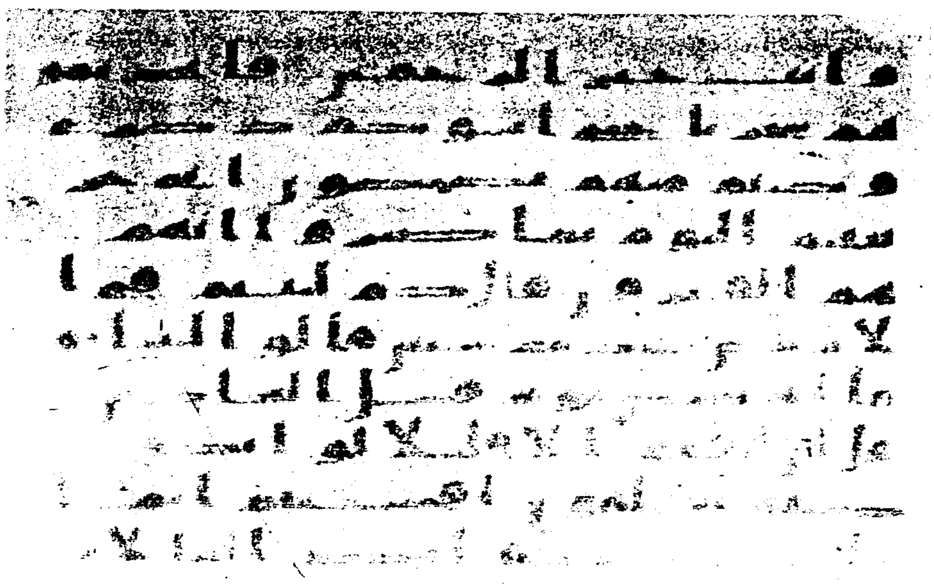
إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم *

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

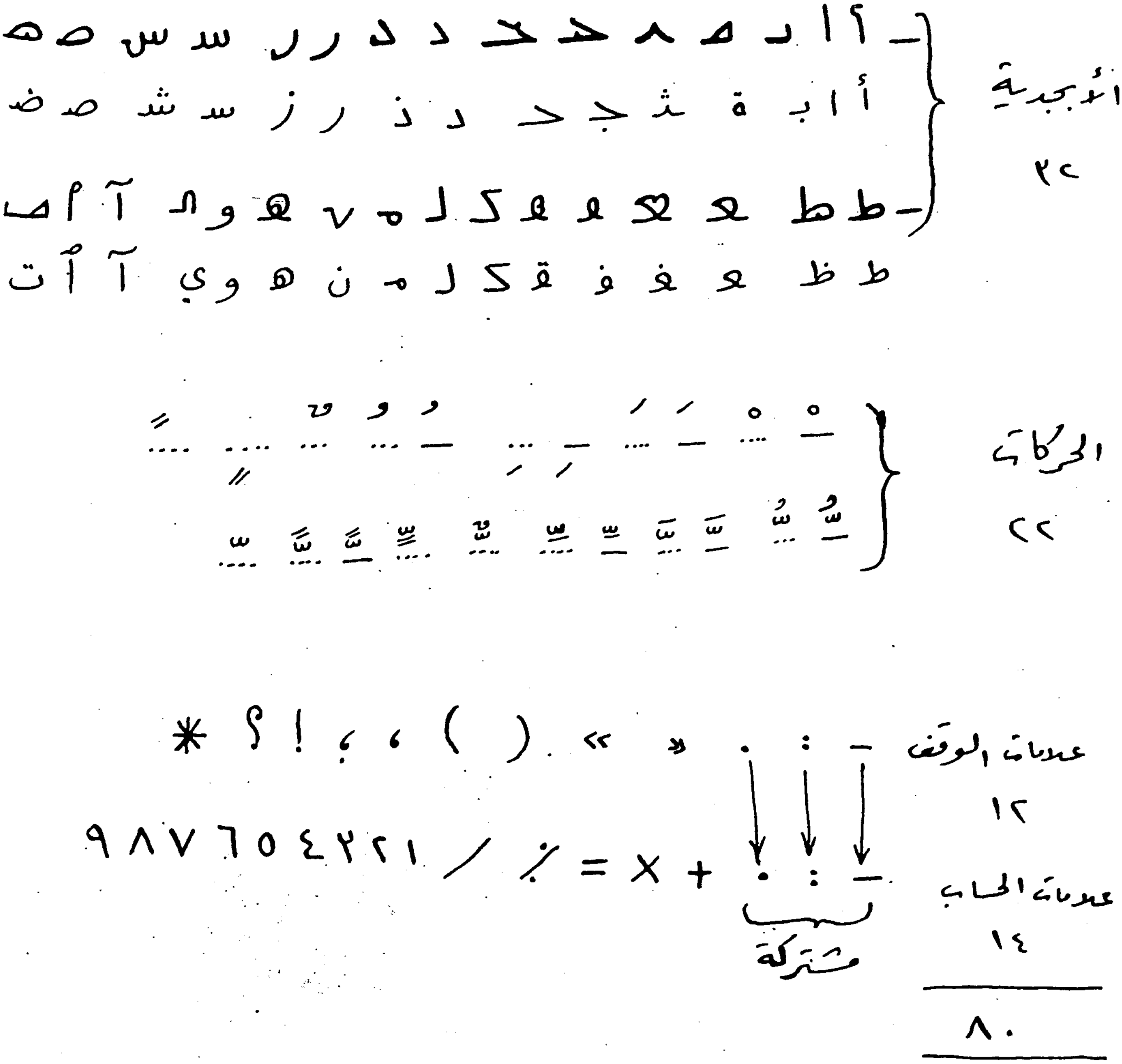
ولا الضالين *] صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

- كتبت في بيروت سنة ١٩٧٢

البيان رقم (11)



البيان رقم (7)



البيان رقم (12)

نقد للصور المقترحة في إصلاح الكتابة العربية

للأستاذ مهدي الظالمي

العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربى تجنبنا الخوض فى المعركة وتركنا رحاها تدور فيما بين الهاجمين على الحرف العربى والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بأنها معركة لها دوافع بعضها طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحنا الى مقدار الجمالية فى حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها وننشرها باستمرار ولعلنا نبدى راينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للاذهان.

1 ــ فى اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، اما الحرف العربى فهو واحد فى كليهما وفى ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا فى الحروف فى المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 ــ واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكترونى فقد اصبح صف الحرف العربى اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 ــ كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوى فقد بقى على صورته وجماليته .

4 ــ ونحن من راى صاحب المقال الاستاذ مهدى الظالمى بان هذه المحاولات قد فاتها الزمن، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الاصلاح والمتهجمون كلهم ما زالوا يعيدون ويكررون البحث فى هذا الموضوع ؟ افلا نترك للآراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

ممدوح حقى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس (ص 219 ، ص 221) ..

واود ان اشير — قبل مناقشة الاقتراحين — الى ان الفكرة بمجموعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة الاصلاح للحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تادية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدات بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والسائرون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسللت الى اروقة بعض المجامع اللغوية فى البلاد العربية (4). وطرحها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقفوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبى ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحقها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندى والفارسى . وكان لمجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقتراح للاصلاح المزعوم، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقع ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باءت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى الفها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 — انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 — انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المالوفة .

3 — تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 — ان فيها من التعقيد والتنكير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربى » ، وربما كان فيهما من التشويه والتنكير اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالآتى :
وعلى مقترح الاستاذ بلعباس
ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما ذكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 — ان المقترحين يفقدان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضعان لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 — ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10).

7 — « ان الحروف العربية قد استعملت لا فى لغتنا فقط بل ان امما كثيرة ، اسلامية وغير اسلامية استعملتها ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا صلتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وصلتها بنا ايضا .

8 — ان الحروف العربية « لطول عهدنا بها قد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، الفناها والفتها اذواقنا ، وتكونت من هذه الالفة عادات ذهنية من الصعب علينا ان نعدل عنها الى غيرها لغير حاجة قاضية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلم يكن جديدا فى المحاولات التى زعمت اصلاح الحرف العربى فهو نفس الاقتراح الذائع الصيت الذى طرحه احمد لطفى السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو فى صورة هذه الحروف ، فهى عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندهما صورها المقترحة ، واقتراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا علمه ولا منصبه اخيرا كرئيس لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، لم تستطع كل هذه الاعتبارات ان تقربه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبل الاب انستاس مارى الكرملى (14) — وهو من هو فى علو كعبه فى الدراسات اللغوية — ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 — انه يستدعى تطويلا فى الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمال فى الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربى من ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نللينو) فى معرض رده على الاقتراح الداعى الى استعمال الحروف اللاتينية بدلا عن الحرف العربى : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15).

2 — فى حالة تطبيق مثل هذا الاقتراح سيحصل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلمة « محمد » عنده ينبغى ان تكتب « **موحامادون** » — وكان من مقترحه فك الادغام واثبات التنوين — فلا يدرى حينئذ هل هذه الواوات والالفات ومثلها الياءات أهى حروف اصلية ام حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسى مارى الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما فى هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربى الجميل .

3 — نحن فى كتبنا المطبوعة وفى كتابتنا اليدوية نستغنى عن كثير من الحركات ، اما فى ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تدمج فى جسم الكلمة ، **فذلك يعنى الزام الكاتب وضع الشكل كاملا « وفى هذا بالطبع — علاوة على ما فيه من فرض رأى الكاتب على القارىء من حيث الخطأ والصواب — تطويل فى كتابة الكلمة طباعة وكتابة » (16) .**

4 — وبالتالى فهل هناك ضرورة قصوى تفرض علينا ان نخرج من رسمنا العربى البسيط الى رسم مركب معقد يساعد فى قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثها الضخم ؟

ونعود — اخيرا — الى ما ورد فى معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن فى دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائى ، فهو — ان صح — يعنى ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية فى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التى توليها الجامعة لابحاث مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ان اللجنة التى الفتها الادارة الثقافية فى الجامعة للنظر فى تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول فى اواخر مارس عام 1956 رات ان تنضم الى لجنة التيسير بالمجمع وان توالى اجتماعاتها بدار المجمع للاطلاع على جهوده فى موضوع التيسير ، فهل ان هذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود المبذولة فى هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذى قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثر عمقا .. كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تنافس هيئة منها فى موضوع تقوم هى على

خدمتـــه » انه بطرحه لهذه النمـــاذج من الحـــروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدات تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما ينبغـــى ان يكـــون .

وختاما ، اليس من حق الانسان العربى ان يتساءل عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللســان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

---

1 — قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية :« اننى اوثر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجاء الصالح على ان اشرع ثانية فى تعلم اللغـــةالعربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص176

2 — من امثال دعوة « ولهم سبيتا » عام 1880لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينيـــة فى كتـــابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . ورددها القاضىالانكليزى «ولمور» فى كتابه « لغة القاهرة » عام 1903

3 — يلاحظ هذا فى كتاب « ياره — شعر » لسعيد عقلوالذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربيـــة » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .

4 — طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروفاللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهـــرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثـــة اعـــوام(يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينيـــة ») .

5 — امثال المستشرق الفنلندى « يوحنـــا اهتنينكرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلـــة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 — 486 الصادرة عام1924 (نقلا عن حاضر اللغة العربية ص 175) .

والمستشرق « نللينو » الذى دافع عـــن الحـــرفالعربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنيـــة فى الادبالمعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 — 355).

6 — يلاحظ مجمل هذه الدراسة فى « مجموعـــةالبحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامســـة والعشريـــن ابتـــداء منص 77 »

7 — اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هـــذهالصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .

8 — مجموعة البحوث والمحـــاضرات : الدورة :25 ، ص 77 .

9 — المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .

10 — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر :الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ص 219 .

11 — المصدر السابق ص 219 .

12 — يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية »2 — 351 .

13 — المصدر السابق 2 — 255 . ى

14 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة :25 ص 79 .

15 — المصدر السابق ص 81 .

16 — اللسان العربى ج 1 م 9 .

متاعب اللغة العربية

في العصر الراهن

الدكتور عبد الله الصوفي
- صوفيا -

تلقينا من الدكتور عبد الله الصوفي مقالا جاء فيه ان لغتنا تواجه مصاعب عدة تقف حجر عثرة تحول دون تعلمها . وحصر هذه المتاعب فى ثلاث هى :

ا — وجود لغتين فصحى وعامية .

ب — وجود حركات الفتح والضم والكسر والسكون والتنوين .

ج — عدم ارتباط العربية التاريخى التكوينى باللغات العالمية الواسعة الانتشار فى عالمنا المعاصر وهو عالم يتميز بثورة صناعية تقنية علمية جبارة لم يسبق لها مثيل ..

وراى لحل المعضل الاول ان يمارس التعليم فى جميع درجاته باللغة الفصحى وان يكرس يوم فى العام للتخاطب بها على نطاق الوطن العربى باكمله .

وراى لحل المعضلة الثانية ادماج الحركات فى صلب الكلمة ، وابتكر لها صورا خاصة تجدها فى الصفحة الاخيرة التى ننشرها مصورة فى آخر هذا المقال ثم قال:

1 — تنتفى الحاجة تماما الى كتابة الحركات .

2 — ويزول الالتباس بالنسبة للناسخ والقارىء والسامع والمتكلم .

3 — ولا يعود هناك حاجة للهمزة والتضعيف والتنوين .

4 — وتحل مشكلة الحروف الطباعية على نحو مرض اذا ما تم اعتماد الاحرف المنفصلة على غرار اللغات الاوروبية ومشاكل كثرة الرموز والحروف والمفاتيح فى الآلة الراقنة .

5 — يسهل تعلم القراءة بساعات لا بايام و .. الخ

وفيما يلى ننشر بقية المقال الخاص به لان الآراء المتقدمة قد كثر تداولها وآخرها ما نشرناه فى العدد التاسع واصبحت معروفة لدى القراء .

قال الدكتور الصوفى :

لا شك فى ان اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن يجعل القراءة والمطالعة فى متناول سائر المبتدئين ويعجل عملية محو الامية اذ يصبح فى مقدور

كل امى مطالعة الصحيفة العادية بعد تعلم شكل الحروف الطباعية فقط اى الحروف الكاملة ، بل وسيصبح فى مقدور المواطن العاقل الامى تعلم القراءة لا فى ايام وانما خلال ساعات قلائل فكل ما يحتاج اليه هو تعلم شكل الحروف الهجائية المستقلة ، اما الكتابة المتصلة فلسوف تظل متصورة على النسخ باليد كما هو شأن غالبية لغات العالم . ولن يدوم طويلا الارتباك او الاستغراب جراء اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن ، فحالة الارتباك ستكون وقتية وعارضة لن تتأثر الاجيال القادمة بها وسيزول استغراب جيلنا الحالى لها بعد حين كما كان الامر عند وضع النقاط على الحروف فى عهد الحجاج . ونورد فى الصفحة الاخيرة نموذجا للطباعة بالطريقة المقترحة.

لا توجد الطريقة المقترحة حلا مرضيا لمشكلة تحريك الاحرف فى حالة الوقف ، فمثلا ستكتب جملة طلع الفجر هكذا طلع الفجر اما اذا ذكرنا هذه الجملة بتسكين الراء اى بالوقف للفلجر فلن يكتب بالطريقة الجديدة اى حرف زائد بعد الراء ، ومن رايى ان تكتب شارة السكون على حرف الوقف ليفهم القارىء انه يجوز تحريك هذا الحرف ايضا وان لم تعين الطريقة ماهية التحريك فهل هو النصب او الرفع او الجر ، وعلى اية حال فان الوقف دون التحريك من خصائص اللغة العربية وسيظل يلعب هذا الدور .

تصبح كتابتنا ابطأ مما تعودنا حتى الآن ، ولكن هذه التضحية اصبحت ضرورية فى نظرى .

اما بشأن المصطلحات فلا بد من الاشارة الى ان معظم اللغات الحية وكذلك اللاتينية القديمة المستعملة حاليا فى المصطلحات العلمية انما تتميز بوجود جذر معين لكل مفهوم ويتوفر هذا الجذر فى سائر الكلمات ذات المدلول المشتق عن المفهوم او المدلول الاساسى وكل ما فى الامر لا يتعدى اضافة بعض الاحرف المحددة الى الجذر تتقدمه او تتبعه (اى السوفيكس والبريفكس) اللغات التى تمتلك مثل هذه السمة فى مرحلة تطور اعلى من اللغات التى سبقتها تاريخيا ومنها العربية. ان احرف الكاف والتاء والباء مثلا موجودة فى سائر الكلمات التى تمت الى فعل الكتابة بصلة ، فهى اذن بمثابة الجذر لها ، بيد ان احرف هذا الجذر قد تتباعد فيما بينها عند اختلاف المدلولات ، فلو تأملنا كلمة « مكتوب » لوجدنا ان « واوا » قد فصلت التاء عن الباء ، وفى كلمة « كتاب » جاءت الالف لتفصل بين احرف نفس الجذر . وعلى اية حال فهذه الميزة من خصائص العربية كذلك ولا حيلة لنا فيها مهما اضافت الى اللغة من تعقيدات ، ولكن وجود الجذر دون اى تغيير فى جميع مدلولات المفهوم الواحد يسهل اللغات الاخرى ويجعل من الهين ادخال مدلولات ومصطلحات جديدة ، كما يجعل من اليسير القيام بتصنيفها وترتيبها ان كلمة Télé التى تعنى البعد باللاتينية موجودة فى جميع المدلولات المشتملة عليه ضمن كلمات مركبة مثل Téléphone و Télégraphe Télévision و Télescope ... الخ ففى اشباه هذه الكلمات نجد ان كلمة البعد Télé موجودة دوما وتأتى فى البداية ثم تتلوها كلمة اخرى ، وفى مثالنا تعنى الكلمات الاربع التى اتت بعد Télé على التوالى « الصوت » و « الخط » (او الكتابة) و « الرؤية » و « التنظير » (او الملاحظة) والترجمة الحرفية للكلمات الاربع هى تيليفون : « الصوت الآتى من بعيد » وتيليغراف : « الكتابة الآتية من بعيد » وتيليفيزيون : « المشاهدة من بعيد » وتيليسكوب : « التفحص البعيد » اى ان الكلمة الدالة على وجود البعد متمثلة فيها جميعا بينما ينتفى من المصطلحات العربية الفصحى الموضوعة لهذه الكلمات اى اشارة للبعد ، فالمجامع اللغوية عربت كلمة تيليفون بـ « المسرة » او « الهاتف » والتيليغراف بـ « البرق » و « التيليفزيون » بـ « الرائى » و « المرناء » وفى اعتقادى فان اللجوء دوما الى الاجتهاد فى وضع المصطلحات الجديدة دون الانطلاق من مبادىء او قواعد ثابتة معينة ودون الربط بين بعضها بعضا كما هو الامر فى اصولها الاجنبية ، يشكل عدا صعوبته واختلاف آراء الباحثين حول التسميات المقترحة ابتعادا حقيقيا عن المعنى الاصلى للمصطلح اللاتينى او الاجنبى الذى نريد تعريبه اى ان مصطلحنا الجديد سيظل يشكو من الضعف فى خاتمة المطاف .

ان الرأى المنادى بتحوير الاسم اللاتينى بشكل يلائم العربية جدير بالاهتمام فاطلاق كلمة « تلفاز » — على وزن مفعال ، اسم الآلة — على جهاز التيليفزيون يهىء لنا امكان استخدام فعل من هذه الكلمة فى التصاريف (تلفز يتلفز تلفزة) ولكن هل هناك كلمات كثيرة من هذا النوع ؟

لقد عرفت العربية منذ القديم الادغام والكلمات

المركبة (عبشمى مثلا من عبد شمس وسامراء من سر من راى ...) فلا بأس اذن من اللجوء الى مثل هذا الاسلوب لجوء يتلافى كل ما ذكرناه من قصور او بعض هذا القصور .. اننى اقترح على سبيل المثال تسمية التيليفون بـ « الصوبعد » « والتيليغراف » كتبعد و « التيليفزيون » رؤبعد « والتيليمتر » قياسبعد وها هى نماذج من استعمالاتها :

تلقى فلان مخابرة صوبعدية .. شاهدت برنامجا روبعديا ملونا ... طير عدنان رسالة كتبعدية الى عمر ... اجرينا ابحاث القياسبعدية للمكان ،، الخ ،

مثال توضيحى آخر : ان الكلمات اللاتينية المنتهية بـ Itis تعنى فى المصطلحات الطبية حدوث الالتهاب نكلمة Meningitis تعنى التهاب السحايا و Hepatitis التهاب الكبد وهكذا ... وفى اعتقادى فان استعمال كلمات مثل كباد لالتهاب الكبد وقلاب لالتهاب القلب ، بالعربية ليس بالحل الافضل عند تعريب المصطلحات اللاتينية الطبية ، علما انه ليس بالامكان دوما اللجوء الى « فعال » فى سائر اعضاء البدن . والمسألة تحل نفسها من تلقاء ذاتها ، فمن المعروف ان مصطلح « ذات الجنب » يستخدم منذ امد بعيد للدلالة على التهاب الغشاء المحيط بالرئة ، بل والتهاب الرئة يسمى ايضا بـ « ذات الرئة » فماذا لو اعتمدنا كلمة « ذات » للدلالة دوما على حدوث الالتهاب ؟ مثل ذات الكبد ، ذات الدماغ ، ذات الشغاف ، ذات الحنجرة .. وبالتالى فان كلمة « ذات » ستلعب فى العربية دور Itis فى التسميات اللاتينية .

ان كل ما اقترحه لا يخرج عن كونه امثلة قياس تصلح كمنطلقات مبدئية يمكن السير على نهجها فى كثير من المصطلحات العلمية ، وفى الواقع فان طبيعة عصرنا الدينامى تتطلب القيام بخطوات انعطافية جريئة تستهدف السهولة والدقة ؛ واستئصال كل النوافل من الاستعمالات العادية . اوليس فى مقدورنا مثلا ، بغية التخفيف والتيسير ، الغاء كان واخواتها وكاد وشقيقاتها واعتبارها جميعا افعالا ما تشبه باقى الافعال الاخرى بالنسبة للتلامذة والمواطنين العاديين على الاقل ؟

حرف الفتحة : ا
حرف الضمة : ٧
حرف الكسرة : د

قَلْب : قلب عَرَب : عرب
قُل : قل أَمْر : امر أل : ال

مَسْؤُول : سؤول إنسان : نسان
رَجُلٌ : رجلن رَجُلٍ : رجلن رَجُلاً : رجلان

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصان فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسان

التراث العربي
وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهنالك حضارات يطغى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفينيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الانبعاث فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسمها بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالت على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندلس ؟

ان العرب لما فتحوا افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية الامم التى تنازعت السلطة فى المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طغيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستأصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المدنية والعمران ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استأصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا فى المغرب زهاء القرن حتى انقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزانس) فارتكبوا فيهم ما ارتكبوه هم فى الرومان وما ارتكبه الرومان فى القرطاجنيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلالات الاجنبية صفر اليد خاوي الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد — وهم البربر — انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين فى حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل Alfred Bel فى كتابه (ديانة الاسلام فى بلاد البربر) (ص 64) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجنيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الرومانى والقرطاجنى — قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا رومة . ولعل الاستاذ بيل نسى ان يقول بأن الشيء الذى ظل متغلغلا فى روح البرابرة هو اللغة البونية التى كانت قريبة من العربية والتى امتد اشعاعها على يد الكنعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلالات الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين فى بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شيء ان البربر اسيويون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربى على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكنعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسيوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذى كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذى كان يبلغ سويداء الحياة الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية فى الوقت الذى اخترع الكنعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تفناغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر فى تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التى تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت فى الاعماق حيث كانوا — كالعرب — يحبون الاستقلال ويتشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو Sédillot (ميول وعواطف واحدة ومبادىء متشاكلة كحب الفخر والهيام بالحرية واكرام الضيف) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربى الاسلامى ازاء شعب من بنى عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج العنصران ولم يزد توالى القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدنية مغربية مزدوجة القوام انصهر فى بوتقتها تراثان كلاهما شرقى الاصل طبعه الاسلام ووسمته العروبة بميسمها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام فى افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التى اقر بها الفريد بيل كما اقر بها قبله وبعده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذى استطاع وحده ان يخلق فى هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموهما واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة ترابها وتراثها وهذا الشيء قد اوجده الاسلام الذى انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هى حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذى نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليمتدا الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر فى تكييف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحوا من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هى المنوال الذى حاك عليه رجال الفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقى والمغربى اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر ادبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلى .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب فى هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق فى حمل راية الحضارة العربية الاسلامية فى العالم ايام كان الجهل رابضا بكلكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحى يستمد من نبراسه الاوربيون كما هو معلوم عند من له ادنى الما بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل فى كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة فى بناء صرحه كالشريف الادريسى (استاذ اوربا) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحاتمى باشراقاته وابن رشد بفلسفتهوفقهه وطبه وابن الخطيببأدبياته ونكاته (التى يبذ بها الجاحظ فى كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته فى الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بعنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية فى جوهرها ومقوماتها .

وهى حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

وقد عاش المغرب والاندلس متحدين نحوا من ثلاثة قرون (من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين) وتم الانصهار والتمازج بين العنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكش عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية فى عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربى الذين يهبون بين الفينة والفينة لانجاد اخوانهم سكان العدوة الشمالية يتصلون بالعناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكريا واجتماعيا واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افذاذ كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينتصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية فى قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال فى حياة المغربالناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفى العام بالاندلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية كفاس وتطاون وسلا بطماء وشعراء وفنانين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا فى صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة والرصانة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه فى كثير من الاحايين .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud فى كتابه الطب القديم بالمغرب (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72) « امتزاج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هى اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتى لا تزال فى روحها ومبناها كفيلة بدعم كل تطور عربى فى العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية فى مختلف مجاليها الانسانية فقد برهن العرب

طوال قرون عن اصالة نادرة وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فأبدعوا منهجا تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب فى تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موئلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشوف المغربية فى مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى فى دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة — فكرا وحضارة — بعناصر لا تزال غضة فى منهجيتها وتوامها .

كان القرن الرابع فى الاندلس هو عصر النهضة تفتق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره عرب «مفردات ديسقوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظم ممثل لفن الجراحة فى المدرسة العربية (2) اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى فى هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير فى رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها فى كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكلير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك — حسب القفطى (5) عدد الاطباء والصيادلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس فى القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا فى المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل — كما قال لوكلير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظير فى الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة » بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتى من هذا الطراز فطاف فى آسيا واوربا ووصف نباتات كل قطر وصنفا اصيلا (10) وكتابه فى الادوية ملىء بالملاحظات

---

1) لوكلير — تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
2) لوكلير ج 1 ص 334
3) لوكلير ج 1 ص 456 ويوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
4) ج 1 ص 407
5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
6) « شهيرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستبن اسمه فى المخطوطة .
7) كودار — وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
8) ج 2 ص 72 .
9) ج 2 ص 11 و 110
10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار فى مائتى موضع من كتابه فى الاعشاب (لوكلير ج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده فى ثلاثين موضعا (ص 68) كما اعتمده استاذ فابن البيطار ابو العباس النبطى وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينجب الشرق من يضاهيهم فى هذه الآونة عدا فخر الدين الرازى وقد استطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب فى العالم الاسلامى وبفضل هذا الانبعاث العربى فى الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اردية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتينى واذ ذاك بدات ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او اغريقيا معربا على ان حركة الترجمة بدات فى المغرب العربى منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسى الصقلى قد اسس مدرسة سالرنا وهى اول مدرسة من نوعها فى اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث فى العالم الغربى شارك فى التدريس بها الطبيب يونس العربى الفاسى (اللسان العربى ج 5 — بحث الدكتور احمد مكى) وقد ولد عام 400 بتونس (وتوفى عام 475 هـ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التى حملها الى سالرنة غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم للاتينية اهم كتب الطب العربى كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازى واسحق بن سليمان الاسرائيلى والف نحوا من اربعة وعشرين كتابا منها « قانون الطب » فى اثنى عشر مجلدا وفياتيكوم (12) فى الطب العام فى سبعة اجزاء .

ونبغ فى الشرق العربى فى هذا العصر علماء افذاذ تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم فى الغرب منهم السويدى صاحب « التذكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابى اصيبعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصرى (646 هـ) وعبد اللطيف البغدادى (629 هـ) (حيث امتاز فى وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصرى (687 هـ) الذى كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذى فرض على الاطباء تادية امتحان تقنى فبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائةوستين طبيبا (13) وقد اجرى اول امتحان للصيادلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هى الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التذكرة لابى العلاء زهر بن زهر الاندلسى الذى كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقيروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة فى مراكش وبالادوية

(11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامى الحريرى الشجار الذى كانت له حانوت بمراكش عام عام 583 هـ (اللسان العربى ج 6 ص 1968) اما النبطى فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ) ودرس الاعشاب شخصيا دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجما للحشائش وفاق اهل زمانه فى معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ (نفح الطيب ج 2 ص 635) وذكر لوكلير بصدد ابن البيطار (ج 2 ص 225) انه اعظم نباتيى العرب وقد تنقل فى جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة فى العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل فى مصر رئيس عشابى القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر (النفح ج 2 ص 683) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب فى الطب يحتوى على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسيةوقد كان النبطى — حسب احاطة ابن الخطيب اماما فى الحديث حافظا ناقدا .

(12) او (Viatique) ومعناه زاد المسافر

(13) القفطى ص 130

(14) نفح الطيب للمقرى ج 1 ص 445

المناسبة لها ولابى العلاء ايضا « مجربات » طبية جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها فى الاسكوريال (رقم 844) ولعل ولده ابن زهر ابا مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد » و « التيسير » قد بذ سابقيه حيث اعتبر اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازى فى الشرق (15) وكان لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة فى كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار اطباء عصرنا ويباشر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية فى البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية (التى منها تشريح القصبة فى مرض الذبحة) وكذلك التخصص فى الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجوفة لتغذية المصابين بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتكز على الطبيعة لعلاج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثلا بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق فى مريضه وقد عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا من ذكرياته وتجاربه ومنطقه وقد ابرز كودار (17) Godard هذه الميزة عند ابن زهر فأكد انه استعاض بالمنهج التجريبى والطريقة العقلية عن التقليد فى ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ فى عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابى مروان (596هـ) فقد اضاف الى تضلعه فى الطب مشاركته فى العلوم الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى باسانيده (18) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان شاعرا يحفظ ديوانذى الرمة وهو ثلثلغة العرب(19) وظاهرة المشاركة هذه توفرت فى كثير من الاطباء كأبى جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابى بكر المعافرى فى علم الحديث والمتخصص فى طب العيون وابى يحيى هانىء بن الحسن اللخمى الغرناطى المشارك فى الحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن غرتون بفاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل فى التجارب العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى بفاس عام 533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ فى تأليف كتاب التجربتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروع مثل فى المنهجية التجريبية فاقترح فى شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الامراض الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة الدموية الكبرى وعللها فى كتابه « الكليات » الذى استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من الد اعداء العرب هو رونان (Renan) فى كتابه «Averroès et

---

15) ذكر ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره .
16) حضارة العرب — كوستاف لوبون — الطبعة الفرنسية ص 530 .
17) تاريخ المغرب ص 452 .
18) الانيس المطرب ج 2 ص 180
19) المطرب لابن دحية
20) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 75
21) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .
22) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 63 والقفطى ص
23) لوكلير ج 2 ص 79
24) حضارة العرب ص 531 (الطبعة الفرنسية)

l'Averroïsme» (ابن رشد ومذهبه) مـــن اعتراف كريسطوف كولومب فى رسالة تركها بعد موتـــه بأن الذى اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هـــو ابن رشد المغربى فى كتابه « الكليات » على ان مجلة « نيوزيك » الامريكية اكدت (فى عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م (اى قبل كريسطوف كولومب بأربعة قرون) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الاقصى فرسوا فى عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25) .

اما المارستانات وهى المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشى (26) الذى عاش فـــى بغداد ــ المستشفى الموحدى قائلا :

« وبنى اى المنصور الموحدى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخـــارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمكولات واجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيـــادة على اربع برك فى وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم برسم الطعام ومـــا ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادويـــة واقام فيه الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهـــاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أُمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميليى (فى كتابه الموحدون) المـؤلف عـــام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس » .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابـــة بالنسبةلاوربا فقد قال ولتر فىمختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عنـــد العـــرب على حين كـــان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيســة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوى فى زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائـــر القديسيـــن وبالتعاويذ والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكفون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

وقد كـــان الاوربيـــون يضطـــرون الى اللجـــوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجه توجـــه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكلير ج 2 ص 351) .

وبدأ افول الحركة الفكرية فى المغرب آخر الدولـــة المرينية بعد سقوط غرناطة اواخر القـــرن العـــاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ فى البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الغسانى مؤلف كتاب « حديقة الازهار » الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الـــذى يتسم غالبا بطابع الاصالة والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديـــدا فى وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه ــ بالرغـــم عـــن احتـــلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك فى شؤونه ــ يواصل منهجه التجريبى على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخديـــر ــ ــ

25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 ــ بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك فى « الكتاب الشامل فى الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منهـــا المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

26) راجع الخليج العربى فى تاريخـــه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

27) المعجب ص 177 ــ كتاب ميليى (Les Almohades - millet) ــ 1923 ص 129

28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل الايحاء والتنويم مع المهارة فى طب الاسنان وقد اعطانا الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام 1316 هـ (30) للمرة الاولى فى تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية كما صنف الشريف العلمى الذى درس بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب « ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة اهل فاس » (طبع عام 1318 هـ) يحتوى على مفردات بربرية ولاتينية وافرنجية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين التحليل يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية فى الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرا الى ما ابدعه الفكر العربى فى هذا المجال مثل ادراج الخطوط المماسة للدائرة (tangentes) فى الحسابات والاستعاضة عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا فى علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم شال (Chasles) انه كان للعرب فضل التفكير فى تطبيق الجبر على الهندسة وتأكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها بحث فى الجبر حلت مشاكله فى المعادلات الثلاثية بطريق هندسية ويقا لبأن الخوارزمى هذا لم يحلسوى المعادلاتمن الدرجة الثانية (équation de 2e degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم(33)ولعل لفظتى الغوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش فى عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه فى الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب فى علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها فى علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامى اى المغربالكبير والاندلس فى بلورة هذا الاشعاع العلمى العربى فظهر ابن حمزة المغربى فى القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة فى اللغريتم ، واشتهر فى الاندلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة وابو القاسم اصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبيرفى الهندسة) وابو القاسم بن الصفار وابو الحسن الزهراوى (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف فى المعاملات) وابو الحكم عمر الكرمانى (من الراسخين فى العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا فى الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطى (ناقد فى الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع فى العدد والهندسة) وابو حى القرطبى (بصير بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقشى الطليطلى (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874) .

وقد احصينا فى «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى» الذى نشرناه عام 1385 هـ — 1965 م فى مجلة « اللسان العربى » (العدد الثالث ص 134) نحوا من مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة المغاربة الذين برزوا فى هذا القطاع العلمى الهام وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به فى دعم صرح الحضاره والبحث العلمى فى العالم ومن بين هؤلاء :

1 — المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن ابن على الموحدى متصورة وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 — المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 — 1960 ص 72
30) رينو ص 8
31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246
32) كوتيى (Gautier) فى كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .
33) تاريخ الطب العربى — لوكلير ج 1 ص 320
34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .
35) نزهة المشتاق للادريسى ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والاندلس .

3 — ابن الياسمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبير فى الجبر والمقابلة .

4 — المهندس المعمارى ابو عمران موسى بن حسن بن ابى شامة مصمم بعض الاجنحة فى جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 — ابن البنا المراكشى (المتوفى عام 721 هـ) صاحب مقدمة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول فى الجبر والمقابلة وتلخيص فى الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى عام 850 هـ واختصره ابن الهاشم القرافى المتوفى عام 815 هـ .

6 — على اليفرنى المكناسى (734 هـ) وهو امام الرياضيات فى عصره (36) .

7 — على بن احمد التلمسانى صانع منجانة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 — امير المؤمنين فى الحساب ابراهيم المصمودى 912 هـ (38) .

9 — الفلكى احمد الغزانى الفاسى (39) 920 هـ .

10 — محمد بن هلال امام التعاليم فى سبتة وشارح المجسطى فى الهيئة (949 هـ) .

11 — ابن مشون محمد بن يوسف السبتى صاحب الرجز فى الجبر والمقابلة (40) عام (989 هـ) .

12 — السلطان احمد المنصور الذهبى الذى كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 — شيخ جماعة الفنون بمراكش احمد التقليتى الاختصاصى فى الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادى عشر .

14 — محمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسى (1094 هـ) الخبير الاوحد فى الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وقد عاش فى بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المثانى (ص 87) .

15 — المنجم الرياضى محمد المسناوى مرينو (1207 هـ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » فى علم الاقتصاد الرياضى .

16 — الاستاذ المعطى مرينو (1223 هـ) صاحب كتاب « كنز الاسرار فى تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد النيرات ورصده وكتاب المزاول .

17 — احمد بن عبد الله التنانى الصويرى (1320 هـ) صاحب المؤلفات العديدة فى الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذى حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية فى الجيش المغربى .

واذا اعتبرنا شعبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالة على هذا الجغرافى والفلكى اليونانى الذى هو من رجال القرن الثانى الميلادى حتى ظهر الشريف الادريسى الذى وصفه كوتيى (42) بانه استاذ اوربا فى الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالمية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة فى ملاحظاته وتقريراته لان بطليموس احصيت عليه فى تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما تقل اغلاط تقديرات الادريسى للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسى على هذه

(36) درة الحجال ص 441
(37) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 31
(38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) .
(39) درة الحجال ص 91
(40) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 263
(41) درة الحجال ص 176 + الدرة ص 51
(42) فى كتابه عادلت واعراف المسلمين عند ما تعرض له .

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام فالامة المغربية قد استقبلت الفاتح العربى كمحرر لا سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول كوتيى « حكومة نظامية مجهزة بجميع المقومات العسكرية والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احالوا الشمال الافريقى الى « مخزن محصولات » لامداد روما فكان الامبراطور الرومانى نفسه اكبر ملاك عقارى فى المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق الاقتصاد المغربى من عقاله فانتظم واصبح « منطقيا تارا » — كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب وامست عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا وفكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية هاجرت اليها (عام 202 هـ — 818 م) بعد وقعة الربض وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية (198 هـ) وقد شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ حيث تبلور الاشعاع الحضارى باستقرار اقوى (حتى فى الصحراء) وتصاعد العمران وانبثاق مدة جديدة وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد بأعمال الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكانت سجلماسة الصحراوية مركزا للتوافل بين المغرب والبصره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى اتسم بها هذا العصر هى الطمأنينة والامن مما شجع ظهور البوادر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فاتسعت مصادره وموارده باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا نعند ما كشف عباس ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير — طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف وعمرت العالم بأصناف المنجزات من اقداح وعلب وانابيب وآوان كيماوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج وتفرغه وتنحته وتعزز بذلك فن الترصيع فى دمشق والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن.

وقد جعل الموحدون — كما يقول اندرى جوليان فى تاريخ افريقيا الشمالية — حدا للفوضى المالية التى كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد هو التصنيع واصبحت سبتة مركزا دوليا لانتاج الورق يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 م (وهو هذا العصر بالذات) يدل على ان الورق المقصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من الخرق البالية (لوبون — حضارة العرب — ص 519) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين 3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسبيك الحديد والنحاس واحد عشر معملا للزجاج واربعمائة لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة المعدنية التى اتخذت موادها الاولية من حديد ونحاس وفضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت بسرعة فى حواضر المغرب وبواديه بالاضافة الى مصانع السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا وخاصة موانىء بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية طبقا لمقتضيات التجارة الدولية — كما يقول اندرى جوليان — الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبح آنذاك اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان يقف دائما فى صف الشعوب التواقة الى التحرر كشعب الولايات المتحدة التى كان المغرب اول دولة اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن عبد الله المحدث الفقيه السلفى (المتوفى عام 1204 هـ) الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوقى الفرنسى

---

43) زهرة الآس للجزنائى ص 33

الكبير جاك كايي انه سبق بها ما عرفتـه اوربـا فى العصر الحـاضر .

وكانت هذه الفترة التى استمرت ازيد من ثلاثة قرون اروع فترة فى تاريخ وحدة المغـرب العربـى تفتقت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعى الذى تبلور فى تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافى وتكاثـر المارستانات وتزايد المـدارس والاحيـاء الجامعيـة وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مرين القوة الشرائية للنقود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل فى المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التى بدأت تترى على المغرب بعد نكبـة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدى استطاع اواخر القرن العاشر الهجرى فى معركة « وادى المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطىء المغربية مع تقليص النفـوذ الاستعمارى البرتغالى فى البحر الهنـدى والخليـج العربى كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين فى سواحل الشام وفلسطين وصعقت اوربا بعد الهزيمة النكراء التى الحقها المغرب بالبرتغال الـذى فقـد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنـة فصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدى واقترحت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبى المغربـى على الصعيـد العالمى وتصاعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذى اصبح البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فـى اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم وبعث المغرب تقويـة لمبادلاته مع اوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك فى المعارض الدولية كمعرض باريز عام 1285 هـ وحمى الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن فى شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجـد مـن معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغـرب انظمـة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحـداث والكشـوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعها بأثمان فى متناول الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيـد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطأتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعـل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمـل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التى يعتقد انصار الاشتراكية والشيوعية بأنهـا مكسب جديـد للانسانية فقد اكد ابن خلدون فى تاريخـه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلـك لاحـظ ماسينيون فى احصاء قام به عـام 1924 للصناعـة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف فى المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بأن نظام الحناطى عندنا وهو اشبه بما عرف اخيرا فى ايطـاليـا (système des corporations) كان يعمل فى اطار من الحرية الكاملـة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات اوربا وقد امتاز الانتاج الصناعى المغربى بجوده نادرة فتحت له منافذ فى اوربا الى آخر القرن الماضى ويكفى دليلا على ذلك قطن المغرب الذى كان فيه نوعان معروفان فى اوربا « سى — ايسلاند » لهما سدى حريرى طويل من الطراز الامريكى وقـد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهـار الفلاحـة حيث بلغت السوائم وحدها خمسين مليون راس من الغنم والمعز ستة ملايين رأس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافى بالمغرب لقلة الوفيات ولارتفـاع معـدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة فى الحواضر ومائة فى الاطلس بفضل انتشار المارستانـات والملاجـىء الصحية وخلو المجتمع الاسلامى من امراض العصر الناتجة عن الخمور او الزنا مثل الامراض التناسلية التى عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما فى الحقل الجامعى فقد احتفل المغـرب منـذ سنوات بذكرى مرور احـد عشر قـرنا على تأسيس جامعة القرويين التى مافتىء المؤرخـون الغربيـون يعتبرونها اول مدرسة فى الدنيا » لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس فى افريقيا اشبه بأثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرهـا المشارقـة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبغـداد المغـرب (48) اى

44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177
45) م 1 — ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت
46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 — 50
47) كودار صفحة 188
48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطلبة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتعزز هذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تعزز نتاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئات المخطوطات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطات النادرة المكدسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القومية فهو هذه المجموعة من المجالات التى تستلزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقدم الفكرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار ــ كما يقول اندرى جوليان ــ الى التعجيل بانهيار المغرب اقتصاديا للسيطرة عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسية المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فنتلافى كل استرهان لمقوماتها وتوجه تخطيطها الى دعم سياستها الوحدوية العربية فى الاطار العالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجه الاستثمار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى ما زال يستنزف قوانا الحيوية ويجرح كرامتنا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكرية التى يجب ان نداب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كان نفوذها فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية كان يوقن بانها هى الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب ــ كما يقول جورج رينوار ــ « وقد انطلق المنهاج العلمى اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لاية نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية علميا وتقنيا وحضاريا ــ ولنقتصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتتلمذ لابى عبد الله محمد بن الطيب الشرقى الفاسى (المتوفى عام 1170 هـ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العروس من جواهر القاموس » (كما يتتلمذ لمحمد الحسنى البليدى الجزائرى (المتولات العشر للدكتور حقى) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميذه المصرى حتى انه لا يمر مشكل الا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعاجم من املاءاته وتحليلاته كما فعل ابن القزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد العراقى اضف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعة من مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتى اكتملت بها مجالى الحضارة العربية فى الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القيناها فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربية العليا فعناصر التكامل هذه لا ينبغى ان تخلق فى حضارتنا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيانا متساوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمى العربى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحديث وقد فجر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

---

49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » .

مجانباتنا الهامشية التى تنسينا احيانا عمق المشاكل المصيرية وحتى فى ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى فى تكييف الفن المعمارى العالمى بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس فى روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخيرالدة (Geralda) باشبيلية ومسجدى حسان بالرباط والكتبية بمراكش كما امتاز الفن المرينى فى القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعمارى منذ القرن العاشر الى هندسة الحصون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعمارى الاوربى فقد ظل ينافس اوربا فى التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر « فرساى » بفرنسا وهكذا تبلور فى الفن المغربى طابع خاص اختفى على الحضارة فى الشق الغربى للوطن العربى لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلى انه اذا كان المغرب العربى قد حقق تطورا رائعا فى مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساوق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقى العروبة فأبلغ الروابط واعمقها قد استوثق بين الشرق العربى والشمال الافريقى والاندلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدانا فى موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكأن لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت فى وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدى (51) الذى احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان أفصح جواز يقدمه المواطن المغربى او المشرقى فى الحدود المطاطة هو اسلامه وعروبته فكانا يستيقضان ويستسفران فى الحواضر العربية والاسلامية شرقا وغربا دون ميز يتبوآن هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة اى اثر فى الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة التلقائية النابعة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطاب الفكر المغربى ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر فى مختلف المجالات التقنية باطراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر فى شخص زملائه فى الغرب الاسلامى حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظه المقرى وقبله ابن خلدون من فروق بين الشقين فى الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكى فى ملكة العلوم واصطباغ الفكر المغربى بألوان من البحث جديدة تحت تأثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المغاربة الذين كان لهم ضلع قوى فى دعم هذا التبادل الثرى بين شقى العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا فى العراق امثال :

1 ــ جمال الدين محمد بن ابى بكر البغدادى اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوتريات وقد ورد على مراكش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 152) .

2 ــ محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادى الفاسى المتوفى بفاس عام 546 هـ (تكملة الصلة لابن الابار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4)

3 ــ ابو الحكم عبيد الله (او عبد الله) بن المظفر المرينى المغربى كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقى (وفيات الاعيان ج 2 ص 307) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهانى (قسم المغرب تونس 1966 ص 289)

4 ــ عبد الله المراكشى الهنتاتى جمال الدين فوض الله عمر البغدادى المعروف بالمجرد توفى عام 795 هـ (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 102 مخطوط)

كما تتلمذ للغزالى صالح بن حرزهم الفاسى (انس الفقير لابن قنفذ ص 12) وابن حنين الكنانى المتوفى

(51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربى والمغرب العربى فى مجلة « اللسان العربى » العدد الخامس 1387 ــ 1967 .

* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولى للمؤرخين الذى انعقد عام 1973 ببغداد .

بفاس عام 569 هـ (الجذوة ص 304 و 322) وعبد القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ (تاريخ تطوان — لمحمد داود ج 1 ص 74)

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى شأنهم المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب » لمحمد هاشم زيان العراقى (فهرس الفهارس ج 1 ص 246) «والشيعة العراقية بالمغرب» لاحمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى « ومطلع الاشراف من الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادرى .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار منهم :

1 — يوسف بن دوناس الفندلاوى استشهد فى حرب الصليبيين فى الشام عام 543 هـ (معجم البلدان ج 6 ص 401) .

2 — العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب الصليبية بالشام عام 595 هـ (الجذوة ص 278)

3 — يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالقى المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام (تكملة ابن الابار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217) .

4 — محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب الفرنسيين بمصر (عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص 44 — الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144)

فهل يمكن لايةوحدة ان تقوم على غيرهذه الدعامة من التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من هذا المعين الصافى الذى عكرته ولا تزال رواسب وذيول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن العربى بعضها عن بعض ردحا طويلا من الزمن تحت ضغط كيد الكائدين . وهنالك مظهر آخر لحضارة المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم ينبت فى اعضاد روح المغرب الشرقية التى عززتها وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسمها النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والغرب

ويقبض المغرب — بفضل طنجة التى كانت عاصمته الدبلوماسية — على مقاليد غربى المتوسط بينما تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا يمكن ان يتم فيه شىء بدون مساهمة — ترتكز على المساواة والسيادة — من طرف جميع الاقطار العربية التى تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة اخماس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل اليوم .

وبلغ اشعاع الفكر العربى عن طريق المغرب اقاليم افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابعة عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هنالك دولة عربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة العربية كولد بار للشرق العربى الرائد موقنا بأن الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم — ضمن تبادل موصول — لولا تلك الآفة الاستعمارية التى حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تمخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربيــة فى البــلاد .

ان النفسية العربية التى تجمع بين النبل والاريحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء مــا يمس بكبريائهــا الوطني ويهددها فى حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربى ليست معناها الفردية الانانيــة وانما هى توقان طبيعى نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

فلهذا تبلورت مدنيتنا فى اشعاع ثقافى ممتاز اكثر منها فى نفوذ مادى ومع ذلك فان قوة المغرب الماديــة ما فتئت سائدة فى البحر المتوسط الذى كان رومانيــا فأصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) كما يقول م ماكس فنتيجو ــ بجزره وسواحله واساطيله ونهضة تجارته واضحت لغة القرآن هى اللغة الدولية للتجــارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسى المقتدر اندرى سيكفريد عضو اكاديمية باريس ان العرب غرسوا فى البحــر المتوسط حضارة يانعة فطــوروا الــرى وادخلــوا غراسات جديــدة كالقطــن والارز وقصب السكــر والحوامض (وبسببهم فقد البحــر المتوسط طابعــه المسيحــى) .

ان الاشعاع المادى للقوة المغربية فى المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابراز الرسالة التى إضطلعنا بهــا فى هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول فى المتوسط (اندرى جوليان) على ان المغرب قــد تزعم العالم الإسلامى والعربى فى هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجاد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين فى طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابى الحسن المرينى . وسيادة العرب فى البحر المتوسط ظهرت بوادرهــا ولــا تمــر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاويــة بعض جزر المتوسط بألف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربــى البحرية حيث صنعت فى بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس الهجرى عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن افريقيا والانــدلس وحتــى فى خصوص فكرة الجندى المجهول نلاحظ وجود مــا سمى فى الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu فى المخاضة التى بــين حصــن بالمــا Palma del Rio وهـــى الجــرف Al-Jarf (الادريسى ــ النزهــة ص 208) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق فى البحر المتوسط تتجلى فى مظهريــن اثنين هما التــأثير الاقتصــادى والاشعاع الثقافى على ان الدور الاقتصادى نفسه لــم يكن فى الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبى فسياســة التسامح التى نهجها المغرب فى اغلب عصوره قــد ساهمت فى توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية فى سواحــل المتوسط مصدر نشاط فياض فهى التى كانت الينبــوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا وغيرها مــن مــوانــيء .

وقد اكد مسيو ماكس فنتيجو مؤلف المعجزة العربية (Le miracle arabe) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراما للحرية وان الاندلس عرفت فى عهدها عصرا ماجدا تألق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التى سرى تيارها المنعش فى جنبات اوربــا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليــز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تفتق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لوبون ان قال نقلا عــن العالم الايطالى ليبرى Libri (لولا العرب لتاخــر انبعاث الآداب فى اوربا عدة قرون) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عــن طريق اسبانيا المسلمة التى برهن فيها تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشعــاع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم ونشل مدن بيزا وبولونى ومونبليى وسلامانك وافنيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فنتيجو ورغم انهــزام

الموحدين السياسى وعودة الاندلس الى حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسها التى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته من الشرق ــ تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كشوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمدينية لا تهدف الى اى لون من الوان الادماج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحميه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتناق الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحيته ابت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخبطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربى المتوسط الا فى فتوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبية بواسطة الغزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تأثير المدنية الاندلسية فاتسعت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربى ينمو ويضعف حسب الاصتاع فتتقنعت المراة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها كما فعلت المراة الصقلية المسيحية فيما حكاه الرحالة ابن جبير تكيفا ــ يحذو حذو النعل بالنعل ما عهد فى الاندلسيات والمغربيات نعم اصبح الشىء الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقة النساء الارستقراطيات فى الحواضر واتخاذهن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فى مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الرى عندنا (السواقى والآبار الخ) وقد نقل المعمرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القز) على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعى بأمريكا فالاصطلاح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضف الى ذلك ما يمس (مودة) النساء من اسماء الحلى والمصوغات

والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فى ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تأثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية.

ويضيق المجال عن تعداد المناحى التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسالتنا الحضارية اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .

في القياس اللغوي

الاستاذ ابراهيم أنيس

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثا قيما للدكتور ابراهيم انيس تحت العنوان اعلاه نقتطف منـه مـا يلى :

امكن لنا فى احصاء سريع ان نجمع من معجم لسان العرب ومحيط الفيروزابادى نحو 71 مثالا رويت عن العرب القدماء هـى :

صديق ، صريع ، شريب ، قليب ، (به داء وتعب) ، خريت ، بريت (دليل حاذق) بليت (عاقل لبيب) صميت، نسيق ، زميت ، عميت ، (الرقيب الظريف) سكيت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، عنين ، خريج ، ضليل ، مريخ (احمق) ، مديخ (عظيم عزيز) مريح (كثير المسرح) شرير ، غريد ، سكير ، مريد (طاغية) ، جبير ، جزير (كثير الذبح) ، ختير (غادر) سمير ، شخير ، شغير ، شنير (سىء الخلق) ، شمير (مجتهد) ، ظفير ، غدير، فكير (كثير التفكر) اريس (اكار او امير) ، دعيس (ماهر فى الطعن) رديس (ماهر الرمى بالحجارة) قسيس ، نطيس ، (طبيب ماهر) ، عقيص (بخيل) ، عريض (يتعرض للناس بالشر) فقيع (شديد البياض) ثقيف (حاذق فطن) ، خريق (سخى ظريف) عشيق ، شنيق (شديد الاعجاب بنفسه) طليق ، مسيك (بخيل)، سجين (دائم شديد) غليم ، قديم (الملك او من يتقدم الناس) ، زبين (مدافع الاخبثين) ، سخين (حار) ، طعين (حاذق فى الطعن) ، المسيح (الدجال لشؤمه)، ظليم ، فخير ، حريف ، خمير ، هزيل ، متيخ ، (وصف للعود الطويل اللين) لطيخ (احمق) ، شتير (سىء الخلق) ، رئيس (كثير الرياسة) ، طليس (اعمى) ، زريع (ما ينبت فى الارض المستحيلة) ، القريع (السيد) ، طريق (كثير الطروق) ، غسيل (كثير الضراب) .

وكلها تفيد المبالغة فى الفعل . وورد ايضا فى اللسان والمحيط نحو 20 مثلا من هذه الصيغة تعبر عن اسماء لاشياء ولعلها كانت فى وقت من الاوقات صفات فهى :

سجيل (حجارة) ، كليت (حجر يسد به) ، جريث ، قريث ، زمير ، جنيس (نوع مـن السمك) بطيـخ ، دريج (الطنبور) ، ذريح (دويبة) ، خريع (شجر العصفور) ، عقير (عشبة يتداوى بها) ، طبيع (لب الطلع) ، عريس (مأوى الاسد) ، فطيس (مطرقة) التليد (الخزانة) التميس (البحر) ، ابيل (قطعة من الطير) ، الزبيل (القفة) ، التنين (الحية العظيمة) ، القنين (الطنبـور) .

اى ان مـا ورد عن العرب القدماء من هذه الصيغة ليس من القلة على الصورة التـى نلحظهـا فى كـلام علمـاء اللغـة .

صيغة «فعلون» في غير اللغة العربية من اللغات السامية

الاستاذ حامد عبد القادر
عضو مجمع القاهرة

ورد فى الجزء الحادى والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا[1] البحث القيم ننشره تعميما للفائدة :

وردت هذه الصيغة فى بعض اللغات السامية الاخرى بصور مختلفة اكثرها فعلون بكسر الفاء وامالة الضمة الطويلة :

وقد دل البحث على ان زيادة الواو والنون فى آخر الكلمة تكون فى الغالب للدلالة على المكان او على التعظيم او التكبير . وقد تكون لغير هذا او ذاك كما سيتضح فيما بعد .

ومن الممكن حصر الاسماء المزيدة بهذه الزيادة فى اربع مجموعات ، لانها اما ان تكون اسماء اعلام . واما ان تكون اسماء اجناس .

والاعلام اما اعلام اشخاص ، واما اعلام امكنة . ويدخل فى الامكنة الجبال والمدن . واسماء الاجناس اما اسماء ذوات واما اسماء معان .

وفيما يلى بيان لذلك :

(ا) النوع الاول : اسماء اعلام الاشخاص . ونمثل لها بما يأتى :

1 — جدعون : البطل العظيم . وقد اطلق على احد قضاة بنى اسرائيل الذين ساسوا امورهم من بعد موسى .

2 — شمعون : الاستماع او ذو الصيت الحسن او السمعة الطيبة .

وقد اطلق على احد ابناء يعقوب الاثنى عشر .

3 — شمرون — حارس . علم على شخص . او على مكان

4 — صيدون : علم على اول ابناء كنعان بن حام بن نوح وقد قيل انه سمى باسم مدينة صيدون التى سيأتى الكلام عليها .

---

(1) تقدم الاستاذ عبد الله كنون الى مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والثلاثين بحثا له فى اسم خلدون وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية . فأحيل الى لجنة الاصول ، وفى اثناء دراستها له تقدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا .

5 ، 6 — مجلول وكليون علمان على ابنى اليملك المذكور فى قصـــة راعـــوث .

(ب) النوع الثانى : اعلام الامكنة . ونمثل لها بما يأتى :

1 — جبعون : مكان الجبل ، وقد اطلق على مدينة فى منطقة جبلية فى فلسطين على اربعة اميال جنوبى بيت لحم .

2 — حرمون : بارز . علم على اعلى قمة فى منطقة جبلية فى الشمال الشرقى من فلسطين تعد جزءا مـــن لبنان . وتسمى هذه القمة ايضا جبل الثلج 2 لان الثلوج تكسوها فى فصل الشتاء وقد اطلق عليهـــا حديثا اسم جبل الشيخ .

3 — صيدون : مكان الصيد (مصيد) او مكان التحصن (حصن — قلعة) وهو اسم اطلق على اولى المستعمرات التى اسسها الفينيقيون على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وقد سميت باسم كبرى مدنها وهى صيدون التى تسمى الآن صيدا . وقيل ان اول ابناء كنعان بن حام قد سمى باسمها .

4 — صيون : اسم جبل يقع فى الجزء الجنوبى الغربى من اورشليم . وهو اقدم اجزاء المدينة واعلاها ويطلق انبياء بنى اسرائيل وشعراؤهم هذا الاسم على اورشليم نفسها او على سكانهـــا او على اسرى اليهود وسبايـــاهم . وربمـــا اطلـــق على فلسطين كلهـــا .

وهذا الاسم هو فى السريانية والعربية ، صهيون بكسر الساد . ويرجع هذا الاختلاف فى التسمية الى الاختلاف فى اشتقاق الاسم فهو فى العبرية مشتق من فعل مهجور هو صيى بمعنى لمـــع او اضاء من بعد . اما فى السريانية والعربية فهـــو مشتق من فعل آخر مهجور ايضا هوصها . بمعنى اشتعل واحترق ، يقال صهت الارض اى شرقت وجفت من شدة الحرارة .

ومن الممكن التوفيق بين الرايين بأن يقال ان اشعة الشمس المحرقة اذا سقطت على ارض تجعلهـــا جافة ، كما تجعلها تبدو من بعد كانها مشرقـــة لامعة لانعكاس اشعة الشمس عليها .

وفى اشتقاق هذا الاسم راى ثالث هو راى مـــن يقولون انه مشتق من فعل ممات ايضا هو صها يصهو اى ارتفع . ومنه صهوة الفرس . وصهوة كل شىء اعلاه . وحينئذ يكون معنى صهيون « قمة جبل » ولا شك ان هذا الاسم ينطبق على المسمى اشـــد الانطبـــاق .

5 — شمرون : مكان الحراسة — مراقب . وهو اسم جبل عظيم فى وسط فلسطين يسمى جبل الحراسة او المرقب . ثم اطلق على مدينة انشئت فى منطقة ذلك الجبل وهى سماريا عاصمة للدولة الشمالية (اسرائيل) التى اسسها بعد وفاة سليمان عليه السلام وانقسام اليهود على انفسهم عشرة مـــن الاسباط او هم من عدا سبطى يهوذا وبنيامين .

6 — حبرون : خليل — صديق امين . وهو اسم لمدينة تقع على بعد 22 ميلا جنوبى اورشليم (بيت المقدس) اتخذها داود عليه السلام مقرا لملكه قبل استيلائه على اورشليم . والمراد بخليل هنا ابراهيم خليل الله عليه السلام . ويسمى « ابو الفداء » هذه المدينة (بيت حبرون) .

(ج) اسماء ذوات (اجناس مادية) ونمثل لها بما يأتى :

1 — حلبون — بياض البيضة .

2 — حلمون — صفار البيضة .

3 — ملون — مكان الكلمات — معجم لغوى .

4 — شاعون : ساعة يد او حائط .

5 — عتون — صحيفة . جريدة .

6 — فعمـــون — جـــرس .

(د) اسماء معان (اجناس معنوية) ونمثل لها بما يأتى :

1 — وعيـــون — فكـــرة .

2 — غلبون — غلبـــة او قهـــر .

3 — حفازون — سرعـــة .

4 — حازون — رويا صادقة — الهام — وحى .

تصحيحات

للأستاذ محمد بهجة الأثري - بغداد

(الكشغري) لا (الكشفري)

في البحث القيم : « معاجم الابنية في اللغة العربية» المنشور في « اللسان العربي » — م 9 — 133 — 161 — ذكر السيد د . احمد مختار عمر (الكاشغري) مؤلف « ديوان لغات الترك » زهاء ثلاثين مرة بالفاء (الكاشفري) و (كاشفر) ، لم يخالف في ذلك ولا مرة . ولست اعرف في المدن مدينة تسمى (كاشفر) بالفاء ، وانما هنالك (كاشغر) ، وتلفظ بسكون الشين وفتح الغين المعجمة . وهي قاعدة (تركستان الشرقية) على حدود الصين : مدينة ، وقرى ، ورساتيق . وموقعها في الاقليم السادس من الاقاليم السبعة ، حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اربع واربعون درجة . والى هذه المدينة ينسب مؤلف «ديوان لغات الترك» محمود بن الحسين المتوفى سنة 466 هـ كما ينسب اليها جماعة من المسلمين العلماء في كل فن . وقد سماها ابو الفداء في « تقويم البلدان » (قاشغر) بالقاف في اولها و (كاشغر) بابدال القاف كافا ، وعزا التسمية الاولى الى « اللباب » — اي اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير — ، وتابعه في ذلك القلقشندي في « صبح الاعشى » . غير ان هذا الكتاب — في نسخته المطبوعة — لا ذكر فيه لـ (قاشغر) ، وانما المذكور فيه (كاشغر) لا غير ، وقد رسمت (كاشغر) في « بلدان الخلافة الشرقية » (الترجمة العربية) مرتين (كاشغار) بزيادة الف بين الغين والراء ، وهو خطأ . ونقل ابو الفداء والقلقشندي عن « القانون » ، واحسبه القانون المسعودي لابي الريحان البيروني ، قوله : « وتسمى — اي كاشغر ازدوكند » ، ورسمت في كتاب الاول (اردوكند) وفي كتاب الثاني بالزاي (ازدوكند) ، ولم يذكرا في « معجم البلدان » .

(النطنزي) لا (النطتري)

وورد في هذا البحث ايضا (ص 160) تصحيف آخر ، عند ذكر مؤلف « دستور اللغة » : ابي عبد

الله الحسين بن ابراهيم (النطنزى) (1) ، فرسم لقبه هذا (النطترى) ، بالتاء والراء بعد الطاء . وقد تصفحت هذه الكلمة فى الكتب بصور اخرى ، منها : (النطزى) بالنون والطاء والزاى ، كما وردت فى نسخ « خريدة القصر » المخطوطة ، على ما ذكرته فى مقدمة الجزء الاول من هذا الكتاب — قسم شعراء العراق (ص 30) ، ومنها : (النطرى) بالنون والطاء والراء ، كما وردت فى « نصرة الثائر على المثل السائر » (ص 192) . وانما هى (النطنزى) ، وهى نسبة الى (نطنز) ، بنونين مفتوحتين ، بينهما طاء مهملة ، وآخرها زاى ، ويقال (نطنزة) بزيادة هاء : بلد بين (قم) و (اصفهان) . و « الحسين » هذا ، رسم فى « نصرة الثائر » « الحسن » ، فذلك تصحيف آخر فيه . وهو اديب ، صاحب تصانيف فى الادب ، وكان يقال له « ذا اللسانين » . توفى فى المحرم سنة 497 هـ .

وممن ينسب الى (نطنز) ايضا : ذو اليراعتين تاج اصفهان ، وهو من اسباط « ذى اللسانين » . وكانت (نطنز) من جملة اقطاعه . وقد بنى دار كتب فى اصفهان ، تنوق فى بنائها ، واغرب فى انشائها . ترجمة العماد الكاتب القرشى الاصفهانى فى « خريدة القصر — قسم شعراء العجم » وقال انه سمع منه اكثر شعر الابيوردى . ومن اسباط « ذى اللسانين » ايضا : شمس الدين ابو الفتح محمد بن على بن ابراهيم (النطنزى) . ترجمه الصفدى فى « الوافى بالوفيات » (4 — 161) وقال : « كان من البلغاء اهل النظم والنثر ... كثير المحفوظ ، يحب العلم والسنة ، ويكثر الصدقة والصيام . ونادم الملوك والسلاطين . وكانت له وجاهة عظيمة عندهم ، وكان تياها عليهم ، متواضعا لاهل العلم . توفى فى حدود الخمسين والخمس مائة » ، واورد الصفدى من شعره مقطوعات قصارا ، رواية عن محب الدين بن النجار البغدادى .

محمد بهجة الاثرى — بغداد

---

(1) انظر كتاب الابيوردى للدكتور حقى . فقد اشار الى تصحيحها هناك .

صيغة «أفعل» و «فُعْلى»

الأستاذ إدريس العلمي

احب ان الفت النظر الى غلط لغوى اخذ يتردد بكثرة فى الايام الاخيرة على اعمدة الصحف العربية فى المشرق والمغرب وعلى السنة بعض المذيعين العرب آملا ان تعملوا على التنبيه عليه واصلاحه فى الوطن العربى كله لتوصيات مؤتمر التعريب المنعقد بالرباط فى سنة 1961 .

والغلط الذى نرجو ان تتفضلوا بالتنبيه عليه واضح فى العبارة التالية التى كثر استعمالها بمناسبة قيام حرب 10 رمضان بين العرب واليهود وهى **« الدولتان الاعظم »** .

فكلمة « الاعظم » هى على صيغة تفضيل للمفرد المذكر بينما يجب ان تطابق كلمة « الدولتان » بأن تكون على صيغة تفضيل للمثنى المؤنث فنقول : « الدولتان العظميان » ، فى حالة الرفع ونقول فى غير حالة الرفع : « الدولتين العظميين » .

اما كلمة « الاعظم » ونقول فى المثنى المذكر « الشعبان الاعظمان » او « القطران الاعظمان » ونقول فى المفرد المؤنث « الدولة العظمى » .

وكتب بعضهم : « الدولتان العظماوان » وهو غلط آخر لان وزن « فعلاوان » هو مثنى « فعلاء » لا «فعلى» فنقول مثلا « حمراوان » فى مثنى « حمراء » و «زرقاوان» فى مثنى « زرقاء » الخ ..

اما مثنى « عظمى » فليس له فى اللغة العربية سوى صيغة واحدة هى : « عظميان » فى الرفع و « عظميين » فى غير الرفع .

ولا يخفى ان « عظمى » مثل « فضلى » و « كبرى » و « صغرى » و « حسنى » هى على وزن « فعلى » الذى يثنى على صيغة « فعليان » مرفوعا و « فعليين » غير مرفوع ويجمع على صيغة « فعليات » فنقول : فى مثنى وجمع :

— عظمى : عظميان او عظميين — عظميات

— فضلى : فضليان او فضليين — فضليات

— حسنى : حسنيان او حسنيين — حسنيات

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « هل تتربصون بنا الا احدى الحسنيين » فقد قال عز من قال : « الحسنيين » فى مثنى « الحسنى » فلم يقل « الحسناويين » الذى هو مثنى « الحسناء » بل قال الحسنين مثنى حسنى .

ادريس بن الحسن العلمى

أبحاث عامّة

تعريب الإدارات بالمملكة المغربية

اذاع معالى الوزير الاول فى حكومة صاحب الجلالة ملك المغرب منشورا على جميع الوزارات فى 11/ 10 / 1973 دعا فيه الى السير فى تعريب الادارة تعريبا شاملا ، كما دعا جميع الدوائر الحكومية الى مراسلة المواطنين ومخاطبتهم بالعربية لا بالفرنسية . وقد رأى المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى فى هذه البادرة خطوة طيبة طالما هدف اليها وسعى نحوها وتمنى التوفيق فيها لا فى المغرب الاقصى وحده بل فى جميع انحاء المغرب العربى (تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) وهى بشرى نزفها الى العالم العربى كله ونهنئ حكومة صاحب الجلالة على السعى نحو تحقيقها، ورأينا ان من واجبنا ونحن نمثل الجامعة العربيةوالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هنا ان نقدم خدماتنا ومعاوناتنا لتحقيق هذا الهدف النبيل الذى يخلص جزءا كبيرا من الوطن العربى من الضغط الثقافى الاجنبى ويمنحه استقلاله الفكرى فيستقى المعرفة من حيث شاء وينميها فى ظل الحضارة كما يشاء . ورفعنا بهذا المعنى خطابا الى معالى الوزير الاول ، فأذاع على اثره منشورا آخر هذا نصه :

المملكة المغربية

الوزير الاول

الرباط فى : 30 اكتوبر 1973

الى السيد وزير ....

الموضوع : هدية من المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

سلام تام بوجود مولانا الامام دام له النصر والتأييد .

وبعد ، عطفا على المنشور رقم 122 بتاريخ 5 اكتوبر 1973 والمتعلق بتحريف الكتابة العربية خاصة وبالتعريب عامة ، يشرفنى ان اوافيكم صحبته بنسخة من الرسالة التى وردت على من طرف السيد مدير المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتى يعلن فيها عن استعداد المكتب للمساهمة بجميع امكانياته المادية والبشرية فى تحقيق اهداف التعريب .

هذا ويجعل المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى اجهزته وخبرته رهن اشارتكم لتعريب كل ما تشعر مصالحكم التقنية المختصة بالحاجة اليه كما يعتزم تقديم كمية من المعاجم لوزارتكم تجدون صحبته قائمة بعناوينها ، الرجاء منكم الاتصال فى هذا الباب مع السيد مدير المكتب المذكور ليزودكم بما تحتاجون اليه من وثائق تساعدكم على السير قدما فى تعريب ادارتكم .

وتقبلوا خالص التحيات والسلام .

قصص وتاريخ من اللغة :

الرّوضُ والعَروس والعِراق وبدائع أخرى

الأستاذ عبد الحق فاضل

(الرباط)

(الــوردة) تسمــى بالانكليزيــة والفرنسيــة : (rose) ويؤثلونها مــن (rosa) اللاتينية ، وهذه يؤثلونها مــن (rhodon) الاغريقية ، بمعناها .

لكن يجوز ان يكون اثل (rosa) من العربية وهو (**الورس**) : نبات كالسمسم صبغ به . و (الوارس) من الثياب : الاحمر ، و (ورس) النبت ـــ زنة ورث : اخضر ، و (أورس) الشجر : اورق ـــ اى ان (ورق) الشجر ايضا ربما جاءت تسميته من الورس . وانتقل اللون الى عالم الطير ، من ذلك **(الورسى)** : ضرب من الحمام الى حمرة وصفرة ، ومنه فيما يظهر اسم (**الورشان**) ـــ كالخفقان ـــ وهو ايضا نــوع مــن الحمام الا انه برى اكدر اللون . ولعل منه ايضا اسم (**الورقاء**) : الحمامة عامــة ، او التــى لونهــا الى الخضرة . ومما يدل على علاقة الكلمة بالورس انهــا تطلق كذلك على شجيرة لها ورق ناعم مدور واســع وساقها اغبر . لكن الورقاء الحمامة سميت بلونها ، والورقاء الشجيره سميت بورقها ، ومآل كلتيهما الى الورس بمعنييه .

على ان (**الورد**) ايضا تختلف الوانه ومعانيه فهو : نور الشجر ، والزعفران ، والاسد ، ثم هو الشجيرة الشائكة المعروفة المختلفة انواعها والــوان زهرهــا وروائح اشذائها .

واما ان كان اثل (rosa) اللاتينية هو (rhodon) الاغريقية حقا كالذى يذهبون اليه فهذه الاخيرة ايضا من العربية ونعنى (**الروض**) ، الذى سنــرى انــه تسرب الى الآريات ببعض المعانى المائية ايضا .

ومــن (rosa) ـــ التــى صــارت بالفرنسيــة فالانكليــزيــة : (rose) ـــ نشأ بالفرنسية (rouge) احمر . هذا يقوله المؤثلون الاوروبيون انفسهم .

ولعل هذا (الروج ـ rouge) انما نشأ فى العربيــة اولا من (الورد ، الورس) مثل شبيهها **(الارجوان)** : الاحمر ، وشجر له وَرد ، ونبات احمر .. و (الارجوانى): القانى . بل لعل (الروج) من (الارجوان) نفسه . وكما غرب (الروج) الى اوربا بالفرنسية وغيرها ، شرق (الارجوان) الى الهند فصار منذ عهود سحيقة يدعى بالسنسكريتيــة (ergewan) . وهو بالفارسية (**ارغــوان** ـــ arghavan)

لكننا لا نقصد هنا الى مجرد ايراد بعض الاسماء مع اثولها ، وانما نروم التحدث كذلك عن قصة مجموعة حاشدة من المفردات — دعانا الاختصار الى اغفال الكثير منها .. لا للقول انها من اسرة لغوية واحدة فقط لكن لبيان طريقة كل واحدة منها فى تكوين نفسها لتظهر الى الوجود بمعناها او معانيها ايضا ، فضلا عن اثبات وجودها — بعضها فى علم الجغرافية وبعضها فى سجل التاريخ ، وما حققه فريق منها من انجازات فى حياة الحضارة والبداوة . نذكر منها كنماذج دعائية : المرساة، الشرف ، الزراعة ، royal العرش ، archayology .. وموريطانية !

ولنضرب صفحا هذه المرة عن الترسيس لان حديثه يطول ، ولنكتف بأن نمسك براس الخيط من كلمة (الاس) التى هى الاثل الخصب لكثير من المواليد اللغوية النجيبة النابهة . و (الاس) : اصل البناء، ومبتدأ الشىء ، كما هو معلوم . ومنه يظهر فى الفرنسية (asseoir) : اجلسه ، واثبته .

ومن الاس نشأ (الارس) — بالكسر : الاصل الطيب ، ولا نكاد نشك فى انه كان يعنى اولا مطلق الاصل طيبا كان او غير طيب . ومنه نبع (الرس) : ابتداء الشىء ، ومن هذا ظهر (السر) الاصل ، وجوف كل شىء ، ثم ما يكتمه الانسان فى نفسه . يتضح ذلك فى قولهم (تراسوا) بتشديد السين — الخبر : تساروه — بتشديد الراء . ومن عجب ان القاموس يذكر صيغة (المسرة) ليقول انها « الآلة يسار بها » ! فما هى ياترى تلكم الآلة التى كان العرب يتسارون بها ؟ هى آلة جوفاء كالطومار يسار المرء بها جليسه . ومن هنا على ما يبدو اطلق بعض المحدثين هذه (المسرة) على التلفون . لكن عيبها انها لا يمكن اشتقاق الافعال منها بالمعنى التلفونى ، فان قولك مثلا « ساررت فلانا » يعنى غير قولك « خاطبته بالتلفون » او « تلفنت له » .

ومن الرس نشأ (الراس) بمعنى العرق اى الجذر اول الامر فيما نعتقد . وكثيرا ما استعملوا (الراس) بمعنى الفرع كقول العراقيين مثلا ان (الفالة)لها ثلاثة رؤوس (والفالة رمح له ثلاث شعب او اكثر سهمية الرؤوس يصيدون بها السمك) .. وكقول العهد القديم عن نهر جنة عدن : « تخرج منه اربعة رؤوس »: اى تتفرع منه اربعة انهار هى دجلة والفرات ونهران آخران — مما يؤيد رأينا فى ان (الراس) كان يعنى الفرع اول الامر . ودليل آخر على علاقة (الراس) بالفرع والجذر معا هو ان (razza) بالايطالية ومثلها (race) بالفرنسية والانكليزية تعنيان السلالة المنحدرة من اصل واحد ، وانها تعنى بالانكليزية علاوة على ذلك : الجذر ، يضاف الى هذا ان الفرنسية ايضا صاغت منها (racine) بمعنى الجذر . ووردت الكلمة كلتى فى هاتين اللغتين بصورة (radix) السنخ اللغوى للكلمة ، والجذر ، والمنبع ... وهى بنصها من اللاتينية .

وينطق (الرس) فى الفارسية (سر — sar) راس اما فى الانكليزية فهو (sir) : سيد ، او سيدى . وهو كذلك من القاب النبلاء عندهم . واستعمال الراس هنا بمعنى السيد مألوف لدى العرب ، فراس القوم وراس القبيلة : سيدهم ورئيسهم . ومن (الرئيس) صيغ (ازير) القوم : عميدهم ، اما (الراز) — كالغاز — فرئيس البنائين ، والارجح انه كان يعنى الرئيس بوجه عام ثم تخصص بالبنائين .. ويظن المعجميون ان اثله (الرائز) وما دروا انه (الراس) وبالمناسبة نذكر فى الفارسية (راز) : سر .

ومن هذا فى اللاتينية (erus) : رئيس ، وسيد .. ومثلها تماما (herus) وتهمنا هذه الصيغة الاخيرة لانها الاثل المباشر لكلمة (heros) بطل، الذىنجدهبنفس الصيغة فى الفرنسية وبصيغة (héro) فى الانكليزية. على ان الكلمة موجودة فى الاغريقية ايضا بصورة (eros) اى اقرب الى الصيغة اللاتينية الاولى ومن ثم اقرب الى (الراس) العربية . وقد ارتقت الكلمة فى هاتين اللغتين القديمتين الى حد انها صارت تطلق ايضا على اشباه الآلهة والمؤلهين من الابطال .

ويقابل (sir) بالعربية (السرى) — زنة الطرى . وهى تنطق باللغة البابشورية * (شرو —

* كنا ذكرنا فى بحث سابق اننا نصطلح بهذه الصيغة على اللغة « البابلية » (الاشورية) اختزالا. اما الانكليزية فنقترح لها صيغة : « Babissyrian)

(sharru) بمعنى الشريف او السيد ايضا ومنه اسم **(شروكين ــ** sharrukin (اى الملك (= كين) الجليل (= شرو) ، وهــو الملك الآشورى الشهير الذى تحرف اسمه الى **(سرجون)** .

و (شرو) هذه قريبة من **(شرف)** ــ بضم الراء ــ اى ارتفع مادة او معنى ، ومــن ذلك **(مشــارف)** الارض : اعاليها ، ثم صارت (مشارف) المدينة تعنى المرتفعات تبدو المدينة منها للمســافــر ، و **(مشارف الشام)** : كانت تطلق على « قرى من ارض العرب تدنو من الريف ، منها السيوف **المشرفية »** . ومن التحام هذه المادة بماده (السرو) صار **(السرف)** هو الشرف وزنا ومعنى .

و **(السراوة)** كذلك تعنى الارتفــاع المــادى او المعنوى ، ومن صيغها شجر **(السرو)** ، بذا سمــى لارتفاعه . ومن هنا ظهرت **(السورة)** ــ كالصورة : ما طال من البناء او المجد ، و **(السورة)** ــ كالثورة من المجد : ارتفاعه واثره . وطريف ان نجد الصيغة المضمومة فى الفرنسية بشكل (sur) : على ، فوق . وهى فى الانكليزية والفرنسية عدا ذلك راسنة ❊ بهذا المعنى او نحوه فى مثل (surface) : سطح ، ويؤثلونها من اللاتينية هكذا : (super : فــــوق - facies وجه) . وكنا فى مناسبة اخرى قد اثلنا هذه الاخيرة من (الوجه) العربية (فى فصــل « العنف فى تسميــة الاعضاء » ــ العدد العاشر) .

امـــــــا (super) تلك مأثلها فى اللاتينية نفسهــا (supra)بمعناها ، وواضح ان اثل هــذه الاخرى فى العربية هو (السورة) ــ بالفتح ــ التى مرت بنــا توا . وتظهر super فى اللغات الاوربية الجديدة فى مثل (superman) الانسان الاعلى ، (وقد سبق ان اثلنا man : انسان ، رجل » ايضا فى العربية من الاسم الموصول « من : الذى » ويعنى كذلك : الشخص او المرء فى قولك « حررت بمن معجب لك » اى بشخص معجب لك ــ كتابنا « مغامرات لغوية ») . ومنها ايضا الكلمة الموسيقية العالمية (soprano) وهــى صيغــة ايطــاليـــة .

اذا ادعينا لك الآن ان (royal) متأثلة من **(الراس)** فان لك بل عليك ان تتردد كثيرا فى قبول ذلك ــ لكننا نرجو اليك ان تسير معنا قليلا - حتى يسعك اطراح التردد عنك لتجزم برفض هذا المزعم او قبوله .

يظهر ان اطلاق **(الراس)** على كبير القوم وسيدهم الذى منه صيغ **(الرئيس)** و **(الرئاسة)** ــ قــديم عند العرب بدليل تسربه مع الهجرات الآرية القدمى وما بعدها الى لغات اخرى من بنات العربية . ففى الحبشية **(راس ــ** râs) تعنــى نفس الشىء اى رئيس القبيلة او المنطقة اى القيل ــ بالفتح ــ (وهو بالتعبير العربى كان يطلق على الملك او الرئيس عند حمير) . ومن ذلك **(راجا ــ** râja) ايضــا كــانت تطلق فى الهند على القيل اى الواحد من ملوك الطوائف فيها قبل عهد الاستقلال الذى الغيت فيه الراجوية . ومثلها تماما باللاتينية (rex) : القيل ، وتنطق كذلك (regis) وكأنها متأثلة مباشرة من (رئيس) . على ان ظهور الكاف فى (الراس) قد كان فى المعربة قبــل تسرب الكلمة مع المهاجرين الآريين ، ونعنى صيغــة **(الركس)** ، الا ان معناها تخصص فى العربية بجعل (راس) الشىء الى اسفل منذ قالوا (ركست) الشىء ، ومنها (اركسته) : قلبته على راسه وجعلت اسفله اعلاه واوله آخره . ومن بقايا معنى الراس فى الصيغ الكامنة نجد **(الكروس)** ــ بتشديد الواو : العظيم الراس من الناس ، وعلى المجــاز : الاســد العظيم الهامة . وكما نطقوا همزة (الراس) كافا نطقوها عينا يوم قلبوها فصارت **العرش** (كالراس) **والعريــش** (كالرئيس) من القوم : رئيسهم المدير لامرهم .

ومـــــن (res) او (regis) يظهــر معنــى الملك فى صيغة (ريه ــ re) بالايطالية و (روا ــ roi) بالفرنسية ، ومؤنثه الملكة (regina) فى كــل مــن اللاتينية والايطالية و (reine فى الفرنسيــة . وامــا الملكــى وهــو (reguis) **فى الاولــى** ، و (reale) فى الثانية وفى الاسبانية ، و (royal) فى الثالثــة وفى الانكليزية . ولعل القارىء قد لحظ ان (reale) هى اثل **(الريال)** الذى يطلق على الدرهــم المحلى فى بعض انحاء المعربة اى السعودية وبعض مشيخات الخليج. وكان بعض الكتاب يترجمون (الدولار) الى (ريــال) كأنما خالوا ان هذا اقرب من ذاك الى لغة الضاد .

❊ تستعمل الراسنة من الرسن بمعنى الكلمة التى تسبق كلمة اخرى لتغيير معناها ، مقابل : prefix

نعود الى قصة (الراس) . فهو ينطق بالسريانية **(ريش)** ! وصار **(الريش)** يعنى بالعربية شعر الراس اول الامر ثم صار يعنى عموم الشعر ، ثم صار من الطائر بمثابة الشعر من سائر الحيوان .. بدليل ان الريش ينطق بالعربية كذلك **(الراش)** !

ومنه اشتقت صيغة **(الشعر)** ايضا ، فيما نعتقد . ذلك بأن **(الريش)** ــ بفتحتين : كثرة الشعر فى الوجه والاذنين . فمن هنا صارت **(ريش)** ــ بالكسر ــ تعنى (شعر) الوجه اى اللحية فى الفارسية . وفيها ايضا يسمى الاسد **(شير)** ، ربما بسبب شعر لحيته الجليلة ، بل شعر لبدته بقضها وقضيضها .

ومن تزايد ريش الفراخ كلما نمت وقويت ، قالوا على الاستعارة : **(ارتاش)** الرجل : اصاب خيرا وصلحت حاله فرئى عليه اثر ذلك . وصار **(الريش)** الذى هو كسوة الطائر وزينته يعنى كذلك : « اللباس الفاخر ، والاثاث ، والمال ، والخصب ، والمعاش » . والمثرى الذى يملك هذه النعم يدعى بالفرنسية (riche) وبالانكليزية (rich) وبالسكسونية (rice)

ومن (الشعر) صيغ **(الشعار)** : اللباس يلى الشعر من الجسد ، ثم صار يعنى الشمائل و **(الشعائر)** اى المناسك .. ثم الرمز يتنادون به للحرب ، ثم شعار الاسرة والدولة : علامتها . ثم اكتسب (الشعار) معناه المعروف على عهدنا الذى اكتظ حتى كاد يختنق بالشعارات . ولا يستغربن احد ان نقول ان **(الشعير)** ايضا من الشعر ، لان سنبلته يمتد منها شعر نباتى وشبيه بذلك اطلاق السبلة (بفتحتين) اى شعر الشارب ، على السنبلة نفسها .

ومن ذلك : **(الشعور)** يظهر انه انبثق من (شعار) الحرب اى كلمة السر كما يسمى الآن حيث قيل (اشعر) القوم : جعلوا لانفسهم شعارا او نادوا بشعارهم . ومن هذا قيل (اشعرته) بالامر : اخبرته . وصار تولك بعد هذا : « شعرت بالامر » يعنى : علمته او احسست به ، واصله : انبئت به . ومن هنا صار **(الشعور)** يعنى الاحساس وصار **(الشعر)** ــ بالكسر ــ يعنى هذا الكلام الذى ليس موزونا ولا مقفى ولا ممعنى ، عند بعض المتجردين . ذلك بأن **(الشاعر)** كان قديما يفصح به ــ موزونا ومقفى وممعنى عن شعوره كالذى سجله حسان بقوله :

ما الشعر الا شعور المرء يعرضه
على الخلائق ، ان كيسا وان حمقا

وورد الشعر فى اللغات السامية القديمة بصيغ متقاربة منها **(شير)** وكان يعنى الغناء غالبا ، لان الشعر مادة الغناء ، ومن ذلك **(هشرى هشريم)** : نشيد الانشيد .

ومن (الراس) تكون الارتعاش والارتعاد والصرع . فكيف كان ذلك ؟

من (الراس) قالوا **(الرعوس)** ــ كالرؤوف : من يرجف (راسه) نعاسا او نشاطا ، ومن ذلك سمى المرتجف المضطرب فى سيره **(الرعيس)** . ومن هنا جاء **(الرعش)** و **(الارتعاش)** و **« الارتعاد »** الارتجاف . ثم قيل **(رعصت)** الشىء و **(ارعصته)** : حركته وهززته ، و **(ترعص)** الشىء : تلوى واهتز ومنه بالدارجة العراقية **(الرعيصة)** ــ زنة الجميزة الترعص والصرع . وواضح ان مرض **(الصرع)** هذا قد نشأ فى الفصحى من الرعص مبنى ومن هذه الصيغة العراقية معنى . ومن هذا القبيل **(المروض)** : المحرك راسه وجسده بلا عمد ، ومن به خبل من اهل الارض والجن ! وذكرهم الارض هنا يوحى بأنهم توهموا ان اثل (المروض) هو الارض ، لكننا نرى انه من الراس او الرعص ، بقلب وابدال .

وحين نطقوا همزة (الارس) كاما ظهر **(الكرس)** ــ بالكسر : الاصل ، ومنه بالموصلية **(الكرز** ــ giriz) : الجذر . وكما نشأ (السر) من الرس نشأ معنى الاختفاء من هذا (الكرز) الجذر حيث قيل فى الفصحى **(كرز)** ــ بفتحتين : استخفى ، اى مثل (استتر) ، و **(كارز)** الى المكان : اختبأ فيه . وبالعراقية **(كرص)** الشخص : خنس او سكنت حركته ونأمته .

ومن (الكرس) بمعنى الاصل قالوا **(كرس)** البناء تكريسا : اسسه . عندئذ نشأ **(الكرسى)** : ما يقعد عليه ، ثم السرير . ثم **(كرست)** الشىء لكذا باستعمال المحدثين : خصصته . وهو استعمال نحسبه نصرانيا نشأ من (تكريس) البيعة والامتعة الكنسية لخدمة الله . ويظهر ان التكريس الخاص بالبيعة اصل معناه تخصيصها بكرسى الرئاسة الدينية فى المنطقة . ولعله من هذا نشأ فى التعبير النصرانى ايضا **(كرز كرزا)**

ــ من باب ضرب : وعظ ونادى ببشارة الانجيل ، اى من معنى كرسى الوعظ هذه المرة .

وللعــرش حكاية اخــرى ، ظهرت يوم قالــوا (**عرشت**) البيت : بنيته ، والكرم : رفعت دواليه على الخشب ، ثم عرشت بالمكان : اقمت ، واثلها عرست. ومن ثم صار (**العرش**) كالكرسى يعنى السرير ، ثم سرير الملك خاصة .

من (الرس) و (الارس) ايضا نشأ قولهم **(ارصى)** بالمكان : لزمه ، و (**ارسى**) الشىء : ثبت و **(رسخ)** فهو (راس) و (راسخ) . و **(الرواسى)** و **(الراسيات):** الجبال . و (ارسيت) الشىء : اثبته ، ومنه (ارساء) السفينة : ايقافها بطرح الامجــر (= **المرساة**) فى قعــر المــاء .

ومن هذه الثلة اى الرسو والرسوب والرســوخ ينبعث فى الانكليزية فعــل (rest) : يستــريــح ، يهجع ، وهى من السكسونية . ونفس الكلمة بمعنــى البقاء والمكوث يؤثلونها من الفرنسية . لكننا نرى انهما كلمة واحده تخصصت فى السكسونية بمعنى الاستراحة وفى الفرنسية بمعنى المكوث ، وقد اخذتها الانكليزية عن اللغتين بمعنييها باعتبارها كلمتين . لكنهم يؤثلون (rest) الفرنسية من كلمتين باللاتينية همـــا Re ـــرة اخــرى stare :وقوف) . على اننا نؤثــل (stare) هــذه ايضا مــن (الاس) فــن المعلــوم ان صلب الكلمــة اللاتينيــة هــو (sta) والبــاقــى عــلامــة المصدريــــة . وعلى هـــذا ينبـــىء معناهـــا ان اثلهـــا العـربـى المباشــر هــو (الاست) : الاس والاصل . وهو فى الفارسية **(ايست):** وقوف ، ومنه (**ايستــاه ــ** îstagah) محطــة ، و (**استـــوار ــ** ostuvar) : ثابت او راســخ ، و و (**استان ــ** ostan) : مكان او موطن، و (**استون ــ** ostûn) : عمود ، ومنه اقتبست العربية (الاسطوانية)، و (**استاذ ــ** ostad) : المعلم ورئيس الصنــاع ، واصل المعنى العميد ، ومنه (**الاستاذ**) بالعــربيـــة الفصحى و (**الاسطه**) بالدارجات .. الخ .

ومـــن Rest الفـــرنسيـــة صــاغـــوا (restaurant) : مطعم ، ثم استعيرت بمعناها فى الانكليزية . ونخال ان اصل معنى (restaurant) هو الفندق والنزل من معنى الاستراحة والمكث ، لكنه صار يعنى المطعم لان بعض المسافرين يغشونه لتناول الطعام واستئناف السفر دون مبيت فيه . وعكس هذا نشاهده فى اطلاق (اللوكندة) بالمصرية على الفنــدق وهى بالتركية تعنى المطعم بصيغــة : (lokanta) وكانوا يكتبونها قبل الغاء الحروف العربية (لوقنطة).

اما حكاية (**الانفجار السكانى**) فقد بدات يوم قلبوا فعل (رسا يرسو) فنطقــوه (**سرا يسرو**) . فمنــه (**سرت**) الجرادة : باضت ، ذلك بأنها تغرز ذنبهـــا فى الارض قبل ان تبيض ، فكأنما قــالوا (**ارست**) ، ومنه (**سرات**) ــ بالتخفيف او التشديد ــ الجرادة او السمكة او الضبة : باضت . ولغزارة بيض السمكة على الاخص قالوا على المجــاز والتهكم : (سرات) المراه : كثر اولادها ! فهذا هو ما يسمونه باصطلاح عصرنا : « الانفجار السكانى » .. ويمكنهم بكل اطمئنان لغوى ان يصطلحوا على تسمية تفجعا وسخرية معا : (**التسرئـــة**) !

ثم نأتى الى (**الزراعة**) .. التى دشنتهـــا الجرادة بأن (رزت) بتشديد الراء : ادخلت ذنبها فى الارض وباضت . ومثلها تماما (**غرزت**) . ومن هـــذا الـــرز الجرادى صيغت (الرزة) ــ زنة الرجـــة : حديـــدة كالوتد تدق فى الارض او الجدار لربط الدابة ، تشبيها بذنب تلك الجرادة . ومنه (غرزك) العود فى الارض : ادخالك اياه فيها واثباته . ومن الغرز نشأ (**الغرس**) وهو خاص بالنبات ، فى مثل (غــرس) الشجــر .

وانقلب (الرز) فنشأ (**الزر**) ومنه (زره) بالرمح: طعنه ، ومجازا (**الزرة**) ــ كالذرة : العضة ــ ومما يدل على علاقة هذه الكلمة بالرسو قــولهم (**زرزر**) الرجل بالمكان : ثبت .

فمن هذا (الزر) بمعنى الغرز والغرس فيما يظهر نبت (**الزرع**) . وهنا تجابهنا فى اللاتينية (sero) زرع ، بـــذر .

وبقلب الكلمة نشأ (الزعر)ومنه (**الزعـــراء**) كالروزاء : ضرب من الخوخ . و (**الزعرور**) شجر ثمره كالنبق حجما ولونا وطعمه مز ، او هكذا هو بالعراقية وقد كان الزعرور يسمى بالشومريةوالبابلية (**ارزلو ــ** arzallu) ، وهو بالسريانية **(عزرارثا)** . اما باللاتينية فهـــو azarlus ، وبالانكليـــزيـــة (azarole)

وكما قالوا (غرز) العود فى الارض : اثبته ، قالوا (ركز) الرمح ونحوه : غرزه فى الارض واثبته . ومن المحتمل ان يكون هذا (الركز) او ذلك (الكرس) الذى تقدم الكلام عليه هو منشأ (الكرز) — بفتحتين : شجر ثمره يشبه الاجاص لونا لكنه اصغر حجما ، ويسمى بالمغربية (حب الملوك) لانه كان اول دخوله المغرب نادرا وباهظ الثمن على ما يبدو ، لا تحظى بـه الا موائد الكبراء والملوك . لكنه اليوم موفور ميسور .

وشجر (الكرز) فى شمال العراق بـرى يسمى بالموصلية (الكراز) . واسمه بالتركية (كـراز — kiraz) وبالفارسية (كيلاص — gîlas) . وهـو بالفـرنسيـة (cerise) وبالانكليـزيـة (cherry) وكـان الاغريق (العـرب ؟) يدعونـه kerasos واللاتيـن (cerasus) . ومن الطريف ان هذا الاسم اللاتينى اطلقوه على بلـدة فى (بونتـى — Ponty) كان يأتيهم منها الكرز . ولولا معرفتنا بحسب الكلمـة ونسبها بالعربية لظن بعضهم ان اسم الكرز فى اللغات الاوربية وغيرها قد انحدر من اسم تلك البلدة ، بـدل العكـس .

ونأتى الى (العرس) الذى بدا متـواضعا مـن التراب وانتهى الى سرير الزفاف . عند ما نطق العرب همزة (الارس)عينا صار قولهم (اعـرس) القـوم و (عرسوا) — بالتشديد — يعنى : نزلوا من السفر للاستراحة ثم يرتحلون ، وكأنهم قالوا : ارضوا تأريضا بمعنى نزلوا الى الارض . و (ابن عرس) : دويبـه كالقط مستطيلة الجسم ، ولعلهم قصدوا انه (ابـن الارض) لانه يعيش فى اوجرة له فى الارض او لان لونه بلون الارض . و (العريس) — كالسكير — و (العريسة) — كالسكيره : مأوى الاسد . ولا ندرى بالضبط كيف صار (العرس) — بالكسر — يعنى رجل المراة ومراة الرجل . و (العوس) يطلق على كل من الزوجين ما داما فى عرسهما . لكـن المحدثـين صاروا يطلقـون (العروس) على الانثى و (العريس) على زوجها ، دفعا لالتباس الصيغ . ومن المحتمل ان تكرار نـزول (العروسين) اثناء السفر — لافتراش الارض — ثم التحاقهما بالركب . هو الـذى جعلهم يشتقـون مـن التعريس ، اى التأريض ، صيغـة (العروسـين) للزوجين المقترنين حديثا ، ثـم (العـرس) للـزوج والزوجة بوجه عام ... بدليل قولهم (اعرس) الرجل بأهله غشيها .. وبدليل ان العروس والعريس ما زالا فى الدارجات العربية يعنيان الزوجين يوم الزفاف وما بعده من ايام عسلية قليلة ، ثم تزول عنهما صفة العرس وتبقى صبغة الزواج .

ومن (العرس) او نحوها نشأ (العرص) فقالوا (تعرص) : اقام ، و (العرصة) — بالفتح : كل بقعة من الارض ليس بها بناء ، ثم باحة الـدار . بيـد ان (العرص) — بالفتح — و (الاعراص) — بالكسر — بمعنى الاضطراب ، اثلها (الرعص) و (الصرع) .

وعند ما حشوا (الاس) بالراء فصار (الارس) — بالكسر : الاصل الطيب .. كالذى سبق ذكره نشأ منه (الارث) و (الورث) : ما يخلفه الميت لورثته ، باعتباره اصل ثروة ذوى الطراف والتلاد . ونجد فعل (ورث) فى الفرنسية بصورة (herite) ، امـا فى الانكليزيـة فهـو (inherit) . ودخـول الكلمـة فى الآريات يرجع الى الهجرات العربية الاولى لاننا نجدها فى الاغريقية (yier) : وارث ، وهـى فى اللاتينيـة (haeres) . وهاتان الكلمتان كالكثير من مثيلاتهما تدلان على ان الاغريقية ليست اثل اللاتينية دائما ، وانما هما لغتان متشابهتان منشعبتان من اصل واحد هـو فى مفهومنا : العربية ، مثل تشابه الساميات لانشعابها من نفس ذلك الاصل الواحد ، ولئن كان شبه الآريات بذلك الاصل ابعد من شبه السلميات به فلأن انسلاخ الآريات كان اقدم عهدا ولانها طرات عليها من الهجرات المتوالية فى مختلف الاقاليم شرقا وغربا وتعرضت مـن التقلبات التطورية لما لم تتعرض له اللغات الساميـة التى استقرت كلها فى منطقة الشرق الاوسط ، قريبة من اللغة الام ، وشديدة الاحتكاك بعضها ببعض ، وقليلة الاختلاط نسبيا بلغات غريبـة .

من (الارس) كذلك نشأت (الارض) باعتبارهـا الاساس والاصل ، للنبات على الاخص . ونـرى ان (الارث) ايضا كان يعنـى الارض اول الامـر . الا تصدق ؟ انه ما زال يعنى ذلك بالانكليية : (ارث — earth) : ارض !

وكما صار (الارث) يعنـى تركـة الميت صارت (الاثرة) — بالضم : المكرمة المتوارثة ، ومثلها (المأثرة) وقريب منها (التـراث) .

ومن (الارث) نشأ (**الاثر**) بقية الشيء . ثم صار يدل على المخلفات بوجه عام حتى صرنا نقول مثلا (**آثار الاديب**) ، الذى ما زال حيا ، يرزق او لا يرزق الا قليلا : مصنفاته .

ومن هذا الباب ايضا (**الثرى**) وهو : الارض والتراب الندى ... ومنه صيغ (**التراب**) الذى يسجل له (مجد الدين واللغة) عشرة اوجه منها : التيراب والتوراب والتورب (وكلهن بفتح التاء) والتريب (بفتح التاء والياء) . ولا نعلم هل نشأت (terra) الارض والتراب باللاتينية ، من (الثرى) ام من (التريب) — زنة زينب — أم انها نطقت كذلك قبل مغادرتها المعربة . وهى ما زالت بالايطالية تعنى التراب والارض ، وتنطق بالفرنسية (terre) ، ومنها (territory) بالانكليزية و (territoire) بالفرنسية ، الذى صاروا يعربونه : (التراب الوطنى) والذى نقترح تسميته (**الثرى**) ، والنسبة اليه : (**الثروى**) — زنة البدوى — بدلا من (التراب الوطنى) الذى لا تمكن النسبة اليه ، فضلا عن انه مطول يتألف من كلمتين ... فبدلا من القول (التراب الوطنى الفلسطينى) نقول (الثرى الفلسطينى) — كالذى كنا تطرقنا اليه غير مرتين ، ونعيده هنا توكيدا وتذكيرا واطلاعا لمن لم يكن اطلع .

اما (**الثور**) و (مأثره) الجلى عند الاغريق والرومان فقد بدأ متواضعا كذلك من (الثرى الذى منه نشأ فعل (**ثار**) ، والمصدر (**الثورة**) و (**نثور**): الهيجان والوثب ، واصل المعنى هيجان التراب وارتفاع العجاج . ثم اطلق (**الثور**) على فحل البقر لانه يثور او لانه يثير الثرى عند ثورته ، و (**الثورة**) : انثاه

وهذا ايضا تسرب الى الآريات بصيغة (tauros) فى الاغريقية و (taurus) فى اللاتينية ، وفى كلتيهما يعنى الثور والجبل الذى صار العرب يسمونه (**طوروس**) كالذى كنا ذكرناه فى عدد سابق فى اللسان العربى .. كما ذكرنا طرفا من شائق اخبار الثور والثورة وذريتهما العجيبة من الآلهة والنجوم والاصنام (بعنوان « عشتار » — العدد : 9) .

وتجىء (الثورة) — انثى الثور — فى هاتين اللغتين الآريتين القديمتين بنصها العربى : (taura) : البقرة العقيم . اما نطقها بالتاء بدل الثاء فمعلوم انه عادة نطقية عربية ما زالت قائمة فى بعض الدارجات . لكن الذى يستحق الملاحظة ان الثور والثورة ينطقان فى هاتين اللغتين الآريتين الاوربيتين بفتح اولهما كما فى فصحانا ، اى اصح من نطقنا نحن العرب بها فى عامة دارجاتنا ، بضمة ممالة .

ويبدو انه من اسم (الثور) فى هاتين اللغتين نشأ (tauropolos) : الاسم الاول لارتميس (Artemis)

ويرد من اسم (الثور) فى اللاتينية :

Tauri : قوم من سلالة السيثين (scythian)
Taurini : الثورى ، اى المنسوب الى الثور ، ويطلق كذلك على شعب من السلالة الليغورية (Ligurian)
Taurois : حصن فى (Gallia Norboùnensis)
Tauménium : بلدة على الساحل الشرقى من جزيرة صقلية ، وتدعى اليوم (Taurmina) وقد كنت سمعت بجمال مناظرها فعرجت عليها بالقطار ، قبل عبور مضيق مسينية فى طريقى الى نابولى ، ووجدتها كما سمعت عنها واجمل .

ومن اسم (الثور) فى اللغات الحديثة ولا سيما بنات اللاتينية بقى بالاضافة الى ما تقدم : (toro) فى الايطالية والاسبانية مثلا . ومن ذلك اسم (Torino) الثوير اى الثور الصغير ، وهو اسم المدينة الايطالية المعروفة ، مركز معامل فيات . وربما كان منه اسم بلدة (Toranto) الايطالية كذلك . وهذا ، مع بعض الاسماء المقدسة اللاتينية المشتقة من اسم اللات Latu — بالبابشورية) (من قبيل اسم Lato زوجة جوبيتر ، و (Latium) : اسم المنطقة التى انشئت فيها روما) — يدل على ان للاعربين شأنا كبيرا ما يزال مجهولا فى بناء ايطالية وغيرها من ربوع البحر المتوسط الشمالية سبق عهد الكنعانيين (الفنيقيين) .

من معنى الارض ولزوم المكان قالوا (**ارز**) الرجل الى وطنه : حيثما ذهب يرجع اليه ، وكأنهم قالوا انه قد ارض ... و (ارزت) الحية : لاذت بجحرها ورجعت اليه . وشجرة (آرزة): ثابتة ، وكأنها آرضة . ومن هنا صيغ اسم شجر (**الارز**) المعروف بضخامته وصلابته وتعميره ، واشهر انواعه اللبنانى .

وهنا يذكرنا بنفسه (**الرز**) : الحب الابيض المعروف الذى يطبخ . وقد جاء اسمه على ما يظهر من كون نباته تغرز فى الارض المغمورة بالماء . وقد عرف فى العربية بهذه الاسماء : ارز (aruzz) ، وارز (aruzz) وارز (urz) ،ورز (uruz) ، ورز (uruzz) ورنز (runz) ، وآرز (âruz) ،وارز (aruz) وما كانت بنا حاجة الى آستعراض كل هذا الجيش من الصيغ لولا اننا نريد الرد بها على القائلين ان هذا النبات لم يعرفه العرب وانما منشؤه اواسط آسيا دخل البلاد العربية حديثا نسبيا .. على حين ان جميع هذه الالفاظ جاهلى . وتعدد الصيغ يدل على ان (الرز) كان معروفا فى اماكن كثيرة من المعربة لدى قبائل كثيرة نطقها كل منها بطريقته . ولولا هذا التعدد فى الاماكن والبطون لما كان له هذا التعدد فى الاسماء .

ويذكر الاب روفائيل نخلة (فى : غرائب اللغة العربية) ان (الرز) من الاغريقية (arizo) * وان هذه من الصينية لكن هذا يعنى فى مفهومنا — واستناد الى التأثيل الذى رأينا — أن اثل الكلمة الاغريقية هو هذا الاسم العربى المتنوع ولا سيما ان العرب هم الذين نقلوا الرز الى الاغريق ، لا العكس... اما منذ كان الاغريقى عربيا واما بعد ان تأغرقوا وانسلخوا عن العروبة كغيرهم من الآريين والحاميين والساميين .

ولا نحب الاتجرار الى البحث عنمنشأ زراعة الرز هل هو اواسط آسيا ام غربها عند العرب — وخصوصا فى عهود خصوبة المعربة — لكن الذى نستطيع مناقشته بغير قليل من الثقة هو منشأ اسمه .

وتلفت نظرنا الصيغة النونية نعنى (الرنز) فالظاهر انها هى التى سارت مشرقة حيث ظهرت فى الفارسية القديمة بشكل (virinzi) ومنها نجحت فى الفارسية الحديثة صيغة (**برنج** — birinj) . ومعلوم ان الحرف فى الفارسية الاولى يقابل الواو فى العربية ، كما تقابله الباء فى الثانية . والواو ايضا من العربية فقد نشأت من : ارث وارخ وارض وارق .. صيغ : ورث وورخ وورض وورق ...

اما فى التاملية الهندية فيظهر الرز بدون نون اى : (arizi)

وقد ورد الرز فى اللاتينية بصورة (loryza) ونجده فى اللغات الاوربية الحديثة بصيغ مختلفة متقاربة ، منها بالايطالية (ريزو — rizo) وبالفرنسية (رى — riz) وبالانكليزية (رايس — rice)

وتقترن بهذه المادة بعض التسميات الجغرافية مثل (**ارزنان**) : بلد بأصفهان ، و (**ارزنجان**) : بلد بالروم ، و (**ارزن** — Arzan) : بلدة بأرمينية تعرف بأرزن الروم . وقد تكون هذه التسميات من (الارز) وقد تكون من (الارض) وهو ما نرجحه . وعسى ان يتمهل القارىء الكريم قبل ان يتهمنا بالتمحل والغلو فى الاستنباط ، فأن (**ارزروم**) مثلا كما ينطقها العالمون ما هى (**ارضروم**) فى الخرائط التركية القديمة ، اى (**ارض الروم**) كما نطقها العرب الاوائل الذين اطلقوا هذا الاسم عليها . فكذلك الصيغ السالفة الاخرى ربما كانت عربية اثلا .. واصلا ،ولنتماد قليلا اذن لنقول ان اسم (**اذربيجان**) ايضا ، الذى ينطقه اهله وسواهم (ازربايجان) — ربما كان من هذه الفصيلة .

اما (**الارض**) فهى من اهم بنات هذه الاسرة اللغوية . قلنا ان (الارس) الذى تقدم ذكره نطقوه بالثاء (الارث) وبالضاد (الارض) ، وما زالت الاولى (ارث — earth) تعنى بالانكليزية الارض والتراب . واما (**الارض**) فمن اخبارها انها تظهر فى الجرمانية بصورة (erd) بمعناها ، وبالفارسية بصورة (آرد — àrd) : طحين . ولا عجب فى انتقال معنى الارض الى الطحين الذى كثيرا ما يدعى الغبار او التراب فى مختلف اللغات ومنها مثلا (الغبرة) تطلق بالمغربية على انواع الدقيق والمساحيق منها (الحليب الغبرة): المجفف .

و (erd) الجرمانية تسحبنا الى اسم (الورد) الاسد ، فلم يسموه بهذا لانه (وردى) اللون بل لانه (ارضى) اللون يوم كانت الارض تسمى بالعربية

---

* الصواب :

(اردا) ايضا بشهادة الالمانية . واما (الورد) الزهر فمن معنى الروض وازدهاره بالالوان ، وربما كان اثله اللفظى (الورس) . وبه سمى (الفرس الورد) : الاحمر اللون الى صفرة . ونذكر بالمناسبة أن (الورد) الزهر ينطق بالارمنية باسمه العربى تقريبا : (vart)

وتذكرنا هذه الصيغة الالمانية (erd) كذلك باسماء جغرافية لعلها من هذا الاثل ، اورد القاموس منها (ارد — Ard) : قرية ببوسنج ، و (ارد — urd قرية بفارس ، و (اردستان — urdstan) : بلدة قرب اصفهان . ونضيف الى هذه المجموعة (اردبيل — Ardabil) : بلدة فى شمال ايران . ولعل من هذا الباب ايضا اسم (اردشير) : من ملوك المجوس على تعبير الفيروزابادى — اى الفرس قبل الاسلام .

من معنى الاقامة قالوا (تارض) بالمكان : اقام ، ومن معنى العرق قالوا فسيل (مستأرض) : له عرق فى الارض . و (الارضة) — كالحركة : دويبة يترك دبيبها تحت قشرة الارض ما يشبه الشرايين النافرة فى ظاهر الكف . وقد التقطت عين ابن الرومى هذا التشبيه حين هجا مغنية بقوله :

تضغط الصوت الذى تشدو به
غصة فى حلقها معترضة

فاذا غنت بدا فى جيدها
كل عرق مثل بيت الارضه !

وهو هجو فنى بارع تستحقه الكثيرات من مطربات اليوم . واعنى الغصة المعترضة فما تهمنى فى هذا المقام بيوت الارضة التى تختفى عن ناظرى حين اسمع المغنية المذكورة ومثيلاتها فى المذياع او المشواف .

ومن معانى النبات قالوا (ارض اريضة) : زكية ، و (ارض يأرض) المكان : كثر عشبه وازدهى وحسن فى العين فهو (اريض) . وكان هذا تمهيدا لاشتقاق (الروض) و (الروضة) بمعنى : الارض المخضرة بأنواع النبات . ثم قالوا (اروض) المكان : اكتسى بالنبات وكثرت فيه (الرياض)ومن هنا جاء اسم الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وهو كذلك اسم موضع بين مهرة وحضر موت ، و (رياض الروضة) : موضع بحضر موت ، و (رياض القطا) : موضع آخر .

ونجد فى اللاتينية والاغريقية من مادة (الروض) اسم (Rhoda) : بلدة فى اسبانيا تدعى اليوم (Rosas) . وابدال الدال سينا هنا يؤيد تأثيلهم (rosa) اللاتينية من (rhodon) الاغريقية التى سبق ان اثلناها فى مطلع هذا الحديث من (الروض) ايضا .

وقد وردت لبعض الفاظ هذه القبيلة الغفيرة معان مائية مثل (المراض) : مكان صلب فى اسفل السهل يمسك الماء ، و (الروضة) تعنى بالاضافة الى معناها المعروف : بقية الماء فى الحوض . و (راض) المطر الارض : صيرها كالروض . و (الترعة) التى اثلها التربة او الثرى او غيرهما تعنى : (الروضة) ، ومسيل الماء الى (الروضة) والنهر المصنوع بين نهرين اوبحرين ونجد من (الروضة) بمعناها المائى فى الاغريقية (Rodanos) وفى اللاتينية (Rhodanus) : نهر فى الغال (Gaul) وهو المسمى الآن (الرون — Rhone) . كذلك نجد فى اللاتينية (Rhodius) و (Rhodos) وهما من الاغريقية (Rodos) الجزيرة المعروفة فى البحر المتوسط قرب الشاطىء التركى .

ومن هذه المعانى المائية وامثالها نشأ (الورد) — بالكسر — و (الورود) . و (المورد) : موضع الورود، او الطريق الى الماء .. وذلك من قولهم (وردت) الدابة الماء : خلاف صدرت عنه . وانما قالوا (صدرت) الدابة عن الماء لان الواقف على اليابسة يرى عندئذ صدرها . فأما حين تنزل الى الماء فهو يرى الجزء الخلفى من جسمها ، ومن ثم تخصصت صيغة **(دبرت)** الدابة — التى نشأت من (وردت) — بمعنى اولته (دبرها) الذى صار يعنى مؤخرتها ، ومن هنا قيل امس (الدابر) : المنصرم . ثم صار (الدبر) من كل شىء : عقبه وآخره . وعندئذ نشأ (**التدبر**) و (**التدبير**) من قولهم : تدبر الامر : نظر فى ادباره اى عواقبه وتفكر فيه

ولننتقل الآن الى (**موريطانية**) . لما كان (مورد الدواب موحلا لخروجها مبللة يتقاطر الماء من اجسامها نشأ معنى الوحل فى مادة (**ورط**) حيث قالوا (تورطت) الماشية : وقعت فى موحل . وصارت (الورطة) تعنى الوحل ، والردغة (وهى الطين والوحل الشديد) تقع فيها الغنم فلا تتخلص ، والارض المطمئنة لا طريق فيها ، والبئر ، والهوة الغامضة ، والهلكة ، وكل

ما تعسر النجاة منه . ومما يؤيدنا في ان الاثل هو مورد الماء قول المعجم ان (الموردة) : مأتاة الماء ، والطريق اليه ، والهلكة . فهذه الهلكة هي القاسم المشترك بين الورطة والموردة . ويغلب على ظننا انه كان في العربية صيغة (المورطة) كالموردة ولو انها لا توجد في المعجم لاندثارها . وقد يبدو ان (المورطة) المفترضة هي اثل اسم (**موريطانية**) التي كانت قديما تطلق على المغرب الاقصى والتي نطقها اللاتين (Mauritania) لكن بما انها وردت في الاغريقية بشكل (Maurousia) فيحتمل ان التسمية نجمت عن الورد (الزهر) او الورس ، من قول العرب اورس المكان : صار ذا ورس ، واورس الشجر : اورق .. او من اثل (الروض) في قولهم اروض المكان : اكتسى بالنبات وكثرت فيه الرياض . وهذا اشبه بسخاء الطبيعة وجمالها في المغرب الاقصى . ثم انحدرت التسمية الى القطر الواقع جنوبي المغرب العربي في الوقت الراهن . فان صح هذا التأثيل تكون صيغة (Mauritania) اللاتينية محورة من (Maurusia) اللاتينية ايضا وهي من (Maurousia) الاغريقية .. الا اذا كانت (موروسية) هذه تعني قديما (الموردة) اي مأتاة الماء والطريق اليه ؛ باعتبار المغرب بالنسبة الى القادمين من الشرق آخر اليابسة التي تنتهي بالمحيط الاطلسي . ولا نستبعد هذا النوع من التسمية لان (اليمن) مثلا بذا سميت فيما نرجح من (اليم) اي الماء ايضا ، لانها منتهى البر بالنسبة الى ذوي رحلة الشتاء — الحجازيين .

وقد اطلق الاغريق (Mauros) على الموريطاني او بالاحرى على المغربي ، بل بالاحرى على قاطن الشمال الافريقي الذي نسميه اليوم (المغرب العربي الكبير). وهو (Maurus) باللاتينية و. (Maure) بالفرنسية و (Moor) بالانكليزية . ومنها النسبة اليه : (Mauresque) الذي يعنون به ايضا (Arabesque) اي الزخرف العربي او المغربي .

من هذه الذرية الصالحة نأتي الى (الارق) و (الارف) و (الارك) ...وكلها تنطق همزتها واوا ايضا من (**السورف**) بالمعنى الارضي بقي قولهم (ورف) الارضي توريفا : قسمها تقسيما ، و (ورف) — كوعد — النبات : نضر واهتز واشتدت خضرته فهو (**وارف**)

اما (**الارق**) بمعنى الارض فقد اندثر في العربية وبقي في السريانية (**ارقو** — Arqo): ارض . وبقي في العربية من معانيها الارضية (الرقو) و (الرقوة) — كالصحو والصحوة : ما استدار وارتفع من الرول . ومن معانيها النباتية : (اورق) الشجر : اورس ، اي ظهر ورقه ، و (الوراق) — كالوراء : خضرة الارض من الحشيش .

غير ان (**العراق**) حكايته اطول واكثر تعقيدا .

المعاني الاولية تعود الى الظهور في (**العرق**) — كالحرص : الاصل . و (اعترق) الشجر و (اعرق): امتدت عراقه ، اي عروقه . و (**العريق**) و (**الاعرق**) : ذو العرق والاصل . ومن هذا العريق او الاعرق نجد في الاغريقية (Arcaios) بمعنى القديم او العريق ومنه صيغ (Archaeologp) علم الآثار *

ومن المعاني الارضية ان (العرق) يعني كذلك : الارض الملح لا تنبت ، والجبل لا يرتقى لصعوبته ، والجبل الصغير (صند) ، والماء القليل .. ومنها (**عريق**) — بالتصغير : موضع بين البصرة والبحرين وثمة اسماء اماكن اخرى من هذه المادة فاطلبها عند سليل فيروزاباد .

و (**العراق**) من الدار : فناؤها ، ومن النهر : حاشيته من ادناه الى منتهاه ، او شاطيء البحر على طوله .. ويرى القاموس ان هذه البلاد العراقية سميت «بها لتواشج عراق النخل والشجر فيها »، او لانها على عراق دجلة والفرات اي شاطئهما ، او معربة (ايران شهر) ومعناه كثير النخل والشجر » . وهذا الراي الاخير اغرب بدوات الفيروز ابادي ، فلا « ايران شهر » تشبه اسم « العراق » لفظا ولا هي تعني في الفارسية « كثير النخل والشجر » ! .. لكن يجوز ان

* سبق ان قلنا في حديث سابق ان الكاسعة « -logy. » التي يلحقونها ببعض الاسماء بمعنى العلم اثلها من الاغريقية « logia » الكلام ، وهذه اثلها اثلها العربي « لغة » . كتابنا « مغامرات لغوية » .

تكون التسمية جاءت من عراق دجلة والفرات اى شطئانهما ، مثلما اطلقوا (الجزيرة) على شمال العراق لوقوعه بين هذين النهرين .

و (**العراقان**) : الكوفة والبصرة . واطلق المتاخرون الكلمة على (**عراق العرب**) اى عراقنا الرفداني و (**عراق العجم**) اى المنطقة المسماة (عراق) فى ايران

نأتى الآن الى مادة (**ارك**) ، ولو ان حكاية (العراق) لم تنته بعد . فمن معنى الاصل بقى (الوركان) — بكسر الراء : ما يلى السنخ من الاصل ، و (**المروك**): الاصل . ومن معنى النبات (**الاراك**) وهو (العرق) — كالصدق : شجر من الحمض يستاك به . ومن معنى الارض والاقامة نجد ان (الاراك) كذلك : القطعة من الارض ، وجبل لهذيل ، و (اركت) بالمكان و (وركت) و (توركت) : اقمت . وهنا نشأت (**الاريكة**) : سرير فى حجلة ، او ما يتطأ عليه من سرير ومنصة وفراش ، نظنها اطلقت اول الامر على المنصة او الدكة او نحوها ثم ارتفع شأنها الى مقام السرر فى حجلة . او ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش ، تظنها اطلقت اول الامر على المنصة او الدكة او نحوها ثم ارتفع شأنها الى مقام السرير فى حجلة وهى تعنى اليوم السرير المنجد الذى يتسع لجلوس شخصين فأكثر ، اى الكرسى الموسع.

ويلفت نظرنا بل يبعث دهشتنا اكثار العرب من استعمال هذه المادة فى صياغة الاسماء الجغرافية . من ذلك (**الاراك**) : جبل لهذيل كما تقدم ، و (**ذو ارك**) — بفتحتين : واد باليمامة ، و (**ارك** — Urk) وينطق (**ارك** — Uruk) ايضا : واد . اين ؟ لا ندرى . و (**اريك**) — Arik) : واد آخر ، الله يعلم اين يكون — و (**اريكتان**) — بالتصغير حسب ضبط الاصمعى : جبلان لابى بكر بن كلاب . ثم (**ارك**) — بفتحتين : قرية قرب تدمر ، وهذا يذكرنا باسم (**ارخ**) من نفس الوزن — الذى ورد فى العهد القديم بمعنى (**اروك** — Uruk) : المدينة الاثرية الشهيرة جنوبى العراق ، وهى التى سماها العرب (**الوركاء**) و (**الورفاء**) . ولا ستبعد ان يكون اسم (اروك) الاثرية نفسه مصوغا من العربية ولا سيما ان الصيغة نفسها وردت فى تسمية (وادى ارك) — بضمتين — الآنف ذكره .. كما لا نستبعد ان يكون اسم (**ارك** — Ark) : موضع بسجستان ، ايضا من افراد هذه الطائفة التى اكثر العرب من تسمية الاماكن بها فى شتى الانحاء . ثم نذكر اخيرا (عراق العجم) الذى صاروا يكتبونه فى الخرائط الايرانية الحديثة (اراك) ربما ايحاء بأن هذا الاسم الهمزى الكافى هو اثل تسمية العراق ، فكان ان واجهتهم تسمية عربية اخرى اقدم و (اعرق) من الاولى ، لانه من المحتمل جدا ان يكون اسم (اراك) الايرانى هذا من هذه العشيرة الاعربية.

والذى يجدر ذكره بالمناسبة ان بعض الباحثين يرى ان اسم (العراق) كان قد نشأ اول امره من اسم (اروك) الشومرية تلك او نحوه من الاسماء العراقية القديمة ، ثم عنعنه العرب . ولا نستبعد كذلك ان يكون اسم (اروك) اقدم من الشومريين ، اى من لغة الساميين الاقدمين الذين حلوا المنطقة منذ العهود الحجرية ، فميا نعتقد .

وليس لدينا ما يرجع هذا الراى القائل ان اسم (العراق) منحدر من اسم اروك او يرجح عليه الراى السابق القائل انه من عراق النهرين اى شطيهما المتدين على طولهما . وربما يؤيدهم فى هذا ما رأيناه من هذا الولع العربى فى تسمة الجبال والاماكن من مادة (الارك) . فان صح هذا تكون كلمة (العراق) عندئذ هى التى اكتسبت معنى الشاطىء من اسم بلد النهرين التاريخيين المعروف بخصوبة شطئانهما .

عبد الحق فاضل

الأدبُ العربي المغترب في حالة احتضار

نداء الى الحكومات

الأستاذ إلياس قنصل "الأرجنتين"

لم نعد ننتظر من الادب العربى فى الارجنتين ان يتدفق بروائع تضاف الى دفتر المجد الذى كتبت سطوره الاولى منذ ستين سنة تقريبا ، بل امسى قصارى املنا ان تنبثق من نفسه قوة تمد فى البقية الباقية من حياته التى تتلاشى يوما فيوما .

وهذا الذى نقوله عن ادب الضاد فى هذا المغترب، نعممه على سائر المهاجر الامريكية ونذهب الى ابعد من ذلك ، فنشير الى ان الادب العربى فى الارجنتين سيكون آخر علم ينطوى من اعلام هذه الدولة الفكرية الشامخة التى بناها حملة الاقلام الذين ركبوا البحر الى ارض استهوى الناس ذهبها الوهاج .

ان القصائد العربية التى تسيل بها القرائح فى اميركا — اليوم — هى لمع تظهر دون انتظام وعلى غير ميعاد ثم تختفى وكانت قديما اشعة متواصلة لا ينبتر لها بريق .

وعلى هذا فليس فى مكنتنا ان نحدد اتجاهات الادب الحالى ، او ان نعين معالمه او ان نثمن قيمته شأنه شأن الثمالة فى كأس من شراب متعدد الاصناف متباين الالوان ليس فيه طعم مبين من نوع وان كانت فيه اجزاء راسبة من كل نوع .

لا ننكر ان الادب عامة والشعر خاصة قد انخفض، فى معظم انحاء العالم ، مقامه الرفيع القديم بداعى طغيان المادة على مرافق الحياة بعد ان قلبت الاكتشافات العلمية الاخيرة كثيرا من اوضاع الفكر الانسانى راسا على عقب . وكان من اثر ذلك جماح المذاهب الرعناء — من فلسفية وادبية وخلقية — وانفلاتها من عقال المنطق والعرف .

لا ننكر ذلك ولكن الادب العربى فى المغتربات لم يخب نوره لهذه الاسباب فقد كان تأثيرها عليه طفيفا جدا وثمة اسباب اخرى اثرت عليه ، اهمها فى رأينا :

اولا — جفاف المهاجرة العربية وعدم اغتراب اى اديب ناشىء او ناضج — يمكن اعتباره بعد استقراره ، من ادباء المهجر .

ثانيا — احتجاب رقم كبير من المجلات والجرائد وتضاؤل عدد قراء الصحف الباقية فالذين كانوا يطالعونها من المهاجرين القدامى انتقل اغلبهم الى رحمة الله . ولا ندحة لنا من ربط الصحافة العربية بالادب فهى التى كانت ميدانا — رئيسيا — له تنشر بدائعه وتحيطه بحفاوة هى منتهى التشجيع .

نعم ان الشباب المتحدر من اصل عربى غدا ، بعد ان استقلت الاقطار العربية واصبح لها وزنها فى تعديل المقررات الدولية ، يفاخر بأرومته ويعلن على

رؤوس الاشهاد اعتزازه بانتسابه الى امة الضاد غير ان هذا الشباب لا يفهم باكثريته الساحقة من اللغة العربية الا الكلمات البسيطة المهلهلة . فغيرته — وهو مشكور عليها فى اية حال — لا تفيد فى دعم الادب العربى .

ثالثا انصراف اغلب الادباء الباقين عن الادب العربى واقتصار انتاجهم على قصائد تنظم للمناسبات وتتلى فى الحفلات .

رابعا — لا مبالاة الحكومات العربية بالادباء المغتربين وعدم اكتراثها بالابقاء على هذا النفس العربى فى العالم الجديد .

فان سأل سائل :

— وما تستطيع الحكومات ان تفعل ؟

كان الجواب :

— تستطيع ان تصنع كل شىء : ان هؤلاء الادباء كانت لهم سهمة طيبة فيما وصلت اليه البلدان العربية من تقدم ونجاح وكانوا فى كل وقت بوق العروبة وراء البحار ، فمن النصفة ان ينالوا نصيبا من الجزاء .

فى وسعها ان تدعو الادباء الى زيارة البلدان العربية فان رؤية اوطانهم حرة مستقلة تذكى نيران الحماسة فى قلوبهم وتجدد نشاطهم وتمحو ما اعتور اذهانهم من جمود اشبه ما يكون بالقنوط .

فى وسعها ان تتولى طبع دواوين الشعراء وهى التى تجهد فى طبع منشورات تنطوى على رعاية شاملة توزع فى الشرق والغرب .

فى وسعها ان تفعل ذلك وغير ذلك وهى التى تستفيد اولا وآخرا .

اننا نوجه هذا النداء الى الحكومات العربية — الى وزارات الثقافة والارشاد والاعلام — فلعلها تفعل الآن ما كان من الواجب ان تفعله منذ سنوات فتعيد الى نفوس الادباء الذين لا يبرحون فى المضمار ثقة تؤكد لهم ان جهودهم التى سيفرد لها تاريخ الادب — وهو الحكم العادل — فصلا خاصا ، تجد من اخوانهم المقيمين بعض التقدير وان تضحياتهم فى سبيل الادب والعرب لم تذهب ادراج الرياح .

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

*

البيروني العالم العربي الإسلامي الخالد

الأستاذ صبيح صادق الحكيم
جامعة بغداد

تحتفل الامم عادة بعظمائها وعلمائها وفاء وتقديرا لهم ... ولقد زخرت الامة العربية والاسلامية بالاعداد التي لا تحصى من هؤلاء ... ولعل من ابرزهم العالم الاسلامي البيروني ... الذي تمر ذكراه الالفية هـذا العام ... والبيروني من العبقريات التي ادهشت العلماء والباحثين لذكائه ونبوغه وموسوعيته ...

ولا غرابة ان نرى العديد من الامم والدول تدعى نسبة البيروني اليها ... مثل تركيا والاتحاد السوفياتي وايران بالاضافة الى الامة العربية ... والحقيقـة ان نسب البيروني مجهول كما يعترف هو نفسه بذلك ... ولكن يجب الا ننسى انه قد تثقف بالثقافـة العربيـة الاسلامية وكان مسلما ... والف معظم كتبه باللغـة العربية ... ولهذا فالبيروني يمثل الثقافـة العربيـة الاسلامية قبل كل شيء ... ولكن بالرغم مـن هـذا فالبيروني شخصية عالمية ومن حـق الانسـانيـة ان تفتخر به وتعتز بأمثاله ...

وقد اخذ الاهتمام يـزداد بالبيرونـي في الآونـة الاخيرة ... ففي الاتحاد السوفياتي انشأت جامعة كبرى في طشقند اسمها « جامعة البيروني » ... وفي الولايات المتحدة تهتم الآن جامعة برنستون بتحقيـق ابحـاث البيروني وغيره من العلماء العرب ... وقامت جامعة برلين بدراسة ابحاثه وحققت بعضها ... كما ان جامع لينجراد تقوم بتحقيـق ابحاثـه كذلك ... وفي المتحف الجيولوجي في موسكو نلاحظ تمثالا للبيروني بجانب تماثيل اشهر علماء الجيولوجيا ...

وفي الهند صدر مجلد بعنوان « المجلد التذكـاري للبيروني » باللغات الانجليزية والفرنسية والايطاليـة والاردية ... واصدرت اكاديمية العلوم السوفيتية سنة 1950 مجلدا عن البيروني نشر تحت اشراف المستشرق تولستوف بمناسبة مرور الف سنة هجرية على مولده .. كما وان معهد الدومينيكن للدراسات الشرقية اصدر عددا خاصا عن ابحاثه ونشرها الاب بوالو في مجلة (MIDEO) التي يصدرها المعهد المذكور ...

راى الكتاب والمستشرقين في البيروني :

يقـول المستشـرق ادوار سخـاو E. Sachau الذي درس بعض مؤلفات البيروني وطبعها — « ان البيروني اعظم عقلية عرفها التاريخ » (1) .

ووصفـه المستشرق كارلـو نالينـو Nallino « ان البيروني اكثر الفلكيين ذكـاء واوسعهم علما » وقال عنه المستشرق الايطـالي آلدوميلي Aldomieli « يمثل لنا البيروني عبقرية حقة ونبوغا فذا وهـذان النبوغ والعبقرية مع انهما اليوم مقدران حق قدرهمـا لم ينالا بعد ما يستحقانه من اكبار واعتبار » (2) .

وقال عنه المستشرق الامريكـي جـورج سارتون G. Sarton « كان البيروني باحثا فيلسوفـا رياضيا

---

(1) تراث العرب العلمي : قدري حافظ طوقـان .ص 276 . (القاهرة) .

(2) العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي : آلدوميلي : ص 189 . ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف مرسى (القاهرة — جامعة الدول العربية)

جغرافيا ومن اصحاب الثقافة الواسعة بل من اعظم عظماء الاسلام » (3) .

وذهب الدكتور ماكس مايرهوف Max Meyerhof « ان اسم البيرونى ابرز اسم فى موكب العلماء الكبار واسعى الافق الذيـــن يمتـــاز بهـــم العصر الذهبـــى للاسلام » (4) .

وقال عنه المستشرق ول ديـــورانت W. Durant « يمثل ابو الريحان العالم الاسلامى فى احسن صوره فقـــد كـــان البيرونى فيلسوفا ومـــؤرخا ورحـــالـــة وجغرافيا ولغويا ورياضيا وفلكيا وشاعرا وعالما فى الطبيعيات .. وكان عند المسلمين كما كان (ليبنتـــز) ويوشك ان يكـــون كمـــا كـــان ليوناردو دافنشى عند الغربيين » (5) .

مـــولـــده ... ونسبـــه :

ولد البيرونى فى خوارزم ، فى ذى الحجة سنة 362هـ الموافق لشهر سبتمبر — ايلول — سنة 973 م ..

وهناك خلاف حول مولده فى مدينـــة خـــوارزم ... فذهب ابن ابى اصيبعة فى عيون الانبـــاء .. الى ان البيرونى « منسوب الى بيرون وهى مدينة بالسند » (6)

وقال السمعانى فى الانساب : « هـــذه النسبـــة الى خارج خوارزم فان بها من يكون خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال له : فلان بيرونى هست ويقال بلغتهم انبيذ هست والمشهور بهذه النسبة ابو الريحان المنجم البيرونى » (7) .

وقال ياقوت فى معجم الادباء ان « هذه النسبة معناها البرانى لان بيرون الفارسية معناها برا وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم ان مقامه بخوارزم كان قليلا واهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم كأنه لمـــا طالت غربته عنهم صار غريبا ، وما اظنه يراد بـــه الا انه من اهل الرستاق يعنى انه من برا البلد » (8).

والواقع ان هذه الآراء تفسر كلمة البيرونى ولا تنص على ان البيرونى ولد خارج خوارزم ... اما قول ابن ابى اصيبعة « ... منسوب الى بيرون وهـــى مدينـــة بالسند » فخطأ ولده تصحيف كلمة (نيرون) الواقعة على نهر السند والمسماة نيرون كوت او صيدر اباد التى صحفها ياقوت الى « نيروز » ايضا ... واكبر دليل على ان ابا الريحان ولد فى خوارزم وليس فى خارجها قول البيرونى نفسه : « ... وقت مولدى قد اتفـــق بمدينة خوارزم ... وكانت الولادة يوم الخميس ثالـــث ذى الحجة سنة 362 هـ » (9) .

اما نسب البيرونى الكامل فمجهول ... ولا نعـــرف سوى ان اسمه ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمى البيرونى ... ولكن مما لا شك فيـــه ان لغتـــه كـــانت الخوارزميـــة ...

حيـــاتـــه :

كان البيرونى ذا اهتمام ومتابعة للعلم منذ ســـن مبكرة ... وبقى حتى العشرين فى خوارزم حيث غادرها الى سواحل بحر قزوين ... واشتغل عند آل سامان .،، وتعرف على الشيخ الرئيس ابن سينا ودارت بينهما المناظرات العديدة . وقد لقى البيرونى كل رعاية من الامير نوح بن منصور السامانى ... وبعد سقوط ملك السامانيين اتجه الى امير جرجان شمس المعالى نوح ابن منصور السامانى ... وبعد سقوط ملك السامانيين اتجه الى امير جرجان شمس المعالى قابـــوس بـــن وشمكير الذى سعد بلقائه ... واقام البيرونى عنده .،، والف له كتاب « الآثار الباقية » واهداه اليه ... ولكن الاحوال لم تسر على مـــا يـــرام اذ سقط ملك شمس المعالى ... فغادر البيرونى الى خوارزم .،، حتى استولى عليها السلطان محمود ... وقبض على البيرونى ،،، وكان من المقرر ان يحكم عليه بالاعدام كما حكم على استاذه بذلك ، ولكن لسعة علمه واطلاعه ، وخصوصا فى

---

(3) ابو الريحان البيرونى : على احمد الشحات : ص 288 — دار المعارف . مصر . (1968 م) .
(4) نفس المصدر والصفحة .
(5) قصة الحضارة : ول ديورانت : المجلد الرابع — الجزء الاول . ص 183 ، ترجمة محمد بدران . (الطبعـــة الثـــانيـــة) .
(6) عيون الانباء : ابن ابى اصيبعة . دار الفكر — بيروت . (1377 هـ — 1957 م) .
(7) الانساب ، السمعانى . الجزء الثانى . ص 392
(8) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 ص 308
(9) تحديد نهايات الاماكن — البيرونى . (عـــن المقدمة صفحة هـ) .

مجال الفلك ، عدل السلطان عن رايه واخذه معه ... ودخل بلاد الهند . ومن هنا تبدأ حياة جديدة للبيرونى ، ففى الهند تعلم اللغة السنسكريتية واقتبس من علومها وفى ظل هذا السلطان كتب كتابه عن الهند . وفى سنة 422 هـ توفى السلطان محمود وكان ابو الريحان فى (غــزنــه) .

وفى عصر ابنه محمود الف البيرونى كتابة (القانون المسعودى) واهداه اليه . ثم وضع كتاب الصيدنــة وهو آخر مؤلفاته الكبرى فى عصر مودود الذى خلف مسعود . وفى سنة 440 هـ الموافقة لسنة 1048 م. فى الثالث من رجب (13 ديسمبر ـــ كانون الاول) وافاه الاجل وهو فى غزنة ... وقد احب البيرونى غزنةواعتبرها موطنه وفيها توفرت له كل الامكانيــات العلميــة . وقد جاء فى كتابه تحديد نهايات الاماكن فى معرض سبب تأليف الكتاب : « ... واما بالخصوص فالاجتهاد لمعرفة ذلك بما يمكن فى الوقت لغزنة دار مملكة المشرق فانها للمستأنف ـــ علىالتقدير الانسىوالتقدير كلمة بالحقيقة لله وحده ـــ وطنى وفيها تمكنت من نفسى اداب على ما لا يزول عن خاطرى امره من الرصد والاجتهاد العلمى ولها اصحح القبلة وامرها لا يخفى بـل يعم اهلهـا واياى ويشارك فيه كل مجتاز بها » (10) .

البيرونــى الشــاعــر :

يعتبر البيرونى بالاضافة الى كونه عالما فى العلــوم التطبيقية فهو عالم بالادب واللغــة كـذلك ... ولــه مؤلفات فيها ، ولا غرابة ان نجده يحتل مكانا فى كتاب معجم الادباء لياقوت الحموى (11) فهو العالم الذى اتقن اللغة العربية وآدابها وهو بالاضافة الى هذا كان قد تعلم اللغاتالفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية اما الخوارزمية فهى لغته واما العربية فهى لغته المفضلة والتى اكتسب بواسطتها ثقافة واسعــة والف بها .

وقد وصفه ياقوت : بأنه « كان اديبا اريبا لغويا له تصانيف فى ذلك . » وقال عنه كذلك : « ... وكان رحمه الله مع الفسحة فى التعمير وجلالة الحــال فى عامة الامور مكبا على تحصيــل العلــوم منصبا الى تصنيف الكتب يفتــح ابوابها . » ولــه منهــا كتــاب شرح شعر ابى تمام وكتاب التعليل باصالة الوهم فى معاني نظم اولى الفضل .

اما شعر البيرونى فيتميز بالبساطة والبعد عــن الغريب وبوضوح المعنى ... ولا تخلو قصائده مــن نصح وارشاد وافتخار بالعلم ... وقد طرح فى شعره الكثير من الاغراض الشعرية المعروفة . ففى المــدح يقــول : (12) .

اتــاذنــون لصب فــى زيــارتكــم ... ان كان مجلسكم خلوا من النــاس
فانتم النــاس .لا ابغــى بكم بــدلا ... وانتم الــراس والنــاس بالــراس
وكــدكــم لمــال تنهضــون بهــا ... وغيركــم طاعــم مسترجــع كاسى
لدى المكــايد ان راجت مكــابــده ... ينسى الالــه وليــس الله بالنــاسى

وهو عند ما يمدح لا ينسى نفسه فيفتخر بها ويمدحها كذلك ومن فخره - (13)

مضى اكثــر الايــام فى ظل نعمــة ... على رتب فيهــا علــوت كــراسيا
بجهــد شــاوت الجــالبــين ائمــة ... فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا
فسائل بمقــدارى هنــودا بمشرق ... وبالغــرب من قدتقاس قدر عماسيا
فلم ينثهم عــن شكر جهدى نفاسه ... بل اعترفوا طرا وعافوا انتكاسيــا

ومن شعره فى الحكمة : (14)

ومن حام حول المجد غير مجــاهــد ... تــوى طامما للمكرمــات وكاسيــا
وبات قرير العين فى ظــل راحــة ... ولكنه من حلــة المجــد عــاريــا

وكنتيجة لظهور البيرونى فى القرن الرابع الهجرى، وهو عصر الاهتمام بالزخرفة اللفظية . ولهذا نــرى انه كان مولعا بالجناس . ومنه قوله : (15)

فــلا يغــررك منــى ليــن مــن ... تــراه فــى دوس واقتبــاس
فانــى اسرع الثقليـــن طــر ... الى خــوض الــردى فى وقت باس

وكذلك قــولــه :

تنغصت بالتبــاعــد طيب عيشــى ... فــلا شئ امــر مــن الفــراق
كتــابك اذ هــو الفــرج المرجــى ... اطب لمــا الــم مــن الــف راق

ومما يجدر ذكره هنا هو ان للبيرونى شعــرا يتميز بالالفاظ الفاحشة على سبيل الهزل لا يتناسب ومكانته ولكن البيرونى بين انه كان عفيف القلب منمسكا بالدين وان هذا الشعر يقال على سبيل الرد والنكتة .

البيرونــى المــؤرخ :

والبيرونى بالاضافة الى هذا مؤرخ مــن الطــراز الاول ... ففى بحثه عن تاريخ الهند بلغ القمة فى تصويرها بجميع نواحيها . فهو اولا قد درس السنسكريتية واتقنها ومن ثم درس احوال الهند والف كتابه تحقيق ما للهند

---

(10) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيروني : ص 35 .
(11) راجع معجم الادباء : ياقوت الحموى ج 6 (308 ـــ 314) .
(12) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 . ص 314 .
(13) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 . ص 312 .
(14) نفس المصدر والجزء . ص : 313 .
(15) نفس المصدر والجزء . ص : 313 .

من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة . ويسمى كذلك تاريخ الهند والكتاب واحد وظن خطأ تـدرى حافظ طوقان فى كتابه تراث العرب العلمـى ان الاسمـين كتابان منفصلان ــ وسيأتى بيان ذلك ــ .

وفى مقارنة اللغة العربية باللغة الهندية يقـول : « ... ان القوم يباينوننا بجميع ما يشترك فيـه الامم واولها اللغة ... وان تباينت الامم بمثلها ومتى رامهـا احد لازالة المباينة لم يسـهل ذلك لانها فى ذاتها طويلـة عريضة تشابه العربية وتسمى الشىء الواحـد فيهـا بعده اسلم مقتضبة ومشتقة وبوقوع الاسم الواحد على عـدة مسميـات محـوجـة فى المقاصـد الى زيادة صفات اذ لا يفرق بينها الا ذو الفطنة لموضـع الكلام وقياس المعنى الى الوراء والامام ويفتخـرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقـة عيب فى اللغة » (16) وتظهر براعة ابو الريحان كذلك فى كتابه الآثار الباقية حيث يبحث عن تقـاويم واعيـاد العديد من الامم . وهو موضوعى فى بحثه الى درجـة كبيرة فهو لم يخش انتقاد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى بالاضافة الى انتقاده شخصيات علمية اخرى ..

ومن المؤسف ضياع كثير من مؤلفـات البيرونـى التاريخية خصوصا التى عالج فيهـا تاريـخ الفـرق وتاريخ خوارزم وتاريخ الغزنويـين الاول . ولكـن الملاحظ هو ان هذه المؤلفات اصبحت نادرة الوجـود منذ عهد مبكر . فياقوت وهو الذى كان على علم بكتاب البيرونى فى تاريخ خوارزم لم يكن هذا الكتاب فى متناول يده عند ما دون معجمه الجغرافى .

البيرونى عالم الطبيعيـات :

برز البيرونى فى هذا المجال وبرع فيه براعة ادهشت العديد من الباحثين الذين اختصوا فى هذا المجال ...

فقد كان البيرونى من الـرواد الذيـن اكتشفـوا الجاذبية الارضية وممن قالوا بأن الارض تجذب كل ما عليها نحو مركزها وقد ناقش ما قاله علماء الهند فى حركة الافلاك اتدور الارض حول نفسهـا ام تـدور السماء وكان منهم من اعتـرض على دوران الارض حول نفسها قال « ان الارض لو هكذا دارت اذاً لطارت من فوق سطحها الاحجار واقتلعت الاشجار » (17) فذكرهم البيرونى بأن « هذا لا يقع لانه لا بد لنا مـن ان ندخل فى الحساب ان الارض تجذب كل ما عليها نحو مركزها » (18) وجاء فى كتابه القانون المسعودى « والناس على الارض منتصبو المقامات على استقامة اقطار الكرة وعليها ايضا نزول الاثقال الى السفل» (19)

وقد حاول البيرونى تحديد الوزن النوعى باستعمال جهازه المخروطى الذى يعد اقدم مقياس للكثافة . وهو عبارة عن وعاء مصبه متجه الى اسفل . كان البيرونى يزن المادة التى يريد استخراج وزنها النوعى ثم يدخل هذه المادة فى الجهاز الذى ملىء بالماء فينضح الماء من ثقب خاص فى اعلى الجهاز . فالعلاقة بين ثقل المادة وثقل حجم مساو لها من الماء تحدد الثقـل النوعـى المطلوب . ويذهب . آلدوميلى فى كتابـه : العلم عنـد العرب الى اننا « نستطيع ان نقدر هـذه الدقـة فى طريقة البيرونى ومهارته فى اجراء التجارب اذا لاحظنا انه اعترف بأن النسبـة بين المـاء الحـار والمـاء البارد هى 41677 . و . (ولم يكن ممكنا قياس درجة الحرارة بدقة حينذاك) » (20) .

المـادة	عند البيرونى		الوزن الحديث
	الذهب	الزئبـق	
ذهب	19٫26	19٫05	19٫26
زئبـق	13٫74	(13٫59)	13٫59
نحـاس	8٫92	8٫83	8٫85
صفر (نحاس اصفر)	8٫67	8٫58	نحو 8٫4
حديـد	7٫82	7٫74	7٫79
قصديـر	7٫22	7٫15	7٫29
رصاص	11٫40	11٫29	11٫35
	الزمـرد	الكوارتز	
لازور	3٫91	3٫76	3٫90
ياقوت	3٫75	3٫60	3٫52
زمـرد	(2٫73)	2٫62	2٫73
لـؤلـؤ	(2٫73)	2٫62	2٫75
عقيـق	2٫60	2٫50	
كوارتز	2٫53	2٫58	2٫58

(16) تحقيق ما للهند من مقولة ... ــ ابو الريحان البيرونى : ص : 9 .
(17) بواتق وانابيب ــ قصة الكيمياء : برنارد جاف . ترجمة د . احمد زكى . ص 62 .
(18) نفس المصدر والصفحة .
(19) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى ج 1 . ص 22 .
(20) العلم عند العرب : الدوميلى ص 194 .

وقد قام فيدمان E. Wiedemann بعمل قائمة تبين القيم التى حصل عليها البيرونى والخازن مرفقة بالقاييس الحديثة ... وهى بيانات محسوبة بوضع القيم المشار اليها بين قوسين اما بالذهب او الزئبق واما بالزمرد او البلور الصخرى (الكوارتز) . والعمود الاخير يبين المقاييس الحديثة وهى كما جاءت فى كتاب العلم عند العرب (21) .

وهناك آراء غاية فى الاهمية فى اسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية وفى كتاب الآثار الباقية يناقش بعض الناس حول مياه العيون وصعود مياهها فيثبت لهم ذلك على اساس الاوانى المستطرقة ... فبعد ان يناقش فى هذا الموضوع يقول :

ومثاله الآله التى تسمى سارقة الماء فانك اذا ملأتها ماء ووضعت كلا طرفيها فى آنيتين سطح ما فيهما من الماء سطح واحد فرها من الماء يقف ولو دهرا لا ينصب الى احدى الآنيتين لانها ليست بأولى من الاخرى ... ثم اذا صير احد طرفيها فى موضع اسفل قليلا سال اليه ما فى الآنية الاخرى وذلك انه لما سفل صار اقرب الى المركز فسال اليه ثم اتصل السيلان بتجاذب اجزاء الماء واتصالها الى ان يفنى ما فى الآنية المجذوب ماؤها او يوازى سطح ماء المسيل اليها سطح الماء المجذوب فتؤول المسألة الى الحالة الاولى وعلى هذا المثال عمل فى الجبال ... » (22)

وقد شارك البيرونى ابن الهيثم فى ان شعاع النور يأتى من الجسم المرئى الى العين .

وحول ضوء القمر والشمس ذهب الى ان « القمر شخص كرى الشكل مستحصف الجرم يرى النور الواقع عليه من الشمس كما يرى على الجدار وابعاضه المقابلة للمنير ويستر كل ما مر عليه من شمس او كوكب عن ابصارنا ستر كثيف لا كما تخفى الشمس الكواكب بغلبة الضياء المكثف للابصار وقوته الباهرة بالنهار وفى طرفى الليل ... » (23) .

وقد فهم البيرونى وادرك بوضوح ظاهرة المد والجزر ـ فشرحها وبين كيف تحدث الزيادة والنقص فى هذه الظاهرة بصورة دورية على نهج يساير تغير اوجه القمر . وهو يضيف ان الذين يجاورون مواطن البحر يعرفون هذه الاشياء ولكنهم لم يهتدوا لسببها قال : « . . واما خاصتهم فيعرفونهما فى اليوم بطلوع القمر وغروبه وفى الشهر بزيادة نوره ونقصانه وان لم يهتدوا للعلة الطبيعية . » (24)

فى الجغرافية :

والبيرونى كعالم فى الجغرافية نلاحظ ان له معلومات واسعة وقيمة فى هذا المجال . وخصوصا عن الهند وافريقيا واوربا ...

فقد كانت لديه فكرة عن بحر البلطيق والبحر الابيض الشمالى وعرف الكثير عن سكان شمالى شرقى اوربا خاصة النورمان والاسكندنافيين الذين يدعوهم لا باسمهم المعهود فقط وهو الروسى بل باسم الورنك ايضا . ويورد تفاصيل فريدة عن صناعة السيوف لدى الفرنجة والروس وفيما يتعلق بسيبريا فانه اول من اورد لنا ذكر نهر انغرا Angara والاقوام التى تقطن الى الجنوب من خط الاستواء فهو يذكر ان هناك اصقاعا جنوبية « يكون فيها الوقت شتاز عند ما يكون لدينا صيفا » (25)

وقد توصل بجهده الشخصى على معلومات مهمة عن أفريقيا الجنوبية وموزمبيق (سفالة الزنج) . وتكلم للمرة الاولى على انه ليس ما يمنع عن اتصال المحيط الهندى بالمحيط الاطلنطى جنوب القارة الافريقية وهذا عكس الاعتقاد السائد آنذاك . وقد برهن على ذلك بالعثور على الواح مراكب مخروزة عند جبل طارق ومصدرها هو المحيط الهندى وليس المحيط الاطلنطى اذ ان المراكب فى المحيط الاطلنطى تسمر بالحديد ولا تخاط . يقول البيرونى حول اتصال المحيطين وطبيعة تلك المناطق : ــ « واكثر ما يبلغ سالكو البحر الاعظم من جانب المغرب سفالة الزنج ولا يتجاوزونها وسببه ان هذا البحر طاعن فى البر الشمالى من ناحية المشرق ودخله فى مواضع كثيرة . وكثرت الجزائر فى تلك المواضع وعلى مثله بالتكافى طعن البر فى البحر الجنوبى فى ناحية المغرب وسكنه سودان المغرب وتجاوزوا فيه خط الاستواء الى جانب القمر التى منها منابع النيل ـ فحصل البحر هناك فيما بين جبال وشعاب ذوات

---

(21) نفس المصدر ص 195 .
(22) الآثار الباقية : ابو الريحان البيرونى ص : 262 / 263 .
(23) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى . ج 1 . ص 23 .
(24) تحقيق ما للهند من مقولة ... ابو الريحان البيرونى . ص 253 .
(25) تاريخ الادب الجغرافى العربى : كراتشكوفسكى : ج 1 ــ ص : 250 . ترجمة صلاح الدين عثمان .

مهابط ومصاعد يتردد فيها الماء بالمد والجزر الدائمين ويتلاطم فيحطم السفن ويمنع السلاك . ومع هذا فليس يمنعه عن الاتصال ببحر اوقيانوس من تلك المضايق ومن جهة الجنوب وراء تلك الجبال فقد وجدت علامات اتصالهما وان لم يشاهد . وبذلك صار بر المعمورة وسط ما قد احاط به باتصال ... » (26) .

في الرياضيات :

وفى الرياضيات يبرز اسم البيرونى كرياضى لامع له اليد الطولى فى هذا المجال . فابتدع طريقة فريدة لاستخدام الجداول هى فى الواقع طريقة مبسطة للقانون العام الذى اطلق عليه فيما بعد اسم قانون جريجورى — نيوتن لحساب الاستكمال الذى استنبط بعد وفاة البيرونى بحوالى ستة قرون . كما وانه توصل الى ان مجموع المتوالية الهندسية المتصلة برقعة الشطرنج تساوى : (27) .

615 ، 551 ، 709 ، 073 ، 744 ، 446 ، 18 .

وقام كذلك بتبسيط رسم مساقط الكرة السماوية بطريقة تشبه ما نسب فيما بعد الى نيكولوزى دى باترنو عام 1660 . وقد استعمل البيرونى وبعض معاصريه الرموز (جا = جيب) و (جتا = جيب تمام) و (قا = قاطع) و (قتا = قاطع تمام) و (ظا = الظل) و (ظتا = ظل تمام) . وبحث فى تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية . وقد انصفه (سمث) فى كتابه تاريخ الرياضيات حينما قال : بأن البيرونى « كان المع علماء عصره فى الرياضيات ، وان الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرهم فى العلوم » (28) .

وقال عنه جاك . س . ريسلر : كان عبد الله البيرونى الذى انشأ بحق حساب المثلثات الحديثة ، قد احل محل التحليلات المربعة لزوايا بطليموس التحليلات المثلثة الزوايا . والجيب محل وتر ابرخس وادخل خطوط التماس واسس النسب الحسابية المثلثية الهامة فى الشكل الذى نستخدمها فيه اليوم » (29) .

فى الاقتصاد :

للبيرونى كذلك نظرات صائبة فى الاقتصاد ... وقد قام الدكتور محمد يحيى الهاشمى ببحث حول هذا الموضوع من خلال دراسته لكتاب الجماهر للبيرونى ...

يرى البيرونى ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ... وينبه الى خطر الغلو فى تشريف الذهب والفضة فبرهن ان لا قيمة مطلقة لها بل قيمتهما نسبية اضافية ... وبهذا يأتى البيرونى بنظرية اقتصادية هامة فى عالم الاقتصاد ... وقد اعترف الدكتور كلاوزيفك الذى كان استاذا فى جامعة بون اعترف بالتشابه بين نظرية البيرونى ونظرية اقتصادى حديث يدعى كتاب Knapp الذى يذهب الى ان قيمة الذهب هى ليست فى معدنه بل حسب الاعتبار اى كما يقول البيرونى وضعا لا طبعا (30) . وقد انكر البيرونى كنز الاموال واستدل بالآية القرآنية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » ويفسر البيرونى فى سبيل الله اى فى سبيل انتفاع الناس بترددها فى ايديهم اثمانا لمصالحهم ... ولهذا السبب نفسه يرى البيرونى حكمة تحريم الاوانى الذهبية لانها تصير غير منتفع بها فى الوقت الذى جعلت لاجل تسهيل التبادل ...

فى الفلك :

كان البيرونى فلكيا ممتازا شهد له بذلك كل من قام بدراسته . وكانت مؤلفاته فى هذا العلم مرجعا لنصير الدين الطوسى فى ارصاده بالمراغة ولجمشيد غياث الدين الكاشى فى ارصاده بسمرقند .

وكانت قضية دوران الارض حول محورها مدار جدل بين العلماء يومئذ . فبحثها البيرونى بفهم وادراك وسلم بدوران الارض حول محورها الخاص .

وقد ضبط البيرونى ابعاد خطوط الطول والعرض . وله نظرية فى استخراج محيط الارض وردت فى كتابه الاسطرلاب واستعمل معادلة لحساب نصف قطر الارض ويسميها بعض العلماء قاعدة البيرونى . وكان يعتبر اليونان والهند اصدق سائر الامم عناية بصناعة

---

(27) راجع المقالة الثالثة من القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : تحقيق امام ابراهيم احمد . ص 4 ـ 5
(28) تاريخ العلوم : عبد الحليم منتصر . ص 146 . القاهرة — دار المعارف .
(29) الحضارة العربية : جاك . س . ريسلر ص 175 . ترجمة غنيم عبدون .
(30) نظريات الاقتصاد عند البيرونى . محمد يحيى الهاشمى . مجلة المجمع العلمى العربى . مجلد 15 — الجزء 2 .

النجوم ولكنه يفضل اليونان على الهند (31) . وحاول ان يبتكر الاسطرلاب الاسطوانى نسبه الى مسقطه ويسمى الآن بالاسطرلاب ذى المسقط الجانبى ومساقط دوائر الكرة فى هذا الاسطرلاب مرسومة على هيئة خطوط مستقيمة ودوائر وقطاعات ناقصة (32) .

وبحث كذلك فى الاجهزة واستعمالاتها واخترع جهازا يبين اوقات الصلاة بالاتقان حتى ذهب المؤرخ جورج سارتون G. Sarton الى انه لم يكن كاتبا عظيما طرق موضوع الآلات المستعملة فحسب بل كان مبتكرا للكثير من الآلات ايضا ... » (33) .

مناقشاته وموضوعاته :

كان البيرونى باحثا موضوعيا الى درجة كبيرة ... وقد اعترف بذلك الكثير من الباحثين والمستشرقين الا ان بعض هؤلاء يأخذ عليه ما يسمونه بالتحيز للدولة الساسانية . والبيرونى لا يسلم الى قضية الا بعد التدليل عليها بالبرهان والدليل ... يقول فى صدر كتابه القانون المسعودى : « ان البرهان من القضية قائم مقام الروح من الجسد وبحمله النوعين يحصل العلم بالاستيقان لاقتران الحجة والتبيان كما يقوم بمجموع النفس والبدن شخص الانسان كاملا للعيان والله عز وجل استوفق لما عزمت عليه » (34) .

وقد تنبه البيرونى الى اثر التحيز والهوى فى الآراء التى تبعدها عن الموضوعية والحقيقة ... فيقول فى صدر كتابه الآثار الباقية : « بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لاكثر الخلق والاسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهى كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة واشباه ذلك فان الذى ذكرته اولى سبيل يسلك بأن يؤدى الى حاق المقصود واقوى معين على ازالة ما يشوبه من شوائب الشبه والشكوك وبغير ذلك لا يتأتى لنا نيل المطلوب ولو بعد العناء الشديد والجهد الجهيد . » (35).

وقد دفعته موضوعيته الى ان يناقش وينقد اى رأى يستحق النقد ايا كان صاحبه ... فقد انتقد جالينوس مرة ذلك لتصديقه خبر ملكة الحيات التى اذا رآها او سمع فحيحها امرؤ مات حالا .. يقول البيرونى : « فليت شعرى من اخبر بمكانها او اخبر امرها اذا كان المطلع عليها ميتا ؟ » (36) .

ومما يوضح منهجه هذا ماجاء فى قصة يوردها ثم يرفضها لانه يعتبرها مناقضة للعلم . يقول : « ... بل اعجب من هذا ما حكى الجيهانى فى كتاب المسالك والممالك من امر الاسطوانتين اللتين فى الجامع بقيروان ولا يدرى جوهرهما ما هو فزعم انهما ترشحان ماء كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس وموضع العجب من كونه يوم الجمعة فلو قيل فى الاسبوع مطلقا يحمل على بلوغ القمر موضعا من الشمس مفروضا او ما يشبه ذلك ولكن يوم الجمعة مشترطة لا يحتمل ذلك » (37)

كتب البيرونى :

كتاب الآثار الباقية :

قال عنه المستشرق كراتشكوفسكى : « هو كتاب لا مثيل له فى جميع آداب الشرق الادنى » (38) ووصفه ول ديورانت : « كان اول مؤلفاته الكبرى رسالة علمية فنية عميقة تعرف باسم الآثار الباقية ... والكتاب دراسة نزيهة الى درجة غير مألوفة مبراة الى اقصى حد من الاحقاد الدينية » (39) .

وقد انهى البيرونى تأليف هذا الكتاب سنة 1000 م — 390 هـ . وهو لا يزال فى السابعة والعشرين تقريبا . الفه لشمس المعالى قابوس بن وشمكير . والكتاب يبحث فى التقاويم والاعياد عند الفرس واهل

---

(31) Extraits des principaux Géographes Arabes p. 238

(32) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثانى . مادة اسطرلاب . ص 115 .

(33) ابو الريحان البيرونى : على احمد الشحات . ص 117 .

(34) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : ج 1 . ص 5 .

(35) الآثار الباقية : ابو الريحان البيرونى . ص 4 .

(36) مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . الدكتور فرانتز روزنتال . ترجمة انيس فريحة ص 151

(37) الآثار الباقية : البيرونى . ص 364 .

(38) تاريخ الادب الجغرافى العربى : كراتشكوفسكى : ج 1 . ص 246 .

(39) قصة الحضارة : ول ديورانت . المجلد الرابع : الجزء الاول ص 183 ترجمة محمد بدران (الطبعةالثانية)

الشام واليهود والمسيحيين والصابئة والزرادشتيين والعرب ... وقد اعتمد فى تأليفه لهذا الكتاب على بعض المصادر المفقودة الآن ... وكذلك اعتمد على الرواية المتواترة التى تمتاز بعضها بقيمة نادرة . وفى هذا الكتاب يظهر ميله الى القومية الايرانية ... ووجه لوما الى قتيبة بن مسلم الباهلى .. **ولكنه فى نفس الوقت كان يذهب الى ان اللغة العربية هى اللغة الوحيدة الجديرة بان تكون لغة العلم ..**

وقد نشر الكتاب بالمتن العربى مع مقدمة بالالمانية المستشرق الدكتور ادوار سخاو عام 1878م فى ليبسك Leipzig ثم اعاد نشرها راسوفنز O. Harrassowitz فى ليبسك نفسها سنة 1923 مستعينا بالتصوير الشمسى . وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية فى لندن سنة 1879 كما قام بتحقيقه المستشرق السوفيتى ميكائيل مرسيليه .

كتاب تاريخ الهند :

وصفه روزن Rozen بأنه « اثر فريد فى بابه لا مثيل له فى الادب العلمى القديم والوسيط سواء فى الغرب او الشرق » (40) .

وقال عنه المستشرق الدوميلى ان البيرونى «استطاع بسهولة ان يكتب كتابا جديرا بالاعجاب ... وهو كتاب تاريخ الهند وقد اصبح هذا الكتاب مرجعا اساسيا سواء بالنظر الى التعرف على العلم العربى ام على الهنود كما هو مرجع اساسى فى التاريخ والجغرافية وكل ما يتصل بحياة الشعب الهندى » (41) والكتاب يسمى كذلك : تحقيق ما للهند من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة . وقد ذهب قدرى حافظ طوقان خطأ الى اعتبار العنوانين اسمين لكتابين اى كتاب تحقيق ما للهند وكتاب تاريخ الهند حيث قال فى كتابه تراث العرب العلمى : « كتاب الهند ترجمه ايضا سخاو الى الانكليزية وطبع الاصل فى لندن سنة 1887 م ... وكذلك له كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة » وقد ترجم الى الانكليزية سنة 1887 م » (42) . والحقيقة ان الكتاب واحد ولعل المؤلف الفاضل لم يرجع الى اصل الكتاب ليتحقق من اسمه .

ويقسم البيرونى كتابه هذا الى ثمانين بابا يبحث فيه اصول الهند واعتقادهم بالله والموجودات وحال الارواح والطبقات والرس ونسخ الشرائع وفى ذكر كتبهم فى النحو والشعر وسائر العلوم ومعارفهم وانهارهم وبحرهم وفى الفلك وذكر القرابين والحج والصدقات والمباح والمحضور من الطعام والزواج والدعاوى والعقوبات والكفارات والمواريث والصيام والاعياد والافراح وموازنة آراء العلماء الهنود مع اراء المسلمين واليونان والايرانيين ... الى غيرها من المواضيع .

وقد تحدث البيرونى عن كتابه هذا فقال : « ... ليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه بايراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وانما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه واضيف اليه ما لليونانيين مثله لتعرف المقاربة بينهم فان فلاسفتهم وان تحروا التحقيق فانهم لم يخرجوا فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلتهم ومواضعات ناموسهم ولا اذكر مع كلامهم كلام غيرهم الا ان يكون للصوفية او لاحد اصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم فى الحلول والاتحاد » (43) وقد نشر النص العربى المستشرق الالمانى ادوار سخاو فى لندن عام 1887 م وترجم الى الانكليزية عام 1888 م واعيد طبعه بلندن عام 1910 م .

ولعله من المفيد ذكر ما قاله ناشر هذا الكتاب من ان « البيرونى يعتبر من وجهه نظر تاريخ العلوم اكبر ظاهرة علمية فى الحضارة الاسلامية ذلك لان جميع الكتب التى الفت عن الهند قبل البيرونى تعتبر لعب اطفال بجانب تحقيقات البيرونى العلمية ... » (44) .

كتاب القانون المسعودى :

وهذا الكتاب كما قال عنه المستشرق الدوميلى :

(40) تاريخ الادب العربى الجغرافى : كراتشكوفسكى : ص 266 .
(41) العلم عند العرب : الدوميلى ص 188 .
(42) تراث العرب العلمى : طوقان . ص 282 .
(43) راجع تحقيق ما للهند من مقولة .
(44) استخراج الاوتار : ابو الريحان البيرونى . تحقيق احمد سعيد الدمرداش ص 21 .

« دائرة معارف ذات اهمية حقيقة كما يشتمـل على تجهيزات حقة » (45) .

وقد سمى كتابه هذا بالقانون المسعودى فى الهيئة والنجوم واهداه الى سلطان غزنة مسعود ابن محمود الغزنوى . ويقال انه لما صنف القانـون المسعـودى اجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضى فـرده الى الخزانة بعذر الاستغنـاء عنـه ورفض العـادة فى الاستغنـاء بـه (46) .

ويورد فى هذا الكتاب المعلومات الخاصة بالفلك ... ويبـدو انـه اعتمـد فيـه على كتـاب الخـازن الالآت العجيبة الرصدية (47) .

وتوصل البيرونى الى قوانين الاستكمال فى صورتها المبسطة وهى التى نسبت الى نيوتن وجريجورى من بعده بحتمال عام عند ما وجد ان الفترات المتساوية بين الزوايا لا تقبلها تغيرات متساوية فى الجيوب . وقد اعلن فى مقدمة كتابه خطته فى هذا الكتاب وتبين بوضوح روح البيرونى العلمية فى قوله : « الكتاب من بين الآثار المدونة ابقى على مر الازمنـة واثبت على تبادل الامكنة ولم اسلك فيه مسلك من تقدمنى مـن افاضل المجتهدين فى حملهم من طالع اعمالهم واستعمل زيجاتهم على مطايا الترديد الى قضايا التقليد ... وانما فعلت ما هو واجب على كل انسان ان يعمله فى صناعته من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة وتصحيح خلل عثـر عليه بلا حشمة وخاصة فيمـا يمتنـع ادراك صميم الحقيقة فيه مقادير الحركات وتخليد ما يلـوح فيهـا تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان وقرنت له باب الاستصواب لمـا صبت فيـه او الاصلاح لمـا زلـلـت عنـه او سهوت فى حسابه ... » (48) .

وقد قامت عدة دراسات حول هذا الكتاب فهنـاك دراسات كارل شوى Carl Schoy وكذلك رمزى رايت Ramzy Wright فى دراسته للجانب الفلكى من الكتاب .

كما قام وان فيدمان E. Wiedemann بترجمة الفصلين التاسع والعاشر - (49) وقد طبع كتـاب القانـون المسعودى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيـة بحيدر اباد الذكن بالهندسة 1373 هـ — 1954 م ويقع فى ثلاثة اجزاء . احتل الجزء الاول المقـالات الاربـع الاولى والجزء الثانى من المقالة الخامسة الى الثامنة والجزء الثالث من المقالة التاسعة الى الحادية عشرة ووقع الكتاب فى 1481 صفحة عدا المقدمات الفهارس وقام الدكتور امام ابراهيم احمد بتحقيق المقالة الثالثة من الكتاب . وللكتاب عدد لا بأس به من المخطوطات وهى:

1 — نسخة بالمكتبة الاهلية فى باريس . وقد نسخت عام 501 هـ (1108 م) .

2 — نسخة فى مكتبة الملة فى استنبول . نسخت عام 531 هـ (1136 م) . وهى النسخة المعتمدة فى الكتاب الذى طبـع فى الهنـد وحـاول كراوسـه Krause المستشرق الالمانى استنساخها ولكن وفاته حالت دون اكمـال عملـه .

3 — نسخة فى مكتبة بايزيد فى استنبول كتب قبل عام 536 هـ (1141 م) .

4 — نسخة مكتبـة جامعة (توبنجن) فى برلين بالمانيا وتاريخ نسخها قبل سنة 625 هـ (1166 م) .

5 — نسخة المتحف البريطانى فى لندن . نسخت عام 570 هـ (1174 م) .

6 — نسخة دار الكتب المصرية فى القاهرة وتاريخ كتابتها عام 673 هـ (1274 م) (50) .

7 — نسخة بارلين باكسفورد وهى منسوخة عام 475 هـ (1082 م) وهذه أقدم نسخة واصحها . ولعل ياقوت الحموى كان صادقا حينمـا قـال : « القانـون المسعودى يعفي على اثر كل كتـاب صنف فى تنجيم او حسـاب ... » (51) .

---

(45) العلم عند العرب : الدوميلى ص 189 .
(46) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 : ص 308 .
(47) تاريخ الحضارة الاسلامية : د . ماجد عبد المنعم . (القاهرة — 1963 —) .
(48) القانون المسعودى . ج 1 ص 4 — 5 .
(49) لمعرفة المزيد عن هذه الدراسات راجع : العلم عند العـرب — الدوميلـى ص 193 . وتاريخ الادب الجغرافى العربى — (كراتشكوفسكى) : ص 253 .
(50) قصة هذا المخطوط قصة طريفة ... راجع دائرة المعارف الاسلامية ج 4 ص : 402 .
(51) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 ص 311

كتــاب تحديــد نهــايــات الامــاكــن :

وهذا الكتاب يبحث فى نشأة العلوم وتاريخ خلــق . العالم والكتب السماوية والمسافات والاطوال والعروض ومعرفة ما بين المدن فى الطول وطول المدن وعرضها بالاضافــة الى البحث فى ارصــاد ابرخس وبرونس وبطليموس بالاسكندرية وارصاد الشماسية ببغداد ... وارصاد البتانى وابى الوفاء وغيرهم من العلماء (52).

وفى هذا الكتاب حاول البيرونى من خلال عرضــه للمعلومات العلمية الى محاولة معرفــة سمت القبلــة وتصحيحها ... وقد بين فى عدة مواقف ان تاليفه لهذا الكتاب هو لمعرفة القبلة وتصحيحها بالاضافــة الى المعرفة العامة ... فقد قال فى كتابه هذا : « ... فالاسلام قد عم اكثر الارض وبلغ ملكه اقصى المشارق والمغارب وكل منهم محتاج لاقامة الصــلاة ونشر الدعــوة الى القبلة وما اظننى فيما اعمل من تصحيح ذلك او التطرق الى تصحيحه غير مأجــور فى الاخــرى ولا محمود فى الاولى » (53) .

وقال فى موضع آخر : « هذا الموضع وان كان لما نحن فيه كالغاية التى عندها يقف المجدى فواجب ان نخلص منها الى ثمرة تعم اهل البقعة ... ولتكن الثمرة التى يعم جدواها معرفة سمت القبلة وقد تقدم منهــا ما قرب مأخذه وسهل تناوله ... » (54)

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب محمد بن تاويت الطنجى ونشره فى انقرة بتركيا سنة 1958 م وقد اعتمد على النسخة المحفوظة بمكتبة السلطــان محمــد الفاتــح باسطنبول (تحت رقم 3386) التى تمت كتابتها فى سنة 416 هـ اى فى حياة البيرونى اى قبل وفاته بـــ 26 سنــة .

كما قام المستشرق الروسى الدكتــور بولجــاكوف بتحقيقه كذلك حيث نشره معهد المخطوطات العربيــة بجامعة الدول العربية فى نوفمبر (تشرين الثــانى) عــام 1962 م .

كتــاب الصيــدنــة :

وهو كتاب فى المادة الطبية ... وقد الفــه فى آخــر حيــاته .. وبين فى اول هذا الكتاب ان « الصيدنانى اعرف من الصيدلة والصيدلانى اعرف من الصيدنانى وهو المحترف بجمع الادوية على احمد صورها واختيار الاجود من انواعها مفردة ومركبة على افضل التراكيب التى خلدها له مبرزو اهل الطب وهــذه اولى مراتب صناعــة الطب ... » (55)

وفى هذا الكتاب عبر عن رايه باللغة العربية فقال : «... والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية» (56) وفى هــذا الكتــاب يشير البيرونــى الى الــزئبــق بقولــه « واحجــاره حمر تنشق فى الكــور فيسيل الزئبق منها » (57) . وهذه هى الطريقة التى استخدمها لافوزيه العالم الفرنسى لتحضير الاكسجين اذ يتحول اوكسيد الزئبق الاحمر الى زئبق يسيل كما ذكر البيرونى والغاز المتصاعد عند التجزء هو الاوكسجين ...

وقد نشر ماكس مايرهوف بعد دراسة تفصيلية هذا الكتاب مع ترجمة مقدماته عام 1932 . كما وكان ابو بكر على بن عثمان الكازانى قد نقله الى الفارسية عام 607 هـ الموافق لسنة 1211 م . وهذه النسخة هــى التى كانت معروفة حتى كشف عن نسخة عربية ناقصة فى مكتبة بمدينة بروس Brousse بتركيا وقد ساعد هذا المؤلف فى التعرف على بعض المعانى والمفردات لان البيرونى ذكر اسماءها بالفارسيــة والبلوشيــة والاغريقية والسندية والافغانية والسريانية والهنديــة بلهجاتها المختلفة .

---

(52) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيرونى.
(53) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيرونى . ص 35 .
(54) نفس المصدر ص : 253 .
(55) مجلة سومر (العراقية) ـــ المخطوطات العربية فى المتحف العراقى ببغداد . كوركيس عواد (سنة 1959) المجلد الخامس عشر . ص 138 .
(56) الصردنة : ابو الريحان البيرونى ـــ ص 13 . القاهــرة .
(57) مع البيرونى فى كتاب الصيدنة : للدكتور فاضل الطائى . مجلة المجمع العلمى العراقى . مجلد 18 .

وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب فى المتحف العراقى ببغداد (تحت رقم 1911) . وهى نسخة حديثة الخط .. وعلى هوامشها تعليقات كثيرة بخط مالك النسخة الاسبق انستاس مارى الكرملى . وقد قام المجمع العلمى العراقى بتصويرها .

وقد طبعت خمس فصول منها فى القاهرة ... كما ويقوم حاليا بتحقيق هذا الكتاب وبعض رسائل البيرونى الاخرى فى علم الاتربازين وبعض العلوم الطبية الكيميائى السوفيتى « عبد الله كاديموف » من كلية الدراسات الشرقية بجامعة البيرونى بطشقند .

استخراج الاوتار :

وموضوع الكتاب يبحث فى مسائل ونظريات فى الجبر والهندسة واساس الكتاب مستنبط من دعوة قديمة لارشميدس عن المنكسر المرسوم داخل قوس من الدائرة . وهو فى هذا الكتاب مخطوطتان الاولى موجودة فى مكتبة « خدا بخش بتنة » بحيدر اباد الدكن بالهند والثانية موجودة فى مكتبة « مرادملا » فى استنبول بتركيا . والنسختان مملوءتان بالاخطاء الناتجة من جامع هذه النسخ لانها غير مسلسلة .

وقد قامت دائرة المعارف العثمانية بطبع النسخة التى فى مكتبة خدا بخش بتنة والتى كتبت سنة 631 هـ وكان البيرونى قد انتهى منها سنة 418 هـ . ولكن الكتاب خرج مشوها نأحطت من قيمته العلمية ... وقد قام كذلك المستشرق سوتر Sauter بنشر الكتاب بالالمانية . وقد قام بتحقيق هذا المخطوط الاستاذ احمد سعيد الدمرداش استاذ الكيمياء الصناعية بكلية الفنون التطبيقية . تحقيقا علميا يستحق التقدير والاحترام .

الجماهر فى معرفة الجواهر :

يعد هذا الكتاب من المؤلفات المهمة فى علوم المعادن والبلورات والجيوكيمياء وقد ورد ضمن الكتاب شعر رصين قالته العرب فى وصف المعادن والجوهر والبلورات والاحجار الكريمة والفلزات .. كما ويحتوى على آراء السابقين فى الجواهر والمعادن الثمينة .. وبالاضافة الى هذا فالكتاب يعتبر من كتب الجيوكيمياء المهمة .. وقد نشر فيه ابحاث العلماء الذين سبقوه فى هذا الميدان وبين القوة الشرائية والاقتصادية والتجارية لتلك الاحجار الكريمة والجواهر والفلزات ..

وفى هذا الكتاب ثبت ولاول مرة الوزن النوعى لاكثر الجواهر والفلزات . ومن مزايا الكتاب كذلك انه ذكر اسماء لغوية كثيرة لا وجود لها فى المعاجم واسماء اجنبية فى لغات كثيرة تدل على تعمق البيرونى فى هذه اللغات . وقد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر فى وقته .. وهذه الجملة يصح ان تكون وثيقة تاريخية للرد على من يدعى انه لم يعهد العرب التدوين قبل القرن الثانى للهجرة .. ودل الكتاب كذلك على وجود الكثير من دواوين الشعر فى مدينة غزنة وشرقى خراسان .. (58)

وتوجد من هذا الكتاب ثلاثة نسخ وهى :

1 — نسخة موجودة فى خزانة السيد راشد افندى بالقيصرية . ونسخة فى مصر ، وبها اخطاء كثيرة .

2 — نسخة موجودة فى الاسكوريال بمدريد فى اسبانيا . وقد قامت بعثة معهد المخطوطات العربية بتصويرها حيث تحتفظ الآن بنسخة مصورة منها (59).

3 — نسخة محفوظة فى خزانة طوب خانة بالاستانة وتعتبر اصح النسخ .

وقد قامت جمعية دائرة المعارف العثمانية بنشر هذا الكتاب بحيدر اباد بالهند عام 1355 هـ كما وقام المستشرق الروسى فريتز كرينكو Krenkow بتحقيق الكتاب تحقيقا علميا .

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور المستشرق ادوارد سخاو قد حقق بعض فصوله ونشره فى لندن عام 1878 . كما ان الكتاب طبع طبعة اخرى سنة 1910.

---

(58) مجلة المجمع العلمى العربى . بدمشق . مجلد 17 — ص 161 من تعليق للكاتب محمد كرد على فى عرض الكتاب .

(59) نشرة اخبار التراث العربى : معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية . عدد 17 .

كتبـه الاخـرى :

من كتب البيرونى كذلك كتاب (التفهيم) وقد اصدره البيرونى فى نفس السنة التى الف فيها كتابه (القانون المسعودى) . والكتاب يبحث فى الحساب والهندسة والجبر والعدد ثم هيئة العالم واحكام النجوم وعلى رأى البيرونى « ان الانسان لا يستحق سمة التنجيم الا باستيفاء هذه الفروع من المعرفة » (60) وقد وضعه على طريقة السؤال والجواب اما لغة الكتاب فسهلة وقد وضحه بالشكال والرسوم .

وقد نشره رمزى رايت Ramzy Wright فى لندن سنة 1934 عن مخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى.

وطبع فى الهند كتاب رسائل البيرونى وهى اربع رسائل : الاولى (استخراج الاوتار فى الدائرة) وكان البيرونى قد فرغ من تاليفها سنة 418 . والثانية (افراد المقال فى امر الظلال) وفرغ من تعليقها سنة 631 هـ (فى شهر ذى الحجة بالموصل) والثالثة (تمهيد المستقر المعنى المر) وفرغ منها سنة 631 هـ كذلك والرابعة : (راشيكات الهند) وفرغ من كتابتها سنة 631 هـ بالموصل كذلك (61) .

وهناك كتاب (ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية) طبع فى ايران .. وفى الكتاب جداول فى تاريخ ملوك حمير والغساسنة ال حنيفةوالنبى (ص) والامويين والعباسيين وشهور الفرس واعيادهم (62) .

وطبعت رسالة البيرونى (الابعاد والاجرام) ضمن مجموعة رسائل قامت بطبعها دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند عام 1367 هـ — 1948 م .

ومن مخطوطات البيرونى (استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاسطرلاب) توجد منه نسخة فى مكتبة المجلس النيابى فى طهران . وهى نسخة مكتوبة بقلم نسخى سنة 888 هـ (63) .

ومخطوطة (الاسطرلاب) وتوجد منه نسخة فى خزانة شيخ الاسلام ميرزا فضل الله فى زنجان وقد جرت بين البيرونى والرئيس ابن سينا مراسلاتمحفوظة فى المتحف البريطانى حتى الآن (64) وقد قال ابن ابى اصيبعة عن الرسائل التى اجاب عنها ابن سينا « .. وقد وجدت للشيخ الرئيس اجوبة مسائل سأله عنها ابو الريحان البيرونى وهى تحتوى على امور مفيدة فى الحكمة » (65) هذا بالاضافة الى الكثير من الكتب المخطوطة التى لا تزال محفوظة فى مختلف مكتبات العالم ..

واخيرا فنرجو ان نكون قد اسهمنا ولو بجزء بسيط فى هذه المناسبة .. مناسبة مرور الف عام على ميلاد البيرونى ..

---

(60) تراث العرب العلمى : طوقان ص 278 .
(61) راجع : رسائل البيرونى للعلامة ابى الريحان البيرونى . مطبعةحيدر ابادالدكن — 1367 هـ — 1948م
(62) راجع : ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية : نشر مكتبة الجعفرى التبريزى — طهران — 1969 م .
(63) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق — مجلد 22 — (سنة 1947 م — 1366 هـ) ص 316 . مكتبة المجلس النيابى فى طهران — اسعد طلس
(64) العلم عند العرب — الدوميلى ص 189 .
(65) عيون الانباء : ابن ابى اصيبعة الجزء الثالث . ص 30 .

*

المصادر والمراجع :

1 — الآثار الباقية عن القرون الخالية : ابو الريحان البيرونى . نشر الدكتور سخاو ليبزج 1973 .

2 — الانساب : ابو سعيد السمعانى . الطبعة الاولى طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر اباد الدكن — تصحيح وتعليق عبد الرحمن اليمانى — الجزء الثانى — 1963 م — 1383 هـ .

3 — استخراج الاوتار فى الدائرة بخواص المنحنى فيها : ابو الريحان البيرونى . تحقيق احمد سعيد الدمرداش — المؤسسة المصرية للتاليف والطباعة

4 — بواتق وانابيب (قصة الكيمياء) برنارد جاف . ترجمة الدكتور احمد زكى . طبع مكتبة النهضة المصرية .

5 — البيرونى : على احمد الشحات : دار المعارف بمصر — 1968 م .

6 — تاريخ الادب الجغرافى العربى — كراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . لجنة التاليف والترجمة والنشر . جامعة الدول العربية — 1963 م .

7 — تاريخ الحضارة الاسلامية . الدكتور ماجد عبد المنعم — القاهرة — 1963 م .

8 — تحقيق ما للهند من مقولة فى العقل او مرذولة : ابو الريحان البيرونى . طبع الدكتور ادوار سخاو ليبزج — 1925 م .

9 — تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات الاماكن : ابو الريحان البيرونى — وثقه وتدم له محمد بن تاويت الطنجى — 1962 (انقرة) .

10 — تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك : تدرى حافظ طوقان : مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة — القاهرة — 1954 م — 1374 هـ .

11 — الحضارة العربية : جاك . س . ريسلر ، ترجمة : غنيم عبدون . مراجعة احمد فؤاد الاهوانى . الدار المصرية للتاليف والترجمة .

12 — دائرة المعارف الاسلامية : ابراهيم الشنتناوى وعبد الحميد يونس وابراهيم زكى خورشيد الجزء الثانى والرابع . 1933 م — 1352 هـ .

13 — رسائل البيرونى : ابو الريحان البيرونى : الطبعة الاولى . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية — حيدر اباد الدكن 1948 م — 1367هـ

14 — ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية : ابو الريحان البيرونى . نشر مكتبة الجعفرى التبريزى — طهران — 1969 م .

15 — الصيدنة : ابو الريحان البيرونى . القاهرة .

16 — عيون الانباء فى طبقات الاطباء : ابن ابى اصيبعة. الجزء الثالث — دار الفكر — بيروت — 1957 م — 1377 هـ .

17 — العلم عند العرب : آلدو ميلى — ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى . الطبعة الاولى — دار القلم — مصر . 1962 م — 1381هـ

18 — قصة الحضارة : ول ديورانت : ترجمة محمد بدران . الجزء الاول من المجلد الرابع . الطبعة الثانية — لجنة التاليف والنشر والترجمة .

19 — القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن — الهند — 1954 م — 1373 هـ .

20 — المقالة الثالثة من القانون المسعودى لابى الريحان البيرونى . تحقيق د . امام ابراهيم احمد — القاهرة 1385 هـ — 1960 م — المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

21 — معجم الادباء : ياقوت الحموى : اعتناء د . س. مرجليوث . الطبعة الثانية — 1930 — .

22 — مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى : د. فرانتز روزنتال . ترجمة انيس فريحة . مراجعة د . وليد عرفات . دار الثقافة — بيروت 1961 (منتخبات من آثار الجغرافيين العرب فى القرون الوسطى) .

23 — Extraits des Principaux Géographes du Moyen Age Régis Blanchère et Henri Darmann, Paris 1957.

24 — مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد الثامن عشر مع البيرونى فى كتاب الصيدنة : الدكتور فاضل الطائى — 1389 هـ — 1969 م .

25 — مجلة المجمع العلمى العربى :
— المجلد السابع عشر : باب الكتب : محمد كرد على .
— المجلد الخامس عشر : نظريات الاقتصاد عند البيرونى . الدكتور محمد يحيى الهاشمى .
— المجلد الثانى والعشرين : مكتبة المجلس النيابى فى طهران — اسعد طلس .

26 — مجلة سومر : المجلد الخامس عشر : المخطوطات العربية فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد . كوركيس عواد . 1959 م — بغداد .

27 — نشرة — اخبار التراث العربى — معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية العدد السابع عشر . 1972 م — 1392 هـ .

حـــول كتــــاب :

الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خلدون

تحقيق : عبد العال سالم مكرم أستاذ بجامعة الكويت
تعليق الدكتور عبد المعطي محمد بيومي

اهمية البحث فى القراءات فى هذا العصر :

قد يخيل الى بعض الناس ان البحث فى القراءات السبع شىء لا يلائم هذا العصر المزدحم بالافكار العصرية والصراع بينها ، ولكن هذا التخيل سرعان ما يتبدد اذا تذكرنا ان الصراع بين الاقطار والعقائد انما يذكر على ضرورة الحفاظ على مصادر الافكار وكتب العقائد .

فالشيوعية مثلا تعنى اشد العناية بكتب « كارل ماركس » و « فردريك انجلز » وتنزل كتابى « راس المال » و « المانيفستو الشيوعى » منزلة القداسة ، وهى فى الصين تفعل الشىء نفسه بالنسبة لتعاليم « ماو » حيث تعنى بها وتطبقها طبقات مختلفة وتضفى عليها الشروح والتفسيرات لتكون زادا لهم فى الثورة الثقافية وصراع الايديولوجيات .

واذا كان الامر كذلك فان اولى الناس بالعناية بكتابهم عناية شاملة لكل النواحى انما هم المسلمون الذين ورثوا الوحى من الله زادا لهم فى كل عصر .

هذه ناحية ، ومن ناحية اخرى فان اللقاء الاسلامى الذى بات ضرورة انما يدعو كل مسلم الى العناية بالقرآن الذى هو مجمع هذا اللقاء خاصة العناية بقراءاته المتعددة التى تقرا بها الشعوب الاسلامية .

فمعرفة القراءات والعناية بها اذن :

— لا تخرج عن طابع العصر .

— وهى فى الوقت نفسه وسيلة من وسائل المعرفة والتفاهم بين شعوب الامة الاسلامية الواحدة ولذلك لم يخل عصر من عصور الاسلام من دراسة القراءات والحفاظ عليها وعلى العلوم المتصلة بها .

ومن اهم جوانب البحث فى علم القراءاتهو الاحتجاج للقراءة بموافقتها لقواعد النحو واللسان العربى لان اى قراءة لا تثبت موافقتها لهذا اللسان لا تكون قراءة يعتد بها فضلا عن ان تكون قراءة على الاطلاق .

ولذلك اهتم العلماء ببحث الحجج النحوية للقراءات توثيقا لها .

ومن ابرز الكتب التى عالجت هذا الجانب هو كتاب: « الحجة » لابى على الفارسى ، الذى وضعه شرحا لكتاب « القراءات السبع » لابن مجاهد الذى كان اول من سبع السبعة وكان اليه المرجع فى فن القراءات كما يقول ابن الجزرى .

لكن كتاب ابى على الفارسى جاء — كما قال النقاد — طويلا ومطنبا الى حد ينفر العلماء فضلا عن القراء المتوسطين وقد انتقده تلميذه ابن ضبى حيث قال فى كتابه : « المحتسب » : « فان ابا على رحمه الله عمل

كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفو عنه كثير من العلماء » كما قال « وقد كان شيخنا ابو على عمل كتاب الحجة فاغمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراء واجفاهم عنه ومع هذا الاطناب الذى عابه العلماء فان ابا على كان يعتمد فى اللغة على القياس .

ورغم المختصرات التى وضعت لكتاب « الحجة لابى على الفارسى » فان الحاجة مع ذلك ظلت ماسة الى كتاب جديد للاحتجاج للقراءات احتجاجا يعتمد على :

ــ الاختصــــار

ــ الرواية والسماع فى اللغة .

ومن اجل هذا وضع الامام الحسين بن احمد بــن خالويه (المتوفى بحلب سنة 370 هجرية) كتابه « الحجة فى القراءات السبع » متحاشيا الانتقادات التى اخذت على كتاب الفارسى فأقامه على الايجاز وعلى اخــذ اللغــة مــن السمــاع .

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطا مجهولا حتى سنــة 1371 هـ حتى اخرجه وحققه الاستاذ المحقق الدكتور عبد العال سالم مكرم استاذ النحو العربى المساعــد بجامعة الكويت ثم نشرتــه دار الشروق فى بيروت فى 388 صفحة من القطع الكبير .

والامام ابن خالوية له منزلته المرموقة فى علوم اللغة قالوا عنه «كان اماما واحد افراد الدهر فى كل قسم من اقسام العلم والادب ، وكان اليه الرحلة من الآفاق وكان آل حمدان يكرمونه » .

والدكتور عبد العال سالم من الرجال المثابرين فى جد على الدراسات القرآنية لا ينتهــى الى راى الا بعــد التريث الطويل واستغراق الذهنية فى الاستنتاج كمــا تنبىء ابحاثه ومقالاته .

اما الكتاب فهو طلبة كل طالب فى القراءات وقــد استطاع مؤلفه ان يغنى به طالب الفائدة فى اسرع وقت.

لكن هنا قضية رئيسية وهى : هل هذا الكتاب ــ كتاب الحجة لابن خالويه ــ هو حقا لابن خالويه او ان نسبته الى ابن خالويه فيها مقال ؟

يقول الدكتور المحقق : « ان هناك سحبا من الشك فى نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد فى كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحجة وان ذكــرت ان له كتبا فى القراءات حملت اسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ، وبعد جهد استغرق ما يقرب مــن عامين فى دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفــات ابــن خالويه استطعت ان اصدر حكمى فى ثقة لا تعرف التردد وباعيان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة » .

ويستدل الدكتور المحقق على ثقة فى صحة نسبة هذا الكتاب الى ابنخالوية بعدة ادلةيمكن تركيزهافيما يلى:

1 ــ تلمذة كل من ابى على الفارسى وابن خالويه لابن مجاهد ،واذاكاناحد التلميذينوهو ابو على الفارسى الف شرحا لكتاب استاذه ابن مجاهــد فليس بدعا ان يؤلف التلميذ الآخر ــ ابن خالويــه ــ شرحا لكتــاب استاذه .

وقد ذكر ابن خالويه نفسه ان له كتابا فى القراءات عند تعرضه لقوله تعالى « انعمت عليهم » ــ فى كتابه اعراب ثلاثين سورة ــ وفى كتاب الحجة هذا التعليل الذى اشار اليه ابن خالويه فى كتابه الآخر مما يثبت ان كتاب الحجة هو لابن خالويه وان عدم شهرة هــذا الكتاب يرجع الى ان شهرة الحجة للفارسى قد غطــى عليه او ان الكتاب فى القراءات فاستغنى بذكرها عن ذكر اسم الكتاب بالحجة .

2 ــ ان عدم ورود كتاب الحجة فى الطبقات لا يعنى ان هذا الكتاب ليس لابن خالويه لان لابن خالويه نفسه كتبا نص هو عليها بنفسه وهى موجودة ومع ذلك ليست فى الطبقات .

3 ــ ان كون الكتاب لم يشتهر باسم الحجة لا يقدح فى نسبته الى ابنخالويه لان التسمية من عمل المتأخرين وحتى كتاب الحجة للفارسى لم يقدمه ابو على لعضد الدولة تحت اسم الحجة .

4 ــ التنافس العلمى فى عصر ابن خالويه يفــرض عليه ان يؤلف كتابا فى الاحتجاج للقراءات لان ذلك كان طابع عصرى .

5 ــ من اوضح ادلة التوثيق ان اسلوب الكتــاب ومنهجه يتوافق تماما مع اسلوب ابن خالويه ومنهجه فى كتبــه الاخــرى .

6 ــ ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا اسبق منه زمنا .

7 ــ تقارب بعض النصوص فى مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجة ويقول المحقق « لا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا بأسلوبها وكلماتهــا فى هــذه المؤلفات هى بعينها فى كتاب الحجــة » وفعــلا اورد المحقق ادلة وفقرات من كتب مختلفة لابن خالويه مقارنا بينها وبين كتاب الحجة .

8 ــ ان كتاب الحجة اقدم من حيث النســخ مــن الكتب الاخرى التى وصلت الينا لابن خالويه اذ هــو نسخ سنة 496 هـ بينما كتاب القراءات نسخ سنة 600هـ

الا ان الاستاذ « محمد العابد الفاسى » الاستــاذ بجامعة القرويين فى مقال له بمجلة اللسان العربــى مجلد 8 ص 1 سنة 1390 هـ يناير 1971 صحيفة 521 ــ يشكك فى نسبة الكتاب الى ابن خالويه كما يشكك فى ادلة المدقق على هذه النسبة على النحــو التــالى وحسب الترتيب الذى ذكرته :

1 ــ تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد لا تكفى لاثبــات النسبــة .

2 ــ عدم ورود اسم كتاب اسم الحجة لابن خالويه فى الطبقات « فان كتاب الحجة جدير بأن يذكر فى اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر فى كتب الطبقات ولا ذكر فى باقى كتب ابن خالويه فهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه » .

3 ــ يقول الاستاذ الفاسى ان النسخ العتيقة مــن الحجة لابى على الفارسى مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق فى القدم « الجزء السابع مــن كتاب الحجة لقراء الامصار . الخ » فمن اين الجزم بأن ابــا على الفارسى لم يسم كتابه بالحجة » .

4 ــ ان التنافس العلمى فى عصر ابن خالويه لــو بلغ ما بلغ لا ينتج حتميــة ان يؤلف ابــن خالويــه فى القراءات وقد وقع التنافس فى كثير من الفنون فى عصره ولم يؤلف ابن خالويه فى جميع تلك العلوم .

5 ــ ان الاحتجاج بأن اسلوب ونهج كتاب الحجة لابن خالويه متقارب مع اسلوبه ونهجه فى كتبه الاخرى لا يصح لان اسلوب تلاميذ ابن مجاهد جميعا كانيتوخى الاختصار .

6 ــ ان الاستدلال بالزمن من الاستدلالات الواهية ومتى كان النقل عن اعلام سابقين فى الزمان دليلا على نسبة كتاب شخص معين ما لم تقم ادلة خارجة على تصحيح هذه النسبة .

7 ــ ان المشابهة بين النصوص وتقاربها فى المعنى لا تفيد شيئا فى الواقع لان نصوص ابى على الفارسى نفسها تتقارب مع ما قاله النحويون المعاصرون للفارسى

8 ــ تاريخ النسخ لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة عارية عن اسم الناسخ ولو ذكر لامكن البحث عنه ومعرفة وزنه زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة فى القرن الخامس الهجرى .

وينتهى الاستاذ الفاسى الى انه يميل الى ان هذا الكتاب احد المختصرات التى اختصر بها كتاب الحجة الاصلى قام به عالم مجهول .

وبعد تركيز ادلة المحقق وملاحظات الاستاذ الفاسى عليها على النحو الذى فعلت فلعل القارىء المتحقــق يلقى معى نظرة فاحصة على الادلة والملاحظات معا ، ولا ادعى اننى حكم بين الاستاذين الفاضلين فهما معا اكثر منى فضلا ولكننى هنا متخذ صيغة القارىء الذى يقرأ بعقله ويزن الدليل بالدليل ويتحرى وجه الحــق للحق وحده مع شكرى العميق للمحقق والناقد لاتاحتهما هــذه الفرصــة لى ولخدمتهما الفكر الاسلامى بمثل هذا الحوار الذى اصطنع اسلوب المناقشــة الجــادة الهادئة بعيدا عما يمكن ان يكون منافيا فى امثال هــذه المنــاقشات .

ولى على ما يقول الاستاذ الناقد ملاحظات :

1 ــ صحيح ان تلمذة ابن خالويه لابن مجاهــد لا تكفى وحدها فى اثبات نسبة الحجة الى ابن خالويــه ولكنها يصح ان تكون عاملا مساعدا لا يمكن نفى اثره فى

مثل هذا الجو العلمى استاذ يضع كتابا فى فن واحد تلاميذه يضع شرحا على كتاب استاذه فمن الطبيعى المعتاد حينئذ ان يتجه تلميذ آخر للمناقشة وللادلاء بدلوه فى نفس الموضوع خاصة اذا عيب على كتاب الفارسى بانه طويل معتمد على القياس وجاء كتاب ابن خالويه مختصرا معتمدا على السماع .

2 — عدم ورود اسم الكتاب فى الطبقات او قائمة كتب ابن خالويه ليس دليلا قاطعا على نفى النسبة لان الطبقات والفهارس ليست هى المرجع الوحيد فى هذا الموضوع لان هذه الفهارس سقطت منها كتب كثيرة لمؤلفين كثيرين منهم ابن خالويه نفسه وغيره لان هذه الفهارس لا يمكن ان تحصى جميع ما كتب الكاتبون ولان ما يحصونه ليس معصوما من يد الحادثات وما اكثر ما ضاع من كتب ومخطوطات قد لا يعلم بها احد.

3 — ان الكتابة على احدى النسخ العتيقة للحجة للفارسى لا ينهض دليلا على ان هذا الكتاب كان مسمى بهذا الاسم عند ما ظهر لاول مرة خاصة اذا راعينا قول المحقق ان مؤلفه الفارسى لم يقدمه لعضد الدولة تحت هذا الاسم فربما ظهرت التسمية بعد ظهور الكتاب بمدة.

4 — التنافس العلمى وعدم تأليف ابن خالويه فى بعض الفنون التى راجت فى عصره لا ينفى نسبة الحجة اليه لانه ربما كانت هذه الفنون التى لم يؤلف فيها اقل اهمية من حيث التنافس اما فن القراءات فكان من الفنون المقدمة فى ذلك العصر والتى تقع حتما فى بؤرة التنافس .

5 — قول الاستاذ الفاسى ان اسلوب تلاميذ ابن مجاهد ومنهجهم كان واحدا قول لا يستقيم مع ما ذكره النقاد من ان كتاب الحجة للفارسى مطول يعتمد فيه على اخذ اللغة بالقياس بينما الحجة لابن خالويه مختصر يعتمد على السماع فى اللغة فكيف يكون اسلوب هؤلاء التلاميذ ومنهجهم واحدا ؟

6 — الاستدلال بالزمن من ناحية التحقيق ليس واهيا بل قد يكون قاطعا احيانا فكيف نعتمد نسبة كتاب الى مؤلف مع ان هذا المؤلف يذكر اسم مؤلف آخر لم يكن قد ولد بعد ان مراعاة الزمن فى التحقيق امر بالغ الخطورة بل قد تتوقف عليه صحة التحقيق وعدمها .

7 — ان المشابهة بين النصوص بين مؤلفين لا تصل الى حد استعمال جمل بحذافيرها بنفس الحروف كما يحدث مع مؤلف واحد لكتابين .

8 — كون النسخ عارية عن اسم الناسخ لا ينفى ثبوت النسبة اما كون الخط ليس من الخطوط المتداولة فى القرن الخامس فذلك محل اختلاف وجهات المحققين وعدم اتفاقهم والقطع بأن هذا الخط من خط القرن الخامس او ليس فيه مسألة لا يؤخذ فيها براى واحد ولو كان هذا الكتاب مختصرا لكتاب الفارسى لوردت فيه اشارة ما الى ذلك لكن ذلك لم يحدث .

وقد احس الاستاذ الفاسى ان هذه الملاحظات لا تنفى نسبة الكتاب الى ابن خالويه فقال : « كما لا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ».

من هنا فان العقل يرى ان هذه النسبة صحيحة لشبه الكتاب بكتب ابن خالويه واشتراكه فيها فى جمل بعينها ولتصور الجو العلمى فى القرن الخامس ووضع ابن خالويه العلمى فى هذا العصر .

على ان الذى يقطع هذا الجدل كله حول نسبة الكتاب لابن خالويه ان مقدمة « تاج العروس » تنص صراحة على ان من المراجع التى اعتمد عليها الزبيدى فى كتابه كتاب الحجة لابن خالويه واذا لم يكن كتابنا هذا موضع الحديث فأين كتاب الحجة لابن خالويه ؟ الا يكون ذلك النص قاطعا اقطع من ورود اسم الكتاب فى الطبقات .

ولا يقلل بعد ذلك من اهمية الكتاب العلمية فى حد ذاته وانه سد حاجة المكتبة الاسلامية فى المادة التى الف فيها وقد سبق لآرثر جيفرى ان حقق مقدمتين فى علوم القرآن هما مقدمة ابن عطية ومقدمة ذكر انها لعالم مجهول فجهل المؤلف لا يقلل من قيمة ما الف .

جزى الله ابن خالويه ، والمحقق ، والناقد ، خير الجزاء ، واعان الله كل العاملين فى حقل الفكر الاسلامى على امرهم وسدد خطاهم .

حصر الكتب المؤلفة أو المترجمة في الكيمياء

وردت علينا من الجمعية الكيماوية السورية بدمشق الرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

بالاشارة الى كتابكم رقم 97 تاريخ 8 فبراير 1973 المتعلق بانشاء مؤسسة للترجمة والتعريب لعلوم طب الاسنان ، وبعد عرضه على ادارة الجمعية ومناقشة ما ورد فيه ، وبعد دراسة الموضوع فيما يتعلق بميدان اختصاص جمعيتنا ، رأينا ان الكتب المترجمة الى اللغة العربيـــة تحمـــل فى طياتهـــا الاصطلاحـــات الكيمياوية والهندسية الكيميائية المستعملة فعلا ، كما راينا ضرورة جمع هذه الكتب والتعرف عليها .

لذلك فاننا نقترح البدء باجراء حصر للكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء وتطبيقاتها ، كما نقترح ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها بغية عدم التكرار واذا لم يجد مكتبكم امكان قيامه بهـــذا الدور ، نرجو بيان رأيكم فى الاقتراح ، ودراسة امكان تكليف جمعيتنا او غيرها من الجمعيات بتنفيذ الاقتراح المطلوب ، ونرى فى حال مـــوافقتكم ، ضرورة اعـــلام الجهات العلمية فى الاقطار العربية بهذه المهمة بغية اطلاع الافراد العلميين على وجود هـــذا التنسيـــق المركزى ، للقيام بالكتابـــة الينـــا ، للاعـــلام عـــن التأليف او الترجمة او الاستعـــلام ، وتقبلوا فائـــق الاحتـــرام ›››

ورد المكتب بالرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

جوابا على خطابكم المؤرخ بـــ 27 — 3 — 1973 ، والذى تقترحون فيه علينا — ان كان فى امكاننـــا — القيام بحصر الكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء مع ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها ، وبما ان مكتبنا لا يستطيع — فى الظروف الراهنة — الاضطلاع بهذه المهمة ، فانا نقترح تأييد رأيكم القائل بتكليف لجنة خاصة فى جمعيتكم الموقرة لانجاز هـــذا المشروع المهم وتقديرا منا لكم على هذه البادرة الطيبة، ورغبة منا فى تعميم الفكرة فاننا سننشرها فى « اللسان العربى » ليطلع عليها العلماء والجمعيات العلمية فى جميع الاقطار العربية .

وتفضلوا بقبول اصدق عبارات التقدير والاحترام .

العربية في الكتب العبرية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نشر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى كتابه : « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » فصلا حول العامل الاجنبى فى تطور الفكر واللغة جاء فيه :

نبغ كثير من اليهود بالاندلس والمغرب كان لهم الفضل فى بعث اللسان العربى والدراسة التلمودية ودعم الحركة العلمية من خلال اللغة العربية فقد ظهر حوالى 960 م عالم يهودى اندلسى هو مناحم بن سروق حاول ، فى معجم شهير معروف باسم «محبرت» الاعتناء بلغة العهد القديم فتصدى الحبر الفاسى دونش ابن لبرات للدعوة الى فكرة جريئة هى وجوب العناية بالعربية والاستعانة بها فى فهم مصطلحات « العهد القديم » وضرب لذلك مثلا بنحو مائتى كلمة عبرية ما كان لاحبار التلمود ان يستكنهوا معانيها لولا رجوعهم الى اللغة العربية . وقد حدث منذ هذا العصر بفاس صراع بين انصار التعريب وخصومه (اى انصار تعريب العبرية) حيث نجد ابا زكرياء يحى بن داود حيوج الفاسى يرحل الى قرطبة اوائل القرن الحادى عشر الميلادى للاقتباس من آراء مناحم المذكور، وقد تزعم الحركة الهادفة الى احياء التراث العبرى فكان بحق المؤسس الاول لعلم « فقه اللغة العبرية » وقد استطاع بفضل ضلاعته فى اللغة العربية تركيز قواعد العبرية التى استكمل نقصها بالمصطلحات العربية ابو الوليد مروان بن جناح القرطبى المولود فى النصف الاول من القرن الحادى عشر والذى الف كتاب « التقريب والتسهيل » كما عالج القواعد العبرية فى كتابه « اللمح » واعتمد فى « كتاب الاصول » مؤلفات عربية كخصائص ابن جنى فى فلسفة اصول الكلمات وتخريجها التخريج اللغوى السليم .

وقد حث يهوذا بن قريش صاحب كتاب « فقه اللغة المقارن » يهود الشمال الافريقى على وجوب المزيد من العناية بالعربية تعزيزا لفهم اسرار العبرية والعهد القديم ووضع قاموسا عبريا لم يصلنا ، بينما وضع معاصره داود بن ابراهيم الفاسى قاموسا سماه « اجرون » يحمل نفس الاسم ويتسم بنفس القيمة

مع شرح بالعربية للالفاظ العبرية وكان يهوذا بن قريش يستشهد فى مؤلفاته بالشعر العربى (1) كما سار ابن جناح وخلفه فى تصانيفهم على منوال اللغويين والنحاة العرب وقلد الحريزى مقامات الحريرى فأدخل فى الادب العبرى فنا جديدا لم يكن لليهود به عهد ، وكذلك الامثال العربية ، وقد ترجمت اسرة تبون الى العبرى عديدا من الكتب العربية فى الفلسفة والطب والرياضيات والقصص الشعبى ، اما اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسى ، (الذى ولد عام 404 هـ (1013 م) فى قلعة ابن احمد قرب فاس وتوفى بالوسينة بالاندلس عام 497 هـ (1103 م) فله شرح على التلمود فى عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من اهم كتب التشريع التلمودى وله ايضا ثلاثمائة وعشرون فتوى محرره كلها بالعربية وقد اسس بالوسينة قرب غرناطة عام 1089 م معهدا للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات .

وقد توافد على المغرب من الاندلس يهود كثيرون فرارا من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية والتحق بهم يهود آخرون طردوا من ايطاليا عام 1242 ومن انجلترا عام 1290 م ومن هولندا عام 1350 م ومن جنوب فرنسا عام 1395 م بالاضافة الى من هاجر منهم بعد النفى العام حيث انتقلت الى المغرب فلول اخرى من فرنسا وانجلترا عام 1403 م ومن اسبانيا عام 1492 ومن البرتغال عام 1496 م فانتشرت جاليات يهودية فى السهول والجبال والصحراء المغربية واستقرت عائلات اندلسية بكاملها فى ناحية دبدو (جنوبى غرب وجدة) واتسع فى فاس نطاق البيع والمدارس التلمودية وقد ظل يهود المغرب يدرسون العربية ويكتبون بها على غرار يهود الاندلس حيث انتهى يهودا بن نيسيم ابن مالكا الفيلسوف المغربى بالعربية عام 1365 م من تاليف كتابه « انس الغريب » (2) وكذلك شيخ التعاليم بفاس خلوف المغيلى الذى نزل عنده ابو عبد الله الابلى العبدرى شيخ ابن خلدون قبل ان يرتحل الى ابن البناء بمراكش (3) .

(1) «محاضرات من الادب العبرى» للدكتور فؤاد حسين على ــ طبعة الجامعة العربية 1963 ص 147 .
(2) 458 ــ 402 ــ 1952 . (HESPERIS) وعام 1365 م (Pahas Fes
(4) طبقات الشعرانى ج 2 ص 215 ؛

فقيد اللغة العربية

طه حسين

في ذمة الله

الدكتور المرحوم طه حسين ظاهرة فكرية تميز بها عصره الادبى فهو اول من دعا الى الشك البناء ليصل الى اليقين الوضاء ، ولقد بقى امينا للفكر الحر طوال عمره لم يحد عنه قيد شعره . بدأ حياته كسائر اقرانه من صبيان القرى المصابين بعاهة العمى ، فى حفظ القرآن الكريم ليكون — على حد ما رسم له اهله — فقيها يرتل القرآن فى الجنائز ويكافح من اجل لقمة العيش فى هذا الطريق الضيق الذى حتمه عليه قدره ، غير ان حيوية طه حسين وطموحه رفعته من الغضارة الى الوزارة ومن فلاح فقير الى مفكر كبير . ومن انسان مجهول الى اديب تطنطن باسمه البلاد شرقا وغربا ، وتجاوز صيته جدار اللغة العربية فعرف فى كثير من اللغات التى ترجمت كتبه اليها كالفرنسية والانكليزية والروسية والاسبانية وسواها .

درس فى الازهر ثم دخل الجامعة المصرية القديمة وتخرج منها وهو يحمل شهادة الدكتوراه فى الادب (كان موضوعه فيها عن ابى العلاء) وابتعث الى فرنسا فحصل منها على دكتوراه اخرى (كان موضوعه فيها عن ابن خلدون) وعاد فمشى فى طريق الوظائف وارتقى فى الجامعة درجة درجة حتى نال منصب عميد فى كلية الآداب وتقدم به طموحه حتى تسلم منصب مستشار فى وزارة المعارف ثم اصبح وزيرا لها ، والواقع ان المستشار هو الوزير الفعلى لانه المخطط الفنى للوزارة وللتعليم فى البلاد والوزير هو الآمر بالتنفيذ والموقع على الاوراق وحسب ، وقد استطاع طه حسين فى جميع مناصبه ان يثبت دعائم التفكير المتحرر من ضغط التقاليد الموروثة، وقداسة القدم التى تضفى عادة على المفكرين والمؤلفين السابقين .

ولقد آمن طه حسين بنظرية الشك فى الشعر الجاهلى وهى نظرية لم يبتدعها ولكنه تبناها وساعد على اخراجها واذاعتها فى الاوساط الفكرية بكتابه ((فى الشعر الجاهلى)) ولما ثار به المجتمع وسحب كتابه من الاسواق وحول من منصبه — وكان استاذا فى كلية الآداب — الى

موظف فى وزارة التربية وهاجمتــه الصحف واعضاء البرلمان وبعض الوزراء ...... نعم بعد هــذه الضجة عدل كتابه بعض التعديل وسماه ((فى الادب الجاهلى)) لكنه لم يغير آراءه فيه جذريا . وتوالت مؤلفات طه حسين بعد ذلك فى جميع فروع الثقافة الادبية فانشا الدراسات الادبية والقصة والبحث والمذكرات ، وكانت اعظم كتبه على ما يقول البعض ((على هامش السيرة)) ((والايام)). واطلق عليه لقب ((عميد الادب العربــى)) وانتخب رئيسا لمجمع اللغة العربيــة فى القاهرة وطالت مدته فيه وبقى الرئيس الفخرى له حتى وافاه الاجل فى اواسط اكتوبر 1973 ، واثر طه حسين فى جيله بارز جدا يظهر فى هذه الكثرة الكاثرة من الادباء صغارا وكبارا ممن تاثر بآرائــه وسار على طريقه فى الشك الديكارتى وفى منهج البحث الادبى ......

ثم فى هذه الكتب المتعددة التى كتبت عنه وضده ، وفى الكتب التى شارك فى وضعها وتنسيقها ، وفى مقدمات الكتب التى انشاها كبار المؤلفين ، وفى المقالات المتعددة التى كان ينشرها فى الصحف ، وفى المحاضرات التى القاهــا ، وفى النــدوات المجمعية والمستشرقية التى شارك فيها ، ثم فى هذه الدفقات من خريجى الجامعات المصرية وكان له الفضل فى اشاعة التعليم المجانى بدءا مــن مدارس الحضانة حتى الجامعة ، واغلب الظن ان طه حسين سيخلد خلودا طويلا وسيبقى اسمه شائعا فى التاريخ الادبى والفكرى الى جانب الكبار امثال المتنبى والجاحظ وابى العلاء ، رحمه الله تعالى كفاء جهاده فى خدمة الفكر الادبى المتحرر واوسع له من مغفرته ما يشاء .

ممدوح حقى

نعي المغفور له كمال إبراهيم

تلقينا من المجمع العلمى العراقى الرسالة التالية ينعى فيها الاستاذ المرحوم كمال ابراهيم عضو المجمع ، وافاه الاجل وهو يقوم بواجبـه العلمى ، ونحن بدورنا نقدم احـر التعـازى للعلماء العرب وللمجمع العلمى ولاسرته بفقد الرجل العامل الذى كان مثالا للنشاط والاخلاص لواجبه العلمى ووطنه وللغته وقومه رحمه الله رحمة واسعة وعوضه الجنة وصبر نفـوس محبيه واخوانه والمعجبين بشخصيته وعلمه وادبه واخلاصه .

اسرة مجلة اللسان العربى

نعى المغفور له الاستاذ كمال ابراهيم
عضو المجمع العلمى العراقى

ينعى المجمع العلمى العراقى عضوه العـامل الاستاذ كمال ابراهيم . فقد وافاه الاجل اثر مناقشة احدى رسائل الماجستير فى كليـة الآداب جامعة بغداد فى الساعة الثانية عشرة مـن يوم الخميس 20 جمادى الاولى سنة 1393 الموافق للواحد والعشرين من حزيران 1973 .

كان رحمه الله فى طليعة اساتذة العربية بجامعة بغداد . وعلما من اعلام دراساتها فى العالم العربى . ربى اجيالا هم الآن عمد الجامعات العراقية . ونشر بحوثا فى اللغة والنحو ، كان لهـا الاثر البالغ . فى تقويم الدراسات المحدثة .

والمجمع اذ ينعاه الى المجامع العربية والى جامعاتها يساله تعالى ان يتغمد الفقيه برحمته . ويعوض الامة عن فقده .

الدكتور عبد الرزاق محى الدين
رئيس المجمع العلمى العراقى

الأستاذ كمال إبراهيم في سطور

للدكتور عبد الرزّاق محي الدّين
رئيس المجمع العلمي العراقي

نكتب هذه الكلمة ولنا من بواعث الكتابة عدة اسباب : الصحبة الوثيقة الممتدة من عهد الشباب الى يوم فارق الفقيد دنياه ، والمعرفة المستوفية — والمعرفة ثمة — يمدها روافد من سماع وقراءة وحوار ومناقشة لجملة ما قرأنا وسمعنا وكان لنا رأى فيه او تعقيب عليه ثم وحدة البدايات العلمية منهجا ومدرسة ، ووحدة العمل ومواطنه كلية فجامعة فمجمعا .

وهناك ما لعله اهم من تلكم الاسباب ، واحراها بالاعتبار هو ان قدرا ملحوظا من وحدة المزاج وتلاقى الخلائق (فيما احسب) كان يوصل بيننا ويقارب ، ويجعل من كل منا صديقا اثيرا بالحب وبالرعاية .

ولقد اصاب العلاقة بينى وبينه بعض الوهن وذلك حين ساد العلاقات الاجتماعية فى العراق بعض التشنج — خلال الستينات فالسبعينات — الا ان صادق ما بيننا من علاقة نفسية تدارك ما يمكن ان يقوم من قطيعة .

بعض الاسباب يفرض على ان اشجى لفقده ، وان استشعر الرزية بالغة ، والخسارة فادحة .

وبعضها يفرض على ان اقول كلمة فيما اقدر للنقيد من مقام علمى ومنزلة ثقافية . وهذه هى الكلمة :

لقد اخذ الطالب كمال ابراهيم من وسائل المعرفة باللغة وآدابها اوفر قدر اخذ طالب منها فى مثل اختصاصه ، واعطى الاستاذ كمال ابراهيم اوفر قدر اعطاه استاذ فى مثل اختصاصه .

نشأ فى الاعظمية من بغداد ، وهى فى اسلم تقدير من اكثر مواطن العراق احتواء للشخصيات المعناة

بشؤون العربية والدين الاسلامى ، ودرس بعض الكتب فى مدرسة الامام ابى حنيفة ، وهى مدرسة تؤهل تاهيلا حسنا لتلقى دروس عالية فى العربية وفى التشريع الاسلامى ، ثم التحق بجامعة آل البيت — وكانت كلية او معهدا نفر اليه الشبان المهيئون لتلقى دراسة عالية من مختلف جوامع العراق ومدارسه الدينية .

ومع ان مستويات طلابها واساتذتها متفاوتة تفاوتا كليا الا ان المتازين من الطلاب والاساتذة كانوا لا يقلون فضلا وتأهلا عن خيرة طلاب الكليات المماثلة واساتذتها .

وكان كمال ابراهيم من خيرة الطلاب الذين تخرجوا بها .

وحين رأت وزارة التربية — المعارف آنذاك — حسن تأهله حاولت ان يستكمل وسيلته الثقافية فانتدبته الى مصر ضمن بعثتها والتحق بكلية دار العلوم العليا .

وكلية دار العلوم كانت ولعلها حتى الآن — غاية الغايات فى تعلم العربية ، وكان تخرج كمال ابراهيم بدرجة مشرفة (جيد جدا) عام 1932 .

ذلك مورد ثقافته ، تعاونت على غزارته ونقائه ، بيئة خالصة للعربية والدين ومدارس متخصصة بالعربية وبالدين ، واستعداد شخصى اتجه من صباه الباكر الى التمرس بالعربية ، ودراسة اصولها .

اما عطاؤه فكان سخيا ، زكاه كثرة الانفاق ، وانماه موالاة البذل ، ومن خلال عملية تفاعل بين اخذه وعطائه عاد « كمال ابراهيم » طاقة تدير جملة اعمال فى الجامعة وفى المجتمع وفى الاوساط الثقافية على وجه العموم .

وحين احاول ان اضع الرجل فى مكانه من جيله وامته فأنا اجده فى الصفوف المتقدمة من علماء العربية لهذا العصر ، وفى الرعيل الاول من اساتذة العربية ، وفى القلة النادرة المتميزة من ابنائها فى العراق .

لقد زان علمه وجلاه ما تحلى به من خلق رضى ، وطبع هادىء وزهد فى البروز الى المجتمعات . ولقد كان الى الصمت اميل منه الى الكلام وقلما سمعته يجادل فى قضية ، فان كانت له وجهة نظر لا بد من عرضها اكتفى بطرح الحجة ، فان لم يبلغ اقتناعا اعرض ونأى بجانبه فى طمأنينة العالم .

وكان دءوبا على العمل تدريسا وبحثا وتأليفا ، بحيث لا نعرف له يوما يؤثر فيه الراحة او يخلد فيه الى سكون — حتى ادى به العمل الى رهق لازمه فى العشرة الاخيرة من عمره ، ومع ذلك ظل يواصل الجهد ولم يصغ لنصح طبيب او مجرب . وكانت السنة الاخيرة من احفل سنيه بالعمل ، شارك فى عدة لجان فى المجتمع ، واشرف على عدة رسائل فى الجامعة وشارك فى تحرير عدة موسوعات .

ولم يلق القلم من يده الا صريعا فى ساحة الجامعة، وفى حومة العلم . تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته .

الاستاذ كمال ابراهيم فى سطور

دراسته : — تخرج فى جامعة آل البيت سنة 1928 ثم فى كلية دار العلوم بالقاهرة عام 1932 .

التدريس : — زاول التدريس منذ عام 1932 فى دار المعلمين الابتدائية والثانوية المركزية وكلية الامام الاعظم (الشريعة) .. ثم عين مدرسا فى دار المعلمين العالية وكلية الملكة عالية سنة 1946 فأستاذا مساعدا فأستاذا عام 1952 . وقام بالتدريس فى قسم الماجستير للغة العربية منذ سنة 1962 وحاضر فى كليات التربية والبنات والآداب والشريعة واصول الدين .

المناصب الادارية : — عين نائبا لعميد كلية التربية فعميدا لكلية التربية وانتخب رئيسا لقسم اللغة العربية فى كلية التربية واختير رئيسا للدائرة العلمية للغة العربية بالجامعة ثم عين رئيسا لقسم الماجستير وعضوا فى اللجنة المشرفة عليه . انتخب رئيسا للتحرير وللجنة الاشراف على اصدار مجلة (الاستاذ) التى تصدرها كلية التربية لمدة (7) سنوات .

النشاط العلمى : — اختير عضوا فى اللجنة التحضيرية لمهرجان ابن سينا الذى اقامته الجامعة العربية فى بغداد عام 1952 وشارك فى المؤتمر بالقاء بحث فى (التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة)

ونوقش من قبل المؤتمرين والمستشرقين . وعين عضوا في المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب .

عضويته في المجمع العلمي العراقي : — انتخب من قبل مجلس المجمع العلمي العراقي عام 1971 لعضوية المجمع وصدر المرسوم الجمهوري في 10 — 10 — 1971 بتعيينه عضوا عاملا فيه . وفي المجمع اختير لعضوية لجنة العلوم ولجنة الاصول ولجنة احياء التراث ، فشهد منه المجمع وشهدت منه لجانه حرصا على الواجب وقياما مخلصا بأعباء العضوية العاملة .

مؤلفاته وبحوثه المنشورة :

اولا — المؤلفات : — 1 — عمدة الصرف 2 — اغلاط الكتاب 3 — الاساس في تاريخ الادب العربي (ج 2 بالمشاركة) 4 — ديوان الادب (ج 5 بالمشاركة) 5 — تعقيب واستدراكات على ابن جني والعسكري والواحدي وعلى تحقيق الدكتور صفاء خلوصي لشرح ابن جني .

ثانيا — البحوث : — 1 — انحطاط العربية في العراق اسبابه وعلاجه 2 — تحقيق اصول (كليلة ودمنة) ومصادره 3 — سيبويه ومنهجه النحوي 4 — ابو العباس المبرد 5 — الكسائي رئيس مدرسة الكوفة النحوية 6 — واضع النحو الاول واطوار مناهجه في المدرسة البصرية 7 — الثورة في شعر الرصافي 8 — ذكريات وجوانب من شاعرية الزهاوي 9 — التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة (نشر في الكتاب الذهبي للمهرجان الالفي لابن سينا) 10 — مقدمة واستدراكات على كتاب الادب الرفيع للرصافي 11 — قادة الاسلام . هذا الى بحوث اخرى كثيرة منشورة ، في غير النحو والصرف والادب .

*

دراسات معجمية

* المورد : قاموس انكليزى عربى

تـاليـف : للاستـاذ منير البعلبكـى

بقلم : الدكتـور على القـاسمـى

* المـنـجـد

* كلمـات عربيـة فى اللسان الاسبانى

للاستـاذ اليـاس قنصل — الارجنتين

* مصطلحـات الشرطـة

* ملحوظات بشأن معجم المصطلحات المالية

* القاموس العربى الاذربيجانـى

للاستـاذ حسن زوينـة زادة

* توثيق صلة المكتب بمراسليه

نقد الكتب

المورد

قاموس عربي - إنجليزي

تأليف الأستاذ : منير البعلبكي
بقلم الدكتور علي القاسمي

لعل هناك من يقول ان الاوان قد فات على نقد « المورد » لانه مضى على ظهوره بضعة اعوام فقد خرجت طبعته الاولى سنة 1967 . بيد اننا نرى ان من الفروق بين مراجعة الكتب ومراجعة المعاجم هو ان الناقد يستطيع ان يقرأ الكتاب فى جلسة واحدة مثلا ثم يدون ملاحظاته وانطباعاته عنه ، اما ناقد المعجم فلا يستطيع ذلك ، وانما يتأتى حكمه على القاموس من جراء الاستعمال الطويل . علي ان هذا لا ينفى ان علم اللغة الحديث قد توصل الى معالم وخصائص لا مندوحة من توفرها فى المعجم الجيد . اضف الى هذا ان للمعجم القيم طبعات تظهر دوريا تتلافى النقص وتستدرك الخطأ وتزيد ما استجد من المفردات والمعانى ؛ وهذا ما حصل فعلا للمورد اذ صدرت طبعتاه الثانية والثالثة المزيدتان والمنقحتان سنتى 1969 و 1971 على التوالى .

لقد جرت العادة على تعريف المعجم بأنه كتاب يحتوى على كلمات اللغة مرتبة ترتيبا الفبائيا مع معانيها فى تلك اللغة (المعجم الاحادى اللغة) او فى لغة اخرى (المعجم الثنائى اللغة) . ولكن هذا التعريف لم يعد يرضى علماء اللغة المعاصرين الذين صاروا يرون فى المعجم دليلا لنحو اللغة ينتظم مورفيماتها التى ترتب الفبائيا ، وتعرف لغويا ، وتصنف حسب الملامح النحوية والاجتماعية ذات العلاقة .

(1) اصل المقال باللغة الانكليزية ، وقد نشر فى كتاب Papers Presented to A.A. Hill ed. by : Ali Al-kasimi et al. (Austin, 1971) memographed

ولما كان المورد « معجما عصريا » فانى سأتناوله على ضوء ما يتطلبه علم اللغة الحديث فى المعاجم الثنائية اللغة . وستقع ملاحظتى فى ثلاث نواح هى : الغرض ، والمضمون ، والشكل .

الغـــرض :

يتعين على القاموس الثنائى اللغة العام (ونعنـى بالعام القاموس الذى لم يقتصر على علم بعينه او فن بذاته كمعجم الطب ومعجم الموسيقى) ان يخدم جمهورا معينا اولا ، وان يخصص لغاية واحدة ثانيا فالقاموس الانكليزى العربى مثلا يجب ان يهدف اما الى خدمـة جمهور الناطقين بالعربية او الى افادة جمهور الناطقين بالانكليزية ، ولكن لا يمكن الايفاء باحتياجات الجمهورين على الوجه الامثل فى كتاب واحد . ومن ناحية اخرى فان القاموس الانكليزى العربى المخصص للناطقين بالعربية يجب ان يهدف اساسا اما الى فهم اللغة الانكليزية او الى ادائها ، ولكن يصعب جدا الجمع بين الغايتين فى معجم واحد ، اذ ان متطلبات فهم اللغـة الاجنبيـة تختلف عن متطلبات التعبير بها . ولهذا فان علم اللغة الحديث يوصى بوجود اربعة انـواع مـن المعـاجم الانكليزية العربيـة :

المعجم الاول : للعرب لغرض فهم الانكليزية

المعجم الثانى : للعرب لغرض التعبير بالانكليزية

المعجم الثالث : للناطقين بالانكليزية لمساعدتهم على فهم العـربيـة .

المعجم الرابع : للناطقين بالانكليزية لمساعدتهم على التعبير بالعـربيـة .

ويعـزى اخفـاق الكثير من المعاجم المتداولـة الى ازدواجية الغرض ، اذ يحاول مصنف المعجم الجمـع بين اكثر من غرض واحد فى القاموس الواحد ، وقد وقع فى هذا الخطأ حتى مؤلفو معجم لاروس الفرنسى الانكليزى ، ولعل ذلك راجع لاسباب محض تجارية .

لقد اريد للمورد منذ البداية أن يقتصر على مساعدة « المثقف العربى » فى فهم الانكليزية كمـا نص على ذلك فى مقدمته . ولهذا فقد جاءت المقدمة ، والارشادات الخاصة باستعمال القاموس ، والمختصرات المعتمدة فى توضيح المفردات باللغة العربية ، اى لغة الذيـن قصد القاموس الى افادتهم . اما طريقة لفظ الكلمات فقد اقتصرت على المواد لانكليزية وهذا ما يحتاج اليه القارىء العربى ، ولو كان القاموس يعنى بالقارىء الانكليزى مثلا لزوده بطريقة لفظ المواد العربية .

ومن الواضح ايضا ان الغاية التى توخاها المورد هى مساعدة القارىء العـربى على فهـم النصوص الانكليزية لا صياغتها ، ولو قصد الغاية الثانية لكان قاموسا عربيا — انكليزيا ، بمعنى ان العربية تصبح العربية تصبح لغة المتن والانكليزية لغـة الشرح . وهكذا يكون المورد قد تخلص من ازدواجيـة الغرض التى تعانى منها الاغلبية الساحقة من المعاجم الثنائية اللغـة . وعندى ان صاحب المورد رمى الى غايـة رئيسية اخرى لا تقل شأنا عن مساعدة المثقف العربى على فهـم النصـوص الانكليزية الا وهى تـزويـده « بالمقابل العربى لتلك المادة ، او المصطلح العربى لذلك المعنى » ، فى الحقول العلمية والفنية وبالتالى يوفر عليه « عناء الاجتهاد فى وضعه او صوغه على اى وجـه تيسر لـه » .

ب — المضمـون

1 — مـواد المـورد :

ان محتويات المورد تتناسب واهدافـه باعتبـاره معجما عاما ، فقد اشتمل على ما يزيد على سبعين الف مادة وهذا يتفق وما توصل اليه مؤتمر المعجميين الذى انعقد فى جامعة انديانا فى نوفمبر 1960 والذى اوصى بعض اعضائه بما لا يقل عن خمسين الف مـادة فى المعاجم الثنائية اللغة (2) ولقد اشتمل المـورد على مواد من كافة فروع المعرفة الانسانية .

ان مواد المورد ليست استنساخا او نقلا لمواد معجم انكليزى — عربى سابق له . ففى عملية احصائيـة بسيطة قام بها كاتب هذه السطور ، وجد ان المورد والقاموس العصرى لالياس انطون الياس (الذى كان

Fred w. Householder and Sol Saporta (eds) Problems in lixicography (Blooningto, Indiana (2 Univ 1967) p. 280

اكثر المعاجم الانكليزية — العربية انتشارا فى العالم العربى) يتفقان فى 87 و 48 % من موادهما الرئيسية ويختلفان فى 13 و 51 % منها (3) .

2 — اختيار مواد المعجم :

لم يستند اختيار مواد المورد ومعانيها الى جرد شامل لمفردات اللغة او جمع لكافة الشواهد كما جرى العمل به فى معجمى اوكسفورد ووبستر الدولى مثلا . ولم يستند الى استخدام العقل الالكترونى فى حصر المفردات ومعانيها المتباينة كما هو الحال فى معجم التراث الامريكى ، لان هاتين الطريقتين هما فوق طاقة المجهود الفردى ، ووراء الامكانات المادية المتوفرة للناشرين فى البلاد العربية . ان الطريقة التى اعتمدها صاحب المورد فى اختيار مواده تقوم على (أ) اعتماد المعاجم الانكليزية الاحادية اللغة البريطانية منها والامريكية ، وكذلك الاستعانة بالمعاجم الثنائية اللغة المتخصصة كمعجم الحيوان والمعجم الفلكى واضرابهما، (ب) الاستفادة مما تجمع له من مستدركات وملاحظات على المعاجم الانكليزية — العربية التى كان يستخدمها ابان ممارسته الترجمة لفترة تنيف على الثلاثين عاما .

ولم يقتصر اختيار المواد الرئيسية على المفردات بل شمل كافة المورفيمات فى اللغة الانكليزية وهى على ثلاثة انواع :

(ا) المورفيمات المتصلة او ما يطلق عليه اسم « البوادىء » و « اللواحق » التى تطرأ على اوائل الكلمات واواخرها مثل (dis, ly... الخ) .

(ب) الكلمات القائمة بذاتها مثل (boy, happiness الخ) .

(ج) الكلمات المركبة مثل adhesive tape, jack-in-the-pulpit) الخ) .

وخطة العمل هذه تنسجم ونظره علم اللغة الحديث الى ما يجب ان تكون عليه مواد المعجم (4) .

3 — ترتيب المواد :

لقد جاء ترتيب المواد الرئيسية ترتيبا الفبائيا وهذا ما جرى به العمل فى معظم المعاجم الانكليزية الحديثة. ولكن المورد ورث عن هذه المعاجم ايضا طريقتها المضطربة فى ترتيب التعابير الاصطلاحية وهكذا فانك عند ما تبحث عن تعبير At large فانك تجده تحت Large اما اذا كنت تبحث عن (At last) أو (at most) فانك تجدهما تحت At ومثال آخر على هذا الاضطراب هو ادراج تعبير On the contrary تحت On اما On the cheap فقد جاء تحت كلمة Contrary ، وهكذا دواليك . وتكاد تكون طريقة الترتيب هذه اعتباطية اذ لا يستطيع المستغيث بالمورد ان يعرف مسبقا اين سيعثر على التعبير الاصطلاحى الذى يطلبه . واذا كان هناك من يزعم بأن التعبير الاصطلاحى يدرج تحت الجزء الاساسى منه ، فاننا نقول بأنه لا تتوفر الادلة اللغوية التاريخية الشاملة التى تشير الى الجزء الاساسى فى التعبير الاصطلاحى . وحتى اذا توفرت تلك الادلة فلا يشترط فى القارىء ان يكون على علم بها . ولهذا فان الطريقة التى نقترحها هنا هى ايراد التعبير الاصطلاحى تحت الاجزاء المكونة له جميعا ، وهكذا فانك ان طلبت تعبير At most وجدته تحت At وان طلبته تحت Most وجدته ايضا ، وهذا ما يقرنا عليه بقية دارسى علم اللغة (5) ، لما فى ذلك من تيسير لجهد القارىء وتوفير لوقته رغم ما فيه من زيادة فى حجم المعجم يمكن التقليل منها باستخدام الاحالة ما امكن ذلك

4 — تهجئة المواد :

يحصل احيانا ان يكون للكلمة الانكليزية الواحدة اكثر من رسم واحد ، اما نتيجة دخولها الى الانكليزية مرتين من مصدرين مختلفين كاللاتينية والفرنسية مثلا، او ان الرسم الثانى جاء ضمن محاولات اصلاح الخط الانكليزى وتبسيطه . وقد عنى المورد بايراد الرسمين المختلفين للمادة فى سطر واحد اذا كان الفرق طفيفا بين الرسمين مثل : (color or colour)

---

(3) شملت المقارنة الاحصائية جميع المواد الواقعة بين H و (Hair) وكذلك تلك المواد الواقعة بين (Ri) و (Ril) ، فوجد ان هناك 9191 مادة مشتركة بين المعجمين بينما اشتمل المورد على 58 مادة اغفلها العصرى كما اورد العصرى 38 مادة اهملها المورد .

(4) Swanson (1967 : 64-5

(5) Householder 1967 : 279

مبتدئا بالرسم الاقوى او الاكثر شيوعا . اما اذا كان البون شاسعا بين الرسمين فانه يدخلهما فى موضعيهما الطبيعيين فى الترتيب الالفبائى مردفا الرسم الاقل شيوعا باحالة عارضة مثل (Thru: through)

5 ــ الواصلة فى الخط الانكليزى (ــ) :

لا تسمح قواعد الخط العربى بتطبيع الكلمة فى نهاية السطر عند الضرورة خلافا لما هو عليه الامر بالنسبة للانكليزية ، اذ من الممكن تقسيم الكلمة فى نهاية السطر المكتوب او المطبوع وذلك باستعمال واصلة صغيرة (ــ) فى مواضع محددة من الكلمة لا يمكن لدارس الانكليزية الاجنبى ، وحتى الناطقين بالانكليزية احيانا ، التكهن بها لانها لا تتفق دواما مع مواضع تتطيع الكلمة طبقا للفظها . ولهذا فان جل المعاجم الانكليزية يشير الى مواضع تقسيم الكلمة طبقا لتقاليد الخط الانكليزى . الا ان المورد اغفل ذلك (6) ولا تثريب عليه اذ ان غرضه هو مساعدة القارىء العربى على فهم الانكليزية لا التعبير بها كما اسلفنا . اما اذا اريد للمورد ان يكون « معلما للغة الانكليزية يستعين به من شاء الكتابة بهذه اللغة » . فحرى به ان يعنى بهذا المطلب على ضآلته ، ولن يؤدى تحقيق ذلك الى تضخم المعجم . (قارن مثلا بين شكلى مادة color و co. lor حيث تشير النقطة فى الشكل الثانى الى الموضع الذى يمكن عنده تقطيع الكلمة فى نهاية السطر) .

6 ــ طريقة اللفظ :

يتعين على المعجم الثنائى اللغة الجيد ان يقدم وصفا حيا موضحا بالامثلة للنظام الصوتى الذى تتميز به اللغة الاجنبية ، منبها الى التباين بين فونيمات (7) اللغة القومية وفونيمات اللغة الاجنبية ، والى الفروق فى تنغيم جملها ، والى الاختلاف فى نبر كلماتهما .

كما يجب على المعجم ان يتبنى رموزا فونيمية يعيد بها كتابة المواد الرئيسية والشواهد الموضحة لها ليبين طريقة لفظها . والمعاجم الانكليزية العربية التي سبقت المورد ، سواءكانت عربية ام اجنبية (8) ، لم تأخذ بشىء من هذا على الاطلاق ، وبعبارة اخرى انها احجمت عن مساعدة القارىء على نطق اللغة الاجنبية بصورة مقبولة . اما المورد فهو اول معجم انكليزى ــ عربى يشتمل على معلومات فونولوجية ، بيد انها ــ مع الأسف ــ قاصرة عن مساعدة القارىء بالشكل الا مثل . فالمورد يخلو من مقدمة تتناول النظام الصوتى للغة الانكليزية ، ولم تبين فيه طريقة لفظ الشواهد . كل ما تدمه القاموس هو لفظ المادة مع تبيان النبر ، واسبق ذلك بمفتاح اللفظ ، ولنا مآخذ عليهما . فلقد اقتبس المورد الرموز الصوتية المستعملة فى معجم وبستر الدولى التى وضعت للناطقين بالانكليزية ، ولكنها ولا ريب تشكل صعوبة للطالب العربى الذى يدرس الانكليزية كلغة اجنبية بسبب تشابه رموزها. فالحرف a مثلا يظهر فى رموز خمسة حروف صائتة او مدغمة مختلفة هى : a, à, â, ä, α والحرف a يستخدم فى رموز ثمانية اصوات متباينة هى : c. o, ô, œ, oi oo, oo, ou وهكذا . وهذا فيه شىء من الارتباك ، واهمال للمبدأ اللغوى المعروف الذى ينص على ان يقتصر كل رمز على صوت واحد ، وان لا يمثل الصوت الواحد بأكثر من رمز واحد . وكان يمكن تفادى هذه الصعوبة لو تبنى المورد احد انظمة الرموز المعروفة كنظام جمعية علماء الصوت الدولية .

ومعروف ان المقصود من مفتاح اللفظ هو ان يقرن كل رمز بكلمة بسيطة شائعة يظهر فيها الصوت المقصود بكل وضوح ، وهكذا يستطيع القارىء ان يتخذها اساسا يقيس على نحوها بقية الكلمات التى يظهر فى طريقة لفظها الرمز نفسه . فلو قلنا مثلا :

/I:/ eat, read, see

---

(6) ومن الظريف ان المورد قد ترجم الاسم Hyphen بما يأتى :
« الواصلة : خط قصير (ــ) بين جزئى الكلمة المركبة ، او اجزاء كلمة مقسمة ، لتوضيح طريقة النطق بها » . ونقترح اضافة عبارة « او كتابتها » الى التعريف ، وهذا مدار بحثنا هنا .

(7) الفونيمة هى اصغر وحدات الكلام القادرة على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة اخرى لما تسببه من فرق فى المعنى .

(8) قارن مثلا قواميس سعادة « بيروت » ، الياس « القاهرة » ، باجر « لندن » ورتابت « نيويورك » .

عرف القارىء ان الرمز /I:/ يلفظ كما يلفظ الحرف الصائت الذى تحته خط فى الكلمات الثلاث المعروف نطقها لديه لسهولتها وشيوعها .

اما مفتاح اللفظ فى المـورد فقد اتسم ببعض الصعوبة ، ولم تستطع الكثير من كلماته القيام بدور المثل الموضح . فقد ورد فيه مثلا : â aware

à à bas, apéritif

فأى الحرفين الصائتين المختلفى النطق فى كلمة (aware) كان المقصود مثلا للرمز â ، وكيف يتسنى لمتعلم الانكليزية العراقى او السعودى حزر نطق الصوت المقصود فى التعبير الفرنسى à bas .

لقد اشتمل مفتاح اللفظ الذى ظهر فى المورد على عدد من الامثلة الرئيسية يتطلب من القارىء الماما بالفرنسية او الالمانية ، لعمرى انه ايسر على القارىء شراء اسطوانة تحتوى على الامثلة الموضحة وترفق مع المورد من ان يتعلم الفرنسية والالمانية قبل استعمال هذا القاموس !

لقد دلت التجارب فى حقل دراسة اللغات الاجنبية ان خير نظام يمكن استخدامه فى توضيح طريقة النطق هو نظام (فونيمى) من حيث الاساس مع قليل من التعديلات (الفونية) كلما دعت الضرورة الى ذلك او كلما خشى ان يقع القارىء فى خطأ جسيم .

نعود الى القول بأن المعلومات الخاصة بطريقة اللفظ الواردة فى هذ المعجم تعد كافية لان الغاية هى تيسير فهم النصوص الانكليزية لا اداء الجمل الانكليزية بكل ما تحتاجه من تنغيم ونبر واصوات . اما اذا توخينا فى المورد اداة معينة على التعبير الشفهى فان معلوماته (الفونولوجية) ستكون مقصرة عن اداء مهمتها على الوجه الامثل .

7 — تاريخ تطور الكلمات :

ينفرد المورد بين القواميس الانكليزية — العربية التى سبقته فى تقديم شىء من المعلومات التاريخية المفيدة . فهو يشير الى اللغة التى دخلت منها او عن طريقها بعض المواد فيخبرنا مثلا بأن الكلمات الانكليزية « الادميرال ، الكيمياء ، الكحول ، الجبر ، السكر الصفر ، الخ » قد دخلت الانكليزية من اللغة العربية او عن طريقها ، وتكمن فائدة هذه المعلومات فى تيسيرها حفظ المفردات الانكليزية او معانيها للقارىء العربى الذى يقرنها بأصلها العربى . ويبدو ان الاستاذ البعلبكى ينوى ان يتوسع فى تقديم المعلومات التاريخية بحيث تشمل فى الطبعات المقبلة كافة مواد المعجم ، ولكننى هنا اتساءل عن اهمية ذلك للقارىء العام الذى لا يستطيع بطبيعة الحال التمييز بين المفردات ذات الاصول اللاتينية او الاسكندنافية او الانكلوسكسونية، فهذه التفاصيل ليست ذات قيمة تذكر بالنسبة له . ولقد دلت الاستفتاءات الاحصائية التى جرت بين طلبة الكليات فى الولايات المتحدة نفسها ان النزر القليل منهم يستخدم المعجم للاطلاع على اصل الكلمة او تاريخها (9)

اما اذا قيل لنا ان هذه المعلومات لا مندوحة عنها للمتخصصين فى الدراسات الايتيمولوجية فلا يسعنا الا ان نقول بأن هؤلاء المتخصصين لا يستخدمون قاموسا عاما كالمورد بل يلجأون عادة الى معجم متخصص يشتمل على معلومات اوفى واشمل . اننا نتمنى على الاستاذ البعلبكى ان يقتصر على المعلومات التاريخية ذات الصلة باللغة العربية لمنفعتها التى نوهنا بها ، ويدخر السطور التى تستغرقها المعلومات التاريخية الشاملة لتزويد القارىء بمعرفة اكثر نفعا وفائدة عملية كالمعلومات الصرفية مثلا .

8 — المعلومات الصرفية :

ان الترتيب الالفبائى المتبع فى المعاجم الانكليزية والاوربية بصورة عامة فى الوقت الحاضر لا يتيح للقارىء الاطلاع على العلاقة القائمة بين الكلمة موضوع البحث والمفردات المشتقة منها او المتصلة بها صرفيا . واخذ علماء اللغة المهتمون بالدراسات المعجمية يبحثون عن وسيلة تمكن القارىء من معرفة الروابط القائمة بين المفردات حتى ان البعض منهم اقترح جديا اعتماد الترتيب القائم على جذر الكلمات كما هو الحال فى اغلبية المعاجم العربية . وحتى الطبعة

(9) Barnhart «Problems in editing commercial monolingual dictionaries» in Householder & Saporta, pp. 162-163

الاولى لمعجم الاكاديمية الفرنسية الصادر عام 1694 كانت قد اتخذت جذر الكلمة اساسا لترتيب المواد. وتعود اهمية معرفة العلاقة بين الكلمات المشتقة عن اصل واحد الى ما يؤكده علماء النفس حول طبيعة عمل الدماغ وقيامه بتصنيف المعلومات وضمها الى نظائرها بحيث يسهل على الفرد حفظ الكلمة مثلا اذا كان قد تعلم من قبل احد المشتقات المتصلة بها وكأن المعرفة السابقة تسري الى المواقف الجديدة . ومن الوسائل التي يوصي بها علماء النفس لتسهيل التعلم والاسراع به هو قيام الفرد بربط المادة الجديدة بمادة سبق ان تعلمها (10) .

وكان استاذنا البروفسور (ارجبولد ازهل) ، احد كبار علماء اللغة في الولايات المتحدة ، قد نبه قبل ربع قرن تقريبا الى ضرورة اهتمام المعاجم بالمعلومات الصرفية واقترح ان تردف المادة بكتابة حرفية فكلمة Unlikely مثلا تردف بـ (un/like/ly) وبذلك يسهل على القارىء معرفة علاقة الكلمة بجذرها (like) وبضدها (unlike) فاذا كان قد مر بأحدهما سابقا فانه يسهل عليه تعلم الكلمة الجديدة (11) . ورغم ان ايا من المعاجم الانكليزية لم يأخذ بهذا الاقتراح (12) فان علماء اللغة عادوا مؤخرا اليه مطالبين المعجميين بتطبيقه (13) .

ولما كان المورد اداة لفهم اللغة الانكليزية فحري به ان يوجه اهتماما خاصا الى الروابط الاشتقاقية بين المفردات ، ويكون رائدا في تطبيق الوسيلة التي اقترحها البرفسور (هل) في طبعاته المقبلة .

9 ــ المعاني والترجمة :

اشق المهام التي يضطلع بها المعجم الثنائي اللغة هي ايجاد المرادفات المضبوطة في اللغة القومية لمعاني المادة الاجنبية . ولقد حقق المورد نجاحا ملحوظا في هذا الباب يستحق عليه كل ثناء وتقدير . فقد امتازت بـ (أ) دقة الترجمة ، (ب) ارداف المقابل العربي بالشرح كلما دعت الحاجة الى ذلك ، (ج) تجنب كيل المرادفات العربية للمعنى الواحد من دون ضرورة وهذا عيب تعاني به كثير من القواميس الثنائية اللغة (14) (د) تقديم معاني المادة بشكل منسق ميسر ، (هـ) توجيه الاهتمام اللائق بالتعابير الاصطلاحية ، وغيرها من الانجازات الثمينة بالاعجاب ونود ان نتناول هنا بالمناقشة بعض جوانب هذا الموضوع :

أ ــ ترتيب المعاني :

من المعروف ان المعجم الاحادي اللغة يتبع احدى الطرق الثلاث التالية في ترتيب معاني المادة : (1) الترتيب التاريخي ، وبمقتضاه ترتب المعاني طبقا لزمن ظهورها في اللغة ، كما هو متبع مثلا في معجم اوكسفورد ، (2) الترتيب الاحصائي وبموجبه ترتب معاني المادة وانواعها الصرفية (من اسم ونعت .. الخ) تبعا لشيوع استعمالها وتكررها في اللغة كما تدل على ذلك الاحصائيات الخاصة بالمفردات ، وهذه هي الطريقة المتبعة في معجم (راندم هاوس) الامريكي و (3) الترتيب التركيبي ويعتمد على العلاقة بين المعاني ، بحيث تلي المعاني بعضها بعضا طبقا للعلاقة التولدية منها ، وهذا هو الترتيب الذي حاول انجازه اصحاب معجم التراث الامريكي .

اما الاستاذ البعلبكي فقد اعتمد التسلسل التاريخي اساسا لترتيب المعاني وهو بذلك ينحو منحى معجم وبستر الدولي الثالث ومعجم اكسفورد . وهذا الترتيب ذو اهمية بالغة للمختص المهتم بتطور معاني المفردات وتغيرها بمرور الزمن . ولكننا نتساءل اذا كان هذا الترتيب يصلح لمعجم ثنائي اللغة صنف لعامة القراء.

---

(10) Georges A. Miller, Language and communication (New York: Me Graw Hill 1963), p. 212

(11) Archibad A. Hill «The Use of Dictionaries in Language Teaching» Language Learning, I (1948), p. 10

(12) يعزى ذلك على ما نظن الى عدم تكامل الدراسات المورفولوجية الانكليزية آنذاك .

(13) Householder 1967 : 281

(14) انظر معاني كلمات Lick, Heart, Camel في قاموسي باجر والياس وقارنها بالمورد .

فالمثقف العربى يقرأ عادة نصا انكليزيا معاصرا او حديثا تستخدم فيه المفردات بمعانيها المتداولة حاليا، وعند ما يصطدم بكلمة لا يستطيع ان يستخلص معناها من فحوى النص فانه سيلجأ الى معجم انكليزى — عربى ، وحين تتهلل اساريره عند عثوره على المادة التى ينشدها يكتشف فجأة ان المعنى الاول لا ينسجم وروح النص الذى يقرأ اذ انه معنى « ممات » فينتقل الى المعنى الثانى ولكنه يصاب بخيبة امل اخرى لان هذا المعنى « قديم » فيحول نظره الى المعنى الثالث واذا به معنى « نادر الاستعمال » ، وهكذا حتى يصل الى المعنى المنشود فى آخر القائمة . اليس من الافضل ان نقدم اولا المعنى الذى يحتمل ان يطلبه معظم القراء ؟ صحيح اننا سنضحى بالتسلسل التاريخى وهو بحد ذاته معرفة لغوية ، ولكننا من ناحية اخرى نعمل وفقا للضرورات العملية ونيسر مهمة الذين يستعملون المعجم ، اننا نعتقد بأن الترتيب الاحصائى هو الذى ينبغى ان يتبع فى المعاجم الثنائية اللغة ما دام هذا الترتيب لا يفصل بين المعانى المتصلة (15) .

ب — الشواهد الموضحة :

نعنى بالشاهد هنا اية جملة او عبارة توضح استعمال الكلمة او التعبير الاصطلاحى وترمى الشواهد الى عدة اهداف منها : اثبات ورود الكلمة فى اللغة ، وتبيان ابعاد المعنى وظلاله ، وتوضيح سلوك المفردات الصرفى والاعرابى ، وتبسيط قيمتها الاسلوبية وكان المعجميون العرب روادا فى استخدام الشواهد منذ ظهور « العين » للخليل بن احمد الفراهيدى بينما كان على التقليد المعجمى الانكليزى ان ينتظر فى هذا المضمار حتى عام 1755 حين نشر الدكتور (جنسن) معجمه الشهير . وتختلف الشواهد من معجم الى آخر فمنها ما هو اصيل منقول اقتبس من كتاب او خطاب ومنها ما هو موضوع الفه مصنف المعجم التماسا للايجاز وتوخيا للتبسيط . والشواهد الاصلية اما ان تكون مؤرخة ومسندة لقائلها والمصدر الذى نقلت عنه واما ان تكون مبهمة اى حذف اسم القائل والمصدر والتاريخ اقتصادا فى الحجم . ولكل صنف من اصناف الشواهد هذه حسناته وسيئاته ولكن معظم علماء اللغة يتفقون على ان استخدام الشواهد ايا كان نوعها لا غنى عنه فى المعجم الجيد ، ويوصون بأن تردف كل مادة وكل معنى من معانيها بشاهد واحد على الاقل .

ويعد المورد بحق رائدا بين المعاجم الانكليزية العربية فى استخدام الشواهد لتوضيح معنى المادة او سلوكها الاعرابى . ولكن عدد هذه الامثلة اقل مما كنا نأمل . ورغم ان مقدمة المورد ذكرت بأن المدلولات فى « اكثر مواد المورد » قد اردفت بأمثلة توضيحية فان دراسة احصائية قام بها كاتب هذه السطور دلت على ان نسبة ضئيلة من المعانى فقط (70 ر 14 %) نالت نصيبها من الشواهد (16) .

ان الاتجاه الذى تبناه المورد فى ضرب الشواهد يجب ان يعزز فى الطبعات المقبلة بحيث يكون الهدف تخصيص شاهد واحد على الاقل لكل معنى من معانى المادة (17) .

جـ — استعمال الصور :

نعنى بالصور ، هنا ، كافة التوضيحات البصرية التى يمكن ان تظهر على صفحات الكتاب ، مثل الرسوم

---

(15) Hill 1970 : 256-8

(16) لقد احصينا عدد المواد ومعانى كل مادة وشواهدها فى ثلاث صفحات اختيرت بصورة عشوائية ثم اعيدت العملية ذاتها على صفحات اخرى مرتين فكانت النتائج متقاربة والصفحات الثلاث الاولى هى :

رقم الصفحة	عدد المواد	عدد المعانى	عدد الشواهد
268	56	98	20
673	45	84	14
988	57	109	9
المجموع	158	291	43

(17) ان معجم كلاريتى للهجة العراقية مثلا على المعاجم الثنائية اللغة التى تخصص شاهدا واحدا على الاقل لكل معنى .

والصور الفوتغرافية والخرائط وما شاكلها . والمعجم الجيد يحاول الافادة من الصور قدر الامكان فى توضيح المعانى وهذا ما فعله المورد . ولكى تستخدم الصور بصورة فعالة وهادفة فى المعجم ينبغى مراعاة ما ياتى :

1 — يجب ان تكون الصورة واضحة مفهومة وان تكون الاجزاء المعنية بارزة ، ويتم عادة توجيه الاهتمام للجزء المعنى بوسائل كثيرة مثل تظليله او تعميق حدوده ، او الاشارة اليه بسهم ، او وضعه فى قلب الصوره او فى الجهة اليمنى من الجزء الاعلى وهلم جرا.

2 — يجب ان تعنون كل صورة ، والا قد يخطىء القارىء فيعتبرها صورة لمادة مجاورة او معنى آخر. ويلاحظ ان كافة صور « المورد » معنونة .

3 — ينبغى الاشارة تحت الصورة الى حجم او ارتفاع الشىء المرسوم ، وهذا ما اغفله « المورد ».

4 — ينبغى ان يهدف اختيار الصور الى توضيح الحضارة المادية للناطقين باللغة الاجنبية بما فيها من ازياء ، وفن عمارة ، وآلات ، وحيوانات ، وغيرها . وعلى هذا فان وضع صورة كنيسة او كاتدرائية فى معجم ثنائى اللغة مخصص للعرب امر مفيد ، ولكن صورة لمسجد فى ذلك المعجم تعد زائدة بل مضيعة للفراغ ما دام المقابل العربى قادرا على ايصال المعنى المقصود للقارىء ، ولكن من الغريب ان يتصرف «المورد» فى هذا المجال وكأنه لم يحدد الهدف مسبقا ، فنجد فيه مثلا صورا لكلمتى مسجد ومنارة ، ولكنه يخلو من صورة لكنيسة ، كما نجد فيه صورا لغزال وقرد دون ان تكون هناك صورة لطويل القرن مثلا (وهو من الحيوانات المعروفة فى جنوب الولايات المتحدة) (19). على اننا يجب ان نلاحظ بأن اسما ما قد يكون مشتركا بين الحضارة القومية والحضارة الاجنبية ومع ذلك فالحاجة تدعو الى صورة توضح استعمالا لم يالفه القارىء من قبل . فقلما يفكر العربى مثلا بوجود صنف آخر من الجمال له سنامان وهكذا تكون صورة للجمل ذى السنامين مفيدة فى معجم مخصص للعرب .

10 — المعلومات النحوية :

يمكن تقديم المعلومات النحوية بطريقتين متكاملتين، هما مقدمة نحوية تلقى الضوء على قواعد اللغة الاجنبية فى اول المعجم ، ثم تصنيف المواد طبقا للانواع الاعرابية التى تم وصفها فى المقدمة النحوية . ومن المؤسف ان « المورد » يخلو من مقدمة فى نحو اللغة الانكليزية يصرح فيها بدقة عما يعنيه بالانواع الصرفية التى استخدمها فى تصنيف مواد المعجم . فمصطلحا « الاسم » او « الحال » مثلا يختلف مدلولهما من مدرسة نحوية الى اخرى . واذا كانت المصطلحات فيه قد استعملت بمفهومها التقليدى فانها والحالة هذه ليست قادرة على مساعدة القارىء على « الكتابة باللغة الاجنبية » فهى ناقصة من عدة وجوه واليك بعض الامثلة على ذلك :

ا — يشير المورد الى الاسماء ولكنه لا يميز بين الاسماء المعدودة والاسماء غير المعدوده . ويلاحظ هنا ان معجم The Advanced Learners Dictionary الذى ورد اسمه فى عداد مصادر « المورد » يعمد الى التفريق بين الاسماء المعدودة والاسماء غير المعدودة . وهناك اصناف اخرى من الاسماء يتعين على المعجم الجيد الاشارة اليها مثل اسم الجنس ، والاسماء المنتهية بـ ies وغيرها ، اذ ان هذه الاصناف لا تتفق فى سلوكها الاعرابى .

ب — يشير المورد الى الافعال ويفرق بين المتعدية منها واللازمة ولكنه اغفل صنفا ثالثا من الافعال لم يتنبه له النحو الانكليزى التقليدى الا وهو الفعل المتعدى الذى يأخذ مفعولين ، وكذلك الفعل المتعدى الذى يأخذ مفعولا وتكملة ، مثلا قارن بين الفعلين التاليين :

Saddled the horse

Saddled him with responsibilities

فالتكملة with responsibilities او ما شابهها ضرورية مع الفعل الثانى لا الاول . وطبعا يتعين على القاموس الجيد ان يفرق كذلك بين الافعال

(19) لعل نتيجة لتأثير معجم وبستر على المورد ، فقد اشتمل وبستر مثلا على صور المسجد والمنارة لانها غريبة على حضارة القراء الامريكيين ولكنه خلا من صورة لطويل القرن المعروف لديهم .

التى يكون مفعولها انسانا او حيوانا وتلك التى يكون مفعولها جمادا .

جـ ــ يشير المورد الى النعت ، ولكنه يهمل ثلاثــة قضايا هامة تتعلق به هى :

1 ــ صيغ المقارنة : ينبغى التمييز بين الصفـات التى تصاغ صيغ المقارنة منها باضافة est و er وتلك التى تحتاج الى more و Most والصنف الثالث الذى يشذ عنهما .

2 ــ موقع الصفة من الموصوف : فى اللغة الانجليزية صفات تسبق الموصوف دائما مثل late بمعنى المرحوم فــى عبــارة the late president وصنفا آخـر من الصفات يلى الموصوف فقط مثل late بمعنى متأخر the president is late والصنف الثـالث يصـح ان يسبق الموصوف او يلحقه مثل happy فــى the boy is happy او the happy boy

فالمعجم الذى يصنف كلمة happy بأنها «صفة» ويســم كلمــة content التى تحمل المدلول نفسه تقريبا بعباره « صفة » ايضا ، يكون قد اوهم القارىء بأن استعمالهما الاعرابى واحد ، وقد يقوده الى كتابة العبارة الخاطئــة the content boy لان القــارىء العربى لا يستطيع التكهن بطبيعة النعت هذه اذا اراد استعماله ، لذا فانه يتوجب على المعجم الجيــد ان يشير اليهــا .

3 ــ ترتيب الصفات : اذا وردت عدة صفات فى الجملة الانكليزية فانها تتبع ترتيبا لا تحيد عنه ، فلكل صفة موقعها الثابت فى الجملة الاسمية . ويصنفهــا البرفسور (هل) حسب قربها من الاسم ويعطى لكــل صفة رقما كما فى مثله الآتى :

الاسم 1 ــ 2 ــ 3 ــ 4 ــ 5 ــ 6
all the ten fine old stonehouses

ولا يجوز تغير مواقع هذه الصفات فلا يمكنك ان تقــول مثــلا Stone old houses الا اذا غــيرت تنغيم الجملة (20) . وهكذا يتعين على المعجم الجيد الا يكتفى بالقول ان هذه المادة او تلك صفة بل يجب ان يعطيها رقما شرح مدلوله فى مقدمته النحوية لمساعدة القارىء على معرفة موقع تلك الصفة .

4 ــ ينص « المورد » على الحال ولكنه لم يبين فيما اذا كان الحال هذا يفيد معنى الفعل well done, fast او معنى الصفــات والظــروف disappearine او معنى الجملة مثل very good, very slowly (usually it works)

لقد اوردنا هذه المعلومات النحوية التى اغفلهــا « المورد » على سبيل المثــال لا الحصر . ونــرى ان «المورد» معذور فى ذلك لانه قاموس اريد به ــ من حيث الاساس ــ مساعدة القارىء على فهم النصوص الانجليزية وليس على كتابتها ، ومعجما هذا شأنه لا يتحتم عليه العناية بالتفاصيل النحوية التى ذكرنا .

11 ــ مستــويــات الاستعمــال :

تدل ابحاث علم اللغة الاجتماعى الحديث على ان اللغة تؤدي وظيفتها الاجتماعية على مستويات متعددة، وان كلا من هذه المستويات يؤثر فى اختيار تراكيب اللغة المستعملة ومفرداتها . وقد اعتادت المعاجم الانكليزية الاحادية اللغة على الاشارة الى ان المــادة او احــد معانيها مماته او قديمة او نادرة الاستعمال او عامية، وهذا ما تبناه المورد . كما واخذت بعض المعاجم الثنائية اللغة تتوسع فى هذا الباب خاصة اذا كانت تهــدف الى مساعدة القارىء على التعبير باللغــة الاجنبيــة فصارت تشير اذا كان استعمال المادة او احد معانيها ادبيا او رسميا او بين الاصدقاء او مؤدبا او سوقيا ، او لا يمكن التفوه بها امام النساء ، الى آخر ذلك من ضروب الاستعمال التى تساعد القارىء على اختيــار اللفظة اللائقة بالظرف المناسب .

واذا كان المورد لم يتوسع فى هذا الباب فانه قد برز فى ميزة اخرى تعد فى منتهى الاهمية للمثقف العربــى تلك هى استعماله للرموز التى تشير الى العلم او الفن الذى تندرج تحته المادة او احد معانيها ، وقد بــذل الاستاذ البعلبكى فى تحقيق ذلك جهدا لا يتأتى للجنــة مــن العلمــاء .

---

(20) Hill 1958 : 176

12 ـــ المـــواد المـــوسوعيـــة :

نعنى بالمواد الموسوعية اسماء الاعلام وما جرى على شاكلتها كأسماء الاماكن والمدن والمواقـــع المشهـــورة والاعمال الادبية الكبرى الخ . والخلاف فى الـــراى بين علماء اللغة من جهة والمعجميين والناشرين من جهة اخرى حول ادخال المواد الموسوعيـــة ليس مقامهـــا القاموس وانما الموسوعة او الاطلس او غير ذلك من المصادر . اما التقليد المعجمى فقد جرى على ادراجها فى القواميس ، ويرحب الناشرون فى ذلك لما يلمسونه من اقبال القراء على المعاجم التى تتوسع فى المـــواد الموسوعية . وعند ما اضطر محرر معجم وبستر الدولى الثالث ، الدكتور كوف Philip Gove ان يتخذ قرارا باسقاط المواد الموسوعية من معجمه لافساح المجال للمصطلحات العلمية والتقنية الجديدة عـــرض نفسه لحملة شديدة من الصحافة والنقاد والدرسين والمكتبيين والمدافعين عن المستهلكين وغيرهم (21) . واذا كـــان تضمين المواد الموسوعية فى المعجم الاحادى اللغـــة مختلف فيه ، فاننا نرى انه لا مناص منـــه فى المعجم الثنائى اللغة لان هذه المواد تشكل جزءا رئيسيـــا فى حضارة الناطقين باللغة الاجنبية والتى يجهلها القارىء تماما ويحتاج الى مساعدة قاموسه الثنائى اللغة حتما والا فنحن نجشمه لمشقة مراجعة اكثر من مرجع واحد اثناء قراءته النص الاجنبى ، ولا تنحصر اهمية المواد الموسوعية فى قيمتها الحضارية فحسب ، وانما هى ضرورية فى المعجم الثنائى اللغة لاختلاف نطق كثير من الاسماء وكتابتها من لغة الى اخرى ، فاذا كان الطالب العربى الذى يقرأ نصا انكليزيا يستطيع ان يفهم بأن Rabat هى مدينة الرباط ، فانه قد لا يعـــرف بأن the Hague تعنى مدينة لاهاى وانه سيلجأ حتما الى قاموسه الانكليزى العربى . وهكذا يكون ادراج هـــذا الاسم فى المعجم الثنائى اللغة مسألة لغويـــة وليست قضية جغرافية او موسوعية كما هو الحال بالنسبـــة للمعجم الا حادى اللغـــة .

لقد ابعد « المورد » كافة المواد الموسوعية ، امـــا لتأثره البالغ بمعجم وبستر الدولى الثالث او اختصارا فى الحجم . ونحن نتمنى على الاستاذ البعلبكى ان يعيد النظر بموقفه هذا من المواد الموسوعية فى الطبعـــات المقبلة من مورده .

13 ـــ المقـــدمـــات والمـــلاحـــق :

اشتملت مقدمات المورد على (1) تصدير اوضـــح كيف تم تأليف المورد والغاية التى يتوخاها والاسلوب الذى يسلكه فى تحقيق اغراضه و (2) ارشادات عامة تعين على كيفية استخدام المعجم و (3) مفتاح اللفظ و (4) المختصرات المعتمدة و (5) ثبت المراجع ، وكنا قد اشرنا الى انه يخلو من مقدمة فى نحو اللغة الانجليزية ونظامها الصوتى والمحنا الى اهمية مثل هذه المقدمة .

اما الملاحق فلا يوجد فى المورد منها شىء . وكنـــا نتمنى لو انه اشتمل على بعض الملاحق المفيدة كملحق بالاسماء الشخصية الانكليزية مبينا لفظها وجنسها ، وملحق بصيغ مخاطبة المسؤولين على اختلاف رتبهم ، وملحق بالمختصرات المعتمدة فى اللغـــة الانجليزيـــة ، وملحق بالاوزان والمقاييس وما يقابلها فى العربية ، وغير ذلك مما قد يحتاجه القارىء العربى .

جـ ـــ الشـــكـــل :

لا شك ان المورد هو من اجمل المعاجم العالميـــة شكلا واكثرها جاذبية ومن اجودها ورقا فصفحاتـــه كبيرة ومواده مرتبة بشكل مريح للنظر تمتاز طباعتها بالاتقان والعناية ، فقد نضدت المواد الانكليزية بحروف ثخينة تسهل على القارىء العثور عليها . وقد ظهر فى الطبعتين الاخيرتين منه مفتاح اللفظ فى اسفل كل صفحة مما ييسر على القارىء التوصل الى معرفة لفظ الكلمة.

الخـــلاصـــة :

وخلاصة القول ان المورد كان رائدا بـــين المعـــاجم الانكليزية العربية فى تطبيق بعض مبادىء علم اللغـــة الحديث ، غير انه لم يستطع الخروج عـــن التقليـــد المعجمى الذى لا زال يعانى من بعض النقـــص هنـــا وهناك . ونقولها بكل فخر ان المورد هو احسن معجم ثنائى اللغة صنفه عربى لخدمة العرب فخصاله الحميدة كثيرة : مواد وفيرة تعنـــى بصورة خاصـــة بالتعابير

(21) وانك لواجد شيئا من المناقشات حول هذه النقطة فى كتاب استاذنا جيمس سلد .
James Sled, Dictionaries and That Dictionary

الاصطلاحية والمصطلحات العلمية الحديثة ، دقة فى اختيار المقابل العربى ، ادخال الرمـــوز الدالـــة على طريقة اللفظ وكذلك الشواهد التوضيحية لاول مرة فى عالم المعاجم الانكليزية العربية ، وتنقيـــح الطبعـــات الجديدة وتطويرها . ولكنه من ناحية اخرى يعانى من الرموز المعقدة التى اختارها لتبيان طريقـــة اللفظ ، وقلة الشواهد التوضيحيـــة نسبيا ، وعـــدم تقطيـــع الكلمات ، وغياب المواد الموسوعية ، ونقص الملاحق المفيدة . واذا تدارك المورد هذه القضايا فى طبعاتـــه المقبلة فلا تبقى هناك حاجة به للاستشهاد بقول المعجمى الانكليزى الشهير الدكتور جنسن : « يتوق كل من يؤلف كتابا الى المديح . اما مـــن يصنف قاموسا فحسبه ان ينجو من اللـــوم » .

(على القاسمى — الرباط)

المصادر التـــى ورد ذكـــرهـــا

1 - Hill, Archibald A. «The use of dictionnaries in Language teaching,» **Language Learning** 1 (Oct. 1948) 9-13.

2 - **Introduction to Linguistic Structures.** (New york : Harcourt, Brace & Wold Inc., 1958)

3 - «Laymen, Lexicographers and linguists,» **Language** 46 (1970) 245-58.

4 - Householder, Fred W. and Sol Sapor», eds. **Problems in Lexicography** (Bloomington . Indiana University, 196

5 - Sledd, James and Wilma R. Ebitt, eds. **Dictic- naries and That Dictionary** (Chicago : Scott, Foresman and Co., 1962).

6 - Yorkey, Richard. «Which desk dictionary is best for foreign stude nts of English ? » **Tesol** Quarterly 3 : 3 (Sept. 1969) 257-70.

*

المنجد

عثرات

« المنجد » معجم عربى حديث الفه الاب اليسوعى لويس معلوف وما زالت طبعاته تتوالى ، ومـا زال النقد يتهاوى عليه من كل جانب للاسباب الآتية :

1 ــ لاخذه بالاضعف من لغات العرب . وكثـرة اخطائه وتوافر غلطاته .

2 ــ عدم تحريه العلمى بالشرح .

3 ــ عدم الدقة فى التعريف .

4 ــ نشر كل ما يسىء الى العـرب فى تـاريخهم وسمعتهم واخلاقهم ورجالهم .

5 ــ لسع كل ما له علاقة بالدين الاسلامى .

6 ــ اهمال كل امجاد المسلمين

7 ــ ابراز كل ما له علاقة بالنصرانيـة ولو على باطـل احيـانا .

8 ــ ابراز اليهودية دينا واثرا وكتابا وتاريخا .

9 ــ اهماله تصحيح ما اشير عليه به لصحتـه اللغوية او دقته العلمية والتاريخية والدينية .

10 ــ وكأنه بهذا يثير احقادا طائفيـة ويفسد على الناشئة لغتها وعقيدتها وتاريخها ويشككها بمقدساتها

ولقد تصدى له بعض العلمـاء بالـرد المخلـص . وبأقصى ما يمكن من لطف وحياد علمى فلم يرتـدع نعـد منهم .

أ ــ الاستاذ منير العمادى فى دمشق

ب ــ العلامة عبد الله كنون فى المغرب .

ج ــ العالم الشيخ ابراهيم القطان سفير الاردن فى الرباط بكتابه (عثرات المنجد) ولم يتناول منـه الا قسم الاعلام وحده فأبرز له (2500) غلطة .

د ــ وهذا المقال التالى لمديرية المناهج فى الاردن.. وما زال الحبل على الجرار فهلا يريد المشرفـون على المطبعة الكاثوليكية فى بيروت وهم ناشرو هذا المعجم ان يدركوا مبلغ خطئهم ؟!

من خلال الدراسة التى قام بهـا رئيس شعبـة التربية الاسلامية ورئيس شعبة اللغة العربيـة فى مديرية المناهج للمنجد تأليـف (لـويس معلـوف) نشر المطبعة الكاثوليكية فى بيروت وردت الملاحظات التـاليـة :

من الناحية الدنيـة :

1 . الكتاب ينطلق من عقيدة دينية ، الا انه لا يراعى الامانة والصدق . ففيه مغالطات دينية وتحريف وتشويه واضحين بالاسلام والمسلمين ، واهمال وغموض فى توضيح المصطلحات الاسلاميـة ، مـع التفصيـل والتوضيح لمصطلحات الكنيسة ، كما هو واضح فى بعض الأمثلة التـاليـة :

أ ــ يشرح كلمة قرآن (ص 411) فيقول انــه « كتاب المسلمين » بينما يقول عن الانجيل ص 54 انه « كتاب اتى للانام ببشرى الخلاص على يد المسيح الفادى » . كما يقول عن الاسلام فى الطبعة السابعة : « هذا الدين الذى جاء به محمد بن عبد الله النبــى العــربــى » .

ب ــ تعريفه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ص 476 من الاعلام (570 حزيــران 632) ونبــى المسلمين من بنى هاشم وولد فى مكة ...... »

ج ــ بينما فى تعريفه للسيد المسيح ص 560 ورد ما يلى : « ولد فى مدينــة بيت لحــم اليهوديــة على ايام اغسطس قيصر 4 ق . م ...... ثم اخذ يبشر بملكوت الله صانعا المعجزات ......

د ــ فى الطبعة الاخيرة لم يتطرق لتعريف الاسلام بينما ابقى تعريف الانجيل كما هو ص 54 .

من الناحيــة التــاريخيــة :

1 . لم يورد المنجــد فى خريطــة المملكــة الاردنيــة الهاشمية من مدن فلسطين المحتلة ســنــة 48 سوى مدينة الناصرة ، واهمل جميع المدن المحتلة الاخرى ، كيافا ، وحيفا ، واللد ، والرملة ، وعكا ، وغيرها .

2 . والانكى من ذلك انه لم يذكــر على الخريطــة مدينتى القدس والخليل ، وهما المدينتان اللتان احتلتا سنة 67 ، وكأنه يوحى بأن هاتين المدينتين ليستا من مدن المملكة الاردنية الهاشمية .

يقول فى ص 60 : اورشليم (هيكل بناه سليمان الحكيم بعد (975 ق . م) فى ساحة الحرم الشريف اليوم ......) الى ان يقول : « فلم يبق منه الا حائط المبكــى » .

وفى هذا خطورة ومبرر لهدم الحــرم الشـريف ، والحفريات التى تقوم بها اسرائيل الآن لم تثبت ذلك والمنجد اعترف لهم قبل ذلك .

3 . « الف ليلة وليلة شهر زاد تحكيها لاختها على امير المؤمنين » وكما هو معلوم بأن القصة من اساطير الفرس قبل الاسلام ، فوضــع امير المؤمنين هنــا تــزويــر تاريخــى .

4 . مكة المكرمة ص 500 « استولى عليها الامويون، خربها القرامطة ونهبوا الحجــر الاســود واحتلهــا العثمانيون ثم الوهابيون » .

5 . (الخضر) « احد اولياء المسلمين رفعه القرآن فوق الانبياء ، علما بأن الخضر لم يرد ذكره فى القرآن.

6 . عسقلان « اشكلون قديما » ص 351 .

7 . (ابو لؤلؤة المجوسى) : « شكا الى عمر فنقم عليه الخليفة » ، وقد جاء فى الطبرى ان ابا لؤلؤة كان نصرانيا لا مجوسيا ، ولم ينقم عليه الخليفة عمر وانما هو هدد الخليفة .

8 . الشيخ حسين ص 301 « محجة شهيرة للمسلمين فى افريقيا الشرقية » ، وليس فى الاسلام محجة سوى الكعبــة .

9 . شيخ او حرمون « يطلق على القسم الجنوبى من سلسلة جبال لبنان الشرقية على الحدود الســوريــة اللبنــانيــة » .

الى غير ذلك من الاخطاء غير ان الطبعة الاخيرة الصادرة فى الخامس عشر من شهر آذار 1969 عدلت بعض هذه الاخطاء ولكنها وقعت فيما هو اشد وانكى، وهى التى اوردتها فى الصفحة السابقة .

●●●

كلمات عربية في اللسان الإسباني

الأستاذ إلياس قنصل «الأرجنتين»

كثر الذين بحثوا فى اللغة وحددوا معناها ، فمنهم من قال انها مفردات تجلو شخصيـــة الاشياء واداة ترسم الشعور وتعرضه على الاذهان . ومنهم مـــن اعتبرها سلسلة من الاصول سداها التصريف ولحمتها الاشتقاق مهمتها التعريف بما يريد المرء . ومنهم مـــن رآها وسيلة لاتصال الفرد بمجتمعه يتكشف فى مدلولها مـــا يهمهـــا .

ولا شك ان اللغة هى كل ذلك واكثر لانها المجموع مختصرا فى عدة آلاف من الالفاظ يسبح فى فلكها جميع ما يملكه الناطقون بها من متاع روحى ومادى يشتمل على ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .

ومن اصدق الادلة على عظمة بلاد انتشار لغتها وراء حدودها لان الاقبال عليها وممارسة ما فيها من التعابير الخاصة هو الاعتراف بنصيبها من امتياز تنعكس على صفحته قسمة اصحابها من الاجتهاد والتفوق بشتى مناحى النشاط الثقافى والفكرى والعلمى .

ان الحضارات التى توالت على الدنيا هى السجلات التى تبسطها لنا اللغات فهى خزانة الحوادث التـــى تتألف من جزئياتها المجموعة التى تكون صورة عـــن حقيقتها ومن دراسة هذه اللغات والتغلغل فى اسرارها نضع كل حضارة فى مكانها من التأثير العالمى .

والبرهان يطل علينا من عصرنا الحالى :

ان المرحلة التى نجتازها الآن — ولا نسميها حضارة لان اسبابها لم تكتمل — ان هذه المرحلة يغلب عليهـــا الطابع المادى وها هى اللغة — لغة هذ المرحلة — فى معظم انحاء العالم كلمات وتعابير مادية تكاد تخلو من ملامح العاطفة .

واذا رد معترض بأن هذا التمييز غير وارد فى صميم اللغة ، اجبنا ان كلمة « نسيم » مثلا لا يمكننـــا ان نسلكها مع كلمة « حجر » متى صنفنا الكلمـــات فى مراتب الحس وان كان لكل كلمة تكوينها الذى رضيت به الالسنة والاذواق واقره التداول فى اداء رسالتها التعبيـــريـــة .

ولا يعنى ما سبق ان الكلمات العاطفية الروحية قد اضمحلت : ان الكلمات لا تتلاشى وفقا لمرتبتها فى التصنيف ولكنها تزول من اى صنف كانت عند ما تقل الحاجة اليها فى التبادل اليومى الرتيب — ان الذى نعنيه هو ان التراكيب التى تشترك فيها الالفاظ الروحية التى تنجلى مفاتنها دون تبذل اصبحت نادرة ، اذا جرت فى خاطرة ، مخطوطة ، او مسموعة ، اثارت الاستغراب كأن قائلها او كاتبها يعيش بعقل كهفى .

ان اللغة التى تسعى اليها الحضارة المادية او الطور المادى فى عصرنا هذا هى التى تكتفى بأن تؤدى حاجتك الى التعبير عن مرادك اولا ، وحاجة من يسمعك الى ما تبغى ثانيا ، وما زاد عن ذلك فهو رجس من عمل الشيطان . المهم فى عرف هذه المرحلة ان يكون التعبير كافيا وليس المهم ان يكون جميلا او ان يهبك قسطا من الارتياح النفسى . وهذا هو السبب الرأسى الذى ادى الى انهيار مقام الشعر وجعل الاسلوب الصحفى اسلوبا سائدا حتى فى تحليل الخوالج التى تختلف فى كل فرد عن فرد وتفتقر الى كمية من الاحساس ترتفع عن مستوى الواقع .

ان ادوات « الترفيه » التى نزهو بها الآن ضيقت علينا آفاق الخيال ووضعت فى افهامنا — نعم فى افهامنا — قيودا تمنعها من الحركة التلقائية التى تمنحها الحرية . نحن ندور فى مجال نشاهد شرقه وغربه ونعاين الخطوط التى لا قدرة لنا على ان نتعداها ، شأننا شأن السجين الذى له من الدنيا الواسعة التى يعرفها هذه الرقعة الصغيرة التى تضمه جدرانها لا يمكنه ان يتلذذ بأن يزاد له شبر واحد عليها ولا ان يتمتع بهبة جديدة من الهواء ولا ان ينتفع بدفقة اعم من النور .

وتسير اللغة كما نسير نحن — على خط مواز — لا يتسنى لها ان تخرج عن صراطها كما لا يتسنى لنا ان نخرج عن صراطنا ، فان ظهرت آلة مبتكرة ظهرت معها لفظتها ثم .. الى امر آخر فلا كلمة مرادفة للكلمة الاصيلة تختار احداهما لتعلن عن ذوقك ولا انطباق على قواعد ترسم لك صيغا متباينة عنها ولا استناد الى تركيب تفضله على تركيب ثان ولا استعارة توسع المدى فى توضيح ما ترمى اليه .

وبعد ان كانت اللغة ما ذكرنا فى بدء هذه الكلمة امست شيئا واحدا . فقط : اداة جامدة مقتصرة على تأدية مهمتها اللفظية فكأنها المطرقة تدخل بها مسمارا فى خشبة ومتى فعلت ذلك انتهت وظيفتها فاذا اردت ان تقتلع المسمار جئت بملزمة مرصودة للاقتلاع لا تصنع غير ذلك ثم .. ثم الى امر آخر .

قد يكون هذا الاداء السريع الذى لا يرضى بالشعور حكما ولا بالقلب هاديا ويكتفى بالمدلول المحدد من مستلزمات العيش الحاضر الذى لا يضيع دقيقة من الوقت . ولكن أبالخبز وحده يحيا الانسان ؟ وهل رأينا الوجود لنقطع دروبه مسوقين بأسواط الالتزام تدفعنا مناخس السرعة مراحا ومغدى ؟

لئن كانت هذه الغاية من الوجود فعلام خلق الله الازاهير التى تتوشى بالالوان الزاهية والعطور الفاتنة ولا تصلح — فى اهم شؤونها — الا للزينة ؟ اما كان الاولى ان يستغنى عنها بخلق « البصل » الذى ينفع ولا يزخرف ؟

نحن لا نرغب فى ان يكون التعبير مثلا بالكلمات التى لا تضيف شيئا الى المعنى المقصود ولا يروقنا ان يجر المرادفات التى لا توسع المدى التصويرى فى الاذهان . نحن لا يسرنا ان تكون الكلمات التى يمكن تصنيفها فى المرتبة الوجدانية كالرقع الجديدة المختلفة الاصباغ والاحجام فى الجدار القديم المتداعى ولا ان تتحول التفاسير الى دروب ملولبة يسهل الدخول اليها ويصعب الخروج منها ويستحيل الوصول بها الى المحجة المطلوبة .

نحن نطمع فى ان يكون التعبير اجمل قليلا مما هو ان لا يقتصر على النفع البحت ، ان يعرف القارىء ان الكاتب يحفل به ويوليه عناية تنبع من قلبه من عاطفته. نحن نطمح الى ان يجد القارىء فى العبارة التى يطالعها لنفسه انسا ولفؤاده متاعا فتجعل الحياة احب اليه مما قبل فى كثير من صورها .

نحن لسنا من مؤيدى الجمود او من دعاة الرجوع الى الوراء . اننا ندرك ان اللغة تتطور كسائر الاشياء التى فيها حياة . وانها اذا بقيت حيث هى لا تؤدى المهمة التى القيت على عهدتها ولا تقوم بالمسؤولية التى خلقت لها . ولكن الفرق بعيد بين تدرج يحمل فى

طياته الخير وبين طفرة فيها من الهوج السيئات والمباذل .

اما الذين يسمون هذه النشوفة ثورة فهم على ضلال مبين . ان الثورات تهدم انظمة وتبدع انظمة . والثورات التى تجنى منها الانسانية الفوائد المادية والمعنوية هى التى تكون اعدت مخطط البناء وادواته ووسائله قبل ان تشرع فى التهديم بحيث لا تنقضى الا فترة قصيرة هى الفترة اللازمة للانتقال فقط من المرحلة الاولى الى الثانية .

ان الهدم سهل . والذى يصنعه الذين ينتقدون الجمال فى اللغة ويريدونها عضوا اشل يصنعه من ينقض بناية ولا يشيد مكانها بحجة ان الارض البور خير من البناء القديم .

والثورات التى غيرت مجرى التاريخ والهبت بين الجوانح نزعة الرقى وبدلت اضطراب الدنيا سكينة ، تناولت الافكار ولم تتناول الالفاظ . كانت مبنية على اساس التمرد على الشرائع وكانت وسيلتها الى الاصلاح — التعابير الجميلة التى تخاطب القلب قبل ان تخاطب العقل . ومن امعن النظر فى اسرار هذه الثورات تبين له ان اسرعها الى الانتشار وابعدها اثرا فى المجتمع هى التى كان فى الدعوة اليها وفى شرح اهدافها اكبر نصيب ممكن من الجمال .

ان القطعة الفنية الجميلة التى تضم فكرة ثورية اصلاحية تعلق فى النفس اولا لانها قطعة فنية جميلة . وجمالها وفنها يمهدان الطريق للفكرة الثورية الجديدة ولا يلبث القارىء او السامع ان يعتنقها وقد اغراه اولا ما فيها من حسن ثم ما فيها من الدعوه الى التحرر والمساواة والاخاء وما اليها .

ولو حاولنا ان نجارى الذين يدعون ان اللغة للاداء فحسب فماذا نفعل بالآثار الادبية العالمية التى تزخر بالجمال وهى التراث الخالد الذى يتحدر من جيل الى جيل وفيه تجارب الانسان يلتمس منها علاج النفس ويمتلك به ناصية الهناء . انعرض عنها ام نلقى على عواتقهم تبعة تجريدها من كل رائع طريف وجعلها مرجعا للجمود والبلادة ؟

ان الاساليب المجردة التى يطالب بها هؤلاء لا يمكن ان تميز كاتبا عن آخر فكأنها خارجة من قالب واحد فى معمل واحد فيها تتلاشى الشخصية الانسانية وتحل محلها الآلة التى لا تبدئ ولا تعيد وهكذا يمكن الاستغناء بكاتب عن بقية الكتاب . اما الاساليب التى تبهرنا ، واما اللغة التى تحرز اعجابنا فهى التى تجعل كل كاتب شخصية مستقلة تتميز عن سواها بخصائصها الواضحة .

فى وسط هذا التيار الجارف من اليبوسة المؤلمة تقف اللغة العربية — للاحتفاظ بروحيتها — موقف المجابهة وهى تدرك اشمل ما يكون الادراك انها مضطرة الى تذليل الصعاب الكاداء وتخطى العقبات الخطيرة . ان اعداءها حاقدون والحجة التى يتكلون عليها تغرى وتغوى ما اسهل ان يعلق فى اشتراكها الذين لا يبالون بالبحث والتنقيب . او ما تسمعهم يصرحون بأنهم يريدون مجاراة روح العصر ومسايرة القافلة الانسانية السائرة الى الامام ويدعون ان التخلف الذى تعانى منه العروبة ما تعانى من دواعيه لغتها وما فى لغتها من تعقيد . ويجهلون او يتجاهلون ان هذه اللغة التى يغيبونها كانت رسول حضارة نشرت اعلامها فى الشرق والغرب ورافقت الفتوحات — وكانت طليعة فيها — ووطدت فى الاصقاع التى دخلتها معالم العمران وظلت — بعد ان تقلصت البنود السياسية فى البلدان المذكورة — تزود الافكار بالروائع وتمون القلوب بالبدائع وتقع موقع الرضا والترحاب حيث حلت .

ويجهلون او يتجاهلون ان هذه اللغة هى من دقة التعبير وقوة الاشتقاق وجلاء الصيغ وغنى المفردات بحيث اختارها الكثيرون من العلماء غير العرب فى الدولتين الاموية والعباسية للدراسة والتأليف . فقد راوها من اصلح اللغات للتعبير عن ادق الشؤون العلمية المختلفة .

ان العلة ليست فى اللغة العربية بل فى الذين لا يفهمونها ويهذرون وهم فى معزل عن الحق .

ان التعقيد ليس فى اللغة العربية — بل فى عقد النقص التى تسيطر على الذين لا يعرفون منها الا ما تلقوه من الذين يخيفهم الدرس او من الذين لهم اغراض ما انزل الله بها من سلطان .

ان هؤلاء الذين يحكمون على اللغة العربية بأنها عالة على التقدم — هم عالة عليها لانهم ينتفعون من

خيراتها الحاضرة الثرة ويعتزون بمكرماتها الماضية العزيزة الماضية التي غرفت منها الانسانية ما غرفت، ولا يفيدونها بشيء من مساعيهم وجهودهم .

ونحن نسأل :

الم يؤلف العلماء العرب ما الفوه من كتب الطب والفلسفة والكيمياء والجبر والفلك والرياضيات والعلوم الاجتماعية المختلفة باللغة العربية ؟ الم تكن المصطلحات الخاصة بهذه الفروع الواردة في هذه المؤلفات باللغة العربية ؟ الا يعد الرازى وابن سينا وابن زهر وابو القاسم وابن رشد وابن خلدون روادا في عدد من مناحي الفكر ؟

ونسأل من جديد :

لقد ترجم العرب جميع ما وصل اليهم من العلوم اليونانية وزادوا عليها مما ابتكروه — افلم يترجموها الى اللغة لعربية ؟ او لم تتفرع من اللغة العربية سائر المصطلحات الجديدة ؟

مرت هذه اللغة بتجارب لا يحصيها عدد وحاول الامارون ارباب البطش الجائر ان ينالوا من حيويتها تمهيدا للقضاء عليها فعادوا بالفشل وظلت تبعث بأشعتها فتبدد عن النفوس ظلمات بعضها فوق بعض

في وسط هذا التيار الذي يحاول ان يجرف ما ينتصب في وجهه نطلع نحن بهذه النغمة « النشاز » فننشر هذا البحث « الكلمات العربية في اللسان الاسباني » نجمع فيه الكلمات العربية التي دخلت على اللسان الاسباني فأصبحت من صميمه . وكان من اللائق — في راى اعداء العروبة — ان نكتب في مواضيع اهم — ان نكتب مثلا في « تفتيت الذرة » او في تلويث الجو بالغازات » او في « استخراج الاكل من البترول »

اننا نترك هذه المواضيع الخطيرة لهؤلاء الجهابذة فليعالجوها بالاخشيشان الذي يطيب لهم وليتركوا لنا هذه الناحية العاطفية فلعلهم يدركون ان اللغة ليست ابرة تخيط لهم الثياب التي تمنع عريهم الروحي من الصقيع فحسب ، ولكنها الابره التي تطرز لهم الثياب التي تخيطها ليشعروا وهم يرتدونها بأنها تقيهم من البرد وتريح العيون التي تنظر الى ما فيها من التزويق الذي يسبغ طمانينة الرضى على الارواح لانه مجلى للجمال والجمال مظهر للكمال الذي تتمثل فيه قدرة الخالق الرحمن .

اهمل الذين كتبوا عن الفتح العربي في الاندلس الاشارة الى ظاهرة غريبة ليست على غرار سابق في تاريخ الفتوحات :

ان المقاومة التي لقيها العرب كادت تكون موقوفة على الطبقة الحاكمة — نعم ان الشعب لم يرحب بالفاتحين ولم يحملهم على الراحات ، بيد انه لم ينظر اليهم نظرة اللدد والضغينة .

والفاتحون طارق ورفاقه ؟ لم يدخلوا اسبانيا ونيتهم — كل نيتها — ان ينقلوا اليها مكاسبهم الانسانية ليقدموها — هبة لوجه الله — على ان مقصدهم لم يكن استلاب خيرات البلاد والعودة من حيث اتوا .

لا نزعم ان العرب رفعوا غصن السلام وكانوا مثال الرفق والاحسان في جميع المناطق التي احتلوها ، انما نقرر انهم لم يجعلوا من السيف الفيصل الاعلى في مسيرتهم المظفره ولم يفرضوا بالشدة آراءهم وقوانينهم

ويدعم قولنا ان التفاهم — ولم ينقض على الفتح الا مدة قصيرة — استتب بين العرب والاسبان فجمعتهما آصرة من تعاطف ومشاركة في جهد وكأن الغاية التي يهدف اليها الفريقان هي ان يتذوقوا ما في الحياة من حسن موفور وان ينعموا بما تهديه الايام من سوانح الرغد والهناء .

وهكذا امتزج الشعبان — في الكدح واللهو — امتزاجا تفتقت عنه البدائع التي لا تزال الى الآن وستظل الى ما شاء الله تحدث عما كان في القلوب من نيات طيبة .

صحيح ان الغارات الاسبانية لم تنقطع حلقاتها انما كانت غارات ينظمها الذين فقدوا سيطرتهم ، وغايتهم استرداد ما فقدوه من سلطان وصولة .

ولا يستنتج من ذلك ان الشعب لم يكن يهمه ان يحكمه غريب عنه ولكنه عاين في التساهل الذي ابداه هذا الغريب حياله مبررا للاستكانة والصبر . ومن عادة الشعوب . حين تحدث الانقلابات السياسية

الخطيرة ان تلجأ الى الهدوء والانتظار لتدرس انفع السبل التى يجب ان تتبعها بعد ان يهدأ الغبار الذى تثيره المعارك التى لا منتدح عنها .

وطال الانتظار فى الاندلس ــ مئات الاعوام ــ لان المفاجئات الفكرية والادبية التى كانت تتدفق من الفاتحين ــ وفيها الخير والبركة ــ وتسابق ركب الزمن فى ابتكار الفنون وتركيز العلوم ما برحت تتجدد.

ان جعبة التبحر فى الفلك والهندسة والطب والكيمياء والجبر والجغرافية والشعر والغناء والتاريخ وغيرها التى كانت تراها البلاد من العرب لم تفرغ طوال تلك المدة .

وعرت الشعب الاسبانى دهشة من الطرائف التى طلع بها الفاتحون ولم يكن يقدر فيهم هذا النبوغ فانقلب اعجابه الى رضوان بالاوضاع السياسية والنظم الاجتماعية .

امعن الفكر قليلا يسفر لك البرهان :

ان الآثار العربية فى الاندلس لا تفتأ حتى اليوم مثار الاعجاب . وكلما تقدم الفن الهندسى زادت اختلابا للعواطف وسحرا للالباب . فما بالك بالاسبان وهم يتأملونها فى جدتها الساحرة تنفث فيما حولها الفتوة والنضارة ؟

فلا غرو اذا لم يضطر الحكام العرب الى ان يصرفوا شؤون البلاد بيد من حديد ــ كما يجرى للذين يستولون على بلدان غريبة ــ فأداروا مقدراتها بقفاز من مخمل . ويثبت اجتهادنا مقابلة سريعة بين حوادث القمع القليلة التى حدثت فى الاندلس وبين الحوادث المماثلة التى جرت فى اى بلاد اخرى تولى الغرباء عنها ادارة امورها .

وراح الاسبان ــ وقد شاهدوا كما اسلفنا معاملة العربى المنطوية على دماثة خلق ولين جانب يقتبسون من العرب الشمائل والعادات والتقاليد وينتفعون بأسباب العلوم والآداب والفنون ويتفننون فى تسويغ ما يأخذون .

ومن يتأمل الفضائل العربية الاصيلة كالكرم والاباء والحمية يجدها واضحة فى الامة الاسبانية قديما وحديثا ان الفتح العربى طبع المجتمع الاسبانى بالطابع العربى ولم يكن قصده الاول ذلك كما لم يكن قصد المجتمع الاسبانى الانصهار فى البوتقة العربية . ان الحضارة التى حملها الفاتحون الاوائل وركزها الذين تولوا المناصب العالية فيها بعد وجدت المضمار واسعا والارض خصبة فوضعت بذورها وتعهدتها ونمت الاغراس واينعت وظهرت الاثمار وطابت وغدت الدنيا العربية فى تلك البقاع تروعك من مآتيها بالمعجزات .

ويدعونا الانصاف الى القول انه اذا كان المجتمع الاسبانى قد اقتبس من العرب ما اقتبس فان العرب اخذوا عنه الرقة والرشاقة وخفة الظل التى تبدت فى انتاجهم الادبى . ان « الموشحات » ليست نتيجة حنين خفى رافق العربى الذى غادر وطنه الى ارض بعيدة وتحدر هذا الحنين الى نفسية ابنائه واحفاده . ولكنه كذلك ــ فى اسلوبه وطريقة ادائه وتسلسله التوقيعى نتيجة للبيئة اللينة الناعمة التى تمرس بها واصبحت بعضا من وجوده .

ويزكى ما قدمنا انه بعد ان استرجع ملوك اسبانيا بلادهم لبث فيها نصف مليون عربى على وجه التقريب. آثروا البقاء ورجحت تقديرهم البيئة التى عاشوا فى ظلالها على الاخطار التى يمثلها بقاؤهم بعد ان غاب سلطانهم . والبيئة التى نذكرها ليست الظواهر التى تتحول وتتغير بل هى الوقائع المتواصلة التى تتأثل وتتأصل كلما مرت عليها الاعوام .

ومن البدائه انه اذا كان الاسبان قد اخذوا عن العرب كثيرا من العادات والخلال والعلوم والفنون والآداب ان يأخذوا شيئا من لغتهم وهى توازى فى اتساع تراكيبها وطلاقة صيغها وظرف مفرداتها ما فى اخلاقهم الاصيلة من قوة . اخذوها من تلقاء انفسهم ــ لم يجبرهم على ذلك امر ولا نظام ولم يرغمهم تهديد او وعيد . اخذوها لانهم رأوا فائدتها فأغنوا لغتهم بها ، وكانت الالفاظ من الكثرة والشمول بحيث تشكل ظاهرة اخرى فريدة من نوعها .

واذا قيل ان المألوف فى الشعوب المغلوبة على امرها ان تقتبس من غالبيتها تعابير عديدة اجبنا ان الفرق كبير بين ان تقتبس امة مقهورة عشرات الكلمات التى

لا بد منها لانها اشارات خاصة فى النظام الجديد وبين ان تقتبس الوفا من الكلمات التى ترتفع عن مستوى الاحتكاك اليومى .

حكم العثمانيون الاقطار العربية اربعمائة سنة او تزيد وجربوا بجميع ما لديهم من الوسائل ان يمحوا اللغة العربية ويستأصلوا شأفتها فخابوا ولم يدسوا فى اللسان العربى غير كلمات ضئيلة لا شأن لها اهمها ما تعلق بأمور عسكرية ادارية ارغموا الاهلين عليها ارغاما .

وعمدت فرنسا وبريطانيا وايطاليا الى التجربة ذاتها فى البلدان التى نشرت سيطرتها عليها قبل الحرب العالمية الاولى واثناءها وبعدها . وكان التعليم الغريب اجباريا او اشبه ما يكون بالاجبارى وكانت الانظمة والشرائع والقرارات والمراسيم تصدر كلها بلغة المحتلين والمنتدبين ولكن العرب لم يأخذوا من اللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية — كما لم يأخذوا من اللغة التركية — الا كلمات قليلة زالت من التداول اليومى حالما جلا هؤلاء عن الاراضى العربية واستردت العروبة بهذا الزوال ما فقدته من خلوص جوهرها .

ان الحاكم الغريب يستطيع ان يفرض ارادته المادية على الشعب المحكوم . يستطيع — مثلا — ان يجبر الناس على البقاء فى بيوتهم عند ما تغيب الشمس . ولكنه لا يستطيع — مهما اوتى من القوة والبطش والظلم — ان يجبر الناس على ان يتذوقوا موسيقاه وان يتغنوا بها . وذا تظاهر فريق بتذوقها والتنعم بها — هربا من العقاب — فانه لا يلبث حين يأمن ، ان ينفر منها ويعرض عنها .

وما غرضنا من الامثلة التى سردناها النص على مناعة اللغة العربية وضعف اللسان الاسبانى كلا . ان اقتباس اللغات بعضها من بعض سنة من سنن الطبيعة لا يستغنى عنها الا اذا استغنت فئة من البشرية عن بقية الفئات . غرضنا التنويه بأن الاسبان اخذوا من اللغة العربية ما اخذوا بصورة عفوية ولو انهم اتصلوا بالعرب — من مدخل غير باب الفتح — لكان من الثابت ان يكون موقفهم من اللغة ما كان خلال العهد العربى .

ومما يسترعى الانتباه فى الاقتباس الاسبانى ان القسم الاوفى من الكلمات المنقولة كانت تتصل بعلوم النبات والكيمياء والحيوان والجبر والفلك وفنون التوشية والتخطيط والتنقيش وبقية الشؤون التقنية التى اشتهر بها العرب وكانوا اساتذتها .

وامر آخر لا غنى لنا عن ذكره لان الذين اشبعوا هذه المواضيع درسا لم يفطنوا له مع جدارته بالاهتمام: اذا احصينا الالفاظ المقتبسة وجدنا ان عدد الكلمات التى تدل على الفضائل يفوق اضعاف اضعاف الكلمات التى تعنى الرذائل . وهذا الاستمداد — ومرجعه الى اصالة الاخلاق ولا شك — هو من الحسنات التى تسجل للاسبان لانهم هم الذين اخذوها كما تسجل للعرب لان الفضائل فيهم كانت اكثر انتشارا وابعد اثرا .

وحاولنا فى هذه الصفحات ان نقرب من الانصاف ما امكن فلم نغال ولم نبالغ وقد ذكر بعض من الموا بهذا الموضوع ان الكلمات المأخوذة تبلغ عدة آلاف .

وكانت طريقتنا فى التحقيق هكذا :

نتناول الكلمة التى تواترت الآراء او تواضعت الكتب على ان اصلها عربى فنبحث عنها فى المعاجم الاسبانية التى يصح الاعتماد عليها الى ان نحصى جميع معانيها ولنفرض انها ثلاثة . ثم نعمد الى المعاجم العربية التى يصح الاعتماد عليها فنبحث عن معانيها ولنفرض كذلك انها ثلاثة فنتحول الى المقابلة بين المعانى الستة ناظرين بعين الاعتبار الى التحوير الذى قد يكون طرا على التلفظ بها فان وجدنا معنى اسبانيا ينطبق على المعنى العربى قررنا انها من اصل عربى. وان ناوبتناشبهة او ريبة او راينا ان اللفظين متقاربان ولكن المعنين مختلفان اغفلناها . وهكذا فى مكنتنا التاكيد ان الكلمات التى نعرضها هى من اصل عربى — مائة بالمائة — واغفلنا اسماء الاماكن والاشخاص فهى وان تكن من ارومة عربية فقد تشترك فيها جميع اللغات لان وضعها الثابت يقتضى من كل لغة ان تأخذها كما هى الا فيما ندر . ونستدرك فنقول اننا وضعنا بضع كلمات لاسماء اعلام بمثابة لافتة ليس الا .

قد يبحث القارىء عن الفاظ وردت فلا يجدها فى المعاجم العربية العادية كما لا يجد اخواتها فى المعاجم

الاسبانية البسيطة ولا يعثر عليها فى الاحاديث التى تدور بين الشعب . وما ذلك الا لان هذه الكلمات اصبحت مهجورة او من الاوابد وكل لغة فيها الفاظ تحيا طويلا والفاظ لا تعمر الا مدة قصيرة والفاظ تستبدل بغيرها بعد حين ولا مرية فى ان بعض الكلمات اصابها شىء قليل او كثير من التحوير وذلك لاختلاف النظام الصوتى فى اللغتين من جهة ولتباين اللفظ العربى بين اللغة الفصحى التى تحدد الحركات تحديدا دقيقا واللفظ فى التداول اليومى الذى يصح فيه التسامح فى تحديد الحركات .

ولو اردنا الاستشهاد بما قاله علماء الاسبان فى هذا الصدد لاحتجنا الى صفحات عديدة بل الى مجلدات . ونقتصر على ما قاله العالم الاستاذ Rafael Lapesa فى كتابه « تاريخ اللغة الاسبانية » وهذه هى عبارته :

« ان العامل العربى فى تكوين اللغة الاسبانية يأتى مباشرة بعد العامل اللاتينى » .

ولا يسعنا — ونحن نكتب فى هذا الموضوع الا ان نثبت تقديرنا للاسبان واعجابنا بهم فانهم لم يكتفوا بان ينقلوا عنا ما نقلوا طيلة الحكم العربى من سنة 711 الى سنة 1492 بل نقلوا هم — علوم العرب وآدابهم الى اوروبا فتأثرت بالكلمات العربية كثير من اللغات كالانكليزية والفرنسية والايطالية فكانوا خير تراجمة لها فى القرون الوسطى ولا يزالون من اشد الناس غيرة على التراث العربى الذى حافظوا عليه ويحافظون بغيرة واخلاص وحماسة .

اننا نضع هذا الكتاب فى ايدى القراء على امل ان نكون ادينا جانبا من واجبنا الادبى وبينا الروابط الوثيقة التى تجمع الامتين العربية والاسبانية من خلال اللغة التى هى من اهم الذرائع للتفاهم الذى لا بد منه — توطيدا للسلام — فى هذه الآونة الخطيرة التى تمر بها انسانية ظامئة الى الحق والمحبة .

A

Ababol	حبيوره
Abalorio	البلور
Abarraz	حب الرس
Abelmosco	حب المسك
Abenuz	ابنوس
Acafelar	تفل
Acebibe	الزبيب
Aceche	الزاج
Acederaque	ازدرخت
Aceifa	الصيفة
Aceite	الزيت
Aceituna	الزيتون
Acelga	السلقة
Acémila	الزاملة
Acemite	السميد
Acenefa	الصنفة
Acena	السانية
Acequia	الساقية
Acerola	الزعرورة
Acetre	السطل
Acial	الزيار
Acibar	الصبر
Acicalar	صقل
Acicate	الشوكة
Acidaque	الصداق
Cimut	السمت
Acirate	الصراط
Acitara	الستارة
Achaque	الشكاء
Adafina	الدفينة
Adalid	الدليل
Adaraja	الدرجة
Adarga	الدرقة
Adargama	الدرمك
Adarme	الدرهم
Adarvar	اضطرب
Adarve	الدرب
Adaza	العدسة
Adehala	الدخالة
Adelfa	الدلفى
Adema	الدعمة
Ademe	الدعم
Aderra	الضرع

Adiafa	الضيافة
Adivas	الذئبة
Adive	الذئب
Adobe	الطوب
Adoquin	الدكة
Ador	الدور
Adra	الدارة
Aduana	الديوان
Aduar	الدور
Aducar	الدكار
Adufa	الدفة
Adufe	الدف
Adul	العدل
Adula	الدولة
Adunia	الدنيا
Adutaque	الدقاق
Afice	حفيظ
Aforra	الحر
Agraz	ارغيس
Aguajaque	الوشق
Aguanafa	النفحة
Ajabebra	الشبابة
Ajaraca	الشركة
Ajarafe	الشرف
Ajebe	الشب
Ajedrea	الشطرية
Ajedrez	الشطرنج
Ajenuz	السنوز
Ajimez	الشماسة
Ajomate	الجمات
Ajonjoli	الجلجلان
Ajorca	الشركة
Ajuagas	الشقاق
Ajuar	الشعراء
Ala	يا الله
Ala	الله
Alābega	الحبق
Alacena	الخزانة
Alacrān	العقربان
Alafia	العافية
Alahilca	العلاقة
Alajor	العشور
Alajū	الفحوة
Alamar	الحمير
Alambique	الانبيق
Alambor	العبر
Alamin	الامين
Alamud	العمود
Alaqueca	العقيقة
Alara	الهلهل
Alarābe	العرب
Alarade	العرض
Alarguez	الارغيس
Alarife	العريف
Alaroz	العروس
Alatar	العطار
Alatrōn	الاطرون
Alazān	الحصان
Alazor	العصفر
Albacara	البكرة
Albacea	الوصية
Albacora	الباكورة
Albahaca	الحبقة
Albaida	البيضا
Albaire	البيض
Albala	البراءة
Albanar	البناء
Albanega	البنيقة
Albanil	البناء
Albaquia	البقية
Albarān	البراءة
Albarazado	لبرش
Albarazo	البرص
Albardān	البردان
Albardin	البردى
Albaricoque	البرقوق
Albarrada	البرادة
Albarran	البراني
Llbatosa	البطاش
Albayalde	البياض
Albéitar	البيطر
Albenda	البند
Alberca	البركة
Albetrchigo	الفرسق
Albihar	البهار
Albitana	البطانة

Alboaire	البحير
Albogue	البوق
Albohera	البحيرة
Alboheza	الخبازه
Albohol	البخور
Albōndiga	البندقية
Alborbola	الولولة
Alborga	البرغة
Albornia	البرنية
Albornoz	البرنس
Alboronia	البورانية
Alborogue	البركة
Alboroto	البروز
Alborozo	البروز
Albotin	النطيم
Albricias	البشارة
Albudeca	البطيخة
Alcabala	القبالة
Alcabela	القبيلة
Alcabor	الخرشوف
Alcacel	القصيل
Alcachofa	الخرشوف
Alcaduz	القادوس
Alcafar	الكفل
Alcahaz	القفص
Alcahuete	القواد
Alcaiceria	القيسارية
Alcaide	القائد
Alcalde	القاضى
Alcali	القلى
Alcaller	القلال
Alcamiz	الخميس
Alarde	العرض
Alcamonias	الكمون
Alcana	الحنا
Alcanā	الخانات
Alcancia	الكنز
Alcāndara	الكندرة
Alcanfor	الكافور
Alcantara	القنطرة
Alcaparra	الكبارة
Alcaravān	الكروان
Alcaravea	الكرويا
Alcarcenā	الكرسنة
Alcaria	القرية
Alcarraza	صح
Alcartaz	القرطاس
Alcatara	القطارة
Alcatifa	القطيفة
Alcavera	القبيلة
Alcayata	الخيطة
Alcazaba	القصبة
Alcāzar	القصر
Alcazuz	عرق السوس
Alcoba	القبة
Alcohela	الكحيلة
Alcohol	الكحل
Alcoholar	تفول
Alcolla	القلة
Alcor	القور
Alcorān	القرآن
Alcorci	القرص
Alcorque	القرق
Alcorza	القرصة
Alcotān	القطام
Alcotana	القطاعة
Alcrebite	الكبريت
Alcroco	الكروكو
Alcuna	الكنية
Alcuza	الكوزه
Alcuzcuz	الكسكس
Alchub	الجب
Aldaba	الضبة
Aldea	الضيعة
Aldebaran	الدبران
Aldiz	الديسة
Alefriz	الفراض
Aleja	اللويح
Alejija	الدشيشة
Alema	الماء
Alepin	الحلبى
Alerce	الارز
Aletria	الاطرية
Aleve	العيب
Aleya	الآية
Alfabega	الحبقة

الف باء	Alfabeto
الهدية	Alfadiā
الحب	Alfafa
الفوارة	Alfaguara
الفخار	Alfahar
الحجام	Alfajeme
الفصفصة	Alfalfa
البنيقة	Alfanigue
الخنجر	Alfanje
الفك	Alfaque
الفكاك	Alfaqueque
الفقيه	Alfaqui
الحكيم	Alfaquin
الفرس	Alfaraz
الفردة	Alfarda
الفرضى	Alfardōn
الحرام	Alfareme
الفخار	Alfarero
الفرش	Alfarje
الخرص	Alfarrazar
الحاجة	Alfaya
الخياط	Alfayate
ابو فساس	Alfazaque
الفانيد	Alfeñique
الفارس	Alferez
الفراس	Alferraz
الفقوس	Alficoz
الفيل	Alfil
الخلال	Alfiler
الهند	Alfinde
الفتات	Alfitete
الخمرة	Alfombra
الفستق	Alfoncigo
الخرج	Alforja
الخرزة	Alforza
الحوز	Alfoz
الغابة	Algaba
الغيضة	Algaida
الغالية	Algalia
الغار	Algar
الغاره	Algara
العربية	Algarabia
الغربى	Algarabio
الغريب	Algarivo
العرادة	Algarrada
الخروبة	Algarroba
الغوار	Algavaro
الغزارة	Algazara
الغاسول	Algazul
الجبر	Algebra
القطن	Algodōn
الغرفة	Algorfa
الخوارزمى	Algoritmo
الوزير	Alguacil
الوقيدة	Alguāquida
الرزة	Alguaza
الحديدة	Alhadida
الخيط	Alhaite
الحاجة	Alhaja
الخمر	Alhamar
الحمال	Alhamel
الحنظل	Alhandal
الحنية	Alhania
الحايك	Alhaquin
الحركة	Alharaca
الحرمل	Alharma
الحوارى	Alhavara
الحلقة	Alhelga
الخيرى	Alheli
الحنا	Alheña
الحاج	Alhoja
الحلبة	Alholva
الفندق	Alhondiga
الهرى	Alhori
الحرمة	Alhorma
الخرى	Alhorre
الخزامة (1)	Alhucema
الخشيناء	Alhucena
الحراق	Alhureca
اليرقان	Aliacān
العيار	Aliara
اللكاث	Alicatar
اللقاط	Alicates

1 — ومنها اشتق اسم مدينة «الحسيمة» وهى ثغر فى المغرب الشمالى على البحر المتوسط

Alidada	العضادة
Alifa	الحلفة
Alifafe	الخفــاف
Alifara	الفرح
Alijar	الصحارى
Alimara	الامارة
Alinde	الهنـد
Alioj	اليشــق
Alionin	الجونى
Alizace	الاسـاس
Alizar	الازار
Aljaba	الجعبة
Aljabibe	الجباب
Aljama	الجماعة
Aljamia	العجمية
Aljaraz	الجرس
Aljorfa	الجرفة
Aljerife	الجارف
Aljévena	الجفنــة
Aljez	الجبس
Aljibe	الجباب
Aljofaina	الجفنية
Aljofar	الجوهر
Aljofifa	الجفافة
Aljor	الجــر
Aljuba	الجبــة
Almaceria	المزرعة
Almacen	المخزن
Almadena	المعدن
Almadia	المعدية
Almadraba	المزربــة
Almadraque	المطرح
Almagacen	المخزن
Almagesto	المجستى
Almagra	المغرة
Almahala	المحلة
Almaizar	المئزر
Almaja	المجبى
Almajanique	المنجنيق
Almajar	المعجر
Almajara	المشجرة
Almalafa	الملحفة
Almanaca	المخنقة

Almanaque	المنــاخ
Almanceb	المنصب
Almarada	المخرزة
Almarbate	المربط
Almarcha	المرجة
Almarjo	المــرج
Almaro	المــرو
Almarra	المحلاج
Almarraja	المرشــة
Almartaga	المرتــع
Almastiga	المستكى
Almatriche	المطريج
Almazara	المعصرة
Almazarron	المصران
Almea	الميعــة
Almejia	المحشية
Almenar	المنــار
Almenara	المنارة
Almez	الميــس
Almibar	المبــرد
Almicantarat	المقنطرة
Almidana	الميدان
Almifor	المفــر
Almijar	المنشــر
Almijara	الماجل
Almimbar	المنبــر
Alminar	المنــار
Almiral	الا[illegible]
Almirez	المهــراس
Almiron	الاميرون
Almizque	المسك
Almocaden	المقدم
Almocafre	المحفــر
Almocarbe	المقــربص
Almocat	المخــات
Almoceda	المسدى
Almocrebe	المكارى
Almocri	المقرى
Almodon	المدهون
Almofalla	المصلى
Almofar	المغفر
Almofia	المخفية
Almofrej	المفرش

Almogama	المجامع
Almogavar	المغاور
Almohada	المخدة
Almohade	الموحد
Almohatre	النشادر
Almohaza	المحسة
Almojabana	المجبنة
Almojama	المشمع
Almojaref	المشرف
Almojaya	المجايزة
Almona	المونة
Almoneda	المناداة
Almoradux	المردش
Almoravid	المرابط
Almori	المرى
Almorrefa	المنجرفة
Almotacén	المحتسب
Almotalafe	المستحلف
Almotazaf	المعتسف
Almozala	المصلى
Almud	المد
Almudi	المدى
Almuédano	المؤذن
Almunia	المنية
Aloque	الخلوقى
Aloquin	الوقى
Alosna	الاشنة
Alpargata	البرغات
Alquequenje	الكاكنج
Alqueria	القرية
Alquermes	القرمز
Alquerque	القرق
Alquéz	القياس
Alquezar	القصارة
Alquibla	القبلة
Alquicel	الكساء
Alquiler	الكراء
Alquimla	الكيمياء
Alquinal	القناع
Alquitira	الكثيراء
Alquitran	القطران
Alrota	الروث
Altamia	الطعمة
Altramuz	الترمس
Alubia	اللوبيا
Aludel	الاثال
Aluneb	العناب
Aluquete	الوقيد
Alloza	اللوزه
Amago	الصمغ
Aman	امان
Amapola	جبورة
Ambar	عنبر
Āmel	عامل
Amin	امين
Amir	امير
Amusgar	مصطفى
Anacalo	نقال
Anafaga	النفقة
Anafalla	النفاية
Anaquel	النقال
Andorga	عندقة
Andrajo	انضراج
Anea	الناى
Anejir	النشيد
Anfiõn	افيون
Ànoria	الناعورة
Anorza	العرشان
Anũteba	الندبة
Añacal	النقال
Añacea	النزاهة
Añafea	النفاية
Añafil	النفير
Añagaza	النقازة
Añasco	النشق
Añazme	النظم
Añicos	النقض
Añil	النيل
Arabe	عربى
Arancel	علم الاسعار
Arar	عرعر
Argamandel	منديل
Argãn	ارجان
Arganas	عرقان
Argaya	الغاية
Argel	ارجل

Argolla	الغل
Arije	عريش
Arijo	رهيش
Arimez	العماد
Arjorãn	ارجوان
Arrabã	الرباع
Arrabal	ارباض
Arracada	اقراط
Arraez	الريس
Arrate	الرطل
Arrayãn	الريحان
Arrecife	الرصيف
Arrejaque	الرشاقة
Arrelde	الرطل
Arrequife	الركاب
Arrequive	الركيب
Arrezafe	الحرشف
Arriate	الرياض
Arriaz	الرياس
Arriacés	الرزاز
Arrizafa	الرصافة
Arroba	الربع
Arrocabe	الركاب
Arrope	الرب
Arroz	الرز
Arsenal	دار صناعة (ترسانة)
Ascari	عسكرى
Asequi	الزكاة
Asesino	حشاشون
Atabaca	الطباق
Atabal	الطبل
Atabe	الثقبة
Atacir	التسيير
Atafarra	الثفر
Atafea	الطفاحة
Atahona	الطاحونة
Atahorma	التغرمة
Ataifor	الطيفور
Ataire	الدائرة
Atalaya	الطلائع
Atalvina	التلبينة
Atambor	الطنبور
Atanor	التنور
Atanquĩa	التنقية
Ataquizar	تكاثر
Ataracea	الترصيع
Atarazana	دار الصناعة (الترسانة)
Atarfe	الطرفاء
Atarjea	الشركة (الترعة)
Atarraga	الطراقة
Atarragar	طرق
Atarraya	الطراحة
Ataud	التابوت
Ataujia	التوشية
Ataurique	التوريق
Atavio	التعبية
Atifle	اثافى
Atijara	التجارة
Atincar	التنكار
Atoba	الطوبة
Atriaca	الترياق
Atutia	التوتيا
Auge	اوج
Averia	عوارية
Azabache	السبج
Azabara	الصبارة
Azacan	السقاء
Azacaya	السقاية
Azache	الساج
Azafate	السفط
Azafran	الزعفران
Azagador	السكة
Azahar	الزهر
Azala	الصلاة
Azamboa	الزنبوعة
Azandar	الصندل
Azanoria	اسفنارية
Azaque	الزكاة
Azaquefa	السقيفة
Azar	الزهر
Azarbe	السرب
Azarcõn	الزرقون
Azarja	السارجة
Azarnefe	الزرنيخ
Azarote	الصضر
Azofar	الصفار

Azofra	السخرة
Azogar	سقى
Azogue	السوق
Azor	السور
Azorafa	الزرافة
Azote	السوط
Azotea	السطحية
Azugar	السكر
Azucena	السوسن
Azud	السد
Azufaifa	الزفيزف
Azul	لازورد
Azulaque	السلاقة
Azulejo	الزليج
Azūmbar	السنبل
Azumbe	الثمن

B

Babucha	بابوج
Badal	بادل
Badān	بدن
Badāna	بطانة
Badea	بطيخة
Badén	باطن
Bagaje	بقجة
Bagarino	بحرى
Bahari	بحرى
Baladi	باطل
Balaj	بلخش
Balate	بلاط
Baldar	باطلة
Balda	بطل
Baque	وقع
Baquero	بقير
Baraca	بركة
Barcino	برش
Bardaje	بردج
Barī	بارع
Barragan	بركان
Barrio	برى
Bata	بت
Bayal	بعل
Baza	بز
Beduino	بدوى
Bellota	بلوطة
Ben	بان
Benisalem	بنى سالم
Benjui	لبان جوى
Berberi	بربرى
Bereber	بربر
Berenjena	بذنجان
Bernegal	برنية
Bezaar	بزار
Biznaga	بشناقة
Bocaci	بغازى
Bodoque	بندق
Bōfeta	بافتة
Borax	بورق
Borni	برنى
Botor	بثور
Bujīa	بجاية
Burche	برج
Burdo	برد

C

Cabila	قبيلة
Cadi	قاضى
Cadira	قدره
Cafela	قفل
Cafería	كنز
Cāfila	قافلة
Cafiz	قفيز
Cafre	كافر
Caftān	قفطان
Caid	قائد
Caimacān	قائمقام
Cala	كلأ
Calafetear	قلف
Calatañazor	قلعة النور
Calataraje	قلعة الاعرج
Calibo	قالب
Califa	خليفة

Coba	قبـــة
Coime	قائم
Colcōtar	تلقطار
Copa	كوب
Cora	كورة
Cotōn	قطن
Cotoniā	قطنية
Cozcucho	كسكس
Cubeba	كبابة
Cufico	كوفة
Cūrcuma	كركم
Curdo	كردى
Chafarote	شفرة
Chaira	شفرة
Chalān	جلاب
Chamariz	ساماريز
Charca	طرقة
Charrān	شراني
Cherva	خروع
Chifla	شفرة
Chilaba	جلابة
Chivo	جب
Choza	خص
Chuca	شقة
Chuche	جوه
Chupa	جبة

D

Daga	طاقة
Dahir	ظهـر
Daifa	ضيفة
Damajuan	دامجان
Dante	لمـط
Dārseña	دار صناعة (ترسانة)
Daza	دقسة
Dibujo	ديباجة
Dinar	دينار
Divan	ديوان
Dula	دولة

Cambuj	كنبوش
Camocān	كمخا
Camuñas	كمون
Canana	كنانة
Cāncano	قمقام
Candil	قنديل
Cārabe	كهرباء
Carabo	قــراب
Caramida	قرنيط
Cāramo	خمـــر
Carava	قرابة
Carcajada	تهتهة
Carcax	خلخال
Carme	كرمة
Carmesī	قرمزى
Cārtamo	قرطم
Catalayub	قلعة ايوب
Cazo	كاس
Cazuz	قسوس
Cazzurro	قزور
Cebti	سبتى
Ceca	سكة
Cedoaria	زدوار
Cegatero	سقــاط
Cegri	ثغــرى
Celemi	ثمانى
Cenefa	صنفـة
Ceni	صينى
Cenit	سمت الراس
Cequi	سكــى
Cerbatana	زبطانة
Cero	صفر
Ceuti	سبتى
Ciani	زيان
Cibica	سبيكة
Cica	زق
Cifac	صفاق
Cifra	صفر
Cimbara	زبارة
Citara	ستارة
Civeto	زبد
Cofa	قفة
Coīma	قويمة

E

Elche	علج
Elixir	اكسير
Engarzar	خــرز
Enjeco	الشك
Escabeche	سكباج
Estragōn	طرخون

F

Faca	فرخــة
Faluca	فلوكة
Falleba	خلابة
Fanal	فنــار
Fanega	فنيقة
Faquir	فقير
Farda	فرضة
Fardacho	فرضخ
Farfān	فرخان
Farfara	هلهل
Farota	خروطة
Fata	حتــى
Fetua	فتوى
Fileli	فيلانى
Foceifiza	فسيفساء
Fodoli	فضولى
Foluz	فلوس
Frez	فــرث
Fulano	فلان
Fundago	فندق
Fustan	فسطان

G

Gacela	غزالة
Gafeti	غافتى
Galanga	خلنجان
Galayo	تلاعة
Galbana	جلبــان
Galima	غنيمة
Gandul	غندور
Gañguil	تنجة
Gañan	غنام
Garbino	غربى
Garduña	قرقدون
Gargara	غرغرة
Gargol	غرقل
Garrafa	غراف
Garrama	غرامة
Garrido	غرى
Gibraltar	جبل طارق
Goja	قفة
Gomer	غمارة
Granadi	غرناطى
Grisgris	حــرز
Guācharo	وجر
Guadafiones	وظاف
Guadalen	وادى العين
Guadalkibir	وادى الكبير
Guadameci	وادى المسى
Guadarrama	وادى الرملة
Guajete	واحد
Gualā	واللــه
Guarismo	خوارزمى
Guilla	غلة
Guitarra	قيثار
Gumīa	كمى
Guarapas	غراب
Gurbīon	فربيون

H

Habiz	حبيس
Hacino	حزيــن
Hafiz	حفيظ
Hala	هلا
Haragān	فراغة
Harambel	الحنبل
Harca	حركة
Harēm	حــرم
Harōn	حرون
Harre	هر

Hasani	حسانى
Haxix	حشيش
Hegira	هجرة
Hoque	حق
Horro	حر
Hurī	حورى

I

Islam	اسلام

J

Jabali	جبلى
Jabalōn	جبلون
Jabeca	سبيكة
Jābeca	شبكة
Jabeque	شباك
Jabī	شبى
Jācena	جيزان
Jaco	شك
Jaez	جهاز
Jaguarzo	شقواص
Jaharrar	حوارى
Jaique	حايك
Jaloque	شروق
[illegible]	حماد
Jāmila	جميلة
Japuta	شبوط
Jaque	شق
Jaqueca	شقيقة
Jāquima	شكيمة
Jara	شعرة
Jarabe	شراب
Jaraiz	صهريج
Jaramago	سرمق
Jareta	شريط
Jarifo	شرين
Jarope	شروب
Jarra	جرة
Jarro	غراف
Jatib	خطيب
Jazarino	جزائرى
Jazmin	ياسمين
Jea	جزية
Jebe	شبة
Jeliz	جلاس
Jeque	شيخ
Jerbo	جربوع
Jerif	شريف
Jeta	خطم
Jifa	جيفة
Jifero	شفرة
Jineta	جرنيط
Jirafa	زرافة
Jirel	جلال
Jofaina	جفينة
Jofor	جفر
Jorfe	جرف
Jorro	جر
Josa	حش
Jota	فتة
Jubōn	جبة
Julepe	جلاب
Jurdia	زردية

K

Kermes	قرمز

L

Lailan	دلال
Laūd	العود
Laudano	الاودن
Leila	ليلة
Lelili	لااله الا الله
Lerda	جرذ
Lilac	ليلاك
Limon	ليمون

M

Macabro	مقبرة

Macsura	مقصورة
Magacen	مخزن
Maglaca	مغلقة
Maharon	محروم
Maharrama	محرمة
Majzen	مخزن
Mameluco	مملوك
Marabu	مربوط
Maravedi	مرابطي
Marchamo	مرشم
Maríega	مرفقة
Marfil	عظم الفيل
Marfuz	مرفوض
Margomar	مرقوم
Marjal	مرج
Marlota	ملبوطة
Marmita	برمة
Maroma	مبرومة
Marras	مرة
Masamuda	مصموده
Mascara	مسخرة
Matachin	متوجهين
Matalahuva	حبة حلوة
Matraca	مطرقة
Mazari	مصرى
Mazmodina	مصمودى
Mazmorra	مطمورة
Meca	مكة
Mehala	محلة
Meiunje	معجون
Mengano	من كان
Mequetrefe	مغطرف
Merode	مراد
Metical	مثقال
Mezquino	مسكين
Mezquita	مسجد
Mia	مائة
Mikrab	محراب
Miramamolin	امير المومنين
Mistico	مسطح
Mogal	مغل
Mogataz	مغطس
Mogate	مغطى
Moharra	مجرب
Moharracho	مهرج
Mohatra	مخاطرة
Moheda	مغيضة
Moji	محشى
Momia	مومياء
Monfi	منفى
Monzon	موسم
Moraga	محرقة
Mozarabe	مستعرب
Mazcorra	مشغوره
Mudéjar	مدجن
Mufti	مفتى
Mujalata	مخالطة
Muladi	مولدى
Mulquia	ملكية
Muna	مونة
Muselina	موصلى
Muslime	مسلم
Musulman	مسلم

N

Nabab	نائب
Nabi	نبى
Nadir	نظير
Nafa	نفحة
Naife	نيف
Naipe	نايب
Najarse	نجاة
Naranja	نارنج
Natrun	نطرون
Nebli	نبلى
Nenufar	نيلوفر
Nesga	نسجة
Noque	نقعة
Noria	ناعورة
Nuca	نخاع

O

Ojala	ان شاء الله

Romana	رمانة
Ronsal	رسن
Rubia	ربع
Ruc	رخ
Rumi	رومى
Ruzafa	رصافة

S

Sabalo	شابل
Saboga	صبوغة
Sacre	صقر
Saleb	سحلب
Samarugo	سموك
Sampaguita	زنبق
Sāsdalo	صندل
Sandía	سندية
Sarilla	شطرية
Sarraceno	شرقى
Sebestēn	سبستان
Sena	سنا
Serafín	شريفى
Serasquier	عسكر (سر عسكر = رئيس العسكر)
Servato	حربث
Simùn	سموم
Siroco	شروق
Sofa	صفة
Sofi o sufi	صوفى
Sofora	صفيراء
Soldan o sultan	سلطان
Sorbete	شربة
Sorgo	شرقى

T

Taba	كعبة
Tabaque	طبق
Tabi	عتابى
Tabica	تطبيقة
Tabor	طابور
Tabuco	طبق

Ojaranza	حرنج
Oruzuz	عرق سوس
Otomano	عثمانى

P

Papagayo	ببغاء

Q

Quermes	قرمز
Quilate	قيراط
Quina	كينا
Quintal	قنطار

R

Rabadan	رب الضان
Rabazuz	لب السوس
Rabel	رباب
Rabida	رابطة
Rafe	رف
Rahali	رحلى
Rahez	رخيص
Ramadan	رمضان
Rambla	رملة
Rauda	روضة
Recamar	رقم
Recua	ركوة
Redoma	رضومة
Regaifa	رغيفة
Rehala	رحلة
Rehen	رهين
Rejalgar	رهج الغار
Requive	ركيب
Res	رأس
Resma	رزمة
Retama	رتمة
Rifarrafa	رفرافة
Rima	رزمة
Robo	ربع

Taca	طاقة
Tafurea	طيفورية
Tagarino	ثغرى
Taha	طاعة
Tahali	تهليل
Taheño	طحنة
Tahona	طاحونة
Tahur	دخول
Taibeque	تشبيكة
Taifa	طائفة
Talco o Talque	طلق
Talega	تعليقة
Talismān	طلسم
Talvina	تلبينة
Tāmaras	تمر
Tamarindo	تمر هندى
Tambor	طنبور
Tamīz	تمييز
Tara	طرحة
Taracea	ترصيع
Taraje	طرفاء
Tarbea	تربيع
Tarea	طراحة
Tarida	طريده
Tarifa	تعريفة
Tarima	طريمة
Tarquin	تركيم
Tasquil	تشكيل
Taujia	توشية
Taza	طاسة
Tegual	ثقل
Tellis	تليس
Tereniabīn	ترنجبين
Tertil	ترطيل
Tibar	تبر
Tomin	ثمين
Toronja	ترنجة
Toronjina	ترنجان
Trona	نطرون
Truchiman	ترجمان
Tuera	طوارة
Turbit	تربد
Turqui	تركى
Tutia	توتيا

U

Ulema	علماء

V

Vacari	بقرى
Velmez	ملبس

X

Xara	شبرع

Z

Zabacequia	صاحب الساقية
Zabila	صبيرة
Zabra	زورق
Zacatin	سقاطين
Zafa	صحفة
Zafar	تراح
Zafari	سفرى
Zafariche	صهريج
Zafio	سفع
Zafon	سفان
Zafra	صفرية
Zaga	ساقة
Zagal	زغل
Zagüia	زاوية
Zaguān	سطوان
Zahreño	صحراء
Zahén	زيان
Zahinas	سخينة
Zahora	سحور
Zahori	زهرى
Zaida	صايدة
Zaino	خائن
Zalā	صلاة

Zalama	سلام
Zalamelé	سلام عليك
Zalea	سلاخة
Zalmedina	صاحب المدينة
Zalona	زلونة
Zamacuco	صمكوك
Zamarra	سمور
Zambra	زمرة
Zanja	زنقة
Zaque	زق
Zaquizami	سقف سما
Zara	ذرة
Zaragüelles	سراويل
Zaratān	سرطان
Zarco	زرقاء
Zargatona	بزركتان
Zarretin	سرتي
Zarza	شرس
Zarzahān	زردخان
Zatara	شختورة
Zoco	سوق
Zofra	سفرة
Zoquete	سقاط
Zorzal	زرزال
Zubia	شعبة
Zulaque	سلاقة
Zulla	سلج
Zuna	سنة
Zurito	طوري
Zurrapa	سراب
Zurriaga	شريكة
Zurrōn	صرة

*

مصطلحات الشرطة

وردت علينا رسالة من المنظمة العربيــة للدفـاع الاجتماعى بدمشق ترجو فيها تعريب بعض المصطلحات الشائعة فى مجال الشرطـة وننشر فيمـا يلى هـذه المصطلحات معربة بعد ان وضعنا الى جانبها ما يقابلها باللغتين الانكليزية والفرنسية ــ تعميما للفائدة وليطلع عليها القراء والمهتمون ويوافونا بآرائهم القيمة :

	المصطلح المطلوب تعريبـه	المصطلح المقترح	الفرنسى	الانكليزى
1	قومنـدال	رائد (قائد)	Commandant	Major
2	حكمـدار	نقيـب	Capitaine	Captan
3	صـول	مساعـد	Adjudant	Company sergeant
4	بتجاويش	رقيب اول	Sergent-chef	Sergeant-major
5	جـاويش	رقيـب	Sergent	Sergeant
6	او مباشى	عـريف	Caporal	Corporal
7	طابور تدريب	تـدريـب	Exercice, Entrainement	(Police sergeant) Drill training)
8	سنكـى	حـربـة	Baionnette	Bayonet
9	بيلـوت	بدلة العمل	Tenue, uniforme	Dress, Uniform

الانكليزى	الفرنسى	المصطلح المقترح	المصطلح المطلوب تعريبه	
Brasso	Brasso	مزيل الصدأ	بـراسو	10
Files	Archives	مصنفات ـ سجلات محفوظـات	ارشيـف	11
Short	Short	بنطال قصير = تبان تصيف	شـورت	12
Visa	Visa	(تاشيرة)	فيـزا	13
Dress	Tenue	سترة ـ بذلة المراسم ، لباس الميدان ، لباس العمـل لباس التمويه ، لبـاس الثلج ، لبـاس الطيران الخ . . .) بذلة تبعـة	بدلـة	14
Beret	Beret		بيـريـه	15
Trousers	Pantalon	سراويل	بنطلـون	16
Cap	Casquette, Kepi	عمـرة	كـاب	17
Boot	Bottillon	حذاء عال	حذاء بوت	18
Shoe	Soulier	حذاء قصير	بسطـار	19
Gum-boot	Botte de caoutchouc de mer	حذاء مطـاطـي ـ حـذاء مطـري ـ حـذاء البحـر ـ	حذاء ربل	20
Flannel-vest	Sous-vêtement (gilet)	مجسد . شعار	فانيـلا	21
String	Fil	خيط ـ	قيطان	22
Belt	Ceinture	حزام ـ نطاق	قايـش	23
Bed	Lit	سرير	دوجـج (دوشـج)	24
Peg	Chevetre	مشبك (اذا كان للبارودة مسند الاسلحة (اذا كان المقصود به ربط الاسلحة لحفظهـا فـي المستودع) ...	ابـزيـم	25
Blanket	Couverture	بطانية ـ لحاف ـ غطاء صوفي .	بطانيـة	26
Bag	Sac, Valise	حقيبـة	شنطـة	27
Cupboard	Armoire	خزانـة	كبت (كاب ـ بورد)	28

	المصطلح المطلوب تعريبه	المصطلح المقترح	الفرنسى	الانكليزى
29	نشــك	خرطوش ـــ نشك	Cartouche	Cartridge
30	ورنيــش	ورنيش (ويقال : ورنيش عازل) ...	Vernis (isolant)	(Wax) Polish
31	بوليــس	شرطـى	Policier	Policeman
32	دبلـوم	ديبلـوم (لان الشهــادة تعنـى الـ Certificat والاجازة تعنى الليسانس)	Diplôme	Diploma
33	دوسيــه	اضبارة ـــ ملف	Dossier	File
34	فوتوكوبى	نسخة تصويرية	Photocopie	Photo-copy
35	تلبرانتــر	مبرق كاتب ـــ طابعة عن بعد ـــ كاتبة عن بعد .	Telétype	Teleprinter
36	كومبيوتــر	كومبيوتر ـــ دماغ الكترونـى ـــ نظامـة ـــ رتابة (1)	Ordinateur	Computer
37	ميكروسكـوب	مجهـر	Microscope	Microscope
38	فيـش	بطاقة (بطاقة معلومات) جزازة (جزازة السجل)	Fiche	Card, Index, Card
56	ستـانسل	ورق مهرق	Stencil	Stencil
39	شرشــور	مستودع المعدات	Dépôt de matérials	Store of materials
40	تونكجيـه	اخصائيو الاسلحة ..	Spécialistes d'armes	Arms specialists
41	طبنجـة	مسدس = فرد	Pistolet	Pistol
42	كلبشـة	قيــد	Menotte	Hand-cuff
43	تشــلاق	ثكنة التوقيف	Caserne de détention	Detention barrach
44	خارطـة	خريطة	Carte	Map
45	آلة رونيو	ساحبة او مكررة	Ronéo	Roneo-machine
46	سلايـد	شرحة فيلم = شفافة	Diapositive	Slide

(1) وتوجد اصناف اخرى تندرج تحت اسم كومبيتر منها :

1 ـــ صنافة Classificateur — 2 ـــ حاسبة Calculatrice

3 ـــ مجدولة Tabulatrice — 4 ـــ حافظة Classeur

الانكليزي	الفرنسي	المصطلح المقترح	المصطلح المطلوب تعريبه	
Microfilm camera	Appareil microfilm	جهاز تصوير دقيق جهاز ميكروفلم	جهاز مايكروفلم (ميكروفيلم)	47
Flash	Flash	فلاش (اطلق عليه لفظ سنـــا)	فلاش (فيلم)	48
Film	Film	فلم — شريط	فيلـــم	49
Judo	Judo.	جودو — مصارعة يابانيـــة —	جـــودود	50
String, Rope	Cordon	بنـــد — جديلة	تـــاردون	51
Cap	Casquette	عمـــرة	كاسكيـــت	52
Garter	Guêtre	ران (ران كشـــاف او جلدى) - لفافـــة — واقية الساق .	كيتـــر	53
Laced boot, Ankie boot	Brodequin	جزمة	جزمـــة	54
Lorry	Camion	شاحنـــة ،	لـــورى	55
Pick-up	Camionnette	عربة شحـــن صغيرة او شويحنـــة	بيكـــب	57
Bus	Autobus	حافلـــة	بـــاص	58
Bulldozer	Bulldozer	جرارة تسوية — بلدوزر	بلـــدوزر	59
Troctor	Tracteur	جـــرارة (جرارة زراعية) ...	تراكتـــور	60
Badge	Signe	شعار	بـــاج	61
Traffic light	Signal lumineux	اشارة ضوئية	ترفك لايت	62
Projector	Projecteur	منـــوار	بـــروجكتـــور	63
Salary, pay	Salaire, Solde	الـــراتـــب	المـــاهيـــة	64
Police, station	Poste Police	مخفر — مركز مراقبة	كـــركـــون	65
Shift (officer etc.)	Permanence	مناوب = مداوم	نوبتجـــى	66
Protocol	Protocole	مراسم — تشريفات	بـــروتوكـــول	67
Cables	Cables	كبل ، قلس ج قلوس	كابـــلات	68
Trench-coat	Imperméable	ممطر كتيم	ترانشكوت	69

ملحوظات بشأن معجم المصطلحات المالية

معجم المصطلحات المالية وضعته لنفسها « شركة النفط العربية الامريكية » . يتألف من نحو 4500 مصطلح انكليزى مع المقابل العربى لكل منها .

وهو مطبوع طبعا حسنا على ورق من القطع الكبير بحروف دقيقة رغبة فى الاقتصاد كما يظهر على سنة الطريقة المألوفة فى المعاجم . لكن المصطلح الانكليزى يرد فى يسار الصفحة ومقابله العربى يرد مقابله فعلا على يمين الصفحة طبعا لكن بينهما فراغا كبيرا وفسحة متسعة فى الغالب بحيث يصعب على النظر التأكد من معرفة اى مصطلح عربى يقابل هذا المصطلح الانكليزى او ذاك ، الا باستعمال المسطرة ، وهو ما لجأنا اليه فعلا اثناء تصفحنا المعجم ، تفاديا من الوقوع فى الخطأ او اللبس . فكان ينبغى بناءا على هذا اما تقسيم الصفحة طولا الى عمودين على عادة المعاجم واما طبع المعجم على ورق من قطع اصغر .

ومهما يكن فمن الواضح ان عناية كبيرة قد بذلت فى وضع المعجم وتبويبه وطبعه ، ونرى انه يصلح ان يكون قدوة لمعاجم مماثلة تنشئها الاقطار العربية يصار بها الى مكتبنا مع هذا المعجم ايضا — لتكوين معجم موحد منها يكون مرجعا معتمدا فى هذا الباب .

ولسنا نطالب الدول العربية بأن تشرع كل منها بوضع معجم مالى فان ذلك قد يطول الى امد تذهب معه الفائدة التى نرمى اليها ، وانما رجاء المكتب هو ان تبادر الدولة العربية الموقرة بجمع مصطلحاتها المالية الجارية لديها فى دواوينها ومعاهدها حاليا وترسل بها الى هذا المكتب لتتسنى له مباشرة وظيفته من تنقيح واستكمال وتنسيق ، على وتيرة المعاجم الاخرى التى انجزها . ونحن نكتفى باستعراض الحرف الاول من المعجم اى حرف a كالنموذج لنبدى بشأنه الملاحظات التالية :

Absorbing (...an expense) التحمل

+ المفهوم من هذه الكلمة الانكليزية هو « استنفاد » النفقة او المصروفات ، لذلك نقترح : « الاستنفاد » الى جانب (التحمل)

Absorbing company الشركة الدامجة

+ الدامجة تعنى الداخلة . والصواب هنا : « الشركة المدمجة » ، بصيغة المجهول ، من ادمج الشىء فى الشىء ادخله فيه .

(Acceptance)

- Qualified acceptance القبول المقيد

+ للتوضيح يضاف : او المشروط

- Accepted مقبول

Acceptable + للتفريق بين هذا المصطلح و

الذى يعنى المقبول اى الممكن قبوله ، نقترح هنا اضافة الشرح (اى تم قبوله) .

(Account)

- Balancing of accounts ترصيد الحسابات

+ يضاف للتوضيح : (موازنة الحسابات) .

- Uncollectable accounts . ديون معدومة

+ المقصود بالمصطلح الانكليزى : ديون غير قابلة التحصيل . وتعبير (ديون معدومة) لا يؤدى هذا المعنى، الاصح (ديون ميتة) وهو اصطلاح مستعمل فى العربية فعلا بهذا المعنى .

- Accounts review clerk

مأمور لمراجعة الحسابات

+ الاصح مراجعة (بدل لمراجعة)

- Account title اسم الحساب

+ الاصح : عنوان الحساب .

(Accountant)

كبير المحاسبين فى المنطقة

- Discrit chief accountant

+ الاصح : كبير محاسبى المنطقة . كبير محاسبى منطقة .

محاسب للعوائد والضرائب

Accountant, benefits and taxes

+ الافضل والاوضح اثبات المصطلح الانكليزى هكذا :

Benefits and taxes accountant

وفقا للطريقة التى انتهجها المعجم فى المصطلحات السبعة السابقة وغيرها . ومثل هذا التصحيح ينبغى ادخاله على المصطلحات الثلاثة عشر التالية ، والكثير من امثالها فى المعجم .

(Accounting)

- Cost accounting . محاسبة التكاليف

+ الكلفة بضم الكاف وجمعها الكلف ــ زنة الدرر ــ اكثر شيوعا من التكلفة والتكاليف ، واصح لمعنى النفقات المتكبدة .

قسم محاسبة التكاليف

- Cost accounting division

+ يقال فى التكاليف هنا ما قيل فى المصطلح السابق، وفى اماكن كثيرة من المعجم .

- Sales accounting clerk مقيد فى حسابات المبيعات

+ Clerk تعنى الكاتب او المأمور كما استعملها المعجم نفسه فى اماكن اخرى . لهذا يكون تعريب هذا المصطلح الانكليزى : محاسب المبيعات ، كاتب او مأمور حسابات المبيعات .

- Shops accounting حسابات الورش

+ Shop تعنى الحانوت او الدكان او المتجر . فالاصوب تعريب المصطلح : محاسبة او حسابات الحوانيت . اما اذا اريد استعمال Shop بمعنى Coorkshops اى المشغل فيكون التعريب : محاسبة او حسابات المشاغل .

(Accounting clerk)

مقيد حسابات انتاج الخام

- Accounting clerk, crude production

بغية الوضوح واتساق النهج فى المعجم كله

+ نقترح كما فعلنا آنفاً كتابة هذا المصطلح الانكليزى هكذا :

Crude production accounuting clerk

لان هذا هو المقصود . اما التعريب فيكون : كاتب او مأمور حسابات انتاج الخام . ويلاحظ استعمال المقيد بدل الكاتب او المأمور او المحاسب فى اماكن كثيرة اخرى من المعجم على حين ان مهمته ليست مجرد التقييد اى التسجيل بل اجراء الحسابات من تقييد وموازنة وغير ذلك .

Accrual التجمع . الاستحقاق

+ نقترح اضافة التراكم الى التجمع لان هذا الاخير قد يعنى احتشاد الناس وتجمعهم اذا اطلقت الكلمة دون وجود قرينة معها تحدد معناها التقنى المقصود .

Accumulated متجمع

+ يضاف متراكم

Act of administration . عمل من اعمال الادارة

+ نقترح اضافة : عمل ادارى

عمل من الاعمال التحفظية Act of conservation

+ نقترح اضافة : عمل تحفظى او احترازى

تصــرف Act of disposition

+ نقترح اضافة : عمل تصرفى

دعــوى الشركــة Company's right of action

+ نقترح اضافة : حق الشركة فى الدعوى

Action for fraudulent convengance

الدعوى البولصية (دعوى ابطال التصرفات)

+ المقصود بكلمة (البولصية) هو « بوليصية »

اعمــال Activities

+ نقترح اضافة : فعاليات

سعر حقيقى . التكلفة الفعلية

Actual cost

+ الصواب : الكلفة (بدل التكلفة)

(Advance)

ايرادات محصلة مقدما

- Income collected in advance

+ ايراد ، بدل ايرادات

فوائد محصلة مقدما

Interest collected in advance

+ فائدة ، او ربا (بدل فوائد)

دفعــة مقــدمــة Advance payment

+ (مقدمة) غير واضحة لانها تعنى (معطاة) ايضا

نقترح ان يضاف اليها : معجلة

Allowable

مسمــوح بــه

+ يضاف : مباح (وهى الافضل لانها كلمة واحدة وبنفس المعنــى) .

علاوة ، خصم ، حسم ، بدل (مقررات) Allowance

+ الصواب حذف : خصم ويضاف : حطيطة . وان يكون ما بعد حسم هكذا : (بدل « مقررات ») .

- Marketing allowance خضميات التسويــق

+ الصواب : تخفيضات او حطيطة التسويق

- Sales allowance حسميــات على المبيعــات

+ الصواب : سماح او حطيطــة او تخفيضـــات ، بدل حسميات .

Allowance for bad depts احتياطى الديون المعدومة

+ الميتــة ، بدل المعــدومــة

Allowed

مسمــوح بــه

+ يضـاف : مبــاح

Amortization استهلاك الخصوم الثابتــة

+ الصواب : الحسوم او الاستقطاعــات ، بــدل الخصوم (لان هذه الاخيرة تعنى الغرماء) .

(Analysis)

- Amounts analysis clerk معاون تحليل الحسابات

+ كاتب او مأمور ، بدل معاون

Applying against

الحسم مــن

+ يبدو كأن المعنى المقصود هو : «التطبيق ضد» .

وهو اصل المعنى . يضاف للايضاح .

Appoint

عيــن

+ الكلمة عامة غير محددة . يضاف للايضاح : وظف، عين فى وظيفــة .

- Court appointed gardian

قيــم

+ الكلمة صائبة ، لكن عدم تحريكها يوهم بأنها جمع قيمة بينما هى بكسر الياء مشددة . يضاف للايضاح : وصى تقــديــر .

Appraising

+ يضاف للايضاح : تقييم

Arithmetical average متوسط حسابى .

+ بعضهم يستعمل المعدل بدل المتوسط ، لذلك نقترح اضافة : معدل حسابى .

Article of association الشركة

+ خطأ مطبعى صوابه : صك الشركة

Asessment of taxes

تحقيق الضرائب (ض) تقدير الضرائب

+ توضع شولة (،) بين « تقدير » وما قبلها .

(Assets)

- Bases of evaluation of asets

اسس تقديم الاصول .

+ زيادة فى الايضاح يضاف : اسس تقويم الموجودات

- Easily realisable assets

اصول سهلة التصريف .

+ يضاف : موجودات سهلة التصريف

- Evaluation of assets

تقويم الاصول

+ يضاف : تقويم الموجودات

- Fictitious assets اصول وهمية

+ يضاف موجودات وهمية

- Fixed assets cirtificate

شهادة الاصول الثابتة

+ الصواب : شهادة الاصول (او الموجودات) الثابتة

Floating assets اصول متداولة

+ الصواب : اصول (او موجودات) متداولة

- Gain on fixed assets

ارباح بيع الاصول الثابتة

+ الصواب : ارباح بيع الاصول (او الموجودات) الثابتة

- Intangible assets اصول معنوية

+ يضاف : موجودات معنوية

- Minus assets accounts

حسابات تخفيض قيمة الاصول

+ يضاف : (او الموجودات)

- Quasi-fixed assets

اصول شبه ثابتة

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

- Quick assets (easily relizable assets)

اصول سهلة التصريف

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

- Semi-fixed assets

اصول شبه ثابتة

+ يضاف بعد أصول : (او موجودات)

- Surrender of assets

التنازل عن الاصول للدائنين

+ يضاف بعد اصول (او الموجودات) ، وتوضع للدائنين بين قوسين ، فيكون تعريب المصطلح هكذا : التنازل عن الاصول او الموجودات (للدائنين)

- Tangible assets اصول متناقصة

+ يضاف : الاصول او الموجودات الحقيقية

- Wasting assets اصول متنقاضة

+ يضاف : موجودات تالفة .

- Working assets (working capital)

اصول متداولة (راس المال العامل)

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

Assets section جانب الاصـــول

+ يضاف : شعبة الموجودات

Assigning التنـــازل . التعيين

+ يضاف بعد التعيين : (التوظيف)

(Assurance)

- Double endowment assurance

تأمين مختلط مضاف

+ مضاف خطأ مطبعي ، صوابه : مضاعف

At sight عند الاطـــلاع

+ يضاف : عنـــد الرؤيـــة

Attributing to الارجـــاع الى .

+ يضاف : العزو الى

Audit fees مصروفات تدقيق الحسابات

+ اجـــور (او جعل) التدقيق

(Auditor)

- Cerified auditor مراقب حسابات قانوني

+ يضاف : (او مجـــاز)

Authorized مصرح بـــه

+ الصواب : مجاز . مخول . مأذون به . مرخص

Authorized capital رأس المـــال المصرح به

+ الصواب : المرخص (بدل المصرح به) .

Authorized capital stock رأس المال المصرح به

+ الصواب : المرخص (بدل المصرح به)

Authorized shares الاسهم المصرح بها

+ الصواب : المرخصة (بدل المصرح بها)

Authorized share capital رأس المال المصرح به

+ الصواب : المرخص ، المجاز (بدل المصرح به)

Average متـــوسط

+ يضـــاف : معـــدل

- Arithmetical average متوسط حسابي

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

متوسط حسابي بسيط

- Simple arithmetical average

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

Average cost متوسط ثمن الكلفـــة

+ يضاف بعد متوسط (او معدل)

متوسط المشتريات اليومية

Average daily purchases

+ يضاف بعد متوسـط : (او معدل)

Average daily sales متوسط المبيعات اليومية

+ يضاف بعد متوسـط : (او معدل)

Average unit cost متوسط ثمن تكلفة الوحدة

+ الصواب : معدل كلفة الوحدة

القاموس العربي الأذربيجاني

الأستاذ حسن زوينة زاده

تلقينا من الاستاذ حسن زوينة زاده المقـال التالى حول معجم وضعه معهد شعـوب الشرقين الادنـى والاوسط لاكاديمية العلوم فى جمهورية اذربيجان ننشره مصورا كما تلقيناه لما فيه من كلمات ومصطلحات مكتوبة بحروف روسية لا وجود لها فى مطابعنا ولن نعلق عليه الآن باسهاب بل نترك ذلك للعلماء من القراء ونفسح لهم المجال فى العدد الآتى ، لكن لا بد من عرض بعض الملاحظات البسيطة بين يـدى المعجم تمهيـدا لـمـن سيطلـع عليـه .

1 — تسمية المعجم بالقاموس تسمية خاطئة لان كلمة (قاموس) تعنى : البحر الخضم العميق الواسع كالمحيط مثلا ، وقد تم شبه اعتراف بين الجغرافيين على تسمية المحيطات بالقواميس . ودخـل الغلط على كثير من الناس عن طريق قاموس المحيط للفيروز آبادى ولم يدركوا انه انما اسمى معجمه بالقاموس مجازا وتشبيها له بالبحر لاتساعه وعمقه ووفرة ما فيه من مواد حتى كأنه بحر اللغة ومحيطها وقاموسها . على ان كلمة « قاموس » بمعنى « معجم » قد انتشرت الآن واصبحت على لسان كلمتعلم كأنها مرادفة لها او كأنها هى الاصل ، كما انتشرت كلمة (المنجد) كذلك. وهى تشبه ما يعرض الآن فى الشعوب التـى تتكلم الفـرنسيـــة عن معجـم لاروس Larousse وما هو الا معجم من جملة معـاجم كثيرة فى اللغـة الفرنسية لكنه لشهرته قد تغلب عليها . وما كـان فى الاصل خطأ فلا يجوز القياس عليه وكان ينبغى ان يسمى معجما لا قاموسا .

2 — وضع هذا المعجم لمن يعرف اللغة العربيـة ويريد البحث عن مقابل المصطلـح العربـى باللغـة الاذربيجانية بدليل انه (عربى — اذربيجانى) ويفترض فى من يستخدم هذا المعجم ان يكون على مستوى حسن من فهم اللغة العربية ويستطيع تجريد الكلمة مـن الزوائد والبحث عنها فى موضعها لكن واضـع هـذا المعجم سلك فيه الطريقة المستحدثة اقتداء باللغـات الاوروبية ، اى جمعه على اساس نطق الكلمة بكـل ما فيها من زوائد ، وهى طريقة اقل ما يقال فيها انها تبدد اسرة الكلمة وتبعثرها فى اماكن متعددة متباعدة لن يستطيع الباحث ضم اشتاتها الا بصعوبـة وبمدة طويلة قد تبلغ اضعاف الزمن الذى يأخذه البحث عنها على اساس الجذر .

3 — قول الكاتب : « ان بناء المـعاجم العربيـة الموضوعة وفق نظام الجذر يستند الى ترتيب للكلمات

فى غاية التعقيد واحيانا الى تحليل عامى غير علمى من حيث تأصيلها والى الآجرومية العربية التقليدية التى تم تعقدها والى تصانيفها الخاطئة من حيث اقسام الكلام ... » .

هذا الكلام يتضمن اتهاما لجميع معاجم اللغة العربية لن نعلق عليه الآن ولكنا نقول له : رويدك ياصاحبنا فللغة العربية خصائصها كما ان لكل لغة خصائصها كذلك وليست « الآجرومية التقليدية » بسيئة الى هذا الحد الذى تتهم فيه بأنها عامية وليس كل قديم عرضة للهدم نعم ان فى القديم عيوبا كوضع المعاجم التقليدية على اساس « الفصل والباب » لكن المعاجم الحديثة وضعت على اساس « الابجدية والجذر » كالمنجد القديم ولسان العرب والمحيط والمصباح المنير ومختار الصحاح وكلها بين ايدى طلاب المدارس الابتدائية يعرفون كيف يستخدمونها ، والنادر القليل جدا مما لا يعرفه طلاب المدارس الثانوية فى جميع البلاد العربية وحتى الغرباء عنها من مستعربين ومستشرقين .

4 — لوحظ فى المعجم استخدامه ألفاظاً غريبة عن اللغة العربية مثل يوزباشى او كلمات عامية مثل كمتراية او كلمات املاؤها خطأ كوضع همزة القطع فى محل همزة الوصل ... الخ

5 — يستخدم فى المقال امثلة يكتبها باللغة الاذربيجانية ،وبالحروف الروسية ولا يشرح معناها ، فما هى الفائدة منها والمقال — فى الاصل — ما وضع الا لينشر فى مجلة عربية وليقرأه من يفهم هذه اللغة ؟!

هذه بعض ملاحظات سريعة على المقال ونرجو ان نجد فرصة اوسع للتعمق فى دراسته ونترك بعد ذلك للقراء رأيهم .

ممدوح حقى

بناء
القاموس العربي الأذربيجاني
وطريقة إستعماله

الأستاذ حسن زوينه زاده[1]

I

إنّ هذا القاموس، كما يفهم من اسمه، مزدوج اللغة، وتعتبر القواميس المزدوجة عادةً قواميس ترجمة. بيد أنّ هذا القاموس ليس مجرّد قاموس ترجمة، فهو أصيل من حيث بناؤه. ولذا ينبغي توضيح ميزاته.

إنّ المصادر المتعلّقة بتأريخ علم اصول وضع المعاجم العربيّ تشير الى تطبيق نظام الجذر عامّةً، ونظام الأبجديّة في موارد استثنائيّة، وخاصّةً في القواميس المزدوجة الموضوعة حتّى الآن والّتي عولجت فيها العربيّة مع الفارسيّة والتركيّة والانجليزيّة والفرنسيّة والروسيّة .. الخ. ولكلّ من هذين النظامين أنواع مختلفة، يمتاز كلّ نوع منها بخصائص ينفرد بها، لا يتّسع المجال هنا لشرحها. غير أنّه يمكن الأستدلال من التحليل النظري الزمني لكلا النظامين والمقارنة التأريخية بينهما، على أنّ وضع قواميس مزدوجة تعالج فيها العربيّة مع لغات أخرى، وحتّى معاجم عربيّة مفسّرة ذات بناء بسيط ويسير الأستعمال نسبيّاً[2]، في الوقت الراهن، قد يكون أمراً

1 سيعرض هنا للمسائل المتعلّقة ببناء القاموس وأسس تنظيمه، لا على أساس تحليل علميّ بحت مفصّل، وانّما على شكل تلخيص تصويري الطابع لغرض تطبيقي. أمّا تفاصيل المسائل المذكورة وتحليلاتها النظريّة والعلميّة العميقة، فهي مجال دراسة موسّعة نسبيّاً، ستقدّم على صورة كتاب مستقلّ.

وهذا القاموس يحتوي على أربعة وأربعين ألف مادّة وعبارة لغويّة في أربعة مجلّدات، طبع مجلّده الاول في باكو عام ١٩٧٢، أشرف على تأليفه وراجعه مؤلّف جزئه الأكبر حسن زوينه زاده.

٢. كقاموس "الرائد" تأليف جبران مسعود، بيروت، ١٩٦٤ وكقاموس "المنجد الأبجدي"، بيروت، ١٩٦٧

ممكنًا و مفيدًا و ضروريًا . و يتعيّن لهذا الغرض ، أن يطبّق فى وضعها نظام الأبجديّة القائم على الأصول العلميّة و منجزات علم اللغة المعاصر .

لقد تعرّض نظام الجذر المطبّق فى علم أصول وضع المعاجم العربيّ التقليدى ، فى عصرنا هذا ، الى نقد لا غير العرب و حسب ، بل العرب ، و حتّى المستعربين اللغويين أيضا . انّ بناء " المعاجم العربيّة الموضوعة وفق نظام الجذر ، يستند الى ترتيب للكلمات فى غاية التعقيد و أحيانا الى تحليل عامّي غير علمي من حيث تأصيلها و الى الأجروميّة العربيّة التقليديّة الّتي تسمّ تعقيدها و الى تصانيفها الخاطئة من حيث أقسام الكلام و غيرها فى بعض الأحيان.[3] و فى مقدور اللغويين المتمكّنين من قواعد اللغة العربيّة التقليديّة ، والملمّين بالتحليل العميق المستند الى

---

٠٣ للحصول على معلومات تفصيلية عن المعاجم المؤلّفة وفق النظام المذكور ، وعن خصائصها يمكن الرجوع الى المؤلّفات المدرجة أدناه ، والعائدة لتأريخ علم أصول وضع المعاجم العربيّ :
أحمد فارس الشدياق " الجاسوس على القاموس " القسطنطنية ١٢٩٩

A.Kremer "Beitrage zur arabischen Lexikographie" I-II,Wien I883-I884(SBWA,B.CIII,Heft,I8I-270;CV, 2.Heft,429-504)
И.Ю.Крачковский "Предисловие" к 1-му изданию القاموس العربي الروسي Х.К.Баранова,М.1940 - 1946 гг.

عبدالله العلايلى " مقدمة لدرس لغة العرب و كيف نضع المعجم الجديد " القاهرة ـ ١٩٥
عبدالله العلايلى " المعجم " المجلّد الاوّل (مقدمة) بيروت ١٣٧٤
حسين نصّار " المعجم العربي نشأته و تطوّره " الجزء ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٩٥٦
عبدالله درويش " المعاجم العربيّة مع اعتناء خاصّ بمعجم " العين " للخليل بن أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦
عليتقي منزوي " فرهنگنامه هاى عربى بفارسى " (در مقدمه "لغت نامه " دهخدا) تهران ١٣٣٧ ص. ٢٦٥ ـ ٢٧٢

John A.Haywood "Arabic Lexicography,its history,and its place in the general history of Lexicography,Leiden,E.I.Brill,I960

علمي الأشتقاق والصوتيّات لمفردات اللغة المذكورة، الأستفادة من تلك القواميس كما ينبغي. وطبيعيّ أنّ أكثريّة المستفيدين من المعاجم الخاصّة بهذه اللغة أو تلك ليسوا لغويّين.

لقد سعى بعض اللغويّين من منتسبي مختلف الشعوب، في حالات استثنائيّة للغاية، إلى الأخذ بنظام الأبجديّة في وضع المعاجم المزدوجة تعالج فيها العربيّة مع لغات أخرى. ويمكن لنا أن نذكر من بين هؤلاء، مؤلّف القاموس العربيّ ـ التركيّ المعنون "أختري كبير" المصطفى بن شمس الدين القره حصاري (القرن السادس عشر) وواضع القاموس العربي ـ التتري المسمى "المفيد" طاهر أحمد الالياسيّ (القرن التاسع عشر ـ القرن العشرون). غير أنّ نظام الأبجديّة المطبّق في هذه القواميس بدائيّ وسطحيّ للغاية.

ونرى لزاماً علينا، لتوضيح فارق رئيسيّ بين نظام الجذر ونظام الأبجديّة المطبّقين في المعاجم العربيّة، أن نتناول المسألة التالية:

من المعروف، أنّ احدى المسائل الرئيسيّة لعلم أصول وضع المعاجم، هي الأختيار القائم على معيار علميّ للجانب اللازم إدراجه في القاموس من بين الكلمات المستعملة في اللغة. وبديهيّ أنّ جانباً قليلاً من الكلمات المستعملة في أيّة لغة من اللغات فقط (وليس كلّ الكلمات) يكون موادّ القاموس. ونحن ندعو (شرطيّاً) جميع ما يستعمل في اللغة من كلمات بـ "مفردات اللسان اللغويّة". أمّا الكلمات الّتي تدرج في القاموس فنسمّيها هي الأخرى (أيضاً شرطيّاً) "مفردات اللسان المعجميّة". فمثلاً، من جذر (كتب) في اللغة العربيّة يدرج في القاموس إمّا مصدره (كِتابَة أو كَتْب) أو ما نسمّيه (شرطيّاً) "مصدره الشرطيّ"

٤. مصطفى بن شمس الدين القره حصاري "أختري كبير"، استامبول ١٣١٠هـ.

٥. طاهر أحمد الألياسيّ "المفيد" عربچه ـ تاتارچه لغت كتابي، غازان ١٩١٣م.

(كَتَبَ — صيغة الغائب المفرد المذكّر لماضيه) فقط من بين مئات الكلمات المشتقّة من ذلك الجذر المتعلّقة بمقولات تختصّ بالفعل (Les différentes catégories du verbe) عامّةً باعتبار تصاريفه (نعني وجوهه وصيغه حسب الزمان والشخص والجنس والكمّيّة ... الخ) .

وأمّا المعلومات عن تلك الوجوه والصيغ وتحوّلاتها من حيث الشكل والمعنى ، ومشتقّات ذلك الجذر الأخرى الّتي ندعوها بـ " مفردات اللسان اللغويّة " للكلمة المذكورة فتورد موضّحة لا في القاموس ، وإنّما في الأجروميّة (في علمي الصرف والنحو) وغيرها . ويستدلّ من هنا أنّ علم أصول وضع المعاجم مدعوّ ، قبل كلّ شيء ، لطرح معيار يقوم على أسس علميّة لاختيار " مفردات اللسان المعجميّة " من بين " مفردات اللسان اللغويّة " وإدراجها في القاموس . فبدون مثل هذا المعيار ، يتعذّر تحديد نطاق شمول القاموس من حيث ما سيتضمّنه من مفردات ، وطريقة ترتيب تلك المفردات بين دفّتيه وأصول الاستفادة منه .

وليس ثمّة فارق كبير بين نظام الجذر ونظام الأبجديّة من حيث عدد " مفردات اللسان المعجميّة " . وكلّ ما هنالك من فارق رئيسيّ في هذا المجال ، يبرز في طريقة إدراج وترتيب تلك المفردات .

إنّ نظام الأبجديّة الّذي اتبعناه في القاموس العربي — الأذربيجاني ، شبيه بالنظام الأبجدي المتعارف ، مثلاً ، في جميع القواميس العائدة لمختلف اللغات الأوروبيّة ، تقريبًا .

ولقد اجتهدنا للاستفادة من النواحي القيّمة والعامّة لنظام الأبجديّة وكذلك نظام الجذر المطبّقين في المعاجم العائدة لمختلف اللغات ، وللتطبيق العلمي لنظام الأبجديّة في ترتيب القاموس العربي — الأذربيجاني آخذين الميزات الصرفيّة والنحويّة والصوتيّة واللغويّة لكلتي اللغتين (العربيّة والأذربيجانيّة) بنظر الاعتبار ، بحيث أصبح هذا القاموس الّذي قدّمناه ، يحمل الخصائص الايجابيّة للمعاجم الموضوعة وفق نظام الجذر التقليدي مع خلوّه من نواقصها . ويمتاز هذا المعجم

على القواميس الموضوعة وفق نظام الجذر، ببساطته ويسر استعماله. والقاموس في بنائه المستند الى النظام الأبجدي يتضمّن جوانب جديدة ودقيقة يمكن لها أن تثير اهتمام المستمر بين اللغويّين. وقد أوردنا أدناه معلومات ملخّصة عن ذلك.

II

ملاحظات عامّة حول أصول إدراج الكلمات في هذا القاموس

١. تُدرج المفردات العربيّة في القاموس وفق الترتيب الهجائي للأبجديّة العربيّة.

٢. تُعتبر الهمزة حرفاً (كالحرف الثاني للأبجديّة) وبذلك يكون الترتيب الهجائي للابجديّة العربيّة في القاموس، شرطيّاً، على النحو التالي :

ا ء ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى

٣. بناء على تعذّر صدارة حرف الألف في أيّة كلمة كانت في اللغة العربيّة، فانّ الهمزة مع كرسيّها، نعني الألف (أَ، أُ، إِ) تقدّم أوّلاً في القاموس.

٤. نظراً لصعوبات في الطبع، ولأسباب نظريّة وتكتيكيّة، فُضّل تحريك (تشكيل) الكلمات العربيّة على تهجيتها (transcription)، مع حذف بعض الحركات بقدر الأمكان.

٥. في حالات استثنائيّة تقدّم تهجية الكلمة لتجنّب الألتباس. مثال : يَس (jāсИн).

٦. يُستند عند إدراج الكلمات في القاموس الى ترتيب أحرفها، كما هي، أمّا بالنسبة الى حركاتها فيستند الى القانون الصوتيّ للغة العربيّة، والمدوّن أدناه : ـْ < ـَ < ـُ < ـِ. أي بتفضيل الكسرة على الضمّة، والضمّة على الفتحة، والفتحة على السكون (بجعلها في موضع

التقديم). وهذا ما ندعوه،شرطيًّا، بـ" المعيار الصوتيّ ".

٧. يفترض في حرف مشدّد لدى ترتيب الكلمات أنّه مؤلّف من حرفين مثال: تعتبر (شَدَّة) بمثابة (شَدْدَة).

٨. يؤخذ في ترتيب الكلمات الّتي تتضمّن همزة مع الكرسيّ، لا بالهمزة، بل بكرسيّها (ا، و، ى)، مثال: تعتبر كلمات (رأس، بؤس، ذئب) بمثابة (راس، بوس، ذيب).

٩. أمّا الهمزة الطليقة من الكرسيّ فتتقدّم وفق مقامها، أي كحرف الأبجديّة الثاني. مثال: تأتي كلمة (بَدء) بعد كلمة (بَداهة).

١٠. لتعيين ترتيب الكلمات الّتي تتضمّن الهمزة مع الكرسيّ، يؤخذ إمّا الكرسيّ (ا، و، ى) أو الحرف التالي للهمزة بنظر الأعتبار. مثال: تقدّم كلمة (شأمي) أوّلاً ثمّ كلمة (شأن) وتأتي بعدها كلمة (شانطة).

١١. في حالة مماثلة الحروف التالية للهمزة مع الكرسيّ في تركيب الكلمات، فيؤخذ أوّلاً بالألف، ثمّ بالهمزة، ومن ثمّ بالواو وبعدها بالياء (كما هو في الترتيب الهجائي). مثال: تتقدّم كلمة (شئمة) على كلمة (شيمة).

١٢. تعتبر التاء المربوطة (ة) بمثابة التاء الممدودة (ت).

١٣، ا) تدرج الصيغ المتّفقة معنىً والمختلفة صوتيًّا للكلمة في القاموس ككلمات على حدة مع مراعاة الترتيب الهجائي، أمّا المعنى فيعطى في مادّة صيغة تقتضي التقدّم الترتيبي، مع إرجاع القارئ الى تلك الصيغة.

مثال: армуд бах : كمّثراة كمّثرى : كمّثراية

ب) اذا كان الأختلاف في الصيغ المتّفقة معنىً للكلمة مقتصرًا على الحركات وحدها، فأنّ الصيغ المذكورة توحّد في مادّة واحدة بقدر الأمكان. مثال: تقدّم "إبابَة" و "أَبابَة" على صورة "إَبابَة".

جـ) يؤخذ الجذر بنظر الأعتبار عند ترتيب الكلمات المشتقّة من جذور مختلفة والمتّخذة نتيجة أحداث صوتيّة نفس الصيغة. مثال: لنأخذ

كلمتى " تغرية " و " تغرية " ؛ أنّ جذر الأولى (فرو) ، وأمّا جذر الثانية فهو (فري) ، ولذا تقدّم فى القاموس كلمة " تغرية " الّتى جذرها (فرو) على كلمة " تغرية " الّتى جذرها (فري) .

د) يراعى الترتيب الهجائي بقدر الأمكان فى الكلمات المرجع اليها أيضا ، أى أنّ المعنى (الترجمة) يعطى فى مادّة الكلمة الّتي تستلزم التقدّم الترتيبي . مثال : تتبع كلمة (تحارب) كلمة (أحتراب) ، أمّا المعنى فيعطى فى كلمة (أحتراب) .

١٤ . انّ الألف الممدودة (آ) في تركيب الكلمات العربيّة الأصيلة أو المقتبسة من لغات أخرى ، سواءً أكانت مؤلّفة من همزة مع الألف ، أم من همزتين ، تعتبر بمثابة الهمزة مع الألف (ءا) لتسهيل الأستفادة من القاموس . مثال : (قرآن ، آجل ، آجندة) تعتبر (قرءان ، ءاجل ، ءاجندة) .

١٥ . بالنسبة للكلمات المشتقّة من جذر واحد ، والّتى تكتب أحداها بالأدغام والأخرى بالفكّ ، فأنّ المدغمة تتقدّم الثانية . مثال : تأتي (مَدَد) بعد (مَدّ) .

١٦ . الألف المقصورة الّتي تكتب بصورة الياء وتقرأ كالألف فى أواخر كلمات كـ (حَتّى ، فَتًى ، عَلَى ، إِلتَوَى) تعتبر ياء (ى) في ترتيب الكلمات .

١٧ . فى ترتيب الكلمات ذات التركيب الصوتيّ الواحد ، والمتباينة من حيث أنتسابها لأقسام الكلام فى علم الصرف العربيّ وفى معانيها ، يسترشد بترتّب أقسام الكلام المتّبع فى أجروميّة اللغة الأذربيجانيّة . مثال : كلمة (أثر) إسم ومصدر فى نفس الوقت . ولذا تقدّم كلمة (أثر) الأسم على كلمة (أثر) المصدر . وهذا ما ندعوه ، شرطيًّا ، بـ " المعيار الصرفيّ) .

١٨ . اذا كان " المعيار الصرفي " و " المعيار الصوتي " يقتضيان

ترتيب الكلمات على نحو ين مغا يرين، تعطى الأولويّة للمعيار الصرفي .
مثال : تقدّم (قِطّ) الأسم أوّلاً ، ثمّ " (لا قطّ) قطّ" الفعل، و من ثمّ (قَطُّ) الظرف.

١٩. يؤخذ بالشكل المتّصل للكلمة عند ما تكتب أجزاؤه متّصلة حيناً و منفصلة حيناً آخر، أمّا شكلها الّذى يكتب منفصلاً فيورد الى جانب الشكل المتّصل بين هلالين. و يعمل بنفس الطريقة لتبيان أجزاء الكلمات المركّبة. مثال : ... (كلّ + ما) كلّما

٢٠. الكلمات المركّبة نحويًّا المشتركة من حيث أجزاؤها الأولى، تورد تحت مادّة الجزء المشترك. مثال : تقدّم كلمتا (أهل الكتاب) و (أهل الوبر) فى مادّة كلمة "أهل".

٢١. تورد الكلمات الرئيسيّة للقاموس (موادّ القاموس) ابتداءً بفقرات جديدة.

III

ملاحظات عن مفردات اللغة

(Des remarques lexicologiques)

١. تقدّم الكلمات المتشابهة لفظاً (Des homonymes) في القاموس كموادّ، كلاًّ على حدة، دون أن توضع الى جانبها أيّة اشارة (نحو الأرقام وغيرها لبيان ترتيبها). مثال :

حُبّ məhəbbət, севки ...
حَبّ дəсти, сəhəнк

٢. و يستفاد من المترادفات بصورة رئيسية، ومن الأضداد (أى المفردات المتناقضة) أحيانا، لغرض توضيح المعانى للكلمات.

IV

ملاحظات أملائيّة

١. اذا كانت أحرف "ا، و، ى" الموجودة فى تركيب الكلمات تستعمل كحروف المدّ (المصوّتة)، فانّ الحروف السابقة لها لا تحرّك فى القاموس. مثال : ذهاب، قبول، مبيع.

٢٠ توضع الفتحة على الحرف السابق للألف المقصورة التي تكتب بصورة اليا في أواخر الكلمات وتقرأ ثالألف. مثال : حتّى ، إلى ، أتى .

٣٠ لا توضع على الحروف المؤخرة للكلمات ضمّتا التنوين (ٌ) ، للاشارة الى حالة الرفع والتنكير . فالكلمات الرئيسيّة في القاموس ، مجرّدة من هذه الأشارة تعتبر في حالة الرفع والتنكير . و يقتصر استخدام الأشارة المذكورة على موارد استثنائيّة ولأجل تجنّب الألتباس .

٤٠ اذا كانت الكلمة النكرة المرفوعة محلّا تقتضي نتيجة حدث صوتيّ لا ضمّتي، وانّما فتحتي أو كسرتي التنوين ، فيعمل بمقتضاها في القاموس . فمثلا يكتب فتًى ، قاضٍ ، ثانٍ ، عصًا .

٥٠ تورد الكلمات في القاموس مجرّدة من " أل التعريف" . و لكن اذا عُرض الشكل المعرّف للكلمة في حالات استثنائيّة ، فلا تُحرّك " أل التعريف" ولا الحرف الاخير للكلمة . مثال : القاهرة . وفي مثل هذه الأحوال لا تؤخذ " أل التعريف " بنظر الأعتبار في ترتيب الكلمات الرئيسيّة (موادّ القاموس) غير المركّبة . أمّا "أل التعريف" في الجزء الثاني من الكلمات المركّبة ، لغويًّا كان أو نحويًّا ، فتراعى في الترتيب . مثال : تقدّم كلمة (ذو الحجّة) على كلمة (ذو فنون) .

٦٠ يُحصر المعرّف من الاسماء المستترة (التي لام الفعل المحذوفة فيها واو أو ياء) بين هلالين بعد الشكل النكرة لها مباشرة . مثال : (كافي) كافٍ ، ثمّ يدرج الشكل المعرّف المذكور في القاموس ككلمة رئيسيّة وفق الترتيب الهجائي و يُرجع اليها . مثال :

كافٍ (راجع) бах. كافي

٧٠ توضع في القاموس المدّة (~) والشدّة (ّ) فوق الحروف ونقطتا التاء المربوطة (ة) .

٨٠ تشكّل أحرف الكلمات الدخيلة تمامًا (عدا ما قبل أحرف المدّ المصوّتة ، أي ا ، و ، ى والسكون أيضا) . مثال : ينايرُ ، يوزباشيّ .

٠٩ توضع الضمّة على الحرف الأخير من الكلمات الرئيسيّة الّتي لا تقبل التنوين. مثال : أكبرُ .

٠١٠ لا توضع إشارة السكون على الأحرف الساكنة الّا في حالات استثنائيّة لتجنّب الألتباس.

٠١١ يوضع التنوين عند اللزوم على الحروف الأخيرة من صيغ الأفعال الّتى حلّت محلّ الأسم. مثال : قالٌ وقيلٌ.

٠١٢ لا يحرَّك الحرف الاوّل ولا الثالث من " المصادر الشرطيّة " (نعني صيغة الغائب المفرد المذكّر من ماض الأفعال الثلاثيّة المجرّدة). مثال : ذهَب .

٠١٣ اذا اقتضى ، فى موارد استثنائيّة ، عرض صيغة المجهول من الفعل فى القاموس ، فتدرج فى مادّة الصيغة المعلومة لها ، بعد اشارة " Məчh. " (مجه.) المختصرة.

٠١٤ توضع الفتحة والضمّة على الهمزة . مثال : أَب ، أُمّ . أمّا الكسرة فلا توضع تحت الهمزة الّا عند نشوء الألتباس. مثال : الأِسكندريّة. ويستغنى عن الكسرة عند ما لا يكون هناك أىّ التباس. مثال : إنسان.

٧
ملاحظات حول معاني الكلمات

٠١ تعطى فى القاموس تراجم الكلمات ، بصورة رئيسيّة (أي ما يقابل الكلمات العربيّة من معانٍ بالأذربيجانيّة).

٠٢ لغرض توضيح معاني الكلمات بالأذربيجانيّة ، يستفاد من مختلف الوسائل . بالأضافة الى المترادفات والأضداد . مثال : الى جانب كلمة ǰапышмаг يذكر بين هلالين تبعًا لمعناها " нәдән " و " нәǰә " أو يستفاد من الكلمات والعبارات المفسّرة . مثال : يتمّ توضيح الكلمات المتعدّدة المعاني битмәк و саз و газ على النحو التالي :

... битмәк (битки һаг.)

... саз (чалғы аләти)

... газ (гуш)

٠٣ الى جا نب الكلمة الّتى تَستخدم بمثا بة مصطلح ، يشار باختصار الى الأختصاص الذى تتعلّق به. مثا ل : тиб.; һүг.; дилч.

٠٤ تقدّم الترجمة الحرفيّة للتعابير (اللغويّة) ، عند اللزوم ، بعد ها مبا شرةً و تحصر بين هلالين و الى جانبها ما يقا بلها من تعا بير فى الأذربيجا نيّة ، بقدر الأمكان. مثا ل :

ما شاء الله ... (һәрф.нә ки аллаһ истәди) машаллаһ!, нә көзәлдир!, көз дәјмәсин!

٠٥ لا يذكر المعنى مقا بل الكلمة التي يُرجع اليها. مثال : يكتب : كلا. бах. كلتا

٠٦ لتجنّب الألتباس تُميّز الكلمات الرئيسيّة الّتي تختلف معنىً و تتطا بق من حيث تركيبها الصوتيّ ، فى القا موس ، باشارة نُجيمة (*) أو نجيمتين (**).

٠٧ لا تكرّر المعانى الواردة فى مادّة الفعل ، فى موادّ الأسماء أو الصفات المشتقّة من الفعل المذكور (كأ سماء الفا عل و أ سما ء المفعول و أ سما ء الزمان و المكان و أسما ء المصادر الّتى تحتفظ بمعانى الأفعال المشتقّة منها). و تعطى بالدرجة الرئيسيّة ، المعانى الأضا فيّة و المكتسبة من جرّا ء تطوّر و حلول هذه المشتقّات محلّ الأ سم. مثال : ... كاتب ، јазычы ... مكتوب . мәктуб... مكتب ، буро ... كتابة ، јазы.

٠٨ اذا كان معنى الكلمة بالأذربيجانيّة يقدّم على شكل تركيبين أو أ كثر من التراكيب النحويّة الّتي تتضمّن كلمةً و عبارة مشتركة ، فيحصر العنصر المشترك بين هلالين ، و يستفاد من العلا مة الفا صلة ، و ذلك لغرض الأيجاز فى القا موس. مثا ل : النصّ التالي :

* إستقراء (إستقرأ) охумағы хаһиш етмәк, охумағы тәләб етмәк, гираәт етмәји хаһиш етмәк, гираәт етмәји тәләб етмәк .

يكتب فى القا موس ، بالأختصار ، كما يلي :

إستقراء (إستقرأ) охумағы (гираәт етмәји) хаһиш (тә-

ләб)етмәк

٠٩ فى حالة كون الترجمة الأذربيجانيّة للفعل العربى مولفاً من عدة مترادفات، تقوم مقام العوامل التى تقتضي حالات صرفيّة مختلفة للمعمول، يقتصر على الأشارة، لغرض الايجاز، الى وسيلة العمل النحوى للمترادف الأخير فقط. مثال : النصّ التالى :

تَحَدٍّ " (تحدّى) ... тәрәфдар олмаг (һәјә (بـ),мөһкәм јапышмаг(нәдән بـ)

جاء فى القاموس، بالأختصار، كما يلي :

تَحَدٍّ (تحدّى) ... тәрәфдар олмаг, мөһкәм јапышмаг (нәдән بـ)

٠١٠ يشار الى الكلمة الرئيسيّة الموجودة في التراكيب النحويّة أو فى قوام التعابير اللغويّة بخطّ مموّج (~)، أي أنّ المادّة فى القاموس لا تكتب مكرّرة. مثال

إستكثار (إستكثر) ...~ثمنه...баһа һесаб етмәк...

٠١١ تورد الأقوال المأثورة و الأمثال و التراكيب الثابتة مسبوقة باشارة المعيّن (◇). مثال :

إستكثار (إستكثر) ...◇ بخيره ~...

٠١٢ لأجل تدقيق المعاني، فأنّ بعض الكلمات المستعملة بصورة إتباع أو سجع أو تكرار (бир-бирини, бир-биринә; доғрам-доғрам; дилим-дилим وغير ذلك) تقدّم على المعاني و لغرض الأيجاز تحصر بين هلالين. تعود الكلمات المذكورة لا لمعنى واحد لمادّة القاموس، وانّما لجميع معانيها المترادفة التى يفصل ما بينها عادةً، بالفاصلة أو الفاصلة المنقوطة. مثال :

مُهاداة (هادى) (бир-биринә) бағышламаг, һәдијјә етмәк; пешкәш вермәк

٠١٣ يحصر " المصدر الشرطيّ " للفعل بين هلالين و يأتي بعد الفعل مباشرةً. مثال : يكتب : ترنيح (رنّح) ...

٠١٤ اذا كانت الكلمة تنطوي على معانٍ لاثنين من أقسام الكلام

وأكثر، فتدرج المعانى وفق " المعيار الصرفيّ ".

١٥. يورد المعنى الحقيقى للكلمات (أو معانيها)، بقدر الأمكان، فيالمقام الأوّل، أمّا معناها (أو معانيها) المجازي فيأتي بعد ذلك.

١٦. توضع الفاصلة بين المعاني المترادفة، والفاصلة المنقوطة بين المعاني المتقاربة، والأرقام الهنديّة بين المعاني المتباعدة كثيرا.

١٧. يورد المعنى الخاصّ بالمصطلحات العلميّة والفنّيّة بعد المعنى المجازيّ.

١٨. فى بعض الأحيان لا يتوضّح معنى المفردات الّا في داخل التراكيب والتعابير. وفي هذه الحالات توضع نقطتان بعد تلك المفردات الواردة فى القاموس بمثابة كلمات رئيسيّة، ثمّ تكتب الاجزاء الأخرى للتراكيب الى جانب الخطّ المموّج الّذى يقوم مقام الكلمة الرئيسيّة. مثال:

إيّاك و: هذا الامر ~ бу ишдән чәкин!

VI

ملاحظات صرفيـــــــة

الأســـــم

ا) ملاحظات عامّـــة

١. يعتبر كلّ قسم من أقسام الكلام حلّ محلّ الأسم، بمثابة إسم.

٢. لا يشار فى القاموس الى انتساب المادّة لقسم من أقسام الكلام.

ب) أنواع الأسم حسب التركيب والأشتقاق

١. تدرج الأسماء البسيطة والجامدة فى القاموس ككلمات مستقلّة.

٢. تعتبر الأسماء المشتقّة الّتي تتكوّن سواءً بالزيادة اللاحقة أو بالتصريف (التكسير flexion) بمثابة كلمات رئيسيّـة.

٣. اذا كانت صيغ الأسماء المشتقّة من الفعل (اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم الزمان، اسم المكان واسم المصدر) تحمل معاني الفعل فقط، فأنّها لا تدرج فى القاموس ككلمات رئيسيّة. أمّا اذا كانت قد حلّت محلّ الأسم، واكتسبت معانٍ جديدة، أو اذا كانت قد تغيّرت من حيث

تركيبها الصوتيّ (أحرفها)، فتورد كموادّ على حدة. مثال :

ظاهر ...заһири, харичи...
كاهل ...чијин...
مُمَرِّض ...фелдшер...
مَبيع ...əмтəə...
مَكتوب ...мəктуб...
مُستَشفى ...хəстəхана...

وتُعرض الصيغ الأخرى للأسماء المشتقّة من الفعل (مثل : وزن الفعلة، وزن الفعالة، بناء النوع، بناء المرّة ... الخ) في القاموس، ككلمات مستقلّة. مثال : جِلسَة، لُقمَة، مِلعَقَة، قُراضَة، جَلسَة ... الخ.

٠٤ تورد الأسماء (الكلمات) المركّبة الدخيلة، كموادّ على حدة، دون تفكيكها الى أجزائها. مثال : يوزباشيّ، أجزاخانَة، دارصينيّ.

٠٥ في الأسماء المركّبة وغير المركّبة يؤخذ بالجزء العامل (مثلاً، بالمضاف في التركيب الإضافيّ، والأسم المنعوت في التركيب الوصفيّ، والفعل في التركيب الأسناديّ وقس عليه). مثال : تدرج تراكيب "غير قابل، علم الآداب، وقس على هذا، مشارٌ اليه، ذو مال، أبد الدهر، الحروف الأبجديّة" في القاموس تحت الموادّ المتعلّقة بكلمات "قيل س، مشار، ذو، أبد، غير، حرف، علم".

٠٦ تدرج التركيب المجرّد جزؤه الأوّل (أو كلا جزئيه) من معناه (أو معنييهما) اللغويّ الأصليّ، كمادّة مستقلّة في القاموس. مثال :

إبن آوى ...чаггал
أبو فَرْوَة ...шабалыд
ذو القَعدَة ...зилгə'дə
يوسُف أفَندِيّ ...мандарин

٠٧ تصادف تراكيب أو أشباهها تكون أجزاؤها الأولى "لا، ف ... الخ" بحيث اذا جرّدت من تلك الأجزاء غدت عناصر (ألفاظ) بدون معنى لا تستعمل في اللغة العربيّة، أو كلمات ذات معانٍ مغايرة تماماً لمعانيها الاصليّة. ومثل هذه الأسماء (الكلمات) تورد كموادّ مستقلّة في القاموس

دون تفكيكها الى الأجزاء التي تتركّب منها . مثال : فقط، لا بدّ ، لا سيّما ، لا حزبيّة، لا أباليّة، لا مبالية... الخ .

٠٨ يؤخذ بنظر الأعتبار الجزء الاوّل فى التركيب الثابت ذي الأجزاء المتجانسة (أو الجزءين المتجانسين) ، من حيث انتسابها لأقسام الكلام. ويدرج التركيب تحت مادّة الجزء المذكور. مثال : تعرض تراكيب " على الرأس والعين، سمعًا وطاعةً، هنيئًا مريئًا ، أبًا عن جدٍّ " فى القاموس تحت موادّ " أب، رأس، سمعًا ، هنيء " .

٠٩ لا تؤخذ حروف الجرّ الجامدة (الكلمات المستعملة كأدوات الجرّ فقط) فى تركيب الأسماء بنظر الأعتبار. مثال : تدرج " الى الأبد ، بلا مقابل ، على الرأس والعين " تحت موادّ كلمات " أبد ، مقابل ، رأس " .

٠١٠ يدرج التركيب الذى يشترك فى قوامه كلمات تستعمل كحروف الجرّ حينًا ، وكأسم (أو كغيره من أقسام الكلام) حينًا آخر، تحت موادّ الكلمات المذكورة. مثال : تعرض تراكيب (فوق العادة، عند الظهر ، تحت الأرض، فوق الصفر ، حتّى الآن ، كما ينبغي ... الخ) تحت موادّ كلمات (فوق، عند ، تحت، حتّى ، كما) .

جـ) أنواع الأسم حسب المعنى

٠١ تورد فى القاموس ، بالدرجة الرئيسيّة، الأسماء العامّة .

٠٢ تورد الأسماء الخاصّة (أسماء الأعلام) المستعملة بالمعنى العامّ كموادّ مستقلّة فى القاموس. مثال : يوسف أفندي، مصر .

٠٣ تورد أهمّ الأسماء الجغرافيّة في فصل خاصّ يلحق بالقاموس. أمّا فى أسماء الأعلام (الأشخاص) فيقتصر على أن يدرج ، فى القسم الملحق المذكور، ما تتكوّن منه بواسطة زيادة لاحقة كلمة عامّة، مثال : (إفلاطون > إفلاطوني) ، أو يكتسب المعنى العامّ ضمن النصّ، مثال : حاتم (بمعنى السخيّ ، الكريم) .

٠٤ ستوضح مسألة إدراج أسماء الجمع، فى الملاحظات المتعلّقة بمقولة الكمّيّة فى الأسماء .

د) حالات الأسم

١. يعوّل فى القاموس على حالة الرفع للأسماء.

٢. اذا كان تصريف الأسم يقوم على أساس الأعراب بالحروف، وليس بالحركات، يشار الى تصريف الأسم المغاير للقاعدة العامّة، بين هلالين. مثال : изафэтин 1-чи тэрэфиндэ ад.һ.)... أب

أبو,ј.һ. أبى,т.һ. أبا) 1.ата...

٣. تدوّن الأسماء الممنوعة من التصريف، مفردةً كانت أو مجموعةً، تصريفًا تامًّا (ثلاث حالات)، بموجب بعض القواعد الصرفيّة، لا بالتنوين، وانّما بالضمّة وحدها. مثال : صَناديقُ، مَخازِنُ، يَنايِرُ.

هـ) جنس الأسم

١. يورد الجنس المذكّر من الأسماء (الكلمات) فى القاموس، دون أن يشار الى تذكيرها، وبعبارة أخرى، يعتبر خلوّ الأشارة علامة تذكير الأسم.

٢. يدرج مؤنّث الأسماء المتكوّن سواءً من جذر جنس الأسم المذكّر باضافة زيادة لاحقة، أو من التكسير، أو من جذر مغاير تمامًا، ككلمة رئيسيّة فى القاموس. مثال :

كلب ... ит
كلبة ... г.ганчыг ит
دجاجة ... г.тоҹуг
ديك ... хоруз

٣. يتكوّن المؤنّث لبعض أسماء الأنسان من المذكّر بواسطة زيادة لاحقة. واذا تمّ تبيان كلا جنسى مثل هذه الأسماء بالأذربيجانيّة على صورة كلمتين، فانّهما يدرجان فى مادّتين على حدة. مثال : والد، والدة، إبن، إبنة، مرء، مرأة، معلّم، معلّمة، ... الخ. وفى حالة التعبير عن كليهما فى الأذربيجانيّة بكلمة واحدة، لا يدوّن الّا المذكّر منهما ككلمة رئيسيّة.

مثال : дэрзи خيّاطة г. خيّاط

٠٤ توضع اشارة (.г) للدلالة على التأنيث الى جانب الأسماء المؤنّثة المجازيّة (الّتي لا تتميّز بجنسها الطبيعي أ وعلامة التأنيث في اللغة العربيّة) ٠ مثال : شمس، ريح ٠٠٠ الخ ٠

٠٥ يشار الى انتساب الأسماء الّتي تستعمل كمذكّر و مؤنّث في آن واحد لكلا الجنسين٠ مثال : .к.ja г. عجوز ، к.ja г.... رهوّ

٠٦ تدرج صيغة الاسم المؤنّث المكتسب معنى لغويًّا آخر ، مغايرًا لمعنا ، الأصليّ ، أيضا ككلمة رئيسيّة في القاموس٠ مثال: г.чэтир شمسيّة г.кθшк قمريّة

٠٧ تورد الأسماء والكلمات المنتسب لجنس النسوة (الجنس الطبيعيّ) في موادّ على حدة٠ مثال : حُبلَى ٠

و) مقولة (catégorie) الكمّ في الأسماء

١٠ يورد المفرد من الأسماء ، بالدرجة الرئيسيّة ، كمادّة على حدة دون أن يشار الى افراده٠

٢٠ اذا كانت صيغة الجمع من الاسم متكوّنة بواسطة زيادة لاحقة (أي : الجمع السالم منه) ، لا توضع الصيغة المذكورة كما هي ، وانّما الزيادة اللاحقة ، بين هلالين٠ مثال :

دَجاجَة .г (ــات)
والِــد (ــون)

٠٣ اذا كانت صيغة الجمع من الاسم مكسّرة (flexionnel) ، تبيّن الصيغة المذكورة كما هي بعد الاشارة (للجمع) ٠ مثال : عالِم ч: عُلماء ٠٠٠ خَليفَة ч. خُلَفاء ٠٠٠ ، مَرأَة ч.; г. نِساء ، نِسوان ، نِسوَة ٠٠٠

٠٤ اذا كانت للاسم عدّة صيغ للجمع ، سواءً بواسطة زيادة لاحقة او التكسير ،تورد أوّلاً صيغة الجمع السالم كما هي ،أو الزيادة اللاحقة له ، ثمّ صيغة المكسّرة٠ مثال : أَرض ч. ; г. أَرَضونَ ، أَراضٍ ٠٠٠

٠٥ أمّا فيما يتعلّق بأدراج الأشارات (الشرطيّة) ، فتسجّل أوّلاً ،

كما يظهر من الأمثلة الواردة أعلاه، الأشارات الدالة على الجنس، ثمّ العائدة للكسّ.

٦. اذا كان الأستعمال (فى اللغة) يقتصر على صيغة الجمع من الأسم فقط (دون المفرد)، واذا اختلف معنى لغويّ لصيغة الجمع عن معنى صيغة المفرد منه، تورد صيغة الجمع كمادّة على حدة، مع وضع اشارة الجمع الى جانبها. مثال: ч. гоһум-әграба أقارب. ويورد هذا النوع من صيغة الجمع، ضمن التركيب النحويّ، أيضًا، بمثابة مادّة على حدة فى القاموس. مثال:

ч. Јер күрәсинин учгарлары.. ~ الارض: أقاصي

٧. تعتبر الأسماء المتشابهة لفظًا فى صيغ المفرد، والمختلفة فى صيغ الجمع، والمعنى أيضًا، كموادّ على حدة. مثال:

غُرْفَة г.;ч. غُرَف... палата;отаг...
غُرْفَة г.;ч. غِراف... бир овуч...

٨. اذا كان الأسم (الكلمة) المستعمل فى صيغة الجمع، جزءًا من تركيب الكلمات الثابت، فيدرج فى القاموس على النحو الّذي تقتضيه صيغة الجمع المذكورة، كمادّة مستقلّة. مثال: آذان الفأر.

٩. اذا كانت لصيغة المفرد من الأسم، علاوة على صيغة الجمع، صيغة اسم الجمع أيضا، فتدرج الأخيرة وكذلك معناها تحت مادّة صيغته المفردة مع وضع اشارة топ بينهما، وتورد صيغة اسم الجمع فى نفس الوقت كمادّة مستقلّة فى القاموس، مع الأرجاع الى صيغته المفردة. مثال:

شجرة бах شجر
شَجَرَة г. (ـات)، أشجار، топ. شَجَر 1.агач..

١٠. لا يشار فى القاموس الى صيغ التثنية للأسماء (الكلمات)، على أنّ صيغة التثنية المتباينة معنًى عن صيغة المفرد، تورد فى مادّة على حدة. مثال: ... ик.валидеји н,ата-ана أبوان

١١. لا توضع أيّة اشارة الى جانب الأسماء (الكلمات) الّتي لا

تستعمل الّا فى صيغة المفرد (أ ى لا جمع لها)• وتورد صيغة الجمع من الأسم المتكوّنة من جذر مختلف كلّ الأختلاف، الى جانب مفرده ، وكذلك فى مادّة على حدة، مع الأرجاع• مثال : ... مُنا جِذُ. ч خُلـد
خُلـد бax مَنا جِذُ

١٢• فى حالة تغيّر جذري لصيغة الجمع للأسم (الكلمة) من حيث التركيب الصوتيّ (بترخيم أحرف جذر الكلمة أو بأبدالها) تذكر صيغة الجمع فى مادّة على حدة، مع الأرجاع• مثال :

... أَللَوا تي .ч г.; أَلّتي ... أ با طِرَة .ч إمبرا طور
ألّتـي бax اللّوا تي إمبرا طور бax أ با طِرَة

ز) مقولتا التعريف و التنكير

١• تدرج فى القاموس ،بالدرجة الرئيسيّة، صيغة النكرة من الأسماء (المجرّد من "أل" التعريف)•

٢• اذا كانت "أل" تضيف الى الأسم، علاوة على التعريف، معنىً لغويًّا أو صرفيًّا آخر (مثلا ، التخصيص)، تدرج فى القاموس صيغة الأسم المعرّفة بـ "أل" ككلمة رئيسيّة، دون مراعاة "أل" فى الترتيب الهجائي• مثال : Дунаj ... الدانوب• ولدى إدراج الصيغة المجرّدة من "أل" للأسم فى مثل هذه الموارد ، فى القاموس، تورد الصيغة المعرّفة منه أيضا فى مادّتـه• مثال :

Шеjтан ... ال ... Мəл'ун ... ملعون

٣• تؤخذ "أل" التعريف بعين الأعتبار فى إدراج الكلمات الّتى لا تستعمل مجرّدة منها (على غرار : ألله، ألّذي، ألّتي)•

ح) التصغير

لا تورد صيغة التصغير من الأسم (الكلمة) بصورة عامّة، فى القاموس• غير أنّ الصيغ المصغّرة الّتي تتميّز عن الصيغ العادية من حيث معناها اللغويّ تدرج فى القاموس كموادّ على حدة• مثال :

كُوَيِّس : كـيِّس кич.; 1.фəндкир...

الصفـــة
(النعتّ)

ا) أنواعها من حيث التركيب

١ • تدرج الصفات المشتقّة الّتي تتكـوّن بواسطة زيادة لا حقة أو بالتكسير، كالصفات البسيطة، في القاموس على حدة. مثال: مَكّيّ، قانٍ، إكتسابيّ، لا مُبالي، لُغَويّ، أَبجَديّ، رَحيم، أَبيَض، أَعوَج ... الخ .

٢ • تثبت الصفات المركّبة وشبه المركّبة، في القاموس وفق ملاحظاتنا المتعلّقة بمبحث الأسماء. مثال: تتبع كلمات "أقنى الأنف، قليل العقل" الكلمتين المضافتين "أقنى، قليل" وتدرج في مادّتيهما.

ب) مقولة الحال فيهـا

تدرج الصفات، أيضا كالأسم، في القاموس في حالة الرفع فقط.

ج) مقولة الجنس فيها

١ • تدرج صيغة المذكّر من الصفة، بالدرجة الرئيسيّة، في القاموس ككلمة مستقلّة.

٢ • تورد صيغة المؤنّث من الصفة المتكوّنة بالتكسير الى جانب صيغة المذكّر منها، وبعد الأشارة. مثال: أَعمَى г. عَمياء... кор...

٣ • لا تعتبر مادّة على حدة، في القاموس، صيغة المؤنّث من الصفة المتكوّنة بواسطة زيادة لاحقة، الّا في حالة حلولها محلّ الأسم. مثال: كَبيرَة г....1.чидди хэта,тэгсир...

٤ • توضع الى جانب صيغتي المؤنّث والمذكّر من الصفة، اشارة دالّة على الجنسين. مثال: عَجوز к.ја г. ...

د) مقولة الكمّ فيهـا

١ • يشار الى صيغة الجمع من الصفة المتكوّنة بواسطة زيادة لاحقة، في مادّة صيغتها المفردة (ويذكر داخل قوسين الزيادة اللاحقة للجمع فقط.

٢ • تورد صيغ جمع التكسير للصفة (في المذكّر والمؤنّث) في مادّة

صيغة المفرد ،بعد الأشارة، مثال : ... ركبار .ﻫ كَبير

٣٠ اذا كان جنسا الصفة المذكّر والمؤنّث يشتركان في صيغة الجمع فيورد المذكّر أوّلا ، ويليه المؤنّث،وبعد ذلك صيغة الجمع المشتركة لكليهما ، مثال : ... بيض .ﻫ بَيضاءُ .ﮔ أَبيَضُ

٤٠ لا تورد في القاموس صيغة المثنّى من الصفة، على وجه العموم .

ﻫ) مقولتا التعريف والتنكير فيها

تورد الصفة فى القاموس مجرّدة من " أل " التعريف، والصفة الّتى تقبل " أل " وتستعمل بدون الأسم، لا تكون، لحلولها محلّ الاسم، نعتًا ، وانّما إسمًا ،

و) مقولة صيغ لمقارنة النعت

(Degré de comparaison des adjectifs)

١٠ تورد الصيغة الأصليّة من النعت، عمومًا ، كمادّة على حدة فى القاموس،

٢٠ تدرج صيغة أفعل التفضيل من النعت، سواءً كانت للمقارنة او التفضيل ، نمادّة على حدة في القاموس، وتذكر الى جانبها صيغـــة المؤنّث مع صيغتى الجمع لكلتيهما ، مثال :

... ﻣﻴﮔ. كبير .ﻠ كُبَر .ﮔ أَكابِرُ .ﻫ كُبرَى .ﮔ أَكبَرُ

٣٠ الصفات الّتى تكون على صيغة " أفعل " وتدلّ لا على المقارنة أو التفضيل ،وانّما تستعمل كصيغة أصليّة (في معاني اللون والعيب والنقص الجسمانيّ والحلية) تورد كموادّ على حدة ، مثال :

... سود .ﻫ سَوداءُ .ﮔ أَسوَدُ

٤٠ لا تورد في القاموس مقولتا المقارنة والتفضيل للنعت، المعبّر عنهما بواسطة التراكيب النحويّة،

٥٠ تدرج صيغ المبالغة للصفات في القاموس كموادّ رئيسيّة ،

مثال : صِدّيق، كَذوب، عَلّامة ... الخ .

العــــــدد

١) أنواعه من حيث المعنى والتركيب

١. تورد الأعداد الأصليّة / الحسابيّة) البسيطة (أحد ـ عشرة، مائة، ألف، مليون، مليار) كموادّ على حدة في القاموس .

٢. تدرج الصيغ من الأعداد المشتقّة الّتى تدعَى في كتب قواعد اللغة العربيّة بالـ" عقود " (عشرون ـ تسعون) في القاموس ككلمات على حدة .

٣. لا يدرج من الأعداد المركّبة الّا " أحد عشر " في مادّة عشر " ، أمّا " اثنا عشر " فيورد على حدة في القاموس .

٤. لا تدرج في القاموس الأعداد المسمّاة ، في كتب قواعد اللغة العربيّة، بالـ" معطوفة " .

٥. لا تعتبر الأعداد الترتيبيّة المشتقّة ، كلمات رئيسيّة، الّا ما يدعى بـ" المفردات " منها (حادي ـ عاشر) .

٦. تورد "ضِعف، مثّنى ـ معشّر" من الأعداد (أعداد المرّة) المشتقّة ككلمات رئيسيّة .

٧. تعتبر " نِصف، ثلث ـ عشر" من أعداد الكسر المشتقّة موادّ مستقلّة .

٨. تدرج صيغتا " فُعالَ " و " مَفعَلَ " من الأعداد التوزيعيّة المشتـقّة (أُحادَ ـ عُشارَ، مَوحَدَ ـ مَعشَرَ) في القاموس ككلمات مستقلّة .

٩. المبهمات من الأعداد (بِضع، نَيِّف، بَعض، كُـلّ ... الخ) تعتبر كلمات رئيسيّة .

١٠. الأعداد الحالّة، أحيانا ، محلّ الأسماء أو الصفات (مثال : مُربّع، مُخمّس ... الخ) تورد في القاموس كموادّ على حدة .

ب) مقولة الحال فيـــه

١. تدرج الأعداد في القاموس، في حالة الرفع ، على وجه العموم.

٢. الكلمات المشتقّة من الأعداد ، والمستعملة كظروف (أوّلاً ، ثانياً ، ثالثاً ... الخ) تورد في القاموس كمواد على حدة، في حالة النصب.

ج) مقولة الجنس فيـــه

١. يُكتفى بإدراج صيغة المؤنث من الأعداد الأصليّة فقط تحت مادّة مذكّرها. مثال : ...ثِنتانِ ، إثْنَتانِ . ٢. إثنانِ
... ثَلاثَةٌ . ٢. ثَلاثٌ

تورد في مادّة على حدة أيضاً ، في نفس الوقت، كلمة "ثِنتانِ" الّتي تبتعد ظاهريّاً عن صيغتها المذكّرة من حيث تركيبها الصوتي.

٢. لا يورد الّا صيغة المؤنّث من كلمة "مثنّى" - مثنّاة - من أعداد المرّة، على حدة، وكذلك في مادّة "مثنّى".

٣. تورد كلمة "بِضعة" ،وهي مؤنّث كلمة "بِضع" من الأعداد المبهمة، في المادّة الملائمة لها.

٤. تدرج "كِلتا" ،وهى مؤنّث "كِلا" ، على غرار "مثنّاة".

د) مقولة الكمّ فيه

١. صيغ الجمع من الأعداد الأوّليّة (الأصليّة) تورد في موادّ مفرداتها. مثال : ...وُحدان . ٣. واحِد
...أُلوف ، آلاف . ٣. أَلف

٢. صيغ الجمع المتكوّنة بالتكسير من أعداد الكسر المدرجة في القاموس، تورد هي الأخرى في موادّها. مثال : ...أخماس . ٣. خُمس

٣. تورد كلمة "أَضعاف" أيضاً ، وهي جمع كلمة "ضِعف" على غرار أعداد الكسر.

٤ • يشار الى الزائدة اللاحقة الّتي تكوّن صيغة الجمع للأعداد ،أو الى نفس الصيغة• مثال : ... (ـات) مربّع ... مئون ، (ـات) مئة

هـ) مقولتا التعريف والتنكير فيه

١ • تُدرج الأعداد ، ما خلا الترتيبيّة منها ، في القاموس مجرّدة من "أل" التعريف•

٢ • تتضمّن موادّ الأعداد الأصليّة (الاوّليّة) المدرجة في القاموس الأعداد الترتيبيّة المشتقّة منها ،أيضًا • مثال :

... عشرون 1. иjирми;2. الـ~ иjирминчи ...

٣ • الأعداد الّتي تحلّ محلّ الأسم بقبولها "أل" التعريف، تقدّم كموادّ على حدة • مثال: الأَحَد базар күнү

الضميـــر

١ • جميع أنواع الضمائر المنفصلة (الشخصيّة، الأشارة ، العائدة، العطاوعة، الأستفهام، المبهمة، الموصولة وغيرها) تورد كموادّ على حدة في القاموس• مثال : ألّذي، أنت، أنتنّ، أنتما ، أنتم، هذا ، ذاكَ ، مَن ، ما ، ألّتي ، كَمْ، كُلّ ، أيْ، كِلا ، أحَد ،أنا ، هُوَ...الخ •

٢ • تورد جميع الضمائر المتّصلة بمثابة كلمات رئيسية وتوضح معانيها على ضوء الأمثلة• مثال :

كتابٌ ~ـي — биринчи шәхс битишән әвәзлиjи; китабым; ~ يتـ ~ رأ мәни кәрдүн; ~ عطا نـ мәнә верди; ~ منّـ мәндән

٣ • تكون جميع الضمائر ، ما عدا الضمائر الموصولة، مجرّدة من "أل" التعريف، وتدرج ،طبعًا ، بدونها •

٤ • تدرج صيغة المؤنّث للضمير بقدر الأمكان (ويقصد هنا وجود صيغة المؤنّث، وتباينها عن صيغة المذكّر من حيث الحركات فقط) في مادّة

صيغته المذكّر. مثال : أَنتَ г. أَنتِ сән...

٠٥ تذكر صيغة الجمع للضمير في مادّة صيغته المفردة، بقدر الأُمكان (وهذه حالة استثنائيّة)، وعند تعذّر ذلك، تدرج في القاموس ككلمة على حدة.

٠٦ تذكر صيغة المثنّى للضمائر بصورة رئيسيّة، كمادّة على حدة.

الفعل

١) أنواعه من حيث التركيب

(١ ا) يعتبر مصدر الفعل الثلاثيّ المجرّد مادّة على حدة للقاموس، ثمّ يذكر بين هلالين ما نسمّيه "المصدر الشرطيّ" لذلك الفعل (نعني المفرد المذكّر الغائب لماضيه)، والى جانبه اشارة الى حركة عين الفعل من مضارعه (بواسطة أحرف ә,и,у حسب اقتضائه). واذا كانت عين الفعل للمضارع تقبل مختلف الحركات، يفصل ما بين اشارات الحركات (ә,и,у) بالفاصلة، واذا كان للفعل عدّة مصادر شرطيّة تتميّز من حيث حركاتها، تذكر بالتتالي ويفصل ما بينها بالفاصلة. واذا كان للفعل مصدران (أو أكثر) متباينان من حيث الحروف، تدرج تلك المصادر ككلمات رئيسيّة حسب الترتيب الهجائي. وكلّ هذا يتبيّن من الأمثلة الواردة أدناه:

جَـرْع (ә جرع)... ذَهاب (ә ذهَب)...

بُغـاء (и بغَى)... شَـلّ (ә,у شلّ)...

بُغيَـة (и بغَى) بغاء = بَغْي (и بغَى) = بغاء

بُخـل ja بَخَـل (بخُل y ja بخِل ә)...

ب) تورد الأفعال الثلاثيّة المجرّدة المتّفقة من حيث أحرفها الأصليّة والمختلفة في حركاتها ومعانيها كموادّ على حدة في القاموس. نحو :

بَهَج (ә بهِج) шад олмаг, сәвинмәк...

بَهج (ә بهَج) шад етмәк, сәвиндирмәк...

ج) يذكر مصدر الفعل الرباعيّ المجرّد ككلمة رئيسيّة ويثبت " مصدره

الشرطيّ " الى جانبه بين هلالين ٠ نحو : ٠٠٠ (دحرج) دَحرَجَة

٢٠ تثبت مصادر جميع الأفعال المزيدة كموادّ على حدة ، وأمّا " مصادرها الشرطيّة " فتدوّن الى جانبها بين هلالين ٠ نحو :

٠٠٠ (إقترب) إقترا ب

٣٠ لا تثبت في القاموس صيغ (أو وجوه) الفعل " المركّب " ، المستندة على اتّصالها مع الأفعال المساعدة اتّصالا تحليليًّا (analytique)

٤٠ اذا أخذت العلاقة من حيث المعنى بعين الأعتبار ، بين صيغ الأسماء المشتقّة من الفعل (كاسم الفاعل ، نحو : ناظر ، واسم المفعول ، نحو : مقتول ، واسم الزمان ، نحو : مسكن ، واسم الزمان ، نحو : ميلاد ، واسم المصدر ، نحو : مذهب وقراءة) ، وبين الفعل المشتقّ منه ، تظهر الأوجه الثلاثة التالية :

ا) تكون قدفقدت المشتقّات علاقتها من حيث المعنى بالأفعال المشتقّة منها ، واكتسبت معنًى جديدًا ٠

ب) تحتفظ بعلاقتها من حيث المعنى مع الأفعال المشتقّة منها ، مع عدم اكتساب معنى جديد ٠

جـ) تحتفظ بعلاقتها من حيث المعنى مع الأفعال المشتقّة منها ، مع اكتساب معنى جديد ٠

ففي الوجه الأوّل تقدّم الكلمة كمادّة على حدة في القاموس ٠ ولا يثبت الّا المعنى الحديث نسبيًّا الّذى اكتسبته ٠ نحو : ЧИЈИН عاتِق ٠

وفي الوجه الثانى تعتبر الكلمة فى موارد استثنائيّة جدًّا كمادّة على حدة ٠

وفى الوجه الثالث تدرج الكلمة في القاموس كمادّة مستقلّة حسب المنحى التالي : يشار أوّلاه الى علاقتها مع الفعل الّذى اشتقّت منه ، من حيث المعنى ، ثمّ يذكر المعنى المستحدث المكتسب ٠ نحو :

كاتِب ... 1. كتابَة* фa...;2.јaзычы...

مَكتوب ... 1. *كتابة мəф. ...;2.мəктуб...
مَجلِس ... 1. جُلوس мəк. вə зам.;2.мəчлис...
ضَرب ... 1. *ضَرب мəсд. ...;4.риjаз.вурма

ب) مقولة الزمان فيـــه

١. تثبت في القاموس، على نحو ما ذكرناه، صيغة الماضي من الفعل، في "المصدر الشرطيّ" المدرج بين هلالين الى جانب المصدر، ثمّ بجانبها الأشارة على حركة عين الفعل للمضارع من الفعل الثلاثي المجرّد. نحو : ... (у قتَل) قَتل ، ... (ə عَلِم) عِلم ، ... (иضَرَب) ضَرب*.

وهذا يعني، مثلاً ، انّ الكلمة "ضَرَب" تستعمل في صيغة الغائب المفرد المذكّر للماضي من مصدر "ضربٌ*" ، وحركة عين الفعل من مضارعها "يضرِب" هي الكسرة.

ولا تثبت في القاموس أزمنة الفعل الأخرى، وكذلك الصيغ والوجوه المتعلّقة بها.

٢. لا يشار في القاموس الى مضارع جميع الأفعال المزيدة ، وكذلك الأفعال الرباعيّة المجرّدة.

٣. لا تثبت في القاموس صيغ مختلف الأزمنة للفعل ، المستندة على الأصول التحليليّة (méthodes analitiques) النحويّة، أو المزجيّة (التركيبيّة synthétiques) الصرفيّة، أو المختلط منهما . غير أنّه يشار ، أحياناً ، الى عدد من هذه الصيغ في قوام أمثلة، لغرض توضيح معاني الأدوات الصرفيّة والحروف الناصبة والجازمة (حروف المعاني) وكذلك الأفعال المساعدة. نحو :

لَمْ -ма(-мə) шүһуди кечмиш заманын инкар əдаты ; يذهب ~ кетмəди...

كَون (ن كу) 1.олмаг;... 5.көмəкчи фе'л ролунда : كان يكتب јазырды;јазарды...

قَدْ 1.нәгли кечмиш заманын өн гошмасы ~ قام дурмушдур

ج) مقولة الجنس فيه

١ . ينعكس جنس المذكّر فقط من الفعل في الكلمة الواردة في المعجم كـ"مصدر شرطيّ" .

٢ . يورد " المصدر الشرطيّ " من الأفعال الّتي تختصّ بجنس المؤنّث (الجنس الطبيعيّ) فقط ، في صيغة التأنيث . مثل :

حَيض (حاضت) и) ajбашы олмаг

غير أنّ الأفعال الّتي تختصّ بالمذكّر والمؤنّث معًا ، تورد في الموادّ المتعلّقة بالمذكّر . نحو :

حَبِل 1.(حَبِلت) ... һамилә олмаг ;(حَبِل) долу олмаг (нә илә من)

د) مقولة الكمّ فيه

١ . ينعكس في " المصدر الشرطيّ " صيغة المفرد فقط من الفعل ، في القاموس .

٢ . في موارد استثنائيّة تذكر صيغتا المثنّى والجمع للفعل ، لا على حدة ، بل في مادّة الفعل . مثل :

قَول) قالَ у) 1.демәк;... يقولون деjилдиjинә көрә...

هـ) مقولتا الإثبات والنفي (النهي ، الجحد) فيه

١ . ينعكس في " المصدر الشرطيّ " صيغة الإثبات فقط من الفعل . أمّا " المصدر الشرطيّ " فلا يثبت في القاموس ، كما هو معلوم ممّا ذكرناه ، ككلمة على حدة .

٢ . يشار الى صيغة النفي للفعل عند توضيح معاني الأدوات الّتي تستعمل في تكوين صيغة النفي (النهي ، الجحد) العائدة لمختلف أزمنة الفعل . نحو : ... jазмады ~ يكتبْ : (-мә) -ма لَمْ

لا ... -ма (-мә) : أدري ~ билмирәм; يكتبْ ~ jазмасын...

و) مقولة الشرط فيه

لا تورد الصيغة الشرطيّة من الفعل في القاموس كمادّة على حدة ولا تذكر إلّا كمثال لإيضاح معاني أدوات الشرط في مادّة تلك الأدوات ·

مثال : ǰaəсан ~ تكتبْ ; (-сə)-са-;əкəр إنْ

ǰhapaǰa(ки) ~ تذهبْ أذهبْ : (ки)ǰhapaǰa أيّانَ

кeтсəн,кeдəрəм ...

ز) مقولة الشخص فيه

لا يتضمّن القاموس في " المصدر الشرطيّ " إلّا صيغة الغائب المفرد للفعل ·

ح) مقولتا التعدية واللزوم فيه

ينعكس في القاموس لزوم الفعل أو تعديته في معناه · ولا تستعمل أيّة إشارة في القاموس لتمييز الأفعال من هذه الناحية ·

ط) مقولة النوع فيه

١ · يبرز النوع المعلوم من الفعل ، أساساً ، في المصدر المدرج في القاموس ككلمة رئيسيّة ·

٢ · في موارد استثنائيّة ، تورد صيغة المجهول للفعل تحت مادّة صيغته المعلومة ، بعد إشارة мəчh. (المجهول منه) · مثل : يُقال ; ...деǰилмишдир ... мəчh. قيل ... (у قال) قول деǰилир ...

٣ · تتجلّى أنواع الفعل الأخرى (المطاوعة ، المشاركة ، الإلزام) ، كما هو معلوم ، أساساً ، في أبوابه المزيدة التي تثبت في موادّ على حدة في القاموس ·

٤ · لا يورد في القاموس نوع (صيغة) التأكيد للفعل على حدة ·

الظرف

١ · تعتبر الظروف البسيطة (الجامدة) موادّ مستقلّة في القاموس ·

نحو : كَمْ ، مَتَى ، أَينَ ، هَهُنا ، هُنا كَ ، حينَ ، حَيثُ ، أَمسِ ، ثَمَّ ... الخ .

٢. تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة من أقسام الكلام الأصليّة مع حروف الجرّ أو "أل" التعريف في موادّ أقسام الكلام المذكورة . نحو: تورد ظروف "من قبلُ ، اليومَ ، عَن قَريبٍ" في موادّ كلمات "قَبل ، يوم ، قَريب" .

٣. تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة من أقسام الكلام الأصليّة مع الزوائد اللاحقة ، كموادّ على حدة في القاموس . نحو : حينئذٍ ، صَباحًا ، عاجِلًا ، مَجّانًا ، وَقتئِذٍ ، تَقريبًا ... الخ .

٤. تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة بالتكسير من أقسام الكلام الأصليّة ككلمات مستقلّة في القاموس . مثل : سُرعانَ ، نِعِمّا .

٥. تعتبر كلمات رئيسيّة الظروف المركّبة المتكوّنة من تركيب حروف الجرّ والأدوات وغيرها مع أقسام الكلام الاصليّة كموادّ على حدة . مثل : كَيفَما ، طالَما ، قَلَّما .

٦. الظروف المركّبة الّتي تكتب أجزاؤها بصورة منفصلة ، نحو : مَتَى ما ، عِندَ ما ، كَثيرًا ما ... الخ تدرج في موادّ أجزائها الأولى (مَتَى ، عِندَ ، كَثيرًا) .

٧. تدرج الظروف المركّبة الّتي تكتب أجزاؤها بصورة متّصلة ، في القاموس ، كموادّ مستقلّة . نحو : حَيثُما ، قَلَّما ، أَينَما ، سِيَّما ، رُبَّما ، حينَذاكَ ... الخ .

حروف المعاني

(des prépositions)

١. تدرج حروف المعاني البسيطة الجامدة (المختصّة بالأسم والفعل والمشتركة بينهما ، كذا أحرف العطف) في القاموس كموادّ على حدة . نحو : في ، عَلَى ، مِنْ ، إِنَّ ... الخ .

٢. تعتبر الكلمات الجارّة الجامدة من حيث اشتقاقها الى أقسام

الكلام الأخرى (وبالدرجة الرئيسيّة الى قسم الظروف) أيضا موادّ مستقلّة • مثل: تحتَ ~ алтында; ... الأرض ~ јерин алтында

٠٣ حروف المعاني المركّبة تورد في مادّة الجزء الأوّل منها • مثل :

مِنْ ...1. على ~ үзэриндэн ...

٠٤ الكلمات الجارّة المركّبة المؤلّف أحد أجزائها من حروف المعاني والثاني من أقسام الكلام الأصليّة، نحو "مِنْ غَيرِ، مِنْ فَوقِ" تورد في مادّة أقسام الكلام المذكورة (غير، فوق) •

حروف العطف

٠١ حروف العطف الجامدة، وكذلك المركّبة الّتي تكتب بصورة متّصلة، تدرج في القاموس ككلمات رئيسيّة • مثل : وَ، فَ، مَعَ، أَمّا، لَكِنَّ، لِذا ... الخ •

٠٢ اذا كان أحد أجزاء أداة العطف المركّب، المكتوب منفصلا، قسمًا من أقسام الكلام الأصليّة، تورد أداة العطف في مادّة ذلك القسم من أقسام الكلام • مثلًا : "مَعَ ذَلِكَ، مَعَ هَذا" توردان في مادّة "هذا" و "ذلك" •

٠٣ اذا كانت أجزاء أدوات العطف المركّبة، المتكوّنة منفصلًا، من أقسام الكلام المساعدة (من حروف المعاني)، تورد الأدوات المذكورة في مادّة أحد أجزائها • مثل : عَلَى أَن، وَإِلّا ... الخ •

النداء

٠١ أحرف النداء (وهي من حروف المعاني المختصّة بالأسم) الجامدة، وكذلك المركّبة الّتي تكتب بصورة متّصلة، تدرج في القاموس ككلمات رئيسيّة • نحو : آهٍ، أُفٍّ، حَبَّذا، هَيهاتَ، أَيُّها، هَيا، يا، مَهْ، صَهْ، آ هًا ... الخ •

٠٢ اذا كان ثمّة قسم من أقسام الكلام الأصليّة في بنية النداء المركّب، المكتوب منفصلًا، يورد النداء في مادّة ذلك القسم، والّا يتبع

الندا ء الجزء الأوّل للتركيب. مثال : نداءا " ما شاء الله ، سبحان الله"
يوردان في مادّتي (ة شاء) مَشيئة ، سُبحانَ.
٣. تورد صيغة المؤنّث من حروف النداء في مادّة صيغة المذكّر منه،
تمّ تدرج في القاموس على حدة ويرجع اليها . مثل :
أيّها г. أيّتها ej !,aj!...
أيّها бах أيّتها

٤. عندما تكون بعض الكلمات مسبوقة بحرف النداء (يا) ، يطرأ
تغيير على قوامها (تضاف زائدة لاحقة اليها ، أو تزاد فيها عناصر أخرى).
تدرج مثل هذه الكلمات في القاموس ، متغيّرة الشكل ، كموادّ على حدة.
مثلاً : تذكر كلمات " أَبتِ ، أَبَتاهْ ، أمّاهْ " على النحو التالي :
أَبَتِ : يا ~ aj ата чан !
أَبَتاهْ : يا ~ aj ата чан !
أمّاهْ : يا ~ aj ана чан !

VII

ملاحظات نحويّة

١) عمل الفعل كعامل نحويّ

١. يبرز عمل الفعل في القاموس الى جانب كلّ من معانيها
(المترجمة الى الأذربيجانيّة) بحروف الجرّ الغربيّة ، وأدوات الاستفهام
الأذربيجانيّة والاشارات الشرطيّة بين هلالين. وتعتبر حالة الرفع
بمثابة حالة خلوّ الاسم من الأعراب التي لا يشار اليها في القاموس. مثال :
حُصول (حَصَلَ у) ..әлдә етмәк (нәјИ على);...
قَول (قال у) 1.демәк...;3.бөһтан атмаг(кимә على ،
ضدّ) ...

٢. اذا كان الفعل يعمل بحرفي جرّ عربيّين (وأكثر) ، في افادة
نفس المعنى ، توضع الفاصلة بين تلك الأحرف. مثل :

(ل ، الى кима) вермәк ...(ә دفَع) دَ فــع

٠٣ اذا كان الفعل يقتضي حالة النصب وغيرها للمعمول فى آن واحد ، تثبت بين هلالين أوّلاً إشارة حالة النصب(т.h.) ثمّ تسجّل أحرف الجرّ الّتي تقتضيها الحالة الأخرى.

٠٤ يظهر لزوم الأشارة الى وسائل عمل الأفعال الأذربيجانيّة فى القاموس بوجه خاصّ عند ما يحتمل الألتباس في معنى الأفعال. مثل :

... (بـ нәдән и,у)тутмаг,јапышмаг (مَسك) مَسك

... (بـ нәјә 1.јапышмаг (إلتَصَق) إلتِصاق

ب) العبارات الثابتة

١٠ تدرج العبارات الثابتة في القاموس ، بصورة رئيسيّة، وفق ما تقتضيه الكلمة المعتبرة كأهمّ العوامل ، أو " المعيار الصوتي " ، وتثبت فى المادّة الملائمة لذلك القسم من أقسام الكلام الأصليّة الذى من شأنه التقدّم فى الترتيب الهجائي بموجب حرفه الأوّل . وهكذا ، يحال بقدر الأمكان دون تكرار العبارات الثابتة في القاموس. فمثلاً ، الأحرف الأولى من أقسام الكلام الأصليّة في عبارة " يعرفه القاصي والداني " ، اذا أخذ تسلسل الكلمات في الجملة بنظر الأعتبار ، عبارة عن أحرف " ي، ق ، د " . غير أنّ لكلمة " الداني " حقّ التقدّم من بين الكلمات المذكورة، وتبعاً لهذا ، تورد هذه العبارة الثابتة تحت مادّة كلمة" (دانى) دانٍ " في القاموس.

٠٢ تورد العبارة الثابتة في القاموس ، أساسًا ،تحت مادّة الكلمة الملائمة، كما قلنا ، وبعد معنى الكلمة المناسب، وإشارة المعيّن (◊) مباشرةً.

٠٣ فى حالة تماثل الأحرف الأولى من الكلمات الّتي تتألّف العبارة الثابتة منها ، تورد العبارة في مادّة الكلمة الأولى حسب توا ليها . مثال : تدرج عبارة " من الأب الى الأبن " تحت مادّة كلمة " أب " في القاموس.

توثيق صلات المكتب بمراسليه

وجه مكتب تنسيق التعريب رسالة الى مراسليه العلميين فى الوطن العربى وخارجه ليكونوا صلة وصل بينه وبين مواطنهم فى كل ما يستجد بمجالات التعريب والعلم واللغة وهذا نص الرسالة

تحية عربية وبعد :

لقد اختارتكم دولتكم بالاتفاق مع مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى لتكونوا معتمدا له ومراسلا علميا يصل ما بين وطنه والمكتب فيرصد حركة التعريب والترجمة ويوافينا بها شهريا كى نضم حصيلة عمله الى مثيلاتها من البلاد الاخرى وننسقها لنستطيع بعد ذلك عرضها فى مؤتمرات التعريب على العلماء المختصين بشكل مشروعات معاجم او موضوعات تنشر فى مجلة « اللسان العربى » وتناقش وتدرس .

وسيوافيكم المكتب بمطبوعاته ومشروعاته لتكونوا على اطلاع مستمر بما يجرى فى داخله من اعمال علمية او لغوية وكانكم تعملون مع خبرائه يوميا .

وعملكم فى هذا المعنى عظيم الاهمية ، وتعاوننا المتبادل كبير الجدوى فى خدمة لغتنا الكريمة . والخطة التى نسير عليها واضحة جدا يمكن تلخيصها فيما يلى:

1 — ترتبط صلتكم العلمية مبدئيا بأساتيذ الجامعة ليوافيكم كل منهم بما يترجم او يعرب فى حدود اختصاصه سواء اكان عمله كتابا مؤلفا او مترجما ، او مقالا لغويا ، او مشروع معجم ، او قائمة مصطلحات ؛ او كان له اقتراح يجب ان يعرضه على المكتب او على العلماء المختصين لينشر فى المجلة ويناقش .

2 — وفى تتبع ما ينشر فى المجلات العلمية من مصطلحات وابحاث لغوية ، وفى ربط الصلة بالاساتذة المتقاعدين عن العمل الرسمى ، ولكنهم غير منقطعين عن البحث العلمى واللغوى ، وفى ملاقاة الادباء والكتاب ومن فى طبقتهم ممن يترجم مقالا تقنيا او كتابا علميا او يتابع بحثا معينا او نظرية فلسفية او اجتماعية ويضع لها مصطلحات لم يجد لها مقابلا فى المعاجم المعروفة.. فى كل ذلك خير كثير وعمل كبير يساعد المكتب على التنسيق فيما بين البلاد العربية لكى لا نقع فى لهجات علمية تباعد ما بين المفكرين كما باعدت اللهجات العامية بينهم زمنا غير قصير .

3 — ان فى كل امة جنودا مجهولين يقدمون تضحياتهم الكبيرة ويعتزلون الشهرة ترفعا وايمانا منهم بأنهم انما يؤدون خدمة جليلة هى من واجب كل مواطن ونحن نعتقد ان خبراء المكتب من هذا الطراز النبيل الذى يؤدى للغته ولتاريخ امته الفكرى وتقدمها العلمى خدمة خالصة لا يرجو من ورائها ربحا ولا يطمع بشهرة ، وانتم فى صلتكم بنا وعملكم معنا كالجندى المجهول نعمل كلنا معا فى ساحة النضال الفكرى غير مستهدفين امرا الا اداء الخدمة . ولكنا مع هذا لن نغمط عملكم بل سنعطى كل ذى حق حقه من الشكر والاعلان عن عمله فى المجلة ليعرف ويؤرخ .

4 — وكما وضعت دولتكم ثقتها بكم لتكونوا صلة الوصل فيما بيننا وبين وطنكم فانا نؤيد هذه الثقة ونرجو لكم التوفيق وننتظر نتائج جهودكم المشكورة سلفا ودمتم ..

نشاط مكتب الدائم للتعريب

- ✻ استقبال الرئيس الجزائرى
- ✻ المؤتمر الثانى للتعريب
- ✻ قائمة الوفود العربية المشاركة فى المؤتمر الثانى للتعريب .
- ✻ قائمة بأسماء رؤساء الوفود
- ✻ منهجية مكتب تنسيق التعريب فى وضع مشروعاته المعجمية
  الموضوع الذى تلى فى مؤتمر التعريب الثانى باسم المكتب
- ✻ وثيقة المؤتمر الثانى للتعريب
- ✻ توصية خاصة
- ✻ قرارات وتوصيات المؤتمر العلمى العربى السابع
- ✻ استخدام اللغة العربية فى التعليم العالى
  للدكتور جميل الملائكة — بغداد
- ✻ نحو تنسيق افضل للجهود الرامية الى تطوير اللغة العربية
  للاستاذ الدكتور تمام حسان
  عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة
- ✻ جوانب الدقة والغموض فى المصطلح العلمى العربى الحديث
  للمهندس وجيه السمان عضو معجم اللغة العربية بدمشق
- ✻ خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى
  للدكتور عبد الحليم منتصر
- ✻ ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسايرة التطور العلمى والتقنى
  للدكتور محمود الجليلى عضو المجمع العلمى العراقى
- ✻ حول مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة فى العلوم الادارية
  للدكتور مصطفى البارودى
- ✻ الاسلام ولغة الحضارة
  عبد العزيز شرف
- ✻ آراء حول منهجية التعريب
  الاستاذ حسان داود
  — بغداد —
- ✻ توثيق صلة المكتب بمراسليه

استقبال الرئيس الجزائري لرؤساء وفود المؤتمر الثاني للتعريب

استقبل فخامة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين رؤساء وفود المؤتمر الثانى للتعريب المنعقد فى الجزائر (ديسمبر 1973) واعضاء مكتب تنسيق التعريب وناقشهم مناقشة طويلة حول مسار الاعمال فى المؤتمر واستفسر عن نتائجه خاصة فيما يتعلق بانشاء المعاجم وتوحيد المصطلحات العلمية وتنسيق العمل بين المجامع اللغوية .

وقد قال سيادة الرئيس بأن اللغة كائن حى يتغذى من المحيط الذى يعيش فيه وتزدهر بازدهار الحضارة التى يمثلها المجتمع . فلا بد من ارتباط اللغة بالعمل وبالحياة اليومية ولا تبقى بمعزل عن التطبيق .

لكن المشكل ليس مشكلا سياسيا بقدر ما هو ارادة سياسية وكثيرا ما توجد العقبات فى مستوى اجهزة التنفيذ لظروف تاريخية وهى ظاهرة لعلها موجودة فى اكثر من مكان فى عالمنا العربى .

واضاف الرئيس قائلا : « وهنا يأتى دور المثقف العربى الذى يجب الا يكون محصورا فى الاطار التقنى بل يجب ان يتعدى ذلك الى مستوى الالتزام النضالى.

وفيما يتعلق بالتعريب فى الجزائر قال سيادته : بأن المسؤولية الملقاة على عاتق جامعات المشرق العربى كبيرة لان طاقة جامعات المغرب محدودة فى هذا الصدد وخاصة فى مجال العلوم .

ثم اشار الرئيس بومدين الى الاهمية التى توليها القيادة فى الجزائر لقضية التعريب التى هى هدف استراتيجى من اهداف الثورة وجزء من الثورة الثقافية التى تهدف مع الثورة الزراعية والصناعية الى ترقية الفرد والنهوض بالانسان .

وتفضل سيادته فتعهد بحمل امانة التعريب ورسالته الى مؤتمر القمة لكى يصدر به قرار يؤيد تعريب التعليم والادارات فى جميع الدول العربية . وقد اثلج هذا التعهد النبيل قلوب المؤتمرين رؤساء واعضاء وبخاصة مكتب تنسيق التعريب .

ومن هنا فان ارادة التعريب يجب ان تتجسم لا على مستوى القيادة فحسب وانما على مستوى كل الهيئات والمؤسسات بل والافراد .

وقد ابدى الرئيس اهتماما خاصا بمشاريع المؤتمر حول توحيد المصطلحات العلمية فى كل البلدان العربية مذكرا بأن الخطوات الرئيسية فى مجال تنسيق التعريب هى تكوين الاستاذ واعداد المنهج الدراسى والكتاب المدرسى ثم وضع الخطة التى تكفل بعث اللغة العربية ومسايرتها لكل اللغات الحية .

وقد طلب الرئيس الى المؤتمرين اعداد التوصيات اللازمة التى قد تناقش على اعلى المستويات العربية لضمان نهضة عربية علمية شاملة .

وركز سيادته على ضرورة الاهتمام باللغات الاجنبية وعدم اهمالها لانها نافذة على الحضارة العالمية .

بعض الموضوعات المقدمة إلى مؤتمر التعريب الثاني

المؤتمر الثاني للتعريب أول انطلاقة لتوحيد المصطلح العلمي العربي

انعقد المؤتمر الثانى للتعريب فى قصر الامم بالجزائر من 12 الى 20 دجنبر 1973 ، لدراسة المشروعات المعجمية التى اعدها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهذه المشروعات هى كما يلى :

— مشروع معجم الكيمياء .

— مشروع معجم الفيزياء .

— مشروع معجم الرياضيات .

— مشروع معجم الحيوان .

— مشروع معجم النبات .

— مشروع معجم الجيولوجيا .

ومن المعلوم ان المؤتمر الاول انعقد بالرباط من 3 الى 17 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية فى ميدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربى من تجربة الشرق العربى فى حقل التعريب .

وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية ، بناء على قراره رقم 2541 / د ج 4 — 16 / 3 / 1969 فى دور انعقاده العادى الحادى والخمسين على النظام الاساسى للمكتب واقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية ، مهمتها الاساسية تلقى وتتبع ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات المؤتمرات .

وفى سنة 1972 اصدر الامين العام للجامعة قرارا تحت رقم 70 لسنة 1972 ، بشأن نقل بعض الاجهزة الثقافية لجامعة الدول العربية الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومن ضمنها المكتب .

ومنذ ذلك الحين اصبح المكتب جهازا تابعا لهذه المنظمة ويعمل تحت اشرافها .

وحضر المؤتمر الثانى بالجزائر هذا مندوبون عن الدول العربية وبعض الهيئات الثقافية والعلمية والمنظمات والمجامع والجامعات العربية ، وهى كما يلى :

— المملكة الاردنية الهاشمية .

— الجمهورية التونسية .

— الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية .

— المملكة العربية السعودية .

— جمهورية السودان الديمقراطية .

— الجمهورية العربية السورية .

— الجمهورية العراقية .

— دولة الكويت .

— الجمهورية العربية الليبية .

— جمهورية مصر العربية .

— المملكة المغربية .

— الجمهوية العربية اليمنية .

— الجمهورية الاسلامية الموريطانية .

— منظمة التحرير الفلسطينية .

— المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس .

وقد افتتح المؤتمر السيد وزير التعليم الابتدائى والثانوى بالجزائر نيابة عن فخامة الرئيس هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ، مرحبا بالمؤتمرين ومتمنيا لهم التوفيق والنجاح فيما هم مقدمون عليه ، مشيرا إلى ان هذا المؤتمر الثانى للتعريب ينعقد فى ظروف غير الظروف التى انعقد فيها المؤتمر الاول بعاصمة المملكة المغربية سنة 1961 م **ذلك المؤتمر** — يقول السيد الوزير — **الذى كان له فضل البدء فى السير على الطريق ، ويرجع الفضل ايضا فى وضع اللبنة الاولى لجهاز جديد وهو مكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى** . راجيا يقول سيادته **ان تتضافر الجهود لدعمه واعلاء مكانته وجعله اداة فعالة لبلورة العمل العربى المشترك لتطوير اللغة العربية وانمائها** ، كما تحدث سيادته عن **سياسة التعريب فى الجزائر وما لقيته من نجاح فى جميع الميادين والمرافق** ، وطالب **ببذل المزيد من الجهود لخدمة اللغة العربية ضمن خطة عربية موحدة تتبناها الحكومات العربية** ، واضاف بان **مسؤولية الامة العربية نحو لغتها مسؤولية تاريخية كبرى** ، وتمنى سيادته فى الاخير ان **تضطلع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى بالتعاون مع المجامع والجامعات العربية بهذه المهمة العظيمة** .

وكان الدكتور عبد العزيز السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد القى قبل ذلك خطابا استهله بتقديم اعظم الشكر واصدق التحية الى سيادة الرئيس هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية لتفضله برعاية المؤتمر مشيرا الى ان هذا المؤتمر سيتناول **مشكلة من اهم المشكلات التى تواجهها الثقافة العربية فى الوقت الحاضر وهى مشكلة التعريب** ، لان العرب فى العصور الحديثة — يقول سيادته — قد انقسموا ازاء لغتهم الى فريقين : فريق يحبها ولكنه يخطىء سبيل الحب ، وفريق يتجاوز فى ذلك حدود الحق والانصاف . مضيفا ان **العيب ليس فى اللغة العربية وانما العيب فى العرب انفسهم** ، وطالب سيادته بالمزيد من **الجهد للنهوض باللغة العربية وتطويعها واغنائها** ، وواعد بان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ستعمل كل ما فى وسعها لتأدية رسالتها فى تحقيق هذه الغاية متعاونة فى ذلك مع كل من يعينهم الامر من حكومات وهيئات وافراد كما وجه السيد المدير العام للمنظمة الشكر الى اللجنة التحضيرية الجزائرية لما قامت به من جهد لانجاح هذا المؤتمر . وقال بأن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قررت بعد انشائها مباشرة ان يكون **اول مؤتمر للتعريب تدعو اليه مخصصا لبحث موضوع توحيد المصطلحات العلمية فى مراحل التعليم العام** ، حتى نهاية المرحلة الثانوية . كما اشار الى انه بالاضافة الى ذلك فان المؤتمر سيستمع الى عدد من البحوث عن اربعة موضوعات اساسية اعدتها المجامع الثلاثة والمنظمة ، وتمنى فى الاخير **ان يكون هذا المؤتمر معلما من معالم الطريق وخطوة كبيرة الى الامام** .

ثم انتقل الجميع بعد ذلك الى انتخاب رئيس المؤتمر وقد اختير الاستاذ عبد الحميد مهرى الكاتب العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى بالجزائر ، كما اختير نوابه ايضا ثم تلت ذلك مرحلة انتخاب اعضاء اللجان ورؤساء هذه اللجان ومقرريها .

وفى اليوم الثانى باشر المؤتمرين اعمالهم طوال اليومين الاولين بتخصيص فترة الصباح للاستماع الى البحوث ، وفترة بعد الزوال لاعمال اللجان وعددها ست ، وهى : لجنة الرياضيات — لجنة الفيزياء — لجنة الكيمياء — لجنة النبات — لجنة الجيولوجيا — لجنة الحيوان — وتنهج كل من هذه اللجان اسلوبا خاصا فى اعمالها للنظر فى مشروعات المعاجم المعروضة على المؤتمر التى اعدها مكتب تنسيق التعريب ويتلخص هذا الاسلوب فيما يلى :

1 — تنظر اللجنة جميع مصطلحات المادة التى تدخل فى اختصاصها .

2 — تحذف من المعاجم ما ترى مناسبا حذفه او تزيد ما تراه ضروريا لذلك .

3 — يفضل اللفظ العربى الاصيل على المعرب .

4 — يراعى تفضيل المقابل للتصريف على اللفظ الجامد .

5 — يراعى انتقاء اللفظ العربى الدال بدقة على المفهوم الاجنبى .

6 — يوضع لفظ واحد للمفهوم الواحد .

7 — يراعى اختيار المقابل العربى الذى لا تعدد مفاهيمه .

8 — يراعى تجنب المقابل العربى الذى تتنافر فيه الحروف .

9 — يراعى اختيار اللفظ ذى المخارج اللينية .

10 — يراعى تفضيل الكلمة الثلاثية على الرباعية.

11 — يراعى تفضيل الصيغة القليلة الحركات .

12 — يراعى تفضيل اللفظ الذى لا يحمل علامة زائدة على المزيد .

13 — يراعى تفضيل المصطلح البسيط على المركب .

14 — يراعى بقدر الامكان تجنب استعمال اللواحق والزوائد المتعارف عليها فى اللغات الاجنبية.

15 — تفضل كتابة اسماء الاعلام كما تلفظ فى بلادها الاصلية .

اما التقارير والبحوث التى قدمت الى المؤتمر فمنها ما قرىء ونوقش فى اجتماعات عقدت لهذا الغرض ، ومنها ما وزع فقط على الاعضاء بقصد الاطلاع . وهى كما يلى :

— تقرير مكتب تنسيق التعريب ، وقد تحدث فيه مديره الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله عن تأسيس هذا المكتب واهدافه ومنجزاته ، وقال سيادته بأن **الخطوات المباركة نحو التخلص من الاستعمار الفكرى بعد الخلاص من الاستعمارين السياسى والعسكرى ، تعثرت بفوضى التعريب** لبعض الاسباب :

كالتفاوت فى المقدرة اللغوية لدى المعربين تفاوتا بعيدا جدا ، واختلاف المؤثر اللغوى الاجنبى فى البلاد العربية ، والمناهج فى التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات لمستحدثة، ارتجلها الصحفيون بعامل السرعة ارتجالا ، وفوضى التاليف المدرسى حين يصوغ كل مدرس او استاذ للمصطلح مرادفا عربيا يتساوق وقدرته اللغوية او معرفته العلمية ، فتظهر فى البلد الواحد كتب متخالفة المصطلحات فى مؤلفات من موضوع واحد ، ولم تستطع الحكومات العربية السيطرة على هذه الفوضى الا فى وقت متأخر جدا وضمن حد معين. ثم انتقل سيادته للحديث عن المنهجية التى يتبعها المكتب فى اعداد معاجمه فقال :

دعت هذه الحال مفكرى العرب الى مدارسه الموضوع لايجاد حل سريع له ، وانعقد فى الرباط المؤتمر الاول للتعريب (ابريل 1961) انتهى بعد المناقشات والبحث الى تأسيس (المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوط نالعربى) ،

وتحدث عن **مفهوم التنسيق والمنهج** الذى اتبعه المكتب فى وضع المعاجم (تجـدون نص البحث عن المنهجية فى قسم نشاط المكتب) .
ثم انتقل سيادتـه فى الاخير للحديث عن بعض المنجزات التى حققها المكتب منذ تأسيسه . اما بقية الابحاث فهى كما يلى : (وقد نشرنا بعضها فى هذا العدد والباقى فى العدد المقبل بحول الله.

— بحث وسائل تطوير اللغة العربية العلمية للدكتور عبد الكريم خليفة — جامعة الاردن .

— بحث جوانب الدقة والغموض فى المصطلح العلمى العربى الحديث للمهندس وجيه السمـان مـن سوريا .

— بحث جوانب الدقة والغموض فى المصطلح العلمى العربى الجديد للاستاذ خير الدين حقى مـن سوريـا ايضا .

— ملاحظات حول تطوير اللغة العربيـة لمسايـرة التطور العلمى والتقنى للدكتور محـمـد الجليلى عضو المجمع العراقى .

— خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى .

— كلمتان للوفد التونسى عن الصدور واللواحـق وموضوعات اخرى للاستاذ السويسى والدكتور الحمـزاوى .

— التقرير العام للجنة دراسة مشروعات معـاجم الكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيـا مـن طرف جامعة بغداد .

— دور الالسنة فى المساهمة فى التعـريب للاستاذ صالح القرمادى .

— تقرير اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر.

— تقرير وزارة الاعلام فى دولة الكويت .

— تقرير المنظمة العربية للمواصفـات والمقاييس بشأن الحروف والارقام والرموز .

— التعريب واهميته كاحد مقومات الحضارة العربية المعـاصـرة .

— عصر النهضة عند العرب للاستاذ محمد ناصر استاذ الفيزياء الذرية بجامعة الكويت .

— بحث نحو تنسيق افضل للجهود الراميـة الى تطوير اللغة العربية للدكتور تمام حسان .

— التعريب فى الجزائر .
وهكذا فقد تابع المؤتمرون اشغالهم فى الايام الاربعة الباقية لدراسة المعاجـم المعروضـة عليهم ، حيث استطاعت جميع اللجان ان تنهى اعمالهـا فى الوقت المحدد ، وقدمت كل لجنة تقريرا مفصلا عن مهامهـا والتوصيات التى تقترح اضافتها الى التوصيات العامة للمـؤتمـر .

وفى يوم الخميس 20 / 12 / 1973 ، اختتم السيد وزير التعليم الابتدائى والثانوى اشغال المؤتمر بكلمـة القاها سيادته بهذه المناسبة ، استهلها بالاشارة الى ان **المؤتمر قد انهى اعماله فى الوقت الذى تتناقل فيـه الصحف نبا دخول العربية الى حضيرة منظمة الامـم المتحدة كلغة رسمية لها** ، كمـا ابدى سروره **للجـو الاخوى والعملى الذى ساد ايام المؤتمر** ، مشيرا الى ان **العمل سيكون اعظم اذا وجد طريقـه فعـلا الى المؤلفات المدرسية خاصة ، والكتابات العلمية فى الوطن العربى بشكـل عـام** .

واختتم سيادة الوزير كلمته بأن تعهد ان **الجزائـر فى وزارة التعليم الابتدائى والثانوى خاصة ستلتـزم بكل ما اتفق عليه اعضاء المؤتمر ، وسيطبق فعلا فى كل المؤلفات المدرسية بالجزائر** ، وتمنى ان يقوم كل واحد من المؤتمرين فى وطنه الصغير **بالدفاع عن هـذا الجهد العربى المشترك والعمل من اجل تطبيقه الفعلى**، وشكر بعد ذلك جميع الوفود المشاركة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى على جهودهم الموفقة ، وتمنى للجميـع مزيدا من الانجازات فى ميادين العمل العربى المشترك.

وقد القى فى هذه الجلسة الختاميـة ايضا حضرة السيد الدكتور ناصر الدين الاسد المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة قيمـة شكر فيها سيادته المؤتمرين والحكومـة الجزائريـة واللجنة التحضيرية وعلى راسها الاستاذ عبد الحميـد مهرى رئيس المؤتمر ، لما بذلوه من جهد موفق لانجاح المـؤتمـر .

كما القى كل من الدكتور عبد الحليم منتصر ومندوب جمهورية اليمن الديمقراطية ومندوب الجمهورية الاسلامية الموريطانية كلمات هامة بهذه المناسبة .

وقد صدرت عن المؤتمر وثيقة تتضمن المبادىء والاتجاهات والتوصيات (تجدون نصها فى مكان آخر من هذا العدد) ؟

وفى الختام قدم المؤتمر للسيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ولاعضاء الحكومة ولرجال وزارة التربية والتعليم وللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر اصدق الشكر واعمق التقدير لما كان من اهتمام الجزائر بالمؤتمر ، بداية واعدادا واستضافة ، ويرى فى ذلك مظهرا من مظاهر استمرار الحكومة الجزائرية فى متابعة ثورتها الثقافية الاصيلة .

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب على الجهد المبذول فى الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه واعداد وثائقه ومشروعات معاجمه . ويرى فى هذا العمل تمهيدا نيرا للآفاق الواسعة التى ترودها حركة تعريب التعليم.

كما اصدر المؤتمر ايضا توصية خاصة ، طالب فيها الحكومات العربية جميعها بمباشرة تطبيق برنامج مرحلى مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية فى مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدأ من العام الدراسى المقبل 74 — 5 19 ، كما يهيب بالملوك والرؤساء العرب ، ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق، ويضعوا ثقتهم كلها فى المنظمة وفى المجامع والجامعات لاستكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية.

*

قائمة بأسماء ممثلي الدّول والهيئات العلمية المشاركة في المؤتمر الثاني للتعريب

1) المملكـة الاردنيـة الهاشميـة :

ا ــ الجـامعـة الاردنيـة :

1 ــ الدكتور عبد الكريم خليفة ــ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها .

2 ــ الدكتور عدنان افرام ــ رئيس قسم الرياضيات .

ب ــ اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر :

1 ــ الدكتور عبد الكريم خليفة ــ (سبق ذكره فى وفد الجامعة) .

2 ــ الدكتور عدنان بدران ــ

3 ــ الدكتور احمد سعيدان ــ

2) الجمهـوريـة التـونسيـة :

1 ــ الدكتور محمد السويسى ــ الاستاذ المحاضر بكلية الآداب بالجامعة التونسية والاختصاصى بالرياضيات .

2 ــ الدكتور رشاد الحمزاوى ــ مدير معهد بورقيبة للغات الحية والاستاذ المحاضر بكليـة الآداب .

3 ــ السيد احمد الفـاتى ــ مفتش التعليم الثانوى والمختص بالمواد العلمية .

4 ــ السيـد الحبيب زغنـدة ــ مفتش التعليم الثانوى والمختص بالمواد العلمية .

3) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية :

ا ـ الـوفـد الحكـومـي :

1 ـ السيد عبد الحميد مهرى	ـ الامين العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
2 ـ السيد على بن محمـد	ـ مستشـار فنى بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
3 ـ السيد رزقى صالحى	ـ نائب مدير بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
4 ـ السيد مولود طيـاب	ـ رئيس مصلحة بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
5 ـ السيد احمد درار	ـ مدير بوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .
6 ـ السيد عبد الحميد بن شنهو	ـ مدير الجريدة الرسمية .
7 ـ السيدعبد الرحمن الحاج صالح	ـ مدير معهد الدراسات اللغوية والصوتية .
8 ـ السيد صالح نـور	ـ مستشار بوزارة العـدل .
9 ـ السيد زهير ايحدادن	ـ مستشـار بوزارة التعليم العالى .
10 ـ السيد عبد القادر بورزاق	ـ نائب مدير بوزارة الثقافة والاعلام .
11 ـ السيد محمد طالب	ـ سكرتير اول بوزارة الخارجية .
12 ـ السيد فضيل حسن امين	ـ عضو لجنة التنسيق بوزارة الفلاحة .

ب ـ وفد وزارة التعليم الابتدائى والثانوى :

السـادة :

1 ـ محمـد بـن قـادة	ـ مفتش عام للرياضيات .
2 ـ احمـد شومـان	ـ استاذ بمعهد مصطفى خالف .
3 ـ م . الطاهر طالبـى	ـ استاذ بمعهد بوزريعة .
4 ـ مصطفـى حركـات	ـ مفتش عام للرياضيات .
5 ـ عبد القادر يحيـاوى	ـ استاذ بثانوية عائشة .
6 ـ زيـدى التهـامـى	ـ استاذ بثانوية الادريسى .
7 ـ مجيـد جعفـر	ـ استاذ بمعهد بوزريعـة .

وفد وزارة التعليم العالى والبحث العلمى :

السـادة :

1 ـ سعيـد شيبـان	ـ استاذ مبرز فى الطب .
2 ـ محفوظ بن حبيلس	ـ استاذ مبرز فى الطب .
3 ـ اوشـريـف	ـ استاذ مبرز فى الطب .
4 ـ رابـح علـواش	ـ استاذ مبرز فى الطب .
5 ـ حاج سليمـان	ـ دكتور فى العلوم .

6 ــ بــن جيكــو ــ دكتور فى العلوم .
7 ــ بــوجلخــة ــ دكتور فى الرياضيات .
8 ــ شنينــى ــ استــاذ فيــزيــا .
9 ــ طــلاعــى ــ استــاذ علــوم احيــاء .
10 ــ بــونــاقــة ــ استــاذ علــوم احيــاء .
11 ــ صالــح خرفى ــ دكتور فى الآداب .
12 ــ حنفى بن عيسى ــ استــاذ مساعــد .
13 ــ محمد سعيدى ــ استــاذ مساعــد .
14 ــ محمــد الثمينــى ــ مدير المدرسة العليا للتجارة .

جـ ــ وفــد مراكــز البحــث التــابعــة لمختلف الهيئــات الــوطنيــة :

السـادة :

1 ــ مبــارك العيفــة ــ الشركة الوطنية للمناجم .
2 ــ حسيــن السنــوسى ــ الشركة الوطنية للمحروقات .
3 ــ السيد مجدان بوعلام ــ الشركة الوطنية للمحروقات .
4 ــ السيد على قعموش ــ صيدلــى .
5 ــ السيد عبد الرحمن مهرى ــ الشركة الوطنية للكهرباء والغاز .
6 ــ السيد صالح باوية ــ طبيب . م . دويرة
7 ــ السيد احمد بوخميس ــ الشركة الوطنية للمناجم .
8 ــ السيد قالا عمــر ــ مركز البحوث الحيوانية .
9 ــ السيد بلمــوفــق ــ وزارة الفــلاحــة .

4) المملكة العربية السعوديــة :

1 ــ الدكتور احمد الضبيب ــ الأستاذ المساعد بكلية الآداب ورئيس قسم اللغــة العربية بجامعــة الرياض .
2 ــ السيد عبد الملك عبد الله الخيال ــ من جامعة الريــاض .
3 ــ السيد عبدالعزيز حامدابو زنادة ــ من جامعة الريــاض .
4 ــ السيد عبد الله عمر نصيف ــ من جامعة الملك عبد العزيز .
5 ــ السيد يوسف عبد المنان ــ من جامعة الملك عبد العزيز .
6 ــ الاستاذ يوسف قرسخ ــ من كلية البترول والمعادن .
7 ــ الاستاذعبد العزيزمحمدالمنوحى ــ من وزارة المعارف ــ شعبة الابحاث .
8 ــ الاستاذ محمد صالح العميل ــ من وزارة المعارف ــ التعليم الثانوى .
9 ــ الاستاذعبد الرحمنعقيلصالح ــ من وزارة المعارف ــ التعليم الثانوى .

5) جمهورية السودان الديمقراطية :

1 ـ السيد سر الختم خليفة ـ وزير التربية رئيسا .
2 ـ السيد السر العمرابى ـ
اعضـــاء
3 ـ السيد الطاهر احمد العاقب ـ

جامعـــة الخـــرطـــوم :

1 ـ الدكتورفيصلتاج‌الدين‌ابوشامة ـ عميد كلية العلوم ـ رئيسا للوفد .
2 ـ الدكتور محمد عبيد مبارك ـ رئيس قسم النبات ـ عضوا .
3 ـ الدكتور عبد المنعم اسماعيل ـ رئيس قسم الرياضيـــات .

6) الجمهوريـــة العربية السورية :

1 ـ الدكتور وجيه السمان ـ عضو مجمع اللغة العربية .
2 ـ الدكتور شكرى فيصل ـ امين مجمع اللغة العربية .
3 ـ الدكتور عبد الحليم منصور ـ استاذ كرسى بجامعة دمشق .
4 ـ الدكتور فـــؤاد العجل ـ استاذ مساعد فى جامعة دمشق .

7) الجمهوريـــة العـــراقيـــة :

ا ـ وزارة التعليم العالى والبحث العلمى :

1 ـ الدكتور عبدالرسولكمال الدين ـ استاذ قسم الكيمياء بكلية العلوم بجامعة بغداد .
2 ـ الدكتور قيس الوهابى ـ رئيس قسم الرياضيات بكلية العلوم بجامعة بغداد .
3 ـ الدكتور عباس البغدادى ـ استاذ مشارك فى قسم الجيولوجيا بكلية العلوم . بجامعـــة بغــداد .
4 ـ الدكتور محمود سليم صالح ـ استاذ مساعد فى قسم علوم الحياة ـ الحيوان بكلية العلـــوم بجامعـــة بغـــداد .
5 ـ السيد عباس احمد صالح ـ مدرس فى قسم علوم الحيـــاة ـ النبـــات بكليـــة العلوم بجامعة بغداد .
6 ـ السيد ناجى عبد الصاحب ـ مدرس فى قسم الفيزياء بكلية العلوم بجامعد بغداد.
7 ـ الدكتور جميل الملائكة ـ استاذ فى كلية الهندسة بجامعة بغداد .
8 ـ الدكتورعبد الستاريونس‌الدباغ ـ مدرس فى كلية الهندسة بجامعة بغداد .

ب ـ المجمع العلمى العراقى :

1 ـ الدكتور ابراهيم شوكه
2 ـ الدكتور محمود الجليلى

3 ـ الدكتور جميل الملائكة ـ (سبق ذكره فى وفد وزارة التعليم العالى والبحث العلمى) .

جـ ـ جامعة الموصل :

1 ـ الدكتورعبدالستاريونسيالدباع ـ ممثلا لجامعة الموصل وعضو وفد العراق الرسمى (سبق ذكره فى الوفد الرسمى) .

8) دولة الكويت :

1 ـ الدكتور محمد ابراهيم ناصر ـ استاذ بجامعة الكويت .
2 ـ الدكتور فؤاد شاكر السلا ـ استاذ مساعد بجامعة الكويت .
3 ـ الدكتور على الشملان ـ مدرس بجامعة الكويت .
4 ـ الدكتور حسين عليوه ـ رئيس قسم التوثيق بجامعة الكويت .

9) الجمهورية العربية الليبية :

1 ـ الدكتور امين طاهر شقليلة ـ وكيل جامعة طرابلس ـ رئيسا .
2 ـ الدكتور على بن الاشهر ـ عميد كلية العلوم ـ عضوا .
3 ـ السيد على عمار عبد الكريم ـ موجه العلوم بوزارة التعليم والتربية .

10) جمهورية مصر العربية :

ا ـ وزارة التعليم العالى :

1 ـ الدكتور محمود عبد المقصود منصور ـ الاستاذ المساعد بالمعهد الفنى بشبرا فى مجال الكيمياء
2 ـ الدكتوركامل احمد حسن الدهيمى ـ الاستاذ المساعد بتكنولوجيا حلوان فى مجال الفيزياء
3 ـ الدكتور منير جرجس غبريال ـ بمعهد الترول والتعدين فى مجال الجيولوجيا .
4 ـ الدكتور عبد الله عويس ـ الاستاذ المساعد بالمعهد العالى للسكرتارية فى مجال السكرتارية .
5 ـ الدكتور على حسن شاهين ـ الاستاذ المساعد بالمعهد العالى الفنى بشبرا فى مجال النبات .
6 ـ الدكتور محمد احمد عاصم ـ الاستذ المساعد بالمعهد الفنى بشبرا فى مجال الحيوان

ب ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

1 ـ الدكتور محمد احمد سليمان ـ الاستاذ بكلية الطب بجامعة القاهرة . (سبق ذكره فى وفد مجمع اللغة العربية) .

جـ ـ كلية العلوم :

1 ـ الدكتور على المرسى ـ الاستاذ بقسم الحشرات .
2 ـ الدكتور امين رشيد حصدى ـ الاستاذ بقسم علم الحيوان .

3 ـ الدكتور حامد عبدالفتاح جوهر ـ استاذ غير متفرغ بقسم علم الحيوان .

4 ـ الدكتور محمد جمال الدين الفندى ـ استاذ ورئيس مجلس قسم الفلك والارصاد .

5 ـ الدكتور محمد لطفى عبد الخالق جمعة ـ استاذ بقسم الجيولوجيا .

6 ـ الدكتور عطية عبد السلام عاشور ـ استاذ ورئيس قسم الرياضيات .

د ـ جامعة شرق دلتا :

1 ـ الدكتور محمد لبيب النجيحى

هـ ـ جامعة الاسكندرية :

1 ـ الدكتور حسين صادق ـ نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث .

2 ـ الدكتور محمد صالح احمد ـ عميد كلية العلوم .

و ـ اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا :

1 ـ الدكتور سيد رمضان هدارة ـ امين عام الاكاديمية .

11) المملكة المغربية :

1 ـ السيد احمد الاخضر غزال ـ مدير المعهد الوطنى للتعريب .

2 ـ السيد عبد الله الغول ـ مدير التعليم الابتدائى .

12) الجمهورية العربية اليمنية :

1 ـ السيد محمد البريمى ـ مستشار بوزارة التربية .

2 ـ السيد محمد الشرفى ـ سكرتير اول بالسفارة اليمنية فى الجزائر .

13) منظمة التحرير الفلسطينية :

1 ـ الدكتور احسان عباس ـ استاذ اللغة العربية فى الجامعة الامريكية فى بيروت.

2 ـ الدكتور حسن الشريف ـ مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت .

14) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

1 ـ الدكتور ناصر الدين الاسد ـ المدير العام المساعد ـ رئيسا .

2 ـ السيد عبد العزيز بنعبد الله ـ مدير مكتب تنسيق التعريب .

3 ـ الدكتور ممدوح حقى ـ كبير الخبراء بالمكتب .

4 ـ السيد محمد بن زيان ـ نائب مدير المكتب .

5 ـ الدكتور تمام حسان ـ خبير المنظمة .

6 ـ السيد عبد الكريم القباج
7 ـ السيد خالد عيـد
8 ـ السيد فؤاد حمودة — من اعضاء المكتب .
9 ـ السيد محمد افسحى
10 ـ السيد احمد جمعه — الادارى الثالث بالمنظمة .

15) المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس :

1 ـ السيد المهندس كمال أسماعيل ابو اليسر — الاخصائى الاول بالمنظمة .

قائمة بأسماء رؤساء الوفود المشاركة في مؤتمر التعريب الثاني مع أعضاء مكتب المؤتمر ومدير مكتب تنسيق التعريب

الدكتور ناصر الدين الاسد	: المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
الدكتور عبد الكريم خليفة	: رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاردنية.
الدكتور محمد السويسى	: الاستاذ المحاضر بكلية الآداب بالجامعة التونسية والاختصاصى بالرياضيات .
السيد عبد الحميد مهرى	: الامين العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى الجزائرية .
الدكتور عبد المالك عبد الله الخيال	: استاذ مساعد (جيولوجيا) جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية .
الاستاذ الطاهر احمد العاقب	: رئيس قسم الرياضيات بجامعة الخرطوم .
الدكتور وجيه السمان	: عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .
الدكتور موسى الخورى	: رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة دمشق ممثل فلسطين .
الدكتور محمود الجليلى	: عضو المجمع العلمى العراقى .
الدكتور محمد ابراهيم ناصر	: استاذ بجامعة الكويت .
الدكتور امين الطاهر شتليلة	: وكيل جامعة طرابلس ليبيا .
الدكتور حسين صادق	: نائب رئيس جامعة الاسكندرية .
الاستاذ احمد الاخضر غزال	: مدير المعهد الوطنى للتعريب (المغرب) .
الاستاذ محمد سالم عدود	: نائب رئيس المحكمة العليا بموريطانيا .
الاستاذ محمد البريمى	: مستشار فى وزارة التربية بجمهورية اليمن العربية .

اعضاء مكتب المؤتمر

الدكتور جميل الملائكة	: (العراق) نائب رئيس المؤتمر .
الدكتور شكرى فيصل	: (سوريا) مقرر .

عن مكتب تنسيق التعريب

الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله	: مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

منهجية مكتب تنسيق التعريب في وضع مشروعاته المعجمية

الموضوع الذي تلي في مؤتمر التعريب الثاني باسم المكتب

فتح العالم العربي جفنيه للنور الجديد بعد الحرب العالمية الاولى فاذا الدنيا غير الدنيا التي عاشها طوال القرون الوسطى ، واذا الغرب يحلق على جناحين من علم مخبري وتجاريب مادية منحته قوى هائلة في كل ميدان من ميادين الحياة ، واتاحت له فرص الانقضاض على الشعوب الضعيفة ، وكان العرب واحدا منها اعيد الى قفص الاستعمار من جديد وسيطرت عليه اكبر القوى العسكرية المعروفة وارغمته على قبول حضارتها ولغتها وثقافتها ارغاما .

لكن العرب لم يتخاذلوا امام قوى الشر ووجد قادتهم وعقلاؤهم ان طريق الخلاص لا يكون الا بسلوك السبل نفسها التي سلكها الغرب الى القوة فانكبوا على العلم الحديث انكبابا ، وزادهم ايمانهم بالله وبحقهم في الحياة قوة على قوة وما انحسرت الحرب العالمية الثانية حتى كان خريجو الجامعات العربية آلافا مؤلفة يعملون بجد واخلاص في نقل العلوم العصرية الى لغة القرآن نقلا متتابعا يسجلونه في الكتب المدرسية والمؤلفات العلمية والصحف والمجلات والمحاضرات متأثرين بما تعلموه في جامعات الغرب وما تابعوه بعد ذلك من تطور حتى اصبح الاتجاه العلمي من ابرز خصائص هذا العصر في جميع البلاد العربية .

فوضى التعريب :

لكن هذه الخطوات المباركة نحو التخلص من الاستعمار الفكري بعد الخلاص من الاستعمار السياسي والعسكري تعثرت بفوضى التعريب للاسباب التالية :

ا — تفاوت المقدرة اللغوية لدى المعربين تفاوتا بعيدا جدا بحيث ترى الاستاذ القادم من الغرب ممتلئا علما ومعرفة وهو يجهل اللغة العربية احيانا لانه صرف كل وقته للعلم لا للغة ، وترى الى جانبه الاستاذ القدير باللغة العربية وهو يجهل العلم الحديث بينما المصطلحات تتوالى على ساحة الفكر العلمي بواقع نحو خمسين مصطلحا جديدا في كل يوم ، وكلا هذين الطرفين كان يعمل وحده ، ونادرا جدا منهم من جمع بين المعرفتين العلمية واللغوية .

ب — اختلاف المؤثر اللغوي الاجنبي في البلاد العربية انتج اختلافا في المفاهيم والنقل والترجمة والتعبير وقد

كان الاختلاف محصورا فيما يترجم عن اللغتين الفرنسية والانجليزية لوقوع اكثر البلاد العربية تحت استعمار هاتين الدولتين اذ سيطرت اللغة الانكليزية على المشرق ما عدا سوريا ولبنان وسيطرت اللغة الفرنسية على الشمال الافريقى ما عدا ليبيا ، وزاد هذا التفاوت تباعدا بعد الحرب العالمية الثانية بمن تأثر باللغة الروسية وسواها .

ج ــ اختلاف المناهج فى التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات ، فبعضها يترجم معنى المصطلح ترجمة يرجع فى اختيارها الى المعاجم اللغوية العربية او الى الوضع والتوليد وبعضها يعرب المصطلح الأجنبى تعريبا اى يبقيه على ما نطق به فى اصل لغته مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرفى مقبول فى حدود الامكان .

د ــ تدفق المقالات الصحفية العلمية والشبيهة بالعلمية وفيها كثير من المصطلحات المستحدثة ارتجلها الصحفيون بعامل السرعة ارتجالا فوفق بعضهم واخفق بعضهم الآخر وقد يظهر للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة فى بلدين مختلفين بل فى صحيفتين من البلد نفسه والجماهير تقرأ لهذا وتقرأ لذاك فتتأثر فئة بهذا وفئة بذاك وتزداد الشقة اتساعا مع الايام وتنمو الاجيال متصاعدة فى هذا الجو الفوضوى ولا تعرف كيف تتفق.

هـ ــ وآخر ما يضاف الى ذلك فوضى التأليف المدرسى ، حين يصوغ كل مدرس او استاذ للمصطلح مرادفا عربيا يتساوق وقدرته اللغوية او معرفته العلمية فتظهر فى البلد الواحد كتب متخالفة المصطلحات فى مؤلفات من موضوع واحد ولم تستطع الحكومات العربية السيطرة على هذه الفوضى الا فى وقت متأخر جدا وضمن حد معين .

منهجية مكتب التعريب :

دعت هذه الحال مفكرى العرب الى مدارسة الموضوع لايجاد حل سريع له وانعقد فى الرباط مؤتمر للتعريب الاول (ابريل 1961) انتهى بعد المناقشات والبحث الى تأسيس « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى » فما هو مفهوم التنسيق وما المنهج الذى اتبعه المكتب فى هذا التنسيق ؟.

جاء فى المادة التاسعة من القانون الاساسى للمكتب ما يلى :

(ــ تلقى ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والعلماء والمترجمين ، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته ، لاستخراج ما يتصل منه بأغراض التعريب ، وعرضه على مؤتمرات التعريب) .

وجاء فى النظام الداخلى الذى صدر عن المجلس التنفيذى فى جلسته الثامنة (يناير 1972) المادة الرابعة ما يلى :

(يقوم المكتب بتنسيق الجهود التى تبذل للتوسع فى استعمال اللغة العربية فى التدريس بجميع مراحل التعليم وانواعه ومواده ، وفى الاجهزة الثقافية ووسائل الاعلام المختلفة ، وتنسيق الجهود التى تبذل لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمى والحضارى فى الوطن العربى بكل الوسائل الممكنة ، والاعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب) .

فتطبيقا لهاتين المادتين يسلك المكتب المنهج التالى :

ا ــ يجمع المتداول للمصطلح الواحد فى البلاد العربية عن طريق شتى ، منها :

1 ــ جرد ما يرد عليه من المجامع اللغوية والهيئات المختصة كلجان التعريب والمنظمات العربية كمنظمة المقاييس والموازين والاتحادات العلمية كالاتحاد البريدى ، وتسجيل ذلك فى جزازات مرتبة ترتيبا هجائيا.

2 ــ جرد الكتب العلمية مدرسية وغير مدرسية مما يؤلفه الاختصاصيون ، ويعتمد فى غالب ذلك على الكشوف المعجمية الواردة فى آخر كل كتاب .

3 ــ جرد الكتب العلمية القديمة ككتاب القانون لابن سينا .

4 ــ جرد المعاجم اللغوية القديمة كلسان العرب لابن منظور والقاموس للفيروز آبذى ، وقد تجمع لدينا مئات الالوف من جزازات مرتبة على الحروف الهجائية وكلها ثلاثية اللغات (عربى ــ فرنسى ــ انكليزى) .

ب ــ استقراء المفاهيم العلمية ومتابعة المستحدث المستجد منها بواسطة خبرائنا فى المكتب وفى خارجه من عرب ومستشرقين ومن علماء متخصصين ، وبمتابعة المعاجم الاجنبية المعتمدة والموسوعات المختصرة والمفصلة والنشرات العلمية عن هيات معترف بقيمتها ووزنها .

كيف نضع مشروعات المعاجم :

ونحب ان نسجل هنا قبل البدء بالحديث ان معاجمنا ليست سوى مشروعات معاجم لن تصبح نهائية الا اذا اعتمدتها مؤتمرات التعريب ، التى سنتحدث عنها بعد ذلك ، وتتجمع هذه المشروعات من طرق شتى اهمها ما يلى :

1 ــ قد نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئات علمية او دول عربية تصل الينا بطريق الجامعة العربية اذ كنا مرتبطين بها ، او بطريق المنظمة اذ الحقنا بها بعد ذلك ويطلب منا درسها وبيان الرأى فيها كمشروعات المعاجم الستة التى يبحثها مؤتمر التعريب الثانى .

2 ــ نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئات او منظمات او اتحادات عن غير طريق الجامعة او المنظمة.

3 ــ نتلقى مشروعات معاجم وضعها افراد علميون: اساتذة فى الجامعات او متخصصون فى هيئات او اتحادات او شركات كبرى .

4 ــ نتلقى طلبا من دولة عربية او منظمة او هيئة علمية او اتحاد بضرورة وضع معجم فى مادة ما لوحظت الحاجة الماسة اليه .

ولكل طريق من هذه الطرق اسلوب خاص فى خدمة المعجم المطلوب ولكن يمكن تلخيصها فيما يلى :

1 ــ غالبا ما نتلقى مشروع المعجم بلغة اجنبية واحدة مع العربية كالانكليزية او الفرنسية فنضيف اليه اللغة الثانية الناقصة ليصبح ثلاثى اللغات والهدف من هذا تقريب صورة المفهوم العلمى لدى من يجهل احدى اللغتين الاجنبيتين وذلك بالمقارنة بينهما ثم بترجمة المصطلح او تعريبه او توليد مقابل له اقتباسا مما هو شائع فى البلاد العربية . وقد يكون اجتماع المصطلحين الاجنبيين عاملا للزيادة فى الدقة عند اقتراح المصطلح العربى الموضوع او المعرب .

2 ــ نعرض المعجم بعد ذلك على شبيهه باللغات الاجنبية ونملأ ما فيه من فراغات وفجوات مما تجمع لدينا من جزازات او مستعينين بخبراء جامعيين عرب او مستشرقين ونلحقه بها ، وقد يبلغ الملحق احيانا ضعف الاصل او اكثر ونظل ملاحقين لعملية الاستقراء حتى بعد انعقاد المؤتمرات .

3 ــ وقد نكلف خبراءنا بتجميع مشروع معجم رأت الدول العربية او الهيئات العلمية او الاتحادات ضرورة وضعه بسرعة .

4 ــ واذا اتخذنا المعاجم الستة المعروضة على مؤتمر التعريب الثانى كمثال فاننا نكون قد عزونا المصطلح العربى الى مصدره كالمجمع اللغوى او الجامعة او استاذ متخصص مشهور او كتاب مدرسى مقرر لنسهل على المؤتمر تقييم المصطلح مع الاحتفاظ فى الطليعة بالمصطلح المتفق عليه فيما بين الدول العربية ، ونشير عند الحاجة الى مصدر المصطلح بوضع رمز اصطلاحى بين قوسين، وعدم وجود هذه الاشاره يدل على شيوع المصطلح فى الوطن العربى .

وقد يظهر ان كثرة المواد فى المشروعات المعجمية المدرسية تفوق المستوى بالنسبة للبرامج العربية وسبب ذلك هو اننا لم نكتف بجرد الكتب العربية بل عدنا الى الكتب المقررة فى اوربا لجردها حرصا منا على رفع مستوانا التعليمى .

وبهذا يلاحظ ان المكتب لا يضع المقابلات العربية للمصطلح العلمى الاجنبى من تلقاء نفسه فلا يترجم ولا يعرب ولا يولد نحتا او اشتقاقا بل يقوم بعملية ترصيص المصطلحات المتداولة فى العالم العربى بعضها الى جانب بعض مع مراقبة المفهوم العلمى او الحضارى وتساوقه فيما بين اللغات الثلاث ، ويترك للمؤتمر حق الانتقاء او الحذف او الوضع وبذلك يسهل مكتب التعريب على المؤتمر عمله ويضع امامه المائدة جاهزة من غير متاعب .

وحين يتم مشروع اى معجم من المعاجم التى يعدها المكتب يبعث به الى المجامع والهيئات العلمية

والجامعات والاساتذة المتخصصين لاخذ رايهم فيه ويتقبل النقد والتصويب والترجيح ويعده من جديد اعدادا خاصا لمؤتمر التعريب المقبل .

ما هي مؤتمرات التعريب :

اتفقت الدول العربية على عقد المؤتمر الاول في الرباط عام 1961 وحضره مندوبون عنها وعن جامعة الدول العربية لدارسة مشاكل التعريب ، وانتهى الى قرارات بتأسيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي وباقامة مؤتمرات دورية واناط بمكتب التعريب مهمة اعداد مشروعات المعاجم وتنسيقها لعرضها على هذه المؤتمرات . لكن هذا القرار لم ينفذ تنفيذا كاملا لاسباب كثيرة اهمها تأخر الحاق المكتب بالجامعة العربية حتى عام 1968 ثم بانتقاله ليلحق بالمنظمة عام 1970 ولم يوضع له نظامه الداخلي الا اوائل عام 1973 ، وكان مكتب التعريب قد استغرق هذه المدة لوضع نحو اربعين مشروع معجم ضمن تصميم واضح .

وقد اتخذت المنظمة المبادرة ودعت الدول العربية الى عقد هذا المؤتمر الثاني الذي تفضلت الجمهورية الجزائرية باستضافته ، وقام وفد عن المكتب بجولة في الدول العربية لشرح فكرة المؤتمر والاعداد له ودعوة الحكومات والهيئات الى ايفاد علماء متخصصين بالعلوم الستة التي ستعرض في المؤتمر لتكون مدارسة المعاجم اكثر جدوى واوجز للوقت واتم للبحث لان انتداب غير المتخصصين مضيعة للوقت وتوهين للبحث العلمي المعجمي واستجابت الدول العربية لهذه الرغبة الوجيهة ، فبعثنا اليها بمشروعات المعاجم مع ملاحقها ثم بطبعة جديدة موحدة تركنا فيها الى جانب المصطلح المعروض جداول فارغة لتملأ بمقترحات العلماء والمختصين تصويبا او نقدا او توجيها وحين يتجمع لدى المكتب ما تبعثه هذه الدول يعده اعدادا جديدا لعرضه على المؤتمر فيه المتفق عليه والمختلف فيه . اما ما اتفق عليه فلا يعرض للمناقشة واما ما اختلف فيه فهو موضوع النقاش والدرس .

وقد وضعنا جداول لهذا الاخير هي التي توزع على اللجان المختصة لدارستها والامل كبير في ان تعقب هذا المؤتمر مؤتمرات اخرى دورية تخدم توحيد المصطلح العلمي وتخلص البلاد العربية من اللهجات العلمية ، المتولدة مع العصر توحيدا للفكر العربي في مسيرته العلمية . وقد وضع المكتب تخطيطا عشريا لمشروعات معاجم جديدة اعدادا لمؤتمرات عروبية قادمة سنعرضه على الدول العربية بعد موافقة اللجنة الاستشارية والمجلس التنفيذي عليه قريبا ان شاء الله .

تلك هي منهجية المكتب في وضع مشروعاته، وهو يرجو ان يكون قد وفق في خطته ، وهو على استعداد لتقبل النقد والمطارحة فيه ما دام رائدنا جميعا الخير العام ولنا الامل في ان يتخذ المؤتمر بعد ذلك قرارا او توصية باستخدام هذه المصطلحات التي نسقها المكتب ووافق عليها المؤتمرون في جميع المنجزات العلمية بهدف توحيد العمل العلمي في كل البلاد العربية .

وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب

المبادىء والاتجاهات والتوصيات

أولا : المبادىء

إن المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) 1973 ، قد صدر في عمله الذي نهض به خلال أيام انعقاده عن المبادىء التالية التي تؤلف حصيلة التجربة اللغوية العربية المعاصرة والتي تؤكدها التجارب اللغوية المختلفة في العالم :

1) اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها . وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها .

2) ان تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها . ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها ، ثم مشاركتها فيها ، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك .

3) إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة ، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها ، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها .

4) إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي — على درجات متفاوتة — من مباعدة بينها وبين أصحابها ، ومن تشكيك فيها ، وعزل لها عن الحياة والمجتمع . والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت ، على نحو لا يقبل الشك ، ان دؤوب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعملية . والدراسات العلمية والإنسانية — كفيل بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطورة .

5) ان اللغة العربية قادرة — بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الإنسانية — على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريسا وتأليفا وبحثا .

6) إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه .

من هذه المباديء التي انطلق منها المؤتمر انتهى إلى تقرير الاتجاهات التالية :

ثانيا : الاتجاهات

إن المؤتمر ينعقد في ظل غاية رئيسية هي : توحيد المصطلح العلمي .

1) والأعضاء الذين يشاركون فيه من البلاد العربية يصدرون عن ايمانهم بملاحقة التطور العلمي ومصاحبته. ولكنهم يلاحظون أن نقل المصطلح العلمي أو وضعه أوالأخذ به تفاوت بين قطر وآخر تفاوتا أضحى يحتم عليهم توحيد هذا المصطلح تمهيدا للغة علمية مشتركة .

وهم يدركون أن أسباب هذا التفاوت تعود إلى فقدان العمل المنظم في هذه السبيل فقد أسهمت فيه مجامع وجامعات ، وهيئات وأفراد ، وكان أكثر النقل فيه عن اللغتين الفرنسية والانجليزية ، واتخذت في اصطناعه أساليب مختلفة من الوضع والترجمة والنحت والتعريب . ولذلك فإن توحيد هذا المصطلح يرتبط بسلسلتين من العوامل : عوامل تتصل باللغة العربية والتعليم العربي والطباعة العربية ، وعوامل أخرى تتصل بالظروف الاجتماعية والسياسية . ولا بد لذلك من أن يتخذ العمل في المصطلحات وجهة تتخلص في دراسة هاتين السلسلتين دراسة عملية ، واصطفاء ما يؤدي إلى الالتقاء والتوحيد ، والابتعاد عما يقود إلى التفرق والتشتيت .

2) إن اختيار المصطلحات العلمية في هذا المؤتمر لمقابلة المصطلحات العلمية الأجنبية لا يؤلف غاية في ذاته بقدر ما يكون سبيلا إلى غايات أخرى هي تطبيق هذه المصطلحات واستعمالها في كل مجالات الأداء والابلاغ : في المدارس والأندية ، وفي وسائل الإعلام وفي الدوائر والمكاتب ، وذلك في عمل مشترك عام يعايش المجتمع في كل طبقاته وفئاته وفي كل مراحله التعليمية ، حتى يتم التفاعل بين اللغة والمجتمع على نحو يقود التطور الفكري والتطور اللغوي في خطين متكاملين ، يقطع الطريق على التفاوت أو التناقض الذي نشهده أحيانا بين الحياة واللغة وتطبيقاتهما المختلفة .

3) ان اختيار المصطلح العلمي في نطاق التعليم العام في المؤتمر الثاني للتعريب لا يعني أن المؤتمر يريد أن يقف باللغة العلمية عند حدود التعليم الثانوي . ولكنه يعتبر أن عمله هذا تمهيد للخطوة التي يجب أن تلي بعد ذلك ، أي نحو المصطلح العلمي في التعليم الجامعي . ذلك لأن تدريس العلوم بالعربية في المرحلة الثانوية وحدها نوع من العمل الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة... ولهذا فإن المؤتمر يأخذ بالاتجاه إلى تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم العالي كله في الجامعات والمعاهد ، ويؤكد أن هذه البيئات العالية تشكل ميدانا بالغ الأهمية يجب أن تتجلى فيه إرادة الأمة العربية في صيانة لغتها وإعطائها الفرص الحقيقية والمنتجة للتعبير عن المفاهيم الفكرية للعصر ومنجزاته التطبيقية والتقنية ، ويرى المؤتمر في التجربة التي قدمتها بعض الاقطار العربية والتي أعطت أطيب ثمارها تأكيدا لسلامة هذا الاتجاه ولضرورة الأخذ به .

4) إن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر في هذه المصطلحات التي تدارسها ، مقدمة لاستخدامها في التعليم والتأليف ووضعها موضع التجربة والممارسة . غير أن اختيار المصطلح لا يعني تجميده ، فالمصطلحات العلمية بطبيعتها عمل مستمر متصل .

التوصيات

وتطبيقا لهذه الاتجاهات انتهى المؤتمر إلى جملة التوصيات التالية :

في المنهج

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات المصطلحات في المستقبل على أن تتناول هذه المنهجية مراحل العمل كلها في **الاعداد والدراسة والاقرار**

1) **في الاعداد** : لا بد من عمل أولي منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع المصطلحات الجديدة.

أ) في استقصاء المصطلحات والتعابير القديمة :

مظان هذه المصطلحات : الكتب المتخصصة والمعاجم ، ولكن لا بد من تجاوزها بعد ذلك إلى الكتب الأخرى التي قد تستعمل هذه المصطلحات ، من مثل : كتب الأدب العامة والمحاضرات والمجاميع ، وكتب الفقه والفتاوى والنوازل . ولا بد كذلك من ترتيب هذه المظان ترتيبا تاريخيا ، ومسحها ، وجرد ما فيها ، وتقديمه على أنه جزء من الإرث العربي في الأقطار العربية كلها ، الحاضرة والبادية .

ومثل هذا العمل يعين على احياء المصطلحات العلمية المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وتدقيق مدلولاتها وربطها بالتعبير العلمي العربي والعالمي المعاصر . وكذلك يمكن أن يكون تمهيدا للمعجم التاريخي اللغوي الذي نتطلع إليه ونأمل تحقيقه .

ب) في جمع المصطلحات الحديثة :

وهي المصطلحات التي أقرتها المجامع أو استعملتها الجامعات ، أو تواضعت عليها الهيئات أو أخذت بها المعاجم الجديدة أو نشرها بعض العلماء .

ج) استخدام وسائل التقنية وعلوم اللسانيات الحديثة للمساعدة على إنجاز هذا العمل ، والاسراع في تحقيقه .

2) وفي الدراسة :

أ) لا بد من اللجوء إلى نظام المراحل المتدرجة فتتقدم مرحلة الجمع والاستقراء والاستقصاء على أية مرحلة . ثم تأتي مرحلة اللجان المتخصصة والندوات للتمحيص والتصفية قبل مرحلة المؤتمر العام ولجانه للمصادقة . وتأتي مرحلة العمل في المستوى المحلي القطري قبل مرحلة العمل في المستوى العربي القومي .

ب) وفي الدراسة كذلك وفي الاتجاه نحو الاقرار لا بد من التواضع على طائفة من مبادىء التعريب وطرقه والأخذ بالأساليب المعتمدة فيه ، ضمانا لمحصول مشترك يحفظ الجهد من التبدد ويقطع الطريق على الاختلاف .

وفي ذلك يوصي المؤتمر اتحاد المجامع أن يقوم بجمع قرارات لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية بدمشق وما أقره المجمع العلمي العراقي ببغداد وغير ذلك من جهود الهيئات والعلماء ، ويتولى دراسة ذلك كله والتنسيق بينه وتوحيده وإصداره ليكون دليل عمل بين أيدي العاملين في التعريب والمهتمين به من العلماء والباحثين وأعضاء اللجان المحلية والقومية التي تدرس مشروعات المصطلحات .

3) وفي إقرار المصطلحات لا بد من استلهام هذه الأصول والقواعد والتقيد بها لتتوافر للمصطلحات : السلامة في اللغة ، والسهولة في الأداء ، والوضوح في الفكر ، والدقة في التعبير .

في الالتـــزام

يرى المؤتمر أن قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية في التنفيذ قدرما نالت من عناية في الاعداد والدراسة والاقرار ، وإنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل النظري حولها إلى ما لا نهاية له ، وانه لا بد من أن يخرج هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العملية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه .

ولذلك فإن أعضاء المؤتمر يذهبون إلى وجوب الأخذ بمبدأ الالتزام بهذه المصطلحات يلتزمونها هم في مدارسهم وجامعاتهم وبحوثهم ومعاجمهم ويدعون إليها حتى حين يكون تدريسهم باللغة الأجنبية ، ثم يهيبون بالسلطات المختصة أن تلتزم بها ، ما كان ذلك ممكنا ، في المدارس والإدارات والمؤسسات ووسائل الإعلام والشركات حتى تكون جزءا حيا في الحياة العلمية والعملية والإدارية ، وحتى يتحقق لها أكبر قدر من الشيوع والاستقرار .

والمؤتمر حين يؤكد هذا المبدأ يؤمن بأنه لا بد من إتاحة الفرصة أمام الأقطار العربية — حسب قدرة كل قطر وظروفه — للأخذ بذلك ، آملا أن يكون الجهد في الأخذ بهذا المبدأ أقوى من الصعوبة وأن يكون

التعارض بين الرغبة والامكان أدنى إلى غلبة الرغبة علــى عوائــق الإمكــان .

وهذا الالتزام يقود إلى الأخذ بالتوصية التالية :

طبع هذه المصطلحات في معجم ، ونشر هذا المعجم وتزويد الجهات المختصة في البلاد العربية بنسخ منه لوضعه موضع التجربة في مدارسها ومؤسساتها . ثم تجميع الملاحظات حوله تمهيدا لمعاودة طبعه معدلا منقحـــــا .

في التأليـــف والبحـــث والترجمـــة

1) يوصي المؤتمر وزارات التربية في البلاد العربية أن تستعمل المصطلحات العلمية المقررة وذلك في كتبها الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام .

2) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم أن تقدم الخبراء والمعونات الفنية اللازمة لتأليف كتب مدرسية للمواد العلمية في مراحل التعليم العام تستعمل فيها هذه المصطلحات العلمية المقررة وذلك للدول العربية التي تطلب ذلك .

3) يوصي المؤتمر بأن تخصص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارات التربية في البلاد العربية جوائز تشجيعية لمؤلف أحسن الكتب في مختلف العلوم وفي مختلف سنوات التعليم العام .

4) يوصي المؤتمر أن تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية تأليف كتب في المواد العلمية المختلفة تستخدم فيهـا المصطلحات المقررة وذلك للسنتين الأوليين من الدراسة الجامعية تيسيرا على الدول العربية التي لا تستطيع في هذه المرحلة النهوض بهذا العمل .

5) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم بالعمل على إصدار نشرات ومجلات باللغة العربية في مختلف العلوم تستعمل فيهـا المصطلحـات المقررة وتحتوي على البحـوث الأصليـة والتطبيقيـــة والمترجمات ، إضافة إلى بحوث مراجعة المصادر ، والمستخلصات والخلاصات المهمة .

في المجامـــع والجامعـات

1) يوصي المؤتمر بأن تقدم الحكومات العربيـــة للمجامع واتحادها ، وكذلك للجان التعريب كل عون لتتابع عملها المهم حرصا على المشاركة الكاملة بين الأقطار العربية في موضوع المصطلحات : دراســة وإقـــرارا واستعمـــالا .

2) يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل وسائـل التعـاون بين الكليات العلميـة بالطـرق المناسبة ، مثل تناوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية .

3) يوصي المؤتمـر اتحـاد الجامعـات العربيـة ، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية ، بالمبادرة إلى استعمال العربية في إلقاء الدروس والمحاضـــرات .

كما يوصي أن يكون التدريس في الكليات النظرية باللغة العربية . ويؤكد أن تكون العربية السليمة — بعيدا عن اللهجات العامية — هي الأصل في ذلك .

4) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم واتحاد الجامعات العربية بالعمل على إعداد معلمين لتدريس المواد العلمية باللغة العربية في مراحل التعليم العام وعقد دورات تدريبية لهم ، تحقيقا لأفضل المستويات في تعريب التعليم العلمي .

في الأرقـام والرمــوز والسوابـــق واللواحـــق

يوصي المؤتمر بمتابعة دراسة الموضوعات التالية :

1) استعمال الأرقام العربية (1 — 2 — 3 — ...) .

2) استعمال الرموز المتفق عليها عالميـا في مراحـل التعليم العالي وكتابة المعادلات العلمية والرياضية بهذه الرموز ، مع الابقاء على الرموز المستعملة مبدئيا .

3) كتابة صور بعض الأصوات الأجنبية غير الواردة في اللغـة العربيـــة .

4) ظاهرة السوابق واللواحق في المصطلح العلمي في اللغة العربية واللغات الأجنبية .

قـــرار الشكـــر

يقدم المؤتمر للسيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ولأعضاء الحكومة ولرجال وزارة التربية والتعليم وللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر أصدق الشكر وأعمق التقدير لما كان من اهتمام الجزائر بالمؤتمر ، بداية واعدادا واستضافة ، ويرى في ذلك مظهرا من مظاهر استمرار الحكومة الجزائرية في متابعة ثورتها الثقـافيـة الأصليـة .

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب على الجهد المبذول في الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه وإعداد وثائقه ومشروعات معاجمه . ويرى في هذا العمل تمهيدا نيّرا للافاق الواسعة الّتي ترودها حركة تعريب التعليـــم .

توصية خاصة

ان المؤتمر الثانى للتعريب الذى ينعقد فى الجزائر بين 12 ــ 20 من ديسمبر « كانون الاول » سنة 1973 .

اذ ينطلق من الايمان بأن اللغة مقوم رئيسى من مقومات وجود الامة واستمرارها ، وان تأصيل اللغة لا يقتصر على الاخذ بها فى مرحلة دون مرحلة او فى نوع من انواع العلوم دون نوع .

وان اللغة العربية قادرة على ان تكون لغة العلم الحديث كما كانت من قبل ، وحرصا منه على نجاح مهمته التى ترى ان المصطلح العلمى العربى الموحد اول الطريق الى اشاعة المعرفة العلمية فى المجتمع العربى .

وان المعرفة العلمية هى الطريق الى مواكبة العصر .

وان مواكبة العصر هى طريق الحياة الفعالة والمنتجة

فانه يرجو الحكومات العربية جميعا ان تباشر بتطبيق برنامج مرحلى مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية فى مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدا من العام الدارسى المقبل 74 ــ 1975 .

ويرى فى ذلك خطوة اساسية لا بد منها لتحقيق الوجود العربى المشترك الذى يسعى لكسب المعركة فى ساحاتها كلها فى المرحلة الحاضرة والمراحل المقبلة.

وهو يهيب بالملوك والرؤساء ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق ، ويضع امكاناته كلها فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفى المجامع والجامعات وفى اتحاديهما رهن المعاونة على استكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية .

ان المؤتمر ــ اذ يناشد الملوك والرؤساء العمل على ذلك تحقيقا لتساوق خطى الشعب العربى فى مختلف اقطاره . وتاكيدا لاستثمار التاريخ وتوجيها نحو المستقبل وانسجاما مع اعتبار اللغة العربية فى المؤسسات الدولية احدى اللغات الست الرسمية ــ يثق انه يضع هذه الامانة الغالية فى موضعها الامين .

قرارات وتوصيات

للمؤتمر العلمي العربي السابع

اعلن الاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر رئيس الاتحاد العلمى العربى ورئيس المؤتمر فى الجلســة الختاميــة المنعقدة بالمركز القومى للبحوث ظهر الاربعاء 26 سبتمبر سنة 1973 القرارات والتوصيات الآتية :

1 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية باستثمــار جانب من ارصدتها المودعة فى المصارف الاجنبية لنشر العلم والتعليم وتمويل البحث العلمى فى ارجاء الوطن العربى ، فهو استثمار اكيد النفع والعائد ، قوة ومنفعة للبلاد العربية جميعا ، وانه لوسيلة اكيدة لاسترداد الحقوق المغتصبة .

2 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتخصيص نسبة لا تقل عن 5 % من دخلها القومى لاغراض البحث العلمــى .

3 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتهيئة اسباب استقرار العلماء العرب فى الوطن العربى ، وقفا لتيار هجرتهم الى الخارج .

4 — يوصى المؤتمر جامعة الدول العربية والهيئات العلمية بالعمل على دعم الاتحاد العلمى حتى يستطيع ان يؤدى رسالته على اكمل وجه . واصدار دوريــة علميــة عربيــة .

5 — يوصى المؤتمر الهيئات العلمية فى الدول العربية، التى ليس بها شعب قطرية للاتحاد العلمى العربى ، المبادرة بتكوين هذه الشعب .

6 — يوصى المؤتمر الاتحاد العلمى العربى بالعمل على تشكيل لجان دائمة لدراسة موارد الثروة الطبيعية فى العالم العربى ووسائل استغلالها واستنباطها ، وكذلك لحماية البيئــة من التلوث .

7 — يوصى المؤتمر الهيئات العلمية المعنية بالعمل على اصدار المعجم العلمى العربى الموحد تمهيدا لتعميم تعريب العلم واتخاذ العربية لغة للعلم .

8 — يقرر المؤتمر العلمى العربى فى بغــداد سنــة 1975 وذلك بناء على اقتراح الوفد العراقى فى هــذا المــؤتمــر .

إستخدام اللغة العربية في التعليم العالى

الدكتور جميل الملائكة
- بغداد -

انها لحالة غريبة وشاذة حقا ان لا يتسنى لابناء بلاد ذات حضارة وعزة وسيادة التعلم وطلب العلم الا بلسان اجنبى لا يمت الى لغة اهل البلاد وتراثهم بصلة من قريب او بعيد . والحقيقة انه لم يكن بيد الاستعمار اداة اطوع فى تفتيت وحدة الثقافة العربية وتفريق كلمة العرب من العمل على طمس لغتهم القومية باتباع الوسائل المختلفة من ابراز العاميات المحلية ، ومن القول بفضل الحروف اللاتينية على الحروف العربية ، الى المناداة بعدم صلاح العربية للعلم والتعليم وبذل الجهود المتصلة لاتخاذ اللغات الاجنبية عوضا عنها ، بل حتى احلال تلك اللغات محل العربية فى الحديث والتسامر فى بعض الاوساط . وليس خافيا ان العربية كانت وما زالت وستبقى من اقوى الروابط التى تجمع بين افراد وشعوب امتنا العظيمة ، وان اضعافها والقضاء عليها معناه القضاء على اقوى مقومات وحدتنا القومية ومستلزماتها ، ومن هنا فان الدول الطامعة بخيرات بلادنا لا تريد للغتنا اى تقدم او ازدهار .

لقد مر على هذه البلاد زمن كانت تعانى فيه من قيود الاستعمار والتبعية ، فكان من مظاهر تلك العهود ان جعلوا اللغة التركية لغة البلاد الرسمية فى ظل الحكم العثمانى فاستعملت فى التعليم والقضاء بل فرضت حتى فى تدريس قواعد اللغة العربية ، وان فرضوا لغة التعليم الفرنسية فى ظل الاستعمار الفرنسى ، وان علموا باللغة الانجليزية تحت نير التسلط الانجليزى ، وهكذا فرضت لغة المستعمر فى البلاد الواقعة تحت سيطرته ، اليوم، وقد ذهبت عهود السيطرة الاجنبية ، فلم يعد ثمة موجب لان نبقى عبيدا للغات الغرب . فان الالمانى مثلا

الجبر والمخزن ودار الصناعة فقالوا Algebra و Magazine و Arsenal ولم يجد اسلافنا ضيرا فى تعريب Music و Geography بموسيقى وجغرافية . فان استعصى كل ذلك فيمكن استعمال المصطلح الاجنبى بلفظه ، ويبقى تقديم المتون والشروح بالعربية ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . هذا علما بأن الكثير من اسماء الجواهر ، كلفظة الاوكسجين، اصبحت عالية ، ويمكن استعمالها كما هى ، ولا لزوم لوضع مصطلحات تقابلها . ومثل ذلك يقال فى بعض اسماء الوحدات القياسية ، كالطن والمتر ، وبعض الاسماء المتعارف عليها عالميا كالرادار والالكترون . وفى جميع الاحوال يمكن ادراج المصطلح الاجنبى بازاء العربى اذا اقتضت الضرورة ذلك .

المعجم الفنى

ولا بد فى هذا المجال من الاشارة الى ان المتوفر الآن من المصطلحات العربية فى العلوم الحديثة يزيد على المائة الف مصطلح ، موزعة فى القواميس والمعجمات الفنية العامة ، والمعجمات والنشرات والمجلات والكتب الاختصاصية ، مما اسهمت فيه المجامع اللغوية ، والاتحادات والجمعيات العلمية ، واللجان الفنية مدنية وعسكرية ، والجهود الفردية من العلماء والمتخصصين . وتؤلف هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات صقل مفرداته ، وتنقيحها ، وانتقاء خيارها ، والزيادة عليها .

الرموز والارقام والمعادلات

وثمة الرموز والارقام والمعادلات فلا لزوم للاغلاء والتزمت بترجمتها الى العربية هى ايضا ، فكل هذه اصبحت صورها شبه عالمية ومن المستحسن الابقاء عليها كما هى . فان الكثرة الكاثرة من الرموز فى اى علم من العلوم لا تكاد تختلف فى الانجليزية عنها فى الالمانية والفرنسية مثلا . ولعدم كفاية الحروف فى هذه اللغات فقد اصبح للحروف اليونانية ايضا ، بصورتيها الصغيرة والكبيرة ، دلائل معروفة ، فيرمز كل منها الى شىء معين فى فروع العلوم ، كل على حدته . وهى متفق عليها فى الاوساط العلمية العالمية ، فلا يحسن ايضا احلال حروف عربية محلها ، وفى ذلك ضرر ومدعاة للالتباس . ومثل ذلك يقال فى الارقام المدعوة بالارقام العربية Arabic Numerals والمستعملة فى كل اوربا وفى اقطار المغرب العربى ، وهى اصل صور الارقام العربية ، فهذه من السهل جدا اشاعة استعمالها ، وهى لا تتعدى تسع صور للارقام من 1 الى 9 ، وبذلك نوفر على المشتغلين بالعلوم اعادة تحضير الكثير من الجداول مما لا لزوم له ، ونيسر المتابعة العلمية . وبالابقاء على الرموز والارقام نستغنى عن ترجمة المعادلات التى كثيرا ما ادت ترجمتها الى البلبلة الذهنية لدى المشتغلين بالعلوم .

التأليف والترجمة

ويستلزم التعريب اتخاذ الخطوات المناسبة لتأليف المقررات الدراسية وكتب المراجع ، وترجمة الروائع العالمية . وهنا لا بد من التأكيد على وجوب اختيار المؤلفين والمترجمين من بين صفوة العلماء ، لان التأليف الركيك والترجمة الضعيفة غير الواضحة قد يؤديان الى الكثير من الضرر . ويقتضى الامر تقديم التعويضات والمكافآت المجزية للعاملين فى هذين الحقلين وتفريغ الاساتذة المختصين لهما ، واحتساب جهودهم لاغراض الارتقاء فى سلم المراتب الجامعية . ويلزم فى جميع الاحوال ان يوضع فى آخر الكتاب قوائم بالرموز والمصطلحات المستعملة فيه ، سواء اكان مؤلفا أم مترجما ، وكذلك قائمة بالمراجع والمصادر الاجنبية والعربية ، ليتمكن القارىء من الرجوع اليها للمتابعة العلمية فى موضوعه .

ومن الضرورى تنسيق عمل الترجمة فى الاقطار الشقيقة ، فتسمى سنويا فى كل بلد عربى الكتب المراد ترجمتها ، والعلماء المكلفون بذلك ، وتجهز البلاد الاخرى بهذه الاسماء . وينظم العمل تجنبا للتكرار .

تهذيب مناهج العربية

وكذلك يلزم الارتفاع بمستوى تدريس العربية فى المراحل الباكرة من الدراسة بحيث يكمل الطالب الثانوية وهو على الاقل يحسن تحرير عريضة او رسالة ، او تلاوة بضعة اسطر فى صحيفة او كتاب. ويستلزم هذا تهذيب مناهج اللغة بتجاوز الاستظهار الاعمى للقواعد النحوية ، وبعضها مغرق فى المنطق

هذا فضلا عن ان بعضا منهم ابتعدوا زمنا غير يسير عن مواطنهم ، ومنهم من انقطع تماما عن استعمال العربية ، وكم فى هؤلاء من هجر اهله ووطنه الى غير الخارج وهم ناسون للعربية ، فيتهيبون استعمالها . وقد يصيبهم العى والحصر عند النطق بها . وكثيرون منهم الذين لم يتح لهم الوقت الكافى لاتقان اللغة الاجنبية ذاتها ، فضلا عن العربية ، فهم لا يجيدون التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات وهمية فى العربية سببها تصورهم وعدم احاطتهم بها، وهم يظلمون لغتهم القومية عند ما يبثون فى روع الناس انها عاجزة قاصرة ، فيعزون اليها الضعف الذى هو فيهم وليس فيها .

واخطر من ذلك حال بعض الذين يغادرون هذه البلاد لتحصيل العلم فى الخارج وهم فى طراوة الشباب وغضاضة المعرفة والثقافة — فيذهبون الى انجلترا وامريكا ، وفرنسا ، والمانيا ، وروسيا ، فلا يلبث الواحد منهم ان يعجب بلغة البلاد التى درس فيها ، وقد تبهر بعضهم حضارة الشعب الذى اخذوا من ثقافته ، فاذا هم لا يعتصمون الا بحبلها ، واذا هم ينقضون ايمانهم بقوميتهم وتاريخهم ، فضلا عن لغتهم العربية ، وكم فى اولاء من هجر اهله ووطنه الى غير عوده . هذا النوع من الاستعمار الثقافى الوبيل العواقب يستلزم اقصى الحذر من ايفاد الطلبة الى الخارج وهم بعد فى سن باكرة لم تكتمل معها شخصيتهم وعقيدتهم وثقافتهم ، لئلا نفرط ببعض النخبة الصالحة من ابناء البلاد ، ولا نستعيد البعض الآخر تلقى العقيدة خلوا من المشاعر القومية .

قضية المصطلحات

وكثيرا ما يثير المشككون ضجة مفتعلة فينصبون من قضية المصطلحات الفنية سدا منيعا فى وجه التعريب ويرسمون هالات قدسية حوله . فهل توقفت روسيا واليابان والصين وبلغاريا ، وحتى اسرائيل وغيرها يوما عن التعليم والعمل العلمى فى انتظار صياغة مصطلحات ؟ ام هل يريدنا هؤلاء ان ننتظر وننتظر الى الابد ؟ هذه الحجة واهية اساسا ، فالمصطلحات واللغة كلتاهما وسيلة لا غاية ، والمهم هو الاستعمال ، والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية اليها . والعمل العلمى ومصطلحه يسيران جنبا الى جنب ، ولا يسبق احدهما الآخر ، واهل اللغة يستشارون عند الحاجة إليهم . هذا هو الذى يجرى فى جميع البلاد المتقدمة ، والاستعمال والزمن هما الكفيلان ببقاء المصطلح الافضل ، والمشتغلون بالعلم يعرفون ان ثمة الكثير من مصطلحات العلوم التى تختلف فى امريكا عنها فى انجلترا وكلتاهما لغتها الانجليزية . فهل كان هذا فى يوم من الايام سببا لتوقف الحركة العلمية فى اية منهما ؟ وما الفائدة من تكديس مجاميع المصطلحات والمعجمات الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال ؛ ونظل نجادل فى اى الاصلح والافصح — الزيت ام البترول ام النفط ام النفط ؟ لا ادرى هل سيؤدى هذا النقاش الى اية نتيجة ، بينما نستمر فى التعليم بالانجليزية والفرنسة . لقد باتت تطور التكنولوجيا والطب والعلوم من السرعة بحيث اصبحت الوسائل الاعتيادية فى صياغة المصطلحات تنوء بأعبائه . فما يمر يوم لا تظهر فيه آلات واختراعات واكتشافات جديدة حتى صار بعض الشركات العلمية يستخدم الاجهزة الالكترونية فى صياغة الاسماء لآلاف المركبات الكيميائية الجديده ، وذلك بخزن العديد من التصادير والجذور والكواسع اللغوية ذات المعانى المعينة فى هذه الاجهزة ، وتزويدها بالتركيب الكيميائى لكل من هذه المركبات ، مع المعلومات الاخرى المناسبة ، وتقوم هى بوضع التسميات ، والسرعة اصبحت سمة العصر ، ولقد بات لزاما علينا ان نتخذ من لغتنا وعاء للعلوم لنتمكن من اللحاق بركب الحضارات العالمية .

وفى لغتنا مرونة وموسعة ، فنعمد اولا الى ترجمة المصطلح ان صحت الترجمة ، وهو الاهم والايسر ، فان امتنع ذلك فنستعين بالاشتقاق والقياس ، كما فعلنا فى مصطلحات المذياع Radio ، والرسابة Sediment والتأميم Nationalization فان تعذر ذلك فنفيد من المجاز حيث يكفى وجود علاقة مجازية بين المعنى والمصطلح المختار كما فى قولنا رياضيات Mathematics ، وعزم Moment وهيئة Staff ، فاذا لم يتيسر فنلجأ الى التعريب ، وهو آخر ما نركن اليه ، كما فعلنا فى ماكنة Machine ، وبطارية Battery ، وقديما فرنجوا

يأبى له اعتزازه بقوميته ولغته ان يتخذ من الانجليزية لغة علم وعمل ، ومن غير الطبيعى ان لا تأخذنا نحن الغيرة على لغتنا العربية التى هى عنـوان قوميتنـا وتـراثنـا وتاريخنـا .

اصـالـة العـربيـة

والعربية اليوم لغة مائة مليون عربى ، وهى الاداة الدينية لخمسة اضعاف هذا العدد ، ولقـد اقـرت اليونيسكو اتخاذها لغة عمل بين اللغـات العالميـة الخمس الاخرى ، ومن غير المعقول ان نتهمها بالقصور فى الوقت الذى اصر اعداؤنا فى الجزء المغتصب مـن ارضنا العربية على استعمال اللغة العبرية ، وهـى لغة ميتة ، فلم تعجز عن استيعاب العلم والتعليم . ام هل ان اللغات الروسية ، والصينية ، واليابانيـة ، والهنغارية ، والتركية ، واليونانية ، والبرتغاليـة ، والفنلندية ، والبلجيكية ، كلها اغنى من العربية واطوع للصياغة العلمية ؟ لا شك فى ان كل هـؤلاء الاقـوام وجدوا فى التمسك بلغتهم القوميـة واتقانهـا سببا للكرامة ، والثقة بالنفس ، واجتماع الكلمة ، والاعتزاز بالتراث القومى ، فلم يرضوا بالتفريط بها او تفضيل غيرهـا عليهـا .

والعربية سبق لها ان وسعت العلوم والشرائـع والفنون ، ولم تعجز عن نقل علوم اليونـان والهنـد وفارس ايام ازدهار حضارات الامويين والعبـاسيين فى الشام ، وبغداد ، والاندلس . ولقد كتب بها اعاظم العلماء من العرب والاعاجم من امثال البيرونى ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والجـاحظ ، والخوارزمـى ، والكرجى ، والفارابى ، والرازى ، وابـن حيـان ، والكندى ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن خلدون ، والزهراوى ، والادريسى ، وكثيرين سواهم ، والفوا الكتب الجليلة فى الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والمساحة والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، والاحياء ، والفلسفـة ، والاداب ، والتاريـخ ، والقانـون ، والشريعة ، مما بقى حتى امد قريب يعد بين امهات المراجع العلمية والفلسفيـة والتشريعيـة فى الشرق والغرب . ولقد نقل الكثير مـن هـذه المؤلفـات الى اللغات الاوربية فكان يؤلف حلقات متينة فى سلسلـة تطور العلوم الحديثـة .

ومن السمات المشهودة للعربية ايجاز عبارتها مع حسن الاداء ، وتميز كتابتها بأنها اختزالية بطبيعتها ، وكونها غنية اصلا فى موادها ومفرداتهـا حتـى ان المعجمات لتزخر بقدر هائل من الالفاظ التى يمكن العود اليها لاختيارها لمختلف المصطلحات الحديثة . وهـذه تركيا لم تجد غنى عن استعمال الاصول العربيـة فى وضع مصطلحاتها الحديثة بالحرف اللاتينى .

والعربية فضلا عن تلك لغة مرنة خصبـة كبيرة العطاء ومن ميزاتها الفذه اتساعها فى الاشتقاق حتى إن المادة الواحدة الثلاثية الحروف كثيرا ما تتجـاوز الاوزان الاشتقاقية منها العشرات الى المئات ، والكثير منها قياسى ، هذا اضافة الى امكانية التوسع فيها بدرجة كبيرة . هذه الميزة العظيمة للعربية بين سائر اللغات الحية او القديمة هى سر كونها ادنى لمسايرة سنة التطور واطوع من كثير من سواها من اللغـات فى وضع المصطلحات العلمية .

الاستعمـار الثقـافى

لقد بدأ التدريس فى هذه البلاد بلغات اجنبية فى ظروف معروفة كما اسلفنا ، غير ن ممـا يؤسف له انه استمر كذلك حتى بات بعضنا يفتقر الى الحماسة للتعريب وما عدنا نجد الجراة لاصلاح هذه الحال .

لقد كان من اسباب تـدريس العلـوم باللغـة الانجليزية او الفرنسية فى هذه البلاد ان التدريس على مختلف المستويات بدأ فى زمن كان الكثير من الاساتذة فيه هم من الاجانب ، وكان هؤلاء هم اول مـن بدأ حملات التشكيك فى صلاح العربية للتدريس ، فاتهموها بالصعوبة والتعقيد ، على الـرغم مـن ان النحـو الانجليزى والفرنسى مثلا ، او قواعد الاملاء فيهمـا ليست بأيسر منها فى العربية . وغير خـاف ان جـل هؤلاء لا يعرفون العربية ولا يتقنونها وليس فى وسعهم التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات مناصبهم التدريسية ومراكزهم الحساسة فى هذه البلاد

واسوأ من هذا ان كثيرين من علمائنا تعلموا بلغات اجنبية فى الخارج او فى الداخل ، فكان من نتيجة ذلك ان المتابعة والتخصص اضطرت بعضهم الى التعمق فى دقائق اللغات التى درسوا فيها ، بينما لم يتهيأ لهم اطلاقا ممارسة العربية فى العمل العلمى المتخصص .

والفلسفة ، الى الاكثار من التطبيق بالاعراب ، والتمرين على القراءة والكتابة ، وحفظ النصوص الرفيعة وعيون الشعر . ويجمل الاكثار من النصوص العلمية فى كتب المطالعة لتقوية الطالب فى لغة العلوم وتعريفه على المصطلحات ليدخرها للمستقبل .

الفصحى والعامية

والعامية فى اكثر البلاد العربية اقتربت من الفصحى نتيجة للنهضة الثقافية المعاصرة ، فيلزم العمل على بلورة ذلك باشاعة الفصحى وفرض استعمالها فى المدارس تمهيدا لمحو الشقة بين لغة الحديث ولغة الكتابة وجعل الفصحى لغة التعامل بين مجموع الطبقات . ولوسائل الاعلام اكبر الاهمية فى نشر اللغة السليمة على الجمهور فيجب الحرص على اختيار المذيعين من بين المتمكنين من الالقاء الصحيح ليكونوا قدوة حسنة لعامة الناس .

الاعتبار بتجارب التعريب

ويقتضى برنامج التعريب الافادة والاعتبار من المحاولات والتجارب السابقة لتجنب الاخطاء ، فلا يدرس الطالب بعض الموضوعات بالعربية والبعض الآخر باللغة الاجنبية فى الوقت ذاته فتتضاعف عليه الصعوبات ، ولا يكون منهجه مجزأ فتكون دراسته فى بعض السنوات بالعربية وبعضها بالاجنبية فتتعقد عليه الامور ويفقد التسلسل الذهنى فى المتابعةوالتعبير العلمى ، ولا ينقطع منهجه الى العربية ويغفل اللغة الاجنبية اطلاقا فينعزل عن العالم وتكون ثقافته ضيقة محدودة .

لغة اجنبية للمتابعة

وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة الاهتمام الشديد باتقان لغة اجنبية عالمية واحدة على الاقل ، اضافة الى العربية ، لاتخاذها اداة لازمة للتوسع فى المتابعة العلمية ، واستمرار الاتصال بالتطور العلمى العالمى، والتمكين من اكمال الدراسة والتخصص ، ونشر الابحاث العلمية فى المجلات العالمية . ويعد هذا الامر من المتطلبات الطبيعية المفروضة حتى فى ارقى البلاد ، فيلزم الحذر كل الحذر من مغبة التساهل والاهمال فيه ، لئلا نبقى فى معزل عن الحضارة العالمية ، ونضيع الغرض الذى نهدف اليه من التعريب . ولن تكفى لهذا الغرض دراسة اللغة الاجنبية فى الابتدائية والثانوية ، ولو انه من الضرورى الارتفاع بمستواها المنهجى ، وانما يجب الحرص على تطبيق برنامج دقيق لتدريس اللغة الاجنبية الفنية فى الكليات مع التدريب المستمر على استعمالها فى المحادثة والكتابة والمطالعات فى الكتب العلمية .

نشر العلم وتأصيله

هكذا يمكن بتعريب التعليم ان نرتفع بمستوى العلم والمعرفة فى اتجاه ، ونبسط رقعتهما فى الاتجاه الآخر . فمن المعروف ، وخاصة عند العاملين فى التعليم الجامعى ، انه ايسر للطالب المتوسط قراءة ثلاث صفحات الى خمس فى كتاب علمى مكتوب بالعربية ، لغة اهله وقومه ، من قراءة صفحة واحدة بلغة اجنبية غريبة عنه ، وهو بالتالى يتمكن من استيعاب مادة علمية اوفر ، ويتيسر له الوقت لاستقصاء المراجع العلمية فيما عدا المقررات الدراسية ، مما نعانى من انعدامه فى الوقت الحاضر. ومن الجهة الاخرى يشجع التعريب اكبر عدد من خريجى الثانويات على الاقبال على الفروع العلمية ، بينما نجد الكثيرين منهم فى هذا الوقت يعدلون عن العلوم الى الآداب بسبب تخوفهم من اللغة الاجنبية . وعلاوة على ذلك فان تعريب العلم يمكن من توفير المادة العلمية المطبوعة لاكبر عدد من ابناء الشعب ، بلغتهم التى يفهمونها ، فيساعد على تأصيل العلم فى هذه البلاد ، ويؤدى الى خروجه من دائرته الضيقة، ونشر الثقافة العامة بين الجماهير ، كما هى الحال فى البلاد الراقية .

اهم التوصيات

من كل هذا نخلص الى ان انجاح مشروع التعريب فى جامعاتنا يتطلب تنفيذ خطة محكمة متكاملة لا يمكن ان ينفذ اليها الاخفاق . ويمكننا ايجاز الخطوط العريضة لهذه الخطة بما يأتى :

1 — السير فى برنامج متصل لتعريب التدريس الجامعى ينفذ من العام القابل او الذى يليه ، فيشرع بتطبيقه اولا على طلبة السنة الجامعية الاولى ، وبعد نهاية العام يطبق على طلبة السنة الثانية ،

وهكذا يستمر دون توقف حتى يشمل جميع سنى الدراسة الجامعية .

2 — المباشرة حالا بتنفيذ برنامج محكم لتأليف وترجمة المقررات الدراسية لتكون مهيأه فى اى وقت لسنتين جامعيتين مقبلتين على الاقل .

3 — تطبيق برنامج قويم لتدريس الطالب الجامعى اللغة الاجنبية العلمية بصورة مستمرة لتمكينه من المتابعة العلمية ، ومواكبة التطور العلى ، واكمال التخصص .

4 — انشاء شعب وطنية للتعريب فى وزارات التعليم العالى تضم اختصاصيين وموظفين لمتابعة برامج التعريب ونشاطاته وتجميع المصطلحات التى يقوم بها الافراد والهيئات العلمية وتنسيقها لتوفيرها للعاملين فى الحقول العلمية ، وتزويد المكتب الدائم للتعريب بها .

5 — عقد ندوات قطرية سنوية للتعريب يحضرها مندوبون عن الهيئات العلمية والمعنيون بشؤون التعريب لدراسة مشاكله ومناقشة المصطلحات العلمية واقرارها .

6 — العمل على انشاء اتحاد عربى للتعريب على غرار الاتحاد العلمى العربى يضم ممثلين عن الشعب الوطنية ومندوبا عن المكتب الدائم للتعريب لعقد اجتماعات ومؤتمرات دورية فى العواصم العربية المختلفة يدعى اليها ممثلو الاتحادات والهيئات العلمية والعلماء المعنيون بشؤون التعريب لبحث قضاياه ومناقشة المصطلحات لتنسيقها وتوحيدها فى العالم العربى .

7 — اصدار تشريعات فى اقطار المشرق العربى لاحلال الارقام الغربية المستعملة فى اوربا واقطار المغرب العربى محل صور الارقام المستعملة فى الوقت الحاضر .

8 — رفع مستوى العربية فى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية ، بفرض استعمال الفصحى فى التدريس ، وتجاوز بعض قواعد النحو المعقدة الى التأكيد فى المناهج على الجوانب التطبيقية من اكثار التمرين على المحادثة والقراءة والكتابة ، وحفظ النصوص الرفيعة وزيادة المطالعات فى الكتب العلمية لاغناء الطالب بمصطلحاتها .

9 — العمل على تحقيق فكره المعجم العربى الموحد ، بصيغتين : انجليزى — عربى ، وفرنسى — عربى ، ليضم مصطلحات الفروع العلمية المختلفة ، على غرار المعجمات العلمية العالمية ، وتفريغ هيئة من العلماء له .

*

نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية

الدكتور تمام حسان
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

لم يكن للعرب من قبل ولن يكون لهم من بعد ما هو اثمن ولا اولى ولا ادعى للعناية من لغتهم . لان اللغة العربية وعاء التجارب العربية ومظهر الشخصية العربية ورابطة الاجيال العربية والحبل الذى يعتصم به ابناء الامة العربية فى حاضرهم ومستقبلهم . فاذا فرقت السياسة والمصالح الاقليمية بين العرب وحدت اللغة بينهم فى الفكر وربطت بينهم فى الامل ومثلت فى اعينهم قضية مريدة يتفقون فى الحفاظ عليها وارادة التنمية لها ومحاولة تطويرها وتيسير فهمها وجعلها اداة دولية تنبىء عن اهمية امة كثر اعداؤها والطامعون فيها واستأسدت من حولها القوى التى تريد الحط من قيمتها اذا لم تتمكن من القضاء عليها . واللغة العربية سلاح العرب فى معركة البقاء : بها غلبوا فى الماضى ولن يغلبوا الا بها فى المستقبل . وحين بعث الله رسوله بدين الحق اعطاه من اللغة معجزة خالدة كانت سببا فى اقبال الامم على العرب ، ويوم تكلمت الامم لغة العرب اصبح سجين الصحراء فى الجاهلية داعية الحرية فى الاسلام واحست الامم المغلوبة ذوات الثقافة ان البدوى الذىكان دونها حضارة اصبح ندا لها ان لم يكن شعاعا يهديها ، واتخذت من العربية لغة لها لا تفهم ثقافة الاسلام الا بها ؛ ثم تساءلت هذه الامم بروح الغيرة عن سر هذا التفوق فلم تجد له جوابا الا فى اللغة . وحين اطلت الشعوبية براسها كانت اللغة العربية لغة العرب والشعوبيين على السواء . ولعل هذا هو السبب الذى لم يجعل للشعوبية ذات خطر عظيم فى بدايتها ولكن نتائجها كانت اخطر حين عنى ابناء الامم بلغاتهم ثم امسكوا من استعمال اللغة العربية فى النهاية . فكانت هذه خسارة تاريخية للعرب : حدث ذلك فى ايران وما وراء النهر وفى اسبانيا وكاد يحدث فى الشمال الافريقى ويحدث اليوم فى فلسطين . وان مؤتمركم هذا ليلتقى فى ارض تعرف قيمة اللغة العربية بما سلط الله عليها من غزو لغوى دام اكثر من مائة عام فكاد يقضى على عروبة هذا الشعب الباسل بالقضاء على لغته ، ولكن الله الذى قضى بالبلاء هو الذى منح الصبر والمصابرة وقضى بالنصر اخيرا للشعب الجزائرى ولغة العرب فاللهم حمدا على ما ابتليت وشكرا على ما حميت انك على ما تشاء قدير .

ائئن كان هذا خطر اللغة فى حياة الامة افلا يكون من واجبنا المقدس تقديسا يفوق كل المعايير ان نبحث ونتباحث فى وسائل الحفاظ عليها ثم تنميتها وتطويرها

ثم العمل على تيسيرها ونشرها فى الداخل والخارج ؟ نعم هذا واجبنا فرادى وجماعات . وهذا المؤتمر الموقر خطوة مباركة فى سبيل هذا العمل القومى العظيم ، وان كل بحث يلقى فى هذا المؤتمر ليعد فى نظرى وقفة فى ساحة الجهاد فى سبيل الله والعروبة والاسلام يقفها جندى مدرب شاكى السلاح لا يضيره الا بريق الدم بسيفه اذا اراق الحبر بقلمه .

وسيتجه هذا البحث منذ البداية الى التفكير فى ايسر السبل « نحو تنسيق افضل للجهود الرامية الى تطوير اللغة العربية » حتى تأخذ هذه اللغة مكانها الطبيعى الذى يؤهلها له تاريخها وثقافاتها وغناها وطواعيتها وصلاحيتها لان تكون اداة علم وفن كما ثبت لها ذلك فى عصور هامة من تاريخ البشرية . ولعل اول خطوة لتحديد الدواء ان نعرف موطن الداء ومن ثم يجدر بنا ان نلقى نظرة فاحصة فى تراكيب العربية من جهة وفى ظروفها الاجتماعية من جهة اخرى فلعلنا ان فعلنا ان نصل الى تشخيص مقبول لاوجه النقص والعقبات التى تقف حائلا دون تطوير لغتنا الفصحى . والذى يبدو لى ان هذه الاوجه يمكن ان تترتب على النحو التالى :

أ — صعوبة القواعد وتطويرها :

شاع بين الناس (عربا وغير عرب) ان اللغة العربية من اللغات التى يصعب تعلمها ، ويرجع الناس ذلك الى ما ينسبونه الى هذه اللغة من نظم معقدة بما فيها من اعراب واعلال وابدال وقلب وحذف وتقدير واستتار وهلم جرا . ولا شك ان اللغة العربية تشتمل على هذه الظواهر ولكن بعض هذه الظواهر نفسها توجد فى لغات اخرى غير العربية ولا يرميها الناس بالصعوبة . فالظواهر الاعرابية موجودة فى اللغات اللاتينية واليونانية والالمانية والابدال موجود فى معظم اللغات الحديثة واشهر صوره ما يسمونه Liaison فى اللغات الاوربية الحديثة ولن يعز علينا ان نجد بقية هذه الظواهر فى اللغات الاخرى . ومع ذلك لا ترتفع الاصوات بالشكوى ضد هذه اللغات . فلماذا ؟

الواقع ان الطريقة التى تمت بها دراسة النحو العربى لم تكن احسن الطرق الممكنة . فلقد خلط النحاة فى عملهم بين منهج العالم ومنهج المعلم فكان على العالم ان يصطنع المعيارية فى بحثه وهى اسوا ما يبتلى به منهج البحث وكان على المعلم ان يتعدى عموميات القواعد الى الملاحظات الدقيقة التى ادت فى نهاية الامر الى نشأة المدارس والمذاهب . اضف الى ذلك ان النحاة تجاهلوا فى رصدهم لظواهر العربية امرين على جانب كبير جدا من الاهمية ، اولهما تاريخى وهو تطور اللغة من جيل الى جيل وثانيهما اجتماعى وهو اختلاف اللهجات من قبيلة الى قبيلة . فأما بالنسبة للاول فلم يفرقوا بين لغة امرىء القيس ولغة ابن هرمة او بشار بن برد . وبين هذا وذاك حوالى ثلاثة قرون تطورت فيها اللغة فى بنيتها وفى اسلوبها تطورا يستحق التسجيل . واما بالنسبة للثانى فقد طفق النحاة يختارون القبائل ليأخذوا اللغة عنها فكان اختيارهم بلا منهج سليم . ذلك بأنهم عددوا القبائل وكان الاولى بهم ان يدرسوا النحو فى كل لهجة على حدة بما للهجات من اختلاف الانظمة . وحين عددوا افردوا ما سموه قبائل وسط الجزيرة ونفوا ما عداها واقاموا نحوهم على هذا الاساس ولكن شواهدهم لم تلتزم بذلك فاستشهدوا بكل شعر حتى شعر العباديين . وفوق ذلك كان اعتمادهم عند الاستشهاد على الشعر فى الاساس عملا ليس له ما يبرره ، فلقد ادى ذلك الى ان يصبح النحو العربى مزجا غريبا من القواعد والرخص والضرائر والشواذ الخ . لان لغة الشعر بطبيعتها لا تستقيم الا مع هذه الرخص والضرائر ، ولان لغة النثر نفسها تستعمل هذه الرخص فى غير القليل من الحالات . وفوق كل ذلك ان النحاة بنوا نحوهم على نظرية العامل فعلقوا جمهور المعانى على العلامات الاعرابية مع ان هذه العلامات لا تعين على كشف المعنى فى المقصور والمنقوص والمبنى والجملة ذات المحل ، كما ان العلامات الاعرابية اقل من الابواب النحوية فلا بد ان يستدل بالعلامة الواحدة على اكثر من باب واحد ولو تعلق المعنى بمفرد العلامة فى هذه الحالة ما استطاع الناس ان يامنوا اللبس . من هنا افسحت المشاكل الطريق للخلافات وادت الخلافات الى المذاهب وتكلمت المذاهب فى الشاذ والقليل والنادر والمسموع والمقيس والمطرد الى غير ذلك . وطالت كتب النحو بهذه الخلافات حتى اصبح الباحث عن القاعدة المجردة كالباحث عن الابرة فى كومة القش . وهكذا رميت اللغة العربية بتهمة الصعوبة وكان ذلك بسبب منهج النحاة .

ذكرنا من قبل ان اللغة العربية ليست ببنائها وتركيبها صعبة وان الصعوبة التى يصادفها المتعلمون لها انما

تعود الى عيوب فى منهج النحاة العرب من جهة والى الطرق المستخدمة فى التعليم من جهة اخرى ، وهذان امران يرجع اولهما الى علم اللغة النظرى :

Theoritical Linguistics ويرجع ثانيهما الى علم اللغة التطبيقــى Applied Linguistics من جهة والى فنون التربية والتعليم من جهة اخــرى . ولقــد اشرت من قبل الى بعض العيوب فى منهج النحاة العرب وقلت انها ترجع فى عمومها الى اصطناع افكار من خارج حقل اللغة والى الاعتماد فى فهم النص على التعليل والتأويل دون مجرد الوصف والتبويب . واوضح ما يرد لى فى هذا الصدد ان النحاة اقاموا نحوهم على نظرية العامل وانهم ارتضوا نوعا من التحليل اللغوى للقواعد سموه الأعراب التقديرى وآخر سموه الاعراب المحلى . ومــن الواضح ان التحليل الاعرابى لاى نص لغوى انما هو تحديد وظائف الكلمات وعناصر التركيب الاخــرى فى السياق واذا وصل المعرب الى تحديد هذه الوظــائف نعرف ان هذه الكلمة فاعل وتلك مضاف اليه او تمييز وان هذه النون للوقاية وليست للرفع او التوكيد فقــد وصل من عمله الى غايته ولم يدع بعد ذلك من وجهة نظر الاعراب زيادة لمستزيد . فهل يمكن من خلال القول بالعامل فقط ان يصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف الاعرابية ؟ الجواب لا بكل تأكيد . لان نظرية العامل تعلق المعنى النحوى على العلامة الاعرابية وهى الحركــة او ما ينوب عنها ولكن هذه العلامة الاعرابية غير كافية فى التحليل الاعرابى للاسباب الآتية :

أ ــ ان عدد ابواب النحو اكثر من عدد العلامــات الاعرابية فلا مناص من اشتراك عدد من الابــواب فى علامة واحدة كالفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع كل ذلك يشترك فى الضمــة وكالمفعولين والحال والتمييــز والمستثنــى والمختص والمصدر النائب عن فعله الخ .. اذ يشترك كل ذلك فى الفتحة وكالمجرور بالاضافة والمجرور بالحرف الخ.. اذ يشترك فى الكسرة . فلو علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية والحالة هذه لأدى بنا ذلك الى اللبس لا محــالــة .

ب ــ واذا علقنا المعنى الاعرابــى على العلامــة الاعرابية فكيف نصل الى اعراب المبنيات التى لا يتغير آخرها والى اعراب المقصور والمنقــوص المرفــوع والمجرور والى اعراب الجمل المعبرة عن معنى المفرد ؟

جـ ــ واذا علقنا هذا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية بمفردها فكيف يمكن لنا اعــراب الشــواذ الاعرابية وما اكثرها وكذلك القلائل والنوادر والمسموع دون المقيس .

ليست العلامة الاعرابية اذن قرينة مفردة على المعنى ولكن هناك عددا من القرائن الاخرى كان على النحاة ان يسلكوها فى نظام واحد بدلا من الاشارات العارضة الى بعضها دون السياق واهمال بعضها الآخر اهمالا تاما . وخطة القرائن النحوية تبدو على الصورة الآتية :

هناك قرائن معنوية يفهمها المعرب من سياق الكلام وهى كما يلى :

اولا : قرينة الاسناد : وهى العلاقة التى تربط بين طرفى الجملة المفيدة كربط الفعل بالفاعل او نائبه وكربط المبتدأ بالخبر ثم هى المعنى الذى يسمح للفظ المفــرد ان يفيد افادة كاملة كما فى نعم ولا وما سماه النحــاة الجملة التى حذف احد طرفيها ، فلولا قرينــة الاسناد المفهومة من السياق ما فهم المعنى التام من هذه المفردات

ثانيا : قرينة التخصص : وهى تضم تحت جناحيها عددا من القرائن التى تعتبر فروعا عليها كالتعديــة والغائية والظرفية والمعية والتاكيد او التحديد والاخراج والملابسة والتفسير وكل واحدة من هذه القرائن الفرعية تفهم معنى نحويا خاصا ، فالمعانى التى تفهم منها على الترتيب هى المفعول به والمفعول لاجله (ومثله المضارع المنصوب باللام وكى وحتى والفاء ولن واذا) والمفعول فيه والمفعول معه (ومثله المضارع المنصوب بعد الواو) والمفعول المطلق والمستثنى والحال والتمييز وكل واحد من هذه المنصوبات يعتبر مخصصا لعموم دلالة الاسناد فى جملتــه .

ثالثا : قرينة النسبة : ويقع تحتها المجــرور على الاضافة والمجرور على معنى الحرف ، فالمعانى الفرعية التى تقع تحت عنوان النسبة تبلغ حوالى ثلاثين معنى هى حاصل جمع الاضافة ومعانى حروف الجر .

رابعا : قرينة التبعية : وهى التى يفهم بها النعت والعطف والتوكيد والبيان والبدل .

خامسا : المخالفة : وهى قرينة طائفة من المنصوبات لا يمكن ان تفسرها فكرة العامل وانما يكون النصب فيها للمخالفة بين المنصوب فى التركيب وبين مرفوع او مخفوض يشبهه تماما فى تركيب آخر على النحــو التــالــى :

نحن العرب نكرم الضيف
احببت ان يقــوم زيــد
كــم عــمـــة
مــا احســن زيـــدا
سقيــا لــك ورعيــا
اضحكــا فى الصـــلاة

لمخالفة	نحن العرب ــ مبتدأ وخبر
لمخالفة	علمت ان يقوم زيد ــ ان مخففة
لمخالفة	كــم عمة ــ مضاف اليــه
لمخالفة	مــا احسن زيــد ــ نفــى
لمخالفة	سقى لك ورعى ــ مبتدأ وخبر
لمخالفة	اضحك فى الصلاة ــ مبتدأ وخبر

وهلم جرا . وهذه القرائن المعنوية كما سبق هــى العلاقات السياقية فيما عدا المخالفة فهى علاقة فى نطاق النظام النحوى فى عمومه . والقرينة المعنوية غير يسيرة الادراك بمفردها ولذلك كان على اللغة ان تعززها بعدد من القرائن اللفظية التى تعتبر معالم للطريق يهتــدى بها المعرب وهذه القرائن اللفظية كما يأتى :

البنية ــ العلامة الاعرابية ــ المطابقة ــ الربط ــ التضام ــ الرتبة ــ الاداة ــ النغمة فى الكلام المنطوق. ولا بد من ان يتضافر عدد من هذه القرائن اللفظية مع القرينة المعنوية المعينة المخصصة لمعنى نحوى بعينه، وهذا المبدأ مبدأ تضافر القرائن هو البديل المنهجى للقول بالعامل النحوى . وقبل ان اشرح هذه العبارة دعنــا نعرب قام محمد ليصلى لنرى كيف تتضافر القرائن على المعنى التحليلى الذى يسمى الاعراب .

قـــام : فعل ماض بقرينة الاسناد لانه متبوع باسم مرفوع صالح لان يسند اليه الفعل وبقرينة البنية لان هذه الصيغة من صيغ الماضى . وبقرينة الرتبة لانه سابق على الفاعل .

محمـــد : فاعل بقرينة الاسناد لانه كما يقول النحاة هو المسند اليه فى الجملة .
وبقرينة البنية لاسم وليس فعلا ولا حرفا
وبقرينة العلامة الاعرابية لانه مرفوع .
وبقرينة المطابقة لان الفعل معه مسنــد الى المفــرد الغــائب .
وبقرينة التضام لان كل فعل فلا بد له مــن فاعل (هكذا زعم النحاة) .
وبقرينة الرتبة لانه متأخر عن الفعل ولــو تقدم لم يكن فاعلا .

الــلام : حرف بقرينــة البنيــة .
وبقرينة معنى الغائية الذى تفيده .
وبقرينة الرتبة المتقدمة على ضميمتها وهــذا من شأن الحــروف .

يصلــى : فعل مضارع بقرينة البنية .
منصوب بدليل العلامة الاعرابية .
وكان نصبه على معنى الغائية بدليل معنى اللام وذلك هو نفس المعنى الذى ينصب معه المفعول لاجله وقرينة ارتباطه بمعنــى اللام هو التضام لان اللام مفتقرة الى مدخل هو الفعــل هنــا .
وقرينة اخرى على ارتباطه باللام هى الرتبة بينهمــا .

ذلك مما اسميه مبدأ تضافر القرائن . وفائدته انه يرصد لامن اللبس فى المعنى النحوى حراسا متعددين لا حارسا واحدا ما دام قد ثبت لنا ان هذا الحارس الواحد (العلامة الاعرابية) قد يخفى احيانا ولــولا الحراس الآخرون لاصبح المعنى مباحا لشياطين اللبس. هذا تأصيل جديد للنحو العربى او فلنقل هذا ترتيب جديد لأصول النحو يذهب بالتعليل والتأويل الى غير رجعة ولا سيما اذا اضفنا الى « تضافر القرائن » مبدأ آخر اهم واخطر هو مبدأ « الترخص فى القرائن عند امن اللبس » ، وسنرى ان هذا المبدأ الاخير يــذهب الخلافات النحوية ويجعل القــول بالنــدرة والشذوذ والقلة والمسموع الذى لا يقاس عليه قولا لا معنى له ولا جدوى منه الا اطالة النحو وتعقيده وجعله اشبه ما يكون بنظام فلسفى تأملى اظهــر العلم التجريبــى بطلانه على نحو ما بطلت الطبائع الاربع .

وينبغى لنا الآن ان نضرب الامثلة على الترخص فى القرائن عند امن اللبس ونعرض فى تمثيلها لهذا المبــدأ القرائن اللفظية الواحدة بعد الاخرى . ومن الضرورى ان نقول منذ البداية ان القرينة المعنوية لا يتــرخص فيها ابدا لانها علاقة ولانها معنى وظيفى ولا يعقل ان نترخص فى العلاقات والوظائف . وهناك امثلة فى القرائن اللفظية واحدة بعد الاخــرى .

ا ــ الترخص فى البنيــة :

● تحافظ اللغة على ان تجعل من صفة « ال » صفحة

صريحة . ولكن اذ امن اللبس جاءت غير ذلك ومثاله :

ما انت بالحكم الترضى حكومته
من القول رسول الله منهم
صوت الحمار اليجدع

- تحافظ اللغة على ان تجعل خبر كان واخواتها فعلا مضارعا فاذا امن اللبس جاء الخبر غير ذلك . ومثاله:
  فطفق مسحا بالسوق والاعناق
  فأبت الى فهم وما كدت آيبا .. الخ
- تحافظ اللغة على ان يكون المبتدأ معرفة فاذا امن اللبس (ما لم تفد) جاء نكرة . ومثاله :
  امر بمعروف صدقة
  قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . سلام عليكم .

ويضيق المقام عن ذكر آلاف الشواهد على الترخص فى البنية عند امن اللبس وقد فصلت القول فى الترخص فى القرائن فى كتابى « اللغة العربية مبناها ومعناها » وفى بحث تقدمت به لمسابقة مكتب تنسيق التعريب فى العام الماضى فحصل على الجائزة الاولى .

ب — الترخص فى العلامة الاعرابية :

وامثلة ذلك اكثر من ان تحصى ومنها :

خرق الثوب المسمار — جحر ضب خرب — ان هذان لساحران (بتشديد نون ان) — ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى .. — ان اباها وابا اباها قد بلغا فى المجد غايتاها — كأن لم ترى قبلى اسيرا يمانيا — وحلت سواء القلب لا انا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا — كأن اذنيه اذا تشوفا قادمة او قلما محرفا — ان تقرآن على اسماء — الم يأتيك — ما للجمال مشيها وئيدا — وكل نعت مقطوع فهو من هذا القبيل .

ج — الترخص فى المطابقة :

وهو ايضا مشروط بأمن اللبس وامثلته :

والملائكة بعد ذلك ظهير — وما حب الديار شغفن قلبى — ولا ارض ابقل ابقالها — فانى وقيار بها لغريب — هذان خصمان اختصموا — وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا — حين قال الوشاة هند غضوب — انا الذى نظر الاعمى الى ادبى — وكل ما سماه النحاة التغليب يحمل فى طيه ترخصا فى مطابقة المغلب عليه — وقد كان يمكن ان يحمل على هذا الترخص اعادة ضمير المؤنث المفرد الى جمع التكسير ولكن اطراد الظاهرة يحول دون هذا القول — وكل ما سماه النحاة التفاتا فهو من هذا القبيل قطعا .

د — الترخص فى الربط :

- يحذف الضمير الرابط عند امن اللبس نحو : « اهذا الذى بعث الله رسولا » — كان ثدياه حقان (اى كأنه) — ما اعف واكرما (اى ما اعفها) .
- تحذف الفاء الرابطة فى جواب الشرط عند امن اللبس نحو : من يفعل الحسنات الله يشكرها — ومن لا يزل ينقاد للغى والصبا سيلقى على طول السلامة نادما —
- تحذف الفاء الرابطة فى جواب اما نحو : فاما القتال لا قتال لديكمو .
- وتحذف اللام الرابطة من جواب لولا المثبت نحو : لولا زهير جفانى كنت منتصرا — وكم موطن لولاى طحت كما هوى .

هـ — الترخص فى التضام :

وهو كغيره مشروط بأمن اللبس ويتمثل فى الحذف والزيادة والفصل بالاجنبى نحو :

- قد يحذف ما يعتمد عليه الوصف المغنى فاعله عن الخبر نحو خبير بنو لهب .
- وقد يحذف المبتدأ او الخبر اذا امن اللبس وتقول عبارة النحاة اذا دل عليه دليل والمعروف ان الجملة الاسمية تقوم على تضامهما فكل منهما لازم للآخر .
- وقد تحذف صلة الموصول على رغم افتقاره اليها وذلك اذا امن اللبس نحو :
  « نحن الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم الينا » .
- قد تحدث زيادة بين المتضامين كما فى نحو :
  فى غرف الجنة العليا التى وجبت
  لهم هناك بسعى كان مشكور
  فى لجنة غمرت اباك بحارها
  فى الجاهلية كان والاسلام
  وليست سربال الشباب ازورها
  ولنعم كان شبيبة المحتال

سراة بنى ابــى بكر تسامــى
على كل المسومــة العــراب

- قد يسقط احد مفعولى ظن وهما متضامــان وذلك عند امن اللبس ــ والامثلة على هذا الترخص اكثر من ان تحصى :

و ــ الترخص فى الرتبة : وذلك عند امــن اللبس فاذا لم يؤمن اللبس التزمت الرتبة التزاما لا مناص منه.

- فيجوز تقديم الخبر على المبتدأ الا عند اللبس كما فى اخى صديقى فيكون الاول هو المبتدأ .
- ويجوز تقديم المفعول على الفاعل الا عند اللبس كما فى ضرب موسى عيسى فيكون الفاعل اولا .
- ويقال مثل ذلك فى اسم كان وخبرهــا وفى مفعولى ظن وفى مفعولى اعطى .
- واذا امن اللبس تقــدم المعطــوف نحــو : « عليك ورحمة الله الســلام » .
- واذا امن اللبس ايضا عاد الضمير على متاخر لفظا ورتبة نحو : « قل هو الله احد » .
- واذا امن اللبس تقدم المستثنى نحــو : « ومالى الا آل احمد شيعة » وهلم جرا .

ز ــ التــرخص فى الاداة :

- قد تحذف همزة الاستفهام عند امن اللبس نحــو : « ثم قالوا تحبها قلت بهرا » وتقول الكميت : « وذو الشيب يلعب » وقوله تعالى : « وتلك نعمة تمنهــا على ان عبدت بنى اسرائيل » ؟
- قد تحذف واو العطف عند امن اللبس وهــذا مــا يسميه النحاة تعدد الخبر نحو زيد كــاتب شاعــر وتعدد النعت نحو : جاء زيد الكاتب الشاعر وتعدد الحال نحو : جاء زيد كاتبا شاعرا وشواهــد ذلك كثيرة جــدا .

ح ــ التــرخص فى النغمــة :

والنغمة قرينة فى الكلام المنطوق ويبدو ذلك واضحا فى نطق الشواهد التى سقناها على حذف اداة الاستفهام وفى غير ذلك مما نسمعه فى كلامنا العادى فانت تستطيع ان تعطى لفظا مثل لفظ الجلالة منطوقا بمفرده ما تشاء من معانى الجمل النحوية كالاستفهام والتعجب الخ . ومثل ذلك ممكن مع عبارة مثل « ياسلام » حيث تكون النغمة قرينة هامة على المعنى المراد . ومع ذلك يمكن ان نترخص فى النغمة بواسطة القراءة الصامتة ونحوها وعند الكتابة الى صديق وهكذا .

ان تطوير اللغة العربية فى هذا المجال يمكن ان يتم بواسطة كتاب فى النحو طبقا لهذا المنهج وسنرى بعد ذلك نتائج هامة فى حقل القواعد منها :

ا ــ اعادة اعتبــار القراءات الشاذة والاحــاديث المتــاولــة .

ب ــ تخليص النحو من الخلافات .

ج ــ تيسير فهم النص العربى بتاكيد النظــرة الى جميــع قرائنــه .

د ــ تخليص النحو من الافكار الغريبة الوافدة من الفلسفة وغيرهــا .

هـ ــ الوصول الى نظام مطرد للنحو قواعده محدودة العدد سهلة الفهم ونفى ما عدا هذه القواعد بواسطة مبدأ الترخص الذى سبقت الاشارة اليه .

ز ــ الغاء نظرية العامل والغاء الاعرابين التقديرى والمحلى اللذين يفهمان بقرائن معنوية او لفظية ليس من بينها العلامة الاعرابية التى هى مناط التقدير والمحل الاعــرابــى .

2 ــ بنــاء المعجم وتطويــره :

من المسلم به ان المعجم لا يستغنى فى بياناته عــن الاعتبارات الصرفية التى توضح بنية الكلمة ولا عــن الاعتبارات الصوتية التى تبين ضبط نطقها ، ولقد راى المعجميون قديما وحديثا ان هذا الاساس (الصوتى ــ الصرفى) جزء لا يتجزأ من معنى الكلمة المراد شرحها وحفلت المعاجم العربية بذكر ابواب الثلاثى وبناء حركة المضارع بقول المعجم « كضرب » او كسمع او كنصر الخ . كما حافظت هذه المعاجم على ضبط نطق الكلمات بايراد كلمات اخرى على وزنها فيقال ان هذه الكلمة ككتاب او كغلام او كسحاب او كجعفــر الخ . ولكــن المعاجم العربية كانت شديدة المبالغــة فى الاعتــداد بالاعتبارات الصرفية حين جعلت مداخلها حروف المادة الثلاثة اذ كان من نتائج ذلك ان يضطر الناظر فى المعجم الى معرفة الصلات الاشتقاقية بين مشتقات المــادة الواحدة ، كما يتحتم عليه ان يعــرف الالف الواويــة والالف اليائية وان يعرف الاصلى والزائد وهلم جرا .

والمعروف ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة وليس معنى الكلمة فى السياق واذا كان معنى الكلمة فى السياق مما يؤمن فيه اللبس فان المعنى المعجمى لا بد ان يكون متعددا ومحتملا . خذ معنى ضرب مثلا وهى حالة افرادها وحاول ان تزعم لها معنى محددا فلن تستطيع ذلك دون ان تضعها فى سياق .

ويتضح ذلك مما يلى : ضرب زيد عمرا — ضرب الله مثلا — ضرب له موعدا — ضربت له قبة — ضرب النقود — ضرب فى الارض — ضرب رقما قياسيا وهلم جرا ، فالضرب فى المثال الاول ايجاع وفى الثانى ذكر وفى الثالث تعيين وفى الرابع اقامة وفى الخامس صياغة وفى السادس سعى وفى السابع تفوق . فكل من هذه المعانى صالح للكلمة ما دامت مفردة ، فاذا وضعت فى سياق تعين لها واحد من هذه المعانى دون سواه . ومن واجب المعجم ان يسوق بعدد هذه المعانى من النصوص ما يحددها تحديدا تاما ولكن المعاجم العربيـــة اتكلت على الالف فى الكثير من الاحيان فقالت فى شرح الكلمة عبارات لا تغنى طالب المعنى فتيلا . وذلك ان تقــول مثلا : موضع (دون ان تحدده جغرافيا او تاريخيا) او نبات معروف (وقد زعمت ان هذا النبــات سيكــون معروفا لقراء المعاجم حتى المناطق النباتيــة التــى لا تعرفه) او ماء لبنى فلان (وقد يجهل طالب المعنى بنى فلان ولين كانوا يقيمون) وقد يشكك المعجم نفسه فى المعنى فيقول : كذا وقيل كذا . وقد يورد المعجم اسما لآلة كالمنجنيق او الدبابة او غير ذلك ثم يكتفى بعبارة قصيرة لشرح هذا اللفظ دون ان يصف المسمى وصفا يمثله فى ذهن القارئ . وقد ينسب المعجم موضوعا الى لون من الالوان يحتاج الى تحديد دقيق فيصف هذا اللون وصفا غامضا بقوله : (وهو اقــرب الى الحمــرة او الخضرة او الصفرة) مع ما يشمل عليه هذا القــرب من ظلال الالوان التى يبعد بعضها عند الوصف الدقيق عن بعض . وقد يحدد الموقع معجميا بقوله : مسيرة ليلة من مكان كذا ولا يعلم القارئ ان كان السائر هنا راجلا او راكبا جملا او حمارا او حصــانا وقــد يتــورط المعجم فى معلومات اسطورية كأن يقول فى لقمان مثلا انه ابن عاد وقد يتورط فى طابع مذهبى او دينى كالذى نلاحظه فى المنجد اذ يبسط القول فى شرح ما يتعلــق بالمسيحية ويبتره فى شرح ما يتعلق بالاسلام .

ذلك هو بعض الصعوبات المعجمية التى يلاحظهــا الناس عند استعمالهم اللغة العربية وهى صعوبــات تسلم فى مجموعها الى اللبس وهو اعدى اعداء اللغات.

قلنا ان المعنى المعجمى متعدد ومحتمل وعرفنا كذلك ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة فلا هــو وظيفى تحليلى كالمعنى النحوى ولا هو سياقى يعتمــد على المقام كالمعنى الدلالى ، وهذا الطابــع الافرادى للمعنى المعجمى يذكرنا بفــرع من فــروع الدراسات البلاغية يتناول المفردات وذلك هو علم البيان . فعلم البيان يتناول معانى الكلمة المفردة من حيث المطابقــة والتضمين واللزوم ومن حيث الاطلاق الحقيقى والاطلاق المجازى ومن حيث المجاز يتكلم فى المعنى من حيث المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية وفى كل يحتفظ علم البيان ، بطابع العناية بمعنى الكلمة المفردة . فاذا نظرنا الى تعدد المعنى المعجمى واحتماله وجدنا هذا التعدد راجعا فى معظم صوره الى اسباب يمكن البحث عنها فى علم البيان ومن هنا يمكن القول بأن بعض عناصر التطوير للمعجم العربى ربما تمت بانشاء علم جديــد يسمى علم المعجم يجعل البيان مقدمة نظرية له ويضيف الى ذلك شيئا عن مطالب المعجم وشروط احسانه وتاريخ المعاجم عالميا وعربيا وغير ذلك من الموضوعات ممــا يتعلق بهذا الفرع من فروع النشاط اللغوى . وانــا شخصيا اعتقد ان نشأة هذا العلم ونحوه يمكن ان تكون مساهمة عربية اصيلة فى حقل الثقافة العالمية وقاعدة تصلح لتطوير فكرة المعاجم على اساس من نظريــة مقبــولــة .

وقلنا ان من عيوب المعاجم العربية انهــا تجعــل حروف المادة الثلاثة (او قل الاصل الاشتقاقى الصرفى) مدخلا لشرح المفردات . ولا يخفى ان كل اصل من هذه الاصول يضم تحته عددا من المفردات المراد شرحهــا يكثر او يقل . ومن هنا يجعل شرط الوصول الى الكلمة المفردة معرفة سابقة باشتقاق الكلمــة وبأصولهــا وزوائدها وذلك امر يتردد فيه احيانا بعض المتخصصين. ومن ثم يصبح الكشف عن معنى الكلمة فى المعجم امرا على قدر من الصعوبة يذكرنا بما تتسم به القواعــد العربية ايضا من صعوبة . ونقطة البداية فى التيسير المعجمى هى تحرير المفردات مــن ربقة الاعتبــارات الاشتقاقية بالنسبــة للمدخــل . فعلينــا ان ننظــم معاجمنا على الترتيب الهجائى للكلمات لا على الترتيب الهجائى لاصول المادة . لقد باهى الاوربيون كثيرا بغنى لغاتهم بالالفاظ وعابوا على العربية فقرهــا فى هــذه الناحية . قالوا انك اذا احصيت مداخل المعجم هنــا

وهناك نستجد الغنى ملحوظا فى اللغات الاوربية وستجد الفقر ملحوظا فى العربية وفاتهم انك حين تحصى تعد الكلمات المفردة فى لغاتهم وتعد اصول المواد فى لغتنا وكان عليهم ان يدركوا ان كل اصل من هذه الاصول يضم تحته العدد العظيم من المفردات . وفائدة تخصيص مدخل لكل كلمة مفردة انك تعطى تأكيدا لكل لفظ مفيد على حدة لإن اللفظ المفرد قد لا يرد ذكره ابدا بين مشتقات المادة ويستغنى عن نصه بايراد وزنه فيقال مثلا : وكسحاب كذا وهكذا تصبح بنية الكلمة سهلة النسيان واذا غابت عنك البنية غاب عنك المعنى واصبح المعجم قليل الفائدة فى تعليم اللغة . اضف الى ذلك ان تخصيص كل كلمة بمدخل خاص يمكن واضع المعجم من ان يحصى معانيها اللغوية والاصطلاحية على صورة منظمة على نحو ما نراه فى المعاجم الاوربية ، كما يمكنه من ان يشير الى المهجور والمستعمل والى الغريب والمشهور والى المعاصر والقديم وما بطل استعماله منه وما لم يبطل وكل ذلك يصعب تحقيقه مع الترتيب الحاضر للمعاجم العربية . ومن ضرورات التطوير فى معاجمنا الا نجعل الفصاحة مقياسا لصلاحية الكلمة للتسجيل فاللغة العربية الفصحى الحديثة لغة متطورة دائبة التطور مع التغيرات المعاصرة ، وعلى المعجم العربى ان يرتفع الى مستوى هذا التطور فيسمح للكثير جدا من الالفاظ الحضارية والاصطلاحية ان تلج ساحته من مداخلها الواسعة . والا كان المعجم سببا من اسباب الجمود فى هذه اللغة التى نسعى الى تطويرها .

3 — الاسلوب وتطويره :

ان اهم ما تحرص عليه اللغة امن اللبس ويلى ذلك فى الاهمية ان يصل اصحاب اللغة بأسلوبها الى درجة من الضبط تجعل اللغة مثلا فى الوضوح . وبذلك اشتهرت اللغات الحديثة الانجليزية والالمانية والفرنسية ثم يصلوا بهذا الاسلوب الى درجة من الجمال تجذب الناس الى ادبها وتراثها . ولقد كان للغة العربية الشرف ان تكون لغة القرآن وهو المثل الاعلى للوضوح والجمال فى وقت معا . ولكن هذه اللغة نفسها منيت بعد ذاك بالصنعة والتكلف والاطناب المل والمحسنات والعناية باللفظ على حساب المعنى . وتوارى الاسلوب الصحراوى الصادق المباشر المساوى لتحل محله زخارف الترف العباسى وسفاسف الضعف التركى ، وورثت العربية من هذه الزخارف وتلك السفاسف تركة مثقلة تدعو الى الجهد المضاعف فى سبيل الاصلاح .

واذا نسبنا لغة العلم الى الوضوح وجعلنا لغة الادب للجمال امكننا ان نقول ان كلتا اللغتين تدعو الى مزيد عناية . فأما لغة العلم فقد صحا العرب صحوتهم الاخيرة بعد ان ادلج الناس فى محجة العلم وهيأوا لغاتهم لمطالبه وكان اول ما فعلوا فى هذا المجال ان راجعوا اساليبهم العلمية فضبطوها ووصلوا فى ذلك الى ما يسميه الكتاب الانجليز Mathematical precision فأصبحت كلمات الجملة وصياغتها محسوبة حسابا دقيقا لتؤدى المعنى المراد على صورة تبعد بالقارئ عن اللبس واحتمال الوجهين . وانعكس ذلك على طريقة عرض المادة العلمية فأصبحت العناصر الواجبة التقديم هى العناصر التى تقف مما بعدها موقف التمهيد من النتيجة وبذلك تسهل الاشارة فى الفقرة اللاحقة الى الفقرة السابقة . ومن قبيل ذلك ايضا انهم لا يستعملون المجاز ولا العبارة الذاتية كالتعجب والمدح والذم واسماء الانفعال والاصوات ونحوها ولا يستعملون المصطلحات الا أن يكون معناها ذا شيوع عرفى والا قدموا ايضاح هذا المعنى قبل الدخول فى البحث نفسه بما يسمى Glossary وبذلك تسهل قراءة العلم وتتصف اللغة بصفة الاداة العلمية . واذا لاحظنا ما يفعله الكتاب فى ايامنا هذه وجدناهم فى مجموعهم لا يقدمون للبحث بايضاح المصطلحات وانما يلجأون الى بيان معنى كل مصطلح عند ايراده فى النص — والبعض لا يفعل ذلك .

وعيب هذه الطريقة ان القارئ اذا صادف المصطلح فيما بعد أثناء قراءة البحث نفسه كان عليه ان يفتش على معناه تفتيشا مضنيا حتى يجده ولو ذكر معناه فى اول البحث لكان ذلك عليه اسهل . ومنهم من يقف جهله بالعربية دون احكام العبارة ، فتؤدى عبارته احيانا الى اللبس التام واحيانا الى الركة فى الاسلوب مما يذهب باحترام بحثه ويقلل من قيمته والقدرة على الانتفاع به .

واما لغة الادب فان قلة العارفين بالقواعد بين ادبائنا جعلت ادبنا المعاصر ادبا ملحونا . وزاد الامر سوءا ان عزف ادباؤنا عن العبارة البليغة تحت دعوى العناية بالمضمون ، وما كان للمضمون الجيد ان يتطلب لغة رديئة حتى ولو كان للادب ميول واقعية . ولقد مال النقد الادبى فى ايامنا هذه الى ان يستعير

لغته ومعاييره من بيئات اجنبية فاصبح موقف النقاد من اصالة الادب موقف دعاة الحضارة الحديثة من تعنف المراة العربية كلاهما يرى فيما ينقذه صورة للرجعية لا تتناسب مع مطالب العصر ولو انصفوا لاستنبطوا من الادب الاصيل ومن تعفف المراة العربية المسلمة عناصر للتطور ولم يفرضوا على اجيالنا مقاييسهم الفنية والخلقية المستوردة من بيئات غريبة على فكرنا ولغتنا وتقاليدنا . ولقد كان من حسن الطالع فى وطننا العربى ان النقاد لم يكن لهم من الاثر ما يعفى على اصالة الادب ، ولو استطاعوا لجعلوا من الادب العربى ادبا رمزيا يخاصم المعجم سرياليا يخاصم الوعى او لا معقولا يخاصم المنطق ، فلقد فتن الكثيرون من نقادنا بهذه الاتجاهات الادبية ودافعوا عنها ولكنهم جروا فى الحلبة ساقة ولم يجروا روادا وسلمت للادب اصالته بسبب ضعف هذه المؤثرات النقدية . ولكن الاثر الوحيد الذى تركته هذه المؤثرات هو حرية الشعر واستغلاق العبارة فى النقد ، واذا كانت حرية الشعر تجربة فان استغلاق العبارة مرض ينبغى لنا ان ننهض لعلاجه والقضاء عليه .

هذه مشكلة من اعقد المشاكل التى تواجه دعاة التطوير . فما كدنا ننفض عن انفسنا غبار العصر التركى حتى وجدنا تقاليد اسلوبية عقيمة راسخة الجذور منذ عصور التخلف بل منذ عصور الزخرف العباسى نعم لقد كانت التجربة اللغوية العباسية مصدر نعمة ومصدر بلاء فى وقت واحد . فلقد شهد هذا العصر نموا علميا اعطى اللغة طواعية هائلة فى مجال التعبير عن حقائق العلم ولكنه فى مقابل ذلك شهد نشاة البلاغة باعتبارها منهجا شكليا خالصا للنقد الادبى ، وكان للنقاد البلاغيين اثرهم فى ارساء تقاليد للتعبير الجميل المبنى على الزخرف اللفظى فكان لها صداها حتى فى بعض المتون العلمية ، والذى كان زخرفا جميلا فى عصر العباسيين اصبح حملا ثقيلا على العبارة فى العصور اللاحقة . ونما هذا الاتجاه ، بل استشرى هذا المرض حتى افرغت العبارة العربية من مضمونها الصادق فعمدت الى المبالغة الكاذبة حتى اصبح الاسلوب العربى يحمل فى طياته اشارات خلقية ونفسية واجتماعية تدعو الى الحسرة . وعم ذلك وطم حتى تسلمنا نحن التركة فلم نجد امامنا الا ان نبنى على ركام الماضى وبه. واستمع الآن الى النقد الموجه الى الاسلوب العربى من غير العرب وستسمع منهم كلمات الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة الى غير ذلك من العبارات التى يضيق بها الصدر . فما العمل ؟ وكيف نستطيع الوصول الى اصلاح اساليبنا ؟ يقولون ان اسلوب المرء جزء لا يتجزأ من شخصيته . فهل نصلح امر الشخصية العربية اولا قبل ان نتصدى لاصلاح الاسلوب ؟ وكم من الوقت يقتضينا ذلك ؟ ويقولون ان اللغة العلمية لا تحتمل الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة . فكيف نصل باسلوبنا العلمى الى مستوى يتخلص فيه من كل ذلك فنرسى تقاليد للعبارة العلمية الدقيقة باللغة العربية ؟ الق نظرة على الرسائل العلمية التى يكتبها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات وستدرك المسافة التى علينا ان نحبوها فى هذا الاتجاه . ويقولون ان الادب ليس مضمونا فقط وانما هو مضمون قيم وعبارة ناصعة صحيحة جميلة — وان على الادب ان اراد ان يصل الى المستوى العالمى ان يجرد المضمون والعبارة على السواء . وقلت منذ قليل ان جهل الكثيرين من ادبائنا بالقواعد العربية جعل الادب العربى ادبا ملحونا فى مجموعه — ولست اتجنى على ادبنا المعاصر . فكيف نقوم المعوج فى هذا الادب ؟

هذه هى المشكلات التى تصادفنا فى سبيل تطوير الاسلوب ولست احمل عصا سحرية استطيع بها ان احصل على الطريقة المثلى لهذا التطوير ولكن الامل الذى يحدونى فى هذا الاتجاه ان يكون هذا الموضوع مشكلة مطروحة فى عدد من المؤتمرات على مستوى الامة العربية كلها — وعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده . ولكن الى ان يصل هذا الفتح او ذلك الامر لا بد ان ادق اجراس الخطر فى آذان كتابنا من العلماء والادباء على السواء .

4 — المصطلح وتطويره :

ومن اوجه القصور فى استعمالنا للفصحى ما سبقت الاشارة اليه اشارة عند الكلام عن لغة العلم منذ قليل: وهو فوضى المصطلحات الفنية فى الوطن العربى . وتبدو هذه الفوضى فى مظاهر مختلفة احدها ان العائدين من طلاب البعثات فى جامعات الغرب يعودون الى بلادهم بمادة علمية جديدة ليست ذات اصول راسخة فى البيئة العربية وهم يستعملون فى الكلام فى حقائق هذه المادة مصطلحات اجنبية لا مقابل لها بالعربية فيلجأ كل واحد منهم على حدة الى ايجاد مقابلات عربية لهذه المصطلحات بواسطة الارتجال او التعريب او الترجمة،

ويلجأ غيره الى غير ذلك ، فتتعدد المصطلحات الدالة على فكرة واحدة ، وقد يحدث ذلك فى معهد واحد يضم اثنين من هؤلاء العائدين او اكثر . والصورة الثانية لهذه الفوضى ان نشاط كل مجمع من المجامع اللغوية وكل جامعة من الجامعات العربية وكل هيئة من الهيئات العاملة على تنمية اللغة وتطويرها يتم بمعزل عن نشاط الهيئات الاخرى . ولا بد مع هذه الحال ان تتشعب النتائج وتحدث الفوضى . والصورة الثالثة لهذه الفوضى فى المصطلح ان النشاط المعيارى الذى تقوم به المجامع اللغوية حين تصوغ المصطلحات للافكار الوافدة يتم بمعزل عن تراثنا الثقافى الحافل بالمصطلحات الصالحة للاحياء والاستعمال .

ان كل امة من الامم تفتقر الى الاستمرار التاريخى ليحفظ عليها طابعها واصالتها وان هذا الاستمرار التاريخى لا يتحقق الا باحياء التراث ، واذا لم نحرص على احياء تراثنا العربى الآن فان اجيالنا القادمة ستفقد رابطتها التاريخية بأجيالنا السابقة ، وان الامة العربية اذا لم تحافظ على مقوماتها الفكرية وتمنحها الاستمرار اصبح مجرد الدعوى بوجود امة عربية موضع شك . ولكن كيف نستطيع ان نمنح هذه المقومات الفكرية عنصر الاستمرار ؟ الجواب على ذلك يسير : بالمحافظة عليها وتطويرها . ويتبع ذلك بالطبع انه ليس من المحافظة ولا من التطوير ان نترك مصطلحا استعمله السلف يستخفى استحياء ثم يموت فى بطون الكتب ونعمد الى التفيهق بصياغة مصطلحات جديدة تحتاج الى سند من العرف العام وتفتقر الى حسن نية الكتاب للوصول الى مجال هذا العرف او نعمد الى الاستخذاء بتعريب مصطلح اجنبى ولدينا بديله العربى فى كتب التراث .

وعند الكلام فى تطوير لغة العلم فى اتجاه اللغة المساوية المضبوطة يستحق المصطلح العلمى نظرة خاصة . ان مكان المصطلح من الفكرة يشبه مكان اسم العلم من المسمى . واذا صح فى المسمى احيانا ان ينادى بكنيته او لقبه فلا يصح للفكرة العلمية ان يشار اليها بغير المصطلح العلمى . فهم ذلك القدماء كما فهمه المحدثون . وتعارف الناس قديما وحديثا على التفرق بين الدلالتين اللغوية (وهى عرفية عامة) والاصطلاحية (وهى عرفية خاصة) حتى انهم اذا تعدد الاطلاق الاصطلاحى لكلمة ما حاول الناس ان يفرقوا بين اطلاقاتها المختلفة فيقولون مثلا فى معانى كلمة الفاعل ان معناه فى اللغة الذى فعل وفى النحو الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم الخ .. وفى الفلسفة ضد القابل (والقابلية والفاعلية من المقولات العشر) وفى علم الجريمة مقترفها وهلم جرا . ومن هنا اجد مشكلات التطوير للمصطلح لا تتناول هذا الجانب الاستعمالى الا فى اضيق الحدود كأن تهيب بكتابنا مثلا ان يحددوا مصطلحاتهم التى لم تكتسب الطابع العرفى قبل استعمالها لتكون دلالتها على المراد واضحة .

ولكن هناك جوانب اخرى يحسن لنا ان نفكر فيها عند ما نتناول تطوير المصطلح . من ذلك مثلا الا يشير الكاتب الواحد الى الفكرة الواحدة بأكثر من مصطلح واحد فيسميها هنا باسم وهناك باسم آخر لان ذلك لا بد ان يؤدى الى الغموض وتعطيل الفهم . والكثيرون من كتابنا يقعون فى هذا المحظور ولا سيما من يتصدى منهم للكتابة فيما لا يحسن واكثر هؤلاء فى مجال الصحافة والاعلام . ومن ذلك ايضا يتشعب المصطلح بين العلماء للدلالة على فكرة بعينها واقرب مثال اسوقه لهذا ما الاحظه من المشتغلين بالدراسات اللغوية فالفكرة التى تسمى لدى الغربيين Phoneme تسمى عند البعض الفونيم وعند الآخر بالحرف وعند الثالث بالوحدة الصوتية ، والذى يسميه الغربيون Morpheme يسميه بعضنا بالمورفيم والبعض بالمبنى الآخر بالوحدة الصرفية . وما يسميه الغربيون onsonant يتردد بين الصامت والصحيح ، وما يسمونه Vowel يتردد بين الصامت والمعتل . والامر يدعو دون شك الى الالتقاء عند مصطلح واحد للفكرة الواحدة اذا اردنا حقيقة ان تكون لدينا حركة علمية مزدهرة .

واولى من ذلك بالتوجس امر صياغة المصطلح العلمى توليدا او تعريبا او ترجمة . نحن نعرف اننا فى ايامنا هذه تلاميذ للغربيين نتلقى عنهم الحضارة والعلم والتكنولوجيا ونتخذهم قدوة لنا على محبة التقدم . والافكار تنشأ عندهم فيسمونها بأسماء مشتقة من اللاتينية واليونانية القديمتين وحين تصل الفكرة الينا تحمل معها اسمها التى اطلقه عليها اصحابها . ونحن نريد ان نعرف هذه الفكرة وان نعلمها لابنائنا من الطلاب العرب فبم نسميها ؟ انحتفظ باسمها الاصلى ام نحوره ليناسب طرق الصياغة العربية دون ان يفقد ما يدل على منبعه ام نستلهم لغتنا ان تمدنا بكلمة تحل محل الكلمة نصوغها توليدا ام نترجم هذه الكلمة ترجمة ام نبحث — وهذا اولى ما تقدم من الحلول بالاعتبار —

فى كتب التراث عن مصطلح يدل على فكرة ذات صلة بالفكرة الحاضرة بحيث تعتبر الحاضرة تطويرا لها وتقدما بها فنستخدم مصطلح التراث للفكرة الحديثة ؟

ان الذى اراه ذا جدوى ان الجهات المعنية بالاصطلاح فى الوطن العربى كالمجامع والجامعات والجمعيات اللغوية ينبغى لها عند التفكير فى صياغة مصطلح جديد ان تعود اولا الى تراثنا العربى العظيم تحاول ان تكشف فيه عن مصطلحات بطلب بالتقدم العلمى ولكنها صالحة بحكم تعبيرها عن حقيقة علمية ذات صلة بالحقيقة الجديدة التى يراد ايجاد مصطلح لها ان تعبر عن هذه الحقيقة فعندئذ يكون المصطلح العلمى القديم اولى بالاستعمال من المولد او المعرب او المترجم ، فاذا لم يكن فى التراث ما يصلح ذلك فان التوليد هو الخطوة المنطقية التالية على ان يكون المصطلح المولد مما يسهل ارتباطه بالتعبير عن هذه الفكرة ويلى ذلك تعريب المصطلح الاجنبى وذلك بتقريب بنيته من الطابع العربى من حيث الاصوات والصيغة وقابلية التركيب العربى له ، فلا ينبغى ان يكون متنافر الحروف ولا مما يجتمع فيه ساكنان الخ . واضعف الامور فى هذا النشاط ان نعمد الى المصطلح الاجنبى فنترجمه ترجمة لفظية وعيب هذه الطريقة ان الاطلاق الاصطلاحى غالبا ما ينبغى على تجاهل الاطلاق اللغوى العام . ومن هنا تبدو الترجمة غير مفهمة اضف الى ذلك ان طرق التركيب المزجى فى اللغات الاجنبية قد لا تناسب اللغة العربية فلا يمكن للعربى ان يقدم فى مقابل المركب المزجى مركبا آخر ومن هنا يضطر المترجم الى كلمتين او اكثر فى مقابل الكلمة الواحدة كالذى يحدث عند ارادة ترجمة Transcendental او Pseudo-philosophical او Anglo-Arabian الخ .

هـ ــ التعليم وتطويره :

على الرغم من ان الدراسات العربية كانت فى منشئها نابعة عن ارادة الضبط والتعليم ومواجهة موجة اللحن التى طمت فى البيئة العربية فى العصر الاموى جاء اول كتاب فى قواعد اللغة موسوعة غير صالحة لان تتخذ متنا لتعليم اللغة . ولقد سمعنا ان علماء اللغة انفسهم كانوا يستعظمون هذا الكتاب ويقول احدهم للآخر عند ذكر كتاب سيبويه : « هل ركبت البحر » من هنا احس المؤدبون والمعلمون حاجة ملحة الى الكتب المختصرة لتعليم اللغة حتى كاد اول مختصر يكون معاصرا لكتاب سيبويه نفسه وكان من عمل الكسائى . ويروى ابن النديم فى الفهرست عددا من العلماء الذين عنوا بوضع المختصرات للمتعلمين فيبدى مقدرا عناية السلف بهذه الناحية من نواحى النشاط اللغوى واستمرت عناية العرب بتعليم لغتهم على مر العصور حتى جاء الاحتلال التركى فانحسر المد واستعصمت اللغة العربية بقلاعها من الجوامع التى كان اشهرها الجامع الازهر فى مصر . فلما عنى العرب بتعليم اللغة فى العصر الحديث لم تعد الكتب القديمة ملائمة لنتائج التربية الحديثة ولم يكن للعرب من القدرة على تطبيق هذه النتائج ما يسمح لهم ان يرتفعوا بتعليم لغتهم الى مستوى تعليم اللغات الغربية . ومن هنا اتسع البون فى ميدان التعليم بين لغتنا ولغات الغرب ورسفت اللغة فى قيود ما ذكرنا من عيوب قواعدها واشتهرت بالصعوبة بين الناس وعزف ابناؤها عن تعلمها ووسموها بالتخلف حتى راينا المثقفين المحدثين يتندرون بأصحاب الثقافة العربية الاصيلة ويرون فيهم مثلا من امثلة الرجعية . العيب الاساسى اذاً فى تعليم اللغة العربية هو تخلف هذا التعليم من جهتين اولاهما اختلاط منهج القواعد العربية بأفكار غير نحوية جاء بعضها من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وجاء بعضها الآخر من خطأ النظرة فى اصول النحو نفسه باصطناع العلل الغائبة والتأويل ، وثانيتهما تخلف طريقة التدريس ومنهجه عن النتائج الباهرة التى وصل اليها علم التربية وعلم اللغة التطبيقى Applied linguistics واصبح السائد عندنا اننا لا نفرق كثيرا فى المنهج بين تعليم الصغار وتعليم الكبار وتعليم الاجانب ، ولكل تعلم من هذه طرقه ومناهجه عند الدول المتقدمة . ولقد كان من نتيجة ذلك كله ضعف المستوى العام لمعرفة المتعلمين باللغة القومية حتى ان المرء ليلاحظ هذا الضعف فى البلاد العربية جميعها لا فرق بين واحد منها والآخر فأصبح الامر يدعو الى حملة قومية عربية تتضافر فيها الجهود لتأمين الخبرات والموارد ابتغاء الوصول الى وضع اللغة العربية وضعها الصحيح فى العالم المعاصر .

وهناك امر لا يقل خطورة عما سبق يتطلب عناية العرب وتضحياتهم وهو ما نلاحظه من عجمة التعليم الجامعى فى بعض تخصصاته فلا تزال جامعاتنا تتردى فى منزلق العزوف عن لغتها فى الطب والهندسة وبعض التخصصات الاخرى على الرغم مما لدى العرب من تاريخ ناصع فى هذه الدراسات . ولست ارى السبب فى ذلك راجعا كما يقول المتخصصون فى هذه المواد الى

خوف من الانقطاع عن مجرى البحث العلمي في العالم وانما يعود هذا التخلف الى جهل المتخصصين في هذه الفروع بلغتهم القومية وعدم قدرتهم على تأصيل هذه الدراسات بلغتهم العربية ولقد اطمأنوا لهذا السبب الى ان يجعلوا عالمنا العربي تلميذا للغرب .

بنيت التربية اللغوية في التاريخ العربي على استظهار القواعد من المتون سواء في ذلك المتون المنثورة او النظرية ، واتخذ المؤدبون في مختلف العصور موقف الملقن والمصحح فقامت عملية التعليم في احد جوانبها على التدريب والتصحيح . واللغة تكتسب كما تكتسب العادات والمهارات ولا يكون اكتسابها ولا اكتساب العادات والمهارات الا بمداومة التدريب المبني على اسس فنية ومنهجية . ولقد حفلت وصايا المؤدبين منذ القديم — واشهرها صحيفة بشر بن المعتمر — على اذكى اللفتات والتوجيهات المترتبة على الخبرة . ولكن الذي لا شك فيه ان تطوير تعليم الصغار وهناك تعليم الكبار (او ما يسمونه محو الامية) ، ويأتي بعدهما تعليم اللغة للاجانب ، ولكل من هذه الانواع منهجه الذي ينبغي ان يكون فيه اختلاف عن منهج الآخر بحكم اختلاف السن او بحكم اختلاف العادات اللغوية بين الوطني والاجنبي فهذه العادات اللغوية بحكم رسوخها وتأصلها في النفس لا بد عند التخطيط لتعليم الاجانب من اخذها في الاعتبار . وبالنظرة العجلى الى تعليم اللغة العربية في وقتنا هذا يمكن للمرء ان يرى ان كل دولة عربية تضع مناهجها وبرامجها الخاصة وان عنصر التنسيق لا وجود له تقريبا بين هذه المناهج والبرامج. وقد يقال ان البرامج المختلفة اجتهادات مختلفة للوصول الى كفاءة مرجوة للمتعلم ، ولكن الواقع يكذبهذا الزعم لان حذف اللغة واكتساب القدرة فيها اصبح املا لكل من يلاحظ الضعف العام لمستوى طلاب اللغة وخريجي الجامعات في الوطن العربي كله وهو امر ينعكس على الحياة العامة التي تتخذ من هؤلاء الخريجين الضعفاء علماء اليوم وكتابه وادباءه اللحانين ذوي الاسلوب الفضفاض .

والذي اقترحه لتعليم اللغة العربية للصغار ان يقوم هذا التعليم لا على اساس المناهج التقليدية السائدة في الوقت الحاضر وانما ينبغي اولا ان تجرى البحوث الجادة للوصول الى الحصيلة اللغوية لهؤلاء الصغار بتحديد المفردات العربية الفصيحة التي يشيع استعمالها في كلامهم والمفردات العلمية التي تعتبر قريبة الشبه من مفردات عربية فصيحة ، ثم نجعل من هذه المفردات جميعها نقطة بداية لتعليم الطفل فلا يصطدم الطفل منذ اللحظة الاولى بالغريب من المفردات فيخطر في باله ان الفصحى لغة غريبة عنه وان تعليمها حمل عليه وهو ما زال غض العود هش البنية . ثم علينا ايضا ان ننظر الى كسب اللغة لدى الطفل نظرتنا الى كسب العادات والمهارات فنعنى بالجانب العملي التدريبي اكثر مما نعنى بالقواعد المعقدة التي قد يحتاج فهمها الى مستوى اعلى من مستوى الطفولة . وليكن هذا التدريب موجها الى اللسان والقلم وليكن مرماه الصحة والطلاقة وبحسبنا ان نسعى الى هاتين الغايتين في تلك المرحلة المبكرة تاركين الدقة والجمال لمرحلة الفتوة والشباب بعد ذلك .

واجدر شيء بالاعتبار في تعليم الكبار الاميين ان يرتبط هذا التعليم منذ البداية بالصالح العملي للمتعلم وان تكون امثلة التعليم مأخوذة من التراكيب التي يستعملها المتعلم في حياته اليومية والا يصر المعلم على الفصيح وانما يصر على المشهور وان كان هذا المشهور موغلا في العامية . فاذا كان المتعلمون هنا من بيئة متدينة فلا بأس من اختيار قصار الآيات والاحاديث المستعملة كثيرا في هذه البيئة اذ تجرى الآياتالقصيرة او العبارات المأخوذة من الآيات او قصار الاحاديث على السنة العوام يتمثلون او يستشهدون بها احيانا فهذه جزء من لغتهم القومية يسرهم ان يتعلموا كتابتها كما سرهم ان يحفظوها عن ظهر قلب .

والخطب في تعليم الاجانب افدح لان العادة اللغوية ككل عادة اخرى يصعب اكتسابها جنبا الى جنب مع عادة اخرى متأصلة . وقديما التفت الشاعر الى هذا المعنى بقوله : « فصادف قلبا خاليا فتمكنا » وقلب الاجنبي مشغول بلغته الاصلية وكل انسان في العالم يرى لغته هي الوحيدة بين اللغات مطابقة للمنطق وانسجاما مع طبيعة التعبير وآية ذلك ان كل عربي في هذا المؤتمر يرى لهجته العامية الخاصة خيرا من العاميات الاخرى في الوطن العربي ، بل قد يسخر بينه وبين نفسه من بعض هذه العاميات ومن هنا يحسن ان تكون نقطة البداية في تعليم اللغة للاجانب ان يعمد المعلم الى المقارنة بين تراكيب العربية وتراكيب لغة هذا الاجنبي ومن هنا يصبح تعليم العربية للاجانب عملا تخصصيا لا يقوم بالتعليم فيه الا من يحسن لغة المتعلم فاذا لم تكن لغة الاجنبي مشهورة او لم يوجد من يعرفها

فليقع الاختيار للمقارنة على لغة عالمية مشهورة يحسنها المعلم والمتعلم جميعا .

6 — جهود التطوير وتنسيقها :

لا شك ان الرغبة فى تطوير اللغة العربية رغبة حقيقية لدى العرب ، ولكن هذه الرغبة كالكثير غيرها من الآمال القومية يقوم دون تحقيقها توزيع الجهود العربية بسبب المبالغة فى الولاء الاقليمى . ففى الوطن العربى دول مستقلة ذات سيادة ولا جدال فى ان من حق كل دولة ان تحرص على هذه السيادة وان يكون لها حدود وعلم ونشيد وطنى وحكومة تسهر على مصالحها ولكن ارتباط المصير العربى يؤكد وجود مجالات قومية لا تهم دولة عربية بمفردها وانما تهم العرب جميعا ويتوقف عليها وجودهم - والحفاظ على اللغة العربية فى مقدمة هذه المجالات القومية لان اللغة العربية هى المبرر الوحيد للقول ان هناك امة عربية مستمرة فى التاريخ وقائمة فى الحاضر . والعجيب ان مناط الوحدة فى هذه الامة يتعرض اليوم برغبة التطوير الى ان يصبح سبب الفرقة والتمزق . فلقد دعت الغيرة على هيبة الدولة فى طائفة من البلاد العربية ان تستقل كل دولة بانشاء مجمع يسمى اللغوى تارة والعلمى تارة اخرى ويسعى الى تطوير اللغة على طريقته التى يختطها فى حقل لغة الحضارة او لغة العلم وكأن لكل دولة عربية لغتها العربية الخاصة . ولا بد فى هذه الحال ان يصل كل مجمع الى طائفة من الالفاظ مختلفة عما وصل اليه المجمع الآخر ويكون اتجاه تطوير اللغة الى التفريق والتمزيق لا الى الضم والتوحيد .

ومثل ذلك يقال عن الجامعات فى الوطن العربى . ولقد سبق ان ذكرنا كيف يخترع الاساتذة مصطلحاتهم الخاصة فى المواد الحديثة حتى يحدث انفصام فكرى فى الكلية الواحدة حين يكون استاذان مكلفين بالتدريس لفرقة واحدة ولمادة واحدة فيتوزعان طلبة هذه الفرقة ويستعمل كل منهما مصطلحه الذى ارتضاه فيتحدث طلبة احدهما لغة غير التى يتحدث بها طلبة الآخر . فاذا حدث هذا فى كلية واحدة فكيف تكون الحال على رقعة الوطن العربى كله ؟ اننا اذا سمحنا للامور ان تجرى هذا المجرى قدمنا الحجة الدامغة التى يواجهنا بها دعاة العجمة فى التعليم الجامعى . سيقول هؤلاء ان المصطلح فى اللغات الاجنبية التى نستعملها فى الجامعات واحد وهو بهذا صالح لانشاء وحدة فكرية فى العلم هى اولى بالاعتبار عندنا من استعمال اللغة العربية . فهل تريدون للعلم فى الجامعات تعريبا فوضويا يقضى على هذه الوحدة الفكرية فى العلم ؟ لقد كان السلف من علمائنا حريصين على توحيد لغتهم العلمية واستطاعوا بهذا ان يحافظوا على وحدة الفكر حتى كان من اليسير ان يتعلم احدهم فى اقليم عربى ويتولى التدريس فى اقليم آخر ويلى القضاء فى اقليم ثالث ، يفعل ذلك لا عن طريق الاعارة او الندب او التعاقد وانما يفعله فى حدود وطنه الكبير شرق برحلته او غرب . وكان من اليسير على الطالب فى الاندلس ان يفهم لغة البيرونى التى كتبها فى الهند ولغة ابن سينا التى كتبها فيما وراء النهر . فكيف يستقيم لنا مع هذا التاريخ ان نضرب مثل الطالبين فى الكلية الواحدة وقد ذكرنا ذلك منذ قليل .

ومثل ذلك يقال عن الجمعيات اللغوية المبعثرة فى بلادنا العربية ، ان لنا جمعية لغوية فى مصر شرفنى بان اكون اول رئيس لها واعلم ان بالجزائر جمعية اخرى وهناك جمعيات فى اماكن اخرى فى بلاد العرب، ومع ذلك لم تلتق واحدة من هذه الجمعيات بالاخرى فتوحد معها لغتها . ان هناك اختلافا بيننا وبين زملائنا الجزائريين فى العنوان العام للعلوم التى نشتغل بها وهى ما يسمونه فى الغرب Linguistics فنحن نسميها علم اللغة ويسميها اخوتنا الجزائريون اللسانيات . فاذا لم نتفق على العنوان فكيف بالتفاصيل .

7 — تنسيق جهود التطوير :

لقد اشرنا من قبل الى حق كل دولة عربية فى ان تستقل سياسيا وان يكون لها علم ونشيد ورقعة جغرافية واذاعة الخ . (ولست ادافع هنا عن اية صورة من صور الوحدة السياسية بين الدول العربية، ولكن الوحدة العربية وحد الثقافة واللغة) . ووحدة اللغة قائمة فعلا بين العرب حتى يرث الله الارض ومن عليها ووحدة الثقافة امل ارى العرب يحرصون عليه جميعا وهذا المؤتمر واحدة من الادلة على صدق هذه الدعوى ولا تستطيع الامة العربية ان تفرط او تفكر فى التفريط فى هذه الوحدة الثقافية الا ان تكون ساعية الى حتفها وفنائها كأمة لان البديل عن الوحدة الثقافية الحاضرة ان تتعدد الثقافات بتعدد الدول العربية . وهذه النهاية المشئومة يمكن التردى اليها عن غير عمد اذا سمحنا لجهود التطوير ان تتشعب لان التطوير تغيير والتغيير اذا لم تتحد فلسفته كان تشعبا وتمزقا.

ومعنى ذلك ان كل تطوير فى حقل اللغة العربية لا بد للعرب من ان يجتمعوا له على فلسفة واحدة لان ذلك شرط من شروط ترابط هذه الامة ترابطا ثقافيا ، بل انه شرط من شروط وجود هذه الامة وجودا ماديا .

ولكننا نلاحظ ان كل دولة تخطط لنفسها فى حقل اللغة والثقافة وهذا هو النذير للعرب بين يدى عذاب شديد . فما طريق الخلاص ؟ طريق الخلاص فى رايى ان توضع جميع الجهود المتجهة الى تطوير اللغة فى يد الجامعة العربية لان هذه الجامعة تستطيع ان تؤدى اجل الخدمات للامة العربية فى هذا المجال ويسجل لها التاريخ ان الجامعة العربية وجدت رسالتها الحقيقية فى حقل الثقافة فوحدت العرب عن هذا الطريق .

فليكن هناك اتحاد للمجامع العربية يلتقى فى مؤتمر سنوى لتنسيق جهود المجامع والعمل على توقى التشعب فى هذه الجهود وليكن اتحاد الجامعات العربية مؤسسة ثقافية لا ادارية لان انشاء اتحاد لادارات الجامعات لا يقدم للعرب شيئا عظيم الخطر ولان سياسات الجامعات كسياسات الدول العربية نفسها يصعب ان تلتقى . وليكن هناك اتحاد للجمعيات اللغوية فى البلاد العربية يعمل على ربط هذه الجمعيات وتنسيق جهودها . ويمكن لهذه الجمعيات تحت راية الاتحاد ان تؤدى اجل الخدمات فى تأصيل الدراسات اللغوية الحديثة فى الوطن العربى بمصطلحات موحدة . وتشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على كل هذه الاتحادات وتعقد لها المؤتمرات وتهيىء لها فرص الاتصال بالهيئات الدولية المختلفة . هذا هو الحل الوحيد الممكن فى ظل الفوضى الثقافية الضاربة الاطناب فى البلاد العربية . وعلينا ان نضع الخطط اللازمة لوضع هذا الحل موضع التنفيذ . وكل نواحى القصور التى ذكرتها فى هذه المقالة منسوبة الى جهود تطوير اللغة يمكن ان تعالج تحت راية الجامعة العربية وفى نطاق هذا التنسيق المقترح ، يصدق ذلك على القواعد كما يصدق على المعجم والاسلوب والمصطلح والتعليم والكتابة ووسائل النشر .

8 — نظام الكتابة وتطويرها :

من القواعد المقررة فى علم اللغة الحديث ان افضل النظم الكتابية ما توافرت له الشروط الآتية :

ا — ان يمثل النظام الكتابى النظام الصوتى للغة بمعنى ان الوحدات الصوتية (الحروف Phonemes هى التى يرمز لها فى النظام الكتابى ولا يرمز للاصوات Sounds التى تندرج تحت كل حرف لان الرمز الى الاصوات الجزئية انما يكون فى الكتابة الصوتية التحليلية لا فى النظام الكتابى لاستعمال اللغة .

ب — ان تقوم العلاقات بين الرموز والوحدات الصوتية بواقع رمز واحد لكل وحدة صوتية فلا يستعمل رمز مركب Diagraph للوحدة الصوتية الواحدة ولا يستعمل رمز كتابى مفرد لصوت مركب Diaphone ولا يستعمل رمز معين للدلالة على وحدة صوتية مرة ووحدة ثانية مرة اخرى .

ج — ان تكون الرموز الكتابية بسيطة الصورة قدر الامكان بحيث لا يصعب كتابتها ويتصل بذلك ضرورة الاقلال من العلامات الاضافية فى الرمز Diacritical marks بل يحسن اسقاط هذه العلامات تماما .

د — ان تتساوى الوحدات الصوتية فى ضرورة تمثيلها برموز كتابية فلا يعنى النظام الكتابى ببعضها اكثر مما يعنى بالبعض الآخر .

وسنرى فيما يلى مدى تحقق هذه الشروط فى الكتابة العربية :

ا — الشرط الاول :

لا شك ان الكتابة العربية مستوفاة من وجهة نظر هذا الشرط فان رموز هذه الكتابة تعنى بالحروف وتقف عن الاصوات المفردة ودليل ذلك ان تعداد اصوات النون فى اللغة العربية لم يغر النظام الكتابى بتعديد رموز النون فنحن نعلم ان من اصوات النون ما ينطق بالشفة السفلى مع الاسنان العليا فى « ينفع » ومنها ما يخرج فيه اللسان كما فى « ينظر » ومنها ما ينطق فى مغارز الاسنان كما فى ينطق ومنها ما ينطق فى اللثة كما فى انا او فى نطع الغار كما فى ينشأ او فى مؤخر سقف الفم (الطبق) كما فى « ينكر » او فى اللهاة كما فى « ينقل » . ومع ذلك عنى النظام الكتابى بالحرف وعمومه دون الاصوات فى خصوصها ويقال مثل ذلك عن الصحاح الثمانية والعشرين والحركات الثلاث والمدود الثلاثة . وقصارى ما نلاحظه هنا ان السكون وهو سلب الحركة كان يكفى فى تمثيله الا تكتب الحركة ولكن عدم اطراد كتابة الحركات فى الاستعمال علق ظاهرة الوقف بكتابة السكون وهذا عذر نحوى عن مخالفة تتعلق بالصلة بين النظام الحرفى Phonological

والكتابي Alphabetical ان اللغات الغربية الحديثة لتحسد اللغة العربية على هذه الدقة فى الكتابة ولا يخفى علماء اللغة فى الغرب اعجابهم بالكتابة العربية حين يوازنون بينها وبين الكتابة الانجليزية او الفرنسية فى مجال هذا الشرط الاول .

ب ــ الشرط الثاني :

ليس فى الرموز الكتابية رمز مركب للدلالة على حرف مفرد كالذى نراه فى الانجليزية مثل ch او gh او gh او ough او فى الفرنسية مثل eau او غير ذلك وليس فى اللغة العربية رمز واحد يدل على حرفين الا ما تشير اليه علامة التشديد من تطويل الاعتماد فى نطق الحرف فهى بهذه المثابة اشبه بأن تكون علامة مد ، ولكنه مد من نوع خاص لا يقود الى اعتبارها رمزا لحرفين مختلفين . ولكن رموز الالف والواو والياء تستعمل لاداء وظائف مختلفة فى الكتابة العربية :

فتكون الالف ركيزة لهمزة القطع وتكون للوصل وتكون زائدة بعد واو الجماعة وتكون للمد العادى .

اما الواو فتكون ركيزة للهمزة وتكون للمد وللزيادة كما فى عمرو وتكون صحيحة كما فى وجد .

واما الياء فتكون صحيحة كما فى يضرب ومدا كما فى كريم ورمزا للالف اليائية كما فى رمى وركيزة للهمزة كبئر ، اضف الى ذلك ان ما لاحظناه من زيادة الالف والواو يقابله الحذف ايضا فتحذف الالف من لفظة الجلالة وبعض الاسماء الحسنى كالرحمن والاعجمية كاسمعيل وابرهيم والعربية كالحرث وتحذف الواو من اسماء معينة مثل داود . واما ما يسمونه اللام الشمسية فان اللام تكون فيه رمزا لحروف غيرها فتكتب وينطق غيرها ولكن الاعتبارات الصرفية هنا تحتم هذا الاستعمال لان هذا موضع اللام فى نظام اللغة.

جـ ــ الشرط الثالث :

يظهر عيب الكتابة العربية بالنسبة لهذه الناحية واضحا جليا وذلك للشبه القائم فى الصورة بين الباء والتاء والثاء والنون والياء فى الاول والوسط كما تتشابه صور الجيم والحاء والخاء وكذلك الدال والذال ثم الراء والزاى ثم السين والشين ثم الصد والضاد ثم الطاء والظاء ثم الفاء والقاف فى الاول والوسط . ولقد كان الشبه بين هذه المجموعات سببا فى الكثير من التصحيف فى الماضى حتى تصدى لحل هذه المشكلة ابو الاسود ثم الخليل . ولقد كان الحل الذى تقدم به هذان العالمان الفاضلان عيبا جدودا من العيوب الكتابية وهو الاستعانة بالعلامات الاضافية للتفريق بين الصور بواسطة النقط والخطوط تضاف الى صور الحروف ولا تكتب معها على السطر نفسه . اما النقط فقد تحولت من علامات للحركات الى علامات اضافية للتفريق بين الحروف فى الصورة وبذلك بقيت فى الكتابة واصبح لا غنى عنها باعتبارها قرائن على المعنى . واما الخطوط المستعملة للدلالة على الحركات فقد اثقلت الكاتبين قديما وحديثا فاطرحوها ولم يكلفوا انفسهم عناء تسجيلها الا حين يكون امامهم نص واجب الضبط كنص القرآن الكريم وكتب مطالعة الاطفال ، واتكلوا فيما عدا ذلك على قرائن السياق نفسه فى تحديد المبنى والمعنى وكان السياق فى الاغلب الاعم من الحالات وافر العطاء فى مجال القرائن المعينة على الوصول الى امن اللبس. ولكن انعدام الرمز للحركات ادى الى كثير من الاخطاء الصرفية والنحوية التى شاعت بين الناس وغطت على الصور الصحيحة لنطق الكلمة ، نلمح ذلك فى كلمات مثل منطقة ــ ثيمه ــ اكفاء ــ دلالة ــ حرفى ــ حصرى ــ المبرد ــ عامر الشعبى ــ ابراهيم النخعى ــ كوكب ــ المشترى ــ الرقة ــ دمشق ــ الخ ، وقديما شاع مثل هذه الاخطاء فصار مقبولا لانه مسموع ومن ذلك البصرى ــ والتغلبى الخ ، اما الاخطاء النحوية فالمشهور منها عدم مراعاة الحركات فى اواخر الكلمات اما بابدالها بحركات اخرى واما بالاعتصام باسكان اواخر الكلمات .

د ــ الشرط الرابع :

اشرنا عند الكلام عن الشرط الثالث الى ان الحركات كانت تمثل فى الكتابة بعلامات اضافية تضاف الى الحروف ولا تكتب فى السياق على السطر كما تكتب الحروف الصحيحة . ولست ادرى كيف ساغ للخليل رحمه الله ان يعنى فى مجالى المعجم والصرف بالحروف الصحيحة ثم يعكس نظره فى العروض فيعنى فى قياس البحور بالحركات والمدود اكثر مما يعنى بالحروف الصحيحة لقد بنى الخليل نظره فى المعجم على الثلاثة الاصول ورأى ان الاشتقاق ينبنى عليها وان وسيلة بنائه الصيغ هى الحركات والمدود فالحرف الصحيح

فى نظره لبنة والحركات والمدود ملاط تلتحم به اللبنة مع اختها وسادت هذه النظرة نفسها فى التصريف ايضا ثم فى النظام الكتابى للغة العربية وهو نظام حافل بالاعتبارات الصرفة . وفى كل ذلك جعلت الحركة ملك يمين للحرف الصحيح ومن هنا صح للناس ان يملوها ويطرحوها فى الكتابة ويعتمدوا بدونها على قرائن السياق كما ذكرنا ، اما فى العروض فان الاعتبارات الايقاعية والموسيقية للشعر حكمت ان تكون الحركات والمدود هى المنوال الذى ينسج به الشعر واصبحت قيمة الحرف الصحيح قيمة الفترة التى يتم فيها انقطاع الحركة الايقاعية وذلك يشبه الفترات الواقعة بين المقاطع الموسيقية . وبذلك اصبحت الحركة فى الشعر وجودا واصبح الحرف الصحيح عدما ، وذلك عكس ما راى الخليل فى الانظمة الثلاثة الاخرى : المعجم والصرف والكتابة . وكان رحمه الله طليعة الطلائع فى علاج النظم الاربعة .

9 ــ تطوير الكتابة :

ان تطوير الكتابة فى الامم يحمل فى طيه من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا قبل به لاية امة . والذى يبدو من الناحية النظرية ان الكتابة العربية بحاجة الى اصلاح نواحى عيوبها التى استعرضناها من قبل ولكن اصلاح اى جانب واحد من هذه الجوانب يسبب من الصعوبات ما يسببه اصلاح الكتابة كلها . فمن الناحية الاقتصادية يجبرنا اصلاح الكتابة على اعادة طبع التراث طبقا للنظام الكتابى الجديد . وفى ذلك من التكاليف الاقتصادية ما فيه ومن الناحيتين الاجتماعية والنفسية سيكون الجيل الحاضر من العرب على الاقل جيلا موزعا بين نظامين من انظمة الكتابة نشا على احدهما والفه واخترع الثانى ولم يالفه . وفى ذلك من المصاعب النفسية والاجتماعية بالنسبة للجيل الحاضر ما يضيف الى تصوره تصورا والى تخلفه تخلفا والى متاعبه النفسية متاعب نفسية اخرى ، لان ترك المألوف من عادات الحياة اصعب ما يكون على النفس . وحسب الجيل الحاضر من المتاعب ان توزعته السياسات والمذاهب الاجتماعية .

واما ما يتعلق بتطوير الكتابة من المصاعب القومية فقد ذكرنا ان الامم كما تربط الثقافة الواحدة بين ابناء الجيل الحاضر من اجيالها يتوقف استمرارها القومى فى التاريخ على مدى ارتباط هذا الجيل الحاضر بالاجيال السالفة . وفى تعديل نظام الكتابة الحاضر ما يقطع بيننا وبين السلف ويمس الشخصية التاريخية للامة العربية فى الصميم . وفى العالم شعوب ارتضت ان تكتب لغاتها برموز لغتنا وارتبطت فى تاريخها الثقافى بتاريخنا وكان هذا الارتباط كسبا للعرب وشارة من شارات الدلالة على ماضيهم العريق ولو غيرنا من نظامنا الكتابى الحاضر فلربما اشرنا بذلك الى هذه الامم ان تتحلل من نظم كتابتها المعتمدة على الرموز العربية . وفى العالم امم تحللت من الرموز العربية فكان ذلك خسارة ثقافية للعرب . وفى العالم الاسلامى امم لم تكتب لغاتها بعد ، وتعمل الكنيسة الغربية والدول الاجنبية الغربية على ان تغريها باصطناع الرموز اللاتينية فى كتابة لغاتها ، وتعتبر ذلك فى اساسه حربا على النفوذ الثقافى العربى .. وقد نجحت هذه المحاولة فى اندونيسيا اولا ثم فى الصومال ثانيا وخسرنا نحن المعركة فى الحالتين ولكن بصيصا باقيا من الامل فى المستقبل لا يزال يخفق فى مهب رياح الياس فى النفس العربية ولو اجرينا اى تعديل او تطوير جذرى فى نظام الكتابة العربية لانطفأ هذا البصيص الى الابد .

انا اذا اعترف ان للكتابة العربية نواحى قصور واعترف ايضا ان هذه النواحى بحاجة الى تطوير . ولكن الصعوبات تقوم امام هذا التطوير فتردنا الى نظام الكتابة العربية الحاضر وتجعلنا بالحرص على التاريخ والاقتصاد والقومية والتأثير الثقافى حريصين على هذا النظام نفسه مهما كان بحاجة الى الاصلاح . ولكن التطوير يمكن ان يحسن جانب الطباعة فى هذا النظام فكثرة اشكال الحروف الواحد واختلاف احد اشكاله الذى فى البداية عن شكله الذى فى الوسط والشكل الذى فى الآخر واختلاف المفرد عن المركب ومشاكل الحروف المتصلة والمنفصلة وطباعة رموز الحركات الاعرابية وعند ذلك جعلت المطبعة العربية مثقلة بالتعقيدات وجعلت عدد خانات الحروف فى المطبعة كثيرة الى درجة غير معقولة . كما ان الآلات الناسخة العربية Typewriters لا تفى فى الكثير من الاحيان بمطالب ضبط النص وتضيف الى عمل الناسخ مالا يضطر اليه من ينسخ على آلة حروفها الاتينية . فهناك مشكلات الحروف الميتة والحروف المطولة والحروف العالية والسافلة واختلاف اشكال الحرف الواحد على نحو ما اختلفت فى المطبعة العادية . ولا شك ان اصلاح النسخ

والطباعة ممكن ومطلوب لذاته ولا سيما لان اعداء الثقافة العربية فى الامم المتحدة ودوائر المؤسسات فى الغرب توجه هذا النقد الى نظام الطباعة العربية . وكان هذا النقد بالذات هو بعض ما سمعه الصوماليون واستجابوا له فابتعدوا عازفين عن استعمال الكتابة العربية للغتهم بعد ان قامت لجان متخصصة من العرب باختراع نظام كتابى للصومالية مشتق من الرموز العربية وكان معظم الدول العربية بمعزل عن هذه المشكلة التى لم تكن تعنى هذه الدول من قرب او من بعد.

10 ــ تخلف وسائل النشر وتطويرها :

حين ينظر المرء الى المعاهد والمراكز الثقافية الاوربية والامريكية فى الوطن العربى والى ما تقوم به من نشاط فى سبيل نشر لغاتها وجذب الناس الى قراءتها تأخذه الحيرة والحسرة للاوضاع التى تسود سياسة العرب نحو لغتهم . ومن المسلم به ان كل اجنبى يتعلم العربية لا بد ان يكون اكثر قابلية للتعاطف مع العرب من الاجنبى الآخر الذى لم يتعلم العربية . ومن هنا يصبح من الامور التى ينبغى للعرب ان يسعوا الى تحقيقها وان يبذلوا فى سبيلها الغالى والنفيس ان ينشروا لغتهم ليزداد عدد اصدقائهم فى العالم . فما جهود العرب فى هذا المجال ؟

للعرب فيما اعلم معهد عربى واحد فى اسبانيا وبعثة تعليمية فى الصومال ومراكز اسلامية فى لندن وواشنطون فأما المعهد العربى فى اسبانيا والبعثة التعليمية فى الصومال فهما مصريان واما المراكز الاسلامية فهى مشتركة بين طائفة من البلاد الاسلامية عربية وغير عربية . وللعرب سفارات متعددة فى الخارج بتعدد الدول العربية وقد يشتمل بعض هذه السفارات على تمثيل ثقافى وهو قليل ويغلب ان يوجد هذا التمثيل الثقافى فى البلاد التى يدرس فيها الطلاب العرب . وقد يوجد فى بعض السفارات مكاتب اعلامية او صحفية ولكن الاغلب الاعم من السفارات العربية فى الخارج يخلو حتى من هذا المظهر المتواضع من الوجود الثقافى للعرب خارج بلادهم . هذه الصورة القاتمة للنشاط العربى فى سبيل نشر لغة العرب وثقافتهم تبدى الى اى حد تخلف العرب عن ركب الحضارة فى وقت صحت فيه امم وشعوب لم تعرف الحضارة من قبل . واذا صح ان نوصف الحضارة الحديثة بأنها عالمية بعد ان شاركت فيها شعوب غير اوربية وامريكية فانه لا مناص للعرب اذا ارادوا لانفسهم البقاء من ان يشاركوا فى هذه الحضارة فيأخذوا منها ويضيفوا اليها . ولن تكون مشاركة العرب فى الحضارة بشراء احدث ما تنتجه الصناعة العالمية من السيارات الفارهة ولا الاسلحة التقليدية ولا ببناء القصور ولا ارسال الشعور ولا لبس الملابس الضيقة ولا بالكشف عن مفاتن النساء او التألق الابله فى السلوك واصطناع الغريب من العادات . انما تصل الامم الى المستوى الحضارى المطلوب بالمشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة واعطائهما طابعا قوميا خاصا تضم فيه رائحة التراث العربى المجيد . اكرر مرة اخرى انه لا بد من المشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة وتأصيل مصطلحاتهما فى لغة العرب وامدادهما بتيارات فتية من الفكر العربى المعاصر . لم يفعل العرب ذلك حتى الآن . وليست لهم وكالات ثقافية فى العالم الخارجى تعينهم على الوصول الى هذه الغاية .

وليس للعرب تبادل ثقافى يعتمد به سواء فى حقل الاساتذة او حقل الطلاب او حقل المطبوعات او الافلام او الصحف او الاغانى او الفنون بصفة عامة . فأما فى حقل الاساتذة فاننا نستقبل الكثيرين من الاساتذة الاجانب فى جامعاتنا ونفسح لهم مجال المحاضرة فيها حتى اذا جاء الدور علينا اجفل اساتذتنا من رد الزيارة لاسباب كثيرة بعضها فنى وبعضها مادى لا داعى فى الخوض فيها الآن . والذى يحدث ان الاساتذة العرب ربما ذهب احدهم الى بلد غربى فاستهواه الجو العلمى النشيط فى هذا البلد او استهوته الحياة فى مجتمع متقدم فتقرر ان يبقى فى ذلك البلد فردا آبقا لا يستطيع بمفرده ان يدعو لاى شئ عربى . فما استفاد بلده العربى من جهوده حاضرا وما استفاد منه نازحا . اما فى مجال الطلاب فاننى الاحظ مع الاسف قلة الطلاب الاجانب فى الجامعات العربية كما الاحظ مع الفرحة كثرة الطلاب العرب فى الجامعات الاجنبية وانما يقل عدد الطلاب الاجانب فى بلادنا بسبب ضعف التبادل الثقافى بيننا وبين الامم الاخرى . فنحن نأخذ من الامم ولا نعطى مع كثرة ما يمكننا ان نعطيه ونفخر بعطائه ، واما كثرة الطلاب العرب فى الخارج فظاهرة صحة وليست ظاهرة مرض على شرط ان نفيد من هؤلاء المبعوثين دعاية للعرب وثقافتهم فى الخارج واستيرادا للعلم والتكنولوجيا الى الداخل . ولكن بعض نواحى القصور توجد فى هذا المجال ايضا . فهل نختار التخصصات لدراسة طلابنا فى الخارج حسب خطة ؟ وهل يجد

طلابنا ابواب العلم مفتوحة امامهم على مصراعيها فى الخارج ، او تقسم الجامعات فى الخارج دراساتها الى مباح للاجنبى وغير مباح ؟ او هل يحمى كل طلابنا فى الخارج بالضمير العربى او حتى الوطن المحلى ، او تراهم يتساقون مع مفاتن الحضارة فينسون الاوضاع الحزينة التى تركوها وراءهم ؟ افنعد نحن لكل طالب بعثة عائد عملا يقع فى نطاق تخصصه يخدم فيه مجتمعه خدمة الخبير ويستمر فى نموه التخصصى بعد عودته ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تروع ضمير كل مخلص لتنمية البيئة العربية وتطوير الثقافة العربية واللغة العربية . ثم مذا عن الكتاب العربى ؟ ما قيمته كمضمون وما جاذبيته كشكل مطبوع مجلد ؟ وما وسائل تسويقه وما فرص انتشاره مع قلة عدد قراء العربية فى الداخل والخارج على السواء (هم يقلون فى الداخل بغلبة الامية ويقلون فى الخارج لعدم انتشار اللغة) ؟ وماذا عن الفيلم العربى تسجيليا كان أم ترفيهيا ؟ ما مستواه الفنى وما الجهود المبذولة لنشره وما مدى الاقتناع بجدواه فى نشر الثقافة واللغة ؟ وما مدى الاستعداد للبذل فى سبيل ترقيته وتحسنه ؟ ومثل ذلك يقال عن الصحف العربية والاغانى العربية والفنون العربية التشكيلية والتعبيرية على حد سواء .

11 — تطوير النشر :

هذا مجال آخر ادعو فيه الى ان تكون الجامعة العربية ومنظمتها العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا للعرب فى مشارقهم ومغاربهم — ان على العرب ان يعززوا منظمتهم بالخبرات والمال لتقوم عن دولهم فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية . فاذا عززنا المنظمة على هذا النحو امكن لها ان تنشئ المعاهد العربية فى البلاد الاجنبية وان تنشئ المراكز الثقافية وان يكون لها نوع من الاشراف على التبادل الثقافى بين بعض العرب وبعض وبين العرب فى عمومهم والدول الاجنبية سواء فى مجال الخبرات الثقافية والاساتذة والطلاب والمطبوعات . ولكل دولة الى جانب هذا النشاط العربى العام ان تبذل جهودها الخاصة فى هذا المجال ، وفى حقل استيفاد الطلبة الاجانب اليها . وترصد المنظمة العربية فى هذه الحالة المنح والجوائز لبحوث مختارة يكتبها كتاب اجانب عن نواح مختارة من الثقافة العربية كما تغرى هؤلاء بترجمة مختارات من التراث الى اللغات الاجنبية .

اما الكتاب العربى ونشره فان المنظمة تستطيع ايضا ان تقوم بدورها فى سبيله بواسطة انشاء صندوق عربى مشترك يسمى صندوق الكتاب يتولى النشر والتوزيع والدعوة والاهداء والمبادلة . كما ينشأ الى جانب ذلك نظام آخر للارتفاع بالقلم العربى وطابعه الفنى والعناية بالافلام التسجيلية التى تدعو للثقافة العربية كالموسيقى والاغنية وتعمل على تطوير الموسيقى العربية والاغنية العربية باعتبارهما مظهرين من مظاهر الثقافة العربية . واذا كان لى ان اقترح فى هذا الحقل الذى لست خبيرا به ، فاننى ادعو الى ان يكون تطوير الموسيقى العربية فى اتجاه الغاء ربع النغمة والابقاء على نصفها تمشيا مع الذوق العالمى فى الموسيقى وهو ذوق يرى فى الموسيقى المشتملة على الارباع نوعا من الانين لا يرقى الى مستوى الاعمال الفنية فى العالم . ولهذا الربع ان يبقى فى الاغانى الشعبية باعتباره تراثا ينبغى ان تحافظ على ذكراه .

وينبغى ان تكون للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صحبة قوية الدعم من الناحية المالية تتكلم بلسان العرب جميعا وتشتمل على مقالات وبحوث واخبار . وهذه الصحيفة تتناول وجهة النظر العربية فى المشكلات المطروحة دون ان تنحاز الى جانب دولة عربية بعينها ويكون لهذه الصحيفة نسخ مترجمة الى اللغات الحديثة توزع من مكاتب الجامعة وتقرأ فى المعاهد والمراكز الثقافية العربية فى الخارج .

وجملة ما احب ان اؤكده فى مجال تنسيق التطوير ان يتفق العرب على ان يجعلوا من الجامعة العربية ووكالتها المتخصصة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا مشتركا لهم فى حقل الثقافة وان يكلوا الى الجامعة العربية بعد تدعيمها كل جهد فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية .

جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث

المهندس وجيه السمان
ـ دمشق ـ

ليست التجربة التى تمر بها الامة العربية اليوم ، من اقدامها على وضع مصطلحات لعدد ضخم جدا من الالفاظ الحضارية الحديثة من علمية وتقنية واجتماعية وفلسفية وادبية ، اول تجربة لها من هذا النوع . فقد مرت بتجربة مماثلة لها فى بدء تحضرها وانتقالها من عيشة البادية التى كانت فيها منغلقة على نفسها تعيش فى جزيرتها ، وليس لها بما جاورها من الامم المتحضرة الا صلات ضعيفة جدا ، الى حياة جديدة تنشر فيها الدعوة الاسلامية وتفتح البلاد المتحضرة ذوات المدنيات القديمة وتستوطن فيها وتحكمها ، وتجعل اللغة العربية قادرة على اداء هذا الدور الجديد للامة العربية

لقد نجحت الدولة الاسلامية اذ ذاك فى مهمتها كما نعتقد ان البلاد العربية ستنجح فى مهمتها الجديدة الآن لما للغة العربية من امكانيات واسعة تفوق امكانيات اكثر اللغات الاخرى .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ احمد امين ذلك فى كتاب ضحى الاسلام فقال : (1) .

« اللغة العربية ارقى اللغات السامية ، كما يقرر دارسو تلك اللغات ، ولا تعادلها الآرامية ولا العبرية ولا غيرهما من هذا الفرع السامى . وهى كذلك من ارقى لغات العالم فهى ــ تمتاز حتى عن اللغات الآرية ــ بكثرة مرونتها ، وسعة اشتقاقاتها . فاذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة ، لكل صيغة دلالة على معنى خاص ، ما يقابلها من كلمة افرنجية وما يشتق منها كانت اللغة العربيــة فى ذلك ــ غالبا ــ اوفر واغنى . فمثلا اشتقوا من الضرب : ضرب يضرب ــ اضرب ، وضارب ومضروب . وسموا آلة الضرب مضربا وقالوا ضاربــه اى جالــده ، وتضرب الشىء واضطرب : تحرك وماج ، وحديث مضطــرب وامــر مضطرب . والضريبة ما ضربته بالسيف . وضاربه فى المال من المضاربة (وهى ان تعطى انسانا من مالك

(1) ضحى الاسلام الجزء الاول ص 289 ــ 290.

ما يتجر فيه على ان يكون له سهم معلوم من الربح) واشتقوا منه مضاربا ومضاربا الخ » .

هذا الى المعانى المجازية التى يستعملون فيها الكلمة فيقولون : ضرب الدراهم والدنانير (اى سكها) وضرب فى الارض اذا سار فيها مسافرا ، وضربت الطير ذهبت . وضرب فى سبيل الله : نهض ، وضرب على يده : كفه عن الشيء ومنعه ، واضرب عن العمل : كف واضرب البرد النبات وضربه اذا اشتد عليه البرد حتى ييبس .

والضريبة الصوف او القطن يضرب بالمطرقة . والضريب من اللبن : الذى يحلب من عدة لقاح فى اناء واحد فيضرب بعضه ببعض . ثم اخذوا منه : فلان ضرب فلان اى نظيره (والضرباء : الامثال والنظراء) والضرائب الاشكال ، وضرب المثل ذكره وقوله الخ .

هذا قليل من كثير مما يدل على غنى اللغة العربية غنى تاما فى الاشتقاق والمجاز ، قل ان تجاريها فيهما لغة اخرى ، وكذلك ما لها من طرق متعددة فى القلب والابدال » .

نجمت ازمة المصطلحات الحديثة عن ان العرب كانوا نائمين ايام النهضة الاوربية وتوسع العلوم فلم يساهموا فى تقدم العلم المطرد ولم يطلعوا حتى ولا على تقدمه . ولما بدات يقظتهم فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن الفوا انفسهم امام علوم كثيرة واسعة لها من المصطلحات عدد كبير وراوا انه لا بد لهم من ان يضعوا لهذه المصطلحات ما يقابلها بالعربية .

المصطلح العلمى العربى الحديث :

شرع العرب فى وضع المصطلحات العلمية الحديثة فى اواخر القرن الماضى وقد تجمعت الى الآن حصيلة كبيرة من هذه المصطلحات ولكنها لا تزال غير وافية بالحاجة وتقل كثيرا عن متطلبات تقدم العلوم والتقنيات.

ومن اهم اسباب شيوع المصطلح العلمى سهولته واصابته للمعنى الذى وضع له وتقمه واستعماله فى كتب التعليم المدرسية ولا سيما الابتدائية والثانوية منها ، فهو يصل عندئذ الى اسماع والى افهام الملايين من الاحداث فيتلقونه وكأنه شئ نهائى قد بت فى امره وتقبلته الامة وتبنته ، فليس عند الاحداث عندئذ اى اعتراض عليه او انتقاد له .

فعند ما يسمع الاحداث اسماء الدبابة والطيارة والغواصة والمدفع والسيارة والقطار والتيار الكهربائى والاذاعة ، الى . يفهمون لها مدلولات ثابتة معينة لا اعتراض عليها ولا مراء فيها . وهذه هى الصورة المثالية لما ينبغى ان تكون عليه جميع المصطلحات العلمية حتى ولو كانت تعنى مدلولات عويصة او تتعلق بنواح صعبة من نواحى العلم والتقنية ليست فى مستوى الاحداث ولا عامة الشعب . مثل : الذرة والنواة والاشعة الكونية وما الى ذلك من مصطلحات هندسية او طبية او زراعية او حقوقية او ادارية الخ .

مضى على وضعها واستعمالها زمن طويل واثبتها الاستعمال وصقلتها الالسن على امتداد السنين ، ولا سيما فى قطر كالقطر السورى درج منذ امد مديد على الاعتماد على اللغة العربية فى التدريس الجامعى باكمله.

يعتمد فى وضع المصطلحات العلمية العربية على جميع الوسائل التى نمت بها اللغة العربية نفسها ، وهى : الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب .

1 — **الاشتقاق** : لقد اشتقت اسماء الفاعل والمفعول به والزمان والمكان والآلة والادوات والاعضاء والامراض والآفات والادواء والصفة المشبهة واسم التفضيل ، كلها من المصدر ويدل الحساب على انه يمكن اشتقاق اكثر من مائتى لفظ من كل مصدر .

فمن امثلة الاشتقاق ما يلى :

للامراض : ما كان على وزن فعل مثل : ارق ، وجع، الم ، بخر ، بكم ، صلع ، حصر ، الخ .

وما كان على وزن فعال مثل : صداع ، اكال ، بوال، جذام ، حكاك ، دوار ، زكام ، رعاف .

واما اسماء الآلات فكثيرة منها :

فاعل وفاعلة مثل : فاصل ، حاجز ، لاصق ، كاسحة ، قاطعة ، فارزة .

فعال وفعالة مثل : سحاب ، وطراد ، وزلاق ، وكسارة ، وقلابة ، وحمالة .

مفعال ومفعل ومفعلة مثل : مفتاح ومنشار ومحراث ومزراب ومحراك ومعلاق ومجذاف ومصفاة، ومبرد ومغزل ومنجل ومقود ومكنسة ومطرقة وملعقة ومدخنة ومحبرة .

وهنالك اوزان اخرى لاسم الآلة قليلة الاستعمال مثل فعول : قدوم وفاعول : ناقور وساطور ، الخ . وفعال : لجام ، حزام ، سوار ، ستار ، سنان .

واما اسماء الزمان والمكان فقد اشتقت على وزنى مفعل ومفعل مثل : مكتب ، ملعب ، مخبز ، ملهى ، مثوى ، ومطلع ، مشرق ، مغرب ، مسجد ، منبت ، مفرق ، مجلس ، محبس ، مضرب ، مورد ، موضع .

وكذلك على وزن مفعلة ومفعلة مثل : معبرة ، مدرجة ، مقبرة ، ويقال مشرقة ومشربة .. الى آخر ما هنالك من الاوزان .

ولست ارمى الى الاستقصاء وانما اكتفى بهذه الامثلة للاشارة الى مدى خصب الاشتقاق فى توليد المصطلحات العلمية .

وقد استفيد من الاشتقاق فى وضع عدد كبير من المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة ، فجاء فى فرع الكهرباء مثلا :

محولة	Transformateur	مقومة	Redresseur
منوبة	Alternateur	مبدلة	Commutateur
مركمة	Accumulateur	مقطعة	Interrupteur
مولدة	Générateur	مجمعه	Collecteur
مكثفة	Condensateur	مجمعة	Collimateur

وجاء فى فرع الضوء على وزن مفعل :

محلل	Analyseur	مظهر	Révélateur
مشتت او ناثر	Diffuseur	مكثف	Condenseur
محرك	Moteur	مكافئ	Compensateur

وهنالك اوزان كثيرة يمكن الاستعانة بها لتسمية الآلات والادوات والاجهزة على انه ينبغى الا نقيد انفسنا بقواعد نلتزم بها ونحن غير واثقين بأنها قواعد عامة مثال ذلك ما وضعه المجمع اللغوى فى القاهرة لاجهزة الكشف والتسجيل والقياس فقال : « نستعمل صيغة مفاعل للكلمات المنتهية بالكاسعة Scope ومفعلة للمنتهية بـ Mètre ومفعل للمنتهية بـ Graphe وتغى المجمع بأن تلتزم هذه الصيغ فلا توضع الواحدة مكان الثانية . فالاولى للكشف والثانية للقياس والثالثة للرسم .

ولكننا مع ذلك نقول : ميزان ومكيال ومثقال ومعيار لاجهزة قياس الوزن والكيل والثقل الخ .. وهى ليست اجهزة كشف فوجب اذن اذا اتبعنا هذه القواعد ان نسميها ميزن ومكيل ومثقل ومعير ، وهى تدعى بأسمائها الاولى منذ قديم الزمان .

ثم ان علينا عند وضع مصطلحاتنا العلمية الا نبتعد بلغتنا عن اساليب اللغات الاخرى ما دام ثمة امكان للتقارب لا يخل بأصول اللغة ، وهذا يسهل على المتعلم العربى ان يربط بين المصطلحاب العلمية العربية وبين المصطلحات الاجنبية .

فاجهزة القياس العلمية قد جعلت اسماؤها مركبة من قسمين : القسم الاول هو اسم الظاهرة التى يراد تقديرها كدرجة الحرارة او الضغط او القوة الخ .. وفى الجملة المترتبة خاصة ، حيث سميت الوحدات القياسية باسماء العلماء تخليدا لذكراهم يكون القسم الاول من اسم الجهاز هو اسم الوحدة : امبير ، فولت ، واط الخ.. واما الكاسعة فهى كلمة متر ، وقد اطلق على علم القياسات اسم Métrologie

مثال ذلك اسماء الاجهزة الآتية :

مقياس غلفانى	Galvanomètre	مقياس الطور	Phasemètre
مقياس الامبير	Ampèremètre	مقياس الضغط	Manomètre
مقياس الفولت	Voltmètre	مقياس التدفق	Fluxmètre
مقياس الواط	Wattmètre	مقياس التساع	Accéléromètre

فالحكمة تقضى بأن تراعى هذه القاعدة فى التسمية المركبة لانها قابلة للتطبيق على جميع اجهزة القياس الموجودة الآن وعلى ما سيخترع منها فى المستقبل .

وكذلك الامر فيما يتعلق باجهزة الكشف واجهزة الرسم والتسجيل ، فنقول : كاشف وراسم او مسجل فتصبح اسماء هذه الاجهزة كما يلى :

كاشف الطيف	Spectroscope	كاشف الاشعاع	Radioscope
كاشف الاهتزاز	Oscilloscope	كاشف الكهربية	Electroscope

ونقول :

مسجل الطيف او مصور الطيف	Spectrographe
مسجل الاشعاع	Radiographe
مسجل الاهتزاز	Oscillographe
او راسم الاشعاع	

ونقــول :

مقياس الطيف Spectromètre مقياس الاشعاع Radiomètre

مقياس الاهتزاز Oscillomètre مقياس الكهربية Electromètre

فنكون بذلك قد ضمنا الدقة فى الدلالة والتمييز بين مختلف الاجهزة ، كما نكون قد جعلنا اسماء الاجهــزة مفصحة عن مدلولاتها كل الافصاح وراعينا وضع قواعد عامة يمكن تطبيقها على كل ما سيظهر فى المستقبل من اجهــزة .

ولو اننا التزمنا صيغة مفعال او مفعل لاضطررنا ان نقول : متيار ومفلاط ومواط ولا ادرى ما نسمى بــه مقياس غلفانى او مقياس الامبير . ثم ان اوزان مفعال ومفعل ومفعلة ليس فيها ما يدل على التخصص بالكشف والقياس والرسم او انها تدل على هذه المعانى ، وانما هى قد انتقيت اعتباطا . لذلك فمــن العسير ان يحفظ الانسان مدلولاتها وان لا يخطئ فيها .

فنرى اذن ان باب الاشتقاق واسع جدا وفيه مجال لعدد كبير جدا من المصطلحات الموجودة الآن والتــى ستوضع فى المستقبل .

2 — **الاستعانة بالمجاز** لوضع المصطلحات العلمية ، او تحوير المعنى اللغوى القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمى الجديد :

يرد بحث المجاز فى علم البيان . وتقول كتب البيان ان المجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى السابق . مثل كلمــة **الدرر** المستعملة بمعنى الكلمات الفصيحة فى قولك : **فلان يتكلم بالدرر** ، فانها مستعملة فى غير ما وضعت له، اذ قد وضعت فى الاصل للآلئ الحقيقية ثـم نقلت الى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما فى الحسن . والذى يمنع من ارادة المعنى الحقيقى قرينة **يتكلم** .

وهذا النقل فى الالفاظ من معانيها الاصلية الى معان علمية ، وسيلة ناجحة خصبة من وسائل تنمية اللغــة وفى جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة .

وقد اعتمد العرب منذ العصر الاسلامى الاول على المجاز ، فتوسعوا فى معانى الالفاظ التى كانت معروفة فى الجاهلية ونقلوا كثيرا منها من معنــاه الاصلى الى معنى علمى جديد اقتضاه التغير الجذرى الذى طرا على حياتهم . لذلك فان كثيرا من الالفاظ تغيرت معانيها فى الاسلام : كأن يكون المعنى عاما فى الجاهلية وخصص فى الاسلام : كالصلاة والزكاة والحج والبيع .. ثم ظهرت الالفاظ العلمية كالنحو والصرف والعروض والاعراب والادغام واسماء بحـور الشعــر . بمعــان لغويــة واصطلاحية استعملت مجازا عند ما وضعت فى ايــام الخلفاء الراشدين والامويين .

قال ابن خالويه : ان لفظ **الجاهليــة** اسم حــدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل البعثة **والمنــافق** اســم اسلامى لم يعرف فى الجاهلية .

وقال ابن الاعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم بكلمة فاسق .. الخ (فجر الاسلام ص 53)

ويقــول الامير مصطفــى الشهابــى فى كتابــه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » صفحة 25 .

جاءت مرحلة ثانية من مراحــل اغنــاء العربيــة بالمصطلحات فى زمن العباسيين عند ما نقلت العلــوم اليونانية والفارسية والهندية الى العربية واتسع نطاق الترجمة ثم التأليف العلمى . فوضعت اسماء لكثير من الامراض والنباتات والحيــوان ووضعت مصطلحــات الفلسفة والمنطق التى ورثناها نحن كلتما كانت معروفة منذ ان كان العرب ، وامثالها : الفلسفة والازل والابد والقديم والحديث والعلة والمعلول والوجــود والعــدم والصورة والجوهر والعرض والموضوع والكلى والجزئى والقياس والاستنتاج والمقولات واشباهها مــن الالفاظ العديدة اصبح لها كلها فى الفلسفة والمنطــق معــان اصطلاحية محدودة .

وقد استعان العرب حديثا ومنذ بداية هذا القــرن بالمجاز فوضعوا كثيرا من المصطلحات للمدلولات الحديثة وهى فى الاصل كلمات ذات مدلول قديم مختلف . مثل : البرق للتلغراف والهاتف للتلفــون والقطــار للتريــن والقاطرة والسيارة والدراجة والدبابة والمدفع والمدرعة والباخرة والطرادة والنسافــة .. الــخ . وكــل هذه المصطلحات قد عمت واكتسبت معانيها المفهوم الجديد الذى اريــد لهــا .

وتطلع علينا الصحف والمجلات والاذاعات العربيــة كل يوم بمصطلحات جديدة توضع لحاجات الساعــة ولمقتضيات الظروف . وفيها الكثير من التوفيق كمــا ان فيها كثيرا من الخطأ .

3 — النحت :

ومعناه فى اللغة النشر والقشر والبرى : يقال نحت الخشب والحجارة اذا براها . وورد فى القرآن الكريم : وتنحتون الجبال بيوتا .

والمعنى الاصطلاحى للنحت هو انتزاع كلمة من كلمتين او اكثر على ان يكون ثمة تناسب فى اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد كان استعمال النحت فى القديم قليلا فلا يعرف من الالفاظ المنحوتة الا عدد صغير محدود مثل : البسملة والحوقلة والحمدلة والمنعنة والعبشمى والعبقسى وكان بعض علماء اللغة يعدون النحت ضربا من ضروب الاشتقاق . وقد اقر مجمع اللغة العربية فى القاهرة جواز النحت عند ما تلجئ الضرورة العلمية اليه (الامير مصطفى الشهابى) صفحة 17 .

وقد درج فى الاستعمال الحديث عدد من الكلمات المنحوتة مثل : برمائى وآفرو آسيوى .. على انها محدودة جدا .

وليس ثمة قواعد واضحة للحروف التى تنتزع من كل كلمة لتأليف الكلمة المنحوتة فقد ينحتون من كلمتين كلمة على وزن فعلل ويأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ثم ينسبون الى المنحوتة مثل عبشمى اى من عبد شمس ، وقد استعمل النحت فى المصطلحات الجديدة وخاصة فى العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات وفى الكيمياء وغالى بعضهم فى استعماله .

ومن اهم الذين اعتمدوا على النحت فى وضع المصطلحات الكيمائية المرحوم الدكتور صلاح الدين الكواكبى عضو مجمع اللغة العربية فى دمشق فله بحوث مستفيضة جدا فى هذا المضمار : فقال فى مقال متسلسل نشره فى مجلة المجمع (المجلد 39 الجزء 3) « لقد دفعتنى الحاجة الملحة الى النحت مثلما فعل الغربيون فى مصطلحاتهم العلمية لانى وجدت فيه حلا للمعضلة وتيسيرا لاجتياز العقبات التى تعترض المؤلف والمترجم فى علم من العلوم ذلك لمرونته وسهولة الاشتقاق والوصف من الكلمة المنحوتة المصقولة ، ولانه يجعل المجال واسعا فى ايجاد كلمات لما يقابلها بالافرنجية . (وهنا ابدت لجنة المجلة ملاحظة جاء فيها ان مجمع القاهرة ومجمع بغداد وجميع اساتذة الجامعة فيها لا يلجأون الى النحت الا عند الحاجة القصوى . والمنحوتات عندهم نادرة ، وهم يشترطون فى النحت يمجه الذوق ولا يستغلق فيه المعنى ، ففى هذه الحال يرجحون الكلمتين على الكلمة الواحدة ولا سيما عند ما يكون المصطلح الاعجمى مؤلفا من كلمتين) » .

ثم تابع الدكتور الكواكبى حديثه فيقول : « اليكم البرهان فى المصطلحات العلمية التى وضعتها نحتا ، لما يقابلها من الكلمات الافرنجية ، واكثرها الفته الاسماع وشاع استعماله فى البيئات العلمية .

وانا اسرد فيما يلى بعض الامثلة لان الشواهد التى ساقها الدكتور الكواكبى كثيرة جدا .

الخلمهة (تحليل خلى) Acétolyse

من (خل — اماهة) لذلك العمل الذى يتم فيه تحليل مادة فى حمض الخل . مثال : (خلمهة السلولوز بمزيج حمض الكبريت المركز وبلا ماء حمض الخل) .

الحمضليد (حامض الدهيد). Acide aldéhyle

من (حمض — غوليد) للجسم العضوى الذى يحتوى على وظيفة حمض ووظيفة غوليد (حمض الغليوكسيل مثلا) .

شمنزير Axonge من (شحم — خنزير) للمادة الشخصية التى تستخلص بصهر (النسج الدسمة والمتراكمة حول كليتى الخنزير ومن شحمه) .

فحمائيل Carboxyle من (فحم — مائيل) للجذر العضوى الحمضى .

خسفلة Décarboxylation من (خسف او طرح — فحمله) طرح الفحمائيل من جسم عضوى (يفضل مجمع القاهرة كلمة نزع عوضا عن خسف) .

للمرحوم الدكتور الكواكبى دراسات مستفيضة فى هذا الباب شملت الكيمياء بأكملها ولا سيما العضوية منها وكذلك الكيمياء الفيزيائية والطب والبيولوجيا وكلها منشورة فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

وفى اعتقادى ان النحت مستثقل على الاغلب وينبغى الا يستعمل الا عند ما تدعو اليه الضرورة ولا سيما عند ترجمة المصطلحات التى هى مركبة فى اللغات الاجنبية مثل Electromagnétique فقالوا : كهرطيسى بدلا من كهربائى مغناطيسى و Thermoélectrique كهر حرارى و Photoélectrique كهر ضوئى . وقد وضعت مع زملاء لى بعض الكلمات

المنحوتة مثل الكهر اكده بدلا من الكهربــاء الراكــدة Electricité statique وكهــرحــل بدلا مــن المتحلل بالكهربـــاء .

واطلقت شخصيا اسم الكهــر نافــذ على المــواد العـــازلـــة المنمـــاة Diélectrique .

واعتقد ان من الانسب استعمال التركيب المزجى عند استثقال الكلمة المنحوتة فنقــول الكهربـــائى — المغناطيسى ، مثلا ، بدلا من الكهرطيسى .

وعلى كل حال فاننا نرى ان فى النحت والتــركيب المزجى مجالا واسعا جدا لوضع المصطلحات العلمية ولكن ينبغى الا نغالى فى استعمالهما لكيلا نقع فى التعقيد والاثقال فنجعل مصطلحاتنا عويصة على الفهم او ثقيلة على السمع او النطق كما قالت العرب قديما تكـــأكـــأ وافرنقع وخمخع والدردبيس والمعتنل والطلطبيس ،الخ..

4 — التــعـــــريــــب :

تعريب الاسم الاعجمى هو ان تتفوه به العرب على منهاجها : تقول عربته العرب واعربته . وكذلك المعرب هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعـــان فى غير لغتها والمعرب يسمى الدخيل .

واستعمال العرب للالفاظ الاعجميـــة ودمجهـــا فى لسانهم شئ قديم سببه اتصالهــم بامم الاخــرى ، وحاجتهم الى اسماء تدل على مسميات لا وجود لهـــا فى الجزيرة العربية . ولا ضير فى التعريب كلما مست الحاجة اليه وكلما تعذر العثور على كلمة قديمة عربية تقابل الكلمة الاعجمية او تعذر ايجاد كلمة عربية تفيد معناها بالوسائل الاخرى المتقدمة . وجميع اللغـــات تقتبس من بعضها (المصطلحات العلمية للامير مصطفى الشهابى ص 19) .

عمد العرب الى التعريب منذ الجاهلية فعربوا عن الفارسية : لابريق والسندس والــدولاب والدسكـــرة والكعك والسكباج والسميد والجلاب والجلنار والديباج والنرجس الخ .. وعربوا عن الهندية الزنجبيل والفلفل والشطرنج والصندل والكافور والمسك والقرنفل .. وعن اليونانية القسطاس والفردوس والترياق ((السهابى ص 21) .

وفى صدر الاسلام اضطر العرب الى تعريب عدد كبير من الالفاظ ، دفعهم الى ذلك احتياجهم اليهـــا فى حياتهم المتحضرة فاخذوا من الفارسية الكوز والجــرة والابريق والطست والخوان والطبق والقصعة والخز والياقـــوت والفيروز والبلـــور والقرفـــة والنسريـــن والسوس والعنبر والبستـــان والارجـــوان والقرمـــز والسراويـــل والتنـــور والجـــوز والميـــزان والزئبق والباشق والطيلسان والمغنطيس والمارستـــان والصك والصولجان والفرســـخ والبنـــد والزمـــرد والآجـــر والجوهر الخ ..

هذا فى بداية عهدهم بالحضارة ، ثم انهم شرعوا بنقل علوم اليونان والفرس والهند عربوا عددا كبيرا مـــن المصطلحات بقيت الى ايامنا هذه مثل : دغماطيقيـــين Dogmatiques وفسيولوغيا وبطلوغيـــا Pathologie وكانوا فى بداية الامر يتبعون هذه المصطلحات بشرح معناهـــا الى ان تؤلف الكلمة فى العربية ويتحدد مدلولها .

من هنا اتتنا هذه المصطلحات العلمية الكثيرة التـــى نستعملها اليوم وكانها خلقت مع العربية مثل الفلسفة والفيلسوف والسفسطـــة والجغرافيـــة والكيميـــاء .. وعرب العرب كلمات حضارية كثيرة يقول عنها المرحوم احمد امين (ضحى الاسلام 1 — 293) خرجت اللغة العربية من هذا المازق سليمة قوية واسعة ، هى لغة الدين ولغة العلم والفلسفة ولغة الادب . واضمحلت بجانبها كل لغات البلاد المفتوحة .

فاللغة السريانية التى ترجمت اليها الكتب اليونانية، اخذت تتدهور بعد ان نقل ما فيها اى اللغة العربية . والفرس فى ذلك العصر اصبحت لغتهم العلمية والادبية هى اللغة العربية ، ان الفوا او شعــروا أو كتبــوا فبا العربية . وحياة اللغة الفارسية انما كانت عند التكلم العادى او فى اوساط الديانة المجوسية .

وكذلك اللغات الاخرى من رومانية وقبطية فى الشام ومصر . وكسبت العربية من ذلك انها اصبحت فى تاليفها وعلومها نتاج كل هذه الامم ، تلبس كل افكارهم وتعبر عن قرائحهم . وكسبوا منها ما لها من ثقافة اسلاميـــة وادبيـــة » .

فى التعريب اذن مجال واسع جدا لوضع المصطلحات على ان لا يجرى التعريب كيفما اتفق وانما باتبـــاع قواعد كالتى اتبعها العرب الاوائل عند التعريب ومن جملة هذه القواعد : الا يلجأ الى التعريب الا عند مـــا لا تفلح الطرائق الاخرى فى وضع المصطلحات ، وان

يعطى للكلمة المعربة صيغة عربية تمكنها من الانضمام الى اخواتها الكلمات العربية الاخرى حتى تنطبق عليها قواعد النحو والصرف .

وقد وضع مجمع اللغة العربية فى القاهرة قواعد لضبط التعريب ينبغى اتباعها ضمانا للتوحيد فى جميع البلاد العربية وحفاظا على الاصول التى اتبعها العرب عند ما بدأوا بالتعريب .

وباب التعريب بفضل اتساعه يسهل لنا وضع المصطلحات فى الحالات التى تخفق فيها الطرق الاخرى كما انه يمكننا من كتابة اسماء الاعلام الاعجمية التى ترد فى العلوم واسماء الوحدات القياسية التى هى اسماء علماء واسماء الاجزاء العنصرية التى ترد فى بحوث الذرة وما أشبه ذلك مما اتفقت على تسميته جميع اللغات العالمية .

وان العمل بهذه القواعد يصرفنا عن ان نسمى الوحدات القياسية باسماء عربية كما جرى العمل فى السابق فسميت الكالورى بالحريرة والحرة فى سورية وبالسعر فى مصر او ان نسمى واحدة العمل Erg : عميلا او الألكترون بالكهرب او الكهيرب والفوتون بالضوئ .. على ان لا نغالى فى ذلك فنعمد الى تسمية الـ Pendule ببندول بينما يوجد له فى العربية عدة مصطلحات مثل : الرقاص والنواس والخطار .

فلننظر الآن فى هذه الالوف المؤلفة من المصطلحات التى توالى وضعها بالعربية خلال مدة قرن كامل يمتد الى يومنا هذا . ان القسم الاعظم منها جاء مطابقا للمعنى الذى وضع له . وعلى هذه المصطلحات اعتمدت اللغة العربية الحديثة فى بيانها سواء اكان ذلك فى الاعلام او الادارة او فى النواحى الاخرى من الحياة او فى التعليم الابتدائى او الثانوى . ولكن لا تزال امامنا مرحلة كبيرة صعبة جدا هى مرحلة التعليم العالى والبحوث المتقدمة فيها بعض الضعف او الغموض . وسأضرب لذلك بعض الامثلة .

ان المصطلح الاجنبى قد جرت عادته على الاتكال على لغات عديدة غير لغته الوطنية التى وضع بها . وخاصة على اليونانية واللاتينية . فنجد المصطلح الفرنسى مثلا يعتمد على هاتين اللغتين كما يعتمد احيانا عند الاقتضاء على الانكليزية والجرمنية ولا يحجم احيانا عن الاستعانة حتى باللهجات العامة الاجنبية .

فبالاضافة الى ما فى العربية من اشتقاق صغير وكبير وابدال ، تستعين اللغات الاجنبية بزيادات فى اول الكلمة او فى آخرها ، وذلك ما نسميه بالصدر او السابقة Préfixe والكاسعة او اللاحقة Suffixe وبالحشو Infixe وشتان ما بين استعمالنا القليل لهذه الوسائل الثلاث وبين استعمال اللغات الاجنبية لها مضافا اليه الاعتماد على اليونانية واللاتينية فى ذلك فقد انفتحت لهم آفاق واسعة منظمة واضحة تضمن وضع المصطلحات للحاضر وللمستقبل . اذكروا السابقات :

Macro, Micro, Télé, Extra, Exter, Intra واللاحقات
Métrie, Graphie, Scopie, Gie, Ique, Turc,
Isme, Tien الخ ..

فروم نهتدى الى الاستفادة من الاشتقاق الى اقصى حدوده ، مستعينين بالتصدير وبالتذييل وبالحشو ، ومستعينين عند الاقتضاء باللغات الاجنبية ايضا بعد تعريبها ، نكون قد ضمنا للغة العربية نصرا كبيرا فى نطاق ترجمة المصطلحات العلمية .

احب الآن ان اسوق بعض الامثلة عن المصطلحات الغامضة التى لم تحظ ترجمتها بالتوفيق :

1 — كلمتا Empirique, Expérimental

فالاولى قد ترجمت بتجريبى وانتهى امرها بلا اشكال ، اما الثانية فدونها كل المصاعب . يسميها الفلاسفة تجربيا بدون ياء ليفرقوا بينها وبين الاولى ، وهذا الفرق واه كخيط العنكبوت يوقع فى الخطأ . واذا راجعنا المعاجم الفرنسية العربية التى بين ايدينا نجد :

ا — المنهل : تجريبى (مبنى على الملاحظة والاختبار) وفى انطب : مشعوذ .

ب — بلو : اختبارى . مؤسس على الاختبار . بطريقة الاختبار فقط . وفى الطب طب تجريبى او استقرائى .

ويقول المعجم الانكليزى العربى (المورد) : دجال ، ابن التجربة ، عديم الثقافة ، يعتمد كل الاعتماد على الخبرة العلمية . مبنى على الملاحظة والاختبار .

ويقول لاروس الكبير ان Expérimental مشتقة من اللاتينية ومعناها المعرفة المكتسبة من الممارسة الطويلة المدعومة بالمشاهدة وان Empirique مأخوذة عن اللاتينية Empiricies وان هذه مأخوذة عن اليونانية

Empirikos وهى تعنى من يعلم ان يظــن انــه يعلم بالتجربة . او من يسعى فى الاستفادة من التجربة ولكن بدون اهتمام كبير بالدقة العلمية .

ووردت ترجمة هــذا المصطلــح فى مشروع معجم الفيزياء الذى بين ايدينا : اولى ــ تجريبــى (مبنــى على التجــربــة) .

وجــاء فــى مــوسوعــة Universalis ان كلمــة Empirique غالبا ما تستعمــل فى الفرنسيــة بقصــد الانتقاص والحط من قدر الموصوف بخلاف كلمة تجربة. فعند ما يقال رجل ذو تجربة يقصد بذلك الخبرة التى اكتسبها من تجربته . لذلك فان عبارة
Homme d'expérience
هى عبارة مديح فى حين ان Empirique هى صفة ذم .

فنرى ان المصطلحات العربيــة المقترحــة لكلمــة Empirique كلها على حد سواء فى عــدم اداء المعنــى المقصود وانها تسبب الخلط بينها وبين Expérimental

2 ــ كلمتــا Interpolation, Extrapolation

ترجم هذان المصطلحان بأشكال عديــدة اوردهــا فيمــا يلــى :

المعجم العسكرى الموحد (انكليزى عربى) : استكمال . استكمــال من الداخــل .

المعجم العسكرى الموحد (افرنسى عربى) : استكمال واستخراج . ادراج استيفاء ، تحشية المنهل (افرنسى عربى) : استكمال من الخارج ، تقدير استقرائى ، تعميم المد خارجا . استكمال توليد ، تحشية .

بلو (للثانية فقط) : حشى ، ولد .

المورد (انكليزى ــ عربى) : تقدير استقرائى . التوليــد والاستيفــاء .

وردت فى معجم الرياضيات الذى بين ايدينا ترجمة المصطلح الاول بــ : المد خارجيا ، او الاستكمال من الخارج . واما المصطلح الثانى فترجم بــ : استكمال داخلى واستيفاء او توليد داخلى .

وفى رايى ان ترجمة هذيــن المصطلحين بالاستكمال الخارجى والاستكمال الداخلى هى اقرب ما تكون الى وتادية معنييهما وان كانت لا تفى بالمعنى تماما . وبالرغم من كثرة الكلمات التى اوردت فى المعاجم مقابل هذين المصطلحين فانى اعتقد انهما لم يوفيا حقيهما وان لفظة الاستكمال ليست الترجمة المثالية لهما .

ويأتــى الغموض احيانا من الاقتصار فى ترجمــة المصطلحات على لغــة اجنبيــة واحدة . مثال ذلك ان الفرنسيين يسمون الفراغ الواقع بين القسم الثابت وبيــن القسم الــدوار فى المحركــات وفى المولــدات الكهربــائيــة بــ Entrefer ولدى الترجمة الحرفية لهذا المصطلح بالعربية لا نجد سوى قولنا : ما بين الحديد . وليس هذا مصطلحا ناجحا ولدى مراجعة المصطلــح الانكليزى نجد انه Air Gap وهذا اسهل على الترجمة من المصطلح الفرنسى فيترجم بــ الفاصل الهوائى او الفرجة الهوائية وهو بلا ريب اكثر توفيقا من المصطلح الفــرنسى .

كذلك يطلق الفرنسيون كلمة Amorçage على العملية التى تبدأ فيها المولدات الكهربائية بتوليد التيار الكهربائى وان ترجمتها الى العربية صعبة جدا . واما المصطلح الانكليزى لها فهو To bluid up فنترجمه بأن الآلة تبنى تيارها . وبذلك تزول تلك العقبة .

وكثيرا ما ينجم غموض المصطلح العربى عن غموض المصطلح الاجنبى الذى ترجم عنه او من انه لا يؤدى المعنى الذى وضع له تأدية تامة. وامثلة ذلك كثيرة ترد فى جميع العلوم . ونرى ان العلماء الاجانب يستبدلون فى هذه الاحوال بالمصطلح القديم مصطلحا جديــدا انسب منه واقرب الى الواقع فينبغى ان نبادر نحن ايضا الى اطراح التعبير القديم . مثال ذلك عبارة Force vive اى القوة الحية وهى خطأ . وقد استبدلت بها الان عبارة Energie cinétique اى الطاقة الحركية وكذلك Moment cinétique اى العزم الحركى ، ويسمى الآن Impulsion angulaire او بالانكليزية Angular momentum اى الاندفاع الزاوى . الخ ..

وبعد ، فان حركة التعريب فى العالم العربى تسير الآن بخطى حثيثة بعد ان تسلمتها الايــدى العليمــة المتخصصة بها . فاهتمت بها الجامعة العربية عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بواسطة المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، الذى اعد لنا مشاريع المعاجم التى بين ايدينا واشهد بأنه عمل قيم جدا . وبفضــل المعاجم اللغوية والجامعات ومختلف الوزارات العلمية. ولا بد من ان تؤتى هذه الجهود المتكاتفة ثمارها الطيبة فى مستقبل قريب . .

ولا يفت فى عضدنا تأخرنا فى مضمار التعريب فان حركة وضع المصطلحات قائمة على قدم وساق حتى فى الدول العريقة فى العلم . وهى حركة دائمة لا تقف ابدا ما دام العلم يتقدم ويفتح كل يوم مجالات جديدة ويضع مصطلحات جديدة . وقد غزت المصطلحات الاجنبية كل لغة تأخرت ولو قليلا فى تدارك شأنها . وها هـــى ذى فرنسا على علو باعها فى العلوم تشكو من غـــزو المصطلحات الانكليزية لها . فيقوم الاستاذ Etiemble اتيمبل الاستاذ بجامعة باريس بمهاجمة هذا الغـــزو فى كتابه ? Parlez-vous Franglais كما تقوم نشرة La Banque des Mots التى يصدرها المجلس الدولى للغة الفرنسية بعرض المناهج التى يمكن بها معالجـــة السيل المتدفق من المصطلحات الانجليزية لوضـــع ما يقابلها باللغة الفرنسية . فاذا كان ابناء اللغة الفرنسية يشكون فما بالنـــا نحـــن اذن ؟

المهندس وجيه السمـــان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي

الدكتور عبد الحليم منتصر

منذ اكثر من احد عشر قرنا من الزمان وفى عهد الخليفة المامون على التحديد تقاطر المترجمون على بيت الحكومة فى بغداد ، ينقلون الذخائر العلمية التى تركها الاغريق والفرس والهنود والسريان والقبط وغيرهم الى اللغة العربية وشجع الخليفة العالم هذه الحركة العلمية العارمة فكان يولى العلماء عطفه ورعايته كما فتح لهم خزائن المال ، يغدق عليهم منها ، استحثاثا منه لهم على نقل هذا التراث الى اللغة العربية وكذلك تم نقل هذا التراث الضخم فى الطب والفلسفة والمنطق والاخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وما اليها من علوم لم يكن للعرب بها عهد .

وليس من شك فى ان تلك كانت نقطة بدء رائعة للانطلاق وغدت بغداد مركز اشعاع علمى حضارى تاهت به على حوافز ذلك العصر ودانت الحضارة الانسانية لبغداد المامون وغدا الخليفة المامون رمزاً للملك العالم ، وجمع حوله جمهرة من العلماء بهم بلاطه وزين ملكه نقلوا له روائع ابقراط وفيثاغورس وافلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس وديستوريدوس واقليدس وارشميدس وغيرهم من علماء اثينا والاسكندرية .

وعرفت الامة العربية طب ابقراط وفلك بطليموس وهندسة اقليدس وقراوا مجسطى بطليموس ، واصول اقليدس وجامع اوريباسوس ، ومئات بل الوفا من كتب ارسطو وجالينوس وثاون وهيرون وغيرهم من رواد العلم فى العصرين الاغريقى والاسكندرى ووسعت العربية الجومطريا والاسطرونوميا والميتافيزيقا والارينماطيقا والماثيماطيقا ومصطلحات التشريع والهندسة والفلك والطب والرياضيات وما اليها ، واستمرت الحركة العلمية فى النمو والازدهار وشملت الحواضر العربية كلها من بغداد الى دمشق الى القاهرة الى مراكش الى الاندلس فى الجامع المنصور والجامع الاموى والجامع الازهر وجامع القيروان وجامع قرطبة وفى بيت الحكمة ودار الحكمة ودار العلم . فكانت هذه وتلك تؤدى ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر ، وكانت منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء والمساجد ودور الكتب تزدان بمجالس العلم والادب وامتدت الامبراطورية العربية والاسلامية من حدود الصين شرقا الى حدود

غـرنسا غـربا واكب علمـاء المسلمين على التاليف بلغة عربية سليمة حتى كانت اعمال العالم منهم تعـد لا بالآحاد ولا بالعشرات ولكن بالمئات ، وتاه هـذا العصر بعشرات ومئات من العلماء العرب يقرنون الى اعاظم العلماء فى كل عصر وآن وها هى ذى تآليفهم ومخطوطـاتهم تزدان بهـا دور الكتب والمتـاحف ، تعد بمئات الالوف مما يحتاج تحقيقه وعرضه الى جهود عصبة من اولى العزم مـن العلمـاء ليعكفـون على دراستها وتحقيقها وعرضها ملخصة ومخلصة . وقـد انصفنا بعض مؤرخى العلم حين قالـوا ان الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فروع المعرفـة وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والصوفى والبيرونى والكندى لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبرنيق ، وانه لولا اعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوربية ان يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون وانه لو لم يعوقنا المغول والتتار والتـرك والاستعمار لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها اوربا تكون من نصيب الامة العربية وتكون لغتها هى العربية وتتقدم عليها فى التاريخ عدة قرون .

ولا شك ان القارئ لمؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وجابـر والخوارزمـى والـرازى وابـن النفيس والزهـراوى والصوفى وابن يـونس وابـن العوام وغيرهم ليتملكه الاعجـاب والاكبـار بأسلوبهم العلمى الاخاذ ولغتهم العربية السليمة التى كتبوا بها فى الفلك والرياضيات والضوء والهندسة والجبر والطب والكيمياء . لقد طوعوا العربية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة حتى قال المنصفون ان الينبوع الاول للعلوم الطبيعية انما تفجر فى العصر العربى الاسلامى الذى ازدان بأمثال من ذكرنا .

ولكن الايام دول كما يقولون فضعف امـر الامـة العربية بعد ان قدمت لاوروبا زاد نهضتها العلمية عن طريق الاندلس التى سطعت فيها الحضارة العربيـة الاسلامية عدة قرون وعن طريق صقلية التى دانت لحكم العرب بضعة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية ثم عن طريق الامبراطورية العثمانية فى شرق اوروبـا وظلت كتب من ذكرنا من العلماء العرب هى المراجع المعتمدة فى جامعات اوروبـا طـوال قـرون وانشئت الجامعات الاوروبية على غرار جامعة الازهر العتيدة وترجمت الكتب العربية الى اللغة اللاتينية واللغـات الاجنبية الاخرى وسطعت شمس الحضارة العلميـة على اوروبا فى حين انحسرت عن الامة العربية .

* *

وفى اوائل القرن الماضى بدات الاتصالات بين بعض الدول الاوربية وبعض البلدان العربية كان هدفها الاول حربيا استعماريا ، لم يكتب لها فيها نصر ولم تتحقق اغراضها منه ولكنما تحققت اتصالات علمية كان مـن نتاجها نقل العلوم الحديثة الى البلدان العربية وانشاء بعض المدارس الحديثة وارسال البعثات العلمية الى اوربا ، وعاد هؤلاء المبعوثون ليقودوا نهضة علميـة حديثة . ومنذ اوائل القرن الثامن عشر انشئت فى مصر مدارس الطب والهندسـة والمعلمين وغيرها من مدارس العالم وشارك علماء من اساتذة هذه المدارس من الاجانب والمصريين فى ترجمة امهات الكتب العلمية الى اللغة العربيـة ان فى الطب او الهندسـة او الزراعـة أو الصيدلة او الكيمياء وما اليها من علوم وفنون . وكـان الحكام يلومون طلاب البعثات بنقل هذه العلـوم الى اللغة العربية وان تكن اللغة العربية لغة التدريس وهذه المعـاهـد .

وفى اخريات القرن الماضى عاد الاحتلال ينشر ظلـه الثقيل مرة اخرى ، وشيئا فشيئا جعل لغة التدريس هى الاجنبية ، ولم يكتف بأن يكون ذلك فى المعاهد العليا وحدها ولكن عم ذلك فى المدارس الابتدائية والثانوية فاستقر فى اذهان الكثيرين ان هذه العلـوم مستوردة هى الاخرى من الخارج وانه لم يكن لنا بهـا عهـد ، وتناسى الكثيرون انها بضاعتنا ترد الينا وان العلماء العرب هم واضعو اسس هذه العلوم وهم مبتكـرو كثير من اجهزتها وادواتها بل ومصطلحاتها ايضا .

* *

ومنذ اوائل القرن العشرين عادت للغـة العربيـة مكانتها فى التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما انشئت فى مصر الجامعة الاهلية وكانت متصورة على كلية الآداب كما انشئت معاهد عليـا كثيرة وفى اواسط عشرينيات هذا القـرن ، انشئت الجامعـة المصرية الاميرية وكانت تتكون آنئذ من اربع كليات هى الآداب والحقوق والطب والعلوم وكانت العلوم هـى وحدها التى انشئت انشاء فى ذلك التاريخ لم تكـون متحولة عن معهد او مدرسة اخرى ، وضمت اليهـا

بعد ذلك كليات اخرى ، ثم انشئت فى اوائل الاربعينات جامعة الاسكندرية ثم جامعة عين شمس فى سنة 1950. وتتابعت الجامعات فى مصر بعد ذلك فى اسيوط وطنطا والمنصورة والزقازيق كما تتابع انشاء الجامعات فى كثير من البلدان العربية فى العراق : فى بغداد والموصل ، وفى سوريا : فى دمشق وحلب وفى الاردن فى عمان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والكويت ، والسعودية وغيرها . كما انشئت المجامع اللغوية فى القاهرة وبغداد ودمشق للمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها مسايرة للنهضة العلمية .

ومن اسف ان اللغة العربية لا تزال وئيدة الخطو لتكوين لغة التدريس فى الكليات العملية خاصة باستثناء جامعة دمشق .

وقد آمن الكثيرون ان التدريس انما كان بلغة اجنبية ضرورة مؤقتة لم يكن معدى عنها وانهم ليرقبون اليوم الذى يعم فيه اتخاذ العربية لغة العلم . فالعربية لم تقتصر عن اللحاق بركب العلم انما قصر ابناؤها .

وفى اوائل الثلاثينيات صدرت فى مصر مجلة علمية باللغة العربية وفيها دعوة صريحة لتحقيق هذا الهدف ، وكان العدد الاول يحمل استفتاء بين كبار اعضاء هيئة التدريس وكلهم يجمع على تحقيق ذلك الهدف . وتكونت جماعة اطلقت على نفسها اسم جماعة انصار اللغة العربية كان هدفها تحقيق هذا العلم وتدريب اعضاء هيئة التدريس والطلاب على معالجة الموضوعات العلمية بلغة عربية سليمة ، يتناولون فى محاضراتهم ومقالاتهم احدث الموضوعات العلمية من كيميائية وجيولوجية وطبية وصيدلية ونباتية وحيوانية ورياضية وهندسية وطبيعية بلغة عربية لا عجمة فيها . لقد حدث كل ذلك آنئذ فى كلية العلوم بالجامعة المصرية وكان للانجليز فى ذلك الوقت سلطان ودولة ، لا فى السياسة فحسب بل فى العلم والتعليم كذلك . ومع ذلك فقد توافر لدى الكثيرين من ابناء العربية من القوة والشجاعة ما جعلهم ينادون بتعريب العلم. وانى لاسجد لله شكرا ان عشت حتى ارى فجر هذا اليوم يبزغ وما اشك فى ان ضحاه قريب ما دمنا نحمل هذه القلوب القوية والعزمات الفتية ، وما دام ابناء العربية ، فى ارجاء الوطن العربى يستهدفون وحدته ورقيه وقوته ومتعته، ليكون وطنا كريما يستعد ابناءه وتشرف ابناؤه بالانتساب اليه .

وهاهم العلماء العرب يتزايد عددهم يوما بعد يوم يحاولون ان يعيدوا مجد اسلافهم من امثال من ذكرنا وها هم اولا يعقدون المؤتمرات الطبية والصيدلية والهندسية والعلمية العربية فى كل رجا من ارجاء الوطن العربى من اقصى شرقيه الى اقصى غربيه تحت راية لغة الضاد — ليعلن عن حيويته الكامنة وليقود الانسانية مرة اخرى الى رحاب العلم والرفاهية والسلام وانه على ذلك لقدير ما اتخذ من العلم هاديا واماما وما رفع راية لغة الضاد يجعلها من مقومات ثقافته وحضارته ، بل وكيانه ، ولا مراء فى ان اولى مراتب الثقافة الرفيعة علم المرء بلغته ، وقدرته على التعبير والابداع العلمى فيها فى كل مرفق من مرافق الحياة .

* *

ولا مراء فى ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة — وقد عاصرته زهاء ثلاثين عاما — قدم اعظم خدمة لتعريب العلم اذ خصص جانبا غير يسير من وقته وجهده لترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية بعد ان جند لها الخبراء من الاساتذة المتخصصين . كان يجتمع بهم اعضاء المجمع فى لجان واجتماعات تعقد بصفة منتظمة لهذا الغرض ثم يعرض ما تقرره اللجان على اعضاء المجمع مجتمعين فى صورة مجلس ثم تعرض مرة اخرى على هيئة المجمع فى صورة مؤتمر حين يعقد المجمع مؤتمره السنوى ليناقش ويقر ما انجزه المجلس من اعمال طيلة العام ، فكان مرور المصطلح والتعبير العلمى بهذه الخطوات جميعا كفيلا بصقله وحسن صوغه .

وقد اقر مجمع اللغة العربية الوف المصطلحات والتعبيرات العلمية فى مختلف فروع العلم ، نشر منها حتى الآن نحو خمس عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الوف المصطلحات ، فضلا عن عدد غير قليل منها يتضمنه المعجمان اللذان يصدرهما المجمع ، وهما الوسيط والكبير .

وقد ذهب فريق من المشتغلين بهذه المسالة الى انه لا بد من ايجاد جذور عربية للكلمات والمصطلحات المراد ترجمتها والتعبير عنها ، وانه لا ينبغى ان تدنس العربية بعجمة او لكنة وانما تبقى مصفاة مطهرة . وقد يبدو هذا الراى وجيها لولا ان هناك استحالة فى تنفيذه او الاخذ به على اية صورة . فالمصطلحات العلمية فى

تزايد مستمر بل انها لتتكاثر كما يتكاثر الانسان والنبات والحيوان ، فيزيد عددها يوما بعد يوم وسنة بعد اخرى حتى اضحى مجرد حصرها مشكلة تعترض الفنيين والمتخصصين واضحت دور النشر تخرج علينا بين حين وآخر بمعاجم تتفاوت حجوما واشكالا ، وتختلف فى لغاتها وطرائقها ، فمنها ما يصور بلغة واحدة ، ومنها ما يصور بلغتين ، ومنها ما يجمع بين ست لغات او اكثر . فملاحقة هذا التكاثر بلغة عربية اصيلة يبدو امرا مستحيلا لاسباب، ليس اقلها شأنا ان العرب لم تكن تعرف هذه الموضوعات وان هذه العلوم جديدة حتى على الغربيين وان الكثير منها انما راى النور وعرفته الانسانية فى مطلع هذا القرن ، بل وبعد ان تنصف فمن اين تاتى الجذور العربية لهذه المستحدثات والمستعدنات والنظريات التى لم يكن للعرب بها علم .

اننا نكلف العربية شططا ، ونكلف انفسنا جهدا لا طائل تحته ان نحن صممنا على التنقيب فى بطون المعاجم عن اصول عربية للميكروسكوب والترمومتر والالكترون والنيترون والميزون وما اليها مما يعد بعشرات الالوف ، فما علينا الا ان نبحث وندقق فان اسعفتنا المراجع ببغيتنا ، فبها ونعمت ، والا ففى التعريب متسع لهذه الالوف المؤلفة من المصطلحات والتعبيرات العلمية فى كل علم وفن ويسعنا ما وسع الاقدمون من استعمال اريثماطيقا وميتافيزيقا وجومطريا واسطرونوميا وغيرها .

واذا نحن اتفقنا على الترجمة العربية لكلمة فلعله من الواجب توحيدها وتعليم استعمالها فى الاقطار العربية ، بل التزام هذا الاستعمال واذا ترجمنا ميكروسكوب فهل نستعمل مجهر بصيغة اسم الفاعل او مجهر بصيغة اسم الآلة او نقول مجهار على وزن مفعال .

واذا نحن ترجمنا كلمة ترمومتر فهل نقول ميزان الحرارة او نستعمل اسم الآلة فنقول « محرار » على وزن مفعال او نبقى على ترمومتر تقريبا فهذا كما نرى امرا محيرا ، تختلف فيه الآراء وتتباين فيه الاذواق .

« توحيد الترجمة العربية للمصطلحات »

وهناك اوجه خلاف بين الدول العربية والمثقفين العرب بشأن هذه المصطلحات فالعراق والاردن ومصر لوثتهم الثقافة الانجليزية حينا فتاثروا بها . وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ثقافتها فرنسية فتأثرت مصطلحاتهم العلمية بالاصول الفرنسية للكلمات ، فلا بد لنا اذن من الترجمة ثم توحيد هذه الترجمة . ولنضرب بعض الامثلة لهذا التباين فى التعبير العلمى فى بعض البلاد فعلم الطبيعة كما نعرفه فى مصر يسمى فى سوريا والعراق والاردن ولبنان « فيزياء » والاولى ترجمة والثانية تعريب على ان التعريب ليس كاملا او صحيحا فالتعريب الصحيح هو « فيزيقا » كذلك استعمله العلماء الاقدمون كما استعملوا ارثماطيقا للحساب ، وماثيماطيقا للرياضيات وجومطريا للهندسة وهكذا فكلمة فيزياء لم تلتزم فيها العربية الفصحى ولا التعريب السليم ولا عيب فى كلمة طبيعة الا احتمال الشبهة مع (Nature) التى تترجم بنفس الكلمة « طبيعة » .

ونحن نقول فى مصر كما يقول اهل العراق بؤرة العدسة ولكن الاقطار الاخرى تقول « المحرقة » ونحن فى مصر نقول بندول الساعة تقريبا لكلمة Pendulum وفى العراق يقولون « رقاص » وفى سوريا « نواس » وفى الاردن « خطار » فينبغى ان تختار الدول العربية ترجمة واحدة للمصطلح الواحد .

وفى مصر والعراق تطلق كلمة « طحلب » لتدل على Alga ؛ على حين انهم فى سوريا ولبنان يقولون «اشنة» اما اشنة فنستعملها فى مصر لكلمة Lichen على حين تقول الاقطار الاخرى طحلب .

وكلمة Endosperm عربت فى مصر الى اندوسبرم وترجمت فى بعض البلاد العربية الاخرى الى سويداء .

وكلمة Ecology ترجمت فى مصر الى علم البيئة وفى اقطار اخرى الى علم المحيط « وفصيلة » Rutaceae ترجمت فى مصر الى سدبية نسبة الى اسم النبات الذى اشتق منه اسم الفصيلة واستعملت الاقطار الاخرى ليمونية نسبة الى اشهر نباتاتها .

وكلمة Nucellus ترجمت الى « جويزة » فى البلاد العربية وعربت فى مصر الى « نويسلة » .

وكلمة Micropyle ترجمت الى نقير فى مصر وفى البلاد العربية الى « بويب » .

ونحن فى مصر نقول « جرام » تعريبا لكلمة Gram الافرنجية وغيرنا يقول غرام .

ونقول مغنطيسية تعريبا لكلمة Magnetism فعربنا الجاف بالجيم حينا وبالغين حينا آخر . ونحن

نقول ايجروسكوبى وآخرون يقول ايغيرو سكوبى - وهكذا .

وليست الترجمة العربية للمصطلح جامدة ابدا فما ايسر ان نتبين ان هناك ترجمة او تعبيرا افضل حتى نعدل عن الاول اليه ، فلم تكن الترجمة جامدة ابدا ، فقد كانت الترجمة تعرض فى المقالات والبحوث والدراسات فيصقلها ويصححها الذوق العام والاستعمال . ومن امثلة ذلك ترجمة المصطلح الذى يدل على درجة تركيز ايون الايدروجين ويرمز له بالافرنجية بالرمز PH ، فقد سمى اولا - الجهد الايدروجينى ثم الاس الايدروجينى ثم عدل اخيرا الى « الرقم الايدروجينى » .

وكذلك تلك الظاهرة التى سميت حينا « ادمصاص » ثم عدل الى التجمع السطحى وما هى ذى يقرها المجمع اللغوى والذوق العام بين المشتغلين بالعلم الى « امتزاز » ترجمة لكلمة Absorption

ومصطلح غروى اتخذ ترجمة لكلمة Colloid ثم عدل عنها الى شبه غروى ثم الى غراوانى .

وكذلك كلمة Alkaloid عربت حينا الى قلويد ثم ترجمت الى شبه قلوى ثم الى « قلوانى » وهكذا .

« مصطلحات فى علم الطبيعة »

وهناك مصطلحات متقاربة المعنى متفاوتة المدلول لا بد من تعريفها تعريفا دقيقا ، ولا بد من وضع الترجمة الصحيحة لكل مصطلح يتميز بها عن المصطلح الآخر فالمانعة والمعاوقة ، والمقاومة ، قريبة من معناها ولكن مدلولاتها متفاوتة فوضعت :

المانعة ترجمة الـ Reluctance
والمقاومة ترجمة الـ Resistance
والمعاوقة ترجمة الـ Impedance

ثم المجاوزة والمهاودة والمسايرة قريبة فى معناها ، ولكن مدلولاتها متفاوتة فوضعت :

المجاوزة ترجمة الـ Permittance
والمهاودة ترجمة الـ Susceptance
والمسايرة ترجمة الـ Admittance

ثم المفاعلة ، والمنافذة ، والمواصلة ، والمحانة قريبة فى معناها ، ولكن مدلولاتها متباينة فوضعت :

المفاعلة ترجمة الـ Reactance
والمنافذة ترجمة الـ Permeance
والمواصلة ترجمة الـ Conductance
والمحانة ترجمة الـ Inductance

ثم ابتكرت صيغ جديدة لم تكن تستعمل كثيرا كالمصدر الصناعى فنقول :

المانعية ترجمة الـ Reluctivity

وهى مقدار قابلية المادة المغنطيسية لتوصيل الفيض المغنطيسى وهى مقلوب المنفذية .

والمنفذية ترجمة الـ Permeability

وهى النسبة بين كثافة الفيض المغنطيسى المنتج فى وسط ما الى القوة المغنطة المنتجة له .

والمجاوزية ترجمة لـ Permittivity

وهى النسبة بين الازاحة الكهربية لوسط ما الى القوة الكهربية المنتجة له .

والمقاومية ترجمة لـ Resistivity

وتعنى المقاومة الحجمية للمادة ، ويقصد بذلك مقاومة جرام من تلك المادة طوله الوحدة ومساحة مقطعه الوحدة تسمى ايضا المقاومة النوعية .

والمتأثرية ترجمة لـ Suscetibility

وهى النسبة بين شدة التمغنط الى شدة المجال المغنطيسى فى الدائرة المغنطيسية .

والمفاعلية ترجمة لـ Reactivity
والمعاوقية ترجمة لـ Impedivity
والموصلية ترجمة لـ Conductivity

وهى خاصية للمادة بفضلها تسمح للتيار الكهربائى بالمرور خلالها . اذا كان هناك فرق جهد وهى مقلوب المقاومية .

وكذلك تتقارب معانى الانحلال والتدهور والفساد والتفتت والتحلل وقد ترجمت على هذا النحو :

Degeneration .... انحلال
Deterioration .... تدهور
Destruction .... هدم
Disintegration .... تفتت
Analysis .... تحلل
Decay .... فساد

« مصطلحات طبية »

وابتكرت صيغ قياسية كثيرة فى المصطلحات الطبية ، كأن نقول عصاب ترجمة للمصطلح Neurosis

وهو مرض عصبى وظيفى لا تصحبه علامات عضوية، ومن انواعه :

ا) عصاب القلق	Anxiety neurosis
ب) عصاب اصابى .... «	Teaumatic
جا) عصاب قلبى .... «	Cardiac
د) عصاب كلالى .... «	Fatigue
ها) عصاب متأخر	Neurosis tarda
و) عصاب انحصارى قسرى	Obsessive Compulsive
ز) عصاب مهنى	Occupational neurosis
وكذلك نقول عن المرض الجلدى — جلاد	Dermatosis
وعن مرض الصدفية ، صداف	Psoriasis
ونقول بواغ الشعر	Sporotrichosis
والورام الزهمى	Stratomatosis
وفطار الشعر	Trichomycosis
وعقاد الشعر	Trichonodosis
والعراق المصن	Asmidrosis
والعراق الفسفورى	Phosphoridosis
الصحام	Ochronosis
وترجم الى العمه الحسى مصطلح	Agnosis

وهو القصور عن تمييز الاشياء وانواعه :

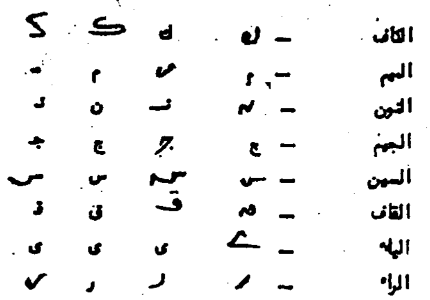
ا) عمه سمعى	Auditory agnosis
ب) عمه بصرى	Optic Agnosis
جا) عمه لمسى	Tactile agnosis
وترجم الى العمه الحركى المصطلح	Apraxia Agnosis

وهو عدم القدرة على الاتيان بحركة ذات قصد .

وهناك عشرات من الامثلة لهذه المجاميع من الكلمات او المصطلحات التى تتقارب فى معانيها وتتفاوت فى دلالتها ومن اسف ان المراجع الاجنبية كثيرا ما تستعمل الكلمة الواحدة لاكثر من معنى ومدلول . فكان على المترجم ان يحتاط كذلك . ومن حسن حظ العربية انها غنية جدا بالمترادفات وان فقتها من اغنى لغات الارض بالمدلولات والالفاظ والاقيسة ، وكانت الطريقة الوحيدة هى جمع هذه الاشياء وتسليط الاضواء عليها واستنباط المدلولات الحقيقية لها والغوص فى المعاجم لاستخراج الكلمة الملائمة وتعميم الاستعمال والتزامه .

« الوحدات والرموز والثوابت »

وهناك صعوبة الوحدات والمواصفات والمقاييس واستعمال الرموز المناسبة لكل وحدة ، وتميزت اللغات الاجنبية بالخطوط المتغايرة ، فالرومانى والاغريقى والايطالى والخفيف والثقيل والكبير والصغير لكل صورة مما جعلنا نحصل على مئات الصور للحروف الابجدية ، ومن حسن الحظ ان الخط العربى هو ايضا متعدد الصور فهناك النسخ والرقعة والثلث وما الى ذلك فنجد مثلا هذه اصور :



فكان علينا ان نؤلف بين هذه الحروف لنجد الرموز الكافية لمئات الوحدات والمقاييس والعناصر ، فهناك رموز للثوابت مثل ثابت سرعة الضوء ، ثابت ، فوجادرو ، ثابت فراداى ، ثابت شحنة الالكترونات ، ثابت الجاذبية ، وثابت لكتلة الالكترون .

وهناك وحدات المقاييس من طول وعرض وارتفاع ونصف القطر والقطر والزاوية والمساحة والحجم .

ووحدات الوقت والزمن والتردد والسرعة وطول الموجة والاتساع والكثافة والعزم والشغل والقوة والوزن والضغط والطاقة والقدرة والكفاءة والشد والثنى والانحراف والالتواء والاحتكاك واللزوجة والولاء والتوتر والتيار والمقاومة والحد والسعة والفيض والجهد والمقاومة والممانعة والمجاوزة والمواصلة والاضاءة .

ثم معاملات الانكسار والانحراف ودرجات الحرارة والتمدد والموصلية والعدد الذرى والوزن الذرى والتكافؤ والتحلل والتأين .

ثم المتر والمليمتر والسنتيمتر والميكرون والميليلتر والثانية والدقيقة والساعة والسيكل والكيلوسيكل والجرام والميلجرام والكيلوجرام .

والسعر والكيلو سعر والواط والفولط والامبير والجول والقنديلة والكولومب والفولط كولومب والفولط امبير والهنرى والفاراد والكورى والميكروكورى ، والبوصة والقدم والياردة والجالون والحبة والاوقية والباوند والباوندال والحصان ، الخ .

هذه امثلة لوحدات لا تجاوز المائة وهناك غيرها لا يتسع المقام لذكرها عدا اكثر من مائة من العناصر الكيميائية ينبغى ان يتفق على رموز من حروف عربية لها . وقد قال قوم بالابقاء على الوحدات والرموز الاجنبية الا ان هذا الراى قد رفض ورؤى التزام بالعربية والمعادلات الكيميائية رؤى تعريبها هى الاخرى ما دامت الرموز قد عربت جميعها .

وتتبين الصعوبة اذا عرفنا ان القدرة والقوة والقطر، وقوة المجال لمغنطيسى والقوة الدافعة الكهربائية والطاقة والدقيقة كل هذا وغيره كثير يرمز اليه بالحرف « ق » ولا بد من التمييز بينها فقد يقع اثنان او اكثر فى معادلة واحدة كذلك المساحة والسعة وستوكس وغيرها يرمز لها بالحرف « س » . والشدة والشغل والشحنة ومعامل الانتشار وغيرها يرمز لها بالحرف « ش » والتردد والتيار والتورك (عزم الدوران) والوقت ومعامل الانتقال وثابت سرعة لتفاعل يرمز لها بالحرف « ت » .

وعدد افوجا درو والزمن وثابت الدوران وعدد اللفات وعدد الجزئيات والسعة الحرارية للجزء وعدد الانتقال ووحدة نيوتن كل ذلك يرمز له بالحرف « ن » .

وهكذا من عشرات الامثلة التى يرمز فيها بالحرف الواحد لعدد كبير من الاحداث والثوابت والمعاملات وما اليها من وحدات ومقاييس عالمية معيرة ينبغى ان توجد لها مقابلات بالاحرف العربية فضلا عن ان الحرف الواحد قد يرمز الى اكثر من عنصر كيميائى واحد فالزئبق والازوت والزرنيخ قد يكون رمزها جميعا «ز» فضلا عن ان حرف «ز» نفسه يرمز به لعدد آخر من الوحدات مثل وحدة ازاحة التيار ومعامل الاسموز وما اشبه .

لذلك كان لا بد من اختيار صور مختلفة للحرف الواحد فضلا عن ضرورة الجمع بين حرفين او اكثر منعا للبس وكذلك الابقاء فى بعض الحالات على الحروف الاغريقية كرموز بعض الوحدات العالمية المعيرة او الرموز الرياضية حيث بدا صعبا احيانا ايجاد رموز من حروف عربية موحدة . ولا بد ان يمضى بعض الوقت حتى تتكامل طريقة سوية مبراة من المآخذ بعد ان يصقلها ويصححها ويسبغها الراى العلمى العام والذوق العام وبعد ان تعيننا المطابع والمسابك على ايجاد الصور المطلوبة للحروف وقد جربت صور مختلفة لخطوط النسخ والرقعة والثلث والفارسى والكوفى بل وحروف التاج التى ابتدعت حينا ثم عدل عنها .

وعلى الذين يقولون بالابقاء على الرموز والمعادلات الحروف الافرنجية ويضربون امثلة على ذلك باللغات الاوروبية المختلفة التى اتفقت على الرموز نفسها فى هذه اللغات فاتهم ان الحروف فى هذه اللغات جميعا متشابهة الى حد كبير فضلا عن انها تكتب جميعا من اليسار الى اليمين فاذا فرضناها فى كتاباتنا وبين سطورنا العربية جاءت نشازا .

وفى علوم الحياة اقر مجمع اللغة العربية قاعدة موحدة للتصنيف كما وضع قواعد لترجمة وتعريب اسماء المواليد والاعيان ومن نبات وحيوان فاقر حلقات التصنيف الآتية :

عالم	Kingdom
عويلم	Sub Kingdom
شعبة	Phylum
شعيبة	Sub Phylum
طائفة	Class
طويئفة	Sub Class
رتبة	Order
رتيبة	Sub order
فصيلة	Family
فصيلة	Sub Family
قبيلة	Tribe
قبيلة	Sub Tribe
جنس	Genus
جنيس	Sub Genus
نوع	Species
نويع	Sub Species
ضرب	Variety
سلالة	Race
عترة	Strain
فرد	Individual

وقد ازالت هذه الاسماء التى اتفق عليها واقرها مجمعنا الموتر ازالت حيرة كانت شائعة لدى مؤلفى كتب المواليد ، واصبح اليوم كل اسم عربى يدل اصطلاحيا على حلقة واحدة من حلقات التصنيف على غرار الاسماء الاعجمية المقابلة لها وواضح ان اسماء حلقات التصنيف هذه تعد من اسماء المعانى ، وانها ترجمت الى العربية ولم تكن الصعوبة فى الترجمة ولكن فى تخصيص كل حلقة باسم عربى واحد راجع وهذا ما اقره المجمع . وهو قرار خليق بأن يتبع مهما يكن للبعض من آراء اخرى فى هذه المسميات وذلك لان فيه خلاصا من فوضى تعدد الاسماء لكل حلقة واحدة من حلقات تصنيف المواليد .

وقد اقر المجمع القواعد الآتية فى ترجمة وتعريب اسماء المواليد والاعيان :

الاولى : ترجمة الالفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الاوسع فى حلقات التصنيف العليا وهى الشعب والطوائف والرتب .

الثانية : اسماء القبائل والفصائل النباتية او الحيوانية تكون عربية او معربة على حسب اسم النبات او الحيوان الذى تنسب اليه .

الثالثة : اجناس المواليد التى ليس لها اسماء عربية تعرب اسماؤها العلمية اذا كانت منسوبة الى الاعلام وتترجم بمعانيها اذا امكن ترجمتها فى كلمة عربية واحدة سائغة وان لم يكن ذلك ممكنا رجح تعريبها .

الرابعة : لا مجال للتعريب فى الالفاظ العلمية الدالة على انواع النبات لان جميع الفاظها او معظمها نعوت او صفات تترجم ترجمة فى جميع اللغات الحية .

الخامسة : يوجد مجال للترجمة او التعريب جميعا فى الالفاظ الدالة على السلالات والاصناف او الضروب .

السادسة : لا مجال للبحث ولا للتركيب المزجى فى تصنيف المواليد ولا حاجة اليهما وفى اللجوء اليهما تشويه للغة العربية .

ومع ذلك فقد رأى المجمع ضرورة الازدواج اى ذكر الاسماء العلمية اللاتينية فى الدراسات العليا وفى حالة احتمال اى لبس .

فمثلا لا مجال للتعريب فى الفقاريات والاسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات فى رتب الحيوان . كذلك لا مجال للتعريب فى غشائية الاجنحة وحرشفيات الاجنحة وذوات الجناحين ونصفيات الاجنحة وما اليها من رتب الحشرات وكذلك للنباتات الزهرية واللازهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة وكاسيات البذور وعاريات البذور وما اليها.

فهذه جميعا ترجمات معقولة مقبولة مستساغة فلا معنى للتعريب هنا مطلقا وكذلك نقول فى الفصائل النباتية النخيلية والنجيلية والزنبقية والنرجسية والسحلبية والخبازية وكذلك اسماء الاجناس كالقمح والشعير والخردل والقطن والورد وما اليها .

اما النوع ، فينبغى ان دل على صفة بعينها ان نردف الاسم المتفق عليه باللغة العربية بالاسم العلمى كاملا ويتعين ذلك خاصة فى الحالات التى تختلف فيها المسميات فالبطاطس فى مصر هى البطاطا فى سوريا ، والخوخ هو الدراق والكمثرى هى الاجاص . بل ان الديس والبوط والبردى اسماء مختلفة لنبات واحد ولكنه يعرف بأسماء مختلفة فى الجهات المختلفة ففى كل هذه الحالات وفى مجال البحث العلمى والكتابات العلمية يتعين الازدواج وذكر الاسم العلمى باللغة اللاتينية .

**

« فى الجيولوجيا »

وفى المصطلحات الجيولوجية تسعفنا العربية بألفاظ تحدد الفروق الدقيقة بين درجات متفاوتة من النور والظلمة والعمق والضحالة والملوحة والعزوبة والبرى والتفتت والتشقق والانفصال والانفصام وما الى ذلك فاذا بها معطاء كأجزل ما يكون العطاء .

فنجد النور والغسق والدغش والغبق والاظلام .

كما نجد الضحل والغائر والعميق والسحيق .

وفى مدى استجابة الصخور ورد الفعل فيها بالنسبة للحركات الارضية .

فاصل وتفصل .... Joint, Jointing

صدع وتصدع .... Fault, Faulting

شق ، تشقق .... Facture, Facturing

دسرة ، ودسر .... Thrust, Thrusting

تفلــق	Cleavage
انـــزلاق	Slipping
تـزحلـق	Sliding
زحــف	Creeping

وفى بـاب الطـى :

طيـة وطـى	Fold, Folding
ثنيـة وثنـى	Plicate, Plicating
تـعـمـرج	Corrugation
قبـة ، تقبب	Deme, Deming

وفى درجات ملوحية الماء نقول :

مـاء عـذب	Fresh water
مـاء مسوس	Brackish water
مـاء ملـح	Saline «
مـاء زعـاق	Hypersaline water
مـاء اجـاج	Brine water

وفى بـاب مـا يشبـه :

غـراوانـى	Colloid
بلـورانـى	Crystalloid
فلـزانـى	Metalloid
سكـرانـى	Saccharoid
كـروانـى	Spheroid
دلتـانـى	Deltoid

وفى موضوع البرى والسحج والتحات والتآكل :
ونقــول :

البـرى او السحج	Abrasion
التحـات	Erosion
التـآكـل	Corrosion

نقــول :

صـواعـد	Stalactites

وهى اعمدة من كربونات الكلسيوم ترسبت فى ارضية الكيف بسبب بخر الماء متجهة الى اعلى :

وهـوابـط	Stalactites

وهى اعمدة من كربونات مدلاة من سقف الكهف بسبب بخر الماء متجهة الى اسفل . وهى صيغ عربية سليمة ما اظن ان الاقدمين قد استعملوها .

وفى مراتب ومراحل الزمن الجيولوجى نقول : الدهر والحين والحقب والعصر والبرهة واللحظة .

1) الـدهـر : Eon

اطول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجى لا يقل مداها عن عدة مئات قد تصل الى الف او اكثر من ملايين السنين . مثل دهر الحياة الظاهرة .

2) الحـيـن : Era

اطول مراحل العصر فى الزمن الجيولوجى ويقاس مداها ببضعة ملايين من السنين (لا يتجاوز العشرة عادة) ويتميز كل حين من الاحيان الجيولوجية بفضائل اجناس حيوانية ونباتية يبيد معظمها مع نهايته . مثل حين الحياة القديمة .

3) الحـقـب : Period

المدة من الزمن ترسبت اثناءها صخور المجموعة وتقدر بمئات الملايين من السنين مثل الحقب الكربونى

4) العـصـر : Age

اطول مرحلة من مراحل الحقب ويقاس مداها بعدد قليل من عشرات الملايين من السنين . ويتميز كل حقب برتب وفصائل حيوانية ونباتية تنقرض اغلبها او تقل اهميتها الجيولوجية مع نهاية الحقب .

ولم تسمح وسائل تقسيم الاحقاب الى عصور الا فى الاحقاب الثلاثة الاخيرة فقط التى تتبع دهر الحياة الظـاهـرة .

5) البـرهـة : Hemero

مرحلة من الزمن الجيولوجى يقاس مداها بمئات الآلاف من السنين ويندر ان يبلغ مداها اكثر من مليون سنة . وهى اطول مرحلة ينقسم اليها حين من الاحيان الجيولوجية ويتميز بازدهار نوع معين او عدة انواع معينة من الحيوانات او النباتات تنقرض او تقل فى الاهمية الجيولوجية كثيرا مع نهايتها .

6) اللحـظـة : Moment

اقصر مراحل الزمن الجيولوجية واصغر وحداته ولا يتجاوز مداهـا بضع عشرات من آلاف السنين ويتميز بسيادة نوع معين من الكائنات خلالها او بمرحلة معينة من تاريخ هذا النوع .

«جهـود مجمـع اللغـة العربيـة»

وإذا نحن عرضنا للهيئات التى كان لها الفضل فى هذه الحركة المباركة من تطويع اللغة العربية للاستعمال فى التعبيرات والمصطلحات العلمية فاننا لنضع على راسها مجمع اللغة العربية . فهو الذى يسر الامـر بجهود اعضائـه وخبراته من اساتـذة الجامعـات المتخصصين فهم جميعا قوم عاكفون على صون اللغة وسلامتها وهى الضمان الوحيد للتفاهم الصحيح بين قطان الوطن العربى اذ ان العامية واللهجات المختلفة لا يستقيم بها تخاطب ولا تفاهم وانما يكون ذلك باللغة العربية السليمة التى يحافظ عليها وينميهـا مجمـع اللغة العربية باعضائه ولجانه وخبرائه وكانت حصيلة جهوده فى هذا المجال خمس عشرة مجموعة تضـم عشرات الالوف من المصطلحات فى العلوم المختلفة .

«المجمـع المصرى للثقافـة العلمية»

واذكر بالتقدير المجمع المصرى للثقافة العلمية وقد عاصرته منذ انشائه منذ نيف واربعين عاما لا افكـر انى تخلفت عن محاضرة من محاضراته او مؤتمر من مؤتمراته الا لعذر قاهر طارئ لقد جعل مـن اهـم اغراضـه تعـريب العلم ونشر الثقافـة العلميـة باللغـة العربيـة . وقد حقق هذا الغرض كاملا بما نشر واذاع من كتب ومحاضرات وبما ترجم وعـرب وناقش من موضوعات هى من صميم الموضوعـات العلمية نشرها على النـاس بلغـة عربية سليمـة لقد استحق اعضاؤه ومؤسسوه كل تقدير ان اسهموا بأوفى نصيب فى خدمـة اللغـة العربيـة وتطويعها للتعبيـر العلمـى .

ولا ننسى المؤتمرات العلمية العربية التى نظمهـا الاتحاد العلمى العربى والمؤتمرات العلمية العربيـة والمؤتمرات الطبية العربية التى عقـدت فى العواصم العربية منذ عشرين عاما . فقد عقد المؤتمر الاول فى الاسكندرية سنة 1953 ، وكان الثانى فى القاهـرة سنة 1955 ، والثالث فى بيروت سنة 1957 ، والرابع فى القاهرة سنة 1961 ، والخامس فى بغداد سنـة 1966 ، والسادس فى دمشق سنة 1969 ، والسابع فى القاهرة سنة 1973 . لقد عرضت مـن بين مـا عرضت لموضوعات المصطلحات واوصت من بين ما اوصت بضرورة الاسراع فى وضع معجم علمى عربى موحد اعد له نحو مائة الف مصطلح روجعت حيزا ذات نحو ثلثها ومن اسف ان توقف العمل فيه وكان ذلك فى كنف وزارة البحث العلمى ثم اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

وكذلك عقدت مؤتمرات طبية عربية كثيـرة كونت هيئة لترجمة المصطلحات كانت نـواة لتاليف لجنـة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية .

وينبغى ان نذكر بالشكر جهودا اخرى بذلتها جامعة الدول العربية حين جمعت الادارة الثقافية بهـا ـ المصطلحات العلمية التى تستعمل فى المدارس الثانوية وعملت على توحيد ترجمتها فى الاقطار العربية فجمعت مئات المصطلحات مما يستعمل فى الرياضيات والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وعرضتها على المتخصصين فى البلاد العربية وقد اقرت الترجمة العربية الموحدة فى المؤتمرات العلمية .

«خبيـر اجنبـى»

ولعلنا ان نذكر فى هذا الصدد جهود خبير اجنبى هو السيد «جمبلت» الذى استقدم بمعرفة اليونسكو ابان انعقاد المؤتمر العلمـى العربى الثانـى سنـة 1955 ، وامضى بمصر ستة اشهر عكف فيهـا على جمع نحو الف واربعمائة مصطلح فى علـم الطبيعـة جميعها وتعريفها من المعاجم المعيرة وفرقها فى جذاذات وزعت على المتخصصين لترجمتها ، ثم جمعت فى كتاب يقع فى جزأين عرضت بعد ذلك فى المؤتـمـر العلمـى الثـالث فى بيروت . وقـد اشار الخبيـر بمعالجـة المصطلحات جملة حسب الموضوعات لا فرادى حسب الترتيب الابجدى كمـا اشار بانشاء مكتب خـاص للمصطلحات وباستعمال النظام العشرى العالمـى فى تنسيقهـا وتبـويبهـا .

«مكتـب التعـريب»

وها هو ذا مكتب التعريب يقوم بدوره فى هذا المجال وقد اخرج حتى الآن عددا من المجموعات التى تضم الـوف المصطلحـات .

«معـاجم مختلفـة»

ولعلنا نذكر كذلك عددا من المعاجم كان لها اثرها

فى تذليل الصعاب مثل معجم شرف للمصطلحات الطبية والعلمية ومعجم المعلوف للحيوان ومعجم عيسى للنبات ومعجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابى ثم معجم المصطلحات العلمية والفنية الذى يضم نحوا من خمسةوثلاثين الف مصطلح فى العلوم الميكانيكية والهندسية والرياضية والطيران والبحرية وما اليها .

وهناك المعجم العسكرى الموحد الذى اشرفت على اصداره جامعة الدول العربية ويضم نحو ثمانين الف مصطلح .

لعله قد آن الاوان لتنسيق هذه الجهود جميعا والعمل على اصدار معجم علمى عربى موحد وهو ما اوصت به المؤتمرات العلمية العربية المختلفة وكذلك العمل على اصدار دورية علمية عربية تكون مدرسة لكبار المتخصصين لنشر الثقافة العلمية الرفيعة والموضوعات العلمية المتخصصة الدقيقة .

« خاتمة »

وخلاصة القول ان اللغة العربية قد اثبتت قدرتها على التعبير العلمى وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة اليها وانها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته لولا هذا التعويق الذى يأتى عن طريق نفر من ابنائها ولا يصبرون على ادائها يستسهلون استعمال اللغات الاجنبية فيظن شبابنا ان هذه العلوم مستوردة من الخارج مع انها بضاعتنا ترد الينا ومع اننا نحن العرب اهل اصالة واثالة فيها .

ومن الحق ان نقول ان التعليم فى كل بلاد العالم العربى اصبح بالعربية ، فيما عدا قلة ضئيلة تلك التى تعددت فيها اللغات الاقليمية او التى خضعت للاستعمار الاجنبى ردحا طويلا ، فاضطرت لاتخاذ لغة المستعمر لغة رسمية وتعليمية لها .

ونحن فى وطننا العربى لا نستطيع ان نحقق ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية ولست ادرى لماذا لم تكن العربية هى لغة التدريس فى الجامعات العربية ؟ فلماذا يتعين ان تكون الانجليزية او الفرنسية ؟ ان استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعى انما هو وسيلة اكيدة للابداع العلمى وربط الجامعة بالمجتمع ورفع المستوى الثقافى والعلمى للامة العربية ومنع الانفصال بين التفكير والتعمير ولامراء فى ان الدعوة الى بناء المجتمع العربى تبقى ناقصة اذا اغفلت التركيز على اللغة العربية باعتبارها المقوم الرئيسى للوجود العربى وليس معنى اتخاذ العربية لغة للتدريس فى الجامعات والمعاهد عدم العناية باللغات الاجنبية بل على النقيض ان ذلك ادعى بمضاعفة الجهد فى سبيل تقوية الطلاب فى اللغات الاجنبية وذلك لمتابعة الاطلاع على المنجزات العلمية بلغاتها الاصلية .

واذا كان قد غدا من العسير ملاحقة التقدم العلمى الهائل حيث ينشر اكثر من مليونين من البحوث العلمية المبتكرة سنويا فى اربعين لغة فلا اقل من ملاحقة ما ينشر باللغات الاجنبية الاكثر شيوعا كالانجليزية والفرنسية والروسية والالمانية الى جانب الوف الكتب العلمية التى تنشر بهذه اللغات ، وانما يكون ذلك بتقليد ما فعله الرشيد والمأمون من انشاء ديوان للترجمة فى بيت الحكمة فى العصر الذهبى للحركة العلمية فى العصر الاسلامى .

والآن وقد ثبتت قدرة اللغة العربية على التعبير العلمى فحبذا ان يوصى مؤتمرنا بالآتى :

1 — لان تكون العربية لغة التدريس فى جميع الجامعات والمعاهد العربية .

2 — الاسراع فى اصدار معجم علمى عربى موحد .

3 — انشاء ديوان للترجمة تحشد له ارقى الكفايات العلمية لنقل البحوث والكتب العلمية الى اللغة العربية .

4 — تأكيد العناية بتدريس اللغة العربية واللغات الاجنبية فى المدارس والجامعات والمعاهد .

وبعد ، فانه مما يشرف جيلنا ان تنفى عن العربية تهمة الجمود والقصور وان نجعلها لغة العلم كما فعل اسلافنا فى الزمن الماضى ، حين جعلوا منها لغة للنشر العلمى العالمى وعنها نقل اهل اوروبا علوم العرب وفنونهم .. ولولا هذه الاغفاءة التى طالت بضعة قرون لكان الحال غير الحال ، ولاستمر قصب السبق فى ايدينا ، ندل به على من نشاء ، وها نحن ننضو ثوب الخمول ونركض نحو المجد وثبا نريد ان نستعيد

مجد السلف وان نلحق بالركب ونشارك فى بناء صرح المدنية والحضارة ونحن الذين اسسنا بناءه واقمنا دعائمه فى سالف الازمان ، ونمد نهر المعرفة برافد من اعذب روافده واغزرها مادة واسلسها اسلوبا وافصحها بيانا ، انها معرفة علمية صيغت بلغة الضاد يقرؤها مائة مليون من الانفس هم قطان الوطن العربى نريد لهم وحدة قوية عزيزة ، ومحاطة بسياج من العلم ، سداها العلم ولحمتها العلم ولغتها العربية الفصحى .

مُلاحَظات حَول تطوير اللّغة العَربيّة لمسَايرة التطور العلمي التقني .

د. محمود الجليلي
عضو المجمع العلمي العراقي

تضمن جدول اعمال مؤتمر التعريب الثانى المقرر عقده فى الجزائر فى شهر كانون الاول (ديسمبر) 1973 بحوثا للمناقشة فى الاجتماع العام للمؤتمر منها (الطرق المتبعة لتطوير اللغة العربية العلمية) ، واقترحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعداد بحث عن الموضوع . فقمنا باعداد الملاحظات التالية الغرض منها اثارة النقاش وتوجيهه وجهة عملية.

1 — ان اتساع اللغة العربية يجعلها قابلة للتطور لتستوعب النمو السريع فى مختلف العلوم والفنون ، وقد سبق لها ان استوعبت العلوم والفلسفة قبل مئات السنين ، وهى الآن ماضية فى نفس السبيل .

2 — ومن اهم العناصر اللازمة لتطوير العربية وجود مصطلحات تفى بالاغراض العلمية التى اصبحت سرعة نموها فى سنوات اكثر مما كانت عليه فى قرون . وقد اولت المجامع فى البلاد العربية المصطلحات العلمية والحضارية عناية متزايدة، كما اخذ الباحثون يعملون بجد فى هذا المضمار ، ولكن لا بد من ان نؤكد نقطة مهمة وهى ضرورة العمل على توحيد هذه المصطلحات قبل ان تتعدد وتتنوع فى الاقطار العربية ، فيصعب بعد ذلك توحيدها بعد ان تكون قد رسخت فى القطر الذى وجدت فيه . ان وجود مصطلحات موحدة متفق عليها او مقبولة فى الاقطار العربية اصبح حاجة ملحة .

ومما يجب التنويه به ان انشاء اتحاد المجامع العربية والاتحادات العلمية والمهنية الاخرى خطوة مهمة فى تسهيل وتوحيد المصطلحات . وقد تم انجاز المعجم العسكرى الموحد بسعى جامعة الدول العربية ، وتم انجاز معجم المصطلحات الطبية بسعى اتحاد الاطباء العرب ، كما اقرت مصطلحات كثيرة فى مختلف العلوم فى اجتماعات للمتخصصين او المعنيين بها فى الاقطار العربية.

3 — وقد كان تيسير اللغة العربية موضع اهتمام منذ عشرات السنين . ويجب ان نفرق بين مجموعتين من طلاب الدراسات العربية : اولئك الذين يختصون بها وعليهم اتقانها على اوسع مدى واولئك الذين يختصون بفروع اخرى من المعرفة كالطب والهندسة والعلوم الصرفة (البحتة) او التطبيقية ، والذين عليهم اتقان مقدار كاف يسهل لهم حسن الاداء من دون خطأ ، اذ لا يمكن الفصل بين الفكرة العلمية والتعبير عنها ، واللغة اداة عرض الفكرة وواسطة التفاهم بين المشتغلين بالعلوم .

ان الحاجة الى لغة عربية للمشتغلين بالعلوم واضحة ، وتزداد مع تقدم العلوم السريع ، ويوجد فى لغات كثيرة كتب لغوية للمشتغلين بالعلوم عامة والعاملين بفروع علمية او فنية خاصة . وقد حان الوقت لاعداد شيء من ذلك باللغة العربية . خاصة ونحن نجد كثيرا من المشتغلين بالعلوم ليس بامكانهم الكلام او الكتابة بلغة صحيحة خالصة من الخطأ .

ولا بد ان نذكر ان طلبة المدارس بعد انهائهم احدى عشرة او اثنتى عشرة سنة من الدراسة ليس بامكانهم — الا من ندر — التكلم او الكتابة دون لحن او خطأ كبير ، كما ان كثيرا من طلبة الجامعات فى الدراسات العلمية وربما الادبية هم كذلك . فلا بد من بحث وتقييم الطرق التى يدرس بها الطلاب اللغة العربية ، فهل الخطأ فى اعداد الطالب ، ام فى اعداد المدرس ، ام الخطأ فى مادة وطريقة التدريس ، ام فى الكتاب المدرسى ، ام الخطأ فى اكثر من جهة واحدة .

4 — ولقد عملت لجان الاصول خاصة فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ثم فى المجمع العلمى العراقى على تذليل بعض الصعوبات ، كما قام بعض الباحثين بشئ من ذلك وقد حظى القياس والاشتقاق واستعمال صيغ للدلالة على الاعراض او الحرف او الآلات ، ولكن العربية ما زالت تحتاج الى كتاب فى النحو والصرف يحتوى القواعد العامة ويتجنب الشواذ . ويوجد باللغات الاجنبية كتب من هذا النوع تتدرج مع الطالب ، او تكتب لمعلمى اللغة من الاجانب .

لقد جرت محاولات لتسهيل النحو وتيسيره ولكن الذى نحتاجه هو كتاب لطلبة العلوم لا لطلبة قواعد اللغة .

5 — يضاف الى ما تقدم توضيح الاملاء بحيث لا يترك مجالا للخطأ مثال ذلك تنقيط الياء لتفريقها عن الالف اليائية مثل المصفى والمصفى ، اذا لم يكن ثمة مجال لكتابة الالف المقصورة الفا قائمة .

غير ان الدعوة الى اجراء تبديل فى الحروف العربية لا مبرر لها وقد تؤدى الى قطع صلة الامة بماضيها وتراثها . اما مشاكل الطباعة فلم تمنع النشر باللغة العربية منذ ان عرفت الطباعة ، وحلها يكون عن طريق التطور التقنى فى هذا الشأن .

6 — الاسلوب العلمى — ان عرض الفكرة العلمية يحتاج الى اختيار دقيق للكلمات واستعمال موفق للجمل ، وذلك يستوجب تحديد المعانى واستعمال الكلمات بوضوح بحيث يقل المجاز المرسل وغيره مما ينافى دقة التعبير العلمية ، وتقل الصيغ والتعابير التى فيها مجال كبير للتأويل والتفسير ، ومن المستحسن ان يصار الى الاسلوب الموضوعى المجرد بدل الاسلوب الشخصى .

ومن الضرورى ان تحتوى كتب الادب واللغة نماذج من الكتابات العلمية الى جانب الشعر والنصوص الادبية الاخرى . وهناك مسالة النسبة فى اللغة وضرورة الاستعانة بها للتميز الدقيق كأن ينسب بطرق مختلفة للتدليل على معان مختلفة كأن يقال فى النسبة الى كلمة بيضة بيضى عند ما تقصد البيضة ومشتقاتها ، ويقال بيضوى عند ما يقصد شكلها ، وكذلك النسبة الى الجمع او المفرد للتفريق فيقال جرثومى عند ما تقصد الجرثومة ويقال جراثيمى عند ما يقصد المختص بعلم الجراثيم .

7 — ان الاستعمال الدقيق للمفردات يوجب بحث الترادف فهل هو ترادف صحيح ام ان لكل كلمة مدلولها المميز ، ام ان كل قبيلة كانت تستعمل

كلمة دون اخرى . وما يضيرنا فى اللغة العلمية اذا حددنا لكل من هذه المترادفات مدلولا خاصا. اما الاضداد فلا بد من اهمالها .
ان تحديد المعنى الدقيق للكلمة يستوجب معرفة تطور استعمالها .

ولنضرب لذلك مثلا كلمة التعريب . فللتعريب معان متعددة اقربها الى ما نحن بصدده تقول مجد الدين الشيرازى (الفيروزابادى) فى القاموس المحيط (والتعريب تهذيب المنطق من اللحن) ، وفى لسان العرب لابن منظور قوله (وتعريب الاسم الاعجمى ان تتفوه على منهاجها، تقول عربته العرب واعربته ايضا) .

وفى المعجم الوسيط الذى اخرجه مجمع اللغة العربية التعريف الآتى (اعرب الاسم الاعجمى نطق به على منهاج العرب .. وعرب الاسم الاعجمى عربه ..)

وعند بدء المصطلحات العلمية بحث « التعريب » بحثا واسعا وتقرر استعماله فقط عند الضرورة القصوى .

ولكنا نجد انه اصبح للكلمة مدلول آخر ، فأصبح الكلام عن (تعريب التعليم) مألوفا ويقصد به التدريس باللغة العربية ، وكذلك اسم مؤتمرنا هذا (مؤتمر التعريب الثانى) وكما سبق ان انشىء (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) واصدر دراسات وابحاث عديدة .

8 — على ان تسهيل اللغة العربية للعلوم يجب ان لا يدع مجالا لتسلل العامية او الركة الى اللغة الصحيحة ، فهناك درجات من البلاغة فيجوز استعمال البليغ مع وجود الابلغ وكذلك هناك درجات كافية من المرونة بقواعد اللغة واصولها لتؤدى الى اداء صحيح بها كتابة او تكلما .

9 — ان استمرار البحث العلمى فى اللغة واستنباط القواعد الشاملة من الامور الضرورية ، وقد يكون فى استعمال الحسابة فى ذلك ما يسهل هذه البحوث .

10 — ولاجل ان تتمكن اللغة العربية مسايرة التطور العلمى والتقنى فلا بد من اتباع السبل التالية :

1 — ايجاد مصطلحات موحدة تستعمل فى البلاد العربية ، بامكانها مسايرة التطور السريع فى العلوم .

2 — استعمال الاسلوب الواضح الدقيق واللغة الصحيحة فى التخاطب ولكتابة والتدريس ، وابتعاد وسائل الاعلام كالاذاعة من غير ذلك .

3 — تاليف المعاجم المتخصصة وقد الف بعضها ، ومن المفيد تاليف معجم للتطور الحضارى لاستعمال الكلمات .

4 — اصدار نشرات او مجلات دورية باللغة العربية فى مختلف العلوم تحتوى على البحوث الاصيلة والتطبيقية اضافة الى بحوث مراجعة المصادر والمستخلصات والخلاصات .

*

حول مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الإدارية

الدكتور مصطفى الباروري

شرفنى « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى » بالرباط بمهمة علمية سامية حيث عرض على المشروع الذى اعدته « المنظمة العربية للعلوم الادارية التابعة لجامعة الدول العربية » كدليل للمصطلحات العربية فى العلوم الادارية ، لعلى بعد الاطلاع عليه استطيع أن اضع المقابل الفرنسى لكل مصطلح ورد فى هذا المشروع الذى حرص واضعوه على ان ينطلقوا من التعابير الانكليزية وحدها فيضعوا مقابلها باللغة العربية .

وما ان تصفحت مشروع الدليل هذا حتى تاكدت ان مثل هذه المهمة لا تتحقق الا على يد عدد من الاعلام المتخصصين يجتمعون لهذه الغاية . ويكون جلهم من الذين جمعوا فى تكوينهم العلمى بين الثقافتين الفرنسية والانكليزية . فضلا عن تضلعهم باللغة العربية ، ويحسن أن يكون فيهم اكبر عدد ممكن من اساتذة الحقوق الادارية فى مختلف كليات الحقوق فى العالم العربى ! وفى سبيل دعم الدعوة الصادقة اقدم هنا هذه الدراسة السريعة للمشروع الذى اثار عندى كوامن الذكريات وجدد الآمال بتوحيد سليم ، على الصعيد العلمى والادارى للتعابير المتداولة ، على اقل تقدير ! ..

والحقيقة ان مشروع الدليل هذا قد ايد انطباعى الاول عن « المنظمة العربية للعلوم الادارية » التى اشرفت على اخراجه ، فلقد كان وافانى — فى النصف الاول من عام 1971 — الصديق المرحوم الاستاذ عبد الرحمن بن عبد النبى بكثير من منشورات المنظمة لما كان مديرا للمدرسة الادارية المغربية فزار القاهرة فى مؤتمر للعلوم الادارية وعاد يحمل تلك الدراسات التى صدرت عن المنظمة ، وقد قلت له — رحمه الله — لما تذاكرت معه فى وضع « المنظمة العربية للعلوم الادارية » فى ضوء القائمة الكاملة لما صدر عنها :

« كأنى بهذه المنظمة تنسى ان اكثر العالم العربى

يستقى الحقوق والعلوم الادارية عن اصل فرنسى ، فلماذا تطبع المنظمة نفسها بطابع موسوم بالاخذ عن الاصل الانكليزى وحده ؟ » .

ولو رجعنا الى اصل انشاء هذه المنظمة ، لوجدنا ان من بين الحوافز الى انشائها ما كان اقترحه الاساتذة العرب فى الحقوق الادارية المشاركون فى اعمال المؤتمر الدولى العاشر للعلوم الادارية المنعقد فى مدريد فى ايلول ـــ سبتمبر 196 ، وهم الاستاذ الكبير الدكتور محمد فؤاد مهنا ، والاستاذ المرحوم الدكتور توفيق شحاتة ، وكاتب هذه السطور ، حيث اقترحنا فى رسالة خطية الى جامعة الدول العربية تأسيس منظمة عربية للعلوم الادارية ! ..

وقد لقى الاقتراح قبولا حسنا ، ودعيت من قبل جامعة الدول العربية بالتوافق مع الحكومة السورية للحضور الى القاهرة فى شهر ايار ـــ مايو 1957 للمذاكرة فى عقد اول مؤتمر عربى للعلوم الادارية فى دمشق للنظر فى شؤون كثيرة من بينها تأسيس المنظمة .

وانعقد المؤتمر فعلا فى دمشق فى تشرين الثانى ـــ نوفمبر 1957 ، وتلاه مؤتمر ثان فى الرباط فى كانون الثانى ـــ يناير 1960 ، وتم فى المؤتمرين وضع اسس احداث المنظمة ، وكان بين الذين قرروا ذلك كبار المتخصصين فى العالم العربى فى الحقوق والعلوم الادارية ، ممن يغلب على تكوينهم العلمى الاخذ عن المدرسة الفرنسية فى الحقوق الادارية ، مع معرفة بمعالم العلوم الادارية فى العالم الانكلوساكسونى ، ويقينى انه لم يخطر على بال احد منهم وقتئذ ان المنظمة ، اما رات النور ، ستولى وجهها شطر العالم الانكلوساكسونى وحده ، فتقتصر على مسائل ادارية مستقاة عن ذلك الاصل الذى لا يأخذ عنه الا عدد قليل من دول العالم العربى سواء من حيث الرقعة ام من حيث السكان ! .

فلقد اخذت عن الاصل الفرنسى دول المغرب العربى الكبير (باستثناء ليبيا) واعنى المغرب والجزائر وتونس ، وكانت الدولة الوحيدة العربية من دول افريقيا التى قد يصدق فيها انها استقت عن الاصل الانكليزى وحده دولة السودان ، فى حين جمعت مصر بين المصدرين الفرنسى والبريطانى ، حتى غلبت على حقوقها الادارية القواعد ذات الورد الفرنسى بعد احداث مجلس الدولة كقضاء ادارى مستقل فيها ، واعتقد ان ليبيا تأخذ عن المصدرين معا ايضا بحكم صلاتها الوثيقة لدى استقلالها عام 1951 ، وهنالك فى آسيا : سورية ولبنان الغنيتان جد الغنى بتجارب التعريب اخذا عن المصدر الفرنسى وحده تقريبا ، بسبب الانتداب الفرنسى عليهما ، وحتى العراق والاردن اخذتا بشىء من قواعد الحقوق الادارية على الطريقة الفرنسية مع اتصالهما الوثيق بالانتداب البريطانى فى الاصل ، فى حين غلب الاصل البريطانى وحده كمنهل للعلوم الادارية فى فلسطين وفى دول الخليج العربى ..

ان دولا عربية تبلغ من الشأن ما يبلغه هذا العدد الذى سقناه منها ، وهى تأخذ عن اصل فرنسى ، جديرة بأن تلقى اكبر العناية فى مهمة تنسيق التعريب وتوحيد المصطلحات فيما بينها ولكم كانت « المنظمة العربية للعلوم الادارية » تكون اكثر توفيقا فى عملها ، وهى قائمة فى مصر نفسها لو انها استفادت من كفاءة امثال الدكتور محمد فؤاد مهنا ، والدكتور عثمان خليل عثمان ، والدكتور سليمان الطماوى ، ومن كثيرين غيرهم سواء فى كليات الحقوق ومعاهد العلوم الادارية ، ام بقية المتخصصين من كبار رجال الدولة فى الاجهزة الادارية فى مصر نفسها وفى غيرها ، ممن يحيطون احاطة علمية واسعة عربية فرنسية انكليزية ، بالحقوق والعلوم الادارية ، ولو شارك بعض هؤلاء فى وضع الدليل لكان خرج على غير الصورة التى نشرته عليها « المنظمة العربية للعلوم الادارية » .

ولعل حجتنا الكبرى هنا ، وجوهر بحثنا فى صدد الدليل للمصطلحات العربية الموحدة ، ان احدا من المتخصصين بعمق فى الحقوق والعلوم الادارية لا يخفى عليه التباين الكبير بين الاصل الفرنسى والاصل الانكلوساكسونى ، فالحقوق الادارية الفرنسية ولدت بالاجتهاد للتبرؤ من قواعد الحقوق الخاصة على صعيد عمل الادارة العامة ، فى حين بقيت اكثر قواعد الحقوق الادارية الانكلوساكسونية تتسم بطابع الحقوق الخاصة .

ليس صحيحا اذن ، ان ينطلق « مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة فى العلوم الادارية » من

نقطة انطلاق انكليزية محضة ، وكأننا نقدم التعـريب ومصطلحاته الى العـالم الانكلوساكسونـي نفسه ، وليس الى دولنا العربية ، وبخاصة اذا ما وجدنـا فى الدليل تعابير لا نحتاجها اصلا فى الحياة الادارية للدول العربية ، ونحن احوج ما نكون فى العالم العربى الى توحيد التعابير على اقل تقدير ، على الصعيد العلمى الجامعى والصعيد الادارى لاجهزة الدول العربيـة ، حيث نجد تعابير متباينة او متعددة ، لا بد من توحيدها ولو بالالـزام ..

وهنا اعرض على سبيل المثال بعض تعابير عجيبة فى مشروع الدليل لا احسب اننا نتعرض لها فى الواقع العملى او فى التدريس العلمى كمثـل التعبير رقم 1 « الملكية الغيابية » Apsent ownership

او تعابير غريبة نصها العربى المقترح كمثـل التعبير رقم 1340 « مصرفة الانفاق » Expensing او تعابير خاطئة فى صيغتها العربية المقترحة للتوحيد بالنسبـة للمقصود الانكليزى كمثل التعبير الذى تكرر فى الارقام 1429 — 1430 — 1432 ومثالـه فى التعبـير رقم 1432 « انحراف قيمة المبيعات » Sales value variance

وانى لاكتفى بهذه الامثلة على قلتها ، كى اقف عند كلمة « انحراف » التى نستعملها فى الفقه الادارى العربى وفى القضاء الادارى استعمالا يتباين تماما مع الموضوع الذى وضعها فيه مشروع الدليل الموحد ! ـ

فقد استقر هذا التعبير على انه مقابـل للكلمـة الفـرنسيـة Détournement وتتضمن فى معناهـا اساءة الاستعمال كمثل الانحراف فى استعمال السلطة الادارية ، فى حين ساق الدليل هذا التعبير فى مجـال آخر بعيد كل البعد عن القصد ، فاظـن ان المقصود بكلمـة Variance التى وردت بالدليل — وهى كلمة انكليزية هو « الابتعاد » او هو « الميل » اى ما يقابل بالفـرنسيـة L'écart

وفى ختام كلمتى هذه السريعة حول « مشروع دليل المصطلحات العربية للعلوم الاداريـة » احـرص على القول اننى لست اطعن فى عمل جليل كهذا العمل الذى ينم عن جهود كبيرة ، ولكننى حيث اتذكر قول الشاعر العـربـى ·

ولـم ار فى عيـوب النـاس عيبا
كنقص القـادريـن علـى التمـام

اقول ما قلت فى الدليل ، واقترح لتلافى نقصه ان تنعقد لجنة من اعلام الحقوق والعلوم الادارية لدى « مكتب تنسيق التعريب » فتتولى اولا اعداد مشروع يستقى — فى ضوء واقعنا العلمى والعملى — عـن الاصل الفرنسى ، فيوحد تعريب المصطلحات الآخـذة عنه لدى شتى الدول العربية ثم تنسق هذه اللجنـة بين مشروع الدليل الجديـد المقتـرح ، وبين مشروع الدليل الذى قدمته المنظمة العربية للعلوم الاداريـة على ان يعرض نتاج عمل هذه اللجنـة على جميـع المتخصصين فى العالم العربى ليقدموا ملاحظاتهم قبل ان ينعقد منهم مؤتمر يقرر بصورة نهائيـة التعـابير والمصطلحات الملزمة لجميع الدول العربية ! ـ

والله هو الموفق الى مثل هذا الصراط المستقيم !

الرباط فى 26 شباط — فبرير 1973 ·

الرباط — مصطفى البارودى

*

الإعلام ولغة الحضارة

الأستاذ عبد العزيز شرف
القاهرة

المقدمة

قدم كتاب « الاعلام » الى اللجنة التى شكلتها حكومة الكويت لمدارسة الكتب والموضوعات بصدد المسابقة التى اعلن عنها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى ، وقد فاز بالدرجة الثانية وحصل على مكافأة مالية قدرها خمس مائة دولار . وفيما يلى تقرير اللجنة حول هذا الكتاب .

يقع الكتاب فى 247 صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من ثلاثة ابواب ، اشتملت على تسعة فصول ؛ وخاتمة ، هى « الاعلام ومستقبل الفصحى » .

اما فصوله فهى تلقى الضوء على محتوياته ومنهجه، وبيانها :

اللغة وتكوين الرأى العام — اللغة والاتصال بالجماهير — اللغة فى ضوء البحث الاعلامى — اللغة الاعلامية — الاعلام واللغة المشتركة — لغة التعبير الاعلامى — الاعلام والتنمية اللغوية — لغة الصحافة — لغة الاذاعة المسموعة والمرئية .

ثم انتهى بمعجم ذى شطرين : ا — مصطلحات مولدة شائعة فى الاوساط الكتابية من صحف وسواها .

ب — مصطلحات مولدة فى المعاجم الحديثة .

ويقع هذا المعجم فى ثلاث وعشرين صفحة ، تضم الصفحة الواحدة اربعين مصطلحا ، وبذلك تبلغ المصطلحات 900 مصطلح تقريبا .

وهو بهذا يريد بثها واذاعتها ، حتى تؤدى رسالتها الاعلامية .

هدف الكتاب : يهدف الى تكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للامة العربية ، وتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة واذاعة الكتاب لتكون ذات سلطان فى التعبير الجماهيرى ، كما يحاول ان يكشف عن مزايا التعبير فى لغة الضاد ، مدللا على انها اهل لان تكون فى الصف الاول للغة الاعلام . وهو فى ثنايا بحثه يقوم بدراسة مقارنة ، عميقة ، نفسية ، اجتماعية ، لغوية ، كما يعقد موازنة بين اللغة العربية واللغات الاوربية موضحا خصائصها بالتحليل الدقيق والاستقصاء ، والاستناد الى آراء شرقية وغربية ، ثم ينتهى من كل اولئك الى انها « تتميز بالايجاز ، والموضوع ، والنفاذ المباشر ، والتأكيد ، والاصالة ، والجلاء ، والاختصار والصحة » .

بعض المآخذ :

من المآخذ الفنية :

1 — فى صفحة 83 . كتبت الآيات الكريمة محرفة .
— فتولى فرعون .. كيده ثم اتى .. والصحة :
« فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى » .
ب — انما نعوا كيدا ساهرا ولا يفلح الساحر حيث اتى . والصحة : «انما صنعوا كيد ساحر ..»

2 — فى صفحة 99 ورد هذا البيت منسوبا الى زهير ابن ابى سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ويرى اكثر الرواة على انه ليس له .

3 — التناقض : بينما يقول فى صفحة 219 فى حديثه عن سمات اللغة الاعلامية ...

(ثانيا — تجنب التكرار والاطناب والتكرار من عناصر التشويش فى استقبال الرسالة الاذاعية ..) بينما يقول هذا اذا هو يقول فى ص 221 : سابعا — ان التكرار من سمات اللغة الاعلامية، وهو من الزم الخصائص فى لغة الاذاعة ذلك انه ليس فى وسع المستمع ان يعود الى مراجعة الكلام ، كما يستطيع ذلك فى الجريدة ...

اما المآخذ الاملائية ، فكثيرة ، والذى يبدو لنا ان هذا البحث لم يراجع بعد طبعه « وقد تركنا فى كثير من الصفحات ما ينبه على ذلك » .

4 — من المآخذ الفنية : فى صفحة 135 حين الحديث عن اهم سمات اللغة العربية الاعلامية يقول : « ان اللغة الاعلامية تؤثر استخدام الكلمة البسيطة الصحيحة المألوفة ، على كل ما عداها.. فسافر بدلا من ظعن ، وحريق بدلا من اتون ... » وفى هذا اماتة لكلمات ليست من الصعوبة كما يرى ، فضلا عن ان كثيرا مما يقاس عليه على حسب نظرته وارد بالقرآن الكريم ، سهل التناول، ولا ينقصه الا كثرة الدوران فى الكلام الاعلامى ، فمثلا كلمة .. شجب وقد كثر دورانها فى الحديث الاعلامى ولا سند لها مع ان كلمة « دحض » اسهل منها ، وكلمة « ركض » تتخذ فى الكويت هنا مكان اسرع ، فالعبرة بتداول الكلمة .

والكتاب بصفة عامة صالح فى مجاله كل الصلاحية كما انه جدير بالنشر وصاحبه يستحق الجائزة الثانية .

*

الإعلام ولغة الحضارة

يشهد عالم اليوم اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله، وايمانا صادقا برسالته واهدافه ، وعملا جادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن تنظيمات يعود اليها وقواعد تحكمه .

ان ما حدث من تطور مذهل فى ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التى حققتها اللغة فى سبيل تحقيق اتصال جماهيرى على امتداد واسع . اصبحت اللغة فى ظل الاعلام ذات قوة وسلطان ، لما لها من تأثير هائل على تفكير الافراد والجماعات او على شعورهم وسلوكهم وآراءاتهم .

فأثر اللغة فى عصرنا الحاضر قد ازداد قوة ، واخذ الناس يعنون بوسائل الاتصال فيما بينهم . وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة والاذاعة والسينما والتلفزة والاساليب العصرية لفنون الاعلام .

ولقد ذهب اصحاب النظرية اللغوية فى معظم الاحوال الى ان البناء اللغوى لاحدى اللغات التى ينشأ عليها الناس ويلقنونها من امهاتهم وآبائهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكريا سلوكيا بذاته وكان من رأيهم ان اللغة انما هى « عالم لغوى وسط » يقوم بين الواقع الموضوعى وبين الناس ، ويتربى عليه الفرد اثناء تعلمه لغة الام اى ان اللغة هى التى تحدد للافراد رؤيتهم للعالم وتجربتهم له ، كما تحدد موقفهم منه واسلوب تعاملهم معه .

وايا ما كان امر هذه النظرية ، فان اللغة مكتوبة ومنطوقة ، قد اصبحت فى عصر الثورة التعليمية والتقنية ، ابرز ملامح العصر الذى نسميه عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة . لقد بلغ التواصل بين الناس اقصى مداه واضخم ابعاده .

ولذلك فقد كان من الطبيعى ان ينشأ فى السنوات الاخيرة علم متخصص فى تأثير اللغة على الجماهير وهو « علم المنفعة العملية للغة » او ما نحاول تحديد ملامحه فى هذا البحث « بعلم الاعلام اللغوى » الذى يرتكز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة ، ويتوفر من الناحية اللغوية على البحث فى قوة الكلمة وسلطانها .

وعلم الاعلام اللغوى يعد احد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث ،وهو علم ما زال يتحسس طريقه الى النور ، ذلك ان دراسة « المنفعة العملية » للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى وجود مناهج لغوية متكاملة ، واطار نظرى تستند اليه ،

واسلوب محدد تتوخاه فى الوصف والتحليل ، وهى امور لم تستوف دراستها بعد .

على ان فصول هذا البحث ليست الا اضافة يسيرة الى جهود سابقة لاساتذة جيلنا ، ممن اشتغلوا بالدراسات اللغوية ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة منارا على الطريق . ولكن الموضوع الذى عنيت به فصول هذا البحث انما هو من حيث صلة اللغة العربية بالعصر والحضارة ، والتعرض للقضايا اللغوية التى تواجه الاعلام العربى المعاصر . وهى بذلك تسير نحو منحى جديد من انحاء الدراسة اللغوية يريد بها الباحث ان يشق له طريقه اولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعد ، فى سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند كل جزئياتها وكلياتها .

وعلى ذلك فان مهمة هذا البحث لم تكن فى متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت فى شتى هذه الارض ، فى سبيل التعرف اليها — طريقا آخر ، يحاول هو ايضا ان يصل الى هذا الهدف البعيد فى تمثل اللغة العربية ومزاياها فى الفن والتعبير . او على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا . اننا نحاول ان نرسم خطا جديدا لا يتوازى مع هذه الخطوط السابقة وانما يقطعها مخالفا لاتجاهها ، ليظفر بما لم تظفر به من جزئيات ، او من احداث او من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه او يغنيه ، وهو — هذا الخط الجديد — سينتهى على كل حال الى الغاية الاولى ، وسيكون رفدا غنيا للدراسة اللغوية .

وقد حاولت هذه الدراسة اذن ، ان تكشف عن مزايا الفن والتعبير الاعلامى ومزايا التعبير على العموم فى لغة الضاد لانها فى مبدأ الامر بحوث دعت اليها المناقشة فى موضوع الاعلام وتطوره او تطور قواعده ، ومستقبله فى العالم العربى ، وناسبتها بحوث اخرى عن المزايا الاعلامية فى لغتنا ترتبط بها وتصلح ان تكون مثالا للمزايا التى تثبت للغة .

ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا موضوع « الاعلام ولغة الحضارة » او مزايا التعبير الاعلامى فى اللغة العربية » موضوعا للبحث ، ويمكننا ان نوجز الاسباب التى دفعتنا فى ان اللغة العربية اليوم احوج ما تكون الى كل عمل علمى : لابراز مزاياها الفنية والتعبيرية فى مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة اخرى فان الدراسة الاعلامية للغة تسعى الى حل المشكلات الكبيرة والصغيرة فى اللغة ، لتكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للامة العربية ، سعيا الى الوحدة اللغوية والتحرر اللغوى والقضاء على التجزئة والشعوبية او النفوذ الاجنبى فى ميدان اللغة والفكر ، وفى هذا ما يجعلنا ننظر باحترام واجلال عظيمين لجهود « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى » واقدامه على اجراء مسابقة هذا العام عن مخطوط نادر او دراسة نفسية حول اللغة العربية لم تنشر من قبل ، لما لهذا الموضوع من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية.

فاللغة العربية لغة حضارة ، ويعنى ذلك انها قاسم مشترك اعظم فى كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ، وقد كان طبيعيا ان يسعى الاعلام للافادة من مزايا اللغة الحضارية ، ويتحقق التحول العظيم بتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ويفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب فى كل مكان ، وليكون لها فى التعبير الجماهيرى سلطان .

وان هذا التحول لفرصة امام حراس اللغة والمحافظين على سلامتها ، لكى يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فانهم اذا تظاهرت جهودهم فى تلك السبيل — كما يقول الاستاذ محمود تيمور رحمه الله — امكن لهم ان يحيلوا اللفظ الحضارى كلمة مكتوبة ، والكلمة تصافح العيون فى الصحف والمجلات ، ثم هى تقرا فتقرع الاسماع فى الاذاعة والتلفزة والسينما ، ونتيجة ذلك ان يصبح اللفظ الحضارى طعاما جماهيريا يسوغ فى الافواه كما يجرى على الاقلام .

وفى الصفحات التالية تفصيل واسع لهذا المعنى ، ننتقل بعده من مزايا اللغة فى التعبير الاعلامى الى مزاياها فى التعبير على اطلاقه ، نتحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الفصحى لان الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمسه تمام المساس فى زمن « اوسائط الجماهيرية الحديثة » . التى تلعب دورا هاما فى تقريب المعلومات المعقدة من افهام اوساط الناس ، وحيث تصبح اللغة والكلمة الملفوظة والمسموعة او الكلمة المكتوبة ناقلة الحضارة الحديثة .

وبعد ، نرجو ان نكون قد وفقنا فى شق هذا الطريق فجل من لا يخطئ تحيزا او قصورا فى عالم البشر .

الفصل الاول

اللغة وتكوين الراى العام

يبذل العلماء جهودا متواصلة لدراسة اثر اللغة فى تكوين الراى العام ، واعتبارها اهم عناصر القوميات» دراسة علمية حتى يمكن التنبؤ بنتائج آثار الاعلام والتحكم فيها .

على ان فهم طبيعة الراى العام ركن اساسى يساعد على كشف العلاقات التى تقوم بين عناصره المختلفة ، فاذا كان الراى العام ظاهرة تلقائية اطلقوا عليها «عقل الجماعة» او الضمير الجمعى ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسى « اميل دركيم » . فان « اللغة » ليست من صنع الافراد ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران . وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع اذ يقررون انها من « نتاج العقل الجماعى » .

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بانه نظام خلقى ينشأ نتيجة تفاعل نشاط الافراد ، وتبادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم . وفى النهاية يصبح هذا العقل الجماعى هو القوة المسيطرة لاعماله الجماعية وتصرفاتها ، بحيث انه عند ما يقوم الافراد بأى نشاط اجتماعى ، فانهم يدخلون فى اعتبارهم ، ويضعون فى صلب ضمائرهم ، اهداف المجتمع واغراضه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية فى الجماعة التى ينتمون اليها ، ويتحدد سلوكهم وتضبط علاقاتهم وفقا للعقل الجمعى (1) .

فاللغة فى كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد فى اتباعه ، ويتخذونه اساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم ، وفى تفاهمهم بعضهم مع بعض وعلى ذلك فاننا لا يمكن ان ندرس تأثيراللغة الاعلاميةفى الراى العام دراسة موضوعية ، عن طريق دراسة سلوك الافراد، باعتبارهم ذرات منفصلة، او كما يقول الدكتور ابراهيم امام (2) كما لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الهيدروجين والاوكسيجين اللذين يتالف منهما .

فاللغة ليست من الامور التى يصنعها فرد معين او افراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية — على حد تعبير الدكتور على عبد الواحد وافى (3) — وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للافكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه ، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الاخرى ، ويصب اصواته فى قوالبه، ويحتذيه فى تفاهمه وتعبيره .

والراى العام — كما يقول الدكتور امام (4) — هو المنبع الذى تصدر منه احكام الجماهير ، كما انه القوة التى يسعى الاعلام — عن طريق اللغة — الى التاثير فيها . ومع ان الراى العام وجود معنوى لا نراه ، فان ذلك لا ينتقص شيئا من قوته ، شانه شان الضغط الجوى الذى لا نراه ولكنه موجود بمعدل عشرين رطلا على البوصة المربعة كما يقول جيمس رسل الاول .

واللغة من الامور التى يرى كل فرد نفسه مضطرا الى الخضوع لما ترسمه (5) وكل خروج على نظامها ولو كان عن خطأ او جهل ، يلقى من الراى العام مقاومة تكفل رد الامور الى نصابها الصحيح ، وتأخذ المخالف ببعض انواع الجزاء .

فاللغة اذن ظاهرة اجتماعية . وهى بوصفها هذا تؤلف اهم عناصر تكوين الراى العام ، الذى يسعى الاعلام بوسائله المختلفة الى التأثير فيه .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والراى العام .. ولقد درج العلماء على الكلام عن « الراى العام » وكيف انه : الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء موقف من المواقف او تصرف من التصرفات ، او مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم او تتعلق بمصالحهم المشتركة . فالراى العام يمثل محصلة الآراء والاحكام السائدة فى المجتمع . وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف فى وضوحها ودلالاتها فى عقول الافراد ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم — رغم اختلافهم فى مدى ادراكهم لمفهومها — ومبلغ

---

(1) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجمعى وراى فى طبيعة المجتمع البشرى .
(2) الاعلام والاتصال بالجماهير ص : 204 .
(3) اللغة والمجتمع .
(4) العلاقات العامة والمجتمع ص : 137 .
(5) د . وافى : المرجع نفسه ص : 4 .

تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة (6) .

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون ان الاجتماع العام او الراى السائد يكون فى اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات . اما الراى العام فأساسه الحوار والنقاش واحتكاك الافكار وتفاعل الآراء . والراى السائد او الراى الاجتماعى قد يكون مبنيا على تقاليد موروثة او على عادات كانت آراء فى الماضى ، ولكنها اصبحت كالبديهيات المسلم بهـا .

اللغـة والاتصـال الانسانى :

ومع ان الراى العام من المصطلحات الحديثة التى لم تعرف الا فى اواخر القرن الثامن عشر ، ابان حرب الاستقلال الامريكية والثورة الفرنسيـة ، فلا يمكن القول بأن الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للراى العـام .

فلو اخذنا الحضارة — او الثقافة كمـا يفضل الانثروبولوجيون تسميتها . على انها هـى حصيلة النشاط البشرى خلال تاريخه الطويل ، والتى تتمثل فيما انتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون وآداب وآلات وادوات وصناعات ، واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات فى كل هذه الميادين لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التى تميز الحضارة هى خاصية الاستمرار . والقدرة على الانتقال من جيل لآخـر ، بحيث يأخذ كل جيل عمن سبقوه ويضيف الى ما اخذه منهم ثم ينقلها بعد ذلك للاجيال التى تأتـى بعـده . فخصاصية التراكم — كما يقول الدكتور احمد ابو زيد(7) — اذن هى التى تجعل هنـاك فـارقا اساسيا بين الحضارة الانسانية ومختلف انـواع النشاط التـى نصادفها عند الجماعات الحيوانية الاخـرى ، واداة هذا التراكم هى اللغة . والـذى يمنـع الحيوانـات والقردة العليا من ان تكون لها حضارة هو فى المحل الاول افتقارها الى اللغة وبالتالى عدم وجـود قدرة كلامية وفكرية على مواصلة تجاربها وخبراتها . فمـا يكتسبه القرد مثلا من « معرفة » فى حل مشكلة مـا يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده. وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة او موقف مماثل ، ولكنه فى الفترات التى تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير فى تلك الخبرة او التجربة بقصد تحسينها او استخلاص اية نتائج منها للاستفادة منها فى حل المشاكل الاخرى مثلما يفعل الانسان الـذى يناقش فى العادة المشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيهـا بعد انتهائها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات اخرى لتلك المعرفة . فعن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الانسان وتجاربه مستمرة ومتصلة وهذا يساعد بالتالى على تطويرها وتنميتها . ومن هنا كانت الميزة الكبرى التى يتميز بها الانسان وهى القـدرة على نقـل تلك الخبرات التى تؤلف فى آخر الامر التراث الحضارى او الثقافى من جيل لآخر عبر الزمن (8) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصيـة التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقـال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر مـن غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هـى اهـم عنصر فى الحضارة الانسـانيـة (9) .

تكويـن الـراى العـام :

على ان العوامل التى تؤدى الى تكويـن الـراى العام ، كثيرة ومتشابكة ، كما انها تتفاعل مع بعضها

---

(6) د . وافى : المرجع السابق ص : 147 .

(7،8) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثانى — العدد الاول — 1971 — الكويت .
Hoijer, "Language and writing" pp. 197.

(9) د . احمد ابو زيد : المرجع السابق .

البعض ، وفى راى ماكدوجال (10) ان اهم هذه العوامل هى : الثقافة والاحداث ، والزعامة ، والاتصال الجماهيرى ، والاتصال الشخصى والشائعات .

ومن ذلك يبين ان اللغة هى معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعا .

ولقد درج العلماء على اعتبار الثقافة ذات اثر كبير فى تكوين الراى العام ، وذهب بعضهم فى دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة على الاكتفاء بتبين العلاقة الخارجية الواضحة بين مفردات اللغة ومحتوى الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هذه المفردات تعكس الى حد كبير اهتمامات المجتمع والجوانب التى يرتكز عليها والتى تشغل بال اعضائه مثل التقنية او التنظيم الاجتماعى او الدين او الروابط القرابية وما الى ذلك من المسائل التى تحتل مكانا مركزيا فى بناء المجتمع وتدور حوله بالتالى اوجه النشاط الاجتماعى المختلفة .

وكل هذا يوضح ان ثمة صلة قوية بين مفردات اللغة وكثير من جوانب الثقافة غير اللغوية (11) ولكن الشئ الذى لم يهتم به معظم هؤلاء العلماء اهتماما كبيرا على الاقل هو ان اللغة قد تتدخل فى تحديد وتركيب اغلاط الفكر فى المجتمع الذى تسود فيه سواء ادرك الناس ذلك ام لم يدركوه . فكما ان الفنان وعالم النبات قد ينظران الى الاشجار والنباتات والزهور من ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التى تتكلم لغات مختلفة تنظر الى العالم نظرات مختلفة وتدركه بطرق مختلفة (12) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا تعنى شيئا اكثر من ان اللغة لها اساس ثقافى او حضارى وانه لن يمكن بالتالى تحديد مفردات اللغة تحديدا دقيقا الا بمعرفة بقية مظاهر الثقافة .

ولذلك يؤكد اوديجارد انه من المستحيل ان نفهم الراى العام فى امة من الامم ما لم تدخل فى اعتبارنا تلك القوى المادية والادبية التى تشكل شخصية هذه الامة . ولكى نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التى تعطى للفرد معتقداته وتشكل اتجاهاته . فالانسان فى المجتمع يتاثر بالاسرة والدين والتقاليد ونظلم الدولة والاصدقاء والاقران والصحف واجهزة الاعلام ، والجماعات ذات النفوذ كالنقابات والاحزاب والهيئات . ففى خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التاثيرات المختلفة كل يوم ، لكى تكون اتجاهات الراى .

ويرى ليمان ان المسائل العامة هى التى تهمنا من سلوك الناس ، وهذه المسائل العامة تتاثر بما يتصوره الناس او بتلك الصور التى يكونونها فى رؤوسهم عن انفسهم وعن حاجاتهم واهدافهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض . ويقول ليمان ان هذه الصور التى توجد فى رؤوس الناس عن انفسهم وعن الآخرين هى آراؤهم العامة ومجموعة هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى بالراى العام .

فالناس لا يعيشون فى العالم الموضوعى الخارجى وحده كما انهم لا يعيشون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرحمة اللغة التى يتخذونها اداة ووسيلة للتعبير . « فعالم الواقع » او الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابها كافيا بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة او الواقع الاجتماعى . فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متميزة اذن وليست عالما واحدا التصقت عليه اسماء وعناوين مختلفة (13) .

ويذهب بنيامين فورف (14) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا . وهذه الفئات والانماط التى نفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها لانها تواجهنا او لا لانها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما ،

(10،11) د . احمد ابو زيد : نفس المرجع .

Peacock, J.L. Ikirsh, A.T. "The Human Direction" p. 16
C. Macdougall, Curtis D. "Undertanding Public Opinion" (1955) New York

(12) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثانى — العدد الاول — 1971 — الكويت .

(13) Sapir "Language" p. 162

(14) Wharf, B.L., "Science and Linguistics" the Technology Review Vol. 42, 1940, p. 231.

بمعنى ان العالم الخارجي او الواقعي هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد حدود التباين وان العقول الانسانية هي التي تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ، ووسيلتها الى ذلك هي الانساق اللغوية التي توجد في تلك العقول الانسانية ذاتها . فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتها وتنظيمها في شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك او اثناء ذلك معاني محددة تحديدا دقيقا .

الانماط والراى العام :

وتتضافر قوى التأثير الاعلامية والثقافية بما في ذلك العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبي وغيرها ، لتشكيل الانسان الجديد الذي يجد نفسه في وسط شبكة من التأثيرات المتقاطعة . فالخطب والافلام والاغاني ، وصحف الحائط ، والرسوم البيانية ، وغيرها ، تكون في مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام الناس والتأثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا عن المجتمع . ولكنه يخضع في نفس الوقت — الى حد كبير — لرحمة اللغة التي يتخذها وسيلة للتعبير والاتصال .

فالشخص في المجتمع الحديث ، لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعاني ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه .

والثقافة هي التي تحدد لنا مقدما هذه المعاني ، فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا — من قبل — في شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (15) .

ولا يعني ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد المدركات الحسية والتفكير ولكن عملها هو توجيه الادراك والتفكير في اتجاهات معينة مألوفة مستعينة في ذلك بالاغلاط الثقافية الاخرى .

وتختلف طرائق واساليب التفكير في المجتمعات المختلفة بالنسبة للمذاهب وليست المذاهب نفسها ، فليست الماركسية هي المؤثرة ، ولكن النمط السائد منها ، والذي يقدمه المفسرون لها هو المؤثر الحقيقي (16) - الخ

الاتصال والراى العام :

وتأسيسا على هذا الفهم نحاول ان نلتمس اثر الاعلام في تكوين الراى العام ، فنجد ان الاتصال الاعلامي يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخلاص الراى ، وحمايته .

ووسيلة الاتصال الاعلامي في تحقيق هاتين الوظيفتين هي : اللغة ، التي لا تصبح مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار او مجرد رموز لما يدور في الاذهان ، وانما تصبح تلك الوسيلة التي امتزجت بها عقولنا ونفوسنا ، وندين لها بتلك القوة التي ساعدتنا على التعاون مع رفاقنا ، ومنحتنا السيطرة على مخلوقات اقوى منا جسما .

فاذا كان للراى العام وجود حقيقي ، او مفهوم محدود ، وجب ان نلتمسه في تلك الرابطة الوثقى التي تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكارهم واحاسيسهم وعواطفهم ، والتي تسمى باللغة او اللسان .

فأقوى رباط يجمع اواصر الاسرة هو اللغة التي يشعر معها افراد الاسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة، ويحسون باحساس واحد ، وينطقون نطقا متماثلا . فالاسرة صفات خاصة في النطق والآراء ، واختيار الالفاظ وايثار بعضها على بعض . وهكذا تكون القومية بمعنى الرباط الوثيق بين افراد المجتمع ذات مستويات، وذات احكام ، واصغرها حجما ما نسميه بالاسرة ، ثم ما نسميه بالقرية ، ثم ما نسميه بالمدينة ، ثم ما نسميه بالدولة التي لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق، ويعمد اليها كل افراد المجتمع (17) .

وقبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقومية ، سنحاول علاج كيفية تأثير الاتصال في الراى العام .

سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين : استخلاص الراى وحمايته . فالراى الفردي الكامن لا بد وان يتحول الى راى علني ظاهر ، وليس معنى

(15) امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص 252
(16) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية والعالمية — ص : 102 .
(17) د . امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص 218.

ذلك ان الاتصال لا بد ان يسرى فى اتجاه واحد من القيادة الى الجماهير ، اذ ان الاتصال يتخذ ثلاثـة مسارات (18) .

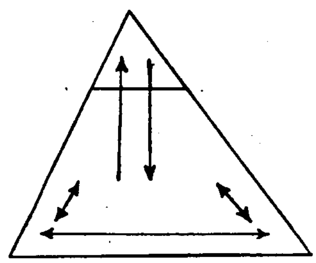
اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد ، وهو يشتمل على التوجيهات والتعليمـات والبيانات والتفسيرات وغيرها .

ثانيا : الاتصال الصاعد من الجماهير الى القيادات وهو يشتمل على الملاحظـات والشكـاوى والخطابات التى تمثل اتجاهات الجماهير .

ثالثا : التيار الافقى الذى يسرى بين فئات الجماهير فى مستوياتها المختلفـة .

وقد صور « هانزسباير » هذه التيارات الاتصالية على النحو التالى :

القيادات



الجماهير

ولكن هذه التيارات جميعا ، لا بد وان تتفاعـل وتتسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوين الراى العـام .

وفى راى ماكدوجال (19) كما سبق ان اهم عوامل تكوين الراى العام هى : الثقافة ، والاحداث، والزعامة والاتصـال الجمـاهيرى ، والاتصـال الشخصى ، والشائعـات .

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل فى تكوين الراى العام ، سواء عن طريـق اجهـزة الاعلام ، او عن طريق حملات الهمس او الشائعات. وقد فطن خبراء الدعاية والاعلام ، من خلال تجارب الحربين العالميتين ان تاثير الاتصال فى الراى العـام يزداد قوة باستخدام الاخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية . فقد اكتشفت قيمـة الخبـر فى التوجيه والتاثير ، واصبح الخبر هو العامل الـذى يحدد صورة الاحداث فى اذهان الجماهير وكفت الدعاية عن انتهاج الاساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الاسلوب الاخبارى الاعلامى .

وحتى عند ما تقل الاخبار ، او ينضب معينهـا ، لا يجد الاعلاميون بأسا من خلقها او اختلاقها (20).

ويستغل خبراء الدعاية طبيعة الانسان ، بادراكه المحدود للعالم ، ومعرفته للاشيـاء بطريقـة غيـر مباشرة اى عن طريق المعلومات والصور التى تنقل اليه بدلا من الخبـرة الموضوعيـة والادراك المباشر فيعملون على خلق الصور الذهنيـة التـى تحقـق اغراضهم . ويسعى الداعية دائما عن طريـق التحكم فى المعلومات التى يعرفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التى يريدها ان تنتشر بين الجماهير .

ومع ذلك فان هناك حدودا لا يستطيع الداعية ان يتجاوزها مهما كانت قدرته ، ومهما كانت سلطته فى الرقابة على الاخبار والمعلومات . لان الفـرد يتمتـع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما ان هذا الانتقاء يمتد الى قوى الادراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة القيم والمبادئ التى يعتنقها الفرد ، ويتاثر بها من خلال الجماعات الاولية التـى يعيش فيهـا .

فالانسان العادى بمعتقداته الراسخة ــ دينيا او سياسيا او اقتصاديا ــ لا يمكن ان يتقبل اى مناشدة دعائية تتعارض مع معتقداته . وقد اوضح « الدوس هكسلى » (21) انه ليس من الصعب اغراء النـاس على فعل ما يتوقون اليه . كما انهم لا يسلكون كمـا يسلكون نتيجة لصفحات قراوها او خطب سمعوها ،

---

(18) الدكتور امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير »

(19) المرجع السابق ــ ص : 239 .

C. Macdoogall, curtis D., "Understanding Public Opinion"

(20) « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص : 251 .

(21) نفس المرجـع السابق ص : 145 .

وانما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة الى تربية معينة ، وتوجيه سلوكى متراكم .

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الرأى العام ، هو الاتصال الفكرى ، وحرية المناقشة ، فعند ما يقارن الناس خبراتهم ، ويعبرون عن وجهات نظرهم فى مسالة من المسائل الجدلية ، ويعلنون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة ، وعن طريق المنظمات الاجتماعية ، فان هذه المسالة او المشكلة تصبح موضوعا للوعى العام او الادراك الاجتماعى . فاذا تيسر الاتصال بين الناس ، تيسر صدور الرأى العام ، اما اذا تعذر الاتصال ، فان الراى العام يصبح متعذرا .

ذلك ان الاتصال يتيح للمناقشات والجدل بين الافراد ان تتبلور فى راى عام . ولا بد فى الاتصال الاعلامى من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الاول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات او الاخبار الى القارئ او السامع سواء كان فردا او جماعة . ويختلف الافراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات . لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى العام فى العادة ذلك ان الفرد فى المجتمع الحديث لا يملك من الوقت او الجهد او المال او العلم ما يمنعه من الوصول الى مدلولات دقيقة لجميع المعارف او تكوين صور حقيقية للعالم الذى حوله . وفى معظم الاحيان يكون المحصول اللغوى للقارئ او المستمع او المشاهد محدودا ، فلا يفهم ما يقال له .

ومن ناحية اخرى تلجأ اجهزة الاتصال بالجماهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق فى المطبوعات ، والزمن المحدود فى الاذاعة والتلفزة . كما يلعب عامل الوقت دورا رئيسيا فى تغطية الانباء وتحريرها واخراجها .

والجماهير — كما يقول الدكتور امام — لا تتخذ التحليل الموضوعى ، والدراسة العلمية سبيلا للوصول الى الحقائق . فالاشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السائدة بتاريخها وتجاربها وقيمها. ومع ان الشخص فى المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجردة عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحدودة ، فانه لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه. والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا — من قبل — فى شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بنيتهم وثقافتهم . معتمدين فى ذلك على ما تمدهم الثقافة واجهزة الاعلام من رؤى واخيلة وانماط ، وما يسرى بين الناس من شائعات .

ومن ذلك يبين ان الاعلام ، كما يقول «اوتوجروتز»، هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت .

وتتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

اولا : عنصر المرسل .

ثانيا : عنصر المستقبل .

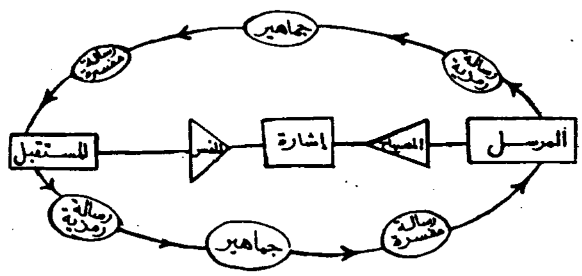
ثالثا : عنصر الاداة او الوسيلة .

وقد اوضح كلابار الادوار الوسيطة النفسية والاجتماعية والثقافية ، التى تقف بين المرسل والمستقبل . فليست هناك علاقة بسيطة ومباشرة بين الاتصال والتأثير ، وانما هناك تفاعل نفسى واجتماعى فى مجال ثقافى بين المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمحركات والحاجات دورا رئيسيا فى الاتصال الجماهيرى . فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقيا عشوائيا بانصياع ورضوخ — كما يظن المفكرون النظريون — ولكنه ينتقى منها ما يفيده على ضوء بنائه النفسى الواقعى ، والمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه . ومن الثابت ان احكام الآخرين فى الجماعة الاولية التى يتخذها الفرد مرجعا له تقرر الى حد بعيد مدى تأثر الفكر بما يسمع او يشاهد .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه — اولا — المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وصياغتها فى رموز لتكوين الرسالة ، او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ، ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية .

واذا وصلت هذه الارجاع ، وفسرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل وتتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال — الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية . هى التى تتيح البناء الاجتماعى والثقافى نفسه .

ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالى :

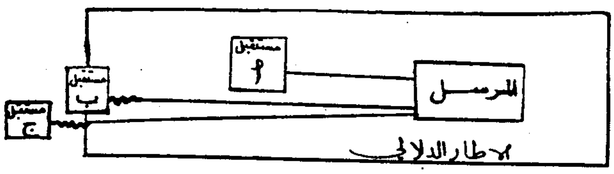


لا بد للمرسل ان يضع رسالته فى شكل معين او صيغة محدودة من الرموز او الكلمات ، ومن الطبيعى ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، او وسائل اعلام — كالصحف والاذاعة والتلفزة وغيرها — لكى تنتشر بسرعة فى اماكن عديدة . ومع ان الكلمات المسجلة ، والرموز المعروفة ، تكون ايضا من الرموز السمعية ، فانها اطول عمرا وابقى على الزمن كالآثار والاهرام والوثائق والكتب .

ويتوقف ذلك — كما يقول الدكتور امام — على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا فى كتابته ، او غير واثق من نفسه ، او ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال . واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة ، فانها تقف فى سبيل نجاح الاتصال . كما ان الوسيلة نفسها ، لا بد وان تكون من القوة والمرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، مهما حدث من تداخل او تنافس مع الوسائل الاخرى . كما ان المستقبل نفسه ، وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة ، من اهم العناصر لاتمام الدورة الاتصالية. فكفاءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة ، واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال ، وقدرة المستقبل على حل الرموز ، لا بد وان ينظر اليها على انها عناصر متعددة لعملية واحدة. ولا يكفى للتناغم بين المرسل والمستقبل ان تكون الرسالة فى لغة يضمنها الطرفان ، بل ينبغى ان تكون الخبرات مشتركة ايضا ، فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبية لاينشتين ، لن تعوضه معرفته للغة العربية فى فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس شيئا من علم الطبيعه والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة .

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالى . فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان فى اطار دلالى واحد ، كان ذلك اقرب ما يكون الى الفهم .

ويعبر عن ذلك على النحو التالى :



فالمستقبل (ا) يقع داخل الاطار الدلالى للمرسل ، فهو يفهم كل شئ والمستقبل (ب) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالى ، فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى ، اما المستقبل (ج) ، فانه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالى تماما .

اللغــة والاتصــال :

قال بعض العلماء : ان اللغة افراز مركب ضرورى للفرد . وصالح لان يكيف بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا

يمكننا ان نفسر كلام الفرد الى نفسه ، وكلامه الى صاحبه .

وقال هنرى دولاكروا : ان اللغة هى دالة الفكر.

والحقيقة ان اللغة ، فى عمومها ، ذات وظيفة هامة جدا يمكن ان تلخص فى امرين :

الاول : امر فردى : هو قضاء حاجة الفرد فى المجتمع .

الثانى : امر اجتماعى خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة التخنيض تبدو فى وظيفة كل فرد ، بحيث لا يمكن ان يكون خبازا او نساجا وحدادا ونجارا وصيادا فى وقت واحد .

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد فى اموره على غيره من اصحاب هذه المهن ، وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ، ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم . ولا بد للتفاهم من لغة، ولو راقب المرء نفسه واحدا من حقل الاستعمال اللغوى ، لراى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة ، بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة ، لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثانى : من وظيفة اللغة هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك ، والدين المشترك، والادب المشترك ، والفكر والاحساس ، والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شئ من ذلك بدون اللغة ، وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة ، او فكرة بدونها ، او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها ، او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها .

ان الشركة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر التى تمتاز بما لها من اهمية وخطورة بالغتين .

وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى الاتصال الجماهيرى التى نتمكن بها من ادراك معنى الحياة، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هى اللغة .

فوظيفة اللغة فى الاتصال الاعلامى ، هى تمثيل الراى العام على مرآة تعكسه ، وفلسفة اللغة تنطوى على انعاشها ، وتنسيقها بحيث تصبح مطية للراى العام ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

اللغة والقومية :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقوى الصلة بين مناطق مجتمع من المجتمعات ، وتسهل بينها وسائل الاتصال ، تتكون لها مع الزمن « لغة مشتركة » تقرب بينهم ، وتعين اهلها على تفاهم اسرع وايسر ، وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية . ولدينا فى العصر الحديث امثلة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التى تسود فى مناطق انجلترا ، وكالفرنسية المشتركة التى تسود فى مناطق فرنسا .. الخ (23)

وتتخذ اللغة المشتركة فى بدء نشأتها مركزا معينا يتاح له من الظروف والفرص مالا يتاح لغيره ، فتتطلع اليه المناطق الاخرى ، وتسلم له الزمام فى النواحى السياسية ، والاقتصادية والثقافية ، وينزح اليه الناس من كل صوب ، ثم تتبلور عملية الاتصال الى مزيج لغوى منسجم يتقبله الجميع ، وهو ما يسمى باللغة المشتركة . ومراكز اللغات المشتركة فى العالم هى عادة العواصم التى يتهيأ لها من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا يتاح لغيرها من المناطق (24) .

ولذلك نرى فريقا من العلماء يذهب الى تفسير اللغة على اساس عقلى او نفسى ، ويرى ان اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ، ومن مؤيدى هذه المدرسة «سابير».

---

(22) مجلة المجلة العدد — العدد 113 — مقال الدكتور تمام حسان — القاهرة .
(23) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية العالمية — ص : 103 .
(24) مجلة « اللسان العربى » — العدد 6 — 1388 هـ — الرباط — ص : 19 .

ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظرون الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار ، فيقول الاستاذ جفوتز فى كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان اللغة ثلاث وظائف :

اولا : كونها وسيلة للتوصيل .

ثانيا : كونها مساعدا آليا للتفكير .

ثالثا : كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع اليها باعتبار وظيفتها فى المجتمع ، فيعرفها العالم الامريكى « دجار ستير تفنت » بأنها : نظام من رموز ملفوظة بواسطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية .

ومن ذلك يبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة فى المجتمع الانسانى لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ، وتوصيلها للاذهان كما يقول علماء المنطق لان ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس هم اهل الفكر حال اشتغالهم بامور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكار ، وانما هى وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع، فاننا نتبين كثيرا من الناس يتكلمون فى موضوعات ، ليس يعنيهم منها نقل افكارهم الى غيرهم ، وانما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية ، او النظر فى امور تخصهم فى ادارة شؤونهم (25) .

وبذلك يبدو ان رأى علماء المجتمع بتعريف اللغة تعريفا يتناسب مع وظيفتها فى المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة بوجه عام ، واللغة الاعلامية او لغة الاتصال بالجماهير بوجه اخص .

واذا كان ذلك صحيحا فينبغى ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة : وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (26) . وهذا التعريف للجرجانى وابن جنى ومن الملاحظ ان هذا التعريف قد تمشى مع وجهة نظر علماء الاتصال بالجماهير والباحثين فى الراى العام تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هى الا الرموز الصوتية التى تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الانسان فى حياته ، سواء كان احتياجا عاديا كشؤون الناس فى حيتهم المتمشية مع احتياجاتهم فى كل اوقاتهم ، والتى يسعى الاعلام الى تحقيقها عن طريق وظائفه الاساسية : الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح ، والتوجيه او الارشاد ، والتسلية او الامتاع ، والتسويق او الاعلان ، والتعليم او التنشئة الاجتماعية .. ام كان احتياج الانسان ضروريا كاحتياج الاعلامى او رجل الاتصال بالجماهير للتعبير عن الافكار القائمة بنفسه لتوصيلها الى اذهان الجمهور .

وعلى ذلك فان اللغة المشتركة ذات اثر قوى فى حياة الراى العام ، لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس ، والطريق لارتباط الافراد بعضهم ببعض ، والموصل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقى الامم فى شتى نواحيها .

واهم صفات اللغة المشتركة انها على حد تعبير « هنرى سويت » — تلك اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى اليها المتكلم.

واللغة المشتركة هى فى الحقيقة تعبير آخر لما يسميه السياسيون بالقومية . ولذلك لم يكن من المصادفة ان القومية حين بدات تتخذ شكلها فى القرن الثامن عشر لم يكن روادها من العسكريين او السياسيين ، وانما كانوا من العلماء والشعراء والكتاب الذين حاولوا جهدهم ان يتلمسوا ارواح الشعب فى الاساطير القديمة ، والاغانى المجهولة الاصل وكانت اللغة فى اعمال هؤلاء المفكرين اداة هذه الذكريات والتجارب المشتركة ، والسجل التاريخى. فليست القومية الا تلك الصلة الروحية التى اساسها الافكار والرغبات والشعور ، وكلها تنتقل من عقل الى عقل ، ومن نفس الى نفس فى كلمات شائعة وثيقة الاتصال بتلك العقول والنفوس . فالكلام المشترك والتعابير العامة والنغم الكلامى بل المجازات ، كل هذا يتغلغل فى نفوس ابناء البيئة الواحدة ، ويصبح المهاد النفسى للشعب ، ثم قد ينفجر فى لحظة من لحظات التاريخ ، وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (27)—

ولعل « هردر » ، العالم اللغوى ، فى اواخر القرن الثامن عشر ، كان اول من نبه الاذهان فى كتبه الى علاقة اللغة بنفسية الامة وشخصيتها اذ يقول : « ان

(25) » الخصائص » لابن جنى — 1 ص : 21 — ط الهلال — 1331 هـ .
(26) ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 104 .
(27) ساطع الحصرى : « ما هى القومية » — ص : 56

اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذى تتشكل به ، وتحفظ فيه ، وتنتقل بوساطته افكار الشعب . واللغة سواء قلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن ان نشك فى انها الآن تخلق العقل او على الاقل تؤثر فى التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه توجيها خاصا . والادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة يعكس تأثيرات خارجية او اجنبية ، ولكن لغة الشعب تمثل فى كل روح الشعب نفسه .

ان لغة الاباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والديـن . ان قلب الشعب ينبض فى لغتـه . ان روح الشعب يكمن فى لغة الآباء والاجداد (28) .

ويؤكد الفيلسوف الالمانى «فيخته» من بعد «هردر» فى اوائل القرن التاسع عشر ، ان اللغة والقومية امران متلازمان ومتعادلان . ان اللغة ترافق المرء ، وتحركه حتى اعمق ادوار تفكيره وارادته هى التى تجعل منا نحن الالمان مجتمعا متماسكا يديره عقل واحد . ان الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من انفسهم كتلة موحدة ، ربطت الطبيعة بين اجزائها بروابط متينة ، وان لم نرها . ان الحدود التى تستحق ان تسمى حدودا طبيعية بين الشعوب هى التى ترسمها اللغات .

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبنون فكرة ان اللغة اساس القومية ، بتهم « ماكس نورداو » الذى كان يقول : « ان الفرد يندمج فى المجتمع باللغة ، وبها وحدها . باللغة يصبح عضوا فى الشعب الذى يتكلمها وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكرى والشعورى والاخلاقى والاجتماعى للامة ، سواء منه ما انحدر عن قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين ، السالفين ، او المعـاصريـن » .

ويتضح صدق الراى الذى نادت به النظرية الالمانية من ان القومية مرادفة للغة حين نتذكر تلك القوميات التى نشأت فى اوروبا خلال القرن التاسع عشر .

فقد وحدت المانيا على اساس اللغة وحدتها بعد ان كانت مجزاة الى دويلات كثيرة ، وكذلك وحدت ايطاليا على اساس اللغـة ايضا . وان استقـلال بولنـدا واتحادها قد تـم ايضا على اساس ان النـاطقـين بالبولندية اصحاب قومية واحدة ، وكذلك استقلال اليونان وبلغاريا ورومانيا والبانيا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، فكل هذه الدول قامت على اساس ان لكل منها لغة قومية متميزة عن غيرها . اى ان تفكك كل من السلطنـة العثمـانيـة والامبراطورية النمساوية انما كان بسبب اختلاف اللغات فيهمـا ، فانفصلت عن السلطنة العثمانية الشعوب التى تتكلم بغير التركية ، وانفصلت عن الامبراطورية النمساوية الشعوب التى تتكلم بغير الالمانية (29) .

وشواهد الماضى وتجارب الحاضر فى الشرق والغرب تثبت فى وضوح ان اللغة على الاطلاق هى اقـوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها ، حتى لقد ذهب العالم اللغوى سابير الى ان اللغة هى على الارجـح اعظم قوة من القوى التى تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الراى امران :

الاول : ان اتصال الناس بعضهم ببعض فى المجتمع البشرى لا يتيسر حصوله بدون اللغة .

والثانى : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا وفريدا للتضامن بين الافراد المتكلمين بها (30) .

فاللغة عنصر ضرورى لبقاء وتماسك وحدات المجتمع فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالـة شاملة للاشياء والافعال ، وعناصر الوجود المختلفـة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هـذا الشئ او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوى دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحـدة .

اللغـة والاتصـال الاعـلامـى :

الوجود البشرى ملتحم باللغة ، فاللغـة ظاهـرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة، وترافق المجتمعات فى اطوارها التاريخية المتلاحقة ، فيصيبها ناموس التغير الحتمى الذى يجعلهـا اداة

(28) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » ــ ص : 108 .
(29) د. عثمان امين : « فلسفة اللغة العربية » ــ ص : 16 .
(30) مجلة « اللسان العربى » ــ العدد السادس ــ ص : 19 .

صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء ، عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ، ومعيارا دقيقا لرقيها او انحطاطها فى ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

وحاول الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز ، ان يكشف العامل الذى يفضل غيره فى حركة التاريخ الانسانى.

وبدأ بمزية الانسان الاولى ، وهى الكلام او اللغة اللسانية وجعلها المحور الرئيسى لحركة التاريخ الانسانى بأسره . وقسم هذا التاريخ اقساما رئيسية : الاول : عصر الكلام ، والثانى : عصر الكتابة ، والثالث عصر الطباعة ، والرابع : عصر الاذاعة . وادخل فى اعتباره العوامل المساعدة لهذ المحور الرئيسى ، كاختراع البخار والكهرباء ، واقتران الطباعة بالانتاج الآلى الكبير .

وليس من شك فى ان ويلز كان من المبشرين بلغة جديدة ، وفن اعلامى جديد ، كان من القلائل الذين ادركوا ان التقدم الانسانى يسير بخطى سريعة ، وبخاصة فى التحكم فى الطاقات الهائلة .

على ان ذلك يؤكد ان اللغة لا تعرف التحجر ، وهى قادرة على العمل ، قدرة كامنة ، وهى لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى ، تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبناؤها او من ناحية معناها ، فقد تنتقل الكلمة من معنى الى آخر ، او تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التى تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ، ولا سبيل لتفضيل لغة على اخرى ، وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيرى .

الامة البدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ومفتقرة الى عديد من العبارات والالفاظ التى تؤدى المعانى الحسية والمجردة ، فهى المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته نموا ، تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظا مناسبا (31) .

ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته البيولوجية خطا آخر للاستمرار ، يجعل الثقافة ، وتراكم المعرفة ، امرا ممكنا .

وقد اتاح العلم الحديث للغة ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية فى صورها النظرية والتطبيقية ،كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة طاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر ، وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنية بالمدلولات التى تعمقت فى اغوار النفس البشرية وحاجات الانسان،حتى صار عدد من الفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعانى المجردة واعمقها (32) .

وكان طبيعيا ان يشتد الاحساس بالحاجة الى لغة اعلامية ، بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها الى : وسائل مكانية ، ووسائل زمانية ، ووسائل مكانية زمانية .

ويقصد بالوسائل المكانية تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالصحف والمطبوعات والصور ، والفنون الشكلية ، وهى جميعا وسائل بصرية او منظورة . اما الوسائل الزمانية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالاذاعة والتلفزة والاحاديث المسموعة ، وهى وسائل شفوية او سمعية . وتعتبر الافلام الناطقة ، والتلفزة والمحادثات الشخصية المباشرة ، وسائل مكانية زمانية لانها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمانيا فى نفس الوقت ، وهى وسائل سمعية وبصرية .

وادى هذا التطور الى ظهور لغة من نوع جديد ، غير اللغة الادبية بمستواها التذوقى الجمالى ، وغير لغة العلم ، فاللغة الاعلامية الجديدة التى تسعى الى جميع فئات القراء ، الى تحقيق المستوى على الصعيد الاجتماعى للغة .

وبلغ البعض فى تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا ان عصر التدوين على المنهج القديم قد انتهى ، وان اللغة اللسانية تستعيد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، وبكل ما فى الصوت من نبر وايقاع ، وان الصورة تتخذ بدورها مكانها الى جانب اللسان . ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه

---

(31) مجلة « اللسان العربى » ـــ العدد الاول ـــ ص : 28 ـــ المغرب ـــ 1381 هـ .
(32) د . ابراهيم امام : المرجع السابق ـــ ص : 199 .

الجارحة كانت اكثر وسائل الاتصال مرونة ، لانها تستطيع ان تسجل الصور الحسية على اختلافها ان تحكى او ترمز او تشير الى الصور البصرية والسمعية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال. والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على بعض الوسائل الاخرى .

واهم هذه المميزات ان القارئ او المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة تلائمه ، فالقارئ مثلا : فى حالة الصحيفة او الكتاب يستطيع ان يقرا بالسرعة التى تناسبه ، كما يتمكن من اعادة ومراجعة ما قراه فى اى وقت يشاء . لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقدة ، والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة . وغنى عن البيان ان هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكن الناس من النقد المدروس ، والعناية بالتفاصيل الدقيقة. فلا غرابة اذن ، ان تتفوق هذه الوسائل فى التعبير عن الدراسات الدقيقة والموضوعات الطويلة ، ذات التفاصيل الكثيرة .

ومن اهم مميزات الوسائل المكانية البصرية ايضا ، انها تخدم الانواق المختلفة ، وتعبر عن الاتجاهات المتعددة . فمن الممكن مثلا ان تصدر الاقليات صحفا لها ، كما يمكن للجمعيات المختلفة ان تسجل نشاطها فى صحف ومجلات خاصة بها . ومن الثابت ايضا ان الاتجاهات المتطرفة ، والحركات الثورية ، والمذاهب الجديدة لا تجد خيرا من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وآرائها .

ويندر ان تستعمل الوسائل الاخرى كالاذاعة فى مثل هذه الاحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة فى معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الاخرى . ومع ان التجارب التى اجريت فى مصر وسوريا والاردن ولبنان مجتمعة، فقد اثبتت ان 63 % من الجماهير العربية تفضل الاذاعة على الصحافة ، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها . ولا شك ان مرد ذلك الى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطنى المشرف .

والدليل على ذلك ان كثيرا من الاميين فى مصر يشترون الصحف ليقراها لهم بعض المتعلمين ، او يجتمعون فى القاهرة او الدور الريفية للاستماع الى تلاوة الصحف

اما الوسائل الزمانية السمعية كالاذاعة ، فتتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة ، واذا كانت المطبوعات والصحافة تناسب ذوى الثقافة ، فان الاذاعة تناسب قليلى الحظ منها ، بل والاميين انفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا فى الصوت الاذاعى النابض بالحياة، فانه من الطبيعى ان تتفوق الاذاعة على الصحافة فى هذه الناحية . ومن نتائج ذلك ايضا ان الاذاعة من اصلح الوسائل للاستهواء والايحاء (33) .

ويعلل « دوب » سر القوة الايحائية بانها وسيلة سريعة للنشر ، بحيث تتفوق على الصحافة ومعظم وسائل النشر الاخرى ، وبذلك تنفرد الاذاعة بالسبق واولوية النشر . والاثر الاول للخبر او الراى لا يمحى بسهولة ، كما تصعب معارضته . والواقع ان الاحساس الجماعى من اهم مميزات الاذاعة . فقد يستطيع المستمع ان يشترك فعلا فى البرنامج ، او انه على الاقل يحس وهو فى بيته انه عضو فى جمهور كبير من المستمعين ، وهذا الاحساس الجماعى يعمق من قوة الاستهواء . ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعى الاذاعة من الاميين ومتوسطى الثقافة ، فان الاستهواء يكون اسرع واقوى اثرا . ولا غرابة ، اذن ، ان تلعب الاذاعة دورا خطيرا فى الدعاية السياسية الموجهة الى الشعوب المتخلفة ثقافيا ، كما يقوم بدور رئيسى فى الترويج التجارى ، وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية . غير ان الاذاعة — والوسائل الزمانية السمعية عموما — لا تمنح المستمع تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التى يتمتع بها قارئ الصحيفة او الكتاب . فالمستمع مقيد دائما بموعد الاذاعة المحددة الذى لا يمكن تغيره . وهو لا يستطيع ان يطلب من المذيع او المتحدث ان يعيد ما يقول ، او ان يقرا بسرعة معينة تناسبه .

ويتضح لنا من التجارب التى اجراها « بلومر » و « دوب » ان الوسائل السمعية البصرية كالافلام

---

(33) د . ابراهيم امام : المرجع السابق — ص : 199 .

الناطقة والتلفزة ، تمتاز بتأثيرها القوى ، بحكم واقعية الصورة وحيويتها مقترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية . ومع ان نتائج ابحاث هذين العالمين تشير الى ان الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الاخرى فى درجة تذكر الافراد المعرضين لها ، فان هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة .

اما التجارب التى اجراها « ستودارد » و « هول وداى » فقد اثبتت ان الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الفائقة على الاستهواء . ويؤكد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للاطفال ، فهم يصدقون كل ما يرونه فى الافلام ، حتى انه ليصعب جدا تعديل التأثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم . وغنى عن البيان ان عادات الممثلين على الشاشة — كالتدخين او اختيار ازياء معينة — سرعان ما تنشر بين المراهقين وغيرهم من شديدى الحساسية للاستهواء .

والافلام من الوسائل القوية التى تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين . كما انها تنجح بالنسبة للاجانب ، الذين لا يجيدون لغة الفيلم اذ يمكنهم متابعة تسلسل الموضوع من خلال الصور وحدها ، ومن الثابت ان واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الالوان . اما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو اقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الاخرى . ولكن هذه النتيجة الاخيرة لا زالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (34) .

وليس الامر مقصورا على المميزات الطبيعية وحدها بل ان العادات والتقاليد والاساليب الحضارية ، لها تأثيرها القوى على تكوين الجماعات السمعية او البصرية . فقبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد .

فعند العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الوحيدة للتعبير عن راى القبيلة فى العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها فى مناصرة صاحب الدعوة . ثم فى عصر بنى امية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » . وعلى الشعراء السياسيين من امثال جرير والفرزدق والاخطل والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى امية فى كثير من قضاياهم السياسية .

ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية. وتحمس الشعراء الشعوبيون للامم او الاجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الاخرى .

اما فى المدنيات الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة ، نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها . ويبدو ان التقدم الحديث فى فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية .

والبقاء او الدوام مقياس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة . فالكتب اطول وسائل الاعلام بقاء ، وتشهد بذلك تلك الدور الخالدة فى الآداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا فن العمارة وسيلة من وسائل الاعلام — وانه كذلك — لكانت الاهرام والآثار المصرية والمساجد الاسلامية العريقة من اخلد هذه الوسائل جميعا . وتحتل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ، ثم تأتى المجلات التى تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، واقل وسائل الاعلام بقاء هى الاذاعة والتلفاز ، فلا تكاد تترك اثرا باقيا بعد النشر . ومع ذلك فينبغى الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفاز لانهما يؤيدان واجب الاعلام السريع ، والاستهواء العاجل بالنسبة للاطفال ، وقليلى الحظ من الثقافة ، اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلح الوسائل لمعالجة المعانى الصعبة ، والمبادئ الفلسفية ، والافكار المعقدة بوجه عام .

وسواء كان النمط الاتصالى شخصيا او جماعيا او جماهيريا ، فثمة حقيقة واقعة ، وهى ان عملية الاتصال الاعلامى فى جميع انماطها ، تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى ، وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ، ومعانيها الثقافية ، تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى فالاتصال ، فى جوهره ، هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها ، والتى يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى . فالرموز هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل .

(34) د . ابراهيم امام : نفس المرجع — ص : 205 .
J.T. Klapper, "The Effects of mass media".

الفصل الثاني

اللغة والاتصال بالجماهير

تعتبر مشكلات اللغة من المسائل الرئيسية الهامة فى الدراسات الانسانية ، ان لم تتجاوزها بالتخطى الى الاهمية المطلقة .

والتعريف الشائع للغة هو انها مرآة تعكس الفكر ان وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها او تبادلها ، اذ يعرف « هنرى سويت » اللغة فى كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الاصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الامريكى « سابير » فى كتابه « اللغة » بأنها « وسيلة لتوصيل الافكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره » .

على ان احدث تعريف للغة هو ذلك الذى وضعه العلامة « جبرش » فى كتاب « فلسفة النحو » : «تكمن روح اللغة فى نوع من النشاط الانسانى ، نشاط من جانب فرد يجد فى افهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ما كان يجرى فى ذهن الشخص الاول » .

ولكن علم الاتصال بالجماهير بوصفه عملية اجتماعية هامة ، هو العلم الذى يدرس هذه الظاهرة دراسة منظمة تعتمد على المنهج التجريبى ، وتقوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس . وقد هيأت ظروف الحربين العالميتين فرصة سانحة لدراسة اساليب الاتصال ، وفنون التأثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هذه الظروف ، ففيها استطاع العلماء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تأثرهم بالاتصال . وقد خرجوا من دراسة الحالات واجراء التجارب ، بمجموعة من النظريات التى تربط بين عدد من الوقائع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا (35) .

ويعتمد علم الاتصال بالجماهير على عدد كبير من البحوث التى اجريت فى العلوم الاجتماعية الاخرى واهمها علم النفس ، وخاصة علم النفس الاجتماعى، وعلم الاجتماع ، وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) ، وعلم السياسة . فضلا عن علوم الاقتصاد والتاريخ واللغات . ولا شك ان دراسة علم الدلالة قد اثر اثرا كبيرا ، بفهم حقيقة الرموز ودلالتها الصياغية الاتصالية . ونظرا لاعتماد علم الاتصال بالجماهير على سائر هذه العلوم الاجتماعية ، فقد رأى البعض ان هذا العلم ليس علما مستقلا او قائما بذاته ولكنه عبارة عن مجموعة من الدراسات المتعددة . ومما لا شك فيه ان ظاهرة الاتصال بالجماهير هى الموضوع الرئيسى للمستقبل الذى يدرسه هذا العلم دراسة منهجية ، ولا ينقص من شانه واستقلاله استعانته بالعلوم الاخرى التى تتصل بجوانب متعددة من هذه الظاهرة الهامة .

اللغة عند افلاطون وارسطو :

ومع ان علم الاتصال بالجماهير من احدث الدراسات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، فان عملية التأثير والاقتناع ، كانت دائما موضع دراسة عميقة وجادة منذ اقدم العصور ، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة فيقول الانجيل بأنه فى الاصل « كانت الكلمة وكانت الكلمة هى الله » ؛ كذلك يقول القرآن : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » .

وقد تطور افلاطون وارسطو بهذه النزعة الروحية فى تفسير نشأة اللغة فعنيا عناية فائقة بدراستها ، وهى من الموضوعات الهامة فى علم الاتصال . فيذهب افلاطون الى ان اللغة الهام ومقدرة فطرية يكتسبها الانسان منذ الخلق . وقد نهج بادئ ذى بدء نهجا خاصا عبر به فراى ان لا سبيل الى فهم الحقيقة اللغوية الا بالنظر فى الالفاظ الاولى فى لغات عدة ، ولذا فقد راى ان النظر فى اللغات الاخرى للشعوب المختلفة امر ضرورى للوصول الى الهدف المنشود . ويدرك

---

(35) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـــ ص : 35 .
Sapir, "Language", Harcourt Brace, N.Y. 1921, p. 23

افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر ان السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخـرى .

على ان افلاطون يرى ان الالفـاظ تساعـد على التوضيح وان الفكر لا يتولد مـن اللغـة ، ولكـن اللغة هى التى تتولد من الفكر . فلكى نسمى الاشياء باسمائها لا بد لنا من ان نعرفها اولا .

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخرى حين يتنازل موضوع الاتصال بطريقة مباشرة فى كتابه « الخطابة » فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجـاه افلاطون ، فأكد ان اللغة لا يمكن ان تكـون الهـاما وموهبة انسانية . وان اللغة نظام لفظى محدد نشـأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية فى مكان ما.

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون فى الاخذ بالنظر العلمـى ، فقسم الالفـاظ الى اسماء ، وافعـال ، وحروف ، وتحدث عن موضوعات لغوية منها التذكير والتأنيث والبسيط والمركب .

ولآراء ارسطو فى اللغة مكانتها التاريخية فى علم الاتصال بالجماهير ، حين يؤكد ان « الخطابة هـى القدرة عن النظر فى كل ما يوصل الى الاقتناع فى ايـة مسألة من المسائل » . ذلك ان الخطابة او البلاغـة باعتبارها قوة مؤثرة فى الجماهير هى محور ودراسة علم الاتصال الجماهيرى الحديثـة ، فارسطـو يقسم الموقف الاتصالى الى ثلاثة عناصر .

هى الخطيب او المرسل ، والجمهور او المستقبل ، والخطبة او الرسالة ، مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء . وهذا هو ما ظهر تمـاما فى الدراسات الحديثة .

الدراسات الاسلاميـة :

وقد تأثر العرب بهذا العلم الاغريقى وقراوه مترجما على يد الآراميين والسريان . ومن العجيب انهم لـم يتأثروا بالتفكير الهندوكى اللغوى بالرغم من اتصالهم بهم (36) . ومن هنـا انطبعت الدراسات اللغويـة العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التى يغلب عليها طابع الفلسفة (37) .

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية « السياسـة » (38) كمـا ورد فى « مروج الذهب » للمسعودى عند ما يقول :

« وقد بلغ من احكام معاوية السياسية واتقانـه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه .. الخ » ويقصد بذلك تأثير معاوية فى الجماهير عن طريق الروايـة والدعاية . وقد بلغ به الامر الى حد تزييف الاحاديث، واختلاق الروايات ، وتلفيق المواقف التاريخية من اجل التحكم فى نفوس الجماهير .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الاثير يستطيـع ان يقف على تفاصل الدعاية الاسلامية فى العصرين الاموى والعباسى . كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفـة من اهل السنة والمعتزلة والشيعةفى الدعاية السياسية والدينية معا (39) .

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير فى الجمـاهير فى كتابه « البيان والتبيين » : ومتى شاكل ابقاك الله ـــ ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك اقدر لفقا وخرج من سمـاحـة الاستكراه ، وسلم من فساد الكلف كان قمينا بحسن الموقع ، وانتفاع المستمع ، واجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولـة ، ومتى كان اللفظ ايضا كـريما فى نفسـه ، متخيرا فى جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، واتصـل بالاذهـان ، والتحـم بالعقول ، وهشت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب، وخف على السن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مـادة للعـالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم المريض .

---

(36) ابراهيم السامرائى : « التطور اللغوى التاريخى » ـــ ص : 11 .
(37) د . عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » ـــ ص : 16 .
(38) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـــ ص : 39 .
(39) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـــ ص : 29 .

فاذا اراد صاحب الكلام صلاح شان العامة ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يحصى ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شغفا لاهل الاختلاف والفرقة ، رجعت له الحظوظ من اقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزمتها ، وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته ، وجبلت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من محبته ذنوبا حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع من كد الكلف ، واراح قارئ الكتاب من علاج التفهم (40) .

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم ، بعد نزول القرآن ، واتساع الفتوحات ، وخاصة بعد قيام الدولة العباسية ، فجندوا انفسهم للعناية بأمور اللغة حرصا على كتاب الله ، فاتجهت الدراسات اللغوية فى اتجاهات عدة ، واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها قال الفراء :

وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الامم اختصاصا من الله تعالى وكرامة اكرمهم بها ، ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجد فى غيرها من اللغات (41) .

ويبرز الاتجاه الاول فى عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب « بالسنتكس التعليمى » اى « علم التنظيم التعليمى » (42) او « علم النحو » الذى بدأ يظهر على يد الباحث اللغوى ابى الاسود الدؤلى ، وظلت العناية موجهة فى هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجرى ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة بأجزاء الكلام ، وتبيان صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها ببعض ، واقسام الكلمة ووظيفتها فى الدلالة . كما اخذ العلماء العرب فى هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التى يطلق عليها الغرب « المورونولوجيا التعليمية » اى « علم البنية التعليمى » (43) .

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذى عرفناه « بعلم الصرف » .

واتجهت الدراسات العربية كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب ، على النحو الذى وجدناه لدى ارسطو ، وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلوم البلاغة » التى تضم المعانى ، والبيان ، والبديع . وعلم المعانى يبحث فى بيان ما ينبغى ان يكون عليه الاسلوب العربى ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد ابلغ تعبير ، اما البيان فهو العلم الذى يشرح المناهج التى يسلكها الاسلوب العربى فى استخدام التشبيهات والمجازات والكنايات ، والبديع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التى يحتملها الاسلوب العربى وموضوعات البحوث الثلاثة ، كما نرى تبحث فى اللغة الاتصالية ، على النحو الذى تتجه اليه علوم الاتصال بالجماهير ، وهى من جهة اخرى «ترجع الى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة «الستيلستيك التعليمى» اى « علم الاسلوب التعليمى » .

وقد عنى المتقدمون بالكتابة فى بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » لابى عبيدة ، و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة فى هذه العلوم فى مؤلفات تضمها جميعا « كالصناعتين » لابى هلال العسكرى و « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجانى .

وفى الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون فى الكلمة العربية من حيث نطقها واداؤها ، لبيان الوجوه التى تقرئ بها القرآن الكريم . وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وانواعها ومخارجها ، والفن وضروبه ، وتأثر اصوات الكلمة المتجاورة بعضها ببعض .. وما الى ذلك من مسائل « الفونيتيك » الخاصة باللغة العربية (44) .

---

(40) « البيان والتبيين » — ج 3 — ص : 20 .
(41) القلقشندى : « صبح الاعشى » ج 1 — ص 149
(42) د . وافى : « علم اللغة » — ص : 53 .
(43) المرجع السابق — ص : 53 .
(44) المرجع السابق — ص : 56 .

واتجهت جهود الباحثين العرب فى الاتجاه الرابع الى البحث فى اشعار العرب فجمعتها ونقبت عن معانى الغريب فى مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله .

ويدلنا على ذلك ما روى (45) عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضا : « اذا تعاجم شئ من القرآن ، فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى » .

وعنى الاتجاه الخماسى « بمتن اللغة » والذى تفرعت منه ثلاثة اقسام ، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات ، واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » .

وعنى القسم الثانى بوضع معجمات ترمى الى بيان المفردات الموضوعة المختلفة المعانى ، وترتيب المعانى بطريقة خاصة ، وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب « الالفاظ » لابن السكيت ، و « الالفاظ الكتابية » للهمدانى ، « وفقه اللغة » للثعالبى .

اما القسم الثالث فقد عنى بتأليف رسائل خاصة فى الالفاظ او المعانى ، ككتاب ابى حنيفة فى الانواء والنبات ، وكتاب يعقوب فى النبات والاصوات والفرق ، وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى .. الخ

واتجه البحث اللغوى عند العرب — فى الاتجاه الاخير — الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (46) .

فمن ذلك دراسة الاصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية ، ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس فى كتابه « الصاحبى » فى فقه اللغة وسوق العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى ، والقياس والاشتقاق .. الخ ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى فى كتابه « الخصائص » كبحثه فى اصل اللغة وهل هى الهام ام اصطلاح .. وهلم جرا ،

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت فى دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ، ونعنى اللغة ، حيث نتعرف على تطور اللفظ ، والاساليب والعوامل التى اثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا .

وقد وجدنا ان الفارابى (47) المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع . كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتأثير فى الناس . ويتحدث الفارابى فى « آراء اهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تمسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب ، والاشتراك فى شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض ، والاشتراك فى لذة ما . اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان وبتشابه الشيم والخلق .

ويذهب ابن خلدون فى مقدمته الى تعليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على اسس اجتماعية ، ويرفض ما ذهب اليه المسعودى من اسباب تتصل بتركيب الانسجة . ولعل هذا الاتجاه الذى يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية فى تعليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذى يرفض التعليلات الغيبية والافتراضات المتصلة بالغرائز ، والعوامل البيولوجية العتيقة . وحين يتحدث ابن خلدون عن التعلم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

« لان الافعال لا بد من عود آثارها على النفس ، فافعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء ، وافعال الشر والسفسفة تعود بغير ذلك فتتمسك وترسخ ان سبقت وتكررت ، وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارهم المذمومة فى النفس ، شأن الملكات الناشئة عن افعال » .

(45) « تفسير القرطبى » — ج 10 — ص : 129 .
(46) د . وافى : « علم اللغة » — ص : 59 .
(47) الفارابى — ابو النصر : « آراء اهل المدينة الفاضلة » — القاهرة 1948 .

اللغـة فى ضوء البحث الحديـث :

ظلت البحوث اللغوية فى اوربا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى محصورة فى دائرة ضيقة وتعدو كثيرا مسائل علـوم البنيـة والتنظيـم والاسلـوب (المورفولوجيا والسنتكس والستيلستيك) فى اشكالها التعليميـة (48) .

ولما بدأت النهضة الاوربية فى اواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على العلـوم العربيـة مترجمـة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية ، حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز احد قضـاة الانجليز فى الهند والذى لاحظ الشبه القوى بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية ، هذه اللغات جميعها صدرت عن اصل واحد .

وكان من اشهر من افتتح هذه السبيل فون شليجل الذى قرر ان الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراتيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالت الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى قوانين فى تلك اللغات مثـل القوانين فى اللغات الهنديـة والتـى جعلت اساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايذانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنـة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخى التى قام بها جريم وديز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم . وقـد اسدى هذا المنهج المقارن فى دراسة اللغة خدمة جليلة فى بيان طبيعتها ، وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق ، وكشف لاول مرة عن وجود ما اطلقوا عليه اسم « القوانين الصوتية » وظهور علـم الاصـوات التشريحى على يد مولر ، وقد تهيأ لهؤلاء العلمـاء ان ينتهوا الى طريقة فى الاصوات تغير الحروف اللاتينية.

كما اثمر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية ، وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولـر محاضرات فى علم اللغة وقد نشر سنة 1861 . كمـا جاء فى كتاب الامريكى Whitney فى كتـابين فى نفس الموضوع هما :

« اللغة ودراستها » و « حياة اللغة وتطورهـا ». وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب دارون فى التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التى يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على انهـا تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليـل اللغـوى فى العصر الحديث ارتبطت بتيارات الفكر العلمى التـى سادت القرن التاسع عشر . ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات فى اطار علم اللغة المقارن .

ومن جهة اخرى فقد عالج توماس هوبز الذى عاش فى انجلترا فى القـرن التـاسع عشر مسائـل التفاعل الاجتماعى عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك فى كتابه « التنين » ويقـول هوبز ان التجمـع ليس صفة مقصورة على البشر ، فهناك تجمعـات النمـل وخلايا النحل التى تتصف بالتماسك ودقـة العمـل.

ثم يقول ان اهم ما يميز التجمعات البشريـة عـن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكـن الفرد من ان ينقل الى الآخرين افكـاره وآراءه بمـا يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة ، فان الاتصال الانسانى على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الافكار والآراء . فليس غريبا ان الانسان وهو الحيوان الناطق، وهو ايضا الحيوان الذى يحارب بالفكـر والعقيـدة والدعاية والسلاح . ولذلك يتطلب الامر وجود قـوة تتمثل فى الدولة او الحكومة التى تنظم الاطماع ، وتنسق الافكار ، حتى لا تعم الفـوضى ويـذهب النـاس فى سبلهم شتـى .

وفى سنة 1860 ، بدأ اثنان من البـاحثين همـا لازاروس ، وستينتال نشر بحوث متصلة بعلم النفس لا شعوب ،وفيها دراسات عناسباب الشعور المتماثل لدى الافراد ، وهى الروح العامة التى تظهر فى اللغة والاساطير والدين والتراث الشعبى ، والفن والادب ، وقواعد الاخلاق السائدة ، والعرف والقانون . ويبـدو ان ستينتال قد وقع تحت تأثير الدارونية ، وقولها بوجود قوانين عامة تحكم التطور ، ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد وميوله النفسية وقوله بوجود سيكولوجية

---

(48) د . وافى : « علم اللغة » ـــ ص : 40 .

جماعية — او عقل جمعي — هي التي تتمثل فيها النزاعات والميول النفسية الاجتماعية .

ويرى هيرمان باول ان علم النفس الاجتماعي بالمعنى الذى ذكره ستينتال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الاول . كما يقرر ان اللغة هى اهم الادوات التعبيرية التى تستعمل فى المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكرة من الافكار نشأت لديه بفضل كونه عضوا فى جماعة ، وهى :

1 — يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيما حوله من اشياء او ادوات تعبيرية .

2 — تنتقل هذه الاشياء والادوات الى فرد او افراد سواء .

3 — يقوم الآخرون بنشاط مادى يؤثر على بعضهم البعض تأثيرا قد يفيدهم ، ولكنه ينسجم مع مقتضيات ثقافتهم .

وقد استطاع « فونت » ان يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الانطباعات الماضية فى تشكيل عملية الادراك .

ومن المعروف ان دراسات الاتصال الحديثة تعنى عناية فائقة باثر هذه الانطباعات المترسبة التى تكون الانماط والتصورات الذهنية على ادراك المفاهيم الجديدة . لان الافكار لا تنشأ فى ذهن الفرد مستقلة عن تراث جماعته ، وذلك لانه بالرغم من ان تجارب كل فرد هى التى تخلق فى ذهنه افكاره الا ان للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا فى الحكم على امر ما بالخير او بالشر وبالجمال او القبح كما ان ثقافة المجتمع هى التى تحدد للفرد معالم افكاره .

وبعد ذلك اصبح موضوع الايحاء والقابلية للتأثر او الاستهواء من اهم الموضوعات التى عالجها كبار المفكرين من امثال جوستاف لوبون (49) وجبريل تارد. وقد اهتم لوبون بدراسة سيكولوجية الجماعات فى كتاب روح الاجتماع وكان متأثرا بالدراسات السابقة فى الايحاء . والجديد فى كتاب لوبون انه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التأثير بينهما . ويقرر لوبون ان تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان ، وكثرة العدد ولكن المهم هو اتجاه المشاعر والعواطف والافكار نحو هدف واحد ، ذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيرى .

وبينما يؤكد لوبون اهمية الايحاء فى التأثير الاجتماعى، نجد ان تارد يذهب الى ان المحاكاة هى اساس التفاعل الذى يتم فى الجماعة . والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هى اللغة ، فهى الاداة الاولى لنقل كثير من العادات والتقاليد ، ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الأجيال وعبر الجماعات والافراد . فكأن المحاكاة هى القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير.

اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسرى فردينانددي سوسير (1857 — 1913) نقطة تحول حاسمة فى تاريخ البحث اللغوى الحديث . فقد كانت رؤيته الواضحة لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارا امام تلاميذه واجيال الباحثين من بعده .

فقد ذهب دى سوسير الى أن اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المترابطة المتكاملة فى نظام رمزى ، ولذلك حاول ان يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخى والاتجاه الوصفى الواقعى ، واخذ على اصحاب الاتجاه التاريخى انهم قد اهملوا — الى حد كبير — دراسة اللغة من واقع نشاط متكلميها الذين يعيشون بين ظهرانهم . ومن ثم فقد حرموا انفسهم من دراسة هذا الجانب الحى . كما انهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية فى احكامهم على اللغة الواقعية . وهذا لا يتيح ادراك طبيعة اللغة ، فالتسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا . ويستطيع الباحث ولا شك ان يصل الى اعماق ذهن المتكلم مع تجاهل ماضيه اللغوى تجاهلا تاما (50) .

كذلك قسم دى سوسير ظواهر اللغة فى وقت ما الى عناصر موروثة وعناصر مبتكرة . والعناصر الموروثة هى التى يسميها Langue اولسان ويعنى بذلك لغة

(49) « روح الاجتماع » — ترجمة احمد فتحى زغلول — القاهرة 1909 .

(50) ص : 76 وما بعدها من الترجمة الانجليزية لكتابه .
Course in general linguitics

جماعة بعينها . اما العناصر المبتكرة فتتمثل فى الكلام واللغة بمعناها الانسانى Langage ظاهرة عامة تظهر فى هذين العنصرين مجتمعين . واللسان — او لغة جماعة معينة — مجموعة من الرموز يتلقاها الفرد من الجماعة التى يعيش فيها عن طريق السماع . اما الكلام فانه مجموعة من الاصوات التى تمثل نشاط الفرد باعتباره متكلما . ووحدة الكلام الجملة اما وحدة اللسان فهى النمط . ومن ثم فان اللسان ليس مجرد مجموعة من المفردات ولكنه بصفة اساسية نظام يشمل الرموز والانماط وعلى الباحث ان يحاول بلورة هذا النظام بوجدانه وبعلاقاته المتكاملة .

وقد حاول دى سوسير ايضاح الطبيعة الرمزية للغة ، فالرمز اللغوى دال Signifiant يشير الى مضمون يدل عليه Signifié وهدف الباحث ان يتبين عناصر الدلالة المختلفة مكتشفا قدرتها الرمزية . فاللغة عند دى سوسير هى ذلك النظام المستتر عند الجماعة ككل الذى يمكن تبين عناصره من الظواهر اللغوية المتاحة .

نظرية الانماط الجامدة :

ومن جهة اخرى ، فقد كان والترليمان من الرواد الاوائل فى دراسة الاتصال الجماهيرى ، الذين افادوا من الدراسات اللغوية ،فذهب الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك ، فهو لا يستطيع ان يفهم العالم او يتصوره بمجرد ملاحظته ، وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذى يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات .

فالعالم الموضوعى الذى نتعامل معه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يقع خارج نطاق احساسنا ، وخارج حدود بصرنا وعقلنا .

ويرى ليمان ان المسائل العامة كالسياسة والحكم والتربية والانتخابات والاصلاحات وغيرها ، تتأثر بما يصدره الناس من احكام نابعة من الصور الذهنية التى يكونونها عن انفسهم وعن الآخرين وهذه هى آراؤهم. اما الراى العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة فى رؤوس الجماهير ، وهو القوة التى تسعى اجهزة الاتصال وجماعات الراى كالاحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التأثير فيها .

ويؤكد ليمان ان تصرفات الناس لا تكون نتيجة لملاحظات موضوعية عن العالم الخارجى ، بل تكون فى حقيقة الامر مبنية على التصرفات الذاتية او الصور الذهنية الكامنة فى نفوس الناس . وهذه لا تتكون بطريقة الملاحظة الموضوعية ، ولكنها تتكون نتيجة الاتصال الشخصى بالناس والاصدقاء ، والاتصال الجماهيرى بالصحف والاذاعة المرئية والمسموعة ، وفى اغلب الأحيان تتكون من تفاعل هذين النوعين من الاتصال .

فالمؤثرات التى تحيط بالانسان لا تكون السبب المباشر فى الاستجابة للبيئة ولكن معنى هذه المؤثرات او صورتها فى ذهن الانسان ، هى التى تحدث الاستجابة. ولما كانت البيئة الموضوعية اعظم واعمق من ان تفهم فهما مباشرا ، فلا بد للانسان ان يبسطها ويختصرها فى شكل صور او رموز يستجيب لها فى بساطة وامان. وهكذا يكون الفرد عالما خاصا له ، كما تكون الجماعة عالما خصا لها . ولا شك ان الاتصال هو الذى يلعب اهم الادوار فى تكوين هذه البيئة الثقافية التى تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة .

ويقول ليمان ان الصور التى تتكون فى اذهان الجماهير تكون بعيدة عن الحقيقة الموضوعية ، ويرجع ذلك فى نظره الى عدة عوامل اهمها الرقابة على الموارد الاعلامية والسرية التى تضرب حولها والعقبات المادية والاجتماعية التى تحول دون وصول المعلومات الى الجمهور ، وضعف القدرة على الانتباه والتركيز ، والفقر فى اللغة ، وضغط المكونات النفسية اللاشعورية ، وتأثير المتاعب ، والتكرار والعنف والرقابة . وهناك ايضا غموض الحقائق وتعقيدها مما يؤثر فى الوضوح، فينشأ سوء الفهم وصعوبة الادراك . وعلى هذا الاساس لا تتكون فى عقول الناس افكار وانما تنشأ اخيلة واوهام ، وهذه هى التى تسيطر على سلوك الناس.

والبيئة الثقافية التى نعيش فيها هى التى تحدد لنا ما ندركه . فنحن لا نرى ثم نحدد ولكن التحديد يكون سابقا على الرؤية والادراك . وملاحظتنا للاشياء والاحداث تتمشى دائما مع الانماط المحددة التى

تصبها البيئة الثقافية فى نفوس الجماهير ، ولا يلبث الانسان ان يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التى تصبح بمثابة المرشحات التى تصبغ لون المرئيات والانماط ضرورة هامة للادراك والمعرفة ، ولا يمكن الاستغناء عنها .

وتساعد هذه الانماط على تأكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا ، وتعصبنا لمركزنا الاجتماعى والادبى ، ونقول دائما هذه الانماط شئ طبيعى .

اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر لبمان المجال امام دراسة الاتصال الاعلامى دراسة علمية منظمة ، وخاصة من ناحية تأثيرها فى اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكهم. فتوفر فريق من العلماء ذوى الاختصاصات المتعددة على هذه الدراسات ، وكان من بينهم متخصصون فى علوم الحيوان والاقتصاد والرياضة واللغويات ، والتاريخ والهندسة والتشريح .

وتمخضت هذه البحوث جميعا عن كتاب صدر سنة 1957 بعنوان « الاتصال الانسانى » يتجه الى دراسة المخ البشرى ، على اعتبار انه مركز الاتصال والمسيطر عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات للعمليات النفسية كالتذكر والانتباه والادراك وغيرها ، كما درست اللغة من ناحية التعبير عن المعلومات ونقلها . وتفرعت دراسات فى الموسيقى والفنون ، ودراسات فى الكلام ومشكلات النطق ، وبحوث مستفيضة حول الشائعات وعلم الدلالة .

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات ، الذى وجه الباحثين الى دراسة اللغة كنظام رمزى . وكان للباحث الروسى تروبتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجى » وتطبيقه تطبيقات ناجحة ، فقد اتجه البحث الصوتى قبل تروبتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة تشريحية — فيزيائية ، فانصرف جهدهم الى الصوت نفسه دون النظر فى طبيعته كجزء من نظام رمزى متكامل . وعند ما بلور تروبتسكوى نظريته فى الوحدة الصوتية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب الآخر. وعلى ذلك يكون المعنى وتغيره او عدم تغيره فيصلا فى التمييز بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية ، وهذا مرتبط بالنظام اللغوى قيد الدراسة ، فلكل لغة نظامها الفونولوجى الصوتى .

وقد اوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات اى علم من العلوم هى رموز لا قيمة لها الا فى اطار نظام نظرى متكامل وان المصطلحات والمفهومات لا تتحدد قيمتها الرمزية داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكامل .

اللغة والانماط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوى فى مكاناته على بعض الوحدات الصوتية ، ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنتظم هذه الوحدات ، ولكل لغة نظامها الصرفى الخاص بها ، على ان البحث الصرفى الاعلامى يهدف الى تحديد الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة انواعها وانماطها المختلفة ، وعلاقاتها فى النظام اللغوى ، من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة ، ومن حيث اسهام هذه الانماط فى اللغة الاعلامية التى ترمى الى النموذجية والتبسيط . لان العقلية الجماهيرية تركن الى الاستعانة بالرموز والانماط والنماذج والتجسيد ، فاللغة الاعلامية لا تتألف من كلماتها الا منتظمة فى انماط تتخذها الجملة ، وهنا تظهر دراسات اللغوى الامريكى شوسكى فى بناء الجملة والتى تذهب الى ان النظام اللغوى ليس المجموع الحسابى لما سجل من عبارات ، بل هو شئ مجرد له وجوده الفعال وغير الواعى لدى افراد المجتمع اللغوى وهدف النظام اللغوى هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفى بل عليه ان ينطلق من المادة المتاحة ، لوضع فروض حول انماط الحيل الممكنة ، ثم نختبر هذه الفروض فى ضوء الواقع اللغوى .

اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيأ النهوض الدراسى بالاصوات ، واللهجات الشعبية ، وعلم النفس اللغوى الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها ، فقد بذل الباحثون فى علم الدلالة جهدهم للوصول به الى مناهج البحث العلمى . فاهملوا الابحاث الفلسفية التى لا تؤدى الى نتائج متيقنة . وعملوا على استخدام التجارب الفعالة كطريقة التجارب وقياس الغابر على الحاضر والموازنة والاستنباط المبنى على اسس سليمة . وقد اثمرت هذه

الدراسة واتجهت فى اتجاهات عدة لبحث الدلالة الصلاتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية . ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالا بمناهج البحث الاعلامى ، حيث يفيد فى كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة، بحيث تنتقل المعانى كاملة ودقيقة ، كما يفيد هذا العلم فى دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتنوير ، ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل ، وليأمنوا شرها ، ويجنبوا الناس خطر الزلل والانزلاق .

اللغة والبحث الاعلامى :

قد اثبت علماء الدلالة ان الالفاظ تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، كما ان اختيار الالفاظ هو الذى يساعد على التحكم فى اتجاهات الناس وتصرفاتهم ، ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات ، وتكوين الآراء لكسب التاييد ، وتعبئة الشعور عن طريق الوعى والتنوير ، مما يؤدى الى تصرفات اجتماعية سليمة ، فان نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التى يفيد منها هؤلاء الخبراء .

اللغة والبحث الاعلامى :

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق بمنهجه فى تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة ، بحيث اصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجماهير يطبقون الاسس المنهجية للتحليل اللغوى او تحليل البنية اللغوية فى بحث عمليات الاتصال بالجماهير المختلفة ، فبدا التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطورية لها ، وتوسلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه فى اطار المجتمع.

واخذ الباحثون فى الاتصال بالجماهير يبحثون فى اللغة باعتبارها عنصرا اساسيا فى عملية الاتصال الاعلامى .

فاللغة اذن هى العروة الوثقى التى جعلت الاتصال عملية اجتماعية ، وهى التى تحدد الكيان الاجتماعى للاتصال الاعلامى ، او اضطرابه فى مواجهة المعايير التى يفرضها المجتمع فى المظهر والسلوك وعلى ذلك فان منهج البحث الاعلامى فى اللغة ، انما يهدف الى البحث فى ماهية اللغة ، من حيث كونها اداة اتصال يستعملها المشتغلون فى الاجهزة الاعلامية ، بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص فى اللغة الاعلامية بمستواها العلمى الاجتماعى ، باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات ، مستقلا عن اللغة بمستوييها التذوقى الفنى الجمالى ، والعلمى النظرى التجريدى ذلك ان اللغة الاعلامية ، لا تهدف الى مناشدة حاسة الجمال لدى القراء ، بل على العكس من ذلك ، تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة .

وقد قال هربرت سبنسر ذات مرة : « ان لدى القارئ او المستمع فى اى لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير الرموز المعروضة عليه والتى تتطلب جزءا من طاقته الذهنية، اما ترتيب وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءا اكبر من المقدرة ، والجزء الباقى يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها ، اما الطاقة الذهنية الاقل حيوية فهى لفهم هذه الفكرة » .

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بأنها سيارة او حافلة الافكار التى يكون من الطبيعى ان الاحتكاك والقصور الذاتى فى كل احوالها يحدان من كفاءتها ، والهدف الاساسى فى الموضوع . وهو ليس الهدف الوحيد ان نقلل من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة » .

على ان المنهج الاعلامى فى اللغة ، يستخدم طرقا عامة يشترك فيها مع غيره من البحوث اللغوية ويستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التى يعرض بدراستها — كما سترى — وهذه الطرق جميعا انما هى من ثمرات البحث الحديث . لان اللغة الاعلامية ليست بعثا لنظريات قديمة ، او عرضا لنتائج العلوم التطبيقية على المجال الانسانى ، ولكنها افادت من ذلك جميعا طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو من الرواد الذين فطنوا الى وجوب البحث فى التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكى يساير الهجاء مقتضيات الحياة ، ولكى يصور فى الوقت نفسه الموقع اللغوى ، والذى لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبديهى ، ولا بد من الوصول الى رموز ، فى حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصور ذلك الواقع اللغوى ، ولا بد فى الوقت نفسه من الاتكاء على الاختزال ، افادة من الوقت الضائع سدى فى الاملاء والتدوين والطباعة .

الفصل الثالث

اللغة فى ضوء البحث الاعلامى

تحتل اللغة موضعا رئيسيا فى عملية الاتصال الاعلامى ، التى تسرى فى كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية من اهم عناصر عملية الاتصال الاعلامى بأبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية .

واذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال فى : (من ، يقول ماذا ، لمن ، وكيف ، وبأى تأثير)

فان اهم عناصر الاتصال يتمثل فى « اللغة » او « الرسالة الاعلامية » ولما كانت « الرسالة » تمثل الوسائل التى يتصل من خلالها فرد بآخر او جهة بأخرى ، فان بحوث الاتصال تعنى بوصف هذه الرسالة بدقة وان تفسر ببصيرة نافذة .

ولقد انفق العلماء جهودا مضنية ووقتا طويلا ، فى بحوث الرسالة الاعلامية من حيث كتابتها وتحريرها ، وفنون صياغتها حتى انه يخيل للمرء ان زاوية الرسالة هى الزاوية الوحيدة التى شغلت الباحثين دون الزوايا الاخرى . غير ان المواقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم ، فهى مواقف سلوكية تقدم فرصا مضطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة ، وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم وافتراض الفروض بشكل عام ، للسيطرة على البيئة من خلال استخدام الرموز (51) .

والمنهج الاعلامى فى اللغة انما هو اسلوب علمى يستخدم لوصف عملية الاتصال الاعلامى ، وصفا موضوعيا منظما على اساس كمى للمضمون الظاهر للاتصال اى لمجموعة المعانى التى تظهر من خلال الرموز المستخدمة فى عملية الاتصال . فهو اذن منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة فى عملية الاتصال الاعلامى بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لمحللين مختلفين ان يطبقوها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج .

اما التنظيم الذى يقتضيه المنهج الاعلامى ، فيعنى تحليل الرسالة الاعلامية على ضوء حصر كل الفئات المناسبة لموضوع التحليل ، كما يعنى ان يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية ، او فرض لغوى يمكن من خلال التحقق منه ان يكون لنتائج تحليل اللغة الاعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد .

ويعنى الاساس الكمى للمنهج الاعلامى انه من اكثر الخصائص تمييزا للمنهج الاعلامى فى اللغة ، مما يميزه عن المناهج اللغوية الاخرى . ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عددية لفئات التحليل ، اذ يتخذ التقرير احيانا شكل كلمات كمية .

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع ، انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجى الخصيص بأدق المعانى ، ناشئا تلقائيا من المناشئ العضوية الاولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه — من جهة اخرى — تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور ، وان يجرى عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم ، باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة ، ان شئت فهى مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلى الذاتى هو الموجه والهدف لنشر اللغة . ولكن الذى لا شك فيه ايضا ، انها تهم اول ما تهم شخصا آخر — المستمع « المستقبل » — او اشخاصا آخرين ، يوجه اليهم المتكلم « المرسل » الحديث ، فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (52).

وعلى ذلك ، فان لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة ، بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والاشارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هى وسائل للتفاهم .

اى وسائل اعلامية :

اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما فى اللغة من معلومات وتقويم دقتها على اساس كمى بالارقام ؟

---

(51) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 135 .
(52) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 55 — الرباط — 1375 هـ .

وكيف نفرق بين اصوات او حروف تعطي قدرا كبيرا من المعلومات واخرى تعطى نزرا يسيرا ؟

ذلك المنهج الاعلامي في اللغة هو موضوع نظرية الاعلام . وهي نظرية حديثة ترتكز على اسس رياضية راسخة . وقد وضع اساس هذه النظرية العالم الامريكي « كلود شانون » عام 1949 ثم ما لبث ان تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين في مختلف ميادين الفكر والبحث العلمي : علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلاسفة وعلماء النفس. وتقوم هذه النظرية على اساس ان اللغة هي «شفرة»، اي نسق اصطلاحي من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامي .

وحجرا الزاوية الاعلامي الرياضية هو مفهوم عدم التحدد اي الغموض . فان اي مجموعة من الحروف نسطرها او اي مجموعة من الوحدات الصوتية « الفونيمات » نطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديدها. فقد تكون ذات معنى ، وهنا يزول عنها عدم التحدد ، وقد تظل بلا معنى فيكتنفها الغموض او عدم التحدد. ومعنى ذلك انه للكشف عما يكون هناك من معنى او لقياس حجم المعلومات في جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولية الحروف الابجدية ، ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد في اللغة ، والحرفين والثلاث .. الخ ، واحتمال تجاور حرفين معا والثلاثة حروف الخ . ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى . فحروف الابجدية هي الذرات او اللبنات الاولية التي يتألف منها بناء اللغة في شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل . ولكن الملاحظ — كما يقول كوندراتوف — ان معظم الحروف المفردة في اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوي من الحروف يحمل معنى ، وهذا هو ما يسمى بخاصية الفضل في اللغة اي الافراد او الزيادة في الاقتصاد.

فاللغة العادية ليست كلغة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى ، فحرف (ا) في الكيمياء يعني الاكسجين بينما لا يعني شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحي ، فيبدو كأنه فضلة او زيادة لا يبرزها الاقتصاد . وكذلك الحرفين (أب) قد تعني (أب) ، و (أم) تعني (أم) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على ان هذه الزيادة في اللغة والتي لا يبررها الاقتصاد تقتضيها الضرورة ، فهي « حد الامان » . وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل في كل لغات الانسان العادية تتراوح ما بين 70 و 80 % وتزيد هذه النسبة في لغة الفنون المتخصصة ، وذلك لان حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصصة ايسر من القراءة الشاملة ، او انها افقر منها لغة وتقل هذه النسبة في لغة الادب ، ذلك لان الادب فيه تلوين وتصوير وثراء وخيال .

ومن ذلك يبين ان احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة في الكتابة او الكلام ليست احتمالات متساوية ، كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة . ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ، ثم دراسة احتمالات تجاور كل حرفين على حدة وكذا كل ثلاثة حروف واربع ... الخ .

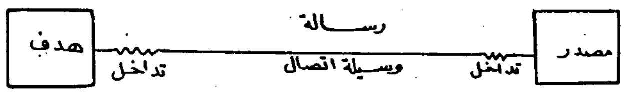
واحتمالات الفواصل بين الكلمات والجمل ، واحتمالات تجاور الحروف المتحركة والساكنة وقواعد النحو والبناء اللغوي .

ولكن اللغة ليست فقط حروفا متجاورة وكلمات بينها فواصل ، بل هي اشارات لها ما وراءها ، اي لها مدلول او معنى ، فاي بناء لغوي فارغ من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفة الاصلية للغة وهي التفاهم او نقل المعلومات اي واقعيتها . ويختلف معيار التحقق من اللغة هل هي ذات معنى ام لا باختلاف ميدان استخدامها ، فالتجربة هي معيار الحكم في العلوم الطبيعية ، والفهم المشترك معيار الحكم في اللغة العامة بين الناس كما انه معيار الحكم في لغة الاعلام .

وتأسيسا على هذا الفهم تعني نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات التي يمكن لمخ الانسان ان يستقبلها ، ويقتضي ذلك دراسة معدل الوارد من المعلومات الى المخ في وحدة زمنية معينة وهو ما يسمى بسعة الجهاز العصبي او طاقته . ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من اعضاء الاستقبال الحسي وكفاءتها في الاستجابة واوجه الاختلاف والتمايز بين كل منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبي في الاستقبال والاختزان للمعلومات ذات المعنى سواء في مجال الحديث الشفاهي او القراءة او السرعة اللازمة.

وتختلف هـذه النسب ايضا على اساس الخصائص الفردية للانسان وحالته العضوية والنفسية ودرجـة التدريب ،،، الخ . (53) .

وترتكز نظرية الاعلام عند « شانون » على ان عقل المصور هو المنبع ، وان المرسـل يستخدم اللغـة والاشارة لنقل الرسالة ، فيتلقاها المستقبل ، ويديرها بعقله وهو المصب او الهدف . يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه النظرية لعنصر التداخل والتشويش ، الذى يعوق عملية الاتصال الاعلامى وقد ينشأ التداخل من المرسل او الرسالة ا والوسيلة او المستقبل ، فتفقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر الى الهدف . ويمكن ايضاح ذلك بقولنا ان حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير ، تعتبر تداخلا فى الاتصال الصحفى كما أن سوء الاضاءة ، وعدم ارتياح القارئ لاسباب صحية او نفسية ، قد تعوق الفهم ايضا وتعتبر تداخلا . ومن الامثلة على ذلك ايضا ، دق جرس الهاتف اثناء الاستماع الاذاعى او حدوث ضجة مفاجئة ، وكلها تمثل فكرة التشويش او التداخل. ولا بد للاعلامى الناجح ان يدخل هذه الامور جميعا فى اعتباره . وقد يكون العيب فى ارسال التلفاز او الاذاعة نفسه ، او عيب او مرض يعترى المستقبل . ويمكن تصوير التداخل هكذا (54) :



وقد يعالج التداخل بالاعادة او التكرار حتى تتاح الفرصة للمستقبل لتلقى الاشارة ، غير ان المرسل يراعى تجنب التكرار الممل البطئ كما يتجنب الاسراع الشديد . ويعتبر مفهوم رجع الصدى من المفاهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية ايضا . وتعتبر هذه الارجاع اختباراً لسلامة الدائرة ، او ما يصيبها من اعطال . وبنفس الطريقة نجد ان رجع الصدى فى الاتصال الانسانى ، يعطى للمرسل فكرة عن استجابة المستقبل للرسالة او رفضه لها (55) .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه :

اولا : المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وصياغتها فى رموز لتكوين الرسالة او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة . والعنصر الرابع هو الاستجابة ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية . واذا وصلت هذه الارجاع، ونسرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل ، وتتكرر هذه الدورة ـ بطبيعة الحال ـ الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية ، هى نسيج البناء الاجتماعى والثقافى نفسه .

ومن جهة اخرى يذهب علم « السيموطيقا » او نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية اى متواضع عليها بين الناس وكونها تستلزم وجود عنصرى المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعى والادراك المقصود ، لان وظيفة الاشارة اعلامية اى نقل المعلومات . اما العلامة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة .

ويمايز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة انماط من العلاقات ، علامات دالة « علامات التطابق او العلامات المصورة » وتتسم بأن المعنى او المحتوى والصورة الخارجية او التعبير متطابقان ومتماثلان ، والنمط الثالث علامات الاتصال او الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والدقيق لهذه الكلمة . واكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هى من هذا النمط

على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا فى اطار هذا النسق دون غيره . والاشارات او اللغـة

(53) المرجع السابق .
(54) الدكتور ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـ ص : 143 .
(55) ايضا المرجع السابق ـ ص : 143 .

فى عمومها سواء كانت الفاظا ام حركات لها شكل ومعنى او وعاء ومحتوى . وقد يتفق الشكل ويختلف المعنى ، وجوهر اللغة فى معناها اساسا (56) .

ويقرر علماء « السيميوطيقا » (57) ان لغة الاستعمال المنطوقة هى نسق من الاشارات نشأ فى المجتمع وللمجتمع الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم . فلغة الكلام الشائعة ليست كما تبدو فى ظاهرها لغة بسيطة . انها تبدو لنا كذلك فقط لاننا تمثلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكمنا فى قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعى وادراك طبيعة العملية ، وان كان هذا هو ما يتوفر لنا بعد ذلك فى سنى الدراسة بالمدرسة حين نتعلم القراءة والكتابة.

أن لغة الانسان نسق اشارى بالغ التعقيد ، قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعى المطلق وهو ما لا يتأتى من اى نسق اشارى لغير الانسان . ومن ثم فهى لغة اكثر ثراء وغنى واكثر اقتصادا . ويرى علماء السيميوطيقا انها اصبحت كذلك لانها لغة ارتقائية .

ونخلص من ذلك ، الى ان اللغة تتميز على غيرها من الرموز والنظم الاشارية بأنها فى متناول الجميع ، وهذا يميزها عن العلم والفن او الادب اللذين يتطلبان تدريبا خاصا ، فالعالم رموزه وصيغه وارقامه فى علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والفلك والمنطق وغيرها ، ولا يمكن فهم الرياضة الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريب خاص .

اما اللغة العملية ، اللغة أليومية ، اللغة الاجتماعية، لغة الفن الاعلامى فتمتاز بالشمول كما انها لغة طبيعية نتعلمها منذ الطفولة ، فى حين ان لغة العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التى لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات من المران والتدريب (58) .

اللغــة الاعــلاميــة :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى والجمالى ويستعمل فى الادب والفن ، والثانى هو المستوى العلمى النظرى التجريدى، ويستعمل فى العلوم ، والثالث هو المستوى العلمى الاجتماعى العادى وهو الذى يستخدم الصحافة والاعلام بوجه عام . وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انسانى ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو تقارب المستويات اللغوية فى الاول، وتباعدها فى الآخر . فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التآليف بين المستويات العلمية والادبية والعلمية، وهى غالبا ازهى العصور وارقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى فى المجتمع ، وهذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيوخة والانحلال .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى اهم عنصر فى الحضارة الانسانية (59) .

وتعتمد اللغة فى صحتها وقوتها على المستوى العام للغة القائم على التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية لان الحديث اليومى حين يحسنه افراد المجتمع ينشط اللغة ويعيد لها الشباب . فليس الكلام الانسانى من خلق العلماء او اللغويين ، بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (60) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم فى مدرسة ، وممن لا يكادون يحسنون كتابة او قراءة .

حقا ان العلماء والادباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهر ذلك الجمال الرائع فى النصوص

(56،57) المرجع السابق .
(58) د . ابراهيم امام : « دراسات فى الفن الصحفى » — ص : 40 — القاهرة 1972 م .
Imam, I. "The Language of Journalism" (1969)
(59) د . احمد ابو زيد : مجلة « علم الفكر » — العدد الاول بالمجلد الثانى — 1971 م .
(60) « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 33 .

الادبية ، ولكننا نلحظ ان اندر النويرات واروعها هي تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية او تعهد .

على ان جذور اللغة لا تعمق الا فى التربة العامة التى منها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها ، هذا اذا قدر للغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى . فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الدب ، وتصبح اشبه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها واشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى المجامع اللغوية بأوروبا ، فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبى ، وقد يفرض النصوص التى يجب ان تعلم فى المدارس ، ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائج فى الاسواق ، وعلى الخطاب العادى فى البيوت وبين افراد الاسرة (61) .

وقد حدث هذا لاوربا فى العصور الوسطى عند ما كانت اللغة اللاتينية مستأثرة بالدراسات الادبية ، وبينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة ، لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت فى عصور مظلمة ، وباتت تتردى فى الجهل والتعصب والتنافر والتنابذ . وفى الوقت نفسه ، سادت فى العالم الاسلامى آداب رفيعة ، وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والمحكومين ، مستعملة فى الآداب والعلوم وفى الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفزعة ، كما كانت فى اوربا بين اللاتينية والإنجليزية او الالمانية مثلا ..

وقد كانت اللغة العربية فى اتعس ايامها واحلك عصورها — فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر — تعانى من الانفصام العقلى فى المجتمع، حيث سادت لغة ادبية منمقة متكلفة كتقليد سخيف للطريقة الفاضلية فى الكتابة ، عقيمة مصطنعة لم يألفها الشعب ، اما اساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامح ان يقلد الكاتب اسلوب الحريرى فى مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المترادفة، وليس على من يريد ان يكتب فى موضوع الا ان يأخذ بنصبها .

ومن جهة اخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة بحيث لم يعد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية واصبح مرضا من امراضها الوافدة المنتشرة ، وغلب على الناس استعمال الالفاظ فى معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى عرفت بها العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها واصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من ان يعيشوا فى الحياة ومعانيها (62) .

وصفوة القول ان الخضوع السياسى والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الادب كان لها جميعا اثرها فى اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة فى تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هى اعراض رسمية مصطنعة متراكمة ، يصبح المجتمع المريض والحضارة المنحلة . وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى اوربا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة ان يكون ظهور اول صحفى مصرى وهو رفاعة الطهطاوى فى عصر محمد على مهتما بنهضة علمية ، والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (63) . فقد كانت اللغة الموروثة التى كانت تؤدى اغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جحود وضيق فى الافق ، وحملت الحياة الحديثة فى اوربا الى العرب آلات جديدة وافكارا جديدة ومشاعر جديدة ، حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب

(61) المرجع السابق — ص : 23 .
(62) محمد المبارك « خصائص العربية » — ص : 6 .
(63) د . ابراهيم امام : « دراسات فى الفن الصحفى » — ص : 44 .

النشاط الانسانى فى الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من الوان وصور جديدة ، فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاءمة بين الامرين عسيرة صعبة وكان ينادى بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاضطلاع به فكان على جمال الدين الافغانى ويعقوب صنوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الاوربية ان يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الادب ، وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنويع فى وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية ، والعناية بالاخبار النائية . وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحيفة تتلاءم مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط، دون ان تهبط الى العامية فى اللفظ ، او السوقية فى الفكر (64) .

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية ، لاننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات، وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الادبى والعلمى للغة .

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى ، تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والاشراق ، وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته . فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى ،،، الخ .. هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والوضوعات العامة . ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والافكار اليهم ، فهو اداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته . ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام والتغيير والتوجيه والتسويق والامتاع والتنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فلغة الفن الصحفى تختلف عن كل هذه جميعا لانها تتضمنها كلها ولا تقتصر على اى منها ، لان القراء او جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ، ولان الصحفى يكتب لكل الناس فى كل الاوقات — وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت — فانه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع (65) .

وليست على هذا الاساس ، البيئة التى يحيا فيها الانسان ، يعمل ويبحث ماديا فقط ، بل ثقافيا كذلك. فانفعال الانسان وكيفية ادائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوى لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات الثقافة فى التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحى بها .

والمشكلات التى تبعث على التقصى والبحث حول الرسالة الاعلامية انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ، ولا تقتصر الاعضاء التى تختص بهذه العلاقات ، على العين والاذن واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة ، مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا او جامدا ، وانما هو عملية دينامية متحركة ، بحيث تحتل — اللغة — فى مركب العناصر التى يتألف منها المحيط الثقافى للعملية الاتصالية ، مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدى وظيفة ذات خاصية ايضا فهى فى حد ذاتها نظام اعلامى ، وهى : الاداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة ، كما تتغلغل الالفاظ خلال الصور ومضوناتها فى آن واحد ، وتتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة ، فاللغة بهذا المعنى، هى الوسيلة التى تتقمصها الثقافة فتبقى وعن طريقها تنتقل ، وهى ذلك التدوين الذى يديم بقاء الحوادث ، ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى ، فان الافكار او المعانى لا وجود

(64،65) المرجع السابق — ص : 45 .

لها الا فى رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية ، وبذلك تشكل تلك الرموز ، نوعا من البقاء الضرورى لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزى عنها (66) .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم الداخلى النفسانى والعالم الخارجى ، تتجسم فى التعابير المختلفة التى توجد بوجودها ، وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها ، وبما ان الموضوع والذات ، اى المفعول والفاعل، يلتقيان فى الشعور الفردى ليتحققا ، كان لزاما على الدراسات النفسانية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة فن تقنى (لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها) ولكن حقيقتها تندمج فى حقيقة تاريخية ، التاريخ الفكرى والنفسانى والصناعى والجغرافى للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة ، ونقصد هنا بالتاريخ الماضى طبعا ، ولكنه حق يسترسل من الحاضر مع التأكيد بأن الحاضر لا ينحصر فى الحال ، بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اى الحال والمستقبل، لان ما يقوم به الانسان فى الحاضر انما هو إنجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر ، فالمستقبل ليس للبعيد كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة ، بل اسم فاعل ، اى انه الزمن الذى يقع فيه فعل فعليا (67) .

فالحاضر يختلف عن الماضى ، لان الماضى قد انتهى كحركة مباشرة ، ولما يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة. ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كى يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم ، لا غاية فى ذاته . ان المرسل يرمى من وراء الكلام ان يفهم المستقبل انه يريد تواصلا .

والانسان هو الحيوان الذى يتكلم ، اى يصنع العلم بالالفاظ ، فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه ، واما تحديد لسلوك ، فردى او جماعى ، فالكلمات كالاوراق النقدية والاسلحة او الخاتم السحرى فى يد الإنسان ، يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ، ورد فعل شعور الآخرين ، ومن هذا التجاوب الشعورى ، ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية ، فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا ، واحيانا اصلاحا . واذا لم يتسبب عنه شئ محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين ، او عند متكلم آخر ، مرة اخرى ، فالكلمة كالدرهم الذى يحتفظ بقيمته التوالية سواء انتقل الى بائع او الى مشتر ، او لم ينتقل : « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » (68) .

فالبحث فى الكلمات من حيث تركيبها المادى ، ومدلولاتها المحسوسة ، وآثارها النفسانية ، يلتقى فى ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاعلام او الاتصال بالجماهير ، وحول المعرفة .

ومن هنا كان التأمل فى اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة فى نفس الوقت ، مادة للبحث واداة له ، اذ ان العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية ، اى ليست علاقة تجاور فى المكان او تصاحب فى الزمان ، بل هى علاقة داخلية ، بمعنى ان الفكر ليس قبل الكلام ولا هو « خارج » الكلام انما هو فى الكلام . وكذلك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامى ، وانما هى داخله ، تصوغه وتحدده بقدر ما تقيمه وتشكله .

فاللغة ليست شيئا خاصا بفرد ، بل ملكا مشتركا ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات، وبين ابرازها « كأحداث » بين المعنويات والماديات ، بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لفظ العقل واللغة ، او « النطق » و « القول » فى اليونانية كما اشار الفارابى . والفلاسفة الرواقيون كانوا يرون — كبعض الفلاسفة المعاصرين — ان الفكر واللغة متطابقان ، وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات

---

(66) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 54 — المغرب — الرباط : 1385 هـ .
(67) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 6 — ص : 15 الرباط 1388 هـ .
(68) د . عثمان امين : « الفلسفة الرواقية » — ط 2 القاهرة 1959 — ص : 119 — 120 .

المتعاقبة التى تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلقوم، والتى يستطيع فم الانسان ان ينطق بها ، كما تستطيع الكتابة ان تمثلها ، فان مثل هذه الاصوات قد لا يكون لها معنى ما ، ومن ماهية اللغة ان تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملفوظ : فهنالك « كلام داخلى » نفسانى يكفى لاستعمال الفكر، وليس « الكلام الخارجى » الملفوظ سوى مظهر من مظاهره .

اللغة هى « الواسطة » العظمى والصغرى فى الغياب وفى الحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون

اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين ، اى دعوة ودعاء ، فالمرء يعطى كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ويعيد سلوكه ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل لا كلمة له ، رجل ينتقصه الضمير ، نعنى ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير ، الى مستوى العناصر « الانطولوجية » ، ربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (69).

ان اللغة ــ داخل هذا الاطار ــ تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع ، لانها اهم وسيلة يلجأ اليها ليتم التفاهم بين الافراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والادبية والفنية .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة او الثقافة .. ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا وصادقا من الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة فى المجتمع الذى توجد فيه . فمفردات اللغة والاساليب والتصورات وبناء الجملة والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك فى المجتمع الصناعى الحديث الذى يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور اعضائه بفرديتهم الذاتية ، تختلف اختلافا جذريا عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها فى المجتمع البدوى القبلى الذى يعيش على الرعى والترحال والذى يرتبط الفرد فيه ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التى ينتمى اليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماما فى تلك الجماعة . وهذه مسألة كثر الكلام فيها ــ على حد تعبير الدكتور احمد ابو زيد (70) ــ ولكن حديثنا عن الاعلام واللغة يرتبط بما يمكن ان يسمى « حضارة اللغة » هى فكرة مستعارة من عبارة عارضة وردت فى محاضرة للفيلسوف الرياضى الفرد نورث وايتهيد ونشرها فى كتاب بعنوان « انماط الفكر » (71) ، وتعنى بأنه ثمة حضارة معينة هى حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغة بحيث يمكن القول انه لولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة او لظهرت حضارة اخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة . فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية ــ بما فيها القردة العليا التى تعتبر اقرب الكائنات العضوية الينا ــ بالفكر واللغة. وعلى الرغم من ان القردة العليا بالذات تعيش فى تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها فانها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه نحن من هاتين الكلمتين .

ومن هنا تختلف الثروة اللفظية من لغة الى اخرى، بل فى اللغة الواحدة تختلف هذه الثروة اللفظية من عصر الى آخر بالنسبة لحياة اللغة نفسها . ذلك انه بقدر ما تزيد حاجيات المجتمع وتثرى معانيه يزيد عدد هذه المجموعات الصوتية حتى تكون متجاوبة تماما مع هذه المعانى وتلك الحاجيات .

وعلى ذلك تصبح اللغة ــ التى قال عنها ابن جنى فى « الخصائص » ، والجرجانى فى « التعريفات » انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ــ هى اداة التفكير الانسانى ، فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهاته ، كما تصبح اللغة بالنسبة للاعلام : « الرسالة » التى يتم من خلالها نقل الافكار والآراء والمعلومات من المرسل الى المستقبل .

---

(69) مجلة « دعوة الحق » ــ العدد 5 ــ السنة السادسة ــ 1382 هـ المغرب .
(70) مجلة « عالم الفكر » ــ العدد الاول ــ المجلد الثانى ــ 1971 م الكويت ــ ص : 13 .
(71) المرجع السابق ايضا .
Whitehead, A.N. "Modes of Thought"

فهناك من المجتمعات الانسانية من لا يزال يعيش فى عالم المادة وفى دنيا الامور الحسية ، لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدود من الالفاظ اللغوية تسد حاجة دنياه وتتجاوب مع ما يدور فى عالمه ، وهنـاك من استطاع — لعوامل مختلفة — ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا اخرى تتصل بعالم نفسى روحى أو معنوى فيضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى — على ضوء تجربتـه — تشرح مدلول هذه الامور النفسية او الروحية او المعنوية (72)

من ذلك نجد انه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها او حين نسمع عنها ان تطورها رهن بتطور المجتمع ، بحيث تتجه اهداف اللغة فى اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل الذات ، حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمرحلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث، وهو الهدف الاجتماعى والترابط الانسانى والتفـاهم البشرى (73) .

وقد لخص العالم « اولبـرت » وظـائف اللغـة الاجتماعيـة فقـال :

1 — انها تجعل للمعارف والافكار البشرية ، قيما اجتماعية بسبب يقوم استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

2 — وانها تحتفظ بالتـراث الثقـافى والتقاليـد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 — وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 — وانها تزود الفرد بأدوات التفكير ، وما وصل المجتمع البشرى البصير الى ما هو عليه الآن ، بدون التعاون الفكرى لتنظيم حياته .

ولا يتأتى هذا التعاون الفكرى ، الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العملى الاجتمـاعـى .

فاللغة الاعلامية اهم مظهر للمحافظة على كيـان المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والانفعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يـدل على هذا الشئ او الفعل (74) ، وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كافـة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

تطبيقـات المنهـج الاعـلامـى فى اللغـة :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان المنهج الاعلامى فى بحث اللغة ، يسهم فى الكشف عن اساليب الدعايـة عن طريق تحليلها الى فئات مثل التحليل على اساس الموضوع او الصياغات المختلفة للمضمـون او على اساس الدعوى او مقصد الاتصال واثره . وقد ثبت ان تحليل الاتصال على اساس فئات المضمون افضل من تحليله على اساس ما يفترض من مقاصد وآثار .

وقد استخدم هذا الاسلوب فى تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود اربعة اهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء هى : اثارة الكراهيـة لدى العدو ، والابقاء على صداقة الحلفاء والابقاء على صداقة المحايدين وضمان تعاونهم ان امكن ، والقضاء على الروح المعنوية للعدو .

واستخدمت فئات اخرى فى تحليـل الدعاية وهى ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهـى الحيـل الخاصة المختفية التى لا يكون الناس عادة على وعى بها . ومن ذلك ان معهد تحليل الدعاية الامريكى قد اكتشف فى سنة 1937 ان هناك سبع حيل رئيسيـة يستخدمها خبراء الدعاية ، فى تكوين رموزهم اللغوية للتأثير فى الناس ، وكسبهم الى صفهم . اما الحيلـة الاولى فهى استعمال الفـاظ التعميم البراقة لتهوين

---

(72) د . حسن عون : « دراسات فى اللغة والنحو العربى » — القاهرة 1969 م — ص : 8 .

(73) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 55 — الرباط — المغرب 1385 هـ .

(74) عبد العزيز عبد المجيد : « اللغة العربية » — ج : 1 — ص : 19 — القاهرة 11 .

Institute for propaganda analysis, how to detect propaganda Propaganda analysis, Vol. I, Nov. 1937 pp. 1-4

القارئ ، واخذه على غرة ، بحيث يتأثر ببريق اللفظ الطنان ، فيخدعه ذلك عن التفكير او المطالبة بالادلة والبراهين . فهناك مثلا الفاظ : الصدق ، والشرف ، والحرية ، والتقدم ، التى تتناثر فى انحاء الجمل والعبارات ، وهناك ايضا الكلمات الدينية والقومية التى يتوسل بها الدعاة ، مثل : الديمقراطية ، والاسلام ، والمسيحية ، والدين ، والشرف ، والامة ، والوطنية ، والحرية ، والقومية ، والانسانية ، وغيرها.

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة . فهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطة موضوعة » ، وهناك « تقصير خطوطنا » ، وقد استعملت هذه العبارة الاخيرة لتغطية مرارة الانسحاب فى حرب فلسطين سنة 1948 ، وتستعمل احيانا عبارة « عاشرته معاشرة الازواج » للاشارة الى جريمة الزنا او هتك العرض. وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة او المتعة لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب.

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضوع مناسب وتثبيته فى ذهن الجمهور وتبسيطه له واطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامة وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخلط الامور على الجمهور وتقديم الدعاية فى ظل معلومات اخرى يصدقها واستغلال الظروف النفسية للجماهير التى تجعلهم اكثر تصديقا لما يقدم لهم .

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب ، وانما تستعمل كذلك للخداع والاثارة والتعمية وايقاظ الغرائز . فقد تستعمل اللغة للتعبير عن المعارف والاحداث بدقة ووضوح فهى لغة اخبارية ، كما هو الحال فى الرياضة والعلوم والاعلام ، وقد تستعمل اللغة ايضا لاثارة العواطف والانفعالات فى نفوس الناس كما فى الدعاية .

فالرموز اما معرفية تؤدى الى معلومات ، واما لا معرفية تؤدى الى انفعالات او اوهام .

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حرص مختلف انواع الدعاية الموجهة الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة فى نفس الوقت او فى فترات زمنية متعاقبة على اثارة استجابات انفعالية بواسطة رموز لا معرفية تختلف باختلاف نوع الجمهور .

اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه المنهج الاعلامى الى دراسة الاسلوب الذى يؤثر فى قابلية اللغة الاعلامية للقراءة او الفهم ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هى العماد والاساس ، بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة ، فكان على المنهج الاعلامى ان يقيس قابلية الرموز المطبوعة او المذاعة للقراءة او الفهم ، من حيث العوامل التى تميز الرموز التى يسهل او يصعب قراءتها او فهمها ، والاختلاف فى الاسلوب ، ومدى سرعة القراءة لدى القارئ ومدى التركيز على الكلمات او مجموعات الكلمات ، ومدى ما يستوعب فى ذاكرته من المعانى المؤقتة حتى ينتهى من قراءة الجملة . وكان المنهج الاعلامى يركز فى البداية على « الكلمة » فى قياس قابلية القراءة ، فقسمت الدراسات الاولى القابلية للقراءة المواد الى نسبة الكلمات « السهلة » الى « الصعبة » الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقننة للكلمات مثل قائمة ثورندايك . وفى السنوات التالية اضيفت عناصر اخرى لبحثها مثل — طول الجملة — الجملة البسيطة والجملة الناقصة التى لا تحتوى على فعل والجملة ذات الفعل فقط ، ثم تبع ذلك ما لا يقل عن 82 عنصرا من عناصر الصعوبة التى زعم بحثها ، اختير منها اخيرا خمسة على اساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهى : الكلمة المختلفة ، والكلمات الصعبة المختلفة ، والضمائر الشخصية والجملة الناقصة التى تتضمن حرفا للجر، وطول الجملة . ووضعت فى صيغة تعد تعبيرا مباشرا عن القابلية للقراءة على اساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة . وفى نفس الفسحة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة اخرى منتشرة مجموعة اخرى من ثلاثة عوامل هى : طول الجملة ، والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصل .

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ، ذلك انه يتحقق من صدقها عن طريق القارئ العام لاختبارات الفهم . وهذا القارئ يمثل جماعات تعليمية

---

(75) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 83 .

مختلفة ، لذا فهى تنطبق على القارئ العام ذى الاهتمام العام ولا تضع فى حسابها اثرا لاهتمامات القارئ الخاصة على قابلية قراءته للمادة . فالقابلية للقراءة اذن تعتمد على اهتمام القارئ وخبرته .

اللغة الاعلامية والاطار الدلالى :

واذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته ، فان الرسالة الاعلامية تفقد قيمتها عند ما ينعدم الفهم .

أن لكل جماعة ، بل لكل عدد مجموعة من التصورات والاتجاهات تتحكم فى سلوكه وفى نظرته للاشياء . فالانسان يعيش فى عالمين : عالم خارجى موضوعى ، وعالم باطنى ذاتى هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجى ، او مجموعة المفاهيم والدلالات .

ولا يستطيع الاعلامى ان ينجح فى تحقيق هدفه الا اذا عرف هذه العوالم الباطنية او التطورات الخاصة او الدلالات الحقيقية للاشياء فى ذهن المستقبل . ذلك انه لكل فرد عالمه الخاص ، وتصوراته الذاتية المشتقة من بيئته وثقافته ، بما فيها وسائل الاتصال المختلفة(75)

والانسان يميل الى تنظيم المدركات بطبعه ، وخلع المعانى عليها ، وفقا لاطاره الدلالى ، او مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة . ولا يمكن للاعلامى ان ينجح فى اداء مهمته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجماعات والافراد .

ويخطئ الاعلامى حين يظن ان ما يقدمه من معلومات او افكار سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها . فهناك عقبات عديدة فى سبيل ذلك منها التميز والتعصب والخرافات والاوهام . كما ان هناك عقبات تنشأ عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

وعلى ذلك ، فان عناية المنهج الاعلامى بدراسة الدلالة والاطار الدلالى هى عناية بالعوامل التى تؤثر فى معانى الكلمات وفى قواعد اللغة واساليبها فتؤدى الى اختلافها وتطورها .. وما الى ذلك ، فى اطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية ، الخ ..

نظرية فليس فى التجريد :

وافادة من هذه البحوث ، اصبحت اللغة الاعلامية تفضل ان تكون مفرداتها خالية من ازدواج المعنى والتورية والغموض .

وقد صور لنا كوزر ومن بعده هاياكاو عملية تجريد اللغة من عوامل الغموض والتورية ومحاولة التخصيص فتحدثنا عن « سلم التجريد » وهو السلم الذى يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد . وعلى سبيل المثال فان السلم يرتفع صعودا على هذا النسق:

ا ــ ان كلمة « بيسى » وهو اسم البقرة المحددة او البقرة (1) يجعلها تختلف عن البقرة (2) او البقرة (3) الخ ..

ب ــ كلمة البقرة .

جـ ــ كلمة « ماشية » التى تصنف البقرة «بيسى » مع سائر الحيوانات الاخرى التى تشاركها نفس الخصائص .

د ــ كلمة « الموجودات » او « الاصول » او « الممتلكات » الزراعية التى تصنف « بيسى » مع غيرها مما يشترك معها فى هذه الخصائص .

هـ ــ كلمة « الاصول » .

و ــ كلمة « الثروة » وهى اعلى مستويات التجريد فى هذا السلم .

وقد اكتشف الدكتور رودلف فليس معادلة او صيغة لقياس يسر القراءة او ما اصطلح عليه بكلمة « الانقرائية » كما اكتشف معادلة اخرى لقياس « الجاذبية الانسانية او الاهتمام الانسانى » . وقد بنى معادلته الاولى عن الانقرائية على اساسين :

الاول : متوسط طول الجملة .

الثانى : متوسط طول الكلمة محسوبا بالمقاطع .

اما معادلة الاهتمام الانسانى او « الجاذبية » فهى مبنية على اساسين هما :

اولا : متوسط النسبة المئوية لعدد الكلمات الشخصية ، وهى جميع الاسماء المعبرة عن الجنسين الطبيعيين ، وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة ، وكلمة الناس المستخدمة مع افعال الجميع، وذلك كلمة القوم او الاهل .

ثانيا : متوسط النسبة المائوية للجمل الشخصية ، وهى جمل المحادثة المنطوقة التى تقع بين علامات التنصيص او الاقتباس ، وكذلك الجمل المنتهية بعلامات الاستفهام او علامات التعجب ومثلها جمل الرجاء والطلب والامر ، وكذلك الجمل الناقصة على اساس النحو اللغوى ولكن يمكن للقارئ فهمها من سياق الحديث .

ويضيف الدكتور فليس ان عامل الاجتذاب الانسانى او الاهتمام الانسانى يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائده العظمى حث القارئ وتشويقه للقراءة .

ويبدأ مقياس فليس من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الانقرائية والجاذبية . ويبدأ مقياس الانقرائية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدأ مقياس الجاذبية من الممل الى المشوق الى الدرامى .

تطبيقات معادلة فليس :

وييسر لنا فليس كيفية تطبيق معادلته على النحو التالى :

الخطوة الاولى : اذا اردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات . ويمكن اخذ ثلاث الى خمس فقرات من المقال ومن 25 الى 30 فقرة من الكتاب . ولا ينبغى انتقاء عينات مثالية او ممتازة . ويمكن اخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفقرة 3 ثم 6 ثم 9 وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة .

الخطوة الثانية : تحصى الكلمات فى القطعة المختارة كلها ، وفى حالة العينات تحصى الكلمات حتى المائة. مع ملاحظة ان حروف الاختصار ، وعلامات الوصل او الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جميع الارقام والحروف الواقعة بين مسافات .

الخطوة الثالثة : تحصى المقاطع فى المائة كلمة المختارة .

الخطوة الرابعة : تحصى الجمل على اساس وحدات الفكر ، لا علامات الوقف .

الخطوة الخامسة : تحصى عدد الكلمات الشخصية فى كل مائة كلمة .

الخطوة السادسة : تحصى الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة .

الخطوة السابعة : استخلص يسر القراءة (ىق) باحصاء عدد المقاطع فى مائة كلمة اى طول الجمل (طج) طبقا للمعادلة الآتية :

ىق (يسر القراءة) .

206،835 — 846 طك — 1،015 طج .

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية (جا) بادراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية (كش) والنسبة المئوية للجمل الشخصية (جش) طبقا للمعادلة الآتية :

ج ا (الجاذبية الانسانية) = 3،645 كش + 0،314 ج ش .

وقاعدة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذى يبدأ من اقصى الملل فى ناحية الى اقصى الدراما فى الناحية الاخرى مع وجود عنصر التشويق للغاية بينهما .

وفيما يلى جدول فليس للجاذبية الانسانية :

درجة التشويق	صفة الاسلوب	نوع المجلات	النسبة المئوية للكلمات الشخصية	النسبة المئوية للجمل الشخصية
صفر — 10	ممل	علمية	2 فاقل	صفر
10 — 20	مشوق نوعا	تجارية	4	5
20 — 40	مشوق	مختارات	7	15
40 — 60	مشوق للغاية	مجلات متنوعة	11	32
60 — 100	درامى	قصصية	17	58 فاكثر

اما مقياس يسر القراءة فيتضح من الجدول التالى :

درجة الانقرائية	صفة الاسلوب	نوع المجلات	المقاطع فى كل 100 كلمة	متوسط طول الكلمات فى جمل
صفر — 30	صعبة للغاية	علمى — —	192 فاكثر	29 فاكثر
30 — 50	صعب	اكاديمى	167	25
50 — 60	صعب نوعا	رفيع	155	21
60 — 70	عادى	مختارات	147	17
70 — 80	سهل نوعا	قصص	139	14
80 — 90	سهل	قصص	131	11
90 — 100	سهل جدا	قصص مصورة	123 فاقل	8 فاقل

طابـــع الاسلـــوب الاعـــلامـــى :

جذبت مشكلات الاسلوب الاعلامى الدارسين ، منذ تأكد للفن الاعلامى والصحفى وجود ، فتناول الدارسون بالتحليل الكيفى اسئلة مثل :

— ما هو الفرق بين الاسلوب الاعلامى والاسلوب الادبـــى ؟

— ما هى الاغراض التى يهدف الاسلوب الاعلامى الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الاسلوب الاعلامى من علم «الاسلوبيات احد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديث ، ويعتمد هذا المنهج فى دراسة الاسلوب الاعلامى على المناهج اللغوية الحديثة ، بل ان بعض البـــاحثين فى تحليـــل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمى للاسلوب ، فاتجه هذا التحليل فى اتجاهات اربعة :

الاول : هو اللغة كلها ، وقـــد اجـــريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام ، كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على اساس تكرار انماط الاستخدام التى تظهر فى الكتابة والكلام .

الثانى : هو التميز بين انماط الاسلوب فى الفترات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام احدث التطبيقات واشملها للتحليل الكمى للاسلوب الاعلامى وخاصـــة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة .

الثالث : هو تمييز الاسلوب بنماذج الكلام ، اى بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمـــى .

والرابع : هو العادات والسمات اللغوية التى تميز شخصا ما ، وبخاصة كاتبا من رجالات الصحافـــة ، فحين نقول اسلوب العقاد الصحفى او اسلوب الدكتور هيكل الصحفى مثلا تقفز الى اذهاننا بعض السمات التى ينفرد بها العقاد او الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التى يتميزان بها .

ومهما يكن من امر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هـــو دراســـة الاســاليب الاعلامية المختلفة بحيث نشير الى الملامح اللغوية التى تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصلة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين المواقف الاجتماعية التى تستخدم فيها من ناحية اخرى، كما نفسر كلما امكن ذلك ، العلة فى استخدام هـــذه الملامح ونقابلها بالملامح البديلة فى الانمـــاط اللغويـــة الاخرى . ثم نصنف هذه السمات الى فصائل تبوب اما على اساس ميزاتها اللغوية من نحوية وصوتية ولفظيـــة او على اســـاس وظيفتهـــا فى السيـــاق الاجتماعى (76) او على اساس العلاقة بين الاثنين معا

اما موضوع البحث الذى يتناول دراسة الاسلوب الاعلامى فهو اى شريحة من الكلام المذاع او اللغـــة

(76) انظر مقال « اللغة ونظرية السياق » للدكتور على عزت — الفكر المعاصر — العدد : 76 — القاهرة.

المطبوعة التى يمكن للمحلل اللغوى ان يعزلها من الفيض اللغوى المتدفق ثم يخضعها لمعايير البحث والتحليل ، سواء كانت هذه الشريحة عبارة او جملة او فقرة او نصا متكاملا .

ويطرح الباحث فى الاسلوب الاعلامى عدة فروض :

— هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها فى الاسلوب الصحفى او الاعلامى بوجه عام ، وبين الوظائف التى تؤديها هذه الصيغ فى السياق الاجتماعى الذى تستخدم فيه ؟

— هل يتعين علينا ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب المعرفى » اى الذى يؤدى الى معلومات ، وبين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب اللامعرفى » الذى يؤدى الى انفعالات واوهام ، وبتعبير آخر هل نفيد فى دراسة الاسلوب الاعلامى من وراء التمييز بين الاسلوب المعرفى الذى يستعمل للتعبير عن المعارف لاحداث بدقة ووضوح ، وبين الاسلوب اللامعرفى الذى يستعمل لاثارة العواطف والانفعالات فى نفس المقياس ، وصفوة القول فى هذه المشكلة ان دراسة الاسلوب الاعلامى تقتضى التمييز بين هذين النوعين من الاساليب لتقنية الاسلوب الاعلامى من الاستعمال التحذيرى للغة فى السياسة والدعاية ، لان الاسلوب الاعلامى يستعمل التعبير العقلى الفكرى ، والمناقشة الواضحة الناضجة .

وفى هذا الصدد ، يذهب علم النفس الحديث الى ان استعمال اللغة استعمالا عقليا واعيا ، هو الذى يخرج المدركات من مجال الغموض اللاشعورى ، الى حيز الوضوح الشعورى ، ويتفق وارد وستاوت فى انجلترا ، وبرجسون فى فرنسا ، وكروتشى فى ايطاليا ، على ان اللغة هى مجموعة الرموز التى تنقل المعانى من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر . وفى رأيهم ان الرموز المصورة لا يمكن ان تقوم مقام الالفاظ اللغوية ، لانها غامضة غير محدودة ، وان الرموز للتعبير عن الافكار هى الكلمات اذا استعملت استعمالا عقليا واعيا .

كما ان الفروق بين الاسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية اللامعرفية التى تخاطب الغرائز وتوقظها لا تزال مستعملة فى فنون الدعاية والاعلام . فالغرائز البشرية، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هى الاهداف التى يسعى المعلن والداعية الى التأثير فيها (77) .

اما الاعلام ، بمفهومه العلمى ، الذى يلتزم بمسؤولياته الخطة ازاء المجتمع والافراد ، فانه يحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الغرائز . وهو يساهم فى ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الراى العام وتنوير الناس ، يفضل استعمال الاسلوب المعرفى الذى يؤدى الى الوعى والتفاهم .

كما تتضمن الفروض التى يضعها الباحث فى الاسلوب الاعلامى امامه اخيرا ، هل من الافضل دراسة الملامح اللغوية فى اسلوب كاتب ما لذاتها ، بصفتها سمات تميزه عن اسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاحرى ان نتقدم خطوة فى اطار علم الاتصال بالجماهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية وآثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تأثيرها على القارئ فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ ..

على اننا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجماهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامى من اكتشافات علم اللغة الحديث سواء فى مجال علم المفردات او النحو او الصوتيات او الدلالة .

اللغة الاعلامية ونظرية السياق :

يرى مالينوفسكى انه ينبغى علينا ان نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعى والانسانى الاخرى ، وان نفسر دلالة كل لفظ او عبارة داخل اطار السياق الحقيقى الذى تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمى الاجتماعى والذى نسميه لغة الاعلام ، لانها تعد نمطا من انماط السلوك البشرى لا يؤدى مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدى دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالينوفسكى انه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة اخرى ،

(77) نشره مالينوفسكى كملحق لكتاب اوجدن ورتشاردز المعروف . "The meaning of meaning"

وكلما بعدت المسافة بين ثقافتين متباينتين زادت الصعوبة فى العثور على مرادفات غير هاتين الثقافتين. واذا اردنا تعريفا الترجمة فى شئ من الدقة فانها اعادة خلق اللغة الاصلية الى لغة اخرى مختلفة تمام الاختلاف . ومن ناحية اخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هى من غير شك ترجمة سياقات بكلمها .

وصفوة القول ، ان فصل الناحية اللغوية للالفاظ عن السياق الاجتماعى والثقافى كما يذهب مالينوفسكى هو تبين لكل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، فاللفظ بالنسبة له هو عمل ذو قوة وفاعلية لا تقل عن اى عمل يدوى ، او هو مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالموقف الذى يحدث فيه ، وذلك ما حدا بمالينوفسكى ان يقول فى مقاله : « مشكلة المعنى فى اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموقف ارتباطا لا ينفصم ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الالفاظ » .

وتجد نظرية مالينوفسكى هذه ، صدى فى كتابات الفيلسوف ك . فتجنشتين الذى يقول فى كتابه « ابحاث فلسفية » :

« تكمن معانى الالفاظ فى استخدامها ، وليس فى مقدور المرء ان يحرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه ان ينظر الى استعمالها ، ويتعلم من ذلك » .

ويمكننا ان نقول ان نظرية مالينوفسكى فى السياق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان توظف لصالح المنهج الاعلامى فى اللغة ، لدراسة اللغة فى اطارها الاجتماعى . وذلك ان هذه النظرية — كما ذهب الى ذلك فيرث — اطار مناسب تنتظم فيه العناصر التى تضم الاشخاص والادوات والاحداث ، الى جانب عنصر اللغة الذى تقوم بينه وبين هذه العناصر الاخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية فى المحل الاول .

ويقترح فيرث على اللغوى ان ينحوا فى دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصى العلاقات الداخلية لسياقات الموقف على هذا النحو :

اولا : دراسة السمات المميزة للاشخاص والشخصيات التى تساهم فى سياق ما ، مثل : الاحداث اللغوية او الكلامية التى ينطق بها المشتركون فى الموقف .

وكذلك الاحداث غير اللغوية التى تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والايماءات ، الخ ..

ثانيا : دراسة الاشياء والادوات ذات العلاقة بالموقف .

ثالثا : اثر او نتيجة الحدث اللغوى .

ولقد ساهم مالينوفسكى وفيرث بدراسة السياق، فى تشجيع الباحث اللغوى فى الاعلام حين يتمم على دراسة اللغة من الناحية النحوية والصوتية واللفظية الا يهمل « الموقف » بشخوصه ونظمه وعاداته .

والراى عندى ان دراسة السياق فى لغة الاعلام تفيد فى فحص مضمون الاتصال فى مقابل الاهداف منه، سواء كانت صريحة او ضمنية . كما تفيد فى تصحيح التأكيدات الخاطئة فى مضمون ولغة الاعلام على ضوء الهدف منه .

وتساعدنا دراسة السياق فى لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :

اولا : تقويم الاداء بناء على معايير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن او وجود هدف اجتماعى .

ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر .

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجى ليس من المضمون .

وقد تم تطبيق المعايير القبلية على مضمون الموضوعات التى تتناولها الصحف فى بعض البلاد وفى فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات للتأكد من مقدار الالغاء او التشويه او عدم الدقة .

وتوالت دراسات اخرى طرق معالجة العمل فى البرامج الاخبارية فى الاذاعة ، وطرق معالجة قانون معين فى عدد من الجرائد ، وطرق عرض الانباء المحلية فى المجلات الاسبوعية . على ان الاساس الثانى للتقويم يتضمن امثلة معايير داخلية ، لمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر . ففى دراسة « السلوك الاخلاقى وغير الاخلاقى لعدد من الصحف الممثلة للصحافة الامريكية تم تقويم الصحف على اساس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من الصحف التى تهتم اهتماما كبيرا بالانباء الاجتماعية » .

واستمدت المعايير من تحليل مساحات عناوين الصفحة الاولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة الاجتماعية » هى (المشكلات الاجنبية ، ودولية الولايات المتحدة ، والوطنية) وثلاثة موضوعات حسية هى (حماس المال ، والجيش ، المال والجنس) . وبطرح الاخيرة من الاولى نحصل على درجة واحدة لمقياس (الاجتماعية الحسية) لكل صحيفة . طبق هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقورن بينها على اساس ان هذا هو معيار تحديد احسن صحيفة.

ولا شك ان كفاءة المعايير المستخدمة والتى تستعين بدراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويم وسائل الاتصال الاعلامية .

نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان تفيد من دراسات علم اللغة بفروعه المختلفة ، وما تهتدى اليه من ظواهر لغوية ، وما تكتشفه من بحوث فنية تفيد فى دراسة لغة الاعلام وتهذيب الفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وادخال مفردات جديدة. على مفرداتها ، وتدعيم خصائص هذه اللغة الاعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح ، واقتراب شديد من لغة الحديث الواقع الحى المثقف ، دون اسفاف او هبوط الى العامية واستخدام اللغة العملية التى تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هى اللغة الاعلامية المؤثرة حقا .

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية يولى وجهه فى مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويستمد منه المعونة ، ويتوصل الى النتائج العلمية التطبيقية فى تطويرها عن طريق قوانين علم اللغة وقواعده ، ولذلك فان بحوث اللغة الاعلامية لا يمكن ان تنفصل عن بحوث علم اللغة ، ولكنها فى نفس الوقت تتصل اتصالا وثيقا بعلوم الاتصال بالجماهير ، وذلك ان اللغة الاعلامية لغة فن تطبيقى وليس فنا تجريديا . والفن التطبيقى لا يقصد لذاته ، وانما يهدف الى تحقيق غايات معينة ، وان يؤدى وظائف محددة ، واللغة الاعلامية ترتبط بست وظائف رئيسية هى : الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح والتوجيه او الارشاد ، والتسلية او الامتاع والتسويق او الاعلان والتعليم او التنشئة الاجتماعية وليست اللغة الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجماهير فحسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة متكاملة تقدمها المصادر العديدة فى الفلسفة وعلم النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع والسياسة ، وعلم النفس الطبيعى والنماذج النظرية وآثار الاتصال ونتائجه .

وصفوة القول ان المنهج الاعلامى فى دراسة اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بافراد فصيلته ونعنى بها علوم الاتصال بالجماهير ، اشد من صلته بالطوائف الاخرى .

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هى علاقة تأثير وتأثر ، فاذا كنا ننظر لعلاقة التأثر على النحو السابق، فان علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هى علاقة التنمية اللغوية ، واهم عوامل التأثير فى حياة اللغة ، ذلك ان اللغة فى مختلف مظاهر حياتها — شأنها فى ذلك شأن النظم الاجتماعية الاخرى — ترتبط ارتباطا وثيقا بما عداها من مؤثرات العمران ، ولعل اهم هذه العوامل التى تؤثر فيها وسائل الاتصال الاعلامية التى تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية وشؤونها ، فهى تسهم فى نشأة كلمات لم تكن موجودة فى اللغة من قبل ، وفى هجر كلمات كانت مستخدمة فيها او انقراضها انقراضا تاما .

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم العوامل التى تدعو الى نشأة كلمات فى اللغة ، كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعى جديد ، سواء كان نظما اجتماعية واقتصادية ، او نظرية جديدة علمية او فلسفية ، او مخترعا ماديا جديدا ، الخ .

ذلك ان الاعلام فن حضارى ، لا يزدهر الا فى البيئة الصالحة للتقدم والتطور . ففى الصحافة المصرية الحديثة ، نلاحظ انها قد ورثت ، عند ظهورها فى القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبا عتيقا يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تميل الى البهرجة، ثم اخذ هذا الاسلوب يتخلى شيئا فشيئا عن هذا التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » فوجدنا انفسنا امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبى والاسلوب الصحفى واخذ الفن الصحفى فى التبلور والتطور حتى وقتنا الحاضر . واذ ذاك وجدنا له لغة تبعد بعدا ظاهرا عن لغة الادب . فقد استحدث الصحفيون الحاليون

تراكيب جديدة لم تخطر للادباء او اللغويين الاولين . فبدلا من قولهم : انه لا بد من توضيح المسالة توضيحا لا يدع مجالا للشك بأحدهم يقولون : نريد ان نضع النقط فوق الحروف ، وهناك صفات ونعوت جديدة لا وجود لها فى الكتب القديمة مثل : الحقيقة الصارخة، والاكذوبة البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعاية السوداء ، والغيرة الصفراء .

وفى موضع آخر من هذا البحث ، سنرى مدى الدور الذى يمكن ان يؤديه الاعلام فى التنمية اللغوية، وحفظ اللغة ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحى المفردات والقواعد والاساليب ، وتسجيل آثارها ، واستخدامها فى مختلف اشكال وفنون التحرير الصحفى والاعلامى .

ونخلص مما تقدم جميعا ، الى ان المنهج العام الذى يشق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عددا من المناهج ينطلق من ثمار علم اللغة المقارن ويمضى الى علم اللغة ويبحث فى العلاقات اللغوية فى الاعلام العربى المعاصر فى ضوء علم اللغة الوصفى او العلوم الاجتماعية والنفسية ، وينظر كذلك فى قضايا اللغة الاعلامية على هذا المنهج التقابلى وعلم اللغة التطبيقى.

والسير بهذا المنهج خطوات كبيرة ، يتوقف على التوصية بعناية اقسام الصحافة ومعاهد الاعلام باللغة العربية اهتماما كبيرا ببحث هذه اللغة بحثا علميا ينطلق من محاولة التصور ، التى ابتنائها فيما سبق ، نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية وقيامها بوظيفتها ، فنحن نستطيع ان ننظر الى اللغة على اعتبار انها نظام من العلامات الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ، واستخدم وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير نحو الافكار والعواطف والمشاعر .

وعلى ذلك فان علم الاعلام اللغوى ، يشق طريقا جديدا متخصصا فى تاثير اللغة على الناس ، ويتحدد التواصل اللغوى فى مفهومه بعملية تبادل المعلومات بين الافراد والجماعات . ويظهر هذا التواصل اللغوى على شكل عبارات او تعبيرات شفهية او كتابية تتبادلها الاطراف فى موقف معين ، لغرض معين، عن واقعية معينة .

والعلامات اللغوية هى العنصر الاساسى فى اللغة. وهى وحدة تتالف من شكل صوتى (جسم صوتى) او (دال) معنى (مضمون) او (دلالة) .

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة الشعورية التى تتم فى وعى الافراد المنتمين للجماعة اللغوية ، وهى صور متصلة بالشكل الصوتى المعين للعلامة ومرتبطة بها ارتباطا متعسفا . اى ان العلامة اللغوية ليست هى الشكل الصوتى والصورة الكتابية المقابلة له فحسب ، بل لا بد فيها من وجود رابطة تجمع بين ذلك الشكل الصوتى المادى والمضمون الشعورى الواعى . وبهذا تكون العلامة اللغوية وحدة ذات شقين .

والعلامة اللغوية تتمثل بشكل مادى محدد فى كلمات ووسائل نحوية وصرفية تعبر عن العلاقات القائمة بين الكلمات ، اى انها تخلق من مجموعة الكلمات المتراصة فى احدى اللغات جملا سليمة من ناحية القواعد النحوية ، ولذلك فان الاعلام اللغوى ، يرتكز على دراسة هذا الشكل المادى للعلامة اللغوية كذلك. كما يعنى بدراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تعكس جزءا محددا من الواقع الموضوعى فى وعى الفرد المنتمى لجماعة لغوية ، ولان هذا المعنى عبارة عن فكرة ، وهذه الفكرة هى فى الوقت نفسه العنصر الاساسى من الصورة التى تعكس الواقع الموضوعى.

وتاسيسا على ذلك تتحدد الوظيفة الاجتماعية العلمية للغة ، والتى يعنى بدراستها علم الاعلام ، لما تقوم به من دور كبير الآن فى حياة العالم السياسية والتربوية . ويزداد بوجه خاص فى عصر الصراع بين الاستعمار والاشتراكية وبين قوى الاستغلال والرجعية وقوى التقدم والتطور - ان الجانبين يتنافسان فى اجتذاب الافراد الى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من الصراع الدائر ويشركه فيه بدوره . واقرب الوسائل التى يلجأون اليها فى سبيل ذلك هى الكلمة .

لهذا كله يصبح من الزم الواجبات التى تواجه علم الاعلام اليوم ان يبحث فى اثر اللغة على تفكير الناس وفهمهم للامور وتوجيه مشاعرهم وارادتهم ومسلكهم العملى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام المختلفة فى احداث الاثر المطلوب .

الفصل الرابع

اللغة الاعلامية

اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى :

وتقدم اننا لا نعنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية من تجريد نظرى ، انما نريد باللغة الاعلامية انها لغة بنيت على نسق عملى اجتماعى عادى ، فهى فى جملتها فن يستخدم فى الصحافة والاعلام بوجه عام .

وهذه الخاصة فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا يرمى الى النمذجة والتبسيط، اخص الخصائص فى اللغة الاعلامية ، التى تستخدم الرموز المجسدة او الانماط او النماذج التى تقوم مقام التجربة الفردية او الجماعية لتنظيم التجارب الانسانية العديدة .

فاللغة العربية فى طليعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية او الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم شبه الجزيرة العربية .

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا امة بيان ، وللكلام عندهم مكانه العمل لان القول والعمل عندهم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هى حال الامم المغالية فى الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره كما هى حال الامم البكيئة العاجزة فى لسانها ، فلا غرابة بعد هذا فى ان نجد الكثير من خصائص العرب وخصالهم فى لغتهم (78) .

وتلك السمة البارزة فى اللغة العربية ، هى التى جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (79) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات اوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربى من مادة الفاظه ومفرداته فى اسلوب الواقع واسلوب المجاز .

يقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمع العربى فى قوامه الاصيل انما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وان الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية . فالامة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحدا او تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا ، والقبيلة هى الجماعة التى تسير الى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفئ الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى مجال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء اليه اصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال او لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا اطلقت اولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسخر قوم من قوم » ، ومنه قول زهير :

ومـا ادرى ، ولست اخال ادرى
اقوم آل حصن ام نساء ؟

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية لغة دالة ، ترمى الى النمذجة والتبسيط ، من خلال منهج لوضع الالفاظ للمعانى الجديدة ، يختار صفة من صفات الشئ الذى يراد تسميته او بعض اجزائه او نواحيه او تحديد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفته او جزئه او ناحيته او وظيفته .

فى هذا الموضع تختلف الامم وتتفاوت فى نظرتها الى الاشياء وفى وضعها للالفاظ الجديدة التى تطلقها على المسميات . وفى اللغة العربية امثلة قديمة وحديثة من الالفاظ العربية ، تؤكد هذه الصلة بين المدلول الاصلى للفظ والمعنى المقصود منه او الشئ المسمى ، فمن الالفاظ القديمة : السهل والسماء والقلب والعادة والانسان والبيت والعقل والفضل والشرف ؟ يلاحظ فى هذه الالفاظ ان العرب اختاروا صفة السهولة فى السهل والسمو فى السماء والتقلب فى القلب والعود والتكرار فى العادة والانس فى الانسان والمبيت فى البيت والعقل وهو الربط فى العقل لانه يعقل صاحبه عن الشر

---

(78) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص 4 .
(79) « اللغة الشاعرة » ــ ص : 61 .

والفضل وهو الزيادة فى الفضل المعنوى والارتفاع فى الشرف (80) .

ولو نظرنا الى هذه الالفاظ الاخرى : عامل ووال وجهاد وزكاة وهى الفاظ نشأت بعد الاسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا انها اخذت من العمل ، والولاية ، والجهد ، والزكاة بمعنى النماء او الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الالفاظ المستحدثة فى عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من المنظر والدبابة من دب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة . ولو قابلنا بين هذه الالفاظ وامثالها من اللغات الاخرى كالفرنسية والانجليزية لوجدنا اختلافا فى طريقة التسمية وفى اختيار الصفة التى بها تكون التسمية ، فانه يلاحظ اولا ان اللغات الاخرى قلما تحتفظ بالمعانى الاصلية للالفاظ الدالة على امثال المسميات ، اما العربية فهى فى اغلب الاحوال تحتفظ بالمعانى الاصلية للالفاظ التى تطلقها على مسميات جديدة كما هى الحال فى الالفاظ التى استشهدنا بها وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة فى الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لادنى تأمل ونظر . وقد تدق احيانا وتخفى احيانا اخرى ، فالفاظ العربية فى الجملة معللة (81) .

ان العرب يذهبون حين « النمذجة » او « التسمية » الى اخص صفات المسمى او النموذج وابرزها ، او الى عمله الاساسى ووظيفته اكثر من ذهابهم الى ظاهره وشكله الخارجي او تركيبه واجزائه . فبينما نرى الفرنسى مثلا قد اطلق لفظ Bicyclette اى ذات الدولابين على اداة الركوب المعروفة بهذا عندهم اطلق عليها العربى لفظ الدراجة ، فالفرنسى حللها الى اجزائها ونظرا الى تركيبها والى حالتها الساكنة ونظر العربى الى وظيفتها وعملها وحركتها فسماها دراجة ، وكذلك السيارة سماها الفرنسى Automobile اى المتحرك بنفسه وسماها العربى بلفظ يدل على عملها ، كذلك قل فى المكواة وهى فى الفرنسية Fer à repasser ى الحديدة التى يتكرر امرارها ، وفى المطار وهو فى الفرنسية Aérodrome ومعناها الحرف السباق الجوى وفى الانجليزية Airport اى الميناء الجوى ، وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية فى الدلالة على العمل او الصفة البارزة فلفظ Moteur اى المحرك .

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (82) هذا المعنى فى دلالة اسماء الامكنة ، فهى دلالة مضطردة على هذا المثال فى اكثر البقاع التى تسكن او يرحل منها واليها .

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والمأوى وكذلك المسافة بين مكان ومكان انما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء الى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة « المشاع » فى البادية الاولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصورا على بانيه ، خلافا للبيوت والخياه التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان معناه « التمسكن » خلافا للنقلة والمنتقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا ايضا فى الكلمات التى تدل على العشيرة او على الرابطة الاجتماعية بين الآحاد . فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبة الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدد » للخصم الذى يعدوك او يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى ، او نقراه فى المعانى المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من نص الاثر ، ونطلق الاثر على المخلفات وهى من بقايا المواطئ والاقدام .

ونعتقد ان النظر فى الفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لدراسة اللغة الاعلامية ، سواء منها ما يراد لتاكيد عوامل النجاح فى « الرسالة الاعلامية » للبلوغ والتاثير فى الجماهير ، او لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمى اليه من نمذجة وتبسيط او للتفريق بين لغة الاعلام ولغة الادب .

---

(80) محمد المبارك : « خصائص العربية » — ص : 51 — ايضا « فقه اللغة » — ص : 129 — 195.
(81) المرجع السابق .
(82) « اللغة الشاعرة » — ص : 61 .

فكل كلمة فى اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبلين ، كما يجب ان تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة او الاستماع ، امسا فنسون التورية وازدواج المعانى او الهالات الانفعالية حسول الالفاظ ، وغيرها من فنون الادب التى تؤدى المعانى وخاصة فى الشعر ، فهى بعيدة تماما عن لغة الاعلام لانها تقطع تيار الاتصال الذى يجب ان يظل مجسراه صافيا نميسرا .

واذا كانت اللغة العربية كما وصفهسا الاستساذ العقاد (83) « اللغة الشاعرة » ، لغة بنيت على نسق الشعر فى اصوله الفنية والموسيقية ، فهى فى جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات، لا تنفصل عن الشعر فى كلام تالفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء . فان اللغة العربية كذلك ، لغة اعلامية ، ونريد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامى بمفهومه الحديث تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها ، كما انها تتمشى مع قيم المجتمسع وعاداتسه وتقاليده فالالفساظ العربية تدل على تفكير العسرب ونظرتهم الى الاشياء ذلك ان فى تسميتهم لهسا باسم بعينه ، وفى اطلاق لفظ دون غيره عليه ، واختيار صفة من صفاته ، ما يدل على اتجاههم فى التفكير وتقييمهم للاشيساء .

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهسم فهموا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال. واستعمالهم لفظ « المرء المسراة » يسدل على تساوى الرجل والمراة فى الاصل عندهم ولفظ المروءة مشتق منهما معا ومعناه الصفات المستحسنة الماخوذة مسن اخلاق الانسان ذكرا كان ام انثى .

الفكسرة الزمنيسة فى اللغسة العربيسة :

من اهم المقاييس التى يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن فى افعالها . ثم فى سائسر الفساظهسا .

وهذا المقياس يصبح من اهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لان الصحفيين او رجال الاعلام يكتبون لكل الناس فى كل الاوقات ، وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت ، فكل كلمة او كل مجموعسة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامى يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين ، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمسن فى افعسال لغتهسا الام .

لان عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا فى تغطية الاخبار وتحريرها واخراجها من جهة ، كما تميسز الاعسلام بالدورية والايقاع من جهة اخرى ، فهو يسروى حدثا بعينه فى اطار زمن محدد ، فاللغة التى تدل على الزمن بعلامات مقررة فى الفعل انسب واصلح للاعلام مسن اللغة التى خلت من تلك العلامات . وبمقدار الدلالسة تكون هذه اللغة اعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسب ان لغة نفهمها — او نفهم عنها — كمسا يقول الاستاذ العقاد (84) قد اشتملت على وسائسل للتمييز بين الاوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية . سواء نظرنا الى ضرورات سكانها او نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتهسا .

فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شانها فى حياة سكان البادية بين السفر والاقسامسة والحل والترحال . فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هسو صالح للراحة القصيرة ، وما هسو صالسح للراحسة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار .

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحسى او الغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والاصيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيسع الاوسط والموهسن والسحر والفجر والشروق .. ويكاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات فى كثير من اللغات الاخرى بغير الجمل والتسراكيسب (85) .

وكل موسم من مواسم السنة له شانه فى المسرعى والانتاج وطلب الماء او التجارة او الامان ولهذا وجدت اسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها ثلاثسة اسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصطلح الفلكين : فهى السنة وهى العام وهى الحول.

---

(83) « اللغة الشاعرة » — ص : 8 .
(84) « اللغة الشاعرة » — ص : 71 وما بعدها .
(85) المرجسع السابق ص 72 — 73 .

ولكل منها موضعه فى التعبير ، بل لهذا وجدت للاوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر فى المــدة . فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن . وتنطوى فيها اللحظــة او اللمحــة للوقت القصير والبرهــة والروح للوقت الطويل . والفترة للمدة المعترضة بيــن وقتين . بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمــن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهــر للمدة المحيطة بجميع الازمنة والعهود والاحيان .

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات فى لغة من اللغات التى تفهمها على صورة ادق من هــذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها كما يقــول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضى » مهم عند ابنــاء البادية العربية فى كل عهود من عهوده . لانه مستودع المفاخر والانساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من المصادفة ان يسمى التاريخ باسم الايــام وان يعرف لكل يوم اثر فيما كان وما يكون .

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة فى العناية بأجزائــه وتقسيماته . لان كل لحظة منه ذات شأن فى الحركــة والاقامة . وفى المرعى والتجارة ، وفى الحرب والامان ».

وليس من الطبيعى ان يبلغ احساس قوم بالوقت هذا المبلغ ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الاحساس به فى مختلف مواضعه ومناسباته .

فاذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العــرب فى هــذا الصدد وجدناهم يربطــون ربطا وثيقا بين الصيغــة والزمن ، فيقسمون الازمان الى ثلاثة : الماضى والحال والمستقبل مكتفين بتلك الازمنــة الاساسيــة على ان بعض المتكلمين من العرب قد انكر وجود الزمن الحالى وراه مندرجا فى الماضى والمستقبل بعضه فى المــاضى والباقى فى المستقبل ، ولكن جمهور النحــاة يثبــون

فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال ، وقال ان كان قد وجد فيكــون ماضيا ، والا فهو مستقبل ، وليس ثم ثالث ، والحق ما ذكرنا ، وان لطف زمان الحــال » .

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم مــن اقــدر علمــاء الاجروميات والمباحث اللسانية — على حــد تعبيــر العقاد (87) — ففى كتاب اصول الاجرومية الانجليزية لمؤلفة الدكتور توجبرسن « يقول هذا الباحث المحقق » ان لنا — على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماض ومستقبل . وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التى لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل ».

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة فى التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل فى لغة العرب — كما يقول العقاد — فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما يأتى وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب فصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال ، وصيغة المضارع مسبوقة بالسين تدل على المستقبل القريب ، ومسبوقة « وسوف » تدل على المستقبل البعيد .

ومن اشهر اقوال النحاة العرب ما جاء فى فقه اللغة للثعالبى وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قــد يستعمل الماضى مكان المضارع ، مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلون » اى سيأتــى وقولــه « واتبعوا ما تتلو الشياطين » اى تلته ومثله وكــان الله غفورا رحيما اى ولا يزال ، الخ - ويقرر علماء البلاغة ان التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى انما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه ويمثلون لذلك بقوله تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض » اى يصعق ومن اسرار الفكرة الزمنية فى اللغة العربية الاستطالات المختلفة للفعل « اتى » فنجد فى القــرآن الكريم : « اتى امر الله فلا تستعجلون » .

— قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد

— فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى .

— انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحــر حيث اتــى .

— الا من اتى الله بقلب سليم .

— كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسل الا قالوا ســاحــر .

---

(87) اللغة الشاعرة ص 76 .
(86) ابن يعيش ص 4 الجزء السابع .

— هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا :

وفى هذه الاستعمالات القرآنية للفعل « اتى » نجد اساليب مختلفة ففى الآية الاولى زمن الاتيان هو المستقبل ، وفى الثانية هو ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، ايضا ، وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه الحقائق الثابتة ، وفى الخامسة للمستقبل ، وفى السادسة لما قبل الماضى ، وفى السابعة للماضى المؤكد .

ويحق لنا ان نقول مع العقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بلكثر من معنى واحد : لغة الزمن لانها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لانها قادرة على مسايرة الزمن فى عصرنا هذا وفيما يلى من عصور .

اللغة العربية لغة معرفية :

تقدم اننا فى لغة الاعلام ، لا بد ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين الاسلوب « المعرفى » اى الذى يؤدى الى معلومات والاسلوب « اللامعرفى » الذى يؤدى الى خرافات واوهام ، لتنقية اللغة الاعلامية من الاستعمال التخديرى للغة فى الدعاية والسياسة .

فعند ما يقول شخص لآخر « صباح الخير » فانه لا يعنى التفسير الاشارى للعبارة وانما يريد ان يحدث تأثيرا عاطفيا ، او اقامة صلة طيبة بصديقه .

وعند ما اشار تشرشل الى الالمان بلفظ الهون Huns كان يريد اثارة الكراهية ضدهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل الجرمانية . وعندما يسب شخصا آخر ناعتا اياه بأنه حيوان او كلب ، فانه لا يريد المعنى الاشارى او الاخبارى بقدر ما يريد اثارة الغضب والتحقير والازدراء (88) .

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشئ فاننا كما يقول الدكتور ابراهيم امام — نلاحظ فى مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين الرمز والشئ ، او بين اللفظ ومدلوله ، فالراية الحمراء رمز الخطر ولكنها ليست الخطر نفسه . وكلمة اسد ليست هى الاسد نفسه ، وانما هى رمز له . وقد يبدو ان هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ، ولكننا نجد البدائين بل والكثير من المحدثين ايضا يخلطون بين الرمز والشئ .

فمن المعتقدات الشائعة فى مصر ان الرقى والتمائم لها قوة السحر ، وان الرموز تؤثر تأثيرا خيرا او شريرا على الناس ولكى يمنع الحسد ، ويصنع بعض الناس صورة او تمثالا للحسود ، ثم توخز بالابر ، وتلعن بالالفاظ ، واخيرا تضرم فيها النار .

وفى جنوب ايطاليا — لا يلفظ اسم الشخص الحسود اتقاء لخطره اذ يعتقد الايطاليون ان مجرد نطق الاسم خطر داهم ، لذلك يشيرون اليه بعبارة « الذى لا يسمى » وكلمة الموت لا تلفظ صراحة فى معظم اللغات وانما يستعاض عنها بالفاظ وعبارات مختلفة ، دفعا لشر هذا الرمز .

والرأى هو — كما يذهب الدكتور امام (89) — الى ان الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففى البداية كانت اللغة تتأثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فأصبحت عملية وجدانية واخيرا بدأت مرحلة التعبير العقلى . فالمجتمع البدائى يؤمن بقوة السحر الكامنة فى الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بالاشياء وكان المصريون القدماء يعتقدون باله هو الكلمة ولا تزال هذه العقيدة سائدة فى معظم الاديان ولكن بصورة تتناسب مع التوحيد ثم تطورت اللغة فى مدارج التعبير العاطفى الوجدانى ، فاستغلها الكهنة للتأثير فى الناس بالعبارات الغامضة والكلمات ذات الجرس الموسيقى ، والتى تشبه المخدر .

ولا شك ان الاستعمال التخديرى للغة فى السياسة والدعاية لا يزال منتشرا فالخطب المسموعة ، والالفاظ الرنانة ، والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الانفعالية تؤثر جميعا فى عواطف الناس وخاصة فى المستويات الحضارية المختلفة . وهذا الاستعمال التخديرى للغة هو الذى تشجعه الدعاية ، اما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلى الفكرى والمناقشة الواضحة الناضجة .

---

(88) عبد الله امام العلاقات العامة والمجتمع — ص : 229 .
(89) المرجع السابق — ص : 23 .

وقد كثر حديث اللغويين عن هذين النوعين ، فنرى فى كتـــاب Alecking فصولا خمسة لما سماه : النثر العلمى المعرفى والنثر العاطفى ، وتحدث الفصول عن خصائص كل النوعين فى الالفاظ والعبارات والموضوع، وما يثيره كل من النوعين فى الاذهان والعقول ، ومـــا يهدف اليه النثر المعرفى من محاولة التعبير عن الافكار بقدر مساو من العبارات ، رغبة فى ابراز الحقائـــق المجردة دون مبالغة فيها ودون التأثـــر فى الاذهـــان بالصور الخيالية والمجازات اما فى النثر العاطفى فيؤكد المؤلف ان الامر يكاد يقتصر على مدلولات الالفاظ ، بل يتعدى هذا الى ما يلى المدلولات من ظلال المعانى، ولما تثيره فى الذهن من صور واخيلة يتأثر بها السامع او القارئ ، وتستنتج منها الاذهان من المعانى فنون ما تحتمله تلك الالفاظ او العبارات ولذلك يمكن الربط بين النثـــر العاطفى والشعر ، او يمكن ان يعد نوعا من الشعر غير منظوم .

ومع هذا يرى صاحب هذا الكتاب ان ليس من اليسير ان نضع حدا فاصلا بين النوعين : المعرفى والعاطفى ، فلا يكاد يخلو المعرفى من كل عاطفة خلو تاما ، كمـــا نرى فى العاطفى احيانا عبارات لا تهدف الا الى التعبير عن الحقائق المردة . ويومئ المؤلف الى ترتيب الكلمات فى جمل كل من نوعين قد يختلف ، فلا نرى نظـــاما واحدا فى هندسة الجمل .

ولكن « فندريس » يذهب فى كتابه « اللغة » الى الفصل بين النوعين حتى كاد يجعل كلا منهمـــا لغـــة مستقلة فيتخذ من اسلوب التخاطب بين الناس ميدانا لتلك اللغة الانفعالية ، ومن الاسلوب الكتابى ميدانا للغـــة المنطقيـــة .

ولعل اوضح ما فى علاجه لهذين النوعين شرحـــه لاختلاف ترتيب الكلمات فى كل منهمـــا ، اذ يقـــول : « ينحصر الفرق الاساسى بين اللغة الانفعالية واللغـــة المنطقية فى تكوين الجملة . وهذا الفرق ينبثق جليا عند ما نقارن اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة فاللغة المكتوبة واللغة المتكلمة تبتعدان فى الفرنسية احداهما عـــن الاخرى الى حد انه لا يتكلـــم اطـــلاقا كمـــا يكتب ، الى جانب الاختلاف فى المفردات ، وذلك لان الترتيب الذى تتماسك فيه الكلمات فى الجملة المكتوبة ، ينفصم دائما فى الجملة المتكلمة ان قليلا او كثيرا .

وهذه الخاصة المعرفية فى اللغة العربية ظاهـــرة من تركيب حروفها على حدة الى تركيب مفرداتها على حدة ، الى تركيب قواعدها وعباراتها فى بنية الشكل الصحفى وفنون الاعلام المختلفة .

فاللغة العربية فى طبيعة تركيبها لا تحتاج الى الجمل الخبريـــة « الاعـــلاميـــة » فيهـــا الى افعـــال الثبـــات او مـــا يسمـــى فى اللغـــات الغـــربيـــة « فعـــل الكينـــونـــة » فنحـــن نقـــول فى العربيـــة على سبيل الاخبار « فلان شجاع » دون حاجة مثلهم الى ان نقول : فلان هو شجاع ، ونقول : « كل انسان فان » دون حاجة الى ان نقول : « كل انسان يكـــون فانيا » او « كل انسان يوجد فانيا » ، او كل انسان كائن فان . كما هو شأنهم فى تركيب كلامهم واذا قلنا مثلا ان « الامة العربية واحدة » ثبت هذا المعنى فى اذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شئ من الخـــارج ، لا فعل الكينونة ولا اى رمز آخر من اللغة او اى امر من امور الحس . والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة ماثلة دائما فى نفس العربى ، يلتفت اليها حين يواجه المعنى ، فاذا اراد ان يبرزها او ان يؤكد مثلها بلفظ كقوله : « انه هو الحق » (90) .

ومعنى هذا ان الاسناد فى اللغة العربية يكفى فيه انشاء علاقة معرفية بين « موضوع » « ومحمول » او مسند اليه ومسند ، دون حاجة الى التصريح بهذه العلاقات نطقا او كتابة ، فى حين ان هـــذا الاسنـــاد الذهنى لا يكفى فى اللغات « الهندو ــ أوربية » الا بوجود لفظ صريح مسموع او مقروء ، يشير الى هذه العلاقة فى كل مرة ، وهو فعل « الكينونة فى اصطلاحهم»

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالفاظ فذلك مـــن اجل المعانى ، اى لكى يؤدى الرمز وظيفة معرفيـــة تحفز السامع او القارئ للعمل . وخير الادلة على ذلك لغة القرآن الكريم ، والتى وصلت الى اقصى آيـــات الاعجاز لفظا ومعنى ، فكان لها ذلك التأثير العظيم فى استنهاض الهمم ، لتحقيق المثل الانسانى الاعلى .

وتأسيسا على هذا الفهم لروح اللغة العربيـــة ، قال ابن جنى فى « الخصائص » فى باب الرد على مـــن ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ .

(90) مقال الدكتور عثمان امين ــ مجلة العربى العدد 118 ــ 1969 م الكويت

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها ، وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا عزوبها ، فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هى بالالفاظ ، بل هى عندنا خدمة للمعانى وتنويه وتشريف ثم قال : « فكأن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرفها عناية بالمعانى التى وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها.. وقد قال رسول الله (ص) ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . فاذا كان رسول الله يعتقد هذا فى الفاظ هؤلاء لقوم التى جعلت مصائد واشتراكا للقلوب ، وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعانى ، والمخدوم اشرف من الخادم . والاخبار فى التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يوتى عليها ..

واذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغات الاوربية، من حيث ان الجملة فى الاخيرة اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا يتقدم الفعل فيها الا شذوذا فى حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على انتظار ، فان القول فى الذهن العربى ، هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ، ومن هذا يتساوى « القول » و « ان نقول » فى الادراك الصحيح (91) .

على ان الجملة الاسمية موجودة فى اللغة العربية، وليست مع وجودها قليلة الاستعمال فى موضعها فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذى يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقوم للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح لموقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السامع . وتلك اخص الخصائص فى لغة الاعلام .

فاننا نقول « محمد حضر » اذا كنا ننتظر خبرا عن محمد او عن حضوره على الخصوص ، ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبرا من الاخبار على اطلاقه ولا يلزم ان يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره محمد ، او لعله خبر سفر وليس بخبر حضور او غير منتظر (92) .

وخاصة اخرى تجعل اللغة العربية اثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهى خاصة « الايجاز المعرق » وفى هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات الحاصلة على كثير من المعانى ، مثل الحركات التى تعين الفاعل عن المفعول ، والمجرور اغنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالافعال الى الذوات من غير الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا فى لغة العرب . واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم فى مخاطبتهم اطول مما نقدره بكلام العرب .

وتلك اخص الخصائص فى لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة فى لغات الغرب الى ان الاسلوب الاعلامى يعنى : « اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف (93) » .

ومن ذلك ، اختلاف صيغة المبنى للمجهول بين اللغات الاوربية ، واللغة العربية ، لان العربية تدل على المبنى للمجهول بصيغة خاصة فى اوزان الفعل الثلاثى والفعل الرباعى او الخماسى او الفعل المزيد على الجملة ولكن اللغات الاخرى تدل على المبنى للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (94) .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول : فتح الباب، « بصيغة المجهول » ولكن العبارة الاوربية التى تدل على ذلك تقابل قولنا (ان الباب يكون مفتوحا ، او ان الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لانه اقرب الى الوصف منه الى الاخبار او الاعلام ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (ان الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم ، وهى صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته

---

(91) العقاد : اشتات مجتمعات ـــ ص : 57 .
(92) المرجع السابق ـــ ص : 60 . Bond, F. Fraser: "An introduction to journalism" (N.Y.) 1961.
(93) العقاد : اشتات مجتمعات ـــ ص : 62 .
(94) العقاد : اشتات مجتمعات ـــ ص : 63 ، 64 .

الدقيقة كل من صيغة المبنى للمعلوم وصيغة المبنى للمجهول .

ويظهر الفارق فى الدلالة على المعانى المختلفة عند استخدام الفعل فى الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فاذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه ان يعرف من الذى فتح الباب .

واذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها — ايضا الى سامع يهمه ان يعلم شيئا عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه يعرفه ولا يريد ان يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهى حالة انسان منتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذى فتحه كما لا يعنيه ان يقول له المتكلم انه يجهله او يسكت عنه .

فى هذه الحالة يقول العربى : « انفتح الباب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التى ينتظر فيها السامعون خبرا عن فاعل الفتح ، معلوما كان او مجهولا او مسكوتا عنه مجهولا او مسكوتا عنه مع علم السامع به تعمدا لاخفائه او لاهماله .

واللغة الدقيقة التى استوفت وجوه الدلالة — هى كما يقول الاستاذ العقاد (95) — اللغة التى نلاحظ مقتضى الحال فى كل عبارة من العبارات الثلاثة ، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذى لا لبس فيه .

وهذه هى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعانى المقصودة فى الاتصال الاعلامى على حسب ارادة المرسل والمستقبل ، او على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين .

وهذه الصفة فى اللغة العربية تميزها بما يمكن ان نسميه « الدينامية » او الحركية ، التى تجعلها أصلح اللغات لطبيعة الاعلام ، وتمنحها طواعية فى ايراد حادث وقع حالا يبعث على اهتمام القراء به .

كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يريدون ان يلمسوا به من سرد صحيح موقوت لاحداث وكشوف وآراء وامور من اى نوع تؤثر فى القراء او تثير اهتمامهم .

فاللغة العربية بذلك تضم فى ثناياها اخص خصائص لغة الاعلام ، وهى العلاقات المتغيرة بين الانسان والانسان وبين المرء وبيئته ، اجتماعية او اقتصادية او سياسية او مادية او غير ذلك من العلاقات .

وعلى ذلك فان فى اللغة العربية طواعية تمكنها من الاجابة على الاسئلة التى تجول فى خاطر رجل الاعلام دائما وهى : « ماذا حدث » و « ماذا يجرى الآن » ؟ « والا من جديد ؟ » « اثمة ما يثير » « اهناك ما يؤذن بجديد ؟ » .

ومرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية الاصيلة فى اللغة العربية ، والتى تبين من تكييفها وفقا للتوالب الاعلامية المختلفة ، بحيث استخدمت فى الصحافة الحديثة ، وفى الوسائل الاعلامية المستحدثة ، ولم تقع فى اخطاء لغوية كالتى تقع فيها اللغات الاوربية ، حينما تتحرر من بعض القيود اللغوية ، ولا سيما عند صوغ العنوانات المختصرة .

ذلك ان الخصائص التى تتميز بها لغة العرب استوفت وجوه الدلالة على ما نعلم ، فى ملاحظة مقتضى الحال ، وقد رأينا من ذلك مثلا خاصتها فى المبنى للمجهول ، ووجدنا العربية تثبت للفاعل درجاته وانواعه بدقة نبعت من منطق اللغة الذى يفهم بالقياس كما يفهم بالسماع والتوقيف .

ولذلك فاننا عند ما نقول فى معطيات هذا الفصل : ان اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى نعنى ذلك جميعا ، على نقيض ما يذهب اليه البعض فى اللغات الاوربية (96) من ان لغة الإعلام لغة الفن الصحفى بالذات مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الاصلية الفصيحة .

والاعتراضات التى تثار حول اختيار عبارات العنوانات فى الصحيفة هى اعتراضات اقرب الى الجوهر منها الى القالب ، فاللغة فى العنوانات لا يقصد بها الا عرض الخبر عرضا موجزا ، اما الخبر نفسه فينبغى الا يكتب بهذا الاسلوب الموجز.

على ان اللغة العربية بمرونة خصائصها ، تمكنت من تجاوز هذه الاعتراضات لانها لغة تتميز بالايجاز

---

(95) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .
(96) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 15 .

والوضوح والنفاذ المباشر والتاكيد والاصالة والجلاء والاختصار والصحة .

وذلك ما عنيناه من قولنا : ان اللغة العربية ، لغة معرفية .

اللغة العربية وظيفية هادفة :

ويبين مما سبق ان اللغة العربية تمتعت بخصائص اعلامية ، تجعلنا نلاحظ انها تتفق مع غايات الاعلام الحديثة من حيث انه اداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته ، لانه يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعاني والافكار اليهم .

وذلك ما نريد ان نذهب اليه من قولنا : ان اللغة العربية ، وظيفية هادفة ، لانها كما راينا لغة معرفية تهدف الى الاعلام والتفسير والتوجيه والتنشئة الاجتماعية .

فان من خصائص هذه اللغة العربية فى تعبيراتها ان الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعرية المجازية ودلالتها العلمية الواقعية فى وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين .

فكلمة الفضولة تدل بغير لبس على معنى الصفة الشريفة فى الانسان ، ولكن مادة فضل بمعنى الزيادة على اطلاقها لا تفقد دلالتها الواقعية على المواد المحسوسة ، بل يصح عند جميع المتكلمين والمستمعين ان يفهموا « فضول » القول على انه وصف غير حميد ، لان الزيادة فى غير جدوى تخالف الزيادة المطلوبة اذا كان المقام مقام القول فى صفات الكلام .

ولا يصعب الجمع بين التعبير الواقع والتعبير المجازى الشعرى فى مئات من الكلمات تجرى على الالسنة كل يوم وتؤدى الى السامعين معانيها النظرية الفكرية ومعانيها الحسية فى وقت واحد بغير لبس بين المقصود فى كل مقام . فاللغة العربية اذن تستطيع ان يكون لها تعبيرها الذى يناشد حاسة الجمال لدى القراء ، وتتضمن ايضا اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة ، والوظيفة الهادفة ، وسليقة اللغة العربية الاعلامية تكاد تجعل منها فنا تطبيقيا قائما بذاته ، لتصبح تعبيرا اجتماعيا شاملا فى الاتصال الجماهيرى، لانها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى ، الخ .

هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة . فاللغة العربية تمتاز بدقة تعبيرها والقدرة على تمييز الانواع المتباينة والافراد المتفاوتة والاحوا لالمختلفة سواء فى ذلك الامور الحسية والمعنوية .

ومن امثلة ذلك ان : المشى عام ودرج للصبى الصغير ، وحبا للرضيع ، وحجل الغلام ان يرفع رجلا ويمشى على اخرى ، وخطر الشاب باهتزاز ونشاط ، وولف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربة ، وهدج مشى مثقلا ، ورسف للمقيد ، واختال وتجتر وتخلج واهطع وهرول وتهادى وتأود انواع من المشى (97) .

والنظر عام ، ورمقه نظر اليه بمجامع عينيه ، ولحظة نظر اليه من جانب اذنه ، ولمحه نظر اليه بعجلة ، وحدجه ونظر اليه شزرا اى نظر العداوة ، واستشف الثوب رفعه لينظر الى صفاقته ، واستكفه واستشرفه نظر اليه واضعا يده على حاجبه من الشمس ، وحدق جمع عينيه لشدة النظر وتصفح نظر فى كتاب او حساب ليكشف صحيحه من سقيمه .

والطيران عام ، والدف والاسفاف والرفرفة والتحليق والتدويم والرفيف انواع مختلفة له .

فالدقة فى العربية ، دليل على بلوغ اصحابها درجة عالية فى دقة التفكير ولكنها خاصة اعلامية حين نقول انهم يتصفون بمزية الوضوح وتحديد المقصود تحديدا يقتضيه المنطق العلمى ولا يمكن ان تكون اللغة البعيدة عن الدقة المتصفة بالعموم او الابهام او الغموض اداة للتعبير الاعلامى الدقيق ، ولا بد من التقابل فى الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوى والدقة فى التعبير اداة لا بد منها لرجل الاعلام ، صحفيا كان ام اذاعيا ، لتصوير دقائق المعلومات وابرازها فى جوانبها الخاصة المتميزة ، وصفاتها القائمة على الوظيفية الهادفة .

ونحن اليوم احوج ما نكون الى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا واحياء الفروق بين الالفاظ لتكون لدينا لغة

---

(97) « فقه اللغة » للثعالبى — ط : 1 — ص : 151 — 82 ، 157 .

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم الفنى الهائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد اصيبت فى عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لانفتقاد وظيفها الهادفة فى هذه العصور ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فغدت مترادفة وكثر استعمال « الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن معانيها الاصلية فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة واصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة او موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك الموضوع فاذا كان الموضوع وصف حديقة او تعزية صديق او التعبير من فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا كانت تلك الحديقة وفى اى بلد وايا كانت مناسبة التعزية او الفرح (98) . وفى ذلك قتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامة من ابراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابى هلال العسكرى وابواب الفروق من كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار العربية » للثعالبى .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية الاعلامية فى لغتهم ، فيضعون الالفاظ فى مواضعها ويحرصون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بها لا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة او اداة او طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها بأسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصيص بين انواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطة والجوافة والشلقة لضروب من السمك ، والجعفرية لضرب من السفن، والسرجة والمصباح والقنديل ما يستصبح به ، والصمام ما تسد به القوارير ، والكباح للعلمل الذى ينظف المثاعب والمجارى ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائغ للطريق الضيقة بين المنازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتاب العربية فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون الاربعة الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادى (557 هـ — 629 هـ) فقد كان دقيقا فى ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها « الافادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث فى الانسان الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف البامية : « وهى ثمر بقدر ابهام اليد ، كأنه جراء (100) القثاء ، شديد الخضرة ، الا ان عليه زيبرامشوكا ، وهو مخمس الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفى تلك الابيات حب مصطف ، مستدير ابيض اصغر من اللوبيا ، هش ، يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة (101) » .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق فى كلماته وصف البغدادى فى رحلته هذه سائر ما شاهده فى مصر من النبات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وانما كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها الدقيقة فى دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التى استخدمها كتاب العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى — بان يكون اول صحفى ممتاز او انه عاش فى القرن الذى نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم امام : (102) . « يمكن النظر الي ادب الجاحظ فى مجموعه على انه ادب تتوفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه غزير الانتاج الى درجة تلفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالافكار فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

---

(98) محمد المبارك : خصائص العربية ص 62 .
(99) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب النجلاء للجاحظ — ص : 38 .
(100) جراء جمع جرو الصغار من كل شئ .
(101) عبد اللطيف البغدادى فى مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — ص 20 .
(102) دراسات فى الفن الصحفى — ص : 33 .

وتقاليد اجتماعية . لقد كان الجاحظ موسوعى المعرفة دقيق الملاحظة ، سلس الاسلوب ، قوى العارضة ، ساخرا متهكما ، ولكن دون مرارة .

واهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا يجسم افكاره ، تجسيما مشوقا اخاذا ويكفى ان نشير الى رسالة التربيع والتدوير التى وصف فيها احمد بن عبد الوهاب لكى نبين عبقرية الجاحظ فى فن الكاريكاتور القلمى . وفضلا عن ذلك ، فانك تلمح فى كتابات الجاحظ حبا للحياة ، وولعا بالناس ، وتقديرا للانسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الافكار المجردة ولكنه اديب اقرب الى الصحفى ، يكتب عن المجتمع باسلوب رشيق سلس اخاذ » .

وبمقارنة الجاحظ بمعاصريه ، نستطيع ان ندرك خصائص اسلوبه القريب من الصحافة ، فابن المقفع ، مثلا اديب وادبه خلاصة مطالعاته وتجاربه وتجارب اسلافه من البيئة الفارسية القديمة . وهو يسلك فى كتابة ادبه طرقا فنية خالصة ، وهى تعبير مجازى ممتاز ، كان يتدث على السنة الطير والحيوان ، ويعتمد على الصور البيانية الرائعة ، ولكنه مستوى ادبى جمالى يرتبط بالرمز الفنى ، ولا يتصل بالواقع العلمى الا اتصالا يسيرا .

التمنجة والدقة فى اللغة العربية :

تقدم اننا نعنى بالنمنجة فى لغة العرب انها لغة دالة والنمذجة والتبسيط من اهم سمات لغة الاعلام التى تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كما لو كانت وحدات مستقلة وهى نمذجة مقصودة لاسباب خارجية اهمها التبسيط للجماهير التى تحتاج الى الفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والافكار العامة التى نشأت فى الحياة الانسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى الالفاظ العامة ، والانماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير عن هذه المعانى العامة فى الميدان المادى والمعنوى منذ عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما فى حياتها وتطورها ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فياتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه وتصلح المادة الواحدة اساسا كاملا من المعانى المتفرعة عليها (103) .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية او يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه والمتكلم هو صاحب الشان فى اختيار الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من اصلها ارتجالا او محاكاة لصوت او تلفيقا للاجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمرة او للهيئة او للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة اللازمة ، والصفة المرتهنة بالحدث والزمان (104) .

فالمتكلم المميز هنا هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات ، قبل ان تعرض لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات او انشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تاتى للمتكلم بشئ جديد يحتاج الى لفظ جديد ، ولذلك لم تضع الرابطة الاشتقاقية بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها

---

(103) العقاد : « اشتات مجتمعات » — ص : 100 — 101 .
(104) نفس المرجع — ص : 102 .

وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها ، فكلمة « طائرة » و « سيارة » و « هاتف » و « اشتراكية » ولدت فى هذا العصر ، ومع ذلك فان الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين « طائر » و « مسير » و « هاتف الجن » و « شرك » مع ان بين ميلاد تلك الالفاظ وقريباتها هذه مدة تزيد على خمسة عشر قرنا ، ولا نزاع فى ان منهج اللغة العربية فى الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعانى والنماذج لا يسهل اداؤها فى اللغات الاخرى ، فى نطق التركيز الاعلامى الذى هو شيمة الاسلوب العربى الاصيل .

فالالفاظ المنتسبة الى اصل واحد تشترك فى قدر من المعنى وهو معنى المادة الاصيلة العام كالطيران فى طائرة والسير فى سيارة وتسير والاشتراك فى الشرك والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول ان العنصر الثابت من اللغة ، والمكون من جزء مادى هو الحروف الثابتة فى مادة الكلمة وجزء معنوى هو معناها العام، هو اداة النمذجة ووسيلة الاتصال بين جماهير الامة العربية :

واذا كانت النمذجة فى لغة الاعلام لا تقتصر على الشخصيات بل تتجاوزها الى الافكار والمذاهب والعقائد . بحيث اصبحت هناك افكار ثابتة عن الشيوعية او الراسمالية ، ويتلقى الجماهير ثقافتها ومعلوماتها من خلال هذه النماذج ، فقد كانت العربية من اوائل اللغات استخداما للنمذجة عن طريق استخدام العام مثلا فى بعض ما يدل عليه ، لسبب اجتماعى ما ، يزيل تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . ولدينا فى اللغة العربية آلاف من امثلة هذا النوع .

فمن ذلك جميع المفردات التى كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى معان خاصة تتعلق بالعقائد او الشعائر او النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود... الخ . فالصلاة مثلا معناها فى الاصل الدعاء — كما جاء فى القرآن الكريم : « وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » — ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى اصبحت لا تنصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى. والحج معناه فى الاصل قصد الشئ والاتجاه اليه ، ثم شاع استعماله فى قصد البيت الحرام ، حتى اصبح مدلوله الحقيقى مقصورا على هذه الشعيرة ، الخ ..

وتقوم النماذج فى اللغة العربية كذلك على اساس كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى لسبب اجتماعى ما يؤدى غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . فمن ذلك مثلا فى اللغة العربية كلمات المجد والافن والوغى والغفران والعقيقة ، الخ . فالمجد معناه فى الاصل امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الاصلى واصبح حقيقة فى هذا المعنى المجازى ، ولهذا السبب نفسه انتقل معنى « الافن » من قلة لبن الناقة الى نقص العقل ، وانتقل معنى « الوغى » من اختلاط الاصوات فى الحرب الى الحرب نفسها ، الخ .

ان هذه الخاصة فى اللغة العربية من نمذجة للمعانى بهدف التبسيط فى شكلها المتسع المتنوع الموجود فى العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية . كمعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية ، وهى ليست انماطا ثابتة لا تتغير ، ولكنها ترتبط بالتطور الفكرى والاجتماعى وحاجته الى نماذج او انماط جديدة ، وقد حدث شئ من هذا فى تاريخ العربية ، فقد استعمل فى العصر العباسى ما سموه بالمصدر الصناعى كالانسانية والحيوانية . وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية وغيرها .

ان اوزان العربية وابنيتها هى احدى مقوماتها وخصائصها المميزة ، وهى كما تقدم تقوم بوظيفة اعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التى تستعمل للغرضين كثيرة فى اللغة العربية وليست بهذه الكثرة فى اللغات الاوربية .

العربية لغة الاعلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات ان اللغة العربية تتضمن فى ابنيتها وتراكيبها والفاظها خصائص اعلامية: فهى لغة معرفية ، تقوم على الوظيفة الهادفة وتتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة والسلاسة والتبسيط ، فهى لغة عملية تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز ، لانها لغة قوم يتلازم عندهم القول والتفكير والعمل فى حياتهم : فقول العربى تفكيره ،

وتفكيره بدء لعمله . ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلى زهير احد شطرى الانسان اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف فؤاده » .

تلك بعض السمات فى اللغة العربية ، هى اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريف ان هذه اللغة الحية هى نفس اللغة التى اقتربت من الادب عند الجاحظ ، بأسلوبها السهل الممتع القوى المعبر ، المتدفق فى حيوية وايقاع.

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية ــ وهى وعاء العقل العربى ــ تتميز بخصائص اعلامية نشأت فيها من روح الامة العربية وتجاربها المتراكمة المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وتدل كذلك على الذهن العربى المتمتع بالنقاء والصفاء ، والتفتح والانطلاق ، وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت فى مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجد فى اقوال العرب : اللفظ المعبر ، المسؤول عن وظيفته فى الجملة والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها ووظيفتها فى تأدية الفكرة ، وايضاح المعلومات .

الفصل الخامس
الاعلام واللغة المشتركة

تقدم ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى الاتصال الاعلامى والجماهيرى ، والتى نتمكن بها من ادراك معنى الحياة ، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هى اللغة المشتركة والتى تمثلها لغة الاعلام .

فاللغة المشتركة تمثل فى كل الاحوال روح الشعب، على حين ان الادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة قد يكون عاكسا للتأثيرات الخارجية والاجنبية.

واللغة العربية — كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى — هى صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهى قومية الفكر ، تتحد بها الامة فى صور التفكير ، واساليب اخذ المعنى من المادة . والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى اهلها ، وعمقا هو عمق الروح ، ودليل الحس على ميل الامة الى التفكير والبحث فى الاسباب والعلل .

والمتامل فى طبيعة اللغة العربية ومزاياها فى الفن والتعبير ، يكتشف صفات اساسية فى هذه اللغة ، تميزت بها خلال مراحل تاريخها الطويل .

فاللغة العربية تضمنت مزايا وصفات اعلامية فى حروفها ومفرداتها وتراكيبها ، لانها كانت لغة مشتركة منذ كان للعرب قبل الاسلام اسواق مشهورة تقام فى اشهر مختلفة من العام ، لا للبيع والشراء فحسب ، بل ايضا لتحقيق نوع من الاتصال الجماهيرى عن طريق المساجلات والمناظرات بين كبار الشعراء ، وفصحاء الخطباء ، اولئك الذين كرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة والسمو بآدابها .

وهؤلاء هم الذين تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بسورة من مثله . اى ان تلك الاسواق كانت بمثابة مؤتمرات اتصالية ، فيها ينشد الشعراء ما تجود به قرائحهم وفيها يبرز الخطباء داعين الى مذهب سياسى او دينى بين القبائل المختلفة .

وكانت هذه اللغة الادبية — كما يقول الدكتور ابراهيم انيس (105) — بمثابة لغة مشتركة بين العرب جميعا ، يتخذونها اداة التعبير عن آدابهم ، ويعتزون بها كل الاعتزاز . ولهذا نزل القرآن الكريم بها ، فلم تكن لغة قريش وحدها ولغة مكة وحدها ، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعا . غير ان نزول القرآن بها قد زادها ازدهارا فوق ازدهار ، وثبت اركانها ودعائمها .

ولهذه اللغة المشتركة صفتان :

اولاهما : انها خاضعة لقواعد معينة تباعد ما بينها وبين التطور الا ببطء شديد وفى زمن طويل ، وهى لهذا اسمى من لهجات الحديث اليومى المعتاد المتداول فى المنازل والطرقات والاسواق ، ولذلك يصطنعها من يريد اجادة القول واتقان الاداء ، كما يصطنعها رجال الاعلام والاتصال بالجماهير على اوسع نطاق .

وثانيهما : انها — كما عبر هنرى سويت — اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى المتكلم بها (106) .

ويتضح من ذلك ان اللغة المشتركة — مع انها نشأت فى البدء على لهجة منطقة معينة — قد فقدت مع الزمن عناصرها الاولى ، او نسى المتكلمون بها ينابيعها التى نبعت منها ، فصارت ذات كيان مستقل وشخصية متميزة ، فلا يذكر المتكلم بها او الذى يسمعها منطقة معينة ترجع اليها او طبقة تمت اليها ، بل يشعر انها ملك مشاع للجميع ، كأنهم صانعوها بغير فضل يمتاز به بعضهم على بعض .

وفى ذلك ما يؤكد اعتزاز المتكلمين بها ، واتخاذهم لها وسيلة للتعبير الاعلامى والاتصال الجماهيرى .

وهناك عوامل مهدت للغة العربية المشتركة : منها الدين ، فالقرشيون يقيمون بواد غير ذى زرع وهم مفتقرون الى ان تهوى الى البيت الحرام افئدة الناس. وقد استجاب الله دعاء سيدنا ابراهيم ، فجعل الكعبة

وكانت القبائل التى تفد على مكة للحج ذات لهجات، منها الجيد ، ومنها الردئ . وكانت قريش تسمع الوافدين ، وتستصفى من لهجاتهم ما يروقها ، وكان

(105) « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 276 .
(106) ابراهيم انيس : « مستقبل اللغة العربية المشتركة » — ص : 5 .

الوافدون ينتقلون عن قريش ، ويبثــون فى الجزيــرة مــا نقلــوا (107) .

ومنها التجارة ، فقد كان القرشيون يرتحلون فى كل عــام رحلتيــن :

رحلة فى الشتاء الى اليمن ، ورحلة فى الصيف الى الشام ، واحيــانا يضربــون فى الارض ، ويمشون فى مناكبها الى فارس والى الحبشة ، وهم قوم صناعتهم الكلام ، سرعان ما يضيفون الى لغتهم ما يغذيها ، ويزودونها بما ينميها ويرقيها .

وظاهرتها المكانة الاجتماعية التى استمدتها قريش من نفوذها الدينى والاقتصادى ، حتى قال ابو بكــر فى رده على الانصار يوم السقيفة مؤيدا حق المهاجرين فى الخلافة : « وهم اولياؤه وعشيرته ، واحق الناس بهذا الامر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك الا ظالم »، وقال فى خطبته الثانية : « لا تدين العرب الا لهــذا الحــى مــن قــريش » (108) .

وكان لذلك جميعا اثره فى نشاة لغة مشتركة ، قامت اصولها على لهجة قريش وسكان مكة ، وان لم تخل من لهجات اخرى لكثير من القبائل ، ثم جعلت هذه اللغة المتطورة تزداد على مر الزمن نمــاء وصقلا ، وجعلت تنتشر فى اصقاع شبه الجزيرة ، حتى صارت لغة الادب التى يصطنعها الشعراء ولغــة الاتصال بالجماهير التى يصطنعها الخطباء مهما تختلف قبائلهم وتتعــدد لهجــاتهم .

فلما اشرق الاسلام كانت هذه اللغة المشتركة قد بلغت درجة الرقى والوحدة اعدتها لان ينزل بها القرآن الكريم ، فتمت به الوحدة اللغوية بين العرب .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يتصل بالوفود العربية من جهات شتى ، ويراسل الامراء فى الجزيرة وما حولها ، ويعقد المعاهدات مع كثير منهم ، ويتلــو القرآن الكريم على قبائل من اصقاع متباعدة ، ويبعث مندوبيه الى شتى النواحى لتعليم القرآن الكريم ونشر الدين وجباية الزكــاة ، والقضاء بين الناس ، وفى كل هذا كانت اللغة العربية المشتركة هى وسيلة التعبير.

وحينما تمت الفتوح الاسلامية فى الامصار وما وراء الامصار ، انتصرت العربية على اللغــات الاجنبيــة المفروضة على شعوب المنطقة ، سواء فى المشرق او فى المغرب ، ويكاد المؤرخون الغربيون انفسهم يجمعون على ان هذه اللغات صفيت من المنطقة فى القرن الاول للاســلام .

« ان خمسة قرون مــن الاحتــلال الرومانــى ــ لاقطار العرب ــ لم تستطع ان تترك ما يصمد امــام العقيدة الاسلامية واللغة العربية » (109) .

وفى مصر حيث استغرقت عهود السيطرة الاجنبيــة اكثر من الف ومائة عام قبل الفتح العربى لم تجــد الجهود التى بذلها الغزاة على ذلك المدى الطويل لفرض ثقافاتهم عليها ، ولم تصمد اليونانية التى كانت استأثرت بالمجال الثقافى والرسمى ثلاثة قــرون قبــل الميــلاد (30-333 ق م) وثلاثة اخرى بعده (284-616) امام اللغة العربيــة (110) .

ولم يبد ان العربية واجهت فى اى قطر من المنطقة اى مقاومة من هذه اللغات الاجنبية ، وانمــا كــانت المواجهة مع اللغات الوطنية للشعوب التى دخلت فى الاســلام (111) .

ولا نغالى حين نقرر ان اقبال الناس فى بعض الامصار على اللغة كان اسرع من اقبالهم على الدين . وهكذا اصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغــة عالمية ، تنتظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال افريقيا ، كما سادت فى بلاد الاندلس عدة قــرون ، وحرص العلماء والدارسون منذ القرن الثانى الهجرى على تعقيد قواعدها وتثبيت دعائمها فى الامصار فلم يكد ينتهى هذا القرن حتى كان لها آثار جليلة فى شتــى الدراسات الدينية واللغوية (112) .

وظلت اللغة العربية فى نهضتها الادبية حتى بعــد استقلال الدويلات الاسلامية عن الدولة العباسية والتى

(107) د . احمد محمد الحوفى : وحدة اللغة والوطن فى الشعر الحديث ــ ص : 8 .
(108) المرجــع السابــق ــ ص : 9 .
(109) ابراهيم حركات : « المغرب عبر التاريخ » ــ ص : 75 ــ ط : السلمى بالدار البيضاء .
(110) هارولدبلى : « الهلينية » فى مصر ــ ص : 55 ــ ترجمة د . زكى على (959) .
(111) د . عائشة عبد الرحمن : « لغتنــا والحيــاة » ــ ص : 61 .
(112) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القوميات العالمية » ــ ص : 276 .

ظلت تدين بالولاء للخليفة العباسى فى بغداد ، تأكيدا للصلة الروحية . فلما كان القرن الرابع الهجرى شهدنا شعراء وكتابا للآداب العربية لا يقلون قدرا عن الذين كانوا فى القرن الاول او الثانى من الهجـرة ان لـم يتفوقوا عليهم .

واللغة العربية ماضية فى حركتها تتسع وتنمو وتتلقى جديد الروافد فى مرونة سخية ، وحراسها ساهــرون عليهـا لحمـايــة اصالتهــا .

واخذت الحياة اللغوية مجراها فى جانبين (113) :
الفصحى العالية المشتركة ، لسان العربيــة دينا ودولة وثقافة وعلما وادبا .

ولهجاتها الاقليمية على السنة الشعوب المستعربة.

اما الفصحى ، فكانت اللغة العليا المشتركة لشعوب تباعدت اصولها واختلفت اقاليمها وتفاوتت امزجتهـا ومواريثها الفكرى والثقافى والحضارى وتميزت مدارس معروفة فى النحو والبلاغة فى الكوفة والبصرة وبغداد ومصر . واضطلع المغرب بدور جليل فى الدراســات الاسلامية لموقعه الهام على تخوم دول مسيحية .

واتسعت العربية لهذه الآفاق المترامية ، فكــانت لغة العلم والثقافة والادب لشعوب الدول الكبرى .

وقد استطاعت العربية بمرونة فائقة ، ان تتحاشى ازمة موقفها بين القديم الاصيل والمحدث الطارئ ، بتطويع دلالات الالفاظ والتوسع فى المجــاز ، لكــى تؤدى المعانى الجديدة التى لم يكن للعرب عهد بها من قبل . وكانت تجربتها التى اثرتها بالمصطلحات والالفاظ الاسلامية من عصر المبعث الى عصر الفتوح ، قــد نجحت تماما فى هذا التطويع للغة الجاهلين الوثنيين ، دون ان تجد مشقة او عسرا لتكويــن لغــة الامــة الاسلاميــة (114) .

واما اللهجات الاقليمية فقد اخذت حريتها فى الحركة والتوسع ، فتختلف عن كثير من قيود الاعراب مستغنية عنها بنسق التركيب ودلالة السياق . وطوعت الصيغ لمواجهة عوامل صوتية جبرية فرضتها طبيعة الاجهزة الصوتية لشعوب تفاوتت مسالكها اللغوية وميزاتهـا فى الاداء مع اتصالها فى الوقت نفسه بالفصحى العليا فى لغة القرآن الكريم ومن ثم اتيح للعربية هذا الانتشار الواسع وطاعت بها السنة الشعوب المتعربة مستغنية عــن الدرس والتلقين .

سمــات اعلاميــة فى اللغــة العربيــة :

واتسمت العربية منذ تلك النهضة العظيمة بسمات اللغة الاعلامية ، فهى :

اولا : لغة مفهومة لدى العامــة ، حيث لم تحــل اللهجات الشعبية دون فهــم نصوص الفصحــى ، فالجماهير التى تصلى الجمعة فى المساجد الاسلامية على المساحة الكبرى كانت تفهم خطب الائمة والوعاظ دون شرح ، وقادة الجيوش فى المعارك الاسلامية ضد الغزو الصليبى والتتار ، كانوا يخطبون فى جنودهم باللغة الفصحى ، وشعراء الحروب الصليبية ومعارك التتار وخطباؤها الهجوا وجدان الجماهير بقصائدهم وخطبهم بالفصحى ، ودعاة المذاهب والفرق ، يتصلون مباشرة بالعامة ، ويؤثرون فيهم بالكلمة ، وما كانوا يتكلمون الا باللغة العربية المبسطة .

ثانيا : لغة ديمقراطية ، لا تخاطب الكبير بخطــاب والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير المفــرد وضمير الجمع ، فيقول الله سبحانه وتعالى : « انــا ربكم الاعلى » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: « انما انا بشر مثلكم » ، ويقول له الناس : « ما انت لا بشر مثلنا » ، الى غير ذلك من اساليب أصيلة فى العربية سوت بين الناس فى الخطاب والغيبة والتكلم.

ثالثا : لغة عالمية ، حيث اصطنعتها شعوب متعددة، منذ استقرت الدولة العربية فى اواخر القرن الثــانى واوائل الثالث من الهجرة . فأخذت بالطابع العربــى دينا ولغة وثقافة وحضارة وقد صهرت كل تلك الشعوب التى كانت فى آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا فى البوتقة العربية وتألف منها فى نهاية الامر شعب عربى واحد ، يدين بدين واحد ويصطنع لغة واحدة ، هذا الى ان العربية دخلت ايضا مناطق نائية من الديــن الاسلامى ، واصبحت هناك لغة الثقافة الدينية ، كما

---

(113) عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » ـ ص : 71 .
(114) السيوطى : « المزهر فى علوم اللغة » ـ ص : 294 وما بعدها .

هو الشأن فى بعض جهات الهند ، وفى باكستان وافغانستان والملايو واندونيسيا ، وغيرها من دول الشرق التى انتشر فيها الاسلام وانتشرت بانتشاره اللغة العربية ودخلت العربية كذلك جهات من افريقيا اعتنقت الاسلام واصبحت الآن تعرف بالدول الاسلامية فى وسط افريقيا وشرقيها وغربيها .

وقد اتجهت هذه الدول الاسلامية صوب العربية تستمد منها الثقافة الدينية والحضارة العربية ، مثل موريتانيا ونيجيريا والصومال . وهكذا نرى ان العربية قد ذاعت فى مناطق متباعدة الاطراف ، وان اصبحت من بين اوسع اللغات انتشارا فى العالم . ويعدها المحدثون من اللغويين ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة منناطقها (115) .

رابعا : رحبت العربية فى اوج نهضتها بكثير من الالفاظ التى اقترضتها من اللغات الاخرى ، واستغلتها فى المصطلحات العلمية ولغة الكلام . وبقدر ما توسعت فى الاشتقاق والمجاز ضيقت باب الاخذ من الدخيل ، صونا للسانها ، فاستغنت الى اقصى المدى ، بتطويع الالفاظ الفصحى لكى تؤدى المعانى الجديدة على وجه التجوز ، ولم تلجأ الى استعارة الدخيل الا عند الضرورة القصوى ، مع اخضاعه للصيغة العربية اما بالالحاق او بتغيير نقطه استعازا بانه قد صار ملكا لها .

وقد استطاع علماء اللغة من عصر التدوين ان يتخلصوا قواعد لمعرفة المعرب (116) ، تشهد بان الأمر لم يترك لفوضى عشوائية ، بل خضع لقواعد كانت العربية تجرى عليها فيما تأخذه من اللغات الاخرى .

خامسا : لغة مشتركة ، وتلك ظاهرة عميقة الاثر فى حياة الانسانية . فلغة اى مجتمع صغر او كبر ، هى ترجمان عواطفه ومشاعره وافكاره واخباره واهدافه ، وسجل تاريخه وتراثه وادبه ، والحبل الذى يصل حاضره بماضيه ، وطريفه بتالده . والاشتراك فيها هو الاساس الاول للتعاطف والتعاون والشعور بالمواطنة والقومية (117) .

وهذا الركن فى ذاته مصدر من مصادر اعتزازنا بان لغتنا لغة اعلامية ، فلغتنا من اغنى اللغات الكبرى تراثا ، واطولها عمرا ، وابقاها على الزمن اتصالا ، وقد وسعت ما وصل اليها من معارف الاقدمين فى الماضى ، هى الآن تثبت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الانسانى الحديث ، بل انها تشارك بانتاجها فى تنمية الثروة الادبية والعقلية للعالم المعاصر .

والعرب الذين يتكلمون بلغة مشتركة لا يقلون عن 95 % من سكان الوطن العربى ، والباقون يتكلمون بلغة غير عربية ، او بلغة عربية مختلطة بغيرها كالاكراد والشركش والارمن والبربر ، وهذا العدد القليل بالنسبة الى الكثرة العظمى ليس من شأنه ان يخدش الوحدة اللغوية بين العرب .

على ان اللغات غير العربية التى تتكلم هذه الاقلية الضئيلة ستتوارى شيئا فشيئا ، وتحل اللغة العربية محلها فى زمن ربما لا يزيد على نصف قرن ، بل ان بعضها فى سبيله الى التوارى ، لان الطلبة من الاكراد (118) والشركش (119) والارمن (120) والترك (121) فى الشام والعراق يتكلمون العربية وحينما يعم التعليم تتضاءل لغات الاقلية ، ثم تنقرض، ولا شك ان اسلام الاكراد والشركس والترك يشد ازر العربية ، ويسرع بها الى التغلب ، فتتم الوحدة اللغوية .

وتنطبق هذه الحالة على بعض سكان السودان وبعض سكان المغرب ، لان بالسودان عددا يتكلم بالزنجية الخالصة ، او بالزنجية المزيجة بالعربية ،

---

(115) ابراهيم انيس : « اللغة القومية والعالمية » — ص : 280 .
(116) السيوطى : « المزهر » — ص : 268 وما بعدها — (باب معرفة المعرب) .
(117) ساطع الحصرى : « محاضرات فى نشوء الفكرة القومية » — المحاضرة الاولى .
(118) الاكراد فى شمال العراق والشام عددهم نحو ستمائة الف فى اكثر من ثمانية ملايين الى سكان الدولتين لا تزيد على 7 % .
(119) الشركس فى سورية والاردن لا يتجاوز عددهم ستين الفا ونسبتهم الى السكان هى 1،3 % .
(120) هاجر الارمن الى الشام من تركيا بعد الحرب العالمية ويشكلون 4 % من السكان .
(121) الترك فى العراق وسورية وهم اقل عددا من الشركس .

ولان بالمغرب عناصر تتكلم بالبربرية الصرف ، او بالبربرية المختلطة بالعربية (122) .

واليوم يتقارب العرب تقاربا حثيثا ، وتبرز معالم القومية من نطاق الامل الى نطاق العمل ، ويجتهد العرب فى العمل على توحيد الثقافة المشتركة وتقاربها ، وتتصل البلاد العربية اتصالا دائما موصولا متواليا بالدراسة واجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وغيرها .

فلا غرابة فى ان تجد الكتب والصحافة المصرية ترحيبا واقبالا فى الاقطار العربية كلها ، وان تجد مؤلفات العراق وسوريا ولبنان وغيرها عناية بها فى مصر ، ولا غرابة فى ان يتلهف العرب فى كل مكان لسماع الاذاعة العربية من اى قطر من اقطار العروبة.

الاعلام واللغة المشتركة :

هذه العوامل والخصائص تعاونت على ان تجعل من اللغة العربية ، لغة مشتركة متصلة بالحياة ، قابلة للتطور والتجدد ، وهذه اللغة المشتركة لغة اعلامية قامت على اذاعة الحقائق والوقائع ، حتى اذا نزل بها القرآن الكريم ، اعلن انه « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم » .

من ذلك لا يستطيع ان يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على انها دعاية . ولكن يستطيع ان تفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على انها اعلام بالكمل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذى كان يلقيه الشعراء بين يدى صاحب الرسالة — كشعر حسان بن ثابت — لم يكن من قبيل الدعاية للاسلام ولا لنبى الاسلام ، لان الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شئ من ذلك ، بل ان القرآن نفسه ذم الشعراء .

قال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون »، هذا ما علمنا بأن النبى كان يستمع الى الشعراء ،وكان يثيب بعضهم كذلك (123) .

وقد مثل ذلك فى الشرائع والعبادات التى سنها الاسلام كالصلاة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصلاة يوم الجمعة او فى الاعياد للدعاية او الاعلام . ولا كان اجتماع المسلمين فى مكة للحج كل عام للدعاية والاعلان . انما كانت هذه الشعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للمظاهر او الفخر او الزهو وغير ذلك من معانى الجاهلية .

واذا كان الاعلام الحديث ، قد تطورت وسائله منذ اختراع المطبعة التى لولاها لما ظهرت الصحافة ، اولى وسائل الاعلام الحديث ، ولما استطاعت الصحيفة ان تصل الى آلاف القراء فى وقت معين ، وعلى نمط معين ، فان الناس فى كل زمان ومكان يحتاجون الى تناقل الاخبار ، والى تفسيرها والتعقيب عليها ، وهم بحاجة ايضا الى المادة التى يقراونها ولكى يتسلوا بها ، ويزجوا اوقات الفراغ . وهل ننكر لكل بيئة متحضرة من بيئات العالم القديم ما يسمى « بالراى العام » ؟ وهل ننكر ان الادباء فى تلك البيئات المتحضرة هم الذين كانوا يتولون التعبير عن هذا الراى العام بلغته المشتركة ؟ هكذا كان الحال عند الامم القديمة كمصر واليونان والرومان . وهكذا كان الحال فى العصور الوسطى الاسلامية كعصر الخلافة العباسية بوجه خاص . وهل نستطيع ان نتصور ان عصرا كهذا الاخير تعرض لكثير من الوان الصراع السياسى ، والصراع المذهبى ، والصراع العقلى ، والصراع الادبى قد خلا من الادباء الذين تاثروا بهذا الصراع او ذاك ، او كانوا سببا من اسباب حدوثه آنذاك ؟

وفى الادب العربى بنوع خاص وجدنا ان اقتناع الراى العام كان يسلك فى البيئات العباسية وغيرها من البيئات الاسلامية المتحضرة طريقة واحدة هى طريقة (الرسائل الحرة) يكتبها ادباء وعلماء لهم فى تاريخ الادب العربى شهرة واسعة . وكانوا بشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حينا ومصدر امن لها حينا آخر . وهذه الرسائل التى كتبها اولئك الكتاب فى موضوعات السياسة والدين والادب والاجتماع هى — مع التجوز القليل — صحافة كاملة بالنسبة للعصور التى ظهرت فيها (124) .

(122) محمد عزة دروزة : « الوحدة العربية » — ص : 56 .
(123) عبد اللطيف حمزة : « الاعلام والدعاية » — ص : 170 .
(124) عبد اللطيف حمزة : « ادب المقالة الصحيفية » — مصر — ج : 1 — ص : 6 — 7 .

ذلك كله فى العصور الاولى للادب العربى . اما فى العصر الحديث وهو العصر الذى قال فيه شوقى :

لكـــل زمـــان مضـــى آيـــة
وآيـــة هـــذا الزمـــان الصحف

فقد ظهرت الصحافة ، والصحافة فى ذاتهـا اداة شعبية ديمقراطية اكثر منها اداة رسمية ديوانية . واذا كان لديوان الانشاء اكبر الفضل فى تقدم الكتابة العربية فى العصور التى اشير اليها ، فقد اصبح للصحافة اكبر الفضل فى تقدم النشر الصحفى واللغة الاعلامية فى العصر الذى نعيش فيه .

ذلك ان اللغة العربية لغة ديمقراطية كما تقدم ، فأصبح النثر الصحفى ديمقراطيا يجد نفسه واقفا على خدمة الشعب . ومن ثم اصبحت الصحافة فى عصرنا جادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات آراؤنا وافكارنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وكتاباً نقرأ فيه اخبارنا ، ونعرف به آثارنا .

واذا كان عالم اليوم يشهد اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله ، وايمانا صادقا برسالته واهدافه ، وعملا حادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات يستند اليها وقواعد تحكمه ، فان هذا الاهتمام امتداد للانتصارات التى حققها الانسان فى سبيل التغلب على ما يفصل بينه وبين اخيه الانسان من حواجز وسدود وقد شهد القرن الحاضر نهضة كبيرة الاثر فى اللغـة العربية ، تمثلت فى نمو ثروتها بما جد عليهـا مـن عشرات الوف المصطلحات العلمية والحضارية ، وفى اتساع آفاقها فى التعبير نتيجة لما حققته الحياة العربية الحديثة من تقدم فى مختلف نواحيها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفى تجدد اساليبها وتخلصها مما علق بها فى عصور ما قبل النهضة من السطحيـة والزخارف اللفظية المسرفة ، وفى تطويـر قواعدهـا واشتقاقاتها وتطويرها لمطالب الفكـر الحديث ، وفى العناية بدراسة ظواهرها على المناهج العلمية التـى جاءت مع تطور الدراسات الصوتية واللغوية ، وفى التقارب الملحوظ بينها وبين لهجاتها المحليـة نتيجـة انتشار التعليم ووسائل الاعلام التى اصبحت عناصر اساسية فى حياة الامة العربية .

وعلى ان اهم المتاعب التى واجهت نهضة اللغـة العربية ، ولا تزال تواجهها ، هى المشكلة التى نجمت عن وجود لهجات محلية تزاحم الفصحى ، وتحد من سرعة نموها وانتشارها ، وتستأثر دونها بالتعبير عن ميادين الحياة اليومية للناس وتحرمها بذلك الافادة من الخصب والتجدد والحيوية التـى يتميـز بهـا لسان التخاطب فى المجتمع .

واللهجات — كما هو معروف — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للعرب فى جاهليتهم لغات ، عملت فيها عوامل التقريب قبل الاسلام حتى انشأت منها تلك اللغة الفصيحة المشتركة ، والتى جاء الاسلام وكتابه العربى المبين فأعطياها شخصيتها السوية الخالدة ، ووجودها العالمى الواسع وان كانت قد بقيت من لغات الجاهلية آثار نصادفها هنا وهناك فى بعض نصوص الادب القديم وكتب التراث ، كما نلمسهـا فى بعض العـادات اللغويـة للمتكلمـين باللسان العربـى الى اليـوم (125) .

ومن المعروف ان البيئات الاسلامية ذات الطـابـع العربى الغالب قد عاشت منذ تلك القرون بنظـامين لغويين : نظام للثقافة والعلم والادب قوامـه العربية الفصيحة ، ونظام للتخاطب قوامه تلك اللهجات الدارجة التى تجردت من الخاصة الرئيسية للفصحى وهـى الاعراب ، وعدت عليها عوادى الاختصار فى اشكالها والتحريف فى كثير من صيغها ، وتسربت اليهـا من مختلف الجهات عناصر دخيلة وعامية . وظلت الحال على هذا المنوال طوال العصور : جماهير تنشأ على العامية فى حياتها ، وتمتلك ناحيتها بطريقة طبيعيـة لا تحتاج بعد الطفولة الى تدريب او تعليم ومثقفون يشاركون الجماهير عاميتهم فى لسان التخاطب ولكنهم فى المجال الثقافى يحصلون الفصحى تحصيلا ، ويحفظون قواعدها حفظا ، ويمرون بمراحل طويلة من التدريب ويعـالجون مـا تـزل به السنتهم واقـلامهم مـن اخطاء فى اعراب الالفاظ ، او ضبطهـا او دلالاتهـا ، وتختلف حظوظهم من القـدرة على استعمالهـا تبعا لعوامل النشأة والاستعداد الشخصى والمجال الثقافى الذى يتحركـون فيـه .

ومهما يكن من بقايا المصرية القديمة فى عربية اهل

(125) خلف الله : « بحوث ودراسات فى العربية وآدابها » — ص : 268 وما بعدها .

مصر (126) ، او بقايا البربرية فى لهجة المغاربة ، فان هذه البقايا لا تنفى انتماء اللهجتين الى العربية ، الا عند ما يتطورون امكان فهم الشعب المصرى او المغربى ، للغات اسلافه قبل الفتح والعرب .

ذلك ان اللهجات العامية لم تحل دون فهم عامة الجماهير لفصحى العربية ، لا فى كتابهم الدينى فحسب، ولكن كذلك فيما يسمعون من قصائد وخطب واناشيد. لان عامياتنا لا تعدو ان تكون لهجات عربية ، تتفاوت وتختلف ، وتظل ابدا متصلة بالفصحى العليا فى القرآن الكريم الذى حفظ سليقتها اللغوية ، وفى الخطب المنبرية والسياسية وبالمحافل الدينية والاعياد الاسلامية ، وفيما يشدو به ائمة الطرق من اناشيد صوفية ، وفى حماسيات الخطباء او الشعراء قادت حشود كتائبنا فى المعارك التى عرفها تاريخنا الطويل (127) .

وكان يمكن ان تستمر الحال فى العصر الحديث على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحى واللهجات العامية لولا ان الموقف تغير ، وان عوامل اجتماعية وثقافية وقومية جرت عليه ، ومن اهمها تطور وسائل الاعلام التى اسهمت فى التنبيه الى ما خلفه عصر الركود فى الفصحى وآدابها من رواسب الضعف والسطحية والزخرفة المسرفة والبعد عن واقع الحياة، واتجهت بلغة العرب الى التزام الوضوح واليسر فى استخدام الفاظها ، والتقريب بينها وبين مدارك الناس ومألوف تعبيرهم ، والعمل على تنمية قاموسها ، وربطها بحياة العصر الحديث وحضارته .

ومن الانصاف ان نقرر ان الاعلام لم يكن وحده فى هذا التطوير وانما كانت هناك علاقات تاثير وتاثر بينه وبين مجمع اللغة العربية والمجامع العلمية وجهود الافراد والهيئات ومعاهد العلم قطعت اشواطا بعيدة فى اغناء القاموس العلمى والحضارى للغة العرب وفى توسيع طرق تنميتها ، وتيسر قواعدها وكتابتها ، وتصنيف المعاجم الحديثة لها .

ومن الحق ان نذكر ان اصوات الدعاة الى احلال العامية محل الفصحى قد خفتت ، وان تقاربا ملحوظا بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية قد حدث ، وذلك من تأثير ازدياد الجمهور القارئ وتطور وسائل الاعلام ، وتنوع فرص اللقاء والاحتكاك والعمل القومى المشترك بين المثقفين والجماهير (128) .

ومن خلال هذا التقارب الذى حدث فى الوطن العربى بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية تولد لغة الاعلام لغة الصحافة والمكاتبات والتدوين والتسجيل ، لغة الاتصال بالجماهير ، تولد على ايدى الرواد الذين واجهوا صدفة التعامل مع الحضارة الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى رائد المدرسة الصحفية الاولى فى مصر، والتى كان رجالها مقيدين بقيود الماضى القريب ، حين كان النثر العربى يميل الى السجع وغيره من الوان البديع التى فتن بها ادباء العربية منذ القرن الرابع الهجرى ، وحين كان هذا النثر محبوسا فى اروقة الازهر لا يكاد يتجاوزه الى الحياة فى خارجه . ومن ثم ورث الصحفيون الاولون فى القرن الماضى لونا باهتا من الوان النثر العربى لم يكن خليقا بأن يحتذى ، ولا كان جديرا بأن ينسج على منواله . ومع ذلك مضى رجال المدرسة الاولى يكتبون صحفهم بطريقة لا تبعد كثيرا عن هذه الطريقة القديمة ، ولا تكاد تتحرر منها الا فى اوقات قليلة ، ثم جاء الوقت الذى سئموا فيه السجع ، وزهدوا فيه البديع ، وكان ذلك ايذانا بمجئ المدرسة الصحفية الثانية ، وهى المدرسة التى نعمت بقسط من الحرية فى الاسلوب لا شك فى انه كان كبيرا بالقياس الى القسط الذى نعمت به المدرسة التى سبقتها ، وكان من اشهر رجال هذه المدرسة : اديب اسحاق ، ومحمد عبده ، وعبد الله نديم ، والمويلحى الكبير ، وبشارة تقلا صاحب الاهرام ومن اليهم .

وعلى هذا فالفرق بين المدرستين السابقتين ان الاولى كانت تكتب بالاسلوب القديم الموروث ، وتحاول انشاء المقال الصحفى ، وتعثر كثيرا فى هذه المحاولة ، وكان اسباب ذلك عنصران واضحان هما :

عنصر الوراثة ، وعنصر آخر هو تصور هذه المدرسة

(126) راجع كتاب الدكتور صبحى : « قواعد اللغة المصرية » وكتاب محمد رضا الشبيبى : « الفاظ مغربية » و « رحلة الى المغرب » .
(127) عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » ــ ص : 99 .
(128) خلف الله : « بحوث ودراسات » ــ ص : 271.

تصورا تاما عن فهم الفرق بين لغـة الكتب ولغـة الصحف ثانيـة (129) .

واما المدرسة الثانية ، فانها اخذت تتحرر — نوعا ما — من قيود الاساليب الموروثة ، واصبحت قادرة على انشاء المقال الصحفى بلغة — هى مـع ذلك — اصلح لكتابة الادب او الكتب منها لكتابة الصحف . اى ان المدرستين تشتركان فى صفة ، وتفترقان فى اخرى تشتركان فى انهما لم تصلا بعد الى تفرقة واضحة بين لغة المقال الادبى ، ولغة المقال الصحفى . وتفترقان فى ان الاولى قصيرة فى اسلوبها بقيود الماضى البعيد او القريب ، عاجزة فى الوقت نفسه عن التعبير الحر الطليق هابطة المستوى فى مجموعها من حيث الاسلوب فى حين ان الثانية حاولت بالفعل ان تتحرر من هـذه القيود ، وتكتسب من الميزان الادبى ما جعلها تحسن استخدام هذه الزينة او القيود حين تريد استخدامها على سبيل اظهار المقدرة الفنية — كما كان الشأن مع اديب اسحاق من رجال المدرسة الثانية بنوع خاص .

والحق ان من يطلع على كتابات اديب اسحـاق لتروعه تلك الاساليب العالية التى كتب بها فى الصحف المصرية او اللبنانيـة .

« ومصدر الجمال فى اسلوب اديب اسحاق اشياء كثيرة منها : سرعة الانفعال عند هذا الشاب ، ممـا جعل اسلوبه ادنى الى طبيعة الشعر منها الى طبيعة النثر . ومنها تلوين الكلام عنده بالمحسنات اللفظيـة والمعنوية ، مع قدرة ظاهرة على هذا التلوين فى غير تكلف ممقوت ولا صناعة مرذولة ، ثم منهـا الثقافـة زودته بمعان كثيرة ، وجعلت الفرق بينه وبين رجل كمحمد عبده كبيرا . وباختصار نرى ان اسلوب اديب اسحاق يلذ الاديب اكثر مما يلذ الصحفى (130) .

وبقيت المدرسة الصحفية الثانية تكتب صحافتهـا بهذه الطريقة الادبية العالية حتى جاء الاستاذ الامام محمد عبده فأخذ يقترب شيئا فشيئا من لغة الصحف. ثم جاء عبد الله نديم واقترب كثيرا منها ، وساعده على ذلك ميله الطبيعى اليها واهتمامه بالاسلوب الخطابى الذى برع فيه براعـة منقطعـة النظير والاسلـوب الخطابى ادنى بطبيعته الى الاسلوب الصحفى منه الى الاسلوب الادبى (131) .

والى ذلك الوقت كانت الصحف دورية ، بمعنى انها تصدر مرة فى كل اسبوع او اسبوعين او شهـر او شهرين ، غير انه منذ ظهور (المؤيد) او قبل ذلك بوقت قليل جـدا اصبحت الصحف يوميـة . وغدت الصحيفة تنتظر كل يوم غذاء جديدا فى وقت معين ، وعلى نمط معين ، وكان لهذه الحالة الجديدة اثر بالغ فى تطور اللغـة التى تستخـدم فى كتابـة الصحف ، فاصبحت لغة المدرسة الصحيفة الثالثة لا مجال فيها للاناقة الفنية التى توخاها الرعيل الثانى من رجـال الصحف .

ولا مجال فيها للزخرف الفنى الذى امتازت بـه اساليب تلك الطبقة الثانية من طبقات الصحافة ، وهكذا شرع الاسلوب الصحفى يبتعد قليلا قليلا عن مجـال التعبيرات الادبية ويقترب شيئا فشيئا مـن مجـال التعبيـرات الصحفيـة .

ولم يكد ينتهى القرن التاسع عشر حتـى اصبـح للصحافة فى مصر لغة خاصة بها ، وكان ذلك على يـد الطبقة الثالثة او المدرسة الاخيرة من مدارس الصحافة المصرية فى القرن الماضى واوائل القرن الحالى ، وهى المدرسة التـى بدات بالسيـد على يـوسف صاحب المـؤيـد (132) .

وقد احاطت بهذه المدرسة ظروف سياسية خطيرة لا شك ان من اهمها ظرف « الاحتلال البريطـانى » الذى خلق فى نفوس المصريين اليأس مرة ، وغـرس فى نفوسـهم روح المقاومة الفنية مائة مرة . وكان من اثر هذا ان نشطت العقول والاقلام فى مصر ، واحتاج الامر الى ظهور طبقة جديدة من الكتاب اصبح لهـا اسلوب جديد يصح ان يطلق عليه اسم « الاسلوب السياسى وكان يمثل هذه الطبقة الاخيرة فيما عدا السيد على يوسف صاحب المؤيد ، ومصطفى كامل صاحب اللواء ، واحمد لطفى السيد محـرر الجريـدة وامين الرافعى صاحب الاخبار ، وعبد القادر حمزة صاحب

(129) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 118 .
(130) حمزة : « ادب المقالة الصحفية » — مصر ج : 2 — ص : 25 .
(131) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 120.
(132) المرجـع السابق — ض : 121 .

البلاغ ، ومحمد حسين هيكل محرر السياستين اليومية والاسبوعية .

وكما كانت هذه المدرسة الصحفية الثالثة جديدة فى الاسلوب السياسى ، فكذلك كانت جديدة فى التفكير السياسى .

وهذه المدرسة الحديثة ، هى التى ارست اسس اللغة الاعلامية المعاصرة من ترسل وبساطة ووضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح .

ومعنى هذا ان حركة الفصل بين الاسلوبين الادبى والصحفى انما بدأت بصاحب المؤيد . ثم كان لكل واحد من اولئك الصحفيين الذين اشرنا اليهم شخصيته التى يستقل بها عن تلاميذ هذه المدرسة . وقد كان هذا الاستقلال فى ذاته خطوة من خطوات الانتقال من الاساليب ذات الطابع الادبى الى الاساليب ذات الطابع الصحفى . او بعبارة اخرى كان كل واحد من هؤلاء يقطع بقلمه مرحلة جديدة فى طريق الفصل النهائى بين الاساليب الادبية والاساليب الصحفية . ولذا كان لكل منهم اسلوب معين يمتاز به عن سواه من كتاب المدرسة التى ينتمى اليها .

— فعلى يوسف عرف بالاسلوب الحماسى (133) .

— ومصطفى كامل عرف بالاسلوب الحماسى (134)

— واحمد لطفى السيد عرف بالاسلوب الثقافى (135)

— وامين الرافعى عرف بالاسلوب الدفاعى (136).

— وعباس العقاد عرف بالاسلوب النزالى (137).

— ومحمد حسين هيكل عرف بالاسلوب الموضوعى (138) .

وفى رأينا ان الدكتور هيكل قد اكد اللمسات النهائية للغة الاعلام العربى المعاصر ، فهو فى « ثورة الادب » (139) ينص على وجوب اتقان اللغة لامكان اختيار اللفظ الذى يصلح للتعبير عن القصد تعبيرا دقيقا وموسيقيا معا . كذلك كان هيكل يرى ان دراسة اللغة لا تتصل بالادب لذاته الا من حيث هى كساء الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً تطور صفة الازياء باقدار الناس فى الحياة : وصلة الازياء بالاقدار تتلاشى رويدا بما تنزع طبقات الجماعة كلها نحوه من البساطة فى اللباس ببساطة يمتاز فيها الذوق على قيمة الثياب ، حتى لنرى اكثرها اخذا للنظر اشدها غنية من الحياة ودقائقها . كذلك تطورت لغة الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً عن المعانى والصور التى يعبر عنها معوانا على زيادة ما فى هذه الصور والمعانى من حياة وموسيقى . هذه اللغة الشفافة المضيئة السيالة التى لا تحجب عملا جمالا مما اراد الاديب اثناء تدفقه واندفاعه ، فى تفكيره او تصويره او تفسانيه وشدوه ، هى التى تعتبر للادب كساء وتتصل بالادب فى كسائها اياه ، حتى لتصبح جزءا من رحيق الحياة الذى يعبر عنه الادب . وهى كلما لطفت وازدادت بساطة ، وشفت بذلك عن كل ما اراد الاديب ان يحملها اياه وكانت فى ذلك النغمات الصادرة عن نفس الاديب الصائغة العبارة عنه ، كانت الصق بالادب فى العصر الذى صدر هذا الادب عنه (140) .

ومعنى هذا ان اللغة فى نظر هيكل وسيلة حية تخضع للتطور ، ولهذا سنجد هيكل يذهب فى تجديد اللغة مدى بعيدا ، ومن ذلك ما يذكره فى مقال بعنوان : « اللغة والاسلوب » (141) .

عن اناتول فرانس حين سئل فى رأيه عن لغة كبار الكتاب والشعراء امثال شكسبير وموليير ، فقال : انها لا تخلو من الخطأ حتى فيما يتعلق بقواعد النحو

---

(133) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .
(134) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .
(135) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 5 .
(136) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 6 .
(137) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 7 .
(138) شرف : « عباس العقاد صحفيا » .
(139) شرف : « الفن الصحفى عند الدكتور هيكل ».
(140) ص : 37 — 38 ايضا المرجع السابق — ص : 43 .
(141) شرف : « الفن الصحفى عند الدكتور محمد حسين هيكل » — ص : 431 .

والصرف . وضرب على ذلك بعض الامثال ثم اضاف : وخطأ هؤلاء النوابغ هو بعض حسن الخطأ الذى يصيب اللغات لان ذلك الخطأ كثيرا ما ينشأ عنه تطور صالح فى قاعدة من القواعد ما كان ليقع لو ظل الكتاب المتحذلقون فى قواعد النحو والصرف هم وحدهم المسيطرين على اللغة ، بل ان هؤلاء ليغلون اقدامهم باغلال الجديد فيحولون بينها وبين مجاراة الحياة فى نموها وتطورها ، ويوافق هيكل هذا الراى الذى قال به اناتول فرانس « تمام الموافقة ـ كما يقول ـ بل انى لارى فى بعض الاحايين خطأ لغويا سواء فى اداء اللفظ او فى صرف اللفظ ونحو العبارة ، لكنى استطيب هذا الخطأ فأود لو تتاح له الحياة وتيسر عليه القاعدة خطأ مشهور خير من صواب مهجور . ثم تسبغ الايام على هذا الخطأ من القداسة فيصبح وهو القاعدة التى قال بها سيبويه » .

ويلاحظ فى هذه الآراء حول اللغة انها تقترب باللغة من النثر العملى كما يذهب بعض اساتذة الادب العربى الحديث (142) للتمييز بين لغة الصحافة وبين النثر الفنى والنثر العملى يعتبر اصطلاحا لمسايرة لغة الصحافة للحياة العملية بما يجب ان يتوفر فيها من عوامل اهمها فى عصرنا الحديث السرعة .

ومن اجل ذلك وجدنا هيكل فى دعوته لتجديد اللغة يقارن بين ازياء العصور الماضية وازياء الحياة الحاضرة ومختلف مظاهرها ، فالحياة الانسانية اليوم تنتزع الى البساطة والى الصحة والى حكم الانسان حياة الوجود بكل ما تمكنه قواه ومواهبه ، والى ظهور الذاتية الانسانية خلال ذلك كله ظهورا قويا واضحا .

فلم يبق شخص الانسان كومة من النسج النفيس تزينها الاشرطة والدنتلات وتحملها الاحذية المرصعة، وتكسو اعلاها شعور مستعارة ، وتطل من خلالها صورة وجه انسانى مختلف تحت الالوان ، بل اصبح اللباس من البساطة بحيث ينم عن خطوط الجسم وحركاته ويشف عن الحياة الانسانية حتى لقد كاد يصبح بعضها ، وصارت الحياة الانسانية كذلك هى موضع الجمال لا اللباس الذى يكسوها . وبمقدار ما يعبر الزى عن الحياة يكون اشد للنظر استرعاء واقوى عن جمال الحياة تعبيرا . وكبساطة الناس فى اللباس بساطتهم فى الطعام . لم تبق الالوان الكثيرة الشديدة الدسامة محل اللذة والرغبة بل صارت الالوان التى تلائم الصحة وتتفق معها وتعاون عليها هى التى يميل الناس الى اتقان صنعها لتجمع لهم بين حسن الغذاء ولذته . كذلك اصبح الترف ذاته ينزع الى البساطة والصحة . واذن فالحياة الانسانية قد صارت من الزى والطعام والترف كما اصبحت من مظاهرها العقلية والفنية تريد ان تكون هى الظاهرة القومية القوية لا يخفيها اللباس بل ينم عنها ولا يتخمها الطعام بل يقويها، ولا تغص بالترف بل تنعم به . كذلك تريد الا يثقل اللفظ على روح الكاتب ، والا تجمد التقاليد بريشة الفنان وان تصبح الذاتية الانسانية حرة متوثبة دائمة الابداع والسعى فى ابداعها الى التحكم فى كل ما فى الكون وجعله بعض متاع الحياة لكل فرد من الناس ، متاع اساسه البساطة والصحة (143) .

ويبين من نظرات هيكل تلك فى تجديد اللغة ، انها تذهب بالاسلوب الى ان يستمد بلاغته الحقيقية من الواقع ومن الحياة العامة ، لان بلاغة الاسلوب الصحفى ترجع الى انه يخاطب الوف الالوف من القراء. ولا بد لهؤلاء جميعا ان يفهموه جيدا . وفى ذلك يقول الصحفى الانجليزى المشهور ديفو كلمته التى نذكرها دائما فى هذا المجال ، وهى قوله : انه الاسلوب الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما فى قواهم العقلية ـ فيما عدا البله والمجانين ـ فانهم يفهمون ما اقول (144) .

فالواقعية اذن فضلا عن كونها صفة من صفات الاسلوب الصحفى ، فانها كذلك مصدر من مصادر القوة والبلاغة فى هذا الاسلوب . ذلك ان براعة المحرر الصحفى هى فى ان يجعل من القارئ شاهدا من شهود الحادث ، وشريكا له فى الحكم على القضية السياسية او الاجتماعية او الادبية التى يعرضها فى الصحيفة (145) .

(142) حمزة : « مستقبل الصحافة » ـ ص : 18 ـ محمود فهمى : « الفن الصحفى » ـ ص : 77 .
(143) هيكل : « ثورة الادب » ـ ص : 40 .
(144) حمزة : « ادب المقالة » ـ ج : 8 ـ ص : 400
(145) نفس المرجع ـ ص : 401 .

وذلك ما تجده فى مفهوه هيكل لتجديد اللغة وارتباطها بالواقع ، فالحياة دائمة التطور والجديد هو آخر مظاهرها . وهذا وحده هو السبب فى انه جديد ، فاذا انقضى عصره واحدثت غير الحياة جديدا بعده اصبح هو قديما . وما دمت تعيش فى عصر فانت متأثر حتما بحياة هذا العصر ، متأثر بالجديد الذى يحدث فيه (146) .

مستقبل الفصحى فى ظل الاعلام :

ويبين مما سبق ان الصحافة قد اسهمت فى التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية ، ونشأ من تقاربهما المستوى العملى الاجتماعى فى اللغة ، وهو الذى يستخدم فى الصحافة والاعلام بوجه عام . فاصبح لدينا ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى الجمالى ويستعمل فى الادب والفن ، والثانى هو المستوى العملى النظرى التجديدى ويستعمل فى العلوم ، والثالث هو المستوى العملى الاجتماعى .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انسانى والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الاول ، وتباعدها فى الآخر ، فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية ، هى غالبا ازهى العصور وارتقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى فى المجتمع . وهذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال (147) .

ويبين مما تقدم جميعا ، ان اللغة العربية ، قد قطعت هذا الشوط نحو التقارب بين مستويات التعبير عن طريق الصحافة ، ومن جهة اخرى فقد حقق التطور السياسى والاجتماعى فى المجتمع العربى الحديث قدرا من تذويب الفوارق بين الطبقات ، ومن اشتراك طوائف المواطنين فى ممارسة الشؤون العامة والنقاش فيها وفى قيادة الهيئات وادارة المؤسسات ، واصبح من الطبيعى ان تضم دور النيابة والمجالس الشعبية وغيرها اعضاء من جماهير الشعب من الفلاحين والعمال واصحاب الحرف الى جانب العلماء ورجال الثقافة من المواطنين ، ولم يعد من المستساغ فى نظام الوحدة ان يختلف لسان التعبير من طائفة الى اخرى فى خصائصه الجوهرية (148) .

واذا كان للغة الصحيحة الموحدة ، شأنها فى كل قطر من اقطار العالم العربى الحديث فان نمو الوعى بالقومية فى الوطن العربى الاكبر قد اصبح يفرض على العرب جميا عناية اكبر بلغتهم الفصيحة فى جميع وسائل الاعلام من صحافة الى اذاعة وتلفاز لتحقيق ذلك التقارب المنشود بين العربية الفصحى ولهجاتها ، من جهة ، وبين مستويات التعبير المختلفة من جهة اخرى . وتجعل من اقطار وطننا الكبير وحدة فكرية ومزاجية ، تنتقل بها وسائل الاعلام من ساحل الخليج ووادى الرافدين الى ساحل الاطلس ، ومن اعالى الفرات فى قلب آسيا الى بوادى دارفور وكردفان فى قلب افريقية ، ولبناء قوميتها .

ولا شك ان اللغة العربية الصحيحة قد كسبت — من هذا التطور العربى القومى — مزيدا من النفوذ فى الاتصال الجماهيرى ، محليا وعالميا ، واصبح لها مكانها كلغة عمل فى بعض المنظمات الدولية ، وهذا وضع يستلزم ان تجتاز تلك اللغة الاعلامية الفصيحة المعادلة الصعبة بين التراث او المعاصرة ، وان تسعى الى التقريب بين مستويات التعبير اللغوى بحيث لا تكون مقطوعة الصلة بلغة التراث ولا تكون مقطوعة الصلة بلغة العلم والحضارة .

وتشير الابحاث التى اجراها الدكتور ابراهيم امام فى نواحى الاعلام وعلم الدلالة الى ان اللغة العربية فى مسيس الحاجة الى الاثراء الفكرى ،

---

(146) هيكل : « ثورة الادب » — ص : 46 .
(147) « دراسات فى الفن الصحفى » و « العلاقات العامة » و « والمجتمع والاعلام و «الاتصال بالجماهير » ايضا .
(148) خلف الله : « بحوث ودراسات » — ص : 183 Language of journalism

والتقارب فى المستويات المختلفة ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق استعمال اللغة فى ميادين العلم الحديث ، وخاصة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الحديثة . ويذهب الدكتور امام الى اننا لا ينبغى ان ننتظر حتى تتقن المصطلحات ، فلا يكفى ان نبقى بمعزل عن الحضارة الحديثة . وما لم نستعمل لغتنا فى هذه الميادين فاننا نحكم على انفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهان لشئ واحد كالعملة تماما . ولكى تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة لا بد وان تعبر عن الفكر الحديث وهى قادرة على ذلك، وانما تعانى من عدم الاستعمال .

وان وسائل الاعلام هي من افضل الوسائل لانتشار اللغة العربية والربط بين رجال الفكر من جهة وبينهم وبين الجماهير فى العالم العربى من جهة اخرى وقد اسهمت الصحف منذ نشأتها فى اثراء اللغة العربية ونشرها ، وكان منها ما اتخذ منه بعض المفكرين اداة لدعواتهم الاصلاحية كصحيفة «الجريدة» التى دعا رئيس تحريرها — احمد لطفى السيد فى مطالع القرن الحاضر لتطويع اللغة الفصيحة والتقريب بينها وبين لسان التخاطب باصطناع اسلوب ميسر للكتابة بها للجماهير ، ومنها ما حصلت بالبحوث العلمية فى شتى المعارف ومنها اللغة والادب كمجلتى « المقتطف » و « الهلال » اللتين سجلت مجلداتهما المحاولتين الاوليين فى انشاء المجمع اللغوى بالقاهرة ومباحث الندوات العلمية التى بحثت شؤون اللغة والادب ، كندوة « دار العلوم » التى عقدت عام 1908 وناقش فيها طائفة من كبار الاساتذة والمفكرين مشكلات الفصحى والعلمية وموقف العصر الحديث من التطور اللغوى ، ووضع اسماء للمسميات الحديثة وغيرها من المسائل .

ومن تلك الصحف ما كان مجالا لمجلات ادبية ولغوية كان المثقفون والشباب بوجه خاص يتابعونها فى شغف واهتمام « كالسياسة الاسبوعية » ومجلتى : «الرسالة» و « الثقافة » لما كان يثار على صفحاتهما من معارك ادبية يشترك فيها قادة الفكر واعلام الكتابة من امثال طه حسين وهيكل والمازنى والعقاد ومصطفى صادق الرافعى والزيات واحمد امين وزكي مبارك وغيرهم ، وقد امتازت « الرسالة » من بين هذه المجلات بسعة انتشارها فى العالم العربى ، وبأنها كانت شبه مدرسة تخرج فيها كثير من الباحثين والكتاب فى البلاد العربية.

على ان الصحافة اليومية قامت — ولا تزال تقوم فى مصر وغيرها من اقطار الوطن العربى — بنصيب كبير فى تنشيط الثقافة الادبية واللغوية بما كانت تخصصه من صفحاتها لنشر قصائد الشعراء الكبار فى المناسبات والاحداث القومية الهامة ، ونشر الاعمال القصصية والمقالات النقدية .

وقد تطور التحرير الصحفى فى الوطن العربى تطورا كبيرا وبرز فى ميذانه منذ اوائل هذا القرن كتاب نابهون واسعوا الثقافة، ارتفعت اساليب الكثيرين منهم الى مستوى عال من البيان ، واثر بعضهم فى اساليب الناشئين من الكتاب تأثيرا ملحوظا (149) .

كما ان الاذاعة والتلفزة باستخدامها العربية تقدم للشعب ثروة لغوية ترفع من مستواه الثقاف والادبى كما انها تعمل على توحيد الامة العربية . فالاذاعة التونسية مثلا تقوم بخدمة مزدوجة .

فانها باستعمالها اللغة « العربية » وهى التى يستعملها الاستاذ عبد العزيز العروى ترفع من مستوى التونسية الدارجة وتقربها من الفصحى المبسطة وهذه خدمة تستحق التقدير . ثم ان اذاعة المحاضرات والاخبار بالفصحى يعود السامعين على تفهم لغتهم القومية الرفيعة ويساعد على انتشارها (150) .

وقد اسهمت الاذاعات العربية على اختلاف محطاتها ومصادرها فى نشر الفصحى وتمكينها فى النفوس مكملة عمل الصحف ، بل ان تاثير هذه اوسع لوجودها فى كل دار يستمع اليها الذكور والاناث ، والصغار والكبار كل يوم اكثر من مرة . واكثر اذاعتها بلغة سليمة فى الجملة ، وبعضها القليل يسمو بالسامعين الى مستوى رفيع على حين كان بعضها ينحط بضعف لغته او لحسن تلاوته . لكن آثارها فى الجملة واسعة فى خدمة اللغة العربية .

وقد لمس ذلك المعلمون الابتدائيون ، فقد انخفض

---

(149) المرجع السابق .
(150) مجلة « اللسان العربى » — العدد السادس — 1388 هـ — ص : 28 .

عناؤهم فى افهام طلابهم معانى النصوص لمبادرة اذهانهم الى المقصود ، وذلك دون شك من فضل العناية بلغة الاذاعة (151) .

وتاسيسا على ذلك يمكن القول ان الاعلام قد اسهم فى تعميم العربية الفصحى لغة جامعة مشتركة يقرؤها اليوم ويكتبها ويستمع اليها نحو ثمانون مليونا من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى . يصغى الكويتى فى اقصى الشرق العربى الى اذاعة الرباط فى اقصى المغرب كما يصغى الى اذاعة الكويت نفسها ، ويفهم الرباطى المغربى اذاعة الكويت المشرقية فهمه لاذاعته المغربية .

بل ان المسلم الصينى المتعلم او النجارى ليدخل المغرب العربى فيفهم عن علمائه ويفهمون عنه بهذه العربية الفصحى التى اتسع انتشارها منذ ثلاثة عشر قرنا فكانت الى اليوم اقرب الى اللغة العالمية .

اذا كان الاعلام قد حسم — ولا يزال يحسم — مشكلة الازدواج اللغوى ، لصالح اللغة المشتركة الفصحى ، فان هناك من يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، ويزعمون قصور الحروف العربية فى الاداء ، ويذهب سعيد شهاب الدين (152) ان اللغة الفرنسية مثلا لا تملك الا 26 حرفا للتعبير عن 36 صوتا ، فلا انطباق اذا بين الصوت والرمز . ويقول غالوشيه ان الاملاء الفرنسى صعب جدا ويكاد يكون اصعب بكثير من غيره (153) . وغرض لادعائهم ان الكتابة العربية ليست عملية اقتصادية ، مثبتا العكس ، فكل كلمة عربية اذا كتبت باللاتينية احتاجت الى ضعفى عدد حروفها العربية ، وينتهى الى قوله :

« ولا نقول ادعاء اذا اعلنا ان اللغة العربية بحروفها هى الاولى فى العالم التى تجرى بسهولة فى كتابة الصحف والمجلات والنشرات اليومية والاسبوعية فهى اكثر اختصارا من غيرها واوفر اقتصادا فى الوقت والمال والنظر والكتابة ، وفى سهولة التبادل التجارى والفكرى وغيره . وهى تؤدى النتائج احسن بكثير من لغات العالم . وذلك ان الكتابة الشائعة الاستعمال هى كتابة غير مشكلة ، اى غير مقيدة بحركات ، وان القراءة تتجه لان تصبح فى اكثر الحالات قراءة صامتة .. وهكذا يتضح ان دعاة العلمية و « اللاتينية » يريدون ان يعقدوا المسألة ، ودعوتهم تتهترية لانها لا تراعى رغبة الاقتصاد والسهولة فى الكتابة التى يتجه اليها العالم اليوم فى جميع وسائل الاتصال الجماهيرى .

وعند البحث الرصين تشهد للابجدية العربية بانها اصلح من سواها لكتابة جميع اللغات وسيما فى لغة الاعلام الحديث الذى يتجه الى الاقتصاد فى الحرف واللفظ والتعبير .

ولم يعد خافيا حتى على الاجانب المهتمين بشؤون الثقافة العربية ان قواعد اللغة من اسهل القواعد كتابة ولفظا ونحوا وصرفا .

اما كتابتها فتصوير مطابق للفظ الى ابعد الحدود ، فمدودها وحركاتها القصيرة حين يخضع الامر الى تصوير الحركات اكسباها ايجازا فى الكتابة واقتصادا فى وقت القراءة ، فما تكتبه بالحرف العربى اذا كتبته بالحرف اللاتينى يشغل مثل حيزه العربى ، ثم انت مضطر الى الابطاء فى القراءة فيها حتى يستوعب نظرك الحروف ، وليس فى الكتابة العربية حروف مركبة لاداء صوت فرد بل كل حرف يصور صوتا ولكل صوت حرف خاص ، وليس فيها حروف ترسم ولا تقرأ كما نعهد فى اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية (154).

وتظل اللغة العربية بعد ذلك اوفر عددا فى اصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها ، فليس هناك مخرج صوتى واحد ناقص فى الحروف العربية ، وانما تعتمد هذه اللغة على تقسيم الحروف على حسب وقعها من اجهزة النطق ، ولا تحتاج الى تقسيمها باختلاف الضغط على المخرج الواحد ، كما يحدث فى الباء الخفيفة والباء الثقيلة التى يميزونها بثلاث نقط من تحتها بدلا من النقطة الواحدة ، او كما يحدث فى الفاء ذات النقطة الواحدة والفاء ذات

(151) سعيد الافغاني : « حاضر اللغة العربية » — ص : 150 .
(152) « دعاة العلمية » — ص : 20 .
(153) سعيد الافغانى : « حاضر اللغة العربية فى الشام » — ص : 196 .
(154) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 9 .

النقط الثلاث او كما يحدث فى الجيم المعطشــة وغيرها.

ذلك ما نعنيه باللغة الاعلامية فى تقسيم حروفها ، فهى لغة انسانية ناطقة تستخدم جهاز النطق الحى احسن استخدام يؤدى الغرض المنشــود فى اقتصاد شديد ، وليس هنا اداة صوتية ناقصة تحسن بهــا لابجدية العربية .

اما النحو فقد دخل عرض قواعده من التسهيل فى التأليف ما جعله ميسور الفهم خفيف العناء بحيث انحصر فى الكلمات المعربة اسماء وافعــالا ، والخلاصــات الاعرابية التى نجدها فى بعض الكتب الحديثة لا تبلــغ الصفحــة (155) .

والصرف لا صعوبة فى قواعده الاشتقاقية المطردة الحية فى اللهجات العامية كلها ، ولا سيما فى الاسماء ، فأوزان اسم الفاعل واسم المفعول والصفة واســم التفضيل واسماء الآلة هى فى العامية والفصحى (156).

وصفوة القول ، ان الصحافة والاذاعــة واجهــزة الاعلام الاخرى وما اليها ، كل ذلك عمل عمله فى تمكين الفصحى فى اسماع غير المتعلمين حتى الفوها ، وحتى ارتقت لغتهم من حيث لا يشعرون ، وحتــى ضاقت الشقة جدا بين الفصحى والعامية ، وبين مستويــات التعبير المختلفة ، وحتى يستمر الاعلام فى تحقيق هذا الغرض النبيل ، لتبقى اللغة العربية لغة حية تتسع للفكر والعلم والفن والتشريع ، ولذلك فيجب ان تكون اللغة العربية هى اللغة المشتركة فى الحياة والمجتمع وفى جميع وسائل الاعلام مقروءة ومرئية ومسموعة فى كل البلاد الناطقة بالعربية .

فاذا اضفت الى ما تقدم ، ما توفر فى الفصحى من جميع صفات اللغة المشتركة الشاملة فى كل العصور، تميزها من كل اللهجات المحلية بمستوى لغوى راق ، واستقرارها على قواعد لا تسمح لها بالتغيير والتطور الا فى القليل من الاحيان وبعد اجيال من الاستعمال حتى اتخذها الناس فى جميع العصور مقياسا لحسن القول واجادة الكلام ، وانهــا على طــول العصور كانت اللغة المشتركة الوحيدة التى تفاهم بها ابنــاء العرب والمتعلمون من غير العرب بين الصين والمحيط الاطلسى فى العالم القديم كله ، وزاد اليوم المتفاهمون بها بسبب انتشار التعليم ووسائل الاعلام ، وربمــا لم يبق على سطح الارض اليوم عربى لا يفهمها ولــو كان اميا . وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو الى استخدام الاذاعة والتلفاز للهجات المحلية فى برامجها ونشراتها، وقد سلمنا جميعا بأن احدا من الاميين فى البلاد العربية لا يفوته فهم شئ من الاخبار المذاعة بالفصحى فهما جيــدا .

ان وسائل الاعلام جميعا مدرسة عملية فعالة سريعة الثمرات ، فعلينا ان نستخدمها طريقا حقيقيا لتحقيق وحدتنــا اللغويــة .

ويتسم هذا الطريق بسمتين ، اولاهما : تعميــق الايمان بمستقبل الفصحى وضرورة تعميمها حتى تصبح قريبا لغة حياة الى جانب كونها لغة فكر وثقافــة ، والثانية : التخطيط والتنفيذ لبلــوغ هــذا الهــدف ، واستخدام الاعلام مجالا لتعميم هذه الفصحى فى جميع مجــالات الحيــاة .

---

(155) سعيد الافغانى : « حاضر اللغة » ــ ص : 196 .
(156) ابراهيم انيس : « محاضرات عن مستقبل اللغة العربية » فى صدد كلامــه على اللغــة الانجليزيــة المشتركة التى استمدت معظم صفاتها عن لهجة الطبقــة الارستقــراطيــة ..

الجمهورية العراقيـة

تعزز مكتب تنسيق التعريب بتبرعات كريمة

تفضلت وزارة الاعلام للجمهورية العراقية بالتبرع بمبلغ 3000 (ثلاثة آلاف) دينار عراقي من اجل طبع نسخ اضافية من مجلة «اللسان العربي» توزع مجانـا على القـراء في الوطن العربي . والمكتب يعلـن عن عميق امتنانه وبالغ تقديره لهذه الروح العـالية .

وتذكر المجلة لقرائها أن لمكتب تنسيق التعريب مكتبة عـامة باسم «المكتبة العلميـة» في بنايـة مستقلة خارج مقر المكتب ، مفتوحة للجمهور لاطلاع قرائها على نفائس النتاج الفكري العربي تعزيزا لمكانة اللغة العربية واستفادة من روائعها واظهارا لمزاياها وقابلياتها قديما وحديثا وهي التي قادت الفكر الحضاري البشري وحدها قـرونا عديـدة .

في هذا المجال أيضا تبرعت وزارة الاعلام العراقية الموقرة بنفائس مطبـوعاتها من كتب التراث العربـي الخالد بالاضافة الى المؤلفات الحديثة في مختلف العلوم والفنون والادب والشعر للمؤلفين العراقيين وغيرهـم من مؤلفي الاقطار العربية الشقيقة . وكثـير من هذه المؤلفـات من النـوع الـذي يعجز أصحابه عن تكبد نفقات طبعه ونشره بحيث انها ما كانت لترى النور لو لم تضطلع الوزارة المحترمة بطبعها ونشرها .

كذلك تبرعت جهات عراقية أخرى بمطبوعاتها ومجلاتها وهي وزارة التربيـة ووزارة التعليم العـالي والجامعات العراقية والمجمع العلمي العراقي ، فحيا الله هذه المبادرات النبيلة ووفقنا جميعا لخدمة أمتنا المجيدة .

وهذا المكتب يهيب بهذه المناسبة بجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية والجامعات والمعاهد والافـراد في الوطن العربي أن يتكرموا بالمؤازرة في هذا الباب تضافرا منـا جميعا لاداء واجبنـا العروبـي المقدس .

400

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

* استراحة اللغة العربية ومشاكلها الحقيقية
* تجربة تعريب التعليم بتونس

402

reprenaient au turc des termes politiques. administratifs et militaires (**gumhuriyya** : république ; **wataniyya** : patriotisme ; **hakimdar** : gouverneur; **amiralay** : brigadier). Mais cette mine féconde est actuellement peu exploitée

6 - Les mots savants proposés par les Académies

On a souvent critiqué les Académies. Pour tant leur œuvre n'a pas été vaine. Elles sont parvenues à remettre en usage des mots en voie de dispatition. Elles ont émondé la langue et conservé dans une certaine mesure ses traditions. Elles ont créé drenièrement un Comité chargé de coordonner leurs travaux. Elles publient régulièrement des listes de termes nouveaux destinés à remplacer les mots étrangers ou dialectaux en usage. Mais il faut reconnaître que l'œuvre d'une Académie est forcément lente. En 1936, le Président de l'Académie de Damas, Abdul Qâdir al-Maghrabi a déclaré que cet organisme a dénombré dans un dictionnaire technique étranger 42.000 termes dont les quatre-cinquièmes étaient des néologismes sans correspondant en arabe classique. «Est-il du pouvoir d'une Académie de nous traduire le dixième seulement de ces termes en l'espace de dix ans ? » se demanda-t-il.

Par ailleurs. la Ligue des Etats Arabes a créé un Bureau parmanent d'arabisation qui a publié des lexiques très valables. Mais il va de soi que les travaux des Académies et du Bureau d'arabisation ont besoin du concours des grands moyens d'information pour être connus et utilisés car seul l'usage impose les termes.

L'ARABE DANS LES ORGANISATIONS INTERNATIONALES

Depuis quelques années, l'arabe est devenu une langue de travail de l'OIT. à l'UNESCO à la FAO et tout récemment à l'OMS. Conscientes que le problème principal qui se pose aux interprètes et aux traducteurs est celui du vocabulaire, la FAO et l'UNESCO ont élaboré des glossaires qui sont constamment mis à jour. Des stages ont été organisés par l'UNESCO pour le recyclage des interprètes arabes. Dans leur publications, les deux organisations veillent à utiliser la terminologie qu'elles ont établie afin d'aboutir, à la longue, à un usage codifié de la langue.

D'une manière générale, interprètes et traducteurs ne trouvent aucune difficulté à exprimer des notions déjà connues car ils utilisent à bon escient les termes plus ou moins consacrés par l'usage. De plus, l'expérience qu'ils ont acquise leur permet de connaître les régionalismes. Mais ils ont naturellement beaucoup de mal à adapter la langue à ce qui n'a pas encore été exprimé : langage de l'ordinateur, biosphère, futurologie, etc. Il leur est difficile de choisir entre les termes savants et les termes vulgarisés (pour téléphone, il existe par exemple un terme savant : **hâtif** et un terme « roturier » : tilifoun) et sont quelquefois critiqués tant par les puristes que par les «vulgaristes». De plus, ils sont gênés par les sigles et les abréviations. En effet, alors que l'arabe a adopté quelques sigles (UNRWA, UNESCO, UNICEF, GATT), il en a rejeté la grande majorité Quand un orateur cite trois ou quatre institutions telles que l'OIT, la FAO, l'OMS, l'OMM. l'interprète est obligé d'en donner les noms officiels, ce qui lui fait perdre beaucoup de temps. Enfin, interprètes et traducteurs ne peuvent pas toujours éviter les emprunts et les calques, mais il s'agit là d'un problème mondial. Le Professeur Etiemble n'a-t-il pas dénoncé le franglais ?

Malgré toutes les difficultés que l'arabe rencontre, on peut dire qu'il s'est montré capable de rendre les idées et les choses que la civilisation contemporaine apporte aux hommes. Pour surmonter ces difficultés, les pays arabes ont déjà intensifié leur coopération en matière d'arabisation. Mais il faut que cette arabisation se fasse d'une manière plus méthodique et qu'elle bénéficie de l'appui des grands moyens d'information On devrait reprendre aux autres langues, d'une manière plus rationelle, les termes d'origine arabe. Il conviendrait surtout d'observer moins scrupuleusement les règles imposées par les grammairiens anciens d'autant plus qu'elles découlent d'un système où règne un certain arbitraire. Enfin, les mots savants composés d'éléments empruntés au grec et au latin doivent être adoptés car ils expriment la réalité d'une communauté de pensée. de science et d'une civilisation internationale.

de graves problèmes à l'arabe moderne D'une part le terme emprunté peut revêtir un sens différent selon que l'orateur est de formation française ou anglaise (**drama** peut signifier **drame** mais aussi, comme en anglais, théâtre, art dramatique). De même, le calque embarrasse un lecteur qui ne sait pas la langue d'origine qui l'a inspiré. Que signifie tashîlât (facilités) pour un délégué de formation arabe ou française qui ignore qu'en américain facilities désigne toute installation ou construction utile (banque, bibliothèque, usine à gaz, hôpital, etc.) ? Souvent, la langue scientifique et technique confine au jargon et les termes ne sont compréhensibles pour un interprète ou un traducteur que s'il les connaît déjà Ajoutons qu'on abuse parfois d'emprunts et de calques pour des raisons sociales telles que le snobisme, la formation occidentale de certains secteurs de la population, l'appartenance à une idéologie déterminée (langage de la mode, termes publicitaires, langage économique et politique). On comprend que les linguistes dénoncent l'envahissement de l'arabe par les emprunts et les calques. Mais ce phénomène risque de s'aggraver car les connaissances ne cessent d'évoluer alors que lecteurs, orateurs, interprètes et traducteurs ne disposent pas de dictionnaires et de lexiques qui enregistrent régulièrement les formes et les emplois qui entrent dans l'usage.

5 - Insuffisances des dictionnaires

Les lexicographes ont fait de leur mieux pour combler le fossé qui se creuse de plus en plus entre la langue et la civilisation. Pendant les vingt dernières années, d'importants dictionnaires et glossaires techniques ont été publiés. Mais bien souvent les linguistes et les lexicographes sont écrasés par le poids du passé. Ils retiennent l'acception primitive d'un terme même si l'usage l'a modifié. Les mots et les expressions tombés dans les oubliettes de l'archaïsme sont rarement sacrifiés. De même les lexicographes respectent trop les règles imposées par les grammairiens anciens. C'est ainsi que l'on se contente souvent de donner à un terme ancien une acception moderne (**barq** qui signifie en arabe classique éclair désigne, par catachrèse, le télégraphe). A l'instar des anciens on construit aussi, sur des racines trilitères ou quadrilitères, grâce à des préfixes et à des suffixes des formes qui expriment toujours la même nuance par rapport à la racine. **hasada** (moissonner) est à l'origine de **mihsad** (moissonneuse). **Uqm** (stérilité) est la racine dont dérive aqqama (stériliser).

En plus de ces formes traditionnelles, il existe un autre procédé largement utilisé par les linguistes et les lexicographes modernes : la suffixation. A la fin d'un nom, on ajoute un suffixe qui lui donne un sens nouveau. **Ishtirak** (association, participation), pourvu du suffixe **iyya** devient **ishtirakiyya :** socialisme.

En revanche, on évite, comme les anciens, la préfixation. C'est ainsi que les préfixes privatifs n'existent que dans des cas rarissimes. Chaque fois qu'un terme étranger commence par un préfixe comme **in, de, non,** on doit exprimer la négation par des formules très longues, ce qui fait perdre un temps précieux à l'interprète et alourdit le style du traducteur. En voici des exemples : inapplicable est traduit par le dictionnaire al-Mawrid de la façon suivante : **Ghayr qâbil li-l tatbîq** (qui ne se prête pas à l'application). **Apatride** est selon le Dictionnaire pratique de Youssef Chlala : **man lâ ginsiyyata lahu** (celui qui n'a pas de nationalité).

De même, sous l'influence des anciens, les lexicographes évitent un autre procédé de formation des mots : la composition. (Relevons que ce procédé est largement exploité en persan : **ruznâme** : journal ; **ist-gâh** : gare, etc.).

On peut reprocher également aux lexicographes arabes d'avoir peu exploité une source intarissable : les reprises. Comme nous l'avons déjà dit l'espagnol comprend beaucoup de termes techniques arabes. De même, les Turcs et les Iraniens ont créé, jusqu'à la première guerre mondiale, une masse de termes techniques et scientifiques construits sur l'arabe. Lorsque les pays arabes faisaient partie de l'Empire ottoman, ils

afin qu'elle puisse exprimer une sensibilité nouvelle et des notions modernes. Comme le révèle le Professeur Charles Pellat, les besoins en matière de vocabulaire étaient les suivants : termes concrets de la vie matérielle ; termes abstraits correspondant à des notions courantes en Occident (politique, administration, sentiments) ; termes techniques et scientifiques très spécialisés (médecine, industrie, enseignement supérieur).

Grâce aux efforts constants et ingénieux des lexicographes, des Académies, des traducteurs et des mass média, l'arabe a accompli un progrès prodigieux. Dans beaucoup de domaines, il est devenu une langue commune, normalisée (éducation, vie politique, etc.). L'arabe est de nouveau un réel instrument de culture et de contacts, une langue inter-arabe et pan-arabe qui permet à un Tunisien et à un Yéménite de se comprendre. Mais il faut reconnaître que cette langue fait encore face à de graves difficultés dont la solution requiert un travail en équipe et l'application rationnelle de méthodes scientifiques.

Ces difficultés sont notamment les suivantes :

1 - Problème de la diglossie

Comme on le sait, il existe un arabe littéral que comprennent tous les pays arabes, et un arabe dialectal qui varie d'un pays à l'autre. Or beaucoup de termes techniques ont une appellation officielle et une autre dialectale. Par bonheur, l'arabe littéral gagne de plus en plus de terrain sur l'arabe parlé.

Sur le plan de l'interprétation, l'arabe parlé peut poser de graves problèmes. Il suffit qu'un orateur soit ému pour qu'il s'exprime spontanément en dialecte, mettant ainsi dans l'embarras un interprète qui n'est pas de la même région que lui.

2 - Les «régionalismes

Avant leur accès à l'indépendance, les pays arabes étaient plus ou moins séparés par des barrières politiques. Chaque pays a essayé d'établir une terminologie scientifique et technique

Il arrive que les néologismes adoptés dans un pays ne soient pas connus dans les autres pays ou revêtent un sens différent. C'est ainsi que **hâfila** signifie autobus en Afrique du Nord seulement. **Midya'** désigne un microphone au Liban et un récepteur de radio en Egypte. **Nadwa** est une conférence en Tunisie et un colloque ailleurs. **Automatisation** se traduit en Egypte par **âliyya** (littéralement : instrumentalisme, mathinisme), en Algérie par talqâ'iyya (le fait de faire une chose soi-même, sans être incité ni contraint par autrui et par extension fonctionnement automatique d'un ensemble productif) et ailleurs **automâtiyya.**

3 - Problème de l'emprunt

Les moyens d'information sont responsables de l'envahissement de l'arabe moderne par des termes étrangers. En effet, la presse et la radio doivent traduire tout de suite les dépêches d'agence, trouver instantanément et n'importe comment l'équivalent d'un mot étranger. On se contente parfois de «naturaliser» le terme étranger.

Dans certains cas, il s'agit d'un emprunt pur et simple ; **téléfoun, tilifision** ou **tilibijan,** etc. Dans d'autres cas, le terme étranger est adapté à la morphologie de l'arabe. En Afrique du Nord, **télévision** se dit **talfaza.** Quelquefois, on trouve au vocable étranger une étymologie arabe : techniques devient **tiqniyyât**, mot dérivé de **atqana** : s'acquitter avec intelligence et habileté de quelque chose. De même **Mâkina** n'aurait pas pour origine **machina** mais dériverait du verbe **makkana :** permettre de faire telle ou telle chose !

4 - Le calque

Il y a «calque» quand un vocable ou une expression sont traduits en arabe de façon à conserver dans la traduction le caractère pittoresque ou imagé de la langue d'origine : les cadres (itarât en Algérie), monter sur les planches (sa'ida alâ -l madar en Tunisie), simulation (muhakat en Egypte).

Il faut reconnaître que l'emprunt et le calque agacent les puristes d'autant plus qu'ils posent

rie (633-640), l'Egypte (653-645), l'Afrique du Nord (647-698) et l'Espagne (711-712). Les pointes du Croissant atteignent les plaines de Transoxiane (705-715) et les Pyrénées. Cet empire obéit au calife, maître unique du pouvoir spirituel et temporel. L'arabe devient l'organe d'expression de cet Etat puissant.

Mais à partir du Xe siècle. cet empire commence à se disloquer. Des pôles excentriques se créent en Asie, en Afrique du Nord, en Egypte (Califat fatimide) et en Espagne (Califat omeyyade). Si en Perse, le persan se substitue à l'arabe, celui-ci demeure pour les autres régions un instrument intellectuel et un facteur d'unité.

Dès leurs premiers contacts avec les pays conquis, les Arabes avaient entrepris d'assouplir et d'enrichir leur langue. La necessité de créer un vocabulaire adapté aux besoins des sciences de la théologie d'une part, et de l'administration de l'autre, se fit d'abord sentir. Les lexicographes créèrent alors des néologismes ingénieux en exploitant les ressources de la morphologie et en employant les termes dans un sens métaphorique. Peu à peu, l'arabe devint un véhicule de la connaissance. En arabe furent rédigés des traités de droit, de théologie, de prosodie, d'histoire, de géographie, de médecine, d'astronomie, de musique, de géométrie, de mécanique, d'alchimie, etc. Au début du IXe siècle, sous l'égide du calife abbasside al-Ma'moun, des ouvrages indiens, persans et grecs furent traduits en arabe. C'est ce mouvement de traduction qui permettra à l'Occident de récupérer à l'époque des Scolastiques (XIIe et XIIIe siècles) des textes grecs perdus par ailleurs : œuvres d'Aristote et de Platon, œuvres analogues écrites par des philosophes grecs plus tardifs. Phénomène rare dans l'histoire : sans se mettre eux-mêmes à apprendre le grec, les philosophes musulmans étudièrent et commentèrent les ouvrages des auteurs grecs en se fondant uniquement sur des traductions et leurs erreurs s'expliquent par des erreurs de traduction.

A partir du XIIIe siècle commence le déclin des Arabes. Les califats s'écroulent. La Reconquête chrétienne arrache à l'Islam les provinces espagnoles où il avait brillé d'un vif éclat. La Syrie et l'Egypte sont envahies par les Croisés. Dès le XVe siècle, les Ottomans étendent leur domination sur le monde arabe où le turc devient la langue officielle. Pour la culture arabe commence alors une longue période de sommeil qui s'étend jusqu'au XIXe siècle. Au cours de ces siècles de léthargie, on ne produit plus d'œuvres originales mais on se contente d'imitations et de compilations. La prose est réduite aux arabesques du vocabulaire creux. aux jeux de mots stériles, aux rimes et aux sonorités. Le vernaculaire s'installe de plus en plus dans la langue. Cependant, l'arabe devient pour certains pays une langue de culture. L'Espagne, la Perse et la Turquie lui empruntent une masse de termes techniques et scientifiques. Jusqu'au XXe siècle, Turcs et Iraniens recourent à l'arabe pour créer des néologismes, même quand il s'agit d'exprimer des notions d'origine occidentale.

Entre-temps, le monde arabe connaît, dès le XIXe siècle, une «Nahda» (Renaissance) qui s'exprime à la fois par une affirmation passionnée de soi et un ardent désir d'imiter l'Occident. Face aux visées expansionnistes de l'Europe, les Arabes, tout en modernisant leurs pays, trouvent dans la langue le moyen d'affirmer une identité menacée. De nos jours l'arabe est considéré comme l'un des éléments constitutifs de la nation arabe. On comprend alors le souci des pays arabes de voir leur langue devenir une langue de travail aux organisations internationales. Mais dans quelle mesure cette langue est-elle adaptée aux besoins de l'époque moderne ? Il est vrai que les auteurs anciens avaient légué aux arabes des lexiques très riches où des mots de toutes catégories avaient été enregistrés, mais cet héritage est par endroits inactuel et gênant : redoutable synonymie (80 synonymes pour le miel, 200 pour l'oiseau. 500 pour le lion), termes vagues ou ambivalents (**salim** signifie malade et sain à la fois), vocables d'une autre époque qui se sont vidés de leur substance ou qui sont tombés dans l'oubli. Il fallait rajeunir cette langue

Permanance de la lange arabe et ses problèmes actuels

par Mongi Sayadi

L'arabe n'est pas seulement la langue liturgique de l'Islam, la langue religieuse de quelque sept cent millions de musulmans ; c'est aussi une langue de civilisation qui a transmis à l'Occident une partie du patrimoine grec et qui, aux heures glorieuses de l'empire arabe, a exprimé avec un rare bonheur les besoins religieux, scientifiques et culturels de l'époque. Après le morcellement de cet empire, l'indépendance de la Perse, la « reconquista » de l'Espagne et l'avènement des Ottomans, l'arabe devint pour ces pays une langue de culture, à l'instar du latin dans les pays occidentaux. Cependant, avec l'affaiblissement du monde arabe et son assujettissement progressif à l'Europe, l'arabe se détériora et fut envahi par des tournures et des termes étrangers. Mais la «Renaissance» de la civilisation arabe (XIXe siècle) s'accompagna d'une renaissance linguistique. De nos jours, l'arabe aspire à devenir une langue internationale capable de rendre les idées et les choses que la civilisation contemporaine ne cesse d'apporter. Mais le poids du passé et de progrès prodigieux de la science et de la technologie lui posent des problèmes ardus qu'il nous a semblé intéressant d'exposer dans cette étude.

L'ARABE, LANGUE DE CIVILISATION

L'arabe se distingue à la fois par sa continuité et son évolution perpétuelle. Cette langue prestigieuse dans laquelle le Coran a été révélé n'a cessé, comme toute chose vivante, de s'enrichir et de se renouveler durant les treize siècles qui se sont écoulés depuis la naissance de l'Islam. L'histoire de cette langue demeure solidaire de l'histoire du monde musulman. Il paraît donc indispensable, pour en comprendre l'évolution, de connaître dans ses grandes lignes l'histoire de l'Islam.

Rappelons brièvement que du VIIe siècle à la fin du IXe siècle, l'Islam, né en Arabie, sort de son Cadre local, subjugue et convertit les peuples de l'Ancien Monde : la Mésopotamie et la Perse sont conquises (637-651) ainsi que les deux tiers des pays qui bordent la Méditerranée, la Sy-

consacrer une étude exhaustive. «Le gouvernement est convaincu que l'arabisation n'est nullement en contradiction avec l'enseignement d'une langue étrangère et que la dualité des langues est une question qui doit être traitée conformément à des règles pédagogiques précises.»

Pour les gens, qui ne voient qu'un seul aspect de la question, il s'agit d'organiser un enseignement entièrement dispensé en langue arabe. Mais les nécessités ptdagogiques imposent au contraire de ne pas comparer l'horaire fixé pour le français et pour l'arabe mais de juger le contenu du programme dispensé en arabe qui comprend la langue, l'histoire et la géographie.

En fait, l'arabisation n'est pas un problème vital mais un problème de destin, un choix entre une personnalité fondée sur la langue et une assimilation par une autre culture L'élève tunisien reçoit un modèle culturel de type « bourgeois » qui lui est étranger et qui convient à une société de consommation, ce qui crée en lui un sentiment de frustraction et le conduit à copier aveuglément le mode de vie européen. C'est dans ce sens qu'intervient la tunisification pour l'amener à s'enraciner dans son milieu social. L'arabe doit de ce fait jouer «son rôle moteur au niveau de la réflexion et de la transmission... au niveau de la conception et de la maïeutique.»

Cette propension des gens cultivés aussi bien que l'opinion à vouloir prendre en main le problème, crée une communion d'idées sur le principe, mais des discussions et des confusions parfois, quant aux modalités d'applicatiin. Certains rejettent purement et simplement l'arabisation (qui n'est qu'une composante de la tunisification) en considérant l'arabe comme langue étrangère aux Tunisiens, ce qui relève de l'excentricité ; de même que créer une antinomie entre arabisation (qui signifierait repliement sur soi) et ouverture sur le monde n'est qu'une attitude réelle. Il est donc essentiel de lever l'équivoque qui plane sur le rôle que doit jouer la langue arabe en Tunisie aussi bien que le français de façon que le bilinguisme soit un élément de fécondation, qui enrichit la personnalité au lieu de l'aliéner. Cela signifie que l'option prise consiste à «centrer l'enseignement tunisien sur la culture arabe et à concevoir cette culture d'une façon dynamique et vivante en la situant dans l'ensemble de la culture humaine...»

Cette culture tunisienne se précise par deux courants de pensée, l'un, conduit par la revue al-Fikr, estime qu'il faut élargir cette notion au-delà d'une culture purement littéraire jusqu'à atteindre la culture populaire ; l'autre considère que la culture ne sera florissante que si la vie économique et sociale l'est également. Cette conviction a été défendue par la revue a-Tajdîd

La culture tunisienne peut créer une symbiose ou se détacher plus ou moins de la culture arabe mais le retour aux origines paraît inéluctable. La culture arabe comporte encore des éléments qui constituent des valeurs humaines Or, la personnalité tunisienne s'altère au contact du bilinguisme qui crée une sorte de culture bilingue qui favorise une culture au dépens d'une autre, en raison de l'efficacité éprouvée de la culture étrangère qui substitue aux archétypes arabes (fournis par 'Umar ibn-l-Khattâb ou Ghazâlî) d'autres qui sont latins ou européens et remplace les humanités arabes par des humanités latines. Même ce souci d'efficacité ne justifie plus le bilinguisme puisque les étudiants ont la possibilité d'apprendre rapidement une langue étrangère Il nous faut aussi créer une tradition scientifique arabe pour supprimer la restriction imposée à l'arabe, en faveur du français qui véhicule les notions scientifiques. L'Université dispensant un enseignement de type français, on ne peut penser à l'arabisation des études ou de l'administration. La place réservée à la culture arabe concerne les anciennes périodes, alors que l'étude de la période moderne est limitée, bien qu'elle puisse intéresser beaucoup les étudiants car elle soulève des problèmes qui s'inscrivent dans un cadre historique et géographique qui permet la recherche et motive pour un travail exhaustif.

plus, l'enseignement supérieur est loin d'être arabisé, alors qu'il fallait «fournir un effort considérable en vue d'élaborer les lexiques nécessaires aux diverses branches scientifiques.»

D'un côté, l'option prise en faveur de l'arabisation est maintenue, de l'autre cette échéance est toujours reportée à une période lointaine ; et, en laissant le français véhiculer les sciences exactes, «ne reporte-t-on pas sine die le développement et l'évolution de l'arabe ?» Il se peut que l'on considère l'arabisation comme un retour à la langue du Moyen-Age et («on ne sauve pas en effet une langue ou une culture nationale en se contentant de maintenir ses attaches avec le passé.» (Discours du Président Bourguiba 28/6/69).

Il s'agit de comprendre ce concept : tunisifier et arabiser les programmes, des sciences humaines, la méthodologie, l'esprit et l'objet de la recherche, les méthodes pédagogiques liées au milieu socio-familial, sont les deux aspects d'un même problème qui, s'il est résolu au sommet, au niveau de l'Université, ne manque pas de rejaillir sur les autres degrés de l'enseignement. Il n'est pas question de rejeter les langues étrangères ou de supposer une baisse de niveau dans les études. Pareille indécision permet d'ailleurs aux partisans de la francophonie comme à ceux de l'arabe dialectal de faire de l'arabisation un cheval de bataille politique, par pure démagogie. Il semble donc prudent de procéder à une arabisation par étapes, qui permet de juger des résultats et de corriger les défauts d'une réalisation hâtive.

Il est à remarquer qu'une troisième langue s'est développée en Tunisie, (bien qu'elle soit encore en gestation), grâce à l'emploi de l'arabe dans plusieurs domaines publics. Elle se trouve sous l'influence d'un courant dialectal et d'un autre francisant. C'est pourtant avec un enseignement méthodique et efficace de l'arabe qu'on arrivera à employer cette langue comme moyen d'expression et véhicule de l'arabisation. Elle viendra aussi combler le fossé qui se creuse de plus en plus entre les deux registres de l'arabe.

En somme, réalisée d'une façon partielle, l'arabisation n'a pas recueilli l'adhésion générale, car les progrès accomplis furent empreints d'une grande circonspection. L'accord n'est pas encore acquis sur ce concept d'arabisation, sur le sens qu'il convient de lui attribuer, sur la portée de cette idée sur le plan pédagogique et national : doit-on arabiser l'ensemble de l'activité pédagogique, scolaire et administrative ou bien l'enseignement des sciences exactes et des techniques ? Dans cette deuxième perspective, on incline pour la réalisation graduelle ou pour constater le résultat jugé négatif (expérience de 1958-1967 de la section A).

C'est dans ce contexte qui laisse la porte ouverte à toutes les tendances et à toutes les interprétations que l'Assemblée nationale tunisienne a ouvert un débat sur le problème de l'arabisation qui a été situé dans une optique officielle : la tunisification et l'authenticité nationale doivent se manifester dans les programmes et les livres scolaires. Le bilinguisme «qui constitue un luxe pour un pays en voie de développement, qui est effectif dans les établissements scolaires... outre qu'il coûte à l'Etat d'importants investissements, ce système a engendré une baisse du niveau des cadres enseignants et des élèves. Ce n'est donc plus la démocratisation de l'enseignement qui est jugée responsable de la chute du niveau des études mais tout le système pédagogique tunisien fondé sur l'étude des deux langues, arabe et française, qui serait la cause du retard scolaire des élèves et de l'augmentation du nombre des défaillants dans tous les cycles d'enseignement. S'il existe un lien organique entre arabisation et tunisification la personnalité tunisienne est à même d'émerger, forte de son authenticité.

En ce qui concerne l'élève l'arabisation le libère de cette aliénation qui crée une confusion dans le raisonnement car il n'est pas possible «de penser dans une langue et de parler dans une autre.»

Problème de l'heure, et difficile à résoudre dans l'immédiat, les responsables tiennent à lui

le choix s'est porté sur les anciens ouvrages, Miftâh-l-'Ulûm de Khawârizmî, les épîtres des Frères de la Pureté, le dictionnaire d'Ibn Fâris, Maqâyîs-l-lugha, ainsi que sur le dictionnaire de Littré. Les termes retenus ont été ceux qui ont recueilli l'adhésion de tous les pays arabes. En cas d'opinions contradictoires, le choix s'est porté sur le plus proche du concept mathématique. Au cycle primaire, les inconvénients de l'enseignement du français à partir de la 3e année apparaissent lors de l'étude du calcul, commencée en arabe depuis deux ans.

Le professeur enseignant cette discipline éprouve des difficultés relatives aux symboles et concepts mathématiques. La langue scientifique fait encore défaut et il s'agit de la préciser à l'intention de l'enseignement de langue arabe. Aussi, le lexique établi doit-il être généralisé et ne pas être laissé à l'initiative personnelle.

La commission de Sciences naturelles a recherché les termes anciens et modernes et son choix allait toujours vers le terme le plus précis qui n'avait pas besoin d'être explicité. Elle a traduit certains termes étrangers et pris quelque termes du dialecte. Ce n'est qu'en dernier lieu que le mot étranger est conservé (amibe, basalte...) En sciences physiques a été retenu le vocabulaire employé dans les pays arabes. Certaines expressions composées ont été abrégées et un certain nombre de termes ont été créés. Pour les symboles, on a eu recours à la 1ère ou à la 2e consonne du mot. En chimie, l'effort a porté sur un aspect technique de la question : la création d'un grand nombre de symboles et de signes pour représenter les noms des éléments et des métaux. Pour les élèves, l'apprentissage écrit au développement scientifique est prévu.

L'essai d'un vocabulaire spécifique aux sciences naturelles a été tenté depuis 1950, date de la section moderne de la Zitouna, en dépit du manque de moyens et de sources sur lesquelles on pouvait se fonder. Certains professeurs étaient fidèles à un vocabulaire donné, ce qui a créé une anarchie.

Ainsi l'arabisation se déroulait selon les prévisions et donnait satisfaction à ceux qui la considéraient comme un objectif national, demeuré longtemps libéré de tout aspect sentimental. «Elle correspond à une aspiration profonde de la population tunisienne car, si le français est pour elle une langue étrangère privilégiée, il n'est pas une langue maternelle.» Le dialecte n'est que la «langue du cœur», mais l'arabe classique représente l'authenticité du peuple tunisien et conserve une influence et une résonance certaines. Une arabisation totale risquerait de faire baisser le niveau, elle constitue un projet de l'esprit et ne peut être fondée sur l'égalité de traitement des deux langues d'enseipnement (ainsi, en 4e, 5e, 6e anntes primaires, l'élève fournit un effort supérieur en français). Il en résulte que les modalités de l'arabisation diffèrent lorsqu'il s'agit de passer du stade des principes à celui de l'application. «En fait, la section B devint rapidement prépondérante et la réforme de 1968, qui supprime la section A, semble confirmer l'option en faveur du bilinguisme.»

En dépit de cette décision qui semble freiner le mouvement d'arabisation, une ambiance de discussions autour de ce problème continue à alimenter les esprits sur le plan national. Ces retours en arrière et ces arrêts dans le processus d'arabisation ne semblent pas se justifier, car l'ouverture sur les cultures étrangères pourrait signifier aliénation pure et simple.

En se situant sur le plan scolaire, on ne manque pas de constater que l'arabisatiin s'est arrêtée à la deuxième année du cycle primaire et a pris une tendance horizontale qui s'est immobilisée (en troisième année, l'enseignement devient bilingue). Au second degré, elle a été verticale à la section A : dans toutes les classes, il y a eu arabisation des matières scientifiques. La formation des professeurs enseignant ces disciplines n'ayant pas été suffisante, la généralisation de la section A n'a pu se réaliser, car la «pyramide» de l'arabisation ne pouvait trouver son équilibre dans ce manque de cadres en langue arabe. De

de producteurs. La langue arabe pourra alors se transformer en langue de la créativité, de l'invention et de la découverte, comme c'est le cas pour le chinois ou l'hébreu moderne.

A l'échelle du Maghreb arabe, l'arabisation prend de l'ampleur selon une progression particulière à chaque pays et dans le cadre d'une responsabilité sur ce plan et à libérer le pays de ses pour tous les secteurs de la vie nationale.

En Tunisie, les demandes réitérées des organisations nationales visent à affirmer leur responsabilités sur ce plan et à libérer le pays de la dépendance culturelle et à sauvegarder la personnalité tunisienne de l'assimilation

Cette personnalité sera d'autant mieux à l'abri de cette atteinte qu'elle est orientée dans le sens de la tunisification et pour être efficace, l'enseignement tunisien doit être adapté à la réalité du pays, aussi bien historique géographique que physique. « C'est d'ailleurs une erreur psycho-pédagogique que de vouloir inculquer à des tunisiens un enseignement par des méthodes et des procédés purement français, car il faut adapter l'enseignement à l'auditoire et non l'auditoire à l'enseignement.» La tunisification recouvre en fait une action qui consiste à «faire en sorte que le citoyen puisse sentir les attaches solides qui le lient au sol tunisien aves ses problèmes, ses ambitions, sa volonté d'agir harmonieusement avec les autres pour un mieux-être »

Pour s'intégrer harmonieusement à la réalité nationale, le jeune tunisien trouve à sa disposition l'enseignement arabisé de la seetion A qui méritait d'être maintenue en vue de poursuivre une expérience qui n'a cessé d'être valorisée (ou dévalorisée) selon les options des uns et des autres. La langue française devait être acquise «comme un moyen de communication, avant toute prétention culturelle».

Or, l'arabe n'ayant pu être généralisé en raison du manque de professeurs, il semble qu'il faudrait vingt ans aux Tunisiens pour rendre définitive cette implantation de la langue arabe. L'arabisation ne pourra naturellement pas être compléte tant que l'enseignement supérieur ne sera pas doté d'enseignants tunisiens de langue arabe. Car sans cela, les éléments sortants du secteur secondaire arabisé ne pourraient pas poursuivre leurs études supérieures encore données en français.

En dépit de la prétendue diffusion de l'arabe dialectal et de la difficulté que trouverait l'arabe littéral à être diffusé, la réforme portant sur l'arabisation pourrait prendre son élan grâce aux initiatives des enseignants et non au moyen des interventions administratives qui viendraient imposer la terminologie scientifique. Déjà Ahmad Amîn pensait que l'on peut utiliser les moyens mis par la morphologie arabe à notre disposition (dérivation, suffixation, composition, extention). Le terme scientifique ayant recueilli l'adhésion générale pouvait servir dans le domaine scolaire. C'est donc à une unification du vocabulaire que l'on devrait s'atteler pour organiser un enseignement scientifique viable en établissant une relation de continuité entre les termes anciens et modrnes, pour remédier à cette anarchie terminologique. En effet, au lieu d'une arabisation unifiée, nous constatons soit des efforts individuels pour lancer des termes étrangers ou arabes, soit le recours à une méthode mixte qui «utilise la dérivation partout où elle est possible, la dérivation du sens, l'allégorie, la contraction...» soit, enfin l'adoption pure et simple du mot étranger. Les résultats sont intéressants en sciences naturelles et biologiques, mais les difficultés apparaissent dans les sciences physiques et annexes.

A la suite de la réforme de 1958, les mathématiques reçoivent le premier lexique arabe établi en Tunisie.

Une commission d'unification du vocabulaire mathématique a donné en effet, son accord pour l'emploi d'une liste de termes à utiliser qui ont été recueillis dans les manuels français et classés par ordre alphabétique. Le vocabulaire en usage dans les pays arabes fut aussi examiné et

De même, le 1er Congrès de l'Union des Etudiants (1953) demande l'arabisation du cycle primaire. avec adaptation de l'enseignement au milieu et à la langue maternelle, «surtout si cette langue est de civilisation et de culture indéniables, comme la langue arabe» car «cette élimination de la langue arabe violente les plus élémentaires des principes de la pédagogie moderne et ne peut obéir qu'à des considérations extra-pédagogiques et extra-scolaires » (Travaux du 1er Congrès, 1953, Paris, 35. V. aussi Travaux du 3e Congrès national de l'U.G.E.T., 1955, Tunis, 72 p, 62).

Cette expérience, qui constitue l'élément principal de la tunisification, se présente comme une réalisatiosn par étapes qui évite une baisse brusque de niveau, et à laquelle il faut procéder «sans chauvinisme étroit et avec un esprit réaliste». Le programme se caractérise par une étude solide de l'arabe, une connaissance suffisante des langues étrangères, un excellent niveau dans les sciences islamiques et les sciences rationnelles.

La réalisation du projet est liée à la formation de professeurs dans les Universités des pays arabes. (al-Majalla Zaytûniyya, 1955/1375). Une mission de professeurs tunisiens a visité les pays arabes pour se rendre compte des progrès de l'arabisation. (al-Murabbî, avril 1957).

En fait l'arabisation constitue une dimension de l'indépendance du pays et, toute réserve dans la mise en application du projet constitue un élément imprévu et parfois incompréhensible, en raison de la circonspection dont est entourée la décision à prendre. Le plus simple serait de concrétiser le caractère officiel de la langue arabe. Au fond, il s'agit de dispenser un enseignement scientifique dans un programme limité qui n'exige pas des élèves de recourir aux encyclopédies scientifiques étrangères. Dans cette perspective, l'arabisation du cycle primaire et secondaire ne ne suppose pas la présence de difficultés insurmontables. L'enseignement supérieur, réservé à la spécialisation pose le problème de l'usage d'une terminologie adéquate. Au second degré, le manque de professeurs capables d'arabiser les sciences freine la généralisation de l'expérienrience. Mais la volonté d'arabiser est susceptible de créer un nouvel état d'esprit et d'encourager la publication d'ouvrages scientifiques en arabe.

Certaines disciplines peuvent être arabisées avec les moyens actuels, telle la sociologie, à moins que le professeur ignore l'arabe. A l'Université, c'est dans un sens vertical que l'idée d'arabisation se réalise par des spécialistes enthousiastes qui ne se contentent pas des sources arabes mais se servent des langues étrangères aussi, car il est essentiel de se tenir au courant du vocabulaire scientifique international, afin d'alimenter l'arabe et après s'être assurés de l'acceptabilité des nouveaux termes par les pays arabes, de la diffuser dans les livres scolaires.

D'ailleurs, l'expérience d'arabisation de la Zitouna, réalisée dans ses collèges secondaires ne peut nous laisser indifférents. Les élèves ont assimilé la langue et le vocabulaire scientifiques et ont pu continuer leurs études supérieures en arabe ; à ce niveau, l'étudiant est en mesure d'acquérir les éléments de langue étrangère qui lui font défaut, dans le cadre de sa spécialité. La langue arabe n'a donc pas fait obstacle aux études supérieures.

Il s'agit au fond de faire revivre une expérience vieille d'une vingtaine d'années et de s'en servir pour arbaiser l'administration et l'enseignement et pour créer une conscience populaire autour du problème. Les Tunisiens sont très sensibilisés à cette question et à l'essor de la langue classique. L'arabisation constitue dans ce sens un trait d'union et un équilibre entre les différentes couches de la population.

Quelles que soient les possibilités de la langue arabe moderne, elle ne se trouve pas en cause pour ce qui est du progrès et du niveau à atteindre pour vivre au diapason du monde actuel, dans les domaines économique, culturel et social. De consommateurs de la production culturelle étrangère, nous devons passer au stade

L'EXPERIENCE DE L'ARABISATION DE L'ENSIEGNEMENT EN TUNISIE

Le texte que nous publions ci-après a été extrait d'une étude fort intéressante intitulée : «L'Enseignement de la langue arabe en Tunisie» et présentée à la Sorbonne par son auteur, M. Mongi Sayadi, sous forme de thèse de doctorat d'Université.

En raison de l'importance et de l'actualité de l'arabisation qui se pose dans le monde arabe et plus particulièrement au Grand Maghreb (Algérie Maroc et Tunisie), M. Mongi Sayadi a jugé opportun et a tenu à pousser davantage ses investigations dans ce domaine en préparant une thèse de doctorat d'Etat.

Cette dernière aura pour sujet : «Le Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe» que M. Sayadi est venu étudier sur place durant le mois de Juillet 1973.

En Tunisie. la culture tunisienne d'essence spirituelle est dispensée à la Zitouna, foyer de conservation de la langue arabe, qui a essayé l'expérience d'arabisation des matières scientifiques.

Dans l'atmosphère politique locale, la réunion des nationalistes en «Congrès de la nuit du Destin» (26 ramadhân 1365 / 22-8-1946) a renforcé le sentiment patriotique symbolisé par la langue arabe. La Khaldûniyya créé en janvier 1946 l'Institut d'Etudes Islamiques, un Institut de Droit : En 1947, est institué le Baccalauréat arabe qui prépare les étudiants aux Universités arabes. La Zitouna crée, en 1947, des postes réservés à l'enseignement scientifique, en collaboration avec la Kkaldûniyya. Ces réformes encouragent l'opinion tunisienne à demander l'arabisation de l'enseignement. Le 30 octobre 1950, après une grève d'une année, les étudiants zitouniens obtenaient l'accord des autorités pour que fût créée une section moderne, où la langue arabe serait le véhicule des connaissances scientifiques indispensables aujourd'hui Le Zitounien trouve le moyen de compléter sa culture grâce à la langue nationale.

En fait, «tous les Tunisiens désirent une culture nationale profondément enracinée dans l'histoire, la géographie, la littérature, les traditions du pays, et en même temps, largement ouverte à la culture occidentale moderne ... L'arabisation est possible au 20e s. comme elle le fut aux 2e, 3e siècles. La Zitouna a effectivement proposé un programme pour l'arabisation de l'enseignement national qui permet d'étendre et de rénover les études zitouniennes, dont les sections modernes emploient l'arabe comme langue vivante et véhiculaire pour l'enseignement des sciences exactes. «Plus arabisé que l'enseignement sadikien le nouveau cycle d'études, auquel on accèdera désormais par l'examen d'entrée en «sixième zitounienne» se veut complet en lui-même. Les étudiants font des lectures d'œuvres étrangères traduites qui contribuent à leur culture aussi bien littéraire que philosophique.

الفهـرس العـام

1) دراسات وابحـاث

2) ابحـاث عـامـة

3) دراســات معجميــة

4) نشاط مكتب التعــريب

5) دراسات وابحاث باللغة الاجنبية

مطابع دار الكتاب
الدار البيضاء